بسم الله الرحمن الرحيم

لك الشكر و لك الحمد اللهم انا نحمدك حمدا نوثبنا به من صحائف الحسنات صحيفة كاملة و نشكرك شكرا
نوليبنا به من نعمك الحسنات نعمة شاملة نصدقنا لوعدك الشائق لعبادك الشاكرين
ويحسبنا الرجاء فضلك الشائع على عبادك طلابك الذاكرين والا فاقصى
الشكر ولو كان البحر له مدادا قاصر عن ان يكون لادنى سوالف الائك عدد الاسما
ما هديت له من الاعتراف بوحدانيتك التى شهدت بها السماء مزينة بالكواكب
والارض حاملة اثقالها على المناكب و الصباح هاتكا لستور الظلماء نهاره مطرد
فى حدائق الخضراء انهاره والمساء رافلة فى حلل السواد اسام لبله راكضة فى مبادين
الظلام ادا هم خيله والماء بانما صفاوه باسراره لا تحاحصباوه فى قراره وللنار
لامعة سنابك ذهبها نا شرة ذوائب لهبها والهواء حاملا للماء فى بطون الغمام سائق
بالجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام كلها السنة ناطقة بوحدانيتك وادلة ثابتة
على فردانيتك مرغمة بشهادتها انف كل منكر وجاحد بل فى كل شئ لك آية تدل على
انك واحد ثم ما وفق له من الاقرار بالنبوة المحمدية والامامة

والامامة الاثنى عشرية الذى اخذت به المواثيق والعهود من اول يوم الى اليوم
المشهود ونصلى ونسلم على نبيك الذى ارسلته رحمة للعالمين وانزلت على قلبه
الروح الامين ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين وعلى اخيه ووصيه الذى
جعلته رداءا له وظهيرا وسائر اهل بيته الذين اذهبت عنهم الرجس وطهرتهم
تطهيرا وبعد فيقول العبد الفقير الى ربه الغنى على صدر الدين المدنى ابن احمد
نظام الدين الحسينى الحسنى انالهما الله تعالى من فضله السنى هذا شرح مفيد وصر
شيد علقته على الصحيفة الكاملة الجليل اهل البيت ور... محمد عليهم السلام
المنسوبة الى سيد العابدين وقدوة الزاهدين امام الثقلين على بن الحسين صلوات
الله عليه وعلى آبائه وابنائه المتحيرين يفتح مقفلها ويفصل مجملها ويظهر كنوزها و
يحل رموزها على انى معترف والصدق منجاة بان الباع قصير والبضاعة مزجاة
وان المرتعش الجناح لسيتم هذا المطار والمرتعد الجنان لتقحم هذه الاخطار لكنى مقتبس
منها استمد واستعين وببركات اهل البيت عليهم السلام ارد هذا العد
المعين ولا اعلم سابقا سبقنى الى هذا الغرض والغاية تمادت بهذا الحكم المفترض سوى ما
حرره جماعة من اصحابنا المتأخرين شكر الله سعيهم واحسن يوم الجزاء رعيهم من تعليقات
تتضمن حل بعض الفاظها وتفسير يسير من اغراضها وهى لا تبرد غليلا ولا تبرئ عليلا
واما شرح شيخنا البهائى قدس الله روحه الزكية الذى سماه حدائق الصالحين
واشار اليه فى الحديقة الهلالية فهو مجاز لا حقيقة اذ لم تقع حدقة منه على عين
تلك الحديقة ولعمرى لو اتمه على ذلك المنوال لكفى من بعده تجشم الاهوال ولكن ابى
ان يتم عن الامانى فالكون عرابة هذه الراية فى زمانى واذا كانت عمومات مواهب
الواهب غير مدفوعة وفيوضات فيضه الواسع لا مقطوعة ولا ممنوعة فغير بديع
ان تشرق اشعة من فضله العميم على من آكه من لا يرى نفسه اهلا لهذا التكريم وعليه

وهو حسبى ونعم الوكيل واذا اشرق انشاء الله تعالى بدره المنير
سبحانه قصد السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل واذا اشرق انشاء الله تعالى بدره المنير

من افق التمام وتعلق بهرة النضير من حجب الكمام حسبته برياض السالكين فى شرح صحيفة
سيد العابدين صلوات الله عليه والى الله تعالى ارفع اكف الدعاء واتشفع اليه باكرم الشفعاء
ان يرفع حجب العوائق عن اتمامه وان يشفع حسن ابتدائه بحسن ختامه وان يسدد لى
فيه الصواب وان يثنى عليه جميل الذكر وجزيل الثواب ثم لما اينعت ثمرات تمامه
فى رياض الوجود واكرمنى باجتناء زهرات كمامه مفيض الكرم والجود قدمته وهى
الحرى بالتقديم بحيث من الشروح وقديم الى الحضرة التى هى مجمع الخلافة والامامة
ومطلع الشرف المذلل بالعمامة ومشرق الانوار المصطفوية ومعدن اسرار الصفوية
ومن تبع العدل ومنبع الفضل ومشعر المجد ومشرع البذل ومستقى الجود والكرم وملتقى
ثمرتى طيبته والحرم حيث الخلافة مضروب سرادقها بين النقيضين من عفو
ومن نقم والامامة انوار مقدسة تخلو النقيضين من ظلم ومن ظلم والنبوة
آيات تتلى لنا على الخصمين من حكم ومن حكم والمكارم اعلام تعلمنا مدح الجن
من بأس ومن كرم ولى العلى السن تثنى محامدها على الحميدين من فعل ومن شيم
دراية الشرف الباذخ ترفعها يد الرفيعين من مجد ومن همم حضرت سيد سلالة
الامم ومالك ملوك العرب والعجم حامى حمى الايمان وماهد مهاد الامان صفوة
الله التى خلع عليها خلع التشريف وحضرته التى ملكها اعنة التصريف
التى جمع لها من شريف النسب بين التالد والطريف وخلاصته التى مد عليه من كرم
مد ظله الوريف فجاز لواء النجم اعلى مثله ترفع ان يأوى اديم سماء تعار من طارق
رى المجد والنعت على انبياء الله والخلفاء اعظم ملك حففت عليه الاعلام والبنود والخيم
سلطان حفت به الكتائب والجنود تنحى باسه الاسود واعطى باذل ترى بكرمه الليالى السود
ملك اذا ضاق الزمان باهله محلا توسع فى المكارم وانفسح تكبو السحاب اذ تجارى كفه

فالغيث فى وجناتها عرق رشح تتحقر الاسياف عاتق عبرة وتقول دونك والقلائد
والسبح ويكلف الاسد الهصور بعدله فى الغفران يرعى الغزال ذابح كم من خطيب ذكر
ضيراسمه لما تنحنح فاك منبره نحح الباسمة تغور الثغور عن شنب نصبه
والناسمة فتوح القبول للداعين بامتداد عصره مقيم قسطاس العدل فى العباد والبلاد
ومنيم الاجفان فى ليل الامن بكرها يوم الجلاد ما محى سطور الحيف بلسان السيف
معيد لنا لبالى العرف كليالى الحيف فما للغيث فى عهده اثر سوى ما فى سود المحاجر ولا
للظلم تحبر سوى ما تفعله باسود حتان غزلان حاجرين تشرف به ظهور المنابر
والاسرة واظهر الله بدر فى الوجود حكمه اصطفائه له وسره واصبح الاسلام به
منشرح الصدر ويومه به يوم بدر وليلته ليلة البدر وعاد روض الندى والباس
مخضلا بعد اهشاشه مخضرا بهواطل سماحه وعدا ولا سياقه وراح جبين الشرف
مكللا بتاج ذكره وجيد الكرم مقلدا بطوق حمده وشكره وقامت سوق المفاخر به على
ساقها وثابت نفر المكارم بعد سياقها واستانف الملك به عمرا جديدا ونفيا روح
اقباله ظلا مديدا واشتملت منه ترائبه على العقد الثمين وحل من كنفه المحوط بالحرم
الامين وانار بصبح حسامه الابيض ليل قساسه الاسود وحيى روض نقع الاخضر
بانامل سيحه الاسمر واجرى نهر النجيع الاحمر من مهند عدوه الازرق ملك
افاض على البرية جاهر وافاد املاك البسيطة جاهها فتطاولت شرفاته لما
ادعته مليكها ودعته شاهنشاهها لو شاء ان يمشى على جبهاتها بسط له
وفى التراب جباهها فرد تفرد عن شبيه فى العلى بصفات مجد لن ترى اشباهها
يستحقر الوفد البحار اذا راى جدوى يديه ويستقل مياهها كرم اذا جمد الغمام همى له
جود على السنة العباد نماهها وحلت لسطوته النفوس وانه ما زال يوسع عدله ارفاهها
تغضى العيون اذا تجلى هيبة وتطيل السنة الرجال سباهها وتخر للاذقان سلجد

له صيد الملوك اذا رايته تجاهها • حتى اذا التمست مواطى نعله • وسم الفخار بلثمهن شفاهها
تباوء الاعداء خيفة باسه • وتراه ارباب الغنى اوتاهها • شكرا لاله له ابانة خلقه •
فالخلق شاكرة عليه الاهها • امين الله وابن امينه • مفيد اليسر بيساره واليمن بيمينه
حائز مناقب الكمال وكمال المناقب صاعد مراتب المعالى والمعالى المراتب انسان عين الانسان
القايم بوظيفتى العدل والاحسان سلطان العالم بالارث والاستحقاق بين سماء الملك
المصون عن الكسوف والمحاق وارث الخلافة النبوية كابرا عن كابر حائز الامامة العلوية
عن آبائه الاكابر المتفرع من دوحة النبوة والرسالة المترعرع من سرحة الفتوة والبسالة
المتقلب فى الانوار المقدسة وآدم بين الماء والطين المستقل من مهجة الزهراء البتول
وحشاشة الانزع البطين • ما من رقيت به احسابه • حتى بلغن الى النبى محمد
ان لا يمد الى المكارم باعه • ونيال منقطع العلى والسودد • سلطان الاحتى ترى اذ بالله ابد الزمان
عمائما للفرقد • ظل الله ممدود فى ارضه • وخليفته القايم بسنته وفرضه • صفوة
النوع والذابّ عن دين آبائه • بعزمه وآبائه غرة جبين الشرف المصطفوى ابى
المظفر شاه سلطان حسين الموسوى الحسينى الصفوى • اللهم ابسط يد ملكه
فى البسيطة واهلها كافة واجعل ملائكتك جنوده وجنوده حافة وافتح على يديه
مشارق بلادك ومغاربها • وامن بصولته مسارح عبادك ومساربها • واشكر عن الايمان
والمؤمنين سعيه • واحسن عن الاسلام والمسلمين جزاءه ورعيه واتمم نعمتك عليك كما تممها
على آبائه المهتدين • وثبت الملك فيه وفى عقبه الى يوم الدين **فنبل** الخوض فى المطلوب فلنذكر
سندى واتصالى بالصحيفة الشريفة • متبركا بالاتصال فى الروايه عن منشئها المعصوم عليه
فاقول انا ادويها شيخى الجليل الفاضل الشيخ جعفر بن كمال الدين البحرانى **عن** شيخه الفاضل
زبدة المجتهدين الشيخ حسام الدين الحلى **عن** الشيخ الاجل خاتمة المحققين وبحر العرفان واليقين
بهاء الدين محمد العاملى **عن** والده الشيخ البارع حسين بن عبد الصمد الحارثى الهمدانى **عن**

شيخه

٤

شيخه الفاضل زبدة المجتهدين الشيخ حسام الدين الحلى **عن** الشيخ الاجل خاتمة المحققين
وبحر العرفان واليقين بهاء الدين محمد العاملى **عن** والده الشيخ البارع حسين بن
عبد الصمد الحارثى الهمدانى **عن** شيخيه الامامين عمادى الاسلام وفقيهى اهل
البيت عليهم السلام السيد الحسن بن جعفر بن الاعرج الحسينى الكركى والشيخ زين
الدين بن على بن احمد العاملى قدس الله سرهما **عن** شيخهما الجليل التقى النبيل
زين الدين على بن عبد العالى الميسى **عن** شيخه الامام السعيد ابن عم الشيخ الشهيد
ابن محمد بن داود الشهير بابن المؤذن الجزينى **عن** الشيخ ضياء الدين على ابن الشيخ
السعيد الشهيد شمس الدين محمد بن مكى **عن** السيد الامام النسابة تاج الدين محمد
بن القاسم بن معية الحسنى **عن** السيد كمال الدين محمد بن محمد رضى الدين الدين الاوى
الحسنى **عن** الخواجه نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى **عن** والده محمد بن الحسن **عن**
السيد ابى الرضا فضل الله الراوندى الحسنى **عن** السيد ابى الصمصام محمد بن
معبد الحسينى رئيس الطائفة ابى جعفر الطوسى **عن** قدس سره فى روايتها طريقان ذكرهما
فى الفهرست **احدهما** جماعة عن ابى محمد هرون بن موسى بن التلعكبرى **عن** المعروف
بابن اخى طاهر **و هو** ابو محمد الحسن بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين
بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلام **عن** ابيه **عن** عمير
بن المتوكل **عن** ابيه **عن** يحيى بن زيد **و ثانيهما** ابو عبد الله احمد بن عبد الواحد
البزاز المعروف بابن عبدون **عن** ابى بكر الدورى **عن** ابن اخى طاهر **عن** محمد بن
مطهر عن ابيه **عن** عمير بن المتوكل **عن** ابيه **عن** يحيى ابن زيد **عن** ابيه زيد بن
على **عن** ابيه على ابن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلام **ويوجد له** فى هوامش
نسخ الصحيفة **طريق** ثالث **وصورته** حدثنا الشيخ الاجل السيد الامام السعيد
ابو على الحسن بن محمد بن الحسن الطوسى ادام الله تاييده فى جمادى الآخرة من سنة

حدى عشرة وخمسمائة قال اخبرنا الشيخ الجليل ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قال اخبرنا
الحسين بن عبيد الله الغضايري قال حدثنا ابو المفضل محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب الشيباني في شهور سنه خمس وثمانين وثلثمائة قال حدثنا الشريف ابو
عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن الى آخر السند المذكور في المتن واعلم ان
هذه الصحيفة الشريفة عليها مسحة من العلم الالهي وفيها عبقة من الكلام النبوي
كيف لا وهي قبس من نور مشكوة الرسالة ونفحة من شميم رياض الامامة حتى قال
بعض العارفين انها تجري مجرى التنزيلات السماوية وتسير مسير الصحف اللوحية
والعرشية لما اشتملت عليه من انوار حقايق المعرفة وثمار حدايق الحكمة وكان
اخيار العلماء وجهابذ القدماء من السلف الصالح يلقبونها بزبور آل محمد و
انجيل اهل البيت عليهم السلام قال الشيخ الجليل محمد بن علي بن شهرآشوب في
معالم العلماء في ترجمة المتوكل بن عمير روى عن يحيى بن زيد بن علي عليه السلام
دعاء الصحيفة وتلقب بزبور آل محمد عليهم السلام انتهى واما بلاغة بيانها
وبراعة تبيانها فعندها تسجد سحرة الكلام وتذعن بالعجز مدارة الاعلام وتعترف
بان النبوة غير الكهانة ولا يستوي الحق والباطل في المكانة ومن حام حول سمائها
بغاسق فكره الواقب رمي من رجوم الخذلان بشهاب ثاقب حكي ابن شهرآشوب
في مناقب آل محمد ان بعض البلغاء بالبصرة ذكرت عنده الصحيفة الكاملة
فقال خذوا عني حتى املي عليكم مثلها فاخذ القلم واطرق راسه فما رفعه
حتى مات ولعمري لقد رام شططا فنال سخطا وهذا حين اشرع في المقصود
سائلا من الله الامداد والهام السداد عليه توكلت واليه انيب

بسم الله الرحمن الرحيم

حدثنا السيد الاجل نجم الدين بهاء الشرف ابو الحسن محمد بن الحسن بن احمد بن علي بن محمد
بن عمر بن يحيى العلوي الحسيني رح يحيى هو ابن الحسين النسابة بن احمد المحدث
بن عمر بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي
طالب عليهم السلام قيل القايل حدثنا في اول هذا السند هو الشيخ الجليل علي بن
السكون من ثقات علماء الامامية نقل ذلك بعضهم عن شيخنا البهائي رحمه الله
عن مشايخه وقيل هو عميد الرؤساء هبة الله بن حامد وهو الصحيح كما دل عليه ما
وجد بخط المحقق الشهيد قدس سره على نسخة المعارضة بنسخة ابن السكون
المرقوم عليها بخط عميد الرؤساء ما صورته قرأتها على السيد الاجل النقيب
الاوحد العالم جلال الدين عماد الاسلام ابو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن
الحسن بن معية ادام الله تعالى علوه قراءة صحيحة مهذبة ورويتها له عن السيد
بهاء الشرف ابي الحسن محمد بن الحسن بن احمد عن رجاله المسمين في باطن هذه
الورقة واجزته روايتها عني حسبما وقفته عليه وحددته له وكتب هبة الله
بن حامد بن احمد بن ايوب بن علي بن ايوب في شهر ربيع الآخر من سنة ثلث و
ستمائة والحمد لله ونسخة ابن السكون التي بخطه طريق الاسناد فيها على هذه
الصورة اخبرنا ابو علي الحسن بن محمد بن اسمعيل بن اشناس البزاز قراءة
عليه فاقر به قال اخبرنا ابو المفضل محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني الى آخر ما
في الكتاب ثم المراد من قوله حدثنا السماع من لفظ السيد الاجل سواء كان
املاء من حفظه ام من كتابه وهو ارفع طرق التحمل السبعة عند جمهور المحدثين وقد
اصطلح علماء الحديث على ان يقول الراوي فيما سمعه وحده من لفظ الشيخ او شك هل
كان معه احد حدثني وفيما مع غيره حدثنا وفيما قرأ عليه اخبرني وفيما قرئ عليه وهو حاضر
اخبرنا ولا يجوز عندهم ابدال كل من حدثنا واخبرنا بالآخر في الكتب المولفة واما انبأنا

نهم يطلقونه على الاجازة والمناولة والقراءة والسماع اصطلاحا والا فلا
فرق بين الاسناد والاخبار لغة والسيد الماجد الشريف من ساد يسود سيادة
والاسم السودد بالضم وهو المجد والشرف واختلف في وزنه فقيل اصله سيود
ككريم وشريف فاستثقلت الكسرة على الواو فحذفت فاجتمعت الواو وهي
ساكنة والياء فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء فقيل سيده وقد شاع في
العرف استعماله في الشرفاء اولاد الحسين عليهم السلام ولعل اصله من قوله
صلى الله عليه وآله ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة والاجل افعل
تفضيل من جل الجليل بالكسر اي عظم فهو جليل ونجم الدين وبهاء الشرف لقبان
يتضمنان مدحا وفي الكلام مخالفة للاصلين احدهما ان السيد الاجل نعتان
لنجم الدين وما ذكر بعده فقدما والنعت لا يتقدم على المنعوت والثاني
انه متى اجتمع الاسم واللقب وجب على الافصح تقديم الاسم لكون اللقب اشهر
لان فيه العلمية مع شيء من النعت فلو اتى به اولا لاغنى عن الاسم وقد قدم
اللقب هنا على الاسم والجواب عن الاول ان النعت اذا تقدم وكان صالحا
لمباشرة العامل فانه يعرب بحسب ما يقتضيه العامل ويجعل المنعوت
بدلا ويصير المتبوع تابعا وتضمحل التبعية كقوله تعالى الى صراط العزيز الحميد
الله في قراءة الخفض والجواب عن الثاني ان اللقب هنا سوف الممدوح فاذا جرى
لفظ المدح اولا تشوقت النفس الى الممدوح فاذا ذكر الممدوح بعد ذلك
كان اوقع في النفس على ان ذلك لغة وقد اجتمع الامران في قوله انا ابن
مزيقيا عمرو وجدي ٭ ابوه منذر ماء السماء ٭ واما الكنية فلا ترتيب بينها
وبين غيرها فائدة قال الجلال السيوطي في الاوليات اول ما حدث التلقيب
بالاضافة الى الدين في القرن الرابع وسببه ان الترك لما تغلبوا على

الخلافة

الخلافة تسموا بشمس الدولة وناصر الدولة الى غير ذلك فتوقت نفوس
بعض العوام الى تلك الاسماء فلم يجدوا اليها سبيلا فرجعوا الى امر الدين
ثم فشا ذلك حتى انس به الناس وتوطنوا عليه قال الزمخشري الذي دعا العرب
الى التكنية الاجلال عن التصريح بالاسم بالكناية عنه ثم ترقوا عن الكنية
الى الالقاب الحسنة التي هي اضداد ما نهينا عن التنابز به مما نهى الله عنه وسماه
فسوقا فقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل الالقاب
كلها من العرب والعجم تجري في المخاطبات والمكاتبات على ذلك من غير نكير
غير انها كانت تطلق على حسب استحقاق الموسومين بها واما ما استحدث
من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال التفاضل وذهب التفاوت و
انقلب الضيعة والشرف والنقص والفضل شيئا واحدا فمنكر وهب ان
العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين في قبيل
ولا دبير بجمال الدين بشرف الاسلام هي لعمري الغصة التي لا تساغ
نسال الله اعزاز دينه واعلاء كلمته انتهى ومنع بعض العلماء والائمة
من الالقاب المضافة للدين فقال مما ينبغي التحفظ عنه من البدع الالقاب
المخالفة للشرع المضافة للدين لما فيه من تزكية النفس المنهي عنها
واجاب بعضهم بان اللقب لم يضعه الانسان لنفسه بل سماه به ابواه
في صغره وعدم تكليفه وكونه تزكية لنفسه غير صحيح لان الاضافة
قد تكون لادنى ملابسة فهو مضاف للسبب تفاؤلا فمعنى الدين بمعنى
من يعزه الله بالدين وكذا محيي الدين بمعنى لنفسه بالدين ولو صح هذا
منع احمد ومحمد وحسن وهو محمود وقال المحدثون اذا اشتهر اللقب جاز وان
كان ذما كالاعرج والاعمش فما ذكر حرج وتضييق في الدين انتهى تنبيه السيد

نجم الدين بهاء الشرف المذكور ليس له ذكر فى كتب الرجال ولما كانت نسبة
الصحيفة الشريفة الى صاحبها عليه السلام ثابتة فى الاستفاضة التى كادت
تبلغ حد التواتر لم يقدح فى صحتها الجهل باحوال بعض رجال اسانيدها
وذكرهم لهؤلاء المشايخ انما هو لاجل التيمن بالاتصال فى الاسناد بالمعصوم
عليه السلام قال اخبرنا الشيخ السعيد ابو عبد الله محمد بن احمد بن شهريار الخازن لخزانة
امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام فى شهر ربيع الاول من سنة ست عشرة
وخمسمائة قراءة عليه وانا اسمع الشيخ ابو عبد الله المذكور ذكره الشيخ ابو الحسن
على بن عبيد الله بن بابويه فى كتابه فهرست مشايخ الشيعة واثنى عليه
بالفقه والصلاح فقال الشيخ محمد بن احمد بن شهريار الخازن بمشهد الغرى
على ساكنه السلام فقيه صالح وشهريار اسم اعجمى مركب من شهر ويار
ومعناه عظيم البلد على قاعدة لغة الفرس فى تقديم المضاف اليه على
المضاف وكان الشيخ ابو عبد الله المذكور صهر شيخ الطائفة ابى جعفر محمد
بن الحسن الطوسى قدس الله روحه على ابنته وهى ام ولده الشيخ الموفق ابى
طالب حمزة بن محمد بن احمد بن شهريار كما يستفاد من كتاب اليقين للسيد على
بن طاوس نور الله مرقده وقوله شهر ربيع الاول بتنوين ربيع وجعل
الاول صفة له تابعا فى الاعراب لشهر او ربيع وكذا القول فى شهر ربيع
الآخر وقال ابن درستويه لا يكون صفة لربيع وان كان معرفة لانه ليس
هناك ربيعان وانما هناك ربيع واحد وشهر الربيع فهما صفة للشهر لا غير
انتهى وتجوز الاضافة فيهما وهو من باب اضافة الشى الى نفسه للاختلاف
اللفظ من نحو حب الحصيد وقال صاحب كتاب الازمنة كان الحكم ان يقال
شهر الربيع الاول وشهر الربيع الآخر الا انه اضيف المنعوت الى النعت

مثل دار الاخرة

7

مثل دار الاخرة وحق اليقين حكى ذلك الكسائى واللحيانى وسمى الاول
منهما شهر ربيع الاول لانه صادف نقله اول الربيع والثانى بشهر ربيع
الآخر لانه صادف نقله آخر الربيع ويثنى لفظ الشهر فيهما ويجمع مضافا
الى الجزء الثانى على قاعدة تثنية المتضايفين وجمعهما فيقال شهرا
ربيع وشهور ربيع وحكى بعضهم انه يقال فى جمعهما الاربعة الاوائل
والاربعة الاواخر وفيه دلالة على ان علم الشهر ربيع بدون شهر وقال
التفتازانى اجمعوا على ان العلم فى ثلاثة اشهر هو مجموع المضاف والمضاف
اليه شهر رمضان وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الآخر ومنع ذلك ابو حيان
وقال انه غير معروف وسيأتى الكلام على ذلك فى شرح دعاء دخول
شهر رمضان ان شاء الله تعالى وهذا النوع من تحمل الحديث وهو القراءة

قوله

على الشيخ يسمى العرض لانك تعرضه على الشيخ سواء قرات او غيرك وانت
تسمع وهل هو فى مرتبة السماع او دونه خلاف الاشهر ان السماع
اعلى والعبارة عن هذا الطريق ان يقول الراوى قرات على فلان او قرى
عليه وانا اسمع فاقر به ثم حدثنا واخبرنا مقيدا بقوله قراءة عليه
كما وقع هنا لا مطلقا على الاظهر فى حدثنا دون اخبرنا فقد اجاز اطلاقه
المتاخرون وفاقا للجمهور المتقدمين قال سمعتها على الشيخ الصدوق
محمد بن محمد بن احمد عبد العزيز العكبرى المعدل رحمه الله
الضمير فى سمعتها للصحيفة الكاملة الدالة المساق عليها فاضمر ثقة
بفهم السامع نحو كل من عليها فان وعدى السماع بعلى لتضمينه معنى
العرض اى سمعتها معروضة على الشيخ وحقيقة التضمين ان يقصد بالفعل

معناه الحقيقي مع ملاحظة معنى فعل آخر في ضمنه يناسبه واعماله عمله
بهذه الملاحظة ولا ابرازه في مقام التفسير طريقان احدهما جعل الاصل
ثابتا والمضمن حالا فيقال في قولهم يقلب كفيه على كذا اى نادما على كذا
وثانيهما عكس هذا اى يندم مقلبا كفيه على كذا ولا بد من اعتبار
الحال في الامكان مجازا محضا لا تضمينا ومذهب البصريين ان التضمين لا
ينقاس وانما يصار اليه عند الضرورة قاله ابو حيان والصحيح اطراده
لكثرته في كلام العرب حتى قال ابن جني لو جمعت تضمينات العرب لاجتمعت
مجلدات والعكبرى بضم العين المهملة وسكون الكاف وفتح الباء الموحدة
وبعدها راء نسبة الى عكبرا بالقصر والمد وهي بليدة على دجلة فوق بغداد
بعشرة فراسخ خرج منها جماعة من العلماء وقد يقال في النسبة اليها
عكبراوى بالالف بعد الراء والمعدل اسم مفعول من عدل الشاهد تعديلا
اذا نسبه الى العدالة ووصفه بها وعرفت بانها ملكة راسخة في النفس
تبعث على ملازمة التقوى والمروة وقيل بل هي كون الشخص متظاهرا
بالصلاح مستور الحال غير ظاهر الفسق اذا سئل عنه خلطاؤه قالوا لا
نعلم منه الا خيرا هذا في الشاهد وامام الجماعة واما في الراوى فهي
كونه متحرجا من الكذب ضابطا لما ينقله واشتهر الوصف بالمعدل
لمن عدل وزكى وقبلت شهادته عند القضاة والعكبرى المعدل
المذكور لم اجد له ذكرا فيما وقفت عليه من كتب الرجال لاصحابنا وذكره
ابن السمعاني في كتاب الانساب فقال هو ابو منصور محمد بن محمد بن احمد
بن الحسين بن عبد العزيز العكبرى كتب عن جماعة من المحدثين بعكبرى و

عيرها

٨ وغيرها حدثنا عنه جماعة من الشيوخ ببغداد واصبهان مات سنة
اثنتين وسبعين واربعمائة وابوه ابو نصر محمد حدث عن احمد
بن يوسف بن خلاد وابي على بن الصواف وابيه احمد بن الحسين العكبرى
عنه ابنه ابو منصور محمد وابو عبد الله محمد بن علي بن محمد الصوري
وابو طاهر عبد العزيز احمد الكتاني ومات بعكبرى في شهر ربيع الاول
سنة عشرين واربعمائة وكان صدوقا وعمه ابو الحسن عبد الواحد بن
احمد بن الحسين بن عبد العزيز العكبرى المعدل روى عنه ابن اخيه ابو
منصور وكان صدوقا متشيعا ومات في رجب سنة تسع عشرة
واربعمائة بعكبرى انتهى كلام السمعاني عن ابي المفضل محمد بن عبد الله بن
المطلب الشيباني رحمه الله هو ابو المفضل محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن
البهلول بن همام بن المطلب بن همام بن البحر بن مطر بن مرة الصغرى
بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان قال النجاشي كان سافر في
طلب الحديث عمره وكان في اول امره ثبتا ثم خلط ورايت جل اصحابنا
يغمزونه ويضعفونه له كتب كثيرة منها كتاب شرف التربة كتاب
مزار امير المؤمنين عليه السلام كتاب مزار الحسين عليه السلام كتاب فضائل
العباس كتاب الدعاء كتاب من روى حديث غدير خم كتاب رسالة
في التقية والاذاعة كتاب من روى عن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام
كتاب فضل زيد كتاب الشافي في علوم الزيدية كتاب اخبار ابي حنيفة كتاب
القلم رايت هذا الشيخ وسمعت منه كثيرا ثم توقفت عن الرواية عنه الا بواسطة
بيني وبينه انتهى وقال شيخ الطائفة في الفهرست محمد بن عبد الله بن المطلب
الشيباني يكنى ابو المفضل كثير الرواية حسن الحفظ غير انه ضعفه جماعة

من اصحابنا له كتاب الولادة الطيبة وله كتاب الفرايض وله كتاب المزار
وغير ذلك اخبرنا بجميع رواياته عنه جماعة من اصحابنا انتهى وقال
ابن الغضايري فيه انه وضاع كثير المناكير رايت كتبه وفيها الاسانيد
من دون المتون والمتون من دون الاسانيد وارى ترك ما ينفرد به
انتهى وذكره العلامة في الخلاصة مرتين مرة كما ذكره ابن الغضايري
وذكره ابن داود في رجاله ثلاث مرة في الموثقين ومرتين في المجروحين
والله اعلم قال حدثنا الشريف ابو عبد الله جعفر بن محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن
الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب ع ذكر النجاشي الشريف المذكور فقال بعد
سرد نسبه هو والد ابي قيراط وابنه يحيى بن جعفر روى الحديث و
كان وجها في الطالبيين متقدما وكان ثقة في اصحابنا سمع واكثر
وعمر وعلا اسناده له كتاب التاريخ العلوي وكتاب الصخرة والبئر
اخبرنا شيخنا محمد بن محمد قال حدثنا محمد بن عمر بن الجعابي قال حدثنا
جعفر بكتبه ومات في ذي القعدة سنة ثمان وثلثماية وله نيف وتسعون
سنة وذكر عنه انه قال ولدت بسر من راى سنة اربع وعشرين ومايتين
ولا يخفى ان تاريخ ولادته ووفاته لا يوافق ما ذكره من انه مات وله نيف وتسعون
سنة وارخ العلامة في الخلاصة وفاته سنة ثمانين وثلثماية وهو لا يوافق ذلك
ايضا والظاهر انه سهو قلم والله اعلم القوم منهم قال حدثنا عبد الله بن عمر بن الخطاب الزيات
سنة خمس وستين وقال القتيبي خطب الى القوم اذا طلب ان يتزوج منهم والاسم الخطبة بالكسر
فهو خاطب وخطاب مبالغة وبه سمي وهذا الرجل ليس له ذكر في رجال اصحابنا مطلقا
قال بعضهم لما كان اخبار السعيد ابي عبد الله الخازن سنة ست عشرة وخمسمائة وحديث
عبد الله بن عمر المذكور سنة خمس وستين ومايتين وكانت عدة الرواية المتخللة بينهما

فهذا

عدة الرجال الاسناد ثلثة مع ان الزمان المتوسط بين الاخبارين يرتقى الى مايتين واحدى
وخمسين سنة وكان الظاهر لقاء هولاء الرواة الثلاثة بعضا بعضهم كما يقتضيه
قوله حدثنا وكما تشعر به العنعنة ومقدار هذا الزمن بالنسبة الى عدة هذا السند
رحب واسع طويل سيبان ان هذا السند عالي بالمعنى المستفيض عن المحدثين حيث
قالوا العالي السند هو القليل الواسطة مع اتصاله وقد اشتد حرص رجوه علمائنا على
خالفه حتى كان طلبه سنة عند اكثر السلف وقد كانوا يشدون الرحال الى اقاصي
الى اقصى البلاد لاجله لان بعلو السند يبعد الحديث عن الخلل المتطرق الى كل سند
من رجال السند الا والخطاء جاير عليه فكلما كثرت الوسايط وطال السند كثرت
مظان التجويز وكلما قلت قلت نكتة اخبرني بعض الاصحاب بمكة المشرفة قال لقي
بعض النواصب في المسجد الحرام رجلا عجميا من الشيعة في يده الصحيفة الكاملة
فانتزعها من يده فقرا ونظر في اولها فوقع نظره على عبد الله بن عمر بن خطاب المذكور
فظنه عبد الله بن عمر بن الخطاب فاعادها عليه وشكره وقال لما رايت عجميا
سنيا غيرك قال حدثني علي بن النعمان الاعلم النعمان بالضم على مفعول وهو
من اسماء الدم والاعلم مشقوق الشفة العليا وقد علم علما محركة من باب تعب
فهو اعلم وهي علماء كاحمر وحمراء فان كان الشق في الشفة السفلى فهو افلح بالفاء و
الحاء المهملة محركة وهو افلح وهي فلحاء قال النجاشي علي بن النعمان الاعلم النخعي
ابو الحسن مولاهم كوفي روى عن الرضا عليه السلام واخوه داود اعلى منه وابنه
الحسن بن علي وابنه الحسن بن علي وابنه احمد رويا الحديث وكان علي ثقة وجها
ثبتا صحيحا واضح الطريقة له كتاب يرويه جماعة اخبرنا علي بن احمد بن محمد قال
حدثنا محمد بن الحسن الصفار وعبد الله بن جعفر وسعد قالوا حدثنا ابن ابي الخطاب
عن علي بن النعمان انتهى وليس في كتب الرجال علي بن النعمان سواه قال حدثني عمير بن

متوكل الثقفي البلخي الثقفي بفتح الثاء المثلثة والقاف والفاء نسبة الى ثقيف كامير وهي قبيلة مشهورة بالطائف والبلخي بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وبعدها خاء معجمة نسبة الى بلخ وهي مدينة عظيمة من بلاد خراسان فتحها الاحنف بن قيس التميمي المضروب به المثل في الحلم في خلافة عثمان بن عفان عن ابيه متوكل بن هرون قال الحافظ المتوكل بن عمير بن المتوكل يروي عن يحيى بن زيد دعاء الصحيفة هو المتوكل بن عمير ويظهر من سند اخبرنا الحسين بن عبد الله عن ابن اخي طاهر عن ابيه عن عمير بن المتوكل عن ابيه متوكل عن يحيى بن زيد بالدعاء الآتي ولا يخفى ان اول كلامه ظاهر في ان الراوي عن يحيى بن زيد دعاء الصحيفة هو المتوكل بن عمير ويظهر من سنده انه المتوكل جده كما في المتن ويمكن التوفيق بنوع عناية ولم ينص احد من الاصحاب على توثيق المتوكل المذكور غير ان الحسن بن داود ذكر سبطه متوكل بن عمير في قسم الموثقين من كتابه وهو لا يجدي كما توهم بعضهم قال لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام وهو متوجه الى خراسان فسلمت عليه هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام امه ريطة بنت ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضي الله عنه ولما قتل ابوه زيد بن علي خرج يحيى حتى نزل بالمدائن فبعث يوسف بن عمر في طلبه فخرج الى الري ثم الى نيسابور من خراسان فسألوه المقام بها فقال بلدة لم ترتفع فيها لعلي وآله راية لا حاجة لي في المقام بها ثم خرج الى سرخس واقام بها عند يزيد بن عمر التيمي ستة اشهر حتى مضى هشام بن عبد الملك لسبيله وولي بعده الوليد بن يزيد فكتب الى نصر بن سيار في طلبه فاخذه ببلخ وقيده وحبسه فقال عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه لما بلغه ذلك شعر اليس بعين الله ما تفعلونه عشية يحيى موثق بالسلاسل كلاب عوت لا قدس الله سرها فجئن بصيد لا يحل

ترجمة يحيى بن زيد رضي الله عنه

لاكل وكتب نصر بن سيار الى يوسف بن عمر بحبسه وكتب يوسف الى الوليد وكتب الوليد بان يحذره الفتنة ويخلي سبيله فخلى سبيله واعطاه الفي درهم وبغلين فخرج حتى نزل الجرجان فلحق به قوم من اهلها ومن الطالقان زهاء خمسمائة رجل فبعث اليه نصر بن سيار سالم بن احوز فاقتتلوا اشد قتال ثلاثة ايام حتى قتل جميع اصحاب يحيى وبقي وحده فقتل عصر يوم الجمعة سنة خمس وعشرين ومائة وله ثماني عشرة سنة وبعث براسه الى الوليد فبعث به الوليد الى المدينة فوضع في حجر امه ريطة فنظرت اليه وقالت شردتموه عني طويلا واهديتموه الي قتيلا صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة واصيلا فلما قتل عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مروان بن محمد بن مروان بعث براسه حتى وضع في حجر امه فارتاعت فقال هذا بيحيى بن زيد وكان الذي احتز راس يحيى بن زيد سورة ابن ابجر واخذ العنبري سلبه وهذان لحقهما ابو مسلم المروزي فقطع ايديهما وارجلهما وصلبهما ولا عقب ليحيى بن زيد فقال لي من اين اقبلت قلت من الحج والتي عن اهله وبني عمه بالمدينة واحفى السؤال عن جعفر بن محمد عليه السلام احفى بالحاء المهملة اي الحف وبالغ في السؤال قولهم احفى الرجل شاربه اذا بالغ في قصه قال الزمخشري في الاساس احفى شاربه الرقي جزه واحفى العقوم المرعى لم يترك منه شيئا ومن المجاز احفى في السؤال الحف جعفر بن محمد هو الامام ابو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم امه ام فروة بنت القسم بن محمد بن ابي بكر وامها اسماء بنت عبد الرحمن ابن ابي بكر ولهذا كان الصادق عليه السلام يقول ولدني ابو بكر مرتين ولد بالمدينة سنة ثلث وثمانين من الهجرة وقبض بها في شوال سنة ثمان واربعين ومائة وله خمس وستون سنة

ترجمة الصادق عليه السلام

١٠

٦

وقيل ثمان وستون على ان مولده سنة ثمانين ودفن بالبقيع مع ابيه عليه السلام
قال الشيخ المفيد لم ينقل العلماء عن احد من اهل بيته ما نقل عنه من العلوم
فلا تاثر فان اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم
في الآراء والمقالات فكانوا اربعة آلاف رجل وقال الشيخ كمال الدين بن طلحة
الشافعي اما مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدد الحاصر ويحار في انواعها
فهم اليقظ الباصر حتى ان من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى
صارت الاحكام التي لا تدرك عللها والعلوم التي تقصر الافهام عن الاحاطة
بحكمها تضاف اليه وتروى عنه وقال الذهبي في الكاشف قال ابو حنيفة
ما رايت افقه منه وقد دخلني له من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور وعن
عمرو بن ابي المقدام قال كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة
النبيين وعن صالح بن الاسود قال سمعت جعفر بن محمد يقول سلوني قبل ان
تفقدوني فانه لا يحدثكم احد بعدي بمثل حديثي فاحشرني ترحمه وحشرهم
ودرجهم على ابيه زيد بن علي عليه السلام هو ابو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليهم السلام امه ام ولد كان جم الفضائل عظيم المناقب وكان يقال له حليف
القرآن روى ابو نصر البخاري عن ابن الجارود قال قدمت المدينة فجعلت
كلما سالت عن زيد بن علي قيل لي ذلك حليف القرآن ذلك اسطوانة المسجد
من كثرة صلوته قال الشيخ المفيد في كتاب الارشاد كان زيد بن علي عين اخوته
بعد ابي جعفر الباقر عليه السلام وافضلهم وكان ورعا عابدا فقيها سخيا شجاعا وظهر
بالسيف يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويطلب بثارات ابيه الحسين عليه السلام
واعتقد كثير من الشيعة فيه الامامة وكان سبب اعتقادهم فيه ذلك خروجه بالسيف
يدعو الى الرضا من آل محمد عليهم السلام فظنوه يريد ذلك لنفسه ولم يكن يريده لنفسه

ترجمة زيد بن علي عليه السلام

لمعرفته

لمعرفته باستحقاق اخيه الامامة من قبله ووصيته الى ابي عبد الله عليه السلام
انتهى وقال اهل التاريخ كان السبب في خروجه وخلعه طاعة بني مروان
انه وفد على هشام بن عبد الملك شاكيا من خالد بن عبد الملك بن الحرث بن الحكم
امير المدينة فجعل هشام لا ياذن له وزيد يرفع اليه القصص وكلما رفع
اليه قصة كتب هشام في اسفلها ارجع الى ارضك فيقول زيد والله
لا ارجع الى ابن الحرث ابدا ثم اذن له بعد حبس طويل فلما قعد بين يديه
قال له هشام بلغني انك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هناك لانك ابن امة فقال زيد
ان لك جوابا قال تكلم قال انه ليس احد اولى بالله من نبي بعثه وهو اسمعيل بن ابراهيم
وهو ابن امة قد اختاره الله لنبوته واخرج منه خير البشر فقال هشام فما يصنع
اخوك البقرة فغضب زيد حتى كاد يخرج من اهابه ثم قال سماه رسول الله الباقر
وتسميه انت البقرة لشد ما اختلفتما ولتخالفنه في الآخرة كما خالفته في الدنيا
فيرد الجنة وترد النار فقال هشام خذوا بيد هذا الاحمق المائق فاخرجوه فاخرج
زيد واشخص الى المدينة ومعه نفر يسير حتى طردوه عن حدود الشام فلما فارقوه
عدل الى العراق ودخل الكوفة فبايعه اكثر اهلها والعامل عليها وعلى العراق يوسف
بن عمر الثقفي فكان بينهما من الحروب ما هو مذكور في كتب التواريخ وخذل اهل الكوفة
زيدا وثبت معه ممن بايعه نفر يسير وابلى بنفسه بلاء حسنا وجاهد جهادا عظيما
حتى اتاه سهم غرب فاصاب جانب جبهته اليسرى فثبت في دماغه فحين نزع
عنه مات وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة احدى و
عشرين ومائة وله اثنان واربعون سنة ثم صلب جسده الشريف بكناسة
الكوفة اربعة اعوام فنسجت العنكبوت على عورته وبعث براسه الى المدينة
ونصب عند قبر النبي عليه السلام يوما وليلة وعن جرير بن ابي حازم قال

النبي صلى الله عليه وآله في المنام كان مسند الى خشبة زيد بن علي وهو يقول
هكذا تفعلون بولدي وقال هلك هشام وولي بعده الوليد بن يزيد كتب
الى يوسف بن عمر اما بعد فاذا اتاك كتابي فاعمد الى عجل اهل العراق فحرقه ثم انسفه
في اليم نسفا فامر له وحرقه ثم ذاره في الهواء ولما قال الحكم بن عباس الكلبي شعر
صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ° ولم ار مهديا على الجذع يصلب ° فبلغ قوله
قول الصادق عليه السلام رفع يديه الى السماء وهما يرعشان فقال اللهم ان كان
عبدك كاذبا فسلط عليه كلبك فبعثه بنو امية الى الكوفة فافترسه الاسد
واتصل خبره بالصادق عليه السلام فخر ساجدا وقال الحمد لله الذي انجزنا
ما وعدنا وروى ابن بابويه في كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام باسناده
الى عبد الله بن سيابه قال خرجنا ونحن سبعة نفر فاتينا المدينة فدخلنا على ابي
عبد الله عم فقال عندكم خبر عمي زيد فقلنا قد خرج او هو خارج قال فان اتاكم
خبر فاخبروني فمكثنا اياما فاتى رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه اما بعد فان
زيد بن علي خرج يوم الاربعاء غرة صفر فمكث الاربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة
وقتل معه فلان وفلان فدخلنا الى الصادق عليه السلام ودفعنا اليه الكتاب
فقراه وبكى ثم قال انا لله وانا اليه راجعون عند الله احتسب عمي انه كان نعم
العم ان عمي كان رجلا لدنيانا واخرتنا مضى والله عمي شهيدا مضى والله عمي
شهيدا كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسن والحسين صلوات الله
عليهم وباسناده عن الفضيل بن يسار قال انتهيت الى زيد بن علي صبيحة خرج بالكوفة
فسمعته يقول من يعينني منكم على قتال انباط اهل الشام فوالذي بعث محمدا
بالحق بشيرا ونذيرا لا يعينني منكم على قتالهم احد الا اخذت بيده يوم القيامة
فادخلته الجنة باذن الله تعالى فلما قتل اكتريت راحلة وتوجهت نحو المدينة

فدخلت

فدخلت على ابي عبد الله عم فقلت في نفسي والله لا اخبرته بقتل زيد بن علي
فيجزع عليه فلما دخلت عليه قال لي ما فعل عمي زيد فخنقتني العبرة فقال قتلوه
اي والله قتلوه قال وصلبوه قلت اي والله صلبوه قال فاقبل يبكي دموعه
تنحدر على جانبي خده كانها الجمان ثم قال يا فضيل شهدت مع عمي قتال
اهل الشام قلت نعم قال فكم قتلت منهم قلت ستة قال فلعلك شاك في
دمائهم فقلت لو كنت شاكا ما قتلتهم فسمعته وهو يقول اشركني الله في
تلك الدماء مضى والله زيد عمي شهيدا مثل ما مضى عليه علي بن ابي طالب
عليه السلام واصحابه اخذنا ر الحديث موضع الحاجة وروى ابو خالد الواسطي
قال سلم الي ابو عبد الله عليه السلام الف دينار وامرني ان اقسمها في
عيال من اصيب مع زيد فاصاب عيال عبد الله بن الزبير اخي فضيل منها اربعة
دنانير وروى ثقة الاسلام باسناده الى سليمان بن خالد قال قال
لي ابو عبد الله عليه السلام كيف صنعتم بعمي زيد قلت انهم كانوا يحرسونه
فلما شف الناس اخذنا جثته فدفناه في جرف على شاطئ الفرات
فاصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فاحرقوه فقال افلا اوقرتموه
حديدا والقيتموه في الفرات صلى الله عليه ولعن الله قاتله وباسناده عن الحسن بن
علي الوشا عمن ذكره عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز ذكره اذن
في هلاك بني امية بعد احراقهم زيدا بسبعة ايام وروى الكشي
باسناده عن فضيل الرسان قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام بعد ما قتل
زيد بن علي فادخلت بيتا جوف بيت فقال لي يا فضيل قتل عمي زيد قلت نعم
رايته مصلوبا ورايت الناس بين شامت حنق وبين محزون محترق فقال

اما الباكي فمعه في الجنة واما الشامت فشريك في دمه وروى الصدوق
باسناده عن ابي الجارود زياد بن المنذر قال كنت ابي لجالس عند ابي جعفر محمد بن علي
الباقر عليهما السلام اذ اقبل زيد بن علي فلما نظر اليه ابو جعفر وهو مقبل قال
هذا سيد من اهل بيته والطالب بأوتارهم لقد انجبت ام ولدتك
يا زيد وباسناده الى جابر بن يزيد الجعفي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عن ابائه
عن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
للحسين يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يتخطى هو واصحابه يوم
القيمة رقاب الناس غرا محجلين يدخلون الجنة بلا حساب وباسناده الى
ابن ابي عبدون قال لما حمل زيد بن موسى بن جعفر الى المامون وكان قد خرج
بالبصرة واحرق دور ولد العباس وهب المامون جرمه لاخيه علي بن
موسى الرضا عليهما السلام وقال له يا ابا الحسن لئن خرج اخوك وفعل ما فعل فقد
خرج قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك مني لقتلته فليس ما اتاه بصغير
فقال الرضا عليه السلام يا امير المؤمنين لا تقس اخي زيدا الى زيد بن علي عليهما
السلام فانه كان من علماء آل محمد غضب لله عز وجل فجاهد اعداءه حتى قتل
في سبيله ولقد حدثني ابي موسى بن جعفر عليهما السلام انه سمع اباه
جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام يقول رحم الله عمي زيدا انه دعا الى الرضا
من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا اليه ولقد استشارني في خروجه فقلت له يا عم
ان رضيت ان تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولى قال
جعفر بن محمد عليهما السلام ويل لمن سمع داعيته ولم يجبه فقال المامون يا ابا
الحسن اليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها ما جاء فقال الرضا عليه السلام
ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق وانه كان اتقى لله من ذلك انه قال

ادعوكم

ادعوكم الى الرضا من آل محمد وانما جاء ما جاء فيمن ادعى ان الله نص عليه ثم
يدعوا الى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد والله ممن
خوطب بهذه الآية وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ثم الروايات
في فضل زيد بن علي عليهما السلام كثيرة والجماعة من علماء الشيعة لهم مؤلفات
مكسورة على ذلك فلنكتف منها بهذا المقدار رحمه الله وحشره والله فقال
لي قد كان عمي محمد بن علي الباقر اشار علي ان يترك الخروج وعرفه ان هو
خرج وفارق المدينة ما يكون اليه مصير امره هو ابو جعفر محمد الباقر بن علي
زين العابدين ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ولقب بالباقر لما
رواه جابر بن عبد الله الانصاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه
قال له يا جابر انك ستعيش حتى تدرك رجلا من اولادي اسمه اسمي يبقر
العلم بقرا فاذا رايته فاقرأه مني السلام فلما دخل محمد الباقر على جابر
ساله عن نسبه فاخبره فقام اليه فاعتنقه وقال له جدك رسول الله
يقرأ عليك السلام وامه ام الحسن فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب
عليهم السلام وهو اول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهم السلام
وفيه يقول الشاعر يا باقر العلم لاهل التقى وخير من لبى على الاجبل
وكانت ولادته سنة تسع وخمسين بالمدينة في حيوة جده الحسين عليه السلام
وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة اربع عشرة ومائة وهو ابن خمس وخمسين
سنة وقيل غير ذلك ودفن بالبقيع عن عطاء المكي قال ما رايت
العلماء عند احد قط اصغر منهم عند ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام
ولقد رايت الحكم بن عتيبة مع جلالته في القوم كانه صبي بين يدي معلمه
وقال جابر بن يزيد الجعفي اذا روى عن محمد بن علي عليهما السلام شيئا قال حدثني

وصيّ الاوصياء و وارث علم الانبياء محمد بن علي بن الحسين عليهم السلم ولما
ما تضمنه رواية المتن من ان الباقر عليه السلم اشار على زيد بن علي بترك
الخروج وعرفه مصير امره ان هو خرج فيدل عليه ايضا ما رواه الحسين بن راشد
قال ذكرت زيد بن علي فنقصته عند ابي عبد الله عليه السلم فقال لا تفعل
رحم الله عمي زيدا فانه اتى ابي فقال اني اريد الخروج على هذه الطاغية فقال
لا تفعل يا زيد فاني اخاف ان تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة اما علمت يا
زيد انه لا يخرج احد من ولد فاطمة على احد من السلاطين قبل خروج السفياني
الا قتل ثم قال يا حسن ان فاطمة احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار
وفيهم نزلت ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
فمنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فالظالم لنفسه الذي لا يعرف الامام
والمقتصد العارف بحق الامام والسابق بالخيرات هو الامام ثم قال يا حسن انا
اهل بيت لا نخرج عن الدنيا حتى نقر لكل ذي فضل بفضله وورد بذلك روايات
اخرى فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد ذكر نعم قال فهل سمعته يذكرني
انت شيئا قلت نعم قال بم ذكرني قلت جعلت فداك ما احب ان استقبلك
بما سمعته منه فقال ابالموت تخوفني هات ما سمعته فقلت سمعته
يقول انك تقتل وتصلب كما قتل ابوك وصلب فتغير وجهه وقال يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
هل حرف استفهام يطلب به التصديق الايجابي دون التصور والتصديق
السلبي وقول ابن سيدة لا يكون الفعل معها الا مستقبلا سهو في قوله تعالى
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ومثله عبارة المتن ولقيته يلقاه من باب
تعب لقيا ولقى بالضم مع القصر ولقاء بالكسر مع المد والكسر اجتمع به
صادفه وكل شيء استقبل شيئا او صادفه فقد لقيه ولاناه ونعم بفتح النون

والعين

وكنانة تكسر العين وبها قرا الكسائي وهي هنا للاعلام لوقوعها بعد الاستفهام
وحيث وقعت بعده فهي حرف اعلام فان وقعت بعد الخبر فهي حرف
تصديق او بعد امر ونهي فهي حرف وعد ويذكر على وزن يكتب اي يجري
على لسانه من الذكر بالكسر والضم بمعنى اجراء الشيء على اللسان ويكون بمعنى الحفظ
للشيء وانكر الفراء الكسر في معنى الحفظ وقال اجعلني على ذكر منك بالضم
لا غير ولهذا اقتصر عليه جماعة لكن نص ابو عبيدة وابن قتيبة وجماعة
على جواز الضم والكسر في الذكر باللسان والقلب معا والامر الحال ومنه امره
مستقيم ويجمع على امور واما الامر بمعنى طلب الشيء فيجمع على اوامر فرقا بين المعنيين
وقوله بم ذكرني اي باي شيء وما استفهامية تحذف الفها وجوبا اذا جرت
وتبقى الفتحة دليلا عليها نحو فيم ولام وعلام وربما تبعت الفتحة الالف
في الحذف وهو مختص بالشعر كقوله ۝ يا ابا الاسود لم خلقتني وعلة الحذف
للالف بيان الفرق بين الاستفهام والخبر فلهذا حذفت في نحو فناظرة بم يرجع
المرسلون فيم انت من ذكراها لم تقولون ما لا تفعلون وثبتت في نحو لمسكم
فيما افضتم فيه عذاب عظيم يؤمنون بما انزل اليك ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي وكما لا تحذف الالف في الخبر لا تثبت في الاستفهام واما قراءة
عكرمة وعيسى عما يتساءلون فنادر واما قول حسان على ما قام يشتمني لئيم
فضرورة ۝ جعلت فداك اي عوضك من المكاره قال في القاموس فداه يفديه
فداء وفداي وفدى وافتدى به وفاداه اعطاه شيئا فانقذه والفداء
ككساء وكعلي والى وكفيته ذلك المعطى وفداه تفدية قال له جعلت
فداك انتهى وقال بعض اهل اللغة الفدى مقصورة بفتح الفاء وكسرها مصدر
فداه واما الفداء بالكسر والمد فمصدر فاداه مفاداة وفداء مثل قاتله

مقابلة وقتلا قال المبرد المفاداة ان تدفع رجلا وتاخذ رجلا والفدى
ان تشتريه وقيل هما واحد قوله ما احببت حببت الشيء بالالف فهو محب
وحببته احبه من باب ضرب فهو محبوب والقياس احبه بالضم لكنه غير
مستعمل وحببته احبه من باب تعب لغة واحببته بالالف اكثر من حببت
بان جرى عليها محبوب كثيرا حتى استغنى بها عن محب فلا يكاد يجده
الا في قول عنترة شعر ولقد نزلت فلا تظني غيره ٭ مني بمنزلة المحب المكرم ٭
ونظيره محسوس من حسست والاكثر احسست ولا يكاد يجد محسا قوله ان استقبلك
منه اي اواجهك بالذي سمعته منه في امرك فتكون ما موصولة
او شيء سمعته منه فتكون نكرة موصوفة وانما كره الراوي ان يستقبله
بما سمعه منه في امره فتكون ما موصولة او شيء سمعته منه فتكون
نكرة لانه اشفق عليه ان يحزن خوفا من القتل فهم حيى ذلك قوله
بالموت تخوفني الهمزة للانكار التوبيخي ويعبر عنه بالتقريع وان كان
اصلها الاستفهام الا انها انسلخت عن معنى الاستفهام الحقيقي هنا فوردت
لمعنى التوبيخ وهو يقتضي ان ما بعد الهمزة واقع وان فاعله ملوم
ومثله أئفكا آلهة دون الله تريدون اغير الله تدعون قوله بالموت
متعلق بتخوفني وقدم للعناية والاهتمام بانكار التخويف به قوله
هات قال الاخفش اصله آت من آتى يؤتي ايتاء فقلبت الهمزة هاء
وقيل الهاء اصلية غير منقلبة عن الهمزة وانما حكم بفعليته لدلالته
على الطلب وتصرفه تصرف الافعال افرادا وتثنية وجمعا تقول هات
هاتيا هاتوا هاتي هاتيا هاتين وان قال الجوهري لا يقال منه هاتيت
ولا ينهى منه فهذا لا يقدح في فعليته وقصاراه انه يكون تصرفه

ليس

١٥

ليس تاما على ان بعضهم حكى انه يقال هات لا هاتيت وهات ان كانت
بك مهاتاة وما اهاتيك كما عاطيك وذهب بعضهم الى انه اسم فعل
لا عط مقابلة لها بمعنى خذ واعتذر عن لحوق الضمائر له بقوة شبهه
بالافعال لفظا فعومل معاملتها في ذلك وقال نحو هاتيت ومهاتاة
انه مشتق من هات كما حاشى من حاشا وبسمل من بسم الله قوله فتقتل
وتصلب كما قتل ابوك وصلب ما مصدرية اي كقتله وصلبه ومثله آمنوا كما
آمن الناس وكذا حيث اقترنت بكاف التشبيه بين فعلين متماثلين
قوله فتغير وجهه الفاء عاطفة سببية مثلها في قوله تعالى فتلقى
آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقد يكون ما بعد الفاء للسببية
اذا كانت عاطفة جملة كما ذكرنا وصفة كقوله تعالى لآكلون من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون وقد يجئ في ذلك لمجرد الترتيب نحو فراغ الى اهله
فجاء بعجل سمين فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا وتغير الوجه عبارة
عن استقاع اللون يقال تغير وجهه واستقع لونه اذا تحول عما كان عليه
من فزع او حزن قوله وقال يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
المحو ذهاب اثر الكتابة ومحوها وانما تلا الآية رجاء ان يكون ما اخبر
الصادق عليه السلام من قتله وصلبه كما قتل ابوه وصلب من الامور الموقوفة
عند الله عز وجل التي يمحو منها ما يشاء ويثبت ما يشاء لان الامور اما
موقوفة عند الله منها يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء وفي هذا المعنى
روايات اخر وهذا معنى البداء الذي ذهبت الفرقة الامامية الى القول
به وقد استدل الصادق عليه السلام على وقوعه بالآية المذكورة فقال
هل يمحى الا ما كان ثابتا وهل يثبت الا ما لم يكن وبيان الاستدلال ان

قوله تعالى يمحو يستدعي كونه ثابتا او لا لان المحو ليس سلبا صرفا ولهذا لا يقال لما لم يوجد قط انه يمحى وكذلك قوله يثبت يستدعي عدما سابقا فتحقق ان كلا من المحو والاثبات يقتضي سبق امر وزوال آخر في بعض الصحف العلوية قال بعض المحققين نعلى هذا عند الله تعالى كتابان احدهما اللوح المحفوظ المثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيمة وهو المعبر عنه بام الكتاب وهذا لا يتغير ما اثبت فيه وثانيهما كتاب المحو والاثبات الذي يمحو الله منه ما يشاء ويثبت فيه ما يشاء وفي المقام كلام طويل طويناه على غرة فان مسئلة البداء من غوامض المسائل الالهية وخصوصيات المعارف الربانية فان قلت بما قررته من رجاء يحيى لا يكون ما اخبر به الصادق عليه السلام لما في الكافي باسناده الى الفضيل بن يسار قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول العلم علمان فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه احدا من خلقه وعلم علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فانه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ورسله وما رواه ايضا باسناده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه الا هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وانبياءه فنحن نعلمه فعلى هذا يكون ما اخبر الصادق عليه السلام من امر يحيى من العلم الذي علمه الله تعالى ملائكته ورسله وعلمه الائمة عليهم السلام وقد حكم بانه سيكون على وفق ما علمهم من غير تغيير ولا تبديل حذرا من التكذيب وان البداء انما يكون في العلم المخزون المكنون الذي لا يعلمه الا الله سبحانه تعالى فكيف يرجو الحيى ان يكون ما اخبر الصادق عليه السلام من العلم الذي يكون فيه البداء بعد علم الصادق عليه السلام له بتعليم الله تعالى قلت لا شك

من امره من الامور الموقوفة عند الله التي يمحو منها ما يشاء ثم يثبت فيها ما يريد ثم تقرا الاسلام

ان ما اخبر به

16

ان ما اخبر به الصادق من العلم الذي لم يحز فيه بداء ولذلك وقع كما اخبر به عليه السلام ولكن قبل وقوعه لا ينافيه رجاء يحيى فان المراد بالتعليم في الروايتين المذكورتين التعليم المقرون بما يفيد القطع بوقوع متعلقه فانه لا يدخل وقوعه لما مر واما التعليم المجرد عن ذلك فيجوز ان لا يقع متعلقه لجواز ان يكون متعلقه معلقا بشرط في علم الله تعالى كما في حديث وفاة الملك الذي رواه الصدوق في كتاب العيون باسناده عن ابي الحسن الرضا عليه السلام لاثبات البداء انه قال عليه السلام لقد اخبرني ابي عن ابائه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله عز وجل اوحى الى نبي من انبيائه ان اخبر فلانا الملك اني متوفيه الى كذا وكذا فاتاه ذلك النبي فاخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير وقال يا رب اجلني حتى يشب طفلي واقضي امري فاوحى الله الى ذلك النبي ان ائت فلانا الملك فاعلمه اني قد انسيت اجله وزدت في عمره خمس عشرة سنة فقال ذلك النبي يا رب انك تعلم اني لم اكذب قط فاوحى الله تعالى اليه انما انت عبد مامور فابلغه ذلك والله لا يسئل عما يفعل فان وفاة الملك كانت مقيدة في علم الله تعالى بترك الدعاء والتضرع فلما وجد لم تقع لانتفاء الشرط واخبار النبي ذلك الملك عن الله تعالى بانه متوفيه لم يكن كذبا في نفس الامر فان قوله متوفيه من كلامه تعالى وهو مقيد في علمه سبحانه بما ذكر وعدم علم النبي بذلك القيد لا ينافي صدق ذلك الكلام المقيد في نفس الامر ولا يكون الاخبار به كذبا وانما يكون كذبا لو لم يؤمر بالاخبار فاخبر وقد وردت احاديث اخر تضاهي الحديث المذكور وفيها دلالة على ان الانبياء عليهم السلام لا يعلمون جميع اسرار الملك ولعل الغرض من تبليغهم امثال ذلك ان يظهر للخلق ان الله علوما لا يعلمها الا هو وقد ظهر بعد ذلك ان ما اخبر به الصادق من رجاء يحيى لا ينافيه ما ذكر من الحديث السابق فان

عليه السلام من امره كان من الامور المحتومة التي لم يقع فيها تغيير ولا تبديل فما شك يا
متوكل ان الله عز وجل ايد هذا الامر بنا وجعل لنا العلم
والسيف وخص بني عمنا بالعلم وحده اتده نابيدا قواه من اد
يتبذا بدا اذا قوي واشتد والمراد بهذا الامر الدين الحق والشريعة المحمدية وقوله بنا اي
اهل البيت وهذا الكلام منه تمهيد العذر في اصراره على الخروج المفهوم من قوله انا
الموت تخوفني مع علمه بصدق المخبر بما يصير اليه امره من القتل والصلب لا حال هذا يدل
على اعتقاده مذهب الزيدية الذين ساقوا الامامة في اولاد فاطمة عليهم السلام ولم يجوزوا
ثبوت الامامة في غيرهم وقالوا ان كل فاطمي يكون عالما زاهدا سخيا شجاعا خرج
بالسيف يكون اماما واجب الطاعة سواء كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين وعن هذا
قالت طائفة منهم بامامة محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن المثنى اللذين خرجا
في زمن المنصور فقتلا على ذلك وجوزوا خروج امامين في قطرين يستجمعان هذه
الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة لانا نقول يجوز ان يكون مراده ان جعلنا السيف
لتأييد الدين بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى يرجع الحق الى اهله ويصل الى صاحبه من
الائمة المعصومين كما يحكى ان زيدا لما خفقت الراية على رأسه قال الحمد لله الذي اكمل
ديني والله اني كنت استحيي من رسول الله صلى الله عليه وآله ان ارد عليه الحوض غدا ولم
آمر في امته بمعروف ولم انه عن منكر وروى جابر الجعفي عنه انه قال شهدت هشاما
ورسول الله صلى الله عليه وآله سبب عنده فلم ينكر ذلك ولم يغيره فوالله لو لم يكن الا
انا وابني لخرجت عليه واما الامامة فلا شك انه كان عارفا بصاحبها فقد روى الصدوق في
باسناده عن عمرو بن خالد قال قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام
في كل زمان رجل منا اهل البيت يحتج الله به على خلقه وحجة زماننا ابن اخي جعفر بن
محمد عليهم السلام لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه وروى النجاشي باسناده عن هشام

الشامي

١٧ الشامي قال كان سليمان بن خالد الهلالي خرج مع زيد بن علي حين اخرج فقال
له رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية ما تقول في زيد هو خير ام
جعفر قال سليمان قلت والله ليوم من جعفر خير من زيد ايام الدنيا قال فحرك دابته
واتى زيدا وقص عليه القصة قال فمضيت نحوه وانتهيت الى زيد وهو يقول جعفر
امامنا في الحرام والحلال انتهى هذا الى ما تقدم من الاحاديث عن الصادق في الثناء
عليه السلام في صحة اعتقاده وبراءة ساحته مما نسبه الزيدية به اه فقلت جعلت
فداك الخ رايت الناس الى ابن عمك جعفر اميل منهم اليك والى ابيك فقال اني عمي محمد بن
علي وابن جعفر ادعوا الناس الى الحيوة ونحن ندعوهم الى الموت اميل منهم اليك اي اشد حبا له من ميلهم الى ابيك اي اشد حبا له من ميلهم اليك
كما نص عليه الزمخشري في الاساس وهو مفعول ثان لرايت لانها قلبية اي علمت ووجدت
الناس وصح تفضيل الناس على انفسهم لكونهم باعتبار بعضهم باعتبار ميلهم الى ابن عمه فاضلين
وباعتبار ميلهم اليه والى ابيه مفضولون ومنهم متعلق باميل وكذا الى في الموضعين
من قوله الى ابن عمك واليك وعدم جواز تعلقه حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل
واحد بلا عطف ولا بدلية انما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد من
عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين
كانه قيل ميلهم الى ابن عمك زائد على ميلهم اليك وقيل تعلق الجار به لشبهها
بالظرفين ولذلك جاز تقديم الجار الاول على افعل التفضيل لانهم في الظروف كما
جاز كل ما كان كذلك ثبت بالاتفاق ولا حاجة الى تكلف القول بتعلقه بمحذوف دل عليه
هذا الظاهر وهو اميل بناء على ان صلة افعل لا تتقدم عليه لان الظرف ولحوه يكفيهما
رائحة الفعل كما نص عليه الرضي وغيره وادعوا الناس الى الحيوة اي امرهم بالكف عن الجهاد والقتال
ونحن ندعوهم الى الخروج معنا وحب الحيوة وكراهية الموت من لوازم الطباع اما دعاهما
الناس الى الحيوة فقد كان من مذهبهما ومذهبنا ايضا الطاهرين عليهم السلام حين

عدم الخروج والصمت والتقية وكانوا يامرون شيعتهم بذلك حتى يقوم القائم
من آل محمد عليهم السلام دلت على ذلك روايات كثيرة منها ما روي عن ابي عبد الله
عليه السلام قال كفوا السنتكم والزموا بيوتكم فانه لا يصيبكم امر تخصون به ابدا
ولا تزال الزيدية وقاء لكم وعن سدير قال قال ابو عبد الله عليه السلام يا
سدير الزم بيتك وكن حلسا من احلاسه واسكن ما سكن الليل والنهار
فاذا بلغك ان السفياني قد خرج فارحل الينا ولو على رجلك وعنهم عليهم السلام
عليكم بهذا البيت فحجوه اما يرضى احدكم ان يكون في بيته ينفق على عياله من طوله
ينتظر امرنا فان ادركه كان كمن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بدرا
وان مات منتظرا لامرنا كان كمن كان مع قائمنا صلوات الله عليه الحديث بطوله
اخذنا منه موضع الحاجة والاخبار في هذا المعنى مستفيضة جدا فقلت يا ابن رسول الله
انهم اعلم ام انتم فاطرق الى الارض مليا ثم رفع راسه وقال كلنا له علم غير انهم يعلمون كل
ما نعلم ولا نعلم كل ما يعلمون اطرق الرجل سكت ولم يتكلم وعداه بالى لتضمينه معنى نظر اي اطرق
ناظرا الى الارض والملي كعلي الطائفة من الزمان لا حد لها يقال مضى ملي من الزمان
وملي من النهار ومليا من الدهر اي طائفة منه وهو من الملاوة مثلثة وهي البرهة
من الدهر واما الملي بالهمز فبمعنى الغني المتمول من الملاءة بمعنى الغنى والثروة وعن ابي
علي الفارسي الملي المتسع يقال انتظرته مليا من الدهر اي متسعا منه قال وهو صفة
استعملت استعمال الاسماء وقيل في قوله تعالى واهجرني مليا اي دهرا طويلا معنى الحسن ومجاهد
وسعيد بن جبير وقيل اي سليما بالذهاب الى الهجرات اي مطيعا له توفيا عليه قال
بعضهم اطرقه انما اطرق للتقية او للتفكر في ان مراد المتوكل بالعلم هل هو العلوم
النظرية او الحكمة العملية المعبر عنها بالسياسات المدنية او لاجل اباية انه
ليس بينه وبين هولاء الذين هم من اصحاب العصمة نسبة لعدم المجانسة وكل كلام

يحيى على الحمية المشهور بعيدا انتهى قلت بل الظاهر ان اطراقه انما هو للتفكر هل
استفهام المتوكل من باب تجاهل العارف ليعلم حقيقة اعتقاد يحيى في جعفر بن
ابيه عليهما السلام او هو على طريقة استفهام حقيقي او هو للانكار التوبيخي مثل قوله
تعالى قل أأنتم اعلم ام الله ثم رجح الوجه الثاني لعلمه بمقام السائل فقال كلنا له علم اي
كل فرد منا له قيل وكل مهملة لقصد الاستغراق الافرادي اعني الحقيقي وهو ان يراد
كل فرد مما يتناول له اللفظ بحسب اللغة والعرف وهو ان يراد كل فرد مما يتناول له
اللفظ بحسب متفاهم العرف قلت هذا هو الظاهر لان المراد كل فرد تصلح للرياسة
هداية الخلق لا مطلقا ولا شك ان في زيد رضي الله عنه كان له علم كما يدل عليه صحيحا
قول الرضا عليه السلام انه كان من علماء آل محمد وقد تقدم الحديث وقوله زيد يلوم من
الطاق حين دعاه الى الخروج معه فامتنع ان عندي الصحيفة فيها قتلي وصلبي لكن
ليس هذا العلم كعلم الائمة المعصومين عليهم السلام فان علمهم على وجوه منها ما هو وراثة
من رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها ما هو الهام من الله تعالى ومنها ما هو سماع
من الملك كما وردت به الآثار المستفيضة عنهم عليهم السلام واما علم غيرهم من اهل البيت
فبتعليم منهم عليهم السلام لا غير وقد اعترف بذلك يحيى حيث قال غير انهم يعلمون كل ما نعلم
ولا نعلم كل ما يعلمون وانما لم يقل في الجواب هم اعلم لاحتماله التفضيل في كيفية العلم دون
كميته فعدل الى هذه العبارة الصريحة في الدلالة على المطلوب ثم قال لي اكتبت من ابن عمي
شيئا قلت نعم قال ارنيه فاخرجت اليه وجوها من العلم واخرجت له دعاء املاه علي
ابو عبد الله وحدثني عن ابيه محمد بن علي عليهما السلام انه املاه عليه واخبره انه من دعاء ابيه علي
بن الحسين عليهما السلام من دعاء الصحيفة الكاملة فنظر فيه يحيى حتى اتى على آخره وقال لي اتاذن في نسخه فقلت
يا ابن رسول الله اتستاذن فيما هو عنكم كنت من ابن عمي اي سمعته منه ففيه تضمين ومن ابتدائية والنكات
في نونها ابتدائية كانت او غيرها انها تفتح مع حرف التعريف وتكسر مع غيره نحو من الناس

من الذين فرقوا بالفتح من ابنك من ابن عمي بالكسر وقيل عكسا اي الكسر مع حرف التعريف والفتح
مع غيره كما وقع في نسخة هذا مضبوطة بفتح النون لكن الفتح مع غير حرف التعريف وان
كان قليلا اكثر من الكسر بعده قوله واخرجت اليه وجوها من العلم اي ابوابا ماخوذ من
الوجه وهو ما يتوجه اليه الانسان من عمل وغيره ويحتمل ان يكون من قولهم وجوه القوم اي
ساداتهم والمراد مسائل شريفة من العلم قوله املاء علي اي القاء من اساليب الكتاب
العزيز بها قال تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا وقال عز وجل وليملل الذي عليه الحق وقيل
الثانية اصل الاولى فان املاء اصله املال ابدلت اللام ياء كما في تمطى وتمطط اي تمطط
وتمطى ولذلك تفعل العرب اذا اجتمع حرفان من جنس واحد جعلوا بدل الثاني
من غير ذلك الجنس وعليه قوله تعالى وقد خاب من دسيها اي دسسها وقيل بل كل منهما اصل
برأسه فليس جعل احدهما اصلا والآخر فرعا اولى من العكس وقال ابو الطيب اللغوي
ليس المراد بالابدال ان العرب تعمد تعويض حرف من حرف وانما هي لغات مختلفة
لمعان متفقة تتفاوت اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا الا في حرف
واحد والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير
مهموزة مثلا انما يقول هذا قوم وذاك آخرون قوله ولحنه الي من دعاء ابيه
من فيه ابتدائية او للتبعيض لمكان سد بعض حذفها اي بعض دعاء ابيه قوله
من دعاء الصحيفة الكاملة بدل من قوله من دعاء ابيه كقوله تعالى اسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم فان اعرب الزمخشري من وجدكم عطف بيان لقوله
حيث سكنتم وتفسير له قال ومن تبعيضية حذف مبعضها اي اسكنوهن مكانا
من مسكنكم مما تطيقون انتهى فلما اراد البدل لان الخافض لا يعاد الا معه وانما
عبر عن البدل بعطف البيان لتآخيهما وهذا امام الصناعة سيبويه يسمي التوكيد صفة
وعطف البيان صفة قال ابن هشام في المغني والصحيفة قطعة من جلد او قرطاس كتب

فيها والجمع صحف وصحائف واذا انتسب الى الصحيفة قيل صحفي بفتحتين يقال هذا
رجل صحفي باخذ العلم من الصحيفة دون المشايخ كما ينسب الى حنيفة وبجيلة حنفي و
بجلي وما اشبه ذلك وتسمى الدعاء بالصحيفة مجازا من تسمية الظرف باسم المظروف
والصحيفة الكاملة هي الملقبة بانجيل اهل البيت وزبور آل محمد قال ابن شهرآشوب
في معالم العلماء في ترجمة يحيى بن علي بن محمد الحسيني الرقي روى عن الرضا وعليه السلام
الدعاء المعروف بانجيل اهل البيت وقال دعاء الصحيفة ملقب بزبور آل محمد عليهم
ووصفها بالكاملة بكمالها فيما الفت له او لكمال مؤلفها على حد كل شيء من الجميل جميل قال
ابن شهرآشوب في معالم العلماء قال الغزالي اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن
جريج في الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء بمكة ثم كتاب معمر بن راشد
الصنعاني باليمن ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري
بل الصحيح ان اول من صنف فيه امير المؤمنين عليه السلام جمع كتاب الله جل جلاله ثم سلمان
الفارسي رضي الله عنه ثم ابو ذر الغفاري رحمه الله ثم الاصبغ بن نباتة ثم عبيد الله
بن رافع ثم الصحيفة الكاملة عن زين العابدين عليهم السلام قوله حتى اني على آخره اي
انهاه تقرأ من قولهم اتى عليهم الدهر اي افناهم قوله انا اذن في نسخه اذنت له في كذا
اطلقت له فعله ونسخت الكتاب نسخا من باب نفع نقلته وانتسخته كذلك قال ابن
دارس وكل شيء اخلف شيئا فقد انتسخه وكتاب منسوخ ومنتسخ اي منقول والنسخة
الكتاب المنقول والجمع نسخ مثل غرفة وغرف قوله فيما هو عنكم اي ما اخذ عنكم اي
منقول عنكم وفي نسخة عندكم بدل عنكم اي موجود منكم فقال اما اني لا اخرج اليك
صحيفة من الدعاء الكامل بما حفظه ابي عن ابيه وان ابي اوصاني بصونها ومنعها عن غير اهلها
اما بفتح الهمزة وتخفيف الميم حرف استفتاح بمنزلة الا ويكثر وقوعه قبل القسم كما وقع
هنا واللام في قوله لا اخرجن لجواب القسم والقسم محذوف لدلالة الجواب عليه والتقدير
والله لا اخرجن وكثيرا ما يحذف القسم استغناء عنه بجوابه وذلك حيث قيل لافعلن او

لقد نقل لخولا عذبنه عذابا شديدًا الاية ولقد صدقكم الله وعده ولئن اخرجوا
لا يخرجون معهم نفى كل جملة قسم مقدرة قوله مما حفظ الى الحفظ يقال تارة لقوة
النفس التى تثبت ما يؤدى اليها الفهم وتارة لاستعمال تلك القوة وتارة لضبط الشئ
فى النفس وهو المراد هنا وعدّاه بعن لتضمينه معنى النقل اى نقلا عن ابيه قوله
وان ابى اوصانى بصونها اى امرنى بربر قولهم اوصيته بالصلوة اى امرته بها وعليه
قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم اى يامركم وفى حديث خطبة رسول الله صلى الله عليه
آله فاوصى بتقوى الله اى امر والصون المنع من الضياع والابتذال صنته صونا
وصيانا وصيانة فهو مصون على النقص ودونه مفعول بالنقص العين ومصوون على
التمام ودونه مفعول وصوان الثوب صيانة مثلثين ما يصان فيه قوله ومنعها
عن غير اهلها هم الظالمون والمنافقون والسفهاء من العساكر والصبيان ونحوهم كما
ورد عن الباقر عليه السلام فى دعاء السمات لا تبدوه للسفهاء والصبيان والظالمين
والمنافقين وانما امر بمنعها هولاء لئلا يستعملوا الدعاء بها فيما لا يحل منها او ظلما
قال عمير فالى فقمت اليه فقبلت راسه وقلت له والله يا ابن رسول الله انى لا
دين الله بحبكم وطاعتكم وانى لارجوا ان يسعدنى فى حياتى ومماتى بولايتكم
فقمت اليه ضمن قام معنى توجه او بادر فعدّاه بالى اى فقمت متوجها
اليه او مبادرا اليه قوله فقبلت راسه اى لثمته من التقبيل بمعنى اللثم و
القبلة بالضم اللثمة والبوس بالفتح بهذا المعنى فارسى معرب من بوس بالضم
قال بعض المولدين سوريا ادركوة الجمال بوسا فانتى البائس الفقير قوله لادين الله
بحبكم اى تعبد به يقال دان بالاسلام دينا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو
دين مثل ساد فهو سيد والباء للملابسة اى متلبسا بحبكم والحب ميل القلب الى
ما يوافقه والطاعة اسم من اطاعه اطاعة اذا انقاد له وطاعه طوعا من باب قال
وبعضهم يعدى بالحرف فيقول طاع له وفى لغة من باب باع قال لا يكون الطاعة
الاعن

٢٠

الا عن امر كان الجواب لا يكون الا من قول يقال آخره فاطاع بمعنى لاين فارس
اذا مضى لامره فقد اطاعه واذا وافقه فقد طاعه قوله ولكن لا مجاى اقبل
رجوته ارجوه رجوا على فعول والاسم الرجاء ورجيته من باب رمى لغة قوله
يسعدنى يقال سعد فلان فى دين او دنيا يسعد من باب تعب فهو سعيد والجمع
سعدا والسعادة اسم منه ويعدى بالحركة فى لغة فيقال سعده الله يسعده
بفتحتين فهو مسعود وقرئ فى السبعة بهذه اللغة فى قوله تعالى واما الذين سعدوا
بالبناء للمفعول والاكثر ان يتعدى بالهمزة فيقال اسعده الله فهو مسعود ايضا
ولا يقال مسعد وعرفت السعادة بانها نيل ما تشتهيه النفس مع الشعور به
قوله فى حياتى ومماتى السعادة فى الحيوة قسمان دنيوية واخروية والدنيوية
قسمان بدنية كالصحة والجمال ووفور القوة ونحو ذلك وخارجية كالاهل والاولاد
والاموال وترتب اسباب المعيشة والاخروية قسمان علمية وهى العلم المعين عنه
بالايمان الحقيقى وعملية كالطاعات والخيرات والسعادة فى الممات هى غاية السعادة
الاخروية وهى البقاء الذى لا فناء له واللذة التى لا الم فيها والعلم الذى لا جهل
معه والغنى الذى لا فقر معه وتسمى سعادة الاخرة قوله بولايتكم الباء
للسببية والولاية بالفتح والكسر النصرة والمحبة واضافتها الى ضمير المخاطبين من باب
اضافة المصدر الى المفعول وهى صحيفتى التى دفعها الى الغلام كان معه وقال
انت هذا الدعاء وحفظ بتر حسن واعرضه على اعلى احفظه فانى كنت اطلبه من جعفر حفظه
دفعها اى اعطاها بيده والغلام ابن الصغير يطلق على الرجل مجازا باسم ما كان
عليه كما يقال للصغير شيخ مجازا باسم ما يؤل اليه وكتب كتابا من باب قتل واصل الكتب
الجمع ومنه الكتيبة والخط فى العرف تصوير اللفظ بحروف هجائه والبين كبيتة
الواضح من باب بين اذا وضح قوله واعرضه على اى يقال عرضت عليه الشئ من باب

ضرب اذا رابته اياه قوله لعلي احفظه لعل هنا للترجي او للتعليل عند من اثبته
اي لاحفظه عن ظهر قلبي يقال حفظ القرآن اذا وعاه عن ظهر قلبه قوله كنت اطلب
اي احاول اخذه وحفظه الله اي حرسه ورعاه فيمنعنيه يقال منعه الشيء ومنعه قوله م
منه اذا لم يعطه اياه قال المتوكل فندمت على ما فعلت ولم ادر ما اصنع ولم يكن ابو عبد الله
عليه السلام تقدم الي الا ادفعه الى احد بعده ندم على ما فعل كفرح ندما وندامة
اذا حزن واسف او فعل شيئا ثم كرهه قوله على ما فعلت اي على اجابتي له الدعاء
واذني له في نسخه وتقدم اليه في كذا امره واوصاه به ودفعت اليه الشيء اسلمته
اياه ثم دعا بعيبة فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر الى الخاتم وقبله وبكى
ثم فضه وفتح القفل ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينه وامرها على وجهه دعا بعيبة
اي احضرها كقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة والبا للتعدية والعيبة زنبيل
من ادم وما يجعل فيه الثياب ومن المستعار هو عيبة فلان اذا كان موضع سره
ومقفلة اسم مفعول من اقفله اذا وضع عليه القفل وحكى الزمخشري في الاساس
تعديته بنفسه ايضا فقال اقفلت الباب وقفلته ختمت الكتاب في نحو ختما
وختمت عليه من باب ضرب طبعت ومنه الخاتم بفتح التاء وكسرها والكسر اشهر
قالوا والخاتم حلقة ذات فص من غيرها فان لم يكن لها فص فهي فتخة بفتحتين وقد تسكن
وجمعه فتخ وفتخات على وزن قصبة وقال الازهري الخاتم بالكسر الفاعل وبالفتح ما يوضع
على الطينة والخاتم الذي يختم به على الكتاب فض الخاتم من باب قتل كسره ونشر الثوب والكتاب
من باب كتب خلاف طواه وامرها على وجهه من المرور بمعنى الجواز يقال امر عليه يده و
عليه القلم وامر الموسى على راس الاقرع وانما فعل ذلك تعظيما لها وتبركا بها وقال و
يا متوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي انني اقتل واصلب لما دفعتها اليك ولكنت
بها ضنينا جواب القسم قوله لولا ما ذكرت وهي جملة لا محل لها من الاعراب ولولا حرف يدل

على جملة اسمية وفعلية لربط امتناع الثانية لوجود الاولى كما وقع هنا وهي كلمة برأسها
لا مركبة من لو ولا على الصحيح وهو مذهب البصريين وما في قوله ما ذكرت موصول
وهو مرفوع بالابتداء وخبره كون مطلق محذوف وجوبا عند الاكثر وقول ابن الطراوة
ان جواب لولا ابدا هو خبر المبتدا يرده انه لا رابط بينهما قوله انني اقتل واصلب ان
كسرت ان فالجملة في محل نصب محكية بالقول والاصل انه يقتل ويصلب ثم عدل الى التكلم
لانه يحكي عن نفسه كقوله تعالى فحق علينا قول ربنا انا لذائقون والاصل انكم لذائقون
عذابي ثم عدل الى التكلم لتعبيرهم عن انفسهم كما قال ٭ الم تر اني يوم جو سويقة ٭
بكيت فنادتني هنيدة ما لها ٭ وان فتحتها فالجملة مفعول لذكرت ولذلك ضبطت في
النسخ كلها بالفتح والكسر ومن في قوله من قول ابن عمي بيانية والنون في قوله انني للوقاية
ويجوز حذفها فيقال اني كما وقع في نسخة ابن ادريس قوله ولكنت بها ضنينا الضنين البخيل
ضن يضن من باب تعب ضنا وضنة بالكسر وضنانة بالفتح فهو ضنين ومن باب
ضرب لغة قال بعضهم ولما كانت الضنة صفة غير محمودة فالمقصود منها الضنة
بها على غير اهلها كما يشعر به قوله سابقا ومنعها عن غير اهلها او الضنة بها عن المتوكل
لاحتمال كونه غير مستجمع للصفات والشرائط التي ينبغي ان يتحلى بها الداعي كما هو مشروح في
محله فكانت الضنة بها بالنسبة اليه محمودة فلما علم انه يقتل وخاف عليها
ان تقع في ايدي بني امية وكان المتوكل لحسن عقيدته ومعرفته احق بها منهم دفعها
اليه بعد ضنته بها قلت بل المراد ضنته بهذه الصحيفة التي هي بخط ابيه زيد
واملاء جده علي بن الحسين عليهما السلام بعينها فكان بها ضنينا ان تخرج من يده لكونها
بهذه المثابة وهي ضنة في محلها وانما كان يحتاج الى العذر عن الضنة بها لو ضن
بالاستفادة منها قراءة وحفظا وانتساخا وليس في الكلام ما يدل عليه بل هو صريح فيما
ذكرناه ولكني اعلم ان قوله حق اخذه عن آبائه وانه سيصح معناه انه اخذ قوله عن ابيه وابوه

عن ابيه الى ان ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عن جبرئيل
عن الله عز وجل فلا ريب فى حقيته وصدقه وصحة توجيهه قال بعض المحققين اعلم
انه ليس المراد باخذه عن آبائه حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وآله ان ائمتهم
الطاهرين من الناس ان من شأنهم حفظ الاقوال خلفا عن سلف حتى يكون فضلهم على
سائر الناس بقوة الحفظ للمسموعات اى بكثرة المحفوظات بل المراد ان نفوسهم القدسية
قد استكملت بنور العلم وقوة العرفان بسبب اتباع الرسول عليه وعليهم السلام
بالمجاهدة والرياضة مع زيادتها استعدادا اصليا وصفاء وطهارة فى العزيز
فصارت كمرآة مجلوة يحاذى بها شطر الحق بواسطة مرآة اخرى او بغير واسطة
كالاوتى ان المرائى المتعددة المتحاذية او المحاذية لمرآة اخرى هى بحذاء الشمس ينعكس
ضوء الشمس الى جميعها فهكذا حال من اتبع الرسول حق المتابعة بعين بحبوب الحق كما قال
تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومن احبه الله افاض عليه كما افاض
على حبيبه صلوات الله عليه لكن الفرق ثابت بين المتبوع والتابع وبالجملة يجب ان
يعلم ان علوم الائمة عليهم السلام ليست اجتهادية ولا سمعية من طرق الحواس بل
علومهم كشفية لدنية تفيض على قلوبهم انوار العلم والعرفان عن الله سبحانه لا
بواسطة امر مباين من سماع او كتابة محسوسة او رواية او شىء من هذا القبيل ومما
يدل على ما بيناه وافصحناه قول امير المؤمنين عليه السلام علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله الف
باب من العلم فانفتح لى من كل باب الف باب وفى قول الرسول صلى الله عليه وآله اعطيت
جوامع الكلم واعطى على جوامع العلم ومعنى تعليم الرسول عليه السلام هو اعداد نفسه
الشريفة القابلة لانوار الهداية على طول الصحبة ودوام الملازمة بتعليمه وارشاده
الى كيفية السلوك الى الله تعالى بتطويع القوى الحيوانية وقواها لما امرها به واستخدامها
فيه الروح العقلى الالهى واشارته صلى الله عليه وآله الى اسباب التطويع والرياضة حتى

استعد

٢٢

استعد عليه السلام الانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عن المغيبات وليس التعليم الذى
سواء كان المعلم رسولا او غيره هو ايجاد العلم فانه امر الهى منه الايجاد والافاضة من الله
تعالى وفى قوله صلعم واعطى على جوامع العلم بصيغة البناء للمفعول دليل ظاهر على ان
المعطى لعلى جوامع العلم ليس هو النبى عليه السلام بل الذى اعطاه ذلك هو المعطى
للنبى جوامع الكلم وهو الحق سبحانه فافهم هذا المقام فانه من مزال الاقدام انتهى ومما يدل
لنا فى هذا التحقيق ما ورد عنهم عليهم السلام ان عندهم الجفر والجامعة ومصحف
فاطمة عليها السلام وان فى كل منها من العلوم ما لا يعلمه الا هم ومنها علم ما يحتاج اليه و
علم ما كان وما يكون لان علومهم عليهم السلام لم يكن مقصورة عليها ولا مستخرج
منها بل علومهم اللدنية الكشفية غير ما تضمنه هذه الكتب من العلوم كما يدل
عليه ما رواه ثقة الاسلام باسناده عن ابى بصير قال دخلت على ابى عبد الله
عليه السلام فقلت جعلت فداك انى اريد ان اسئلك عن مسئلة هيهنا احد يسمع كلامى
قال فرفع ابو عبد الله عليه السلام سترا بينه وبين بيت آخر فاطلع فيه ثم قال
يا ابا محمد سل عما بدا لك قال قلت جعلت فداك ان شيعتك يتحدثون ان رسول الله
صلى الله عليه وآله علم عليا عليه السلام بابا يفتح له الف باب فقال فقال يا ابا محمد علم
رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام الف باب يفتح من كل باب الف باب
قال فقلت هذا والله العلم قال فنكت ساعة فى الارض ثم قال انه لعلم وما
هو بذلك قال ثم يا ابا محمد وان عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة قال قلت
جعلت فداك وما الجامعة قال صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله
صلى الله عليه وآله واملائه من فلق فيه وخط على بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل
شىء يحتاج الناس اليه حتى الارش فى الخدش وضرب بيده الى وقال تأذن لى يا ابا
محمد قال قلت جعلت فداك انما انا لك فاصنع ما شئت قال فغمزنى بيده وقال حتى

ادرش هذا كانه مغضب قال قلت هذا والله العلم قال انه لعلم وليس بذلك
ثم سكت ساعة ثم قال وان عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر قال قلت وما
الجفر قال وعاء من ادم فيه علم النبيين والوصيين وعلم علماء الذين مضوا
من بني اسرائيل قال قلت ان هذا هو العلم قال انه لعلم وليس بذاك ثم سكت
ساعة ثم قال وان عندنا المصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة
قال قلت وما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرانكم هذا ثلث مرات والله
ما فيه من قرانكم حرف واحد قال قلت هذا والله العلم قال انه لعلم وما هو
بذاك ثم سكت ساعة ثم قال ان عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن الى ان تقوم
الساعة قال قلت جعلت فداك هذا والله هو العلم قال انه لعلم وليس بذاك
قال قلت جعلت فداك فاي شيء هو العلم قال ما يحدث بالليل والنهار الامر بعد
الامر والشيء بعد الشيء الى يوم القيمة انتهى قال بعض العلماء قوله عليه السلام
ليس بذاك يعني ليس بالعلم الخاص الذي هو اشرف على منا فان ما يحصل بالسماع
وقراءة الكتب وحفظها تقليد وليس بعلم ولكن العلم ما يفيض من عند الله سبحانه
على قلب العارف يوما فيوما وساعة فساعة فينكشف به من الحقائق ما تطمئن به
النفس وينشرح به الصدر ويتنور به القلب وتحقيقه ان العالم كانه ينظر اليه
ويشاهده والله اعلم تتمة قال المحقق الشريف في شرح المواقف في بحث
تعلق العلم الواحد بمعلومين ان الجفر والجامعة كتابان لعلي كرم الله وجهه
قد ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث الى انقراض العالم
وكان الائمة المعروفون من اولاده يعرفونهما ويحكمون بهما وفي كتاب قبول
العهد الذي كتبه علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما الى المامون انك قد
عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه اباؤك فقبلت منك عهدك الا ان الجفر والجامعة

يدلان على انه لا يتم ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه
الى اهل البيت ورايت بالشام نظما اشير فيه بالرموز الى احوال ملوك مصر و
سمعت انه مستخرج من ذينك الكتابين الى هنا كلام الشريف وبعض العلماء
ينسب الجفر الى الصادق عليه السلام قال ابن قتيبة في كتاب اداب الكاتب وكتاب
الجفر جلد جفر كتب فيه الامام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهما لاهل البيت
كل ما يحتاجون الى علمه كل ما يكون الى يوم القيمة انتهى خفت ان يقع مثل هذا العلم
الى بني امية فيكتموه ويدخروه في خزائنهم لانفسهم اي خشيت وقوع مثل هذا العلم
الى بني امية وهو امر متظن مظنون فصح استعمال الخوف بمعنى الخشية فيه
وقد يستعمل الخوف بمعنى العلم قال الواحدي لان في الخوف طرفا من العلم وذلك ان
القائل اذا قال اخاف ان يقع كذا كانه يقول اعلم وانما يخاف لعلمه بوقوعه
فاستعمل الخوف في العلم قال تعالى فمن خاف من موص جنفا وقال الا ان يخافا الا
يقيما حدود الله وقال غيره انما استعمل الخوف والخشية مقام العلم لان الخوف
منشاؤه ظن مخصوص وبين العلم والظن مشابهة من وجوه كثيرة فصح اطلاق
احدهما على الاخر استعمالا شائعا ومن ذلك قولهم اخاف ان ترسل السماء يريدون
التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم انتهى ولا يخفى صحة ارادة هذا المعنى
هنا قوله مثل هذا العلم مثل محجة اي هذا العلم كقولهم مثلك لا يبخل ومثل الامير
حمل على الادهم اي انت لا تبخل والامير حمل على الادهم وانما اقحموا لفظ مثل لانهم
سلكوا طريق الكناية قصدا الى المبالغة لانهم اذا نفوا الفعل عمن يماثله ومن
يكون على اخص اوصافه او نفوه عنه ولازمه وان من كان على هذه الصفة التي هو
عليها كان من مقتضى القياس وموجب العرف ان يفعل كذا وان لا يفعل كذا لزم
الثبوت لذاته او النفي عنها بالطريق الاولى وهكذا الكلام في عبارة المتن فانه اذا

خاف وقوع ما يماثل هذا العلم نحو فرزوقوع ذات هذا العلم بطريق اولى قوله الى
بني امية متعلق بيقع اى يصير اليهم او يحصل من قولهم دقع الصيد في الشرك اى
حصل وعداه بالى لتضمنه معنى يؤول ويصير قوله فيكتمونه ويدخرونه بحذف
النون فيهما نيابة عن الفتحة لنصبهما بالعطف على يقع المنصوب بان وفي نسخة
ابن ادريس فيكتمونه ويدخرونه باثبات النون فيهما ووجهه ان المعتمد بالعطف
هو الجملة لا الفعل اى فهم يكتمونه ويدخرونه حينئذ وكتم الشيء يكتمه من باب قتل
اخفاه فقوله فيكتمونه بضم التاء وفي نسخة ابن ادريس فيكتمون بكسرها والاصل
فيها الضم الا انه اوثر الكسر للمزاوجة بينه وبين الفعل الذي بعده كما قالوا
اخذه ما قدم وما حدث بضم دال حدث لمزاوجة الفعل الاول واصله الفتح وقوله
يدخرونه يذخرونه على يفتعلونه من الذخر بالذال المعجمة فقلبت التاء دالا فقلبها
هاء في الجهر وادغمت الذال في الدال بعد قلبها اليها لتقاربهما والادخار اعداد الشيء
لوقت الحاجة اليه يقال ذخرته ذخرا من باب نفع والاسم الذخر بالضم ومثله ادخرت
على افتعلت قوله في خزائنهم جمع خزانة بالكسر وهو ما يخزن فيه الشيء كالمخزن والقاعدة
في هذا الجمع وامثاله ان حرف العلة الواقع بعد الالف التي لم تكن قبلها واو او ياء ان
كانت اصلية كما في مقاوم ومعايش جمع مفازة ومعيشة تبقى على حالها وان كانت
زائدة اولى بالتغيير وجاء معائش بالهمزة وهو ضعيف والتزم همزة مصائب
تنبيها على وروده على خلاف الاصل كما سيأتي بيانه اما اذا كانت قبل الالف واو
او ياء بان اكتنفها واوان كاوائل جمع اول او ياءان كخيائر جمع خير وكان قبل الالف
واو وبعدها ياء كبوايع او كان قبلها ياء وبعدها واو كسيائق جمع سيقة وهو
الشاة العدو من الدواب تقلب حرف العلة همزة سواء كانت اصلية او زائدة
ولما ضيائن جمع ضيون وهو السنور الذكر فشاذ فاقبضها واكفينها وتربصها واذا قضى

من برى وابرى هؤلاء القوم ما هو فاني جعلتها امانة لى عندك حتى توصلها الى ابني عمي محمد
وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام فانهما القائمان في هذا الامر بعدي
قبض الشيء من باب ضرب اخذه واكفينها اى قم بها اى في حفظها من قولهم كفاه الامر اى
قام مقامه فيه والتربص المكث والانتظار وقضى يقضي قضاء اذا حكم وفصل و
تفضلا الشيء احكامه وامضاؤه والفراغ منه والقوم جماعة الرجال ليس فيهم امرأة
الواحد رجل من غير لفظه والجمع اقوام سموا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات
ويذكر القوم ويؤنث فيقال قام القوم وقامت القوم وكذلك كل اسم جمع لا واحد له
من لفظه نحو رهط ونفر والامانة في الاصل مصدر امن الخائف بالكسر امانة ثم
استعمل المصدر في الاعيان مجازا فقيل للوديعة امانة قوله حتى توصلها
يحتمل ان تكون حتى للغاية بمعنى الى وهو الظاهر نحو حتى يرجع الينا موسى ويحتمل ان تكون
للتعليل بمعنى كي نحو فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله والفعل بعدها منصوب
بان مضمرة على الصحيح كما هو مذهب البصريين لا بحتى نفسها خلافا للكوفيين
وان المضمرة والفعل في تاويل مصدر مخفوض بحتى لانه قد ثبت انها تخفض
الاسماء الصريحة وما يعمل في الاسماء لا يعمل في الافعال وبالعكس محمد وابرهيم و
ابنا عبد الله المذكوران هما الخارجان على ابي جعفر المنصور قال الشهرستاني في كتاب
الملل والنحل كان يحيى بن زيد قد فوض الامر اليهما فخرجا بالمدينة ومضى ابرهيم
الى البصرة واجتمع الناس عليهما فقتلا انتهى اما محمد فيلقب بالنفس الزكية لما
سيأتي ويكنى ابا عبد الله وقيل ابا القسم وكان عظيما احول بين كتفيه خال اسود
كالبيضة ولقب بالمهدي للحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان المهدي
من ولدي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي حكي ان المنصور اخذ بركابه ذات يوم فقيل له
من هذا الذي يفعل به هذا فقال للسائل ويحك هذا مهدينا اهل البيت هذا محمد بن

بن عبد الله وتطلعت اليه نفوس بني هاشم وعظموه وكان المنصور قد بايع له وكان
ابراهيم في جماعة من بني هاشم فلما بويع لبني العباس واستبدوا بالامر اختفى محمد و
ابراهيم مدة خلافة السفاح فلما ملك المنصور علم انهما على عزم الخروج فجد في طلبهما
وقبض على ابيهما وجماعة من اهلهما فيحكى انهما اتيا اباهما وهو في الحبس في زي
اعرابيين فقالا له يقتل رجلان من آل محمد خير من ان يقتل ثمانية فقال لهما
ان منعكما ابو جعفر ان تعيشا كريمين فلا يمنعكما ان تموتا كريمين روى ثقة الاسلام
في كتاب الروضة عن معلى بن خنيس قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام ودمعت
عيناه فقلت له لقد رايتك صنعت به ما لم تكن تصنع فقال رققت له لانه ينسب
الى امر ليس له لم اجده في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الامة ولا من ملوكها وكان
اقبح ما صنعه محمد الظاهر بالمدينة ان دعا الصادق عليه السلام الى بيعته فابى
عليه اباء شديدا فامر بحبسه واصطفى ماله وما كان له ولقومه ممن لم يخرج
معه فلم يمهله الله حتى قتل صاغرا وروي من جملة حديث عن الباقر عليه السلام
انه قال في صفة الاحول مشوم قوم من آل الحسن يدعو الى نفسه قد تسمى بغير اسمه
انتهى ولما عزم على الخروج واعد اخاه ابرهيم على الخروج في يوم واحد فذهب ابرهيم
الى البصرة واتفق انه مرض فخرج محمد بالمدينة فلما ابل ابراهيم من مرضه اتاه
خبر اخيه انه قتل وكان المنصور قد ارسل لقتال محمد عيسى بن موسى بن علي
بن عبد الله بن العباس في جيش كثيف فحاربهم محمد خارج المدينة وتفرق اصحابه
عنه حتى بقي وحده فلما احس بالخذلان دخل داره وامر بالتنور فسجر ثم عمد الى الدفتر
الذي اثبت فيه اسماء من تابعه فالقاه في التنور فاحترق ثم خرج فقاتل حتى
قتل باحجار الزيت وكان ذلك على ما ابن عمه مصداق تلقيبه بالنفس الزكية وكان
قتله سنة خمس واربعين سنة لانه ولد سنة مائة بلا اختلاف واما ابراهيم فكنيته

ابا الحسن

٢٥

ابا الحسن كان شديد الايد والقوة وكان متفننا في كثير من العلوم قيل كان يرى
مذهب الاعتزال وكان ظهوره بالبصرة ليلة الاثنين غرة شهر رمضان
سنة خمس واربعين ومائة وبايعه وجوه الناس وتلقب بامير المؤمنين وعظم
شانه واحب الناس ولايته وارتضوا سيرته وكان ابو حنيفة قد افتى الناس
بالخروج معه وكتب اليه اما بعد فاني جهزت اليك اربعة آلاف درهم ولم يكن
عندي غيرها ولولا امانات للناس عندي للحقت بك فاذا لقيت القوم وظفرت بهم
فافعل كما فعل ابوك في اهل صفين اقتل مدبرهم واجهز على جريحهم ولا تفعل كما فعل
ابوك في اهل الجمل فان القوم لهم فئة ويقال ان هذا الكتاب وقع الى المنصور فكان سبب
تغيره على ابي حنيفة ولما بلغ المنصور خروج ابراهيم ندب عيسى بن موسى من المدينة
الى قتاله وسار ابرهيم من البصرة حتى التقيا بباخمرى قرية قريبة من الكوفة فنشبت
الحرب بينهم وانهزم عسكر عيسى بن موسى فنادى ابراهيم لا يتبعن احد منهزما
فعاد اصحابه فظن اصحاب عيسى انهم انهزموا فكروا عليهم فقتلوه وقتلوا اصحابه
الا قليلا ولما اتصل بالمنصور انهزام عسكره قلق قلقا عظيما ثم جاءه
بعد ذلك خبر الظفر وجيء براس ابرهيم فوضع في طشت بين يديه فلما نظر اليه
قال وددت انه فاء الى طاعتي وكان قتله لخمس بقين من ذي القعدة وقيل في ذي الحجة
سنة خمس واربعين ومائة وهو ابن ثمان واربعين سنة والله اعلم قال المتوكل
نصص الصحيفة فلما قتل يحيى بن زيد صرت الى المدينة فلقيت ابا عبد الله عليه السلام
فحدثته الحديث عن يحيى فبكى واشتد وجده به وقال رحم الله ابن عمي والحقه
بآبائه صرت الى المدينة اي رجعت اليها قال في الحديث عهدي به ومعهود هلها رجعي
الحديث المذكور سابقا بكى يبكي بكاء بالقصر والمد وقيل القصر مع خروج الدموع والمد مع
خروج الصوت وقد جمع الشاعر اللغتين في قوله ● بكت عيني وحق لها بكاها ● وما يغني

البكاء ولا العويل والوجد بالفتح لا غير واما مصدر وجد المطلوب فبفتح وبضم والوجد بمعنى
الغنى مثلث **قوله** رحمه الله ابن عمي الجملة في المحل نصب وانه مفعول القائل وهل هي مفعول
به او مفعول مطلق نوعي كالقرفصاء من قعد القرفصاء اذ هي دالة على نوع خاص من القول فيه
مذهبان الاول قول الجمهور والثاني اختيار ابن الحاجب قال والذي عن الاكثرين انهم ظنوا
ان تعلق الجملة بالقول كتعلقها بعلم في علمت لزيد منطلق وليس كذلك لان الجملة نفس
القول والعلم غير المعلوم فافترقا قال ابن هشام والصواب قول الجمهور اذ يصح ان يخبر
عن الجملة بانها مقولة كما يصح ان يخبر عن زيد من ضربت زيدا بانه مضروب بخلاف
القرفصاء في المثال فلا يصح ان يخبر عنها بانها مقعودة لانها نفس القعود واما تسمية
النحويين الكلام قولا فكتسميتهم اياه لفظا وانما الحقيقة انه مفعول او ملفوظ **قوله** والحقه
بآبائه واجداده اي جعله لاحقا بهم في دخول الجنة او في الدرجة لما روي انه عليه السلام
قال انه تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه فتقر بهم عينه ثم تلا قوله تعالى
والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء وعن
اهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية انه قصرت الابناء عن عمل الآباء فالحق الابناء
بالآباء لتقر بذلك اعينهم قال المفسرون قوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم
بالايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء لا يوصلهم لدرجة الآباء وقيل متعلق بما
بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا
يتاهلون تفضلا عليهم وعلى آبائهم لتتم سرورهم ويكمل نعيمهم وقوله تعالى وما التناهم
من عملهم من شيء اي ما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من ثواب عملهم شيئا بان اعطينا بعض مثوبات
ابنائهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى درجتهم بمحض التفضل والاحسان
قوله واجداده عطف الاجداد على الآباء مع دخولهم فيهم لفائدة التاكيد المعتبرة في الاطناب
كعطف الشيء على مرادفه **تنبيه** في بكائه عليه السلام على يحيى بن زيد وشدة وجده به

ودعائه له دليل على ان يحيى كان عارفا بالحق معتقدا له وان حاله في الخروج كحال
ابيه رضي الله عنه ويدل على ذلك ايضا ما رواه الحافظ العلامة ابن الخزاز القمي
في كفاية الاثر قال حدثنا علي بن الحسين قال حدثنا عامر بن عيسى عن ابي حاتم السيرافي
بمكة في ذي الحجة سنة احدى وثمانين وثلثمائة قال حدثني ابو محمد الحسن بن محمد بن
يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم
السلام قال حدثنا محمد بن مطهر قال حدثنا عمير بن المتوكل بن هرون البلخي عن ابيه المتوكل
بن هرون قال لقيت يحيى بن زيد بعد قتل ابيه وهو متوجه الى خراسان فما رأيت
رجلا في عقله وفضله فسألته عن ابيه فقال انه قتل وصلب بالكناسة ثم بكى و
بكيت حتى غشي عليه فلما سكت قلت يا ابن رسول الله وما الذي اخرجه الى قتال هذا
الطاغية وقد علم من اهل الكوفة ما علم قال نعم لقد سألته عن ذلك فقال سمعت
ابي يحدث عن ابيه الحسين بن علي قال وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صلبي
فقال يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل شهيدا اذا كان يوم القيمة
يتخطى هو واصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة فاحببت ان اكون كما وصفني رسول الله
صلى الله عليه وآله ثم قال رحم الله ابي زيدا كان والله احد المتعبدين قائم ليله صائم
نهاره جاهد في سبيل الله حق جهاده فقلت يا ابن رسول الله هكذا يكون الامام بهذه
الصفة فقال يا عبد الله ان ابي لم يكن بامام ولكن كان من السادات الكرام وزهادهم
وكان من المجاهدين في سبيل الله فقلت يا ابن رسول الله اما ان اباك قد ادعى الامامة
وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن ادعى الامامة كاذبا فقال مه مه يا عبد الله
ان ابي كان اعقل من ان يدعي ما ليس له بحق انما قال ادعوكم الى الرضا من آل محمد عنى بذلك
ابن عمي جعفرا قلت فهو اليوم صاحب الامر قال نعم هو افقه بني هاشم ثم قال يا عبد الله اني
اخبرك عن ابي عليه السلام وزهده وعبادته انه كان يصلي عليه السلام في نهاره ما شاء الله فاذا

جن عليه الليل نام نومة خفيفة ثم يقوم فيصلي في جوف الليل ما شاء الله ثم
يصلي في جوف الليل ما شاء الله ثم يقوم قائما على قدميه يدعو الله تعالى الى الفجر ويتضرع
له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر فاذا طلع الفجر سجد سجدة ثم يقوم فيصلي الغداة
اذا وضح الفجر فاذا فرغ من صلواته قعد في التعقيب الى ان يتعالى النهار ثم يقوم في حاجته
ساعة فاذا كان في قرب الزوال قعد في مصلاه فسبح الله ومجده الى وقت الصلاة فاذا قام
فصلى الاولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد في تعقيبه ساعة ثم سجد سجدة
فاذا غابت الشمس صلى المغرب في الصمة قلت كان يصوم دهره قال لا ولكنه كان يصوم في
السنة ثلاثة اشهر وفي الشهر ثلاثة ايام قلت اوكان يفتي الناس قال ما اذكر ذلك عنه
ثم اخرج صحيفة كاملة فيها ادعية علي بن الحسين عليهما السلام انتهى فهذا الحديث صريح في انه
كان عارفا بالحق معتقدا له رحمه الله تعالى والله يا متوكل ما منعني من دفع الدعاء اليك الا الذي خاف
على صحيفة ابيه واين الصحيفة فقلت ها هي ففتحها وقال هذا والله خط عمي زيد ودعاء
جدي علي بن الحسين عليهما السلام يعني من دفع الواو من قوله واين ابتدائية ويعبر عنها بواو الاستيناف
واين اسم استفهام عن المكان مبني على الفتح خبر للصحيفة قدم على المبتداء وجوبا لتضمنه معنى
الاستفهام وها في قوله ها هي حرف تنبيه واذا كانت له فهي يدخل على واحد من اربعة احدها
اسم الاشارة غير المختص بالبعيد نحو هذا بخلاف ثم ونحوه الثاني ضمير الرفع المخبر عنه باسم
الاشارة نحو ها انا ذا الثالث نعت اي في النداء نحو يا ايها الرجل وهي في هذا واجبة للتنبيه
على ان المقصود بالنداء والرابع اسم الله تعالى في القسم عند حذف الحرف نحو ها الله بقطع الهمزة
ووصلها وكلاهما مع اثبات الف ها وحذفها وحكى الزمخشري في المفصل انه يقال ها ان
زيدا منطلق وها افعل كذا ولا شاهد له قلت قد وقع في دعاء الصحيفة ها انا ذا عبادك بين
يديك وكفى به شاهدا فان قلت مدخولها في عبارة المتن ليس شيئا من المذكورات
بل هو ضمير رفع مؤنث فقط قلت مدخولها محذوف واسم اشارة المؤنث وهو

المبتداء

المبتداء المخبر عنه بهي والتقدير هذه هي فهي خبر المحذوف المقدر وانما حذف لدلالة الخبر
عليه كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ وقد صرح به في هذا بلاغ للناس
ولك ان تجعل المحذوف هو الخبر وهو اسم اشارة ايضا كما مر فتكون هي مبتداء والتقدير ها
هي ذي فتدخل ها على الوجه الاول من الاول وعلى الثاني من الثاني فلم يخرج عن المذكورات ويترجح
احد الوجهين على الآخر يبتني على خلافهم في انه اذا دار الامر بين كون المحذوف مبتداء او كونه
خبرا فايهما اولى فقيل كونه المبتداء لان الخبر محط الفائدة ولان حذفه اكثر فالحمل عليه اولى
وقيل الاولى كونه الخبر لان التجوز في اواخر الجمل اسهل قوله عمي زيد بن زيد عطف بيان على
عمي ويجوز اعرابه بدل كل من كل لما فيه من البيان وكذا الكلام في جدي علي بن الحسين عليهما
السلام ثم قال لابنه قم يا اسمعيل فائتني بالدعاء الذي امرتك بحفظه وصونه فقام اسمعيل فاخرج
صحيفة كانها الصحيفة التي دفعها الي يحيى بن زيد فقبلها ابو عبد الله ووضعها على عينيه
وقال هذا خط ابي واملاء جدي عليهما السلام بمشهد مني اسمعيل بن جعفر الصادق هو الذي ذهبت فرقة من الشيعة
الى القول بامامته ويعرفون بالاسماعيلية عند لئنه يكنى ابا محمد ويعرف بالاعرج وامه فاطمة
بنت الحسين الاثرم بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وكان اكبر ولد ابيه كان عليه السلام
يحبه حبا شديدا ويكرمه اكراما لعطفه بها حتى كان يتوهم من يراه انه الامام بعده مات
في حياة ابيه بالعريض وقرب المدينة وحمل على اعناق الرجال حتى دفن بالبقيع روي ان
ابا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعا شديدا وحزن عليه حزنا عظيما وتقدم سريره بغير حذاء
ولا رداء وامر بوضع سريره على الارض قبل دفنه مرارا كثيرة وكان يكشف عن وجهه و
ينظر اليه يريد بذلك تحقيق امر وفاته عند الظانين خلافته له من بعده وازالة الشبهة
عنهم في حياته وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثين ومائة قبل وفاة الصادق
عليه السلام بعشرين سنة ومع ذلك فقد قالت فرقة من الاسماعيلية انه لم يمت الا
انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضرا واشهد عليه عامل المنصور بالمدينة

خوفا عليه من ان يقصد بالقتل قالوا ومن الدليل على ذلك ان محمدا وهو اخوه لامه كان
صغيرا فمضى الى السرير الذي كان اسمعيل نائما عليه ورفع الملاءة وابصره وقد فتح
عينيه فعدا الى ابيه فزعا وقال عاش اخي عاش اخي فقال والده ان اولاد الرسول كذا
تكون حالهم في الاخرة قالوا وقد طرس الاشهاد على موته وكتب المحضر عليه ولم يتعهد ميتا
سجل على موته وذلك انه لما رفع الى المنصور الى الصادق عليه السلام ان ابنك اسمعيل في
الاحياء وانه رئي بالبصرة فانفذ السجل اليه وعليه شهادة عامله بالمدينة فمنكر وقالت
فرقة منهم ان موته صحيح ولكن اباه نص عليه بالامامة والنص لا يرجع القهقرى والفائدة
في النص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره فالامام بعد اسمعيل محمد بن
اسمعيل فمنهم من توقف عليه وقال برجعته بعد غيبته ومنهم من ساق الامامة في المستورين
منهم ثم في القائمين الظاهرين من بعدهم فهؤلاء يقال لهم الباطنية وانما لزمهم هذا اللقب
لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تاويلا ويقال لهم التعليمية والملحدة فائدة روي
عن الصادق عليه السلام انه قال ما بدا لله امر كما بدا له في اسمعيل فتوهم بعضهم ان معناه
ان جعله اولا قائما بعده مقامه فلما توفي نصب الكاظم عليه السلام بدله وهذا وهم
باطل وخطاء محض كيف وقد ثبت وصح من طرق الامامية ورواياتهم ان النبي صلى الله
عليه واله قد انبأ بائمة امته واوصيائه من غير تراخيه بتمام باعيانهم عليهم السلام وبه
جبرئيل عليه السلام نزل صحيفة الكافي واما معنى الحديث المذكور ان صح وثبت ما قاله الصدوق
قدس سره في كتاب التوحيد انه يقول ما ظهر لله امر كما ظهر له في اسمعيل اذ اخترمه قبلي
ليعلم انه ليس بامام بعدي والله اعلم قوله بمشهد مني متعلق بقوله واملاء جدي
والمشهد يجوز ان يكون مصدرا ميميا من شهد بمعنى حضر والباء للمصاحبة اي بحضوري
وان يكون اسم زمان او مكان والباء ظرفية اي في زمان حضوري او مكانه فعلمت يا ابن
رسول الله اني سالت ان اعرضها مع صحيفة زيد ويحيى فاذن لي وقال قد رايتك لذلك اهلا

نظرت

نظرت فاذا هما امر واحد ولم اجد حرفا منها يخالف ما في الصحيفة الاخرى اي رايت من
الراي يقال راى في الامر رايا اي ان اقتضى رايك ان اعرضها وجملة جواب الشرط محذوفة
اي فاذن لي وكثيرا ما يحذف جواب الشرط في السعة اذا كان فعل الشرط ماضيا كقوله
تعالى فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض اي فافعل وقوله تعالى ارايتكم ان اتاكم عذاب الله
بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون اي فاخبروني هل يهلك الا القوم الظالمون
ومثله في القرآن المجيد كثير قوله اعرضها مع صحيفة زيد اي اقابلها يقال عرضت الكتاب
عرضا اي قراته والمقصود معارضتها بصحيفة زيد اي مقابلتها بها يقال عارضت
كتابي بكتابه اي قابلته به قوله قد رايتك لذلك اهلا اي علمتك لان الرؤية بمعنى
العلم والظن هي التي تتعدى الى مفعولين واما بمعنى الابصار وهي رؤية العين فلما
تتعدى الى مفعول واحد لان افعال الحواس لا تتعدى الا الى واحد واما المجرد رايته فانما
اي بصرته فقائما منصوب على الحال لا مفعول ثان قوله اهلا اي مستحقا ومستوجبا يقال
فلان اهل للاكرام اي مستحق له واهله لذلك تاهيلا رآه له اهلا واما استاهله
بمعنى استحقه فقال الزمخشري في الاساس يقال فلان اهل لذلك وقد استاهل لذلك
وهو مستاهل له سمعت اهل الحجاز يستعملونه استعمالا واسعا وقال الفيروزآبادي في القاموس
استاهله استوجبه لغة جيدة وانكار الجوهري باطل انتهى وعبارته في الصحاح تقول
فلان اهل لكذا ولا تقل مستاهل والعامة تقوله ووافقه القاضي نشوان الحميري في
شمس العلوم فقال استاهل الرجل اذا اكل الاهالة وهي الودك قال الشاعر ؞ لا بل كلي
يا ام واستاهلي ؞ ان الذي انفقت من مالية ؞ ولا يقال فلان مستاهل لكذا انتهى
قوله نظرت فاذا هما شيء واحد هكذا وقع في جميع النسخ بالواو قبل اذا والصواب فاذا هما
شيء واحد بالفاء لان اذا المفاجاة هنا والفاء لازمة لها داخلة عليها نحو خرجت فاذا
الاسد بالباب نص على ذلك جميع النحويين وهل هي زائدة او جزائية او عاطفة خلاف ثم

مستاهل لكذا وانما يقال فلان

وقفت بالقاف فی نسخة وذمته كما هو الصواب ولله الحمد قوله ولم احد حرفا المراد بالحروف هنا ما
يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وقد يطلق على الكلمة ايضا تجوزا وحمله على هذا المعنى
هنا صحيح ظاهرا بل كان الاول ابلغ ثم اسأت يا ابا عبد الله عليه السلام فی دفع الصحيفة
الى بنی عبد الله بن الحسن هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علی بن ابی طالب عليهم السلام
يكنى ابا محمد ويدعى بالمحض لان اباه الحسن بن الحسن وامه فاطمة بنت الحسين وهو اول من جمع
ولادة الحسين من آل الحسن واول من جمعها من آل الحسين الباقر عليه السلام وكان عبد الله شيخا من
شيخ الطالبين وربما قال من الشعر شيئا فمنه قوله بيض حرائر ما هممن بريبة
كظباء مكة صيدهن حرام ٭ يحسبن من لين الكلام فواسقا ٭ ويصدهن عن الخنا الاسلام ٭
روى ثقة الاسلام فی الروضة باسناده عن علی بن جعفر قال حدثنی معتب وغيره
قال بعث عبد الله بن الحسن الى ابی عبد الله عليه السلام يقول لك ابو محمد انا اشجع منك وانا
اسخى منك وانا اعلم منك فقال اما الشجاعة فوالله ما كان لك موقف يعرف به جبن
من شجاعتك واما السخاء فهو الذی يأخذ الشیء من جهته فيضعه فی حقه واما العلم فقد اعتق
ابوك علی بن ابی طالب عليه السلام الف مملوك فسم لنا خمسة منهم وانت عالم فعاد اليه الرسول
فاعلمه ثم عاد اليه فقال يقول لك انك رجل صحفی فقال له ابو عبد الله عليه السلام قل له ای والله
صحف ابراهيم وموسى وعيسى ورثتها عن آبائی عليهم السلام وكان ابو جعفر المنصور يسمى عبد الله
ابن الحسن ابا قحافة تهكما به لان ابنه محمدا ادعى الخلافة وابوه عبد الله حی ولم يل الخلافة
من ابوه حی قبله سوى ابی بكر بن ابی قحافة وكان ابو العباس السفاح يكرم عبد الله بن الحسن
اكراما تاما حكی ان عبد الله قال له يوما لم ار مائة الف قط مجتمعة فقال له ابو العباس
تراها الان ثم امر له بمائة الف درهم ولم يتعرض له ولا لاحد من اهل بيته بمكروه مدة
خلافته حتى مضى لسبيله وقام من بعده اخوه المنصور فطلب الطالبين طلبا حثيثا وخاف
خروجهم عليه وقد بلغه ذلك عنهم فحج سنة اربعين ومائة ورجع على طريق المدينة

فقبض على

فقبض على عبد الله بن الحسن واخيه ابراهيم وسائر اخوته واولادهم وسيرهم مغلولين فی الحديد
الى الكوفة فحبسهم هناك ثم امر المنصور بقتل عبد الله فقتل وهو ابن خمس وسبعين سنة
وذلك فی سنة خمس واربعين ومائة روى خلاد بن عمير قال دخلت على ابی عبد الله
عليه السلام فقال هل لكم علم بآل الحسن الذين خرج بهم مما قبلنا وكان قد اتصل بنا عنهم
خبر فلم نحب ان نبدأه به فقلنا نرجو ان يعافيهم الله فقال واين هم من العافية ثم
بكى حتى علا صوته وبكينا ثم قال حدثنی ابی عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام
قالت سمعت ابی صلوات الله عليه يقول يقتل منك او يصاب منك نفر بشط
الفرات ما سبقهم الاولون ولا يدركهم الآخرون وانه لم يبق من ولدها غيرهم فقال
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ثم ادفعها اليهما ذكر المفسرون
ان هذه الآيات نزلت يوم الفتح فی شان عثمان بن طلحة ابن عبد الدار سادن
الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله حين ملك مكة يوم الفتح
اغلق عثمان الكعبة فطلب رسول الله صلى الله عليه وآله المفتاح فقيل انه
مع عثمان فقيل لعثمان ان رسول الله صلى الله عليه وآله طلب المفتاح فابى وقال
لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علی بن ابيطالب عليه السلام يده واخذ
منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله البيت وصلى ركعتين
فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة
فانزل الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فامر رسول الله صلى الله
عليه وآله عليا عليه السلام ان يرد المفتاح على عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علی عليه السلام
فقال له عثمان يا علی اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله فی
شانك قرآنا فقرا عليه هذه الآيات فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا عبده رسول الله فهبط جبرئيل وقال للنبی صلى الله عليه وآله ما دام هذا البيت

كان المفتاح والسدانة في اولاد عثمان فقال صلى الله عليه وآله خذوها يا بني طلحة
بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمان هاجر ودفع المفتاح الى اخيه
شيبة وهو الى اليوم في ايديهم وفي تفسير اهل البيت عليهم السلام ان الخطاب في الآية
عليهم السلام امر كل منهم ان يؤدي للامام الذي بعده ويوصي اليه وعلى كل تقدير
فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالخطاب عام لكل احد في كل امانة وفي تصدير
الآية بكلمة التأكيد واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة
وتأكيد وجوب الامتثال لمضمونها والدلالة على الاعتناء بشأنها ما لا مزيد
عليه وقد عظم الله تعالى امر الامانة في مواضع من كتابه العزيز فقال انا عرضنا
الامانة الآية وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله لا ايمان لمن لا امانة له وعن ابي عبد الله عليه السلام قال
ان الله عز وجل لم يبعث نبياً الا بصدق الحديث واداء الامانة وعنه عليه السلام
اداء الامانة لمن ائتمنك واراد منك النصيحة ولو الى قاتل الحسين عليه السلام و
عن يونس بن عبد الرحمن قال سألت موسى بن جعفر عليهما السلام عن قول الله
عز وجل ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فقال هذه مخاطبة
لنا خاصة امر الله كل امام منا ان يؤدي الى الامام الذي بعده ويوصي اليه ثم
هي جارية في سائر الامانات ولقد حدثني ابي عن ابيه ان علي بن الحسين عليهما السلام
قال لاصحابه عليكم باداء الامانات فلو ان قاتل الحسين بن علي عليهما السلام ائتمنني على
السيف الذي قتله به لاديته اليه والروايات في هذا المعنى كثيرة جداً
قوله نعم فادفعها اليهما نعم للاعلام بانه قد اذن اي نعم قد اذنت لك في دفعها
اليهما فلما نهضت لالقاهما قال مكانك ثم وجه الى محمد وابراهيم فجاءا
نهض ينهض كمنع يمنع نهضاً ونهوضاً قام وانهضته للامر بالالف اقمته قوله

مكانك اسم فعل منقول من الظرف بمعنى اثبت وهو مبني على الفتح لمشابهته
مبني الاصل وهو هنا فعل الامر وليس هو بظرف منصوب بفعل مقدر
تقديره الزم مكانك كما ذهب اليه الزجاج وجماعة ولا يستعمل هو واخوته
من اسماء الافعال المنقولة عن الظرف والجار والمجرور كدونك وعليك
الا بكاف الخطاب فلا يقال مكانه بمعنى ليثبت ومحل الضمير المتصل به قيل
رفع وقيل نصب وقيل جر وهو الاصح وقال ابن بابشاذ الكاف حرف خطاب لا محل
له من الاعراب قوله ثم وجه اي ارسل اليهما رسولاً يقال وجهه اليه توجيهاً
اي ارسله قال بعضهم الظاهر ان المقصود من التوجيه اليهما تعظيم الصحيفة
لئلا تحمل اليهما بل وجه اليهما ليتشرفا ويتبركا بلقائها واستقبالها قلت بل
الظاهر انه انما وجه اليهما ليشترط عليهما عدم الخروج بالصحيفة من المدينة
كما يدل عليه تتمة الكلام قوله فقال هذا ميراث ابن عمكما يحيى من ابيه قد خصكما
دون اخوته الميراث اسم لما يورث واصله موراث انقلبت الواو ياء
لانكسار ما قبلها وخصه بالشيء من باب قعد جعله له دون غيره والاصل
في لفظ الخصوص وما يتفرع منه ان يستعمل بادخال الباء على المقصور عليه
اعني ماله الخاصة فيقال خص المال بزيد اي المال له دون غيره لكن الشائع
في الاستعمال ادخالها على المقصور اعني الخاصة كما وقع هنا ومثله قوله تعالى
يختص برحمته من يشاء وهو اما بناء على تضمين معنى التمييز والافراد او على
جعل التخصيص مجازاً عن التمييز مشهوراً في العرف والجملة في محل رفع على انها
خبر ثان لهذا ان جعل الظرف قبلها حالاً وخبر ثالث ان جعل خبراً ثانياً
او في محل نصب على الحال من الميراث والعامل معنى الاشارة قوله دون اخوته
معنى دون في الاصل ادنى مكان من شيء يقال هذا دون ذلك اي احط منه

قليلا ثم استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في العلم
او الشرف ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم
من غير ملاحظة انحطاط احدهما عن الآخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وهو ظرف
لغو لتعلقه بخصكما والمعنى خصكما به متجاوزا اخوته وقد يستعمل بمن كقوله
تع وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوهم متجاوزين الله والاخوة جمع اخ
ولامه محذوفة وهي واو وترد في التشبيه على الاشهر فيقال اخوان ايضا
وقيل الاخوة في النسب والاخوان في الصداقة وهو غلط بل ترد في الانساب و
الاصدقاء اخوة واخوان قال تعالى انما المومنون اخوة لم يعن النسب وقال
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن الى قوله او اخوانهن وهذا في النسب قال الزجاج
اصل الاخ في اللغة من التوخي وهو القصد والطلب فالاخ نسبيا كان او صديقا
مقصده مقصد اخيه وكسر الهمزة من اخوة واخوان وضمها لغتان ولغويته
يحيى هم الحسين وعيسى ومحمد ابناء زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام اما الحسين
بن زيد فيكنى ابا عبد الله ويقال له ذو الدمعة وذو العبرة لكثرة بكائه قتل ابوه
وهو صغير فرباه الصادق عليه السلام وعلمه مات سنة خمس وثلثين ومائة
وقيل سنة اربعين واما عيسى بن زيد فيكنى وامه ام ولد نوبية اسمها
سكن ولد في المحرم سنة ومائة ومات بالكوفة وله ستون سنة واستتر خوفا
من بني العباس نصف عمره وكان قد قتل اسد الله اشبال فسمي موتم الاشبال خرج مع
ابراهيم بن عبد الله بن الحسن قتيل باخمرى وكان صاحب رايته وكان ابراهيم
قد جعل الامر له من بعده فلم يتم له الخروج واستتر ايام المنصور وايام المهدي ومات
زمن ايام الهادي وصلى عليه الحسن بن صالح سرا ودفنه واما محمد بن زيد فيكنى
ابا جعفر وامه ام ولد سندية وهو اصغر ولد ابيه وكان في غاية الفضل و

نهاية

في نهاية النبل فيحكى ان المنصور عرض عليه جوهر فاخر وهو بمكة فعرفه و
قال هذا جوهر كان لهشام بن عبد الملك وقد بلغني انه عند ابنه محمد ولم
يبق منهم غيره ثم قال للربيع اذا كان غدا وصليت بالناس في المسجد الحرام فاغلق
الابواب كلها ووكل بها ثقاتك ثم افتح بابا واحدا وقف عليه ولا تخرج الا
من تعرفه ففعل الربيع ذلك وعرف محمد بن هشام انه المطلوب فتحير واقبل
محمد بن زيد المذكور فرآه متحيرا وهو لا يعرفه فقال له يا هذا اراك متحيرا فمن
انت قال ولي الامان قال ولك الامان وانت في ذمتي حتى اخلصك قال انا محمد
بن هشام بن عبد الملك فمن انت قال انا محمد بن زيد فقال عند الله احتسب نفسي اذا
فقال لا باس عليك فانك لست بقاتل زيد ولا في قتلك درك لثاره والان خلاصك
اولى من اسلامك ولكن تعذرني في مكروه اتناولك به وقبيح اخاطبك به يكون
فيه خلاصك قال انت وذاك فطرح رداءه على راسه ووجهه واقبل يجره فلما
اقبل على الربيع لطمه لطمات وقال يا ابا الفضل ان هذا الخبيث جمال من اهل الكوفة
اكراني جماله ذهابا وايابا وقد هرب مني في هذا الوقت واكرى قواد الخراسانية ولي
عليه بذلك بينة فضم الي حارسين لئلا يفلت مني فضم اليه حارسين فمضيا
معه فلما بعد من المسجد قال له يا خبيث تؤدي الي حقي قال نعم يا ابن رسول الله فقال
للحارسين انطلقا ثم اطلقه فقبل محمد بن هشام راسه وقال بابي انت وامي الله اعلم
حيث يجعل رسالته ثم اخرج له جوهرا له قدر ودفعه اليه وقال تشرفني بقبول هذا
فقال انا اهل بيت لا نقبل على المعروف ثمنا وقد تركت لك اعظم من هذا دم زيد
بن علي انصرف راشدا ووار شخصك حتى يرجع هذا الرجل فانه مجد في طلبك
تعدت هذه الفعلة من مكارم شيمه وعظيم نفسه قال الشارح عفا الله
عنه ونسبي ينتهي الى محمد بن زيد المذكور فانا علي بن احمد بن محمد معصوم ابن احمد

بن ابرهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن منصور بن محمد بن ابرهيم بن محمد بن اسحق
بن علي بن عربشاه بن اميرانه بن اميري بن حسن بن حسين بن علي بن زيد الاعجم
بن علي بن محمد بن علي ابي الحسن نقيب نصيبين بن جعفر بن احمد المسكين بن جعفر بن محمد
بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب امير المومنين صلوات الله عليهم
اجمعين ٭ اولئك آبائي فجئني بمثلهم ٭ اذا جمعتنا يا جرير المجامع
ونحن نشترط عليكما فيه شرطا فقالا ادعه هات قل فقولك المقبول فقال لا تخرجا بهذه
الصحيفة من المدينة الشرط الزام الشي والتزامه في البيع ونحوه والجمع شروط و
في المثل الشرط املك شرط عليه كذا يشترط ويشرط من بابي ضرب وقتل واشترط
عليه ذا الزمه والشرطة بالضم ما اشترطت يقال خذ شرطتك والفاء في قوله
فقولك المقبول للسببية كقوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فهي داخلة على ما هو الشرط
في المعنى كما تقول اكرم زيدا فانه فاضل فان عكست وقلت زيد فاضل فاكرمه
كانت داخلة على ما هو الجزاء في المعنى قوله لا تخرجا بهذه الصحيفة الباء للتعدية
وتسمى باء النقل ايضا وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا تقول في ذهب زيد
ذهبت بزيد واذهبته ومنه ذهب الله بنورهم وقرئ اذهب الله نورهم وقال
المبرد والسهيلي ان بين التعديتين فرقا وانك اذا قلت ذهبت بزيد كنت مصاحبا
له في الذهاب بخلاف اذهبته قال ابن هشام وهو مردود بالآية واجيب بانه
يجوز ان يكون تعالى وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به كما وصف نفسه
بالمجي في قوله وجاء ربك وهو ظاهر البعد ووافق الزمخشري المبرد والسهيلي في
القول بالفرق فقال في الكشاف الفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه
ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان
بماله اخذه ومنه ذهبت به الخيلاء ومعنى ذهب الله بنورهم اخذ الله نورهم وسكه

وما يمسكه الله فلا مرسل له فاشهى ولا يخفى ما فيه من الاشارة الى الجواب عن الآية
وهو ان هذا معنى آخر لذهب مع الباء لا محذور في نسبته الى الله تعالى اذا عرفت ذلك فقوله
عليه السلام لا تخرجا بهذه الصحيفة معناه على قول القائلين بالفرق بين التعديتين لا
تستصحباها ولا تصحباها معكما في الخروج من المدينة وهو الظاهر من سوق الكلام وفحوى
المقام وعلى القول بعدم الفرق معناه لا تخرجاها كما وقع في نسخة ابن ادريس لا تخرجا
هذه الصحيفة قال لهما قال ابن عمكما خاف عليها امر العادات علمكما اي خاف بسببه
عليكما لان الامر الذي خاف يحيى على الصحيفة هو ان تقع الى بني امية فيكتموها ويلحدوها
في خزائنهم لانفسهم كما قاله سابقا وهذا لا يخاف عليهما وانما يخاف عليهما القتل الذي
بسببه خاف يحيى وقوع الصحيفة الى بني امية والمضاف كثيرا ما يحذف من الكلام ويقام المضاف
اليه مقامه وقد وقع في القرآن المجيد في غير موضع كقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء الله اي
رحمته يخافون ربهم اي عذابه بدليل يرجون رحمته ويخافون عذابه وقوله
فذلكن الذي لمتنني فيه اي في حبه اي في مراودته قالا فما خاف عليها حين علم انه يقتل
فقال ابو عبد الله عليه السلام حلكم وانتما فلا تاسيا ثم قال اني لا اعلم انكما ستخرجان كما خرج
وستقتلان كما قتل فقاما وهما يقولان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
قوله حين علم اي وقت علمه والجملة مضاف اليها وهي في تاويل المفرد ومحلها الجر قال
ابو حاتم وغلط كثير من العلماء فجعلوا حين بمعنى حيث والصواب ان يقال حيث
بالمثلثة ظرف مكان وحين بالنون ظرف زمان فيقال قمت حيث قمت اي في
الموضع الذي قمت فيه واذهب حيث شئت اي الى اي موضع شئت واما حين
بالنون فيقال قمت حين قمت اي في ذلك الوقت ولا يقال حيث خرج الحاج بالمثلثة
وضابطه ان كل موضع حسن فيه اين واي اختص به حيث بالمثلثة وكل موضع
حسن فيه اذا ولما ويوم ووقت اختص به حين بالنون قوله وانتما فلا تاسيا القا

زائدة عند من لجا من زيادتها في الخبر فاجازها الاخفش مطلقا وحكى اخوك فوجد وقد
القرآئه والاعلم وجماعه جوازها يكون الخبر امرا او نهيا فالامر كقوله انت فانظر
لاي ذلك تصير والنهي نحو زيد فلا تضربه ومثله عبارة المتن وانما فلا
تامنا وتاول المانعون انت فانظر على ان التقدير انظر فانظر بحذف انظر الاول
وحده فبرز ضميره فقيل انت فانظر فالفاء للعطف لا زائدة وتاولوا نحو
زيد فلا تضربه بتقدير اما ويمكن تاويل عبارة المتن على حذف المعطوف
عليه فيكون التقدير وانما خافا فلا تامنا بدليل قولهما انما خاف عليها
حين علم انه تقبل ذلك تاويلها بتقدير اما ايضا فان قيل يلزم التفصيل
فيها كما هو مذهب بعضهم كان تكرارها سترو كا استغناء عنه بذكر القسم الاخر فيكون التقدير
اما هو فقبل واما انما فلا تامنا ومن لم يكن لزوم التفصيل لا يحتج الى هذا التقدير **قوله** والله
اني لا اعلم قيل هذا يدل على ان الامام عليه السلام يجوز له ان يحلف على ما يعلمه من الغيبيات ومن
لم يعلمه بالحواس الظاهرة وهذا لا ينافي ان تكون التكاليف الشرعية بالنسبة اليهم موقوفة
مقصورة على ما يعلمونه بالعلوم الظاهرة لا تتعدى الى معلوماتهم بالعلوم الالهامية
الغيبية كحال علي عليه السلام مع ابن ملجم اللعين وحال الحسين عليه السلام في خروجه الى الكوفة
مع علمهما بحقيقة المال فتامل وقد مر ذكر وجههما وقتلهما كالاجوبه عليه السلام **قوله**
فقاما وهما يقولان لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهما يقولان جملة في محل النصب على
الحال اي فقاما قائلين ذلك وفي لا حول ولا قوة خمسة اوجه من الاعراب فتحهما
ورفعهما وفتح الاول ونصب الثاني وفتح الاول ورفع الثاني ورفع الاول وفتح الثاني وتشكل
الاستثناء على الوجه الاول من جهة انه راجع في المعنى الى الجملتين ولا يعمل فيه لفظا لا الواحدة
لا يستثنى بها من شيئين قال ابن الحاجب والاشبه ان يقال ان الحول والقوة لما كانا بمعنى
صح رجوع الاستثناء اليهما لتنزيلهما منزلة شيء واحد وقال غيره هو من باب الحذف

٣٣ مثل ما قام وقعد الا زيد اي لا حول الا بالله ولا قوة الا بالله وما قاله ابن الحاجب هو
تفسير بعض اللغويين ان الحول هو القوة والقوة هي الحول كلاهما مترادفات وروى ابن
بابويه في كتاب معاني الاخبار باسناده الى جابر بن يزيد الجعفي عن ابي جعفر عليه السلام انه
سأله عن معنى لا حول ولا قوة الا بالله فقال معناه لا حول لنا عن معصية الله الا
بعون الله ولا قوة لنا على طاعة الله الا بتوفيق الله فالحول على هذا بمعنى التحول ويكون
وجه تقديم الحول على القوة ان التخلية مقدمة على التحلية كما اشتهر بين ارباب العرفان
فتخلية النفس وتحويلها من المعاصي الى الطاعات واعدادها لها مقدمة على تحليتها
بالطاعات والى هذا المعنى اشار بعض المشايخ وقد ساله مريد له استغفر الله ام اسبحه
فقال الثوب الوسخ احوج الى الصابون من البخور وفي نهج البلاغة عن امير المؤمنين عليه السلام
انه قد سئل عن معنى لا حول ولا قوة الا بالله انا لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما
ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا قال الشارح
كلامه معنى هذا الكلام انه عليه السلام جعل الحول عبارة عن الملكية والتصرف وجعل
القوة عبارة عن التكليف كانه يقول لا نملك ولا نتصرف الا بالله ولا تكليف لامر من الامور
الا بالله فنحن لا نملك مع الله شيئا لانه لولا اقداره ايانا وخلقه لنا الحياة لم نكن مالكين
ولا متصرفين فاذا ملكنا شيئا هو املك به منا اي اقدر عليه منا صرنا مالكين له كالمال
مثلا حقيقة وكالعقل والجوارح والاعضاء مجازا وحينئذ يكون مكلفا لنا امرا يتعلق
بما ملكنا اياه نحو ان كلفنا الزكوة عند تمليكنا المال وكلفنا النظر عند تمليكنا العقل
وكلفنا الجهاد والصلوة والحج عند تمليكنا الاعضاء والجوارح ومتى اخذ منا المال
وضع عنا تكليف الزكوة ومتى اخذ العقل سقط تكليف النظر ومتى اخذ الاعضاء والجوارح
سقط تكليف الجهاد وما جرى مجراه هذا هو تفسير قوله عليه السلام وفي هذه الكلمة التي
تسليم للقضاء والقدر واظهار للفقر الى الله تعالى تطلبا للمعونة منه في جميع الامور وان

العجز البشري لسلب القوة والحركة في الخيرات والطاعات عنهم واثباتهما لملك العلام توقيرا وتعظيما له ودلالة على التوحيد الحقي لأنّ اذا نفي الحيلة والحركة والقوة والاستطاعة عن عبده سبحانه واثبتها له على الحصر الحقيقي وبين انها بالهاده واعانته وتوفيقه لنعم القول بانه لم يخرج شيء من ملكه وملكوته وانه لا شريك له تحقيقا لمعنى الحصر

فلما خرج قال لي ابو عبد الله ما بشي كلكم قال لك الحجاج عمي محمد بن علي وابن جعفر ادعوانا الى الحياة ودعوناهم الى الموت قلت نعم اصلحك الله قد قال لي ابن عمك يحيى ذلك

قوله كيف قال لك يحيى كيف اسم مبني على الفتح لتضمنه معنى حرف الشرط او الاستفهام فورد شرط نحو كيف تكفرون بالله فانه اخرج مخرج التعجب فان جاء بعدها ما لا يستغني به نحو كيف زيد فهي في محل رفع على انها خبر المبتدا فهو في جوابها صحيح او سقيم وفي البدل منه اصحيح ام سقيم فان دخلت نواسخ الابتداء فكيف في محل النصب خبرا ثانيا لمطلوبي ذلك الناسخ نحو كيف اصبحت وكيف ظننت بدل وان جاء بعدها قول يستغني به نحو كيف يقوم زيد فهي منصوبة المحل على الحال فجوابها والبدل منها منصوبان تقول في الجواب متكئا على اخرا ومعتمدا عليه وفي البدل كيف يقوم زيد امتكئا ام معتمدا اذا عرفت ذلك فكيف في عبارة المتن في محل النصب على الحال لان الواقع بعدها قول يستغني به وصاحب الحال يحيى او العائد منها قال اي على اي حاله قال لك يحيى ذلك معبرا بهذه العبارة ام بغيرها فكان الجواب نعم كذلك اي بهذه العبارة فقال يرحم الله يحيى ان ابي حدثني عن ابيه عن جده ان رسول الله صلعم اخذته نعسة وهو على منبره فراى في منامه رجالا ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على اعقابهم القهقرى فاستوى رسول الله صلى الله عليه واله جالسا والحزن يعرف في وجهه قوله يرحم الله يحيى تعريض لخطائه وجنايته في هذا القول وانه اخطاء وبئس ما قال لكنه عدل الى الترحم عليه تغييبا به وتحننا عليه كما اصلح الكشف

ان الدعاء قد يستعمل للتعريض بالاستقصار كقوله عليه الصلوة والسلام يرحم الله اخي لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد وقال صاحب الكشاف في قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطاءت وبئس ما فعلت وتعقبه بعضهم فقال لقد اخطاء واساء الادب وبئس ما قال وكتب هب انه كناية اليس ايراد ها على التصريح بالجناية للتلطف في الخطاب والتخفيف للعتاب وهب ان العفو مستلزم للخطا فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء ويوقع انشاء الاستقباح بكلمة بئس ما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها انتهى واجاب عنه بعضهم بانه اراد ان الاصل ذلك وابدل بالعفو تعظيما لشانه صلى الله عليه واله وتنبيها على لطف مكانه ولذلك قدم العفو على ما يوجب الجناية وليس تفسيره هذا ابناء على ان العدول الى عفا الله لا للتعظيم حتى خطاء وانما المستعمل لمجرد التعظيم فهو اذا كان دعاء لا خبرا على ان الدعاء قد يستعمل للتعريض كقوله عليه السلام يرحم الله اخي لوطا الحديث وحقيقته انه لا يخلو عن حزازة بشان المخاطب والغايب اخلاف الصيغة واما التعظيم والتعريض فقد وقد انتهى ووجه خطاء يحيى ان ظاهر قوله دعوا الناس الى الحيوة ودعوناهم الى الموت يفهم منه رغبتهما عن الجهاد والقيام بالامر المعروف والنهي عن المنكر وتخلط الناس عن ذلك حبا للحيوة وتقادياعن الموت وهذا معنى لا يليق بشانهما عليهما السلم والقول به خطا محض وجهل صريح لا شك في ان القائل به معتقدا له لولا ان تداركه الرحمة فيرجع عنه قبل موته كما هو الظن بيحيى بل انما دعا الناس الى الحيوة بسبب اخر لم يعلمه يحيى ولو علمه ما عبر بتلك العبارة وهو ما بينه عليه السلام بقوله ان ابي حدثني الى اخر الحديث قوله اخذته نعسة النعاس لعله للوحدة كالضربة والنعاس اول النوم ثم الوسن وهو ثقل النعاس ثم الترنيق وهو مخالطة النعاس العين ثم الكرى والغمض وهو ان يكون الانسان بين النائم واليقظان

التغيق بالغين المعجمة وبعدها فاء وهو النوم وانت تسمع كلام القوم ثم الهجوع والهجود
وهو النوم الغرق ثم التسبيخ وهو اشد النوم قال الازهري حقيقه النعاس الوسن من غير
نوم وعلى هذا فقوله عليه السلام فرای من منامه من اطلاق الشیٔ علی مايقاربه قوله وهو
على منبره المنبر مفعل من نبر الشیٔ اذا رفعه سمي بذلك لارتفاعه وكسرت ميمه
على التشبيه باسم الآلة قوله ينزون اي يثبون يقال نزا الفحل نزوا من باب قتل و
نزوانا بالتحريك اذا وثب والاسم النزاء مثل كتاب وغراب قوله نزو القردة الاصل
نزوا مثل نزو القردة فحذف الموصوف وهو نزوا ثم المضاف وهو مثل واقيم
المضاف اليه مقامه وهو مفعول مطلق مبين لنوع عامله قوله والقردة
كعنبة جمع قرد بالكسر والسكون وهو حيوان خبيث معروف ولما كانت الصورة
في عالم الملكوت تابعة للمعنى والصفة لاجرم يرى المعنى الحسن كالملك في صورة
حسنة جميلة ويرى المعنى القبيح كالشيطان في صورة قبيحة وتكون تلك الصورة
عنوان المعاني ولذلك القردة والخنزير في المنام على انسان خبيث الباطن وتدل
الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير والتأويل قوله يردون
الناس على اعقابهم القهقرى اي يرجعونهم الى الكفر من قولهم رجع فلان على عقبيه
اي على طريق عقبه هي التي كانت خلفه وجاء منها والعقب بكسر القاف موخر القدم
وهي مونثة وتسكن للتخفيف والجمع اعقاب والقهقرى مفعول مطلق والاصل يردونهم
رد القهقرى فحذف المصدر وانيب عنه لفظ دال على نوع منه لان القهقرى نوع من
الرجوع وهو ان يمشي الى خلف من غير ان يعيد وجهه الى جهة مشيه وفيه تنبيه
على ان ردهم عن الاسلام بنحو خاص وهو اخراجهم منه مع ادعائهم له وعدم صرف
وجوههم عنه بالمرة قوله فاستوى جالسا اي استقر جالسا حال مبينة لهيئة
الفاعل والجلوس غير القعود فان الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو والقعود

حكمه فعلى الاول يقال لمن هو نائم او ساجد اجلس وعلى الثاني يقال لمن هو قائم
اقعد وقال الفارابي وجماعة الجلوس نقيض القيام فهو اعم من القعود وقد يستعملان
بمعنى الكون والحصول فيكونان بمعنى واحد ومنه يقال جلس متربعا وقعد متربعا
اي حصل وتمكن قوله والحزن يعرف في وجهه الجملة في محل نصب على الحال من الضمير
في قوله فاستوى والحزن بالضم والسكون والحزن بحركة الهم حزن هو من باب
تعب وقريش تعديه بالحركة فتقول حزنه الامر من باب قتل وتميم تعديه بالهمزة
فتقول احزنه وعرفه الحكماء بانفعال النفس عن توارد المكروهات او تخيلها
قالوا وهذا الانفعال كيفية تتبعها حركة الروح الى الداخل قليلا قليلا حزنا كما
ذكروا فرقوا بينه وبين الهم فقالوا الهم ما يتبعه حركة الروح الى الداخل والخارج
لحدوث امر يتصور فيه خير متوقع وشر منتظر فهو مركب من رجاء وخوف فايهما
غلب على الفكر تحرك الروح الى جهته فللخير المتوقع الى الخارج وللشر المنتظر الى
الداخل ولذلك قيل انه جهاد فكري وقيل الحزن اسف على ما فات ويراد فه الغم
والهم على ما لم يات ويرادفه الخوف فائدة في حقيقة النوم والرؤيا اعلم ان الروح
الحيواني وهو الجوهر البخاري اللطيف الحاصل من لطيف الاغذية المنتشر في الاعضاء
والعروق وبسببه يحصل للاعضاء قوة الحس والحركة وهو مركب الروح
الانساني اذا انتشر في جميع اجزاء البدن باطنه وظاهره حصل الحس والحركة
وهذا هو اليقظة وان بقي في الباطن ولم يتصل الى الظاهر تعطلت الحواس
الظاهرة وهذا هو النوم وبقاؤه في الباطن يكون لاسباب منها طلب الاستراحة
عن كثرة الحركة ومنها تحلله بسبب الافعال الكثيرة الصادرة من الحواس فتشتغل
الطبيعة بنضج الغذاء ليستمد الروح من لطيفه ومنها امتداد البخاري فان الانسان اذا
شرب الشراب مثلا تصاعدت ابخرته من المعدة الى الدماغ وتولدت الى الاعصاب فتمتلي

بمحاذى وانسدت فلا ينفذ الروح الى الخارج كما ينبغى وربما كان اكل الطعام موجبا للنوم
لهذا السبب فاذا بقى الروح فى الباطن وركدت الحواس عليها بقيت النفس فارغة من شغل
الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما تورده الحواس عليها فاذا وجدت فرصة الفراغ وارتفعت
عنها الموانع اتصلت بالجواهر الروحانية الشريفة من عالم الملكوت التى فيها نقوش
جميع الموجودات كلية وجزئية ما كان وما يكون وما هو كائن وهى المسماة بالكتاب
المبين وام الكتاب واللوح المحفوظ فانتقشت بحسب استعدادها بما فيها من صور الاشياء سيما
ما يناسب اغراضها وكان مهما لها فان النفس بمنزلة مرآة ينطبع فيها كل ما قابلها من مرآة
اخرى عند حصول الاسباب وارتفاع الحجاب بينهما والحجاب هنا اشتغال النفس بما تورده
الحواس فاذا ارتفع ظهر فيها من تلك المرآة ما يناسبها ويحاذيها فهذا هو سبب الرويا الصادقة
وهى اما صريحة فتستغنى عن التاويل وهى التى لم تتصرف فيها المتخيلة الحاكية للاشياء
بتمثيلها واما خفية وهى ما حكته المتخيلة بصورة مناسبة له فان النفس اذا انتقش فيها
معنى ركبت المتخيلة صورة لذلك المعنى تناسبه ثم ترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
وهذه الرويا هى المفتقرة الى التاويل ونظر المعبر فى الاستدلال بتلك الصورة على ذلك المعنى
وكثيرا ما تحكى المتخيلة عن تلك الصورة حكاية اخرى وتنقلها الى صور كثيرة حتى يعجز المعبر
عن ادراك تلك الانتقالات وسببه استيلاء قوة التخيل وتعودها التركيبات التى لا اصل
لها ولهذا لا يعتمد على رويا الكذوب والشاعر لان مخيلتهما اعتادت تخيل الصور التى لا وجود لها
ولحسا عهما وقد يكون للرويا اسباب اخر احدها ان الصور المحفوظة فى الخيال تظهر وقت
النوم فى لوح الحس المشترك لفراغه حينئذ لانه وقت اليقظة مشغول بالصور التى تورد عليها
الحواس الثانى ان القوة المفكرة ربما ركبت صورا حال اليقظة اما بسبب اشتغالها
بالشى او لعلها تخاف فوات شىء او توقع مكروه فتظهر تلك الصور فى حالة النوم فى الحس المشترك
الثالث ان مزاج روح القوة المتخيلة اذا تغير تخيل فعلا يحسب ذلك التغير مثلا اذا استولت

على

٣٦

على الجوارح فانه يرى النيران واذا استولت البرودة راى الثلج واذا استولت الرطوبة راى الامطار
ونحوها واذا استولت اليبوسة راى كانه يطير فى الهواء واذا استولى عليه البخار السوداوى
راى الظلمة وكل رويا يكون سببها احد هذه الاشياء فهى اضغاث الاحلام التى لا يلتفت اليها
والله اعلم **هداية** اعلم ان النفوس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس صفاء
ونورا وانجذابا الى عالم الانوار فلاجرم جرى عليها الانوار الفائضة من المبادى العالية انهم من سائر
النفوس واكمل ولهذا بعث مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة الطالبين و
مصطفاه على العالمين ولما كان صفاء جوهر نفس نبينا صلى الله عليه وآله اكمل تلك النفوس
القدسية واقواها واشدها اتصالا بالعقل الفعال المسمى بالعلم الاعلى والمعلم الشديد
القوى وهو المفيض للعلوم باذن الحى القيوم على الواح النفوس العقلية فلا يبعد ان يكون
المراد بمنامه صلى الله عليه وآله النشاة الباطنية وبروياه الرويا العقلية العلمية
لا ما هو الظاهر من معنى هذين اللفظين فان منامه صلى الله عليه وآله ليس كمنام غيره الا
ترى الى قوله المجمع عليه من الخاصة والعامة ان عينى تنام وقلبى لا ينام وانما عبر عن ذلك
بالمنام والرويا لقصد التفهيم والتعليم فان اكثر الناس يعجز عن ادراك الامور العقلية
الا بصفة الامور الحسية والله اعلم **فاتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الاية وما جعلنا
الرويا التى اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما
يزيدهم الا طغيانا كبيرا يعنى بنى امية** جبرئيل فيه لغات فتح الجيم والراء و
همزة بعدها ياء وكسر الجيم والراء وبعدها ياء ساكنة والثالثة كذلك الا ان الجيم مفتوحة
وفيه لغات اخرى قيل هو اسم مركب من جبر وهو العبد وايل وهو اسم الله تعالى بالسريانية
وهو المسمى بروح القدس والموبد بالقاء الوحى الى الانبياء وهو الروح الامين والرسول
الكريم المبعوث بقوله تعالى انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم
امين وهو فى ذاته جوهر عقلى روحانى قدسى ما لم ينزل عن سماء تجرده وقربه فاذا

فاذا نزل عنها تمثل و تصور بصورة تناسب المنزل عليه و هو معنى نزوله على الرسول كما فى قوله
تعالى فتمثل لها بشرا سويا اى فى اكمل صورة و اجملها وان لم يتمثل و يتصور بل كلم الرسول
فى باطن السر و العقل كان كلامه و حديثه كلاما عقليا وحديثا روحانيا و لاجل ابانته
الرسول عليه السلام بهذه الاية كان من هذا القبيل حيث قال فاتاه و لم يقل فنزل كمال
اختلف الاراء فى حقيقة نزول الملك بالوحى على الرسول عليه السلام فقال جمهور الحكماء
من الفلاسفة ان نفس النبى اذا فاض عليها معنى عقلى ارتسم فى خياله و حسه صورة
مناسبة له فيبصره و يسمع كلامه و هذا فى الحقيقة انكار للملك بجسم موجود فى
الخارج و انكار كلام خارجى و اثبات امور و صور ذهنية و ظاهر الشرع يابا
و قال جمهور المليين ان الملك شخص سماوى مكون من جنس العناصر التى تكونت
منها السموات العنصرية هو حى ناطق متحرك بالارادة مامور تابع للاوامر
الالهية فجبرئيل عليه السلام ملك كريم عليم والعبارة التى ينزل بها وحى يسمع
فى السماء العنصرية او يراها منقوشة فى لوح سماوى عنصرى فيقراها
و يامر الله تعالى ان ينزل بها على النبى عليه السلام فياتيه و يخاطبه بها هذا ما
دلت عليه ظواهر الشرع و قال جدنا الامير نظام الدين احمد قدس سره الاشبه عندى
ان نزول الشىء و الملك على الانبياء عليهم السلام انما هو بان يتلقى نفس النبى اولا
ما يوحى اليه من الملك الوحى او من الله تعالى تلقيا روحانيا ثم يتمثل و يتصور بما
يوحى اليه فقط و مع الملك الوحى فى حسه المشترك ثم فى حسه الظاهر ثم فى
الخارج فى الهواء المجاور له بعكس ما يرى الشىء الموجود فى الخارج اولا فانه يتمثل
اولا فى الحس الظاهر ثم فى الحس المشترك ثم فى القوة العقلية لانه لو كان الوحى
نزول ملك جسمانى يتكلم معه فى الخارج فقط من غير تلق روحانى لما عرض
للنبى الوحى اليه حين نزول الوحى شبه غشى و لحواسه الظاهرة شبه

دهشة

دهشة على ما هو المشهور المنقول من حال النبى حين نزول الوحى عليه بل كان ينبغى
ان يكون توجه نفسه الكاملة على هذا التقدير الى الظاهر اتم و اكمل و ان يكون
حاسته الظاهرة اصح و اسلم و مما يدل على ما قلناه ما نقله القاضى
فى تفسير قوله تعالى فلما اتاها نودى يا موسى انى انا ربك حيث قال لما نودى قيل
له من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال
انى عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات و بجميع الاعضاء قال القاضى
و هو اشارة الى انه عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك
الكلام لبدنه و انتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو و جهة
انتهى و لو كان بالتلقى الروحانى و بالتمثل فى الحس المشترك فقط من غير ان يكون
فى الخارج شبيها على ما هو المشهور من راى الفلاسفة لما راى عين النبى احيانا الملك
النازل بالوحى كما يروى من حديث الايمان و من حكاية السامرى على ما يدل عليه قوله
تعالى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول و لما تمثل ما يوحى
اليه فى الخارج ايضا كما يروى فى نزول التورية المنقوشة فى الالواح فالقول
بان الوحى و صورة الملك من عمل المخيلة بان تحدثهما فى الحس المشترك كما هو المشهور
عن الفلاسفة مستبعد مستنكر جدا و كذا كون الكلام المعجز من عملها بل القران المجيد
لذلك كله هو الواجب الحق جل شانه تحدثه فى حسه المشترك اولا ثم فى الخارج
و لا استبعاد فى ذلك اصلا و لا بعد ان يكون للقوة المتخيلة التى للنبى مدخل ما
ثانيا فى هذين الاحداثين بان تكون معدة فقط على ان ظاهر قوله تعالى فى سورة
البقرة قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك و قوله فى الشعراء نزل به
الروح الامين على قلبك يدل على ما اخترناه من كيفية نزول الوحى و التاويل خلاف
الظاهر و قاله بعض المفسرين ان اكثر الامة على ان القران نزل على محمد صلى الله عليه

والله لا على قلبه لكن خص القلب بالذكر لان السبب في تمكنه من الاداء اثباته في قلبه
فمعنى على قلبك حفظك اياه وفهمك له وقيل اى جعل قلبك متصفا باخلاق
القرآن ومتادبا باداته كما في حديث عائشة كان خلقه القرآن انتهى فهو صرف
لظاهر الاية وهو خلاف الظاهر ويؤيد ما اخترناه ايضا ما قاله القاضي في
تفسير آية الشعراء المذكورة والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو
المخصوص فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه
الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المخيلة
انتهى واعلم ان ما اخترناه ليس مخالفا في الحقيقة لقول اكثر الامة بل هو
قولهما قالوه مع زيادة لم يصرحوا بها انتهى كلام الجد قدس الله سره وصاحب
يوم الختام ثم وقد وافقه على هذا التحقيق بعض المتألهين من علمائنا المتأخرين
فقال في معنى مشاهدة الرسول لجبرئيل وسماع كلامه بسمعه الحسي ان
المعرفة العقلية اذا قويت واستدلت تصورة بصورة مطابقة لها وربما
تعدت من معدن الخيال الى سطح خارجي كالهوى الصافي فيكون الهواء كما
المرآة لها فيراها النبي بكلمة معاينة ومشاهدة ويسمع كلامها بجارحة السمع
انتهى **قوله** بهذه الاية قال الجعبري حد الاية قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ
ومقطع مندرج في سورة واصلها العلامة ومنه ان آية ملكه لانها علامة
للفصل والصدق او الجماعة لانها جماعة كلم وقال غيره الاية طائفة من القرآن
منقطعة عما قبلها وما بعدها وقيل هي الواحدة من المعدودات في السور سميت به
لانها علامة على صدق من اتى بها وعلى عجز المتحدى بها وقيل لانها علامة على انقطاع
ما قبلها من الكلام وانقطاعه مما بعدها قال الواحدي وبعض اصحابنا يجوز على هذا
القول تسمية اقل من الاية آية لولا ان التوقيف ورد بما هي عليه الآن قال بعضهم

الصحيح ان الاية انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السورة وقال الزمخشري الايات علم
توقيفي لا مجال للقياس فيه واختلف في وزنها فقال الفراء وزنها فعلة بسكون العين
واصلها آية بالتشديد فاستثقلوا التشديد فحذفوه واشبعوا الفتحة التي قبله وقال
الخليل واصحابه وزنها فعلة بفتح العين والاصل ايية قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها وقال الكسائي اصلها ايية فاعلة كضاربة وكان يلزم الياءين الادغام
على نحو دابة وخاصة ويكون مستثقلا فحذفوا احد الياءين **قوله** وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك اتفق المسلمون على ان الرؤيا التي يراها النبي عليه السلام باثبات فعل ما تؤمر
في جواب قوله يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك الثاني النفث في الروع ومنه
قوله صلى الله عليه وآله ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى
تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب الثالث ما يأتيه كصلصلة الجرس
وهو اشد عليه وكان كذلك ليستجمع عند تلك الحالة فيكون اوعى لما يسمع الرابع
ان يتمثل له الملك رجلا كما كان يأتيه في صورة دحية الكلبي وكان دحية
حسن الهيئة والجمال الخامس ان يتراءى له جبرئيل في صورته التي خلق عليها له ستمائة
جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت السادس ان يأتيه احيانا يسمع الصوت ويرى
الضوء السابع ان يكلمه الله من وراء حجاب في اليقظة كما وقع في ليلة الاسراء الثامن
ان يلقى في قلبه معنى من المعاني كما قال تعالى ان هو الا وحي يوحى اى الهام الحادي
عشر ان يسمع كدوي النحل كما جاء في الرواية وفهم المراد منه الثاني عشر ان يكون
على سبيل الاستنشاق وهو تنسم النفحات الالهية وتنشق روائح الربوبية ومنه
قوله عليه السلام اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن الثالث عشر ان يكون على سبيل الملاقاة
وهو الاتصال بين الجوهرين كما روى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وضع الله كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات

وما فی الارض ثم تلا هذه الآیة وکذلک نری ابراهیم ملکوت السموات والارض
ولیکون من الموقنین الرابع عشر ما نقل انه علیه السلم کان وکل به اسرافیل ثلاث
سنین ویاتیه بالکلمة من الوحی والشیٔ ثم وکل به جبرئیل فجاء بالقرآن وهذا
للحصر استقرائی قال بعضهم یحتمل ان یکون طرق الوحی سبعین مما وقفنا علیه ومما
لم نقف ویحمل علیه الحدیث المشهور الرؤیا الصادقة جزء من سبعین جزء من النبوة
فکون الرؤیا جزء واحد من ذلک العدد من اجزاء الوحی **قوله** الا فتنة للناس الفتنة
المحنة والابتلاء واصلها من فتنت الذهب والفضة اذا احرقتهما بالنار لیتبین
الجید من الردی وتاتی بمعنی الضلال والعذاب واختلاف الناس والکفر والفضیحة
قوله والشجرة الملعونة فی القرآن فیه تقدیم وتاخیر والتقدیر وما جعلنا الرؤیا
التی اریناک والشجرة الملعونة فی القرآن الا فتنة للناس واللعن الطرد والابعاد
لعنه فهو لعین وملعون ای المطرودة المبعدة عن رحمة الله تعالی قال الازهری
والشجرة الملعونة هی التی کل من ذاقها کرهها ولعنها قال الواحدی والعرب تقول
لکل طعام ضار ملعون وقری والشجرة الملعونة بالرفع علی حذف الخبر کانه قیل و
الشجرة الملعونة فی القرآن کذلک ای فتنة للناس ولا یکون فیه تقدیم و
تاخیر والمراد بجعلها فتنة للناس اختبارهم بها هل یؤمنون بهذه الرؤیا
فیخافون ویجتنبون هذه الشجرة ام لا **قوله** ونخوفهم فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا
ای نخوفهم بانواع التخویف من الفتنة وغیرها والطغیان مجاوزة الحد والعلو
والارتفاع فی الکفر والاسراف فی المعاصی والظلم وکبیرا ای متمادیا متجاوزا
للحد **قوله** یعنی بنی امیة تفسیر للشجرة الملعونة وعلی هذا فلا یخفی ما فی قوله
تعالی فما یزیدهم الا طغیانا کبیرا من اللطف واعلم ان هذا الحدیث ثابت الصحة متواتر
النقل من الفریقین اما من طرق اهل البیت علیهم السلام فقد ثبت عند الخاصة

من طرق

من طرق کثیرة واما من طرق الجمهور فقال الفخر الرازی فی تفسیره الکبیر قال سعید
بن المسیب رای رسول الله صلی الله علیه وآله بنی امیة ینزون علی منبره نزو القردة
فساءه ذلک وقال البیضاوی فی تفسیر الرؤیا قیل رای قوما من بنی امیة یرقون
منبره وینزون علیه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنیا یعطونه باسلامهم
علی هذا کان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث فی ایامهم انتهی وروی الحاکم
فی المستدرک عن مسلم الزنجی عن العلاء عن ابیه عن ابی هریرة قال ان النبی صلی الله
علیه وآله قال رایت فی منامی کان بنی الحکم بن ابی العاص ینزون علی منبری کما
ینزو القردة فما روی النبی صلی الله علیه وآله قال رایت فی منامی کان بنی الحکم بن ابی
العاص ینزون علی منبری کما ینزو القردة فما روی النبی صلی الله علیه وآله مستجمعا
ضاحکا حتی مات ثم قال صحیح والاسناد علی شرط مسلم ذکر ذلک الدمیری فی
حیوة الحیوان وقال الرازی فی تفسیر الشجرة الملعونة قال ابن عباس الشجرة الملعونة
فی القرآن المراد بها بنو امیة للحکم بن ابی العاص وولده قال رای رسول الله صلی الله
علیه وآله فی المنام ان ولد مروان یتداولون منبره فقص رؤیاه علی ابی بکر و
عمر وقد خلا فی بیته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلی الله علیه وآله الحکم
یخبر برؤیا رسول الله فشق علیه ذلک فاتهم عمر فی افشاء سره ثم ظهر ان الحکم کان
یتسمع الیهم فنفاه رسول الله صلی الله علیه وآله قال ومما یؤکد هذا التاویل قول
عائشة لمروان لعن الله اباک وانت فی صلبه فانت بعض من لعن الله وقال
النیسابوری عن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امیة وفی الکتاب الذی کتبه
المعتضد بالله العباسی حین عزم علی لعن معویة بن ابی سفیان علی المنابر فی
سنة اربعة وثمانین ومائتین وذکر فیه بنی امیة فقال ثم انزل الله کتابا فیما
انزله علی رسول صلی الله علیه وآله یذکر فیه شانهم وهو قوله تعالی والشجرة الملعونة

فى القرآن ولا خلاف بين احد انه تبارك وتعالى اباد بهما بنى امية انتهى قال يا
جبرئيل على عهدى يكونون وفى زمنى قال لا ولكن تدور رحى الاسلام من مهاجرتك
فتلبث بذلك عشرا ثم تدور رحى الاسلام على راس خمس وثلثين من مهاجرتك
فتلبث بذلك خمسا ثم لا بد من رحى ضلالة هى قائمة على قطبها ثم ملك الفراعنة
العهد الوقت والزمان قال الزمخشرى فى الاساس كان ذلك على عهد فلان وهذا حين ذلك وعهده
اى اى وقته وعلى بمعنى فى وهى ظرفيه كقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة
اى فى حين غفلة وقوله واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان اى فى زمن ملكه قوله
وفى زمنى من باب عطف الشىء على مرادفه تاكيدا وهو شايع فى كلامهم قوله
تدور رحى الاسلام الرحى معروفة مؤنثة الطاحونة والالف منقلبة عن يا لانك
تقول هما رحيان وكل من مد قال رحاء ورحاءان وارحية مثل عطاء وعطاءان
واعطية قال الجوهرى ولا ادرى ما حجته وما صحته يقال دارت رحى الحرب اذا
قامت على ساقها وهو كناية عن الالتحام والاشتداد والمراد قوام امر الاسلام
وثباته على سنن الاستقامة والبعد عن احداثات الظلمة وهو من باب الاستعارة
التخييلية المرشحة شبه امر الاسلام القائم بصاحبه بالرحى القائمة على قطبها
بجامع الاستقامة فاستعار له الرحى وقرنها بما يلائم المستعار منه وهو الدوران
وهذا هو الترشيح قوله من مهاجرتك بفتح الجيم على صيغة اسم المفعول اسم زمان اى وقت
هجرتك ويرد بمعنى اسم المكان ايضا لكن الاول هو المراد هنا ومن ابتدائية اى
من ابتداء وقت هجرتك قال ابن عبد البر فى الاستيعاب اذن الله له فى الهجرة الى
المدينة يوم الاثنين وكانت هجرته فى ربيع الاول وهو ابن ثلاث وخمسين سنة
فقدم المدينة يوم الاثنين قريبا من نصف النهار فى الضحى الاعلى لاثنتى عشرة خلت من
ربيع الاول وقيل غير ذلك قوله فتلبث بذلك عشرا لبث يلبث كسمع يسمع اى مكث

ومصدره

ومصدره اللبث بالضم والسكون وهو نادر لان المصدر من فعل بالكسر قياسه اذا لم
يتعد ان يكون بالتحريك كتعب تعبا والاشارة بذلك الى الدوران المفهوم من
قوله تدور رحى الاسلام والباء للملابسة اى متلبسة بذلك عشرا اى عشر سنين
وهى مدة حيوته صلى الله عليه وآله بعد هجرته من مكة الى المدينة ومن بها من ثبوته
فى المدينة روى ابو محمد عبد الله من الخشاب فى كتاب تاريخ مواليد اهل البيت عم
ووفياتهم باسناده عن ابى جعفر الباقر عليه السلام قال قبض رسول الله صلى الله
عليه وآله وهو ابن ثلاث وستين سنة فى سنة عشر من الهجرة فكان مقامه
بمكة اربعين سنة ثم نزل عليه الوحى فى تمام الاربعين وكان بمكة ثلاث عشرة
سنة ثم هاجر الى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقبض صلى الله عليه وآله فى
شهر ربيع الاول يوم الاثنين لليلتين خلتا منه انتهى ولا شك ان رحى الاسلام لم تزل
تدور فى زمانه ومدة حيوته فى دار هجرته ولم يحدث فى الاسلام حدث بل اظهره الله على
الدين كله ولو كره المشركون قوله ثم تدور رحى الاسلام المعطوف عليه محذوف والتقدير
فتلبث ثم تدور وحذف المعطوف عليه ليس بعزيز فقد قيل فى قوله تعالى ان اضرب بعصاك
البحر فانفجرت ان التقدير فضرب فانفجرت بل جوزوا حذف اكثر من ذلك فقالوا فى
قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ان التقدير فضربوه فحيى فقلنا
كذلك وفى قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم ان تقديره فاتياهم
فابلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم قوله على راس خمس وثلثين من مهاجرتك اى خمس و
ثلثين سنة هى مدة كونه صلى الله عليه وآله بالمدينة وهى عشر سنين كما مر ومدة المتغلبين
على الخلافة وهى خمس وعشرون سنة فتلك خمس وثلثون فان مدة خلافة الاول كانت
سنتين وستة اشهر ومدة خلافة الثانى عشر سنين وستة اشهر ومدة خلافة الثالث
احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا فهذه خمس وعشرون سنة تعطلت فيها رحى الاسلام

اذ لم يكن لها قطب تدور عليه والى ذلك اشار امير المومنين عليه السلام بقوله في الخطبة الشقشقية
والله فقد تقمصها ابن ابي قحافة وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى قوله فلبث
بذلك حتى انقضى مدة خلافة امير المومنين صلوات الله عليه حيث رجع الحق الى نصابه واستقر
الامر في مستقره واستوت رحى الاسلام على قطبها وفي معنى هذا الحديث ما رواه ثقة
الاسلام باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى وحسبوا الا تكون فتنة قال حيث
كان النبي صلعم بين اظهرهم فعموا وصموا حيث قبض صلى الله عليه وآله ثم تاب الله عليهم
حيث قام امير المومنين عليه السلام قال ثم عموا وصموا الى الساعة قوله ثم لا بد اي لا محيد
ولا محالة ولا يعرف استعماله الا مقرونا بالنفي قال الزمخشري هو افعل من التبديد وهو التفريق
ومعنى لا بد انك تفعل كذا لا بعد لك من فعله قوله من دحض الله هي فائتة على قطبها
قطب الرحى على زن فعل سمارها الذي عليه يدور وهذا اشارة الى ملك بني امية
الذين اولهم معوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان بن محمد بن مروان المنسوب بالحمار وكانوا
اربعة عشر رجلا واليهم اشار امير المومنين عليه السلام بقوله في نهج البلاغة والله لا يزالون
حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله
ظلمهم ونبا به سوء رعيتهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه
قوله ثم ملك الفراعنة جمع فرعون وهو اعجمي قيل وزنه فعلول وقيل فعلون كان هو
اسم التمساح بلغة القبط ولقب به ثلاثة من ملوك مصر وهم فرعون الخليل واسمه سنان
وفرعون يوسف واسمه الريان بن الوليد وفرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب
وقيل هو لقب كل من ملك مصر ويلقب به كل عات متمرد ويقال منه تفرعن اذا
تخلق باخلاق الفراعنة وملك مرفوع على انه فاعل الفعل محذوف اي ثم يكون ملك
الفراعنة او على انه مبتدا محذوف الخبر اي ثم ملك الفراعنة كائن وهذا
اشارة الى ملك بني العباس [illegible] اولهم عبد الله السفاح بن محمد بن علي بن عبد الله بن

٤١

العباس وآخرهم ابو احمد عبد الله المستعصم بن ابي جعفر منصور المستنصر وكان عددهم
سبعة وثلثين رجلا وحدة ملكهم خمسمائة واربعا وعشرين سنة وكان انقضاء دولتهم
سنة ست وخمسين وستمائة وانما لقبهم بالفراعنة لما كانوا عليه من العتو والتمرد
والتفرعن روى ان سفيان الثوري قال يوما لجعفر بن يحيى وزير الرشيد يا هامان
فسمعها الرشيد فقال لجعفر والله ما جعلك هامان حتى جعلني فرعون قال في انزل
الصحيح ذلك انا انزلناه في ليلة القدر وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر
خير من الف شهر يملكها بنو امية ليس فيها ليلة القدر قال فاطلع الله تعالى نبيه
عليه السلام ان بني امية تملك سلطانه وملكها منه الله مضمون هذا الحديث ورد من طريق
العامة ايضا قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير روى القاسم بن الفضل عن عيسى بن
مازن قال قلت للحسن يا مسود وجوه المومنين عمدت الى هذا الرجل فبايعت له يعني
معوية فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله اري في منامه بني امية يطأون منبره
واحدا بعد واحد وفي رواية ينزون على منبره نزو القردة فشق ذلك عليه فانزل الله
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر الى قوله خير من الف شهر يعني ملك بني امية قال
القاسم فحسبنا ملك بني امية فاذا هو الف شهر لا يزيد ولا ينقص انتهى وقال ابن
الاثير في جامع الاصول وقد جاء في متن الحديث ان مدة ولاية بني امية كانت الف
شهر وانها هي التي اراد الله تعالى بقوله ليلة القدر خير من الف شهر والف شهر هي ثلث
وثمانون سنة واربعة اشهر وكان اول استقلال بني امية وانفرادهم بالامر منذ بعد
الحسن بن علي عليهما السلم معوية بن ابي سفيان وذلك على راس اربعين سنة من الهجرة
وكان انقضاء دولتهم على يد ابي مسلم الخراساني في سنة اثنين وثلاثين ومائة وذلك
اثنان وتسعون سنة تسقط منها خلافة عبد الله بن الزبير وهي ثمان سنين و
ثمانية اشهر تبقى ثلث وثمانون سنة واربعة اشهر وهي الف شهر وكذلك قال في الحد

تحسبناها فلم تزد ولم تنقص انتهى قال الفخر الرازي طعن القاضي في هذا الوجه فقال ما ذكر من
الف شهر ليس في ايام بني امية لانه تعالى لا يذكر فضلها بذكر الف شهر مذمومة وايام بني
امية مذمومة قال في هذا الطعن باطل لان ايام بني امية كانت اياما عظيمة بحسب
العادات الدنيوية فلا يمتنع ان يقول الله تعالى اعطيتك ليلة هي في السعادات الدينية
افضل من تلك الايام في السعادات الدنيوية انتهى قوله انا انزلناه في ليلة القدر ضمير
في انزلناه للقرآن نوه بشانه باضماره من غير ذكر شهادة له بغاية شهرته ونباهته المغنية
عن التصريح حتى كانه حاضر في جميع الاذهان كما عظمه باسناد انزاله الى نون العظمة المنبئ
عن كمال العناية به وفخم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادريك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة
على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها الا علام الغيوب والمراد انزاله
كله فيها الى السماء الدنيا على السفرة او الى اللوح المحفوظ ثم نزل به الروح الامين الى النبي صلى الله
عليه وآله نجوما في مدة ثلث وعشرين سنة قوله وما ادريك ما ليلة القدر ما الاولى مبتدأ
وادريك خبره والثانية خبر قدم للزوم الصدارة لتضمنه الاستفهام وليلة القدر
مبتدأ لا بالعكس كما هو راي سيبويه لان مناط الافادة بيان ان ليلة القدر
امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا ان امرا بديعا ليلة القدر كما يفيده كونها
مبتدأ وكون ليلة القدر خبرا والاصل ما هي فوضع الظاهر موضع الضمير
لكونه ادخل في التفخيم والمعنى اي شيء اعلمك ما ليلة القدر تعجيبا للسامع
من شانها في الفخامة والشرف ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقين
على معنى ان اعظم شانها ومدى شرفها لا يكاد تبلغه دراية احد ولا وهمه
والجملة في محل نصب بنزع الخافض لان ادري يتعدى الى المفعول الثاني
بالباء كقوله تعالى ولا ادريكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة
له كانت في موضع المفعول الثاني والله اعلم قوله ليلة القدر خير من الف

٤٢

شهر اظهر ليلة القدر هنا ايضا ولم يضمرها تاكيدا للتفخيم وتحقيقا للتعظيم
والجملة استيناف سيق لبيان فضلها وشرفها وقع جوابا عن استفهام
نشأ عما قبله كانه قيل ما هي اي اي شيء في حالها وصفتها فان ما وان كانت
موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم لكنها قد يطلب بها الصفة والحال
تقول ما زيد فيقال كاتب او شاعر فقيل ليلة القدر خير من الف شهر
فبين فضلها وشرفها وسنستوفي الكلام على ما يتعلق بليلة القدر
في دعاء دخول شهر رمضان انشاء الله تعالى قوله ليس فيها ليلة القدر
جملة نعتية لالف شهر او حالية اي خير من الف شهر حال كونها خالية من ليلة
القدر قال بعضهم يحتمل ان المراد انه ليس في تلك الشهور ليلة القدر و
ان الله تعالى رفعها او انها خير منها ما عدا ليلة القدر والاول اقرب الى اللفظ والثاني
اقرب باعتبار ما دل من الاحاديث على وجودها في زمن كل امام انتهى وقيل معناه ليس
لبني امية فيها ليلة القدر لاختصاصها برسول الله صلى الله عليه وآله وباهل بيته
من بعده بنزول الامر لهم فيها وبشيعتهم بتضاعف حسناتهم فيها انتهى قلت ويؤيده
ما روي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام انه قال وايم الله من صدق بليلة القدر
ليعلم انها لنا خاصة قوله تملك سلطان هذه الامة ملكها السلطان بمعنى الولاية
والسلطنة ويطلق على الشخص صاحب الولاية واشتقاقه من التسليط بمعنى الكدم
لاضاءته وظهوره والامة اتباع النبي والجمع امم مثل غرفة وغرف والملك
بالضم اسم من ملك على الناس امرهم اذا تولى السلطنة عليهم فهو ملك بكسر اللام
ويخفف بالسكون والمدة بالضم البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير
فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى ياذن الله بزوال ملكهم الفاء سببية اي
فبسبب ذلك لو طاولتهم الجبال الى آخره والمطاولة مفاعلة من الطول بالضم

وهو الامتداد ولما كانت الجبال يضرب بها المثل في الطول كما قال تعالى انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا وقال امير المومنين عليه السلام في وصفها
والجبال ذات الطول المشفوية فلا اطول في لا اعرض ولا اعلى ولا اعظم منها او لو استنع
شيء بطول وعرض او قوة او عن لا متنع جعل طول لهم عليها الوطال لدولتهم كناية عن
كمال اقتدارهم وشدة تسلطهم وغلبتهم على من يغالبهم في تلك المدة وعدي طالوا بعلى
مع ان المعروف طاولني فطلته لتضمينه معنى ظهروا او قدروا اي لطالوا ظاهرين
او قادرين عليها واما ما قاله بعض طلبة البحرين المطاولة هنا من الطول بالفتح و
هو الغنى والثروة والسعة يعني ان ثروة بني امية وغنائهم بحب الدنيا كان اكثر
من ثروة الجبال وغناها اي من الثروة والغنى الذين يحصلان لاصحاب المعادن
النفيسة الواقعة في الجبال من الفلزات والجواهر انتهى فلا يخفى بعده وسخافته
قوله حتى يأذن الله بزوال ملكهم اي حتى يريده او حتى يأمر به على تفسير الاذن با
لارادة او بالامر وصدق هذا الكلام ظاهر فانه لم يخرج عليهم خارج ولا قام لا
زالة ملكهم قائم الا وظفروا عليه وقهروه حتى اراد الله زوال ملكهم فاختلفت
كلمتهم وتضعضع امرهم فزالت دولتهم وذهبت كما واشتدت به الريح في يوم عاصف
وفي كلام امير المومنين عليه السلام ان لبني امية مرودا يجرون فيه ولو قد اختلفوا
بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال
والانظار وشبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه الى الغاية فاذا بلغوا
منقطعها انقطع نظامهم وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا اهل البيت وبغضنا اخص
نسبته بالياء اي اهل بيت محمد واهل مودتهم وشيعتهم منهم في ذلك اي في المذكور مدة ملكهم — في ايامهم وملكهم
يستشعرون عداوتنا اي يجعلونها شعارا لهم وهو ما يلي الجسد وبلا صقه من الثياب الذي
لا يتنزع الا ان يتنزع ما فوقه من الدثار كانهم جعلوا عداوتهم لاصقة بهم ولازمة لهم وهو

الشعار

الشعار بمعنى العلامة اي يجعلونها علامة لهم او بمعنى يضمرون عداوتنا في قلوبهم
استشعر فلان خوفا اي اضمره قوله اهل البيت المنصوب على الاختصاص وهو مفعول
به ناصبه لفظ اخص محذوفا وجوبا حملا له على المنادى لشبهه له في الجملة قوله و
٤٣ شيعتهم شيعة الرجل بالكسر اتباعه وانصاره وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة
وتطلق على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وقد غلب هذا الاسم على من يتولى
عليا واهل بيته عليهم السلام حتى صار اسما لهم خاصا فاذا قيل فلان من الشيعة عرف انه
منهم وفي مذهب الشيعة اي مذهبهم ومصداق هذا الخبر ما روي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر
عليهما السلام انه قال من جملة حديث لم نزل اهل البيت نستذل ونستضام ونقصى ونمتهن
ونحرم ونقتل ونخاف ولا نامن على دمائنا ودماء اوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون
لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به الى اوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل
بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله
ليبغضونا الى الناس وكان عظم ذلك وكبره في زمن معوية بعد موت الحسن عليه السلام
فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الايدي والارجل على الظنة من ذكر حبنا والانقطاع
الينا سجن او نهب ماله او هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد الله
بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة واخذهم بكل ظنة حتى ان
الرجل ليقال له زنديق او كافر احب اليه من ان يقال له شيعة علي انتهى وروى ابو الحسن علي
بن محمد بن ابي سيف المدائني في كتاب الاحداث قال كتب معوية نسخة واحدة الى عماله
بعد عام الجماعة ان برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل ابي تراب واهل بيته فقامت
الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا عليه السلام ويبرؤن منه ويقعون فيه
وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من الشيعة
فاستعمل عليهم زياد بن سمية وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام علي عليه السلام فقتلهم

تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وشردهم
عن العراق فلم يبق بها معروف ثم كتب الى عماله نسخة واحدة الى جميع البلدان انظروا من قامت
عليه البينة انه يحب عليا واهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطاءه ورزقه وشفع
ذلك بنسخة اخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره فلم يكن البلاء
اشد ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما بالكوفة حتى ان الرجل من الشيعة ليأتيه من يثق به
فيدخل بيته فيلقى اليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى ياخذ عليه الايمان
الغليظة ليكتمن عليه فلم يزل الامر كذلك حتى مات الحسن بن علي عليهما السلام فازداد البلاء والفتنة
فلم يبق احد من هذا القبيل الا خائف على دمه او طريد في الارض ثم تفاقم الامر بعد قتل
الحسين عليه السلام وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة وولي عليهم الحجاج بن يوسف
فتعمل الفواقر والدواهي وتقرب اليه اهل النسك والصلاح ببغض علي واهل بيته عليهم السلام
وموالاة اعدائهم حتى ان انسانا وقف له ويقال انه جد الاصمعي عبد الملك بن قريب فصاح
به ايها الامير ان اهلي عقوني فسموني عليا واني فقير بائس وانا الى صلة الامير محتاج فتضاحك
له الحجاج وقال للطف ما توسلت به قد وليتك موضع كذا انتهى ملخصا قال الله تعالى
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار
الم تر الهمزة للتقرير ومعناه حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بامر قد استقر عنده ثبوته او
نفيه وهو هنا تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من حالهم
وشانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية البصرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ في
الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشياع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع
قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن ممن راهم وسمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في
مقام التعجب لانه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه
بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجرى الكلام معه كما يجرى مع الرائي قصدا الى المبالغة

فى شهرته

في شهرته وغرابته في التعجب وتعدية الرؤية بالى على تقدير كونها بمعنى العلم لتضمين معنى
الانتهاء وانهما على معنى المرتبة علمك اليهم وعلى هذا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وآله
لم يعرف هذه القصة الا بهذه الآية ويجوز ان يقال كان العلم بها سابقا على نزول الآية ثم انه
تعالى انزل الآية على وفق ذلك قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته بان وضعوا مواضعه كفرا
عظيما لان التنكير للتعظيم او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا بها سلبوها فصاروا تاركين
بها كفروا واحلوا اي انزلوا قومهم الذين شايعوهم على الكفر بحملهم عليه وعدم التعرض لحلولهم لدلالة
سياق احلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار الهلاك
الذي لا هلاك وراءه وجهنم عطف بيان لدار البوار وفي الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل
ويصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها يقال صلى النار وبها صليا
من باب تعب اذا وجد حرها وهي استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسرة لفعل يقدر ناصبا
لجهنم وبئس القرار على حذف المخصوص بالذم اي وبئس المقر جهنم فيكون القرار
مصدرا سمي به او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم على وجه
الدوام والاستمرار نعمة الله محمد واهل بيته حبهم ايمان يدخل الجنة وبغضهم كفر و
نفاق يدخل النار هذا تفسير للنعمة المذكورة في الآية والنعمة بالكسر في الاصل الحالة التي
يستلذ بها الانسان من النعمة بالفتح وهي اللين ثم اطلقت لغة على ما يستلذه الانسان
من طيبات الدنيا وعرفا على المنفعة المقصود بها الاحسان واعلم ان نعم الله تعالى
وان كان احصاؤها مستحيلا كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين
دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ
الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل
الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي كتخلية النفس عن الرذائل وتحليتها

بالفضائل من الاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى
الرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضا عنه ومثوبته في اعلى عليين
مع الملائكة المقربين ابد الابدين فكل من الحسنيين اعنى الدنيوي والاخروي اصل فاصل الدنيوي
الوجود والحيوة المستتبع لكل المنافع واصل الاخروي الايمان المستلزم لجميع الخيرات والسعادات
اذا عرفت ذلك فمحمد واهل بيته عليهم السلام سبب لكل واحد من هذين الاصلين اما الاخروي
الذي هو الايمان فظاهر واما الدنيوي الذي هو الوجود فلانهم السبب في وجود الخلق لان
الارض وما فيها انما خلقت لاجلهم وهم غاية ذاتية لخلقها كما ورد عنه عليه السلام انه قال
لولانا وانت يا علي ما خلق الله الخلق وبيان ذلك اجمالا انه تعالى جعل كل ما هو اشرف و
اعلى في الموجودات سببا كماليا وعلة غائية لما هو اخس وادنى فخلق الارض للنبات
والنبات للحيوان والحيوان للانسان كما قال تعالى مخاطبا للانسان وخلق لكم ما في الارض
جميعا واخر درجة الانسان الذي هو غاية هذه الاكوان هو الانسان الكامل الذي هو
سلطان العالم الارضي وخليفة الله في الارض وهو محمد صلى الله عليه واله وبعده
اهل بيته من الائمة المعصومين عليهم السلام واحدا بعد واحد ولذلك ورد عنهم
عليهم السلام لو بقيت الارض بغير امام لساخت انها انما خلقت لاجله وكل ما خلق لاجله
شيء فمتى لم يكن ذلك الشيء فظهر ان محمدا واهل بيته صلوات الله عليهم نعمة الله
التي لا يوازيها شيء من نعمه لانها اصل نعمة وسبب كل احسان ثم ان حبهم ايمان لان الحب ميل
القلب الى ما يلائمه وهو اما لحسنه في الظاهر كالصور الجميلة او في الباطن كحسن اطوار
الصالحين وشرافة نفوسهم او لاحسانه لجلب نفع او دفع ضر كاحسان الناس الى بعض
او لاعظامه كاعظام الولد والده او للاشفاق عليه بحسب الجبلة والمشاكلة كاشفاق
الوالد على ولده وقد اجتمع جميع هذه الاسباب فيهم عليهم السلام لما فيهم من حسن الظاهر
والباطن واحسانهم بالهداية والشفاعة وعظم شانهم وانا فرع لهم على كل محسن ووالد

ووالده فكان حبهم على اكمل وجوه المحبة واتمها ومن احبهم على هذا الوجه كان مؤمنا حقا
لان الايمان هو التصديق بما جاء به الرسول عليه السلام من معرفة الله وملائكته وكتبه
ورسله وخلافة الائمة من اهل بيته واليوم الاخر وحبهم يستلزم الايمان بجميع ذلك
فكان ايمانا بل فوق الايمان لان من محبتهم التمسك بطريقتهم والاقتداء باخلاقهم وافعالهم
والوقوف عند حدودهم ونصرة والذب عن سنتهم وبذل النفس والمال دون محبتهم
واعانة اهل ملتهم وبالجملة فالحسنات كلها منوطة بحبهم والولاية لهم والسيئات جميعها
ترجع الى بغضهم وانكار ولايتهم قوله يدخل الجنة جملة خبرية من باب تعدد الاخبار
على راي من جوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله فاذا هي حية تسعى والضمير في يدخل
راجع الى حبهم او نعتية للايمان فيكون وصفه بذلك مع العلم بان الايمان يدخل
الجنة لقصد المدح او لبيان ان الايمان الذي يدخل الجنة لا انه طاعة من الطاعات
على ما ذهب اليه بعضهم من ان كل طاعة ايمان او استينافية لبيان الايمان واسناد
الادخال الى حبهم او الى الايمان مجاز حكمي من باب الاسناد الى السبب وكذا قوله
يدخل النار قوله وبغضهم كفر ونفاق البغض بالضم اسم من ابغضته ابغاضا ضد
حببته والكفر عدم الاعتقاد بجميع ما جاء به الرسول عليه السلام او ببعضه مأخوذ
من كفر الشيء اذا غطاه وستره لانه تغطية للحق وستر له والنفاق اظهار الاسلام
واضمار خلافه وهو اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه بهذا المعنى قبل الاسلام
واشتقاقه اما من نفقت الدابة نفوقا من باب قعد اذا ماتت لان المنافق بنفاقه
بمنزلة الميت الهالك او من نفقت السلعة اذا راجت وكثر طلابها لان المنافق
يروج اسلامه ظاهرا ويخفي كفره باطنا او من النفق بفتحتين وهو سرب في
الارض يكون له مخرج من موضع اخر لان المنافق يستر كفره كما يستتر السالك في السرب
نفسه او من النافقاء وهي احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وذلك ان له

جحرتين يقال لاحدیهما النافقاء وللاخرى القاصعاء فاذا اتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء براسه وخرج منها وناقق اليربوع اخذ في نافقائه ومنه تشبيه المنافق باليربوع لانه يخرج من الاسلام من غير الوجه الذي دخل فيه وانما حكم بان بغضهم كفر ونفاق لانه ان اظهره واعلن به كان كفرا وان اضمره كان نفاقا ويحتمل ان يكون الكفر راجعا الى بغض محمد صلى الله عليه واله لان من ابغضه فقد انكر رسالته ومن انكرها فلا اسلام له فضلا عن الايمان والنفاق راجعا الى بغض اهل بيته لان من ابغضهم فقد اضمر الكفر وان اظهر الاسلام وجرى عليه احكام المسلمين لان الاسلام يجامع النفاق فما نقل عن سيد المرتضى رضي الله عنه انه حكم بكفر ما سوى الشيعة الاثني عشرية ليس بذلك الا ان يأول كلامه بان مراده بالكفر كفر الباطن ان مناط الخلود في النار والحكم بان بغضهم عليهم السلام نفاق حكم من النبي صلى الله عليه واله اخرج مسلم في صحيحه عن علي عليه السلام قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي ان لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق واخرج الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا عليه السلام قوله يدخل النار من بغضهم لا ايمان له ومن لا ايمان له فماواه النار وبيانه ان بغضهم انكار للنبوة والامامة والايمان انما يتحقق باعتقادهما ومن انكرهما او احديهما فلا ايمان له ومن لا ايمان له فهو كافر ظاهرا او باطنا والكافر في النار **تتمة** ما ذكره عليه السلام من ان الاية نزلت في بني امية وردت به روايات اخرى من طريق العامة والخاصة اما من طريق العامة فاخرج البخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هما الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فقد كفيتموهم في يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واخرج ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني في الاوسط والحاكم وصححه وابن مردويه من طريق علي بن ابي طالب عليه السلام في قوله تعالى

الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هما الافجران من قريش بنو امية وبنو المغيرة فاما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واخرج ابن مردويه عن علي عليه السلام انه سئل عن الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال بنو امية وبنو مخزوم رهط ابي جهل ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الدر المنثور واما من طريق الخاصة فروى علي بن ابراهيم عن ابيه عن محمد بن عمير عن عثمان بن عيسى عن ابي عبد الله عليه السلام قال سالته عن قول الله عز وجل الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال نزلت في الافجرين بني امية وبني المغيرة فاما بنو المغيرة فقطع الله دابرهم يوم بدر وبنو امية فمتعوا الى حين ثم قال ونحن والله نعمة الله التي انعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز **فاسر رسول الله صلعم ذلك الى علي واهل بيته** اسر اليه اي اخبره سرا فقال اسررت الحديث اسرارا يتعدى بنفسه لانه بمعنى اخفيته واما قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة فالمفعول محذوف والتقدير تسرون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه واله بسبب المودة التي بينكم وبينهم مثل قوله تلقون اليهم بالمودة ويجوز ان تكون الباء زائدة للتاكيد مثل اخذت الخطام واخذت به ويقال اسررته بمعنى اظهرته فهو من الاضداد وروي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي الي ان الامة ستغدر بك من بعدي **قال ثم قال ابو عبد الله عليه السلام ما خرج ولا يخرج منا اهل البيت الى قيام قائمنا احد ليدفع ظلما او ينعش حقا الا اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا** قوله ما خرج ولا يخرج المراد بالخروج هنا القيام بالسيف وسمي خروجا لان صاحبه يخرج عن مكانه للحرب في اهل البيت منصوب على الاختصاص كما مر قوله الى قيام قائمنا اي جمهور الامة على قيام قائم من اهل البيت من اولاد فاطمة عليها السلام يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وهو مهدي اخر الزمان لما تواترت به الاخبار عن النبي المختار واهل بيته الاطهار من طريق الخاصة

والعامة وهي من الكثرة من كلا الطريقين بحيث لا تكاد تحصى ولم يخالف في ذلك
الا شرذمة قليلون وهم فرقتان فرقة انكرت ذلك جملة ولم يلتفت الى قولها
احد من العلماء وفرقة زعمت ان المهدي هو عيسى بن مريم عليهما السلام لحديث رواه محمد
بن خالد الجندي عن ابان بن ابي عياش عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لا
مهدي الا عيسى بن مريم قال المحدثون من العامة ان حديث منكر وممن صرح بكونه
منكرا الامام ابو عبد الرحمن النسائي وحكى الحافظ ابو بكر البيهقي عن شيخه الحاكم النيسابوري
انه قال الجندي مجهول وابن ابي عياش متروك وهذا الحديث بهذا الاسناد منقطع انتهى
واما الكربية والكيسانية القائلون بانه محمد بن الحنفية فبطلان قولهم واضح
ويكون شاهدا على بطلانه انقراضهم منذ العصر الاول حتى لم يبق في الدنيا من يقول
بقولهم ولو كان حقا لما جاز انقراضه واختلف الجمهور القائلون بانه فاطمي فقالت
الاشاعرة والمعتزلة انه رجل من اولاد فاطمة سيوجد في اخر الزمان وانه غير
موجود الان وقالت الامامية الاثنا عشرية انه محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن
علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام لما
ثبت عندهم من نقل ثقاتهم عن ائمتهم عليهم السلام قال الشيخ المفيد في كتاب الارشاد
كان الامام بعد ابي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام ابنه المسمى باسم رسول الله
المكنى بكنيته ولم يخلف ابوه ولدا ظاهرا ولا باطنا غيره وخلفه ابوه غائبا مستترا
وكان مولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وامه ام ولد
يقال لها نرجس وكان سنه عند وفاة ابيه خمس سنين اتاه الله الحكمة وفصل
الخطاب وجعله اية للعالمين واتاه الحكمة كما اتاها يحيى صبيا وجعله اماما في حال الطفولية
الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم عليهما السلام في المهد نبيا وقد سبق النص عليه في ملة
الاسلام من نبي الهدى عليه السلام ثم من امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه

ونص

٤٠٧

ونص عليه الائمة عليهم السلام واحدا بعد واحد الى ابيه الحسن ونص عليه ابوه عند ثقاته
وخاصة شيعته وكان الخبر بغيبته ثابتا قبل وجوده وبدولته مستفيضا قبل غيبته
وهو صاحب السيف من ائمة الهدى والقائم بالحق المنتظر لدولة الايمان وله قبل قيامه
غيبتان احديهما اطول من الاخرى كما جاءت بذلك الاخبار اما القصرى فمنذ وقت مولده
الى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة واما الطولى فهو بعد
الاولى وفي اخرها يقوم بالسيف انتهى قلت وانقطعت السفارة بموت ابي الحسن علي
بن محمد السمري وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وقيل في النصف من شعبان سنة ثمان
وعشرين وثلثمائة رحمه الله تعالى ووافق الامامية الاثنى عشرية من الاشاعرة على ذلك
الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي وكان من اعيانهم ورؤسائهم والشيخ ابو عبد الله محمد
بن يوسف الكنجي الشافعي والشيخ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي ومن
الصوفية الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الوهاب الشعراني فقد نص عليه في
اليواقيت والجواهر الكبرى باسمه ونسبه المذكور قوله او نعيش حقا اي نبقيه يقال نعشه الله
كمنعه وانعشه الى اقامه وانكر الجوهري انعش وصحح غيره والمراد بدفع الظلم ونعش الحق
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله اصطلته البلية الاصطلام افتعال من الصلم
وهو القطع لمستاصل يقال صلم اذنه واصطلمها اذا استاصلها قطعا واصل اصطلم اصتلم
بالتاء فقلبت طاء اذ لو بقيت لادى اما الى ادغامها والصاد لا تدغم في التاء لما فيها
من الاطباق الذي يفوت بالادغام واما الى اظهارها فيعسر النطق بها وهذا مطرد في
تاء افتعل اذا كانت فاؤه احدى الحروف المطبقة وقد يقلب الثاني الى الاول فيدغم
فيه فيقال اصلم واصبر وهو شاذ والحروف المطبقة الصاد والطاء والظاء والبلية المحنة
قوله وشيعتنا بالخفض عطف على ضمير المتكلم مع غيره المخفوض بالاضافة في مكرو هنا
وفيه شاهد على جواز العطف على الضمير المخفوض من دون اعادة الخافض وهو مذهب

الكوفيين قاطبة ويونس والاخفش من البصريين خلافا للباقين وصححه ابن مالك وابو حيان
لثبوته في فصيح الكلام وفي عدم اعادة الخافض هنا نكتة لطيفة وهي الاشعار بان مكروههم
عليهم السلام ومكروه شيعتهم واحد وان المكروه مشترك بينهما الا ترى ان ائمة العربية
نصوا على ان الخافض اذا كان اسما الا يعاد على المعطوف على ضمير مجرور الا اذا لم تشك انه
لم يقصد الا هذا الغرض من العطف وانه لا معنى له غير ذلك نحو بينك وبين زيد اذ لا يمكن
ان يكون هناك بينان واما اذا التبس نحو جاءني غلامك وغلام زيد وانت تريد غلام واحدا
مشتركا بينهما فالتحرير ورد في معنى هذا الخبر اخبار اخرى فروى ثقة الاسلام في كتاب الروضة
باسناده عن علي بن الحسين عليهما السلام انه قال والله لا يخرج منا واحد قبل خروج القائم
الا كان مثله مثل فرخ طار من وكره قبل ان يستوي جناحاه فاخذه الصبيان فعبثوا به
تنبيه دل كلامه عليه السلام من رواية رويا النبي صلى الله عليه وآله الى هنا انه انما كف هو و
ابوه عليهما السلام عن الخروج للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنعا الناس عنه لتخلف اقوى
شرائطه وهو التمكن وان لا يكون على الامر والناهي ولا على احد من المؤمنين بسببه مفسدة
فلو ظن توجه الضرر اليه او الى احد من المؤمنين بسببه سقط الوجوب بالاجماع فحيث ان
رسول الله صلى الله عليه وآله اخبر بان بني امية يملكون سلطان هذه الامة هذه المدة
ثم ملك الفراعنة واخباره عليه السلام لا خلف فيه فتحقق عدم التمكن وتوجه الضرر اليهما
والى شيعتهما لو قاما بذلك فهذا وجه دعوتهما الناس الى الخبوة لا ما توهمه يحيى بن زيد كما
سبقت الاشارة اليه وهذا بعينه جواب الحسن بن علي عليهما السلام لمن لامه على صلح معوية
وترك دعوى الخلافة له كما تقدم وروى ابو الفرج الاصبهاني باسناده الى سفيان بن ابي
ليلى قال اتيت الحسن بن علي عليهما السلام حين بايع معوية في جدة بفناء داره وعنده
رهط فقلت السلام عليك يا مذل المؤمنين قال وعليك السلام يا سفيان فنزلت وعقلت
واحلتي ثم اتيته فجلست اليه فقال كيف قلت يا سفيان قال قلت السلام عليك يا مذل المؤمنين

فقال ما

48

فقال ما جر هذا منك الينا فقلت انت والله بابي وامي اذللت رقابنا حين اعطيت هذا الطاغية
البيعة وسلمت الامر الى اللعين ابن اكلة الاكباد ومعك مائة الف كلهم يموتون دونك وقد جمع الله
عليك امر الناس فقال يا سفيان انا اهل بيت اذا علمنا الحق تمسكنا به فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول لا تذهب الايام والليالي حتى يجتمع امر هذه الامة على رجل واسع البلعوم ياكل
ولا يشبع لا ينظر الله اليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الارض ناصر وان لمعوية
والى عرفت ان الله بالغ امره قال بعضهم قوله ولا في الارض ناصر اي ناصر ديني يعني انه لا
يمكن لاحد ان ينتصر له بتاويل ديني اي يتكلف به عذرا لافعاله انتهى فتامل فان قلت فقد
كان الحسين عليه السلام عالما بذلك فكيف ساغ له الخروج حتى قتل عليه السلام قلت عن ذلك
جوابات احدهما انه كان معهودا اليه بذلك مامورا بالخروج مع العلم فان افعالهم عليهم السلام
كلها معهودة من الله تعالى كما دلت عليه الروايات عنهم عليهم السلام منها حديث الوصية وهو ما
رواه ثقة الاسلام باسناده عن معاذ بن كثير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الوصية
نزلت من السماء على محمد صلى الله عليه وآله كتابا لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم
الا الوصية فقال جبرئيل يا محمد هذه وصيتك في امتك عند اهل بيتك فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله اي اهل بيتي يا جبرئيل قال نجيب الله منهم وذريته ليرثك علم النبوة كما
ورثه ابراهيم عليه السلام وميراثه لعلي وذريتك من صلبه قال وكان عليها خواتيم قال ففتح
علي عليه السلام الخاتم الاول ومضى لما امر فيها ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثاني ومضى لما امر به
فيها فلما توفي الحسن عليه السلام ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها ان
قاتل فاقتل وتقتل واخرج باقوام للشهادة لا شهادة لهم الا معك قال ففعل فلما مضى دفعها
الى علي بن الحسين عليه السلام قبل ذلك ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها ان اصمت واطرق لما
حجب العلم فلما توفي ومضى دفعها الى محمد بن علي عليهما السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها
ان فسر كتاب الله وصدق اباك وورث ابنك واصطنع الامة وقم بحق الله وقل الحق في الخوف

حديث الوصية

الغرض

وللامن ولا تخش الا الله فنفعل ثم دفعها الى الذي يليه وقال قلت له جعلت فداك فانت
هو قال فقال ما الى الان تذهب يا معاذ فتزوى على هذا الحديث صريح النص بانهم
عليهم السلام لم يفعلوا امرا الا بعهد من الله تعالى فسقط الاعتراض الجواب الثاني ان
التكاليف الشرعية بالنسبة اليهم مقصورة على ما يعلمونه بالعلوم الظاهرة دون
العلوم الغيبية فالحسين عليه السلام لما ظهر له بذل الطاعة من اهل الكوفة وكاتبه وجوههم
واشرافهم وقواهم مرة بعد اخرى طائعين غير مكرهين ومبتدئين غير مجيبين
لم يسعه في الظاهر الا الخروج والقيام في اعلاء دين الله وكلمته الا تراه عليه السلام لما
بلغه قتل مسلم بن عقيل وخذلان اهل الكوفة هم بالرجوع فلم يمكن وكذلك كان حال الحسن
عليه السلام فانه نهض اولا الى حرب معوية في شيعته وسار الى لقائه مع علمه في الباطن بمصير الامر
اليه لكن لم يتم ذلك من عزمه حتى ظهر له خذلان اصحابه وتخوف اهوائهم وميل اكثرهم الى
معوية طمعا في دنياه وتفاقم الامر الى ان جلس له بعضهم في ساباط ظلم فطعنه بمعول اصاب فخذه
وشقه حتى وصل العظم فلما علم بالعلم الظاهر عدم تمكنه وتوجه الضرر اليه والى المؤمنين من
شيعته نزع الى الصلح وكف عن الجهاد وهكذا حال سائر الائمة عليهم السلام فانه لو وجدوا من
من يتمكنون بهم من الخروج لم يسعهم الا الخروج والقيام مع علمهم في الباطن بحقيقة الحال يدل على
ذلك ما رواه ثقة الاسلام باسناده الى سدير الصيرفي قال دخلت على ابي عبد الله عليه السلام
فقلت له والله ما يسعك القعود فقال ولم يا سدير قلت لكثرة مواليك وشيعتك و
انصارك والله لو كان لامير المؤمنين ما لك من الشيعة والانصار والموالي ما طمع فيه
تيم ولا عدي فقال يا سدير وكم عسى ان يكونوا قلت مائة الف قال مائة الف قلت
نعم ومائتي الف قلت نعم ونصف الدنيا قال فسكت عني ثم قال يخف عليك ان تبلغ
معنا الى ينبع قلت نعم فامر بحمار وبغل ان يسرجا فبادرت فركبت الحمار فقال يا سدير
ترى ان تؤثرني بالحمار قلت البغل ازين واصل قال الحمار ارفق بي فنزلت فركب الحمار وركبت

اصعي

البغل فمضينا فحانت الصلوة فقال يا سدير انزل بنا نصلي ثم قال هذه ارض سبخة لا تجوز
الصلوة فيها فسرنا حتى صرنا الى ارض حمراء ونظر الى غلام يرعى جداء فقال والله يا سدير لو
كان لي شيعة بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلوة
عطفت على الجداء فعددتها فاذا هي سبعة عشر وهذا الحديث صريح فيما ذكرنا وفي هذا
المعنى اخبار اخر لا نطول بذكرها وانما اختلفت اجوبتهم عليهم السلام في العدد لانهم يكلمون الناس
على قدر عقولهم ويجيبون كل سائل بما تقتضيه المصلحة في الجواب والله اعلم قال المتوكل بن عمير
ثم املى علي ابو عبد الله عليه السلام الادعية وهي خمس وسبعون بابا سقط عني منها
احد عشر بابا وحفظت منها نيفا وستين بابا املى الكتاب على الكاتب املاء القاه عليه فاملاه
املاء وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وفي القاموس امله قاله فكتب عنه وسقط سقوطا
من باب قعد وقع اي ذهب عن حفظي او ضاع مني والنيف بفتح النون وتشديد المثناة من تحت
مكسورة على وزن سيد وقد يخفف والتثقيل افصح وقال الازهري في التهذيب تخفيف
النيف لحن عند الفصحاء وهو بمعنى الزيادة من ناف الشيء ينوف نوفا اذا زاد يقال عشرة و
نيف وكل ما زاد على العقد فنيف حتى يبلغ العقد الثاني وقال ابو العباس المبرد الذي
حصلناه من اقاويل حذاق البصريين والكوفيين ان النيف من واحد الى ثلاث والبضع من
اربع الى تسع ولا يقال نيف الا بعد عقد نحو عشرة ونيف ومائة ونيف والف ونيف ثم
المذكور في نسخ الصحيفة انما هو اربعة وخمسون بابا ولعل الباقي سقطا من غيره من الرواة
ورايت على هامش نسخة ما نصه المذكور اربعة وخمسون سقط منها عشرة اخرى في
رواية علي النعلم والله اعلم وحدثنا ابو المفضل قال وحدثني محمد بن الحسن بن روزبه ابو بكر المدائني
نزيل الرحبة في داره ٥ هذا تحويل من اسناد الى اسناد آخر فالقائل وحدثنا هو ابو منصور
محمد العكبري المعدل المذكور في الاسناد الاول راويا عن ابي المفضل وهو محمد بن عبد الله
بن المطلب الشيباني الثاني المذكور والواو في قوله وحدثني كما يوجد في اكثر النسخ للعطف على

قوله في السند الاول حدثنا الشريف ابو عبد الله جعفر الحاكم ورو زبه بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الراء والباء الموحدة وبعدها هاء معرب روزبه بضم الراء المهملة وسكون الواو والزاي وكسر الباء الموحدة وبعدها هاء ساكنة وهي كلمة فارسية مركبة من روز بمعنى اليوم وبه بمعنى حسن اي حسن اليوم على قاعدتهم في تقديم المضاف اليه على المضاف وبهذا الاسم كان يسمى سلمان الفارسي رضي الله عنه قبل الاسلام وهو اسمه الذي سماه به ابواه نص على ذلك ابن بابويه وغيره والمدائني بفتح الميم والدال المهملة وكسر الياء المثناة من تحت وفي اخرها نون نسبة الى مداين كسرى قرب بغداد سميت بها لكبرها قال ابن السمعاني وهي بلدة قديمة مبنية على دجلة وكانت دار مملكة الاكاسرة على سبعة فراسخ من بغداد والرحبة بفتح الواو والحاء المهملتين وقيل بسكون الحاء المهملة والاولى اكثر البقعة المتسعة سميت بها مواضع منها رحبة مالك بن طوق على الفرات ومحلة بالكوفة وموضع ببغداد واذا اطلقت فالمراد بها الاولى قال ابن السمعاني هي بلدة من بلاد الجزيرة اخرجها علي او احد الشام والنسبة الى الجميع رحبي بالتحريك على ما في القاموس وجزم ابن السمعاني بان المنسوب الى المواضع ساكن الحاء والمنسوب الى رحبة بن زرعة وهي قبيلة من حمير محرك والراوي المذكور ليس له في كتب الرجال ذكر فهو مجهول وحمله بعضهم على محمد بن الحسين البزاني المكني بابي بكر الكاتب المذكور في رجال الطوسي في باب من لم يرو عن احدهم عليهم السلام وهو رجم بالغيب قوله في داره متعلق بحدثني وهو قيد يشعر بتحقيق الضبط **قال حدثني محمد بن احمد بن مسلم المطهري** نسبة الى احد اجداده وهو ايضا لا ذكر له في الرجال نعم في رجال الطوسي محمد بن احمد بن مطهر بغدادي ثوبني وفي الخلاصة بهذا العنوان ايضا من غير مدح ولا جرح قال بعضهم ولعله هو وليس ببعيد لما يدل عليه ياتي في طريق رواية الطوسي الصحيفة وقد ذكرناهما في اول الشرح **قال حدثني ابو عمير بن المتوكل البلخي عن ابيه المتوكل بن هرون قال لقيت يحيى**

بن زيد فذكر الحديث بتمامه الى رويا النبي صلى الله عليه وآله التي ذكرها جعفر بن محمد عن آبائه صلوات الله عليهم اجمعين قوله الى رويا النبي صلى الله عليه وآله ينبغي ان يكون ما بعد الى داخلا في حكم ما قبلها فتكون الرويا داخلة في الحديث المذكور بقرينة قوله فذكر الحديث بتمامه وقد قالوا اذا دلت قرينة على دخول ما بعد الى نحو قرات القرآن من اوله الى آخره او على خروجه نحو ثم اتموا الصيام الى الليل عمل بها والا فلا يدخل لان الاكثر مع عدم القرينة عدم الدخول فيجب الحمل عليه عند التردد وقيل يدخل بدون قرينة ان كان من الجنس وقيل مطلقا والاول هو الصحيح لما ذكرنا **وفي رواية المطهري ذكر الابواب** يعني تعدادها **وهي التحميد لله عز وجل** في القاموس التحميد حمد الله مرة بعد مرة وانه لحماد لله عز وجل ومنه محمد كانه حمد مرة بعد اخرى انتهى وقد يراد بالتحميد قول الحمد لله كما يراد بالتسبيح قول سبحان الله وبالتهليل قول لا اله الا الله وبالتكبير قول الله اكبر **والصلوة على محمد وآله والصلوة على حملة العرش والصلوة على مصدقي الرسل** اعلم ان قوله التحميد لله عز وجل والصلوة على محمد وآله الى آخر ذكر الابواب خبر لقوله وهي وليس هو من باب تعدد الخبر لمبتداء واحد كقوله تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد كما توهم بعضهم بل هو من باب تعدد الخبر لتعدد صاحبه نحو الزيدون فقيه وكاتب وشاعر لان هي ضمير راجع الى الابواب وهي متعددة **فان قلت** تعدد الخبر على هذا الوجه لا يجوز فيه الا العطف بالواو اجماعا **قلت** هو اما على تقدير الواو وان كان قليلا فقد حكى ابو زيد اكل خبزا لحما تمرا واما على الحكاية باسكون وقد وقع في رواية المطهري تعداد الابواب هكذا التحميد الصلوة الى آخره من غير تعداد فلما احب الراوي بذكر الابواب في رواية جعل لها مبتداء فقال وهي التحميد الصلوة الى الآخر **دعاؤه لنفسه وخاصته** خاصة الرجل من يخصه من اصحابه **دعاؤه عند**

الصبح والمساء عندهما لزمان الحضور اي وقت حضور الصبح والمساء دعاؤه في
المهمات جمع مهمة من اهمه الامر اذا احزنه واقلقه وفي النظر هنيه مجان وعلى تقدير
مضاف اي وقت المهمات او هي للتعليل اي لاجل المهمات دعاؤه في الاستعاذة
اي الاعتصام بالله تعالى من المكاره وسيء الاخلاق ومذام الافعال دعاؤه في
الاستغفار او طلب المغفرة من الله جل جلاله دعاؤه في اللجاء الى الله تعالى اللجاء بالتحريك
الاسم من الاعتصام ومنه الجأ امره الى الله اسنده دعاؤه بخواتم الخير جمع خاتمة
بمعنى العاقبة والباء للملابسة اي ملتبسا بطلب عواقب الخير كما يقال دعوت الله
بالمغفرة ويجوز ان تكون للسببية دعاؤه في الاعتراف وطلب التوبة اي في الاقرار
بالذنوب وطلب التوبة منها دعاؤه في طلب الحوائج جمع حاجة على غير
قياس كانهم جمعوا حائجة قال الجوهري وكان الاصمعي ينكره ويقول انه مولد و
انما انكره لخروجه عن القياس والا فهو كثير في كلام العرب دعاؤه في الظلامات
جمع ظلامة بالضم كثمامة وهي ما يطلبه المظلوم عند الظالم ومثلها المظلمة
بكسر اللام وفتح الميم دعاؤه عند المرض وهو حالة خارجة عن الطبع ضارة
بالفعل ويعلم من هذا ان الالام اعراض عن المرض دعاؤه في الاستقالة اي طلب
الاقالة من ذنوبه يعني التجاوز عنها والاستعاذة منه ومن كيده دعاؤه في — دعاؤه على الشيطان
المحذورات اي المخوفات اذا دفعت عنه دعاؤه في الاستسقاء اي طلب السقيا
عند الجدب دعاؤه في مكارم الاخلاق ومرضي الافعال اي في طلبها دعاؤه
اذا حزنه امر بالنون من الحزن وفي نسخة ابن ادريس حزبه بالموحدة بعد الزاي
اي نابه واشتد عليه دعاؤه عند الشدة والجهد وعسر الامور دعاؤه بالعافية
العافية اي سؤالها وشكرها دعاؤه لابويه اي ابيه وامه تغليبا للفظ
الاب لكونه اشرف دعاؤه لولده بفتحتين وبالحركات الثلاث في اوله مع

سكون

سكون ثانيه يطلق على الذكر والانثى والمثنى والمجموع دعاؤه لجيرانه واوليائه
جمع جار وهو المجاور في المسكن والمستجير والحليف والناصر واما الاولياء جمع — دعاؤه لاهل الثغور
ولي وهو المحب والنصير جمع ثغر وهو ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج
البلدان دعاؤه في التفزع الى الله تعالى اي الالتجاء اليه من فزع اليه اذا لجأ دعاؤه اذا
قتر عليه الرزق قتر بالبناء للمفعول بمعنى ضيق من قتر على عياله قترا وقتورا
من باب ضرب وقتل اي ضيق عليهم في النفقة دعاؤه في المعونة على قضاء الدين اي في طلب
المعونة وهي اسم من الاستعانة دعاؤه بالتوبة تاب من ذنبه توبة
توبة اذا اقلع عنه وعرفت بانها الرجوع الى الله تعالى بحل عقدة الاصرار عن القلب
ثم القيام بكل حقوق الرب دعاؤه في صلاة الليل اي بعد الفراغ منها كما
سيأتي في عنوان الدعاء دعاؤه في الاستخارة وهي سؤال الله تعالى ان يختار
خير الامرين دعاؤه اذا ابتلي او رأى مبتلى بفضيحة ابتلي بالبناء للمفعول اي امتحن دعاؤه
في الرضا بالقضاء الرضا لغة خلاف السخط وعرفا قيل رفع الاختيار وقيل
سكون النفس تحت مجاري القدر وقيل غير ذلك والقضاء لغة الحكم واصطلاحا
عبارة عن الحكم الالهي في اعيان الموجودات على ما هي عليه من الاحوال الجارية
من الازل الى الابد وستسمع في هذا المقام كلاما يزيدك اطلاعا عند شرح الدعاء
ان شاء الله تعالى دعاؤه اذا نظر الى السحاب والبرق وسمع صوت الرعد
دعاؤه في الشكر اذا اعترف بالتقصير عن تاديته دعاؤه في الاعتذار من
تبعات العباد ومن التقصير في حقوقهم وفي فكاك رقبته من النار دعاؤه في
طلب العفو والرحمة دعاؤه عند ذكر الموت او مجيء الميت دعاؤه
في طلب الستر والوقاية اي ستر ما يجب كتمه والوقاية من شره وما يلائمه كما يدل
عليه متن الدعاء دعاؤه عند ختم القرآن اي عند اتمامه تلاوة قال الزمخشري

فى الاساس ختم القرآن وكل عمل اداتمه ٤٢ دعاؤه فى التضرع الى الله تعالى هو غرة القمر والى ليلتين او الى ثلاث وسيأتى الكلام عليه مستوفى ان شاء الله تعالى ٤٣ دعاؤه اذا نظر الى الهلال اللام يحتمل ان يكون للتعليل اى لاى لاجل دخوله وان تكون بمعنى عند وتسمى لام الاختصاص نحو كتبته لغرة كذا ٤٤ دعاؤه لوداع شهر رمضان بفتح الواو من ودع وهو اسم من توديع المسافر كالسلام من التسليم ٤٥ دعاؤه للعيدين والجمعة اى عيد الفطر والاضحى وذلك اذا انصرف من الصلوة ٤٦ دعاؤه فى يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذى الحجة ٤٧ دعاؤه فى يوم الاضحى والجمعة يوم الاضحى بفتح الهمزة او لايام النحر ٤٨ دعاؤه فى دفع كيد الاعداء ورد باسهم ٤٩ دعاؤه فى الرهبة اى الخوف من الله تعالى ٥٠ دعاؤه فى التضرع والاستكانة اى الخضوع لله تعالى ٥١ دعاؤه فى الالحاح على الله تعالى اى المبالغة فى الدعاء والرغبة الى سبحانه ٥٢ دعاؤه فى التذلل لله عز وجل تذلل اى خضع وهو من الذل بالضم خلاف العز ٥٣ دعاؤه فى استكشاف الهموم اى طلب كشفها وازالتها ٥٤ دعاؤه للصدق ... هى اسم من الاضطرار بمعنى الاحتياج الى الشىء وتطلق على المشقة وهذا الدعاء والذى بعده غير موجودين فى نسخ الصحيفة فهما من جملة ما سقط عن الراوى ٥٥ دعاؤه عند النقطة بفتح النون والقاف محركة مصدر نقط من باب تعب وكرم نقطا ونقطة محركتين خلاف نام وما فى الابواب بلفظ ابى عبد الله الحسنى اى ما بقى بمعنى فضل من ترجمة كل باب مما لم يذكر فى هذا الفهرس فذكر فى عنوان كل دعاء من قوله وكان من دعائه عليه السلام الى آخره فهو بلفظ ابى عبد الله اى مروى بلفظه حال رواية الصحيفة عنه كما يدل عليه قوله حدثنا ابو عبد الله جعفر بن محمد الحسنى قال حدثنا عبد الله بن عمر بن خطاب الزيات قال حدثنى خالى على بن النعمان الاعلم قال حدثنى عمير بن متوكل الثقفى البلخى عن ابيه متوكل بن هرون قال لقيت يحيى بن زيد ... قال سألنى عن سيدى الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام

قال

٥٢

قال ابن خلكان لقب بالصادق لصدقه فى مقاله وكان سفيان الثورى اذا حدث عنه يقول سمعت ابا عبد الله جعفر بن محمد الصادق وكان والله ... كما سمى قال والحجر عندنا فى تسميته عليه السلام بالصادق ما رواه ابو خالد الكابلى قال كنت لعلى بن الحسين عليهما السلام من الامام بعدك قال محمد ابنى يبقر العلم بقرا ومن بعد محمد جعفر اسمه عند اهل السماء الصادق قال قلت كيف اسمه الصادق وكلكم الصادقون قال حدثنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال اذا ولد ابنى جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن ابى طالب فسموه الصادق فان الخامس من ولده الذى اسمه جعفر يدعى الامامة اجتراء على الله تعالى وكذبا عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفترى على الله ثم بكى زين العابدين عليه السلام فقال كانى بجعفر الكذاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش امر ولى الله والمغيب فى حفظ الله فكان كما ذكر انتهى وجعفر الكذاب هو اخو الامام ابو محمد الحسن العسكرى عليه السلام قال ابى على بن الحسين هو زين العابدين وسيد الزاهدين وقدوة المتقين وامام المؤمنين ابو الحسن وابو محمد على بن الحسين بن على بن ابى طالب عليهم السلام امه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى وقيل كان اسمها شهربانويه وفيه يقول ابو الاسود الدئلى

وان غلاما بين كسرى وهاشم لاكرم من نيطت عليه التمائم

ولد بالمدينة سنة ثمان وثلثين من الهجرة قبل وفاة جده امير المؤمنين عليه السلام بسنتين فبقى مع جده سنتين ومع عمه الحسن عليه السلام اثنتى عشرة سنة ومع ابيه الحسين عليه السلام ثلثا وعشرين سنة وبعد ابيه اربعا وثلثين سنة توفى بالمدينة سنة خمس وتسعين من الهجرة وله يومئذ سبع وخمسون سنة ودفن بالبقيع فى القبر الذى فيه عمه الحسن عليه السلام فى القبة التى فيها العباس

بن عبد المطلب كان يقال له ذو الثفنات جمع ثفنة بكسر الفاء وهي من الانسان الركبة
ومجتمع الساق والفخذان لطول السجود اثر في ثفناته قال الزهري ما رايت هاشميا
افضل من علي بن الحسين وعن ابي جعفر عليه السلام قال كان علي بن الحسين يصلي في اليوم و
الليلة الف ركعة وكانت الريح تميله بمنزلة السنبلة وكان اذا توضا للصلوة
يصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول تدرون
بين يدي من اريد ان اقوم وقال ابن عايشة سمعت اهل المدينة يقولون ما فقدنا
صدقة السر حتى مات علي بن الحسين عليهما السلام ولما مات عليه السلام وجردوه
للغسل جعلوا ينظرون الى اثار في ظهره فقالوا ما هذا قيل كان يحمل جربان الدقيق على
ظهره ليلا ويوصلها الى فقراء المدينة سرا وكان يقول ان صدقة السر تطفي غضب
الرب وعن علي بن ابراهيم عن ابيه قال حج علي بن الحسين عليهما السلام ماشيا فسار
من المدينة الى مكة عشرين يوما وليلة وعن زرارة بن اعين قال سمع سائل في
جوف الليل وهو يقول اين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الاخرة فهتف به
هاتف من ناحية البقيع يسمع صوته ولا يرى شخصه ذلك علي بن الحسين وعن طاوس
اني في الحجر ليلة اذ دخل علي بن الحسين فقلت دخل صالح من اهل بيت النبوة
لاسمعن دعاءه فسمعته يقول عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك
بفنائك قال فما دعوت بهن في كرب الا فرج عني وحكى الزمخشري في ربيع الابرار
انه لما وجه يزيد بن معوية مسلم بن عقبة لاستباحة اهل المدينة ضم علي بن
الحسين الى نفسه اربعمائة منافية يعولهن الى ان تقوض جيش مسلم
فقالت امراة منهن ما عشت والله بين ابوي مثل ذلك الشريف ان تستويدي
لماسبقنا اليه عيينا فاكون قد عققتها وقيل له كيف اصبحت فقال اصبحنا خائفين
برسول الله صلى الله عليه واله واصبح جميع الاسلام آمنين وكان يقال له آدم بني حسين.

لانه الذي

١

٥٢

لانه الذي تشعبت منه افنانهم وتفرعت عنه اغصانهم ومناقبه وفضائله اكثر
من ان تحصى قال الجاحظ في رسالة صنفها في فضايل بني هاشم واما علي بن الحسين
فلم ار الخارجي في امره الا كالشيعي ولم ار الشيعي الا كالمعتزلي ولم ار المعتزلي الا كالعامي
ولم ار العامي الا كالخاصي ولم ار احدا يتمارى في تفضيله ويشك في تقديمه
على ابي محمد بن علي عليهم اجمعين السلام متعلق بابي واجمعين تاكيد للضمير المجرور وفيه
شاهد على جواز التاكيد باجمع دون كل اخبارا اهلا فالمن منع ذلك والسلام في
الاصل السلامة يقال سلم يسلم سلاما وسلامة ومنه دار السلام للجنة لانها دار السلامة
من الافات والمراد الدعاء باعطاء السلامة اى التعرى من المكروه والافات والغالب
في كلامهم ان يقولوا للميت والغائب عليه السلام بتقديم الضمير وللحاضر السلام
عليك بتاخيره ووجهه ان المسلم على القوم يتوقع الجواب بان يقال له عليك السلام
فلما كانت الميت والغائب لا يتوقع منهما جواب جعلوا السلام عليهما كالجواب والله الهادي
الى سبيل الصواب • تم شرح اسناد الصحيفة الكاملة بعون
الله تعالى وعنايته الشاملة ولله الحمد و
رقمه مؤلفه عفا الله عنه
منه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وخلق الاشياء كلها ناطقة بحمده وشكره
والصلوة والسلام على نبيه محمد المشتق اسمه من المحمود وعلى آله الطاهرين اولي المحامد
والمكارم والجود وبعد فهذا شرح الدعاء الاول من ادعية صحيفة سيد العابدين
من الشرح المسمى برياض السالكين املاه راجي فضل ربه السني علي الصدر الحسيني

الحسينية قصر الله سبحانه كماله وكتبه حسنة في صحيفة اعماله آمين ه كان من دعائه
عليه السلام اذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه الواو للاستيناف ومعناه الابتداء
قال الخليل بن احمد في جمل الاعراب كل واو توردها في اول كلامك فهي واو استيناف ومن
ثبت قلت واو ابتداء انتهى وفي اعراب عبارة هذا العنوان وجهان احدهما ان يكون اسم
كان مقدرا وهو اما المصدر المدلول عليه بقوله اذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد
او الشان المفهوم من سياق الكلام اي كان من كيفية دعائه بدؤه بالتحميد او كان الشان
من شانه والثاني مجموع الجملتين من قوله اذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد بمعنى لذلك المقدر
ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه اي بدا لهم بمعنى لذلك
المقدر قال ابن هشام ولا يمنع من ان يكون اسمها الجملة قوله بدأ بالتحميد ومن دعائه
خبرها ونظيره قول الكوفيين ان جملة ليسجننه في الاية هو فاعل بدا مستندا على
مذهبهم من وقوع الجملة فاعلا لكن قال الدماميني ما اظن ان احدا من الكوفيين ولا
غيرهم ينازع في ان من خصائص الاسم كونه مسندا اليه فينبغي حمل كلامهم على معنى
ان المصدر المفهوم من الجملة هو الفاعل المسند اليه معنى وغايته ان التاويل هنا وقع
بغير واسطة حرف مصدري فهو كما يقول الجميع في نحو تسمع بالمعيدي خير من ان تراه من ان الجملة
وقعت مضافا اليه مع ان الاضافة من خصائص الاسم كالاسناد اليه لكن الجملة هنا عندهم
مؤولة بمفرد اي حين قيام زيد ولا بدع في هذه الاية وحدها مطردا في الاضافة وفي
باب التسوية نحو سواء علي اقمت ام قعدت اي قيامك وقعودك وفي لا تاكل السمك
وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل سمك مع شرب لبن فهم الحقوا ما وقعت فيه
الجملة فاعلا في الظاهر بتلك الابواب انتهى فعلى هذا فاسم كان وان وقع
في اللفظ جملة لكن من حيث تاويلها بمفرد هو المصدر المفهوم منها اي وان من
كيفية دعائه بدؤه بالحمد والثناء اذا ابتدأ بالدعاء تنبيه اذا في قوله اذا ابتدأ

منه كون القسم اثباتا الا ان المقسم عليه هنا
هو المعنى المتحصل من الجواب وذلك المعنى هو
٣
منه

بالدعاء

بالدعاء للاستمرار في الاحوال الماضية والحاضرة والمستقبلة اي كان هذا شانه
دائما وهي كثيرا ما تستعمل له كما يستعمل الفعل المضارع لذلك ومنه قوله تعالى و
اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم اي هذا شانهم ابدا تنبيه انما كان عليه السلام يبدأ بالتحميد لله
عز وجل والثناء عليه اقتداء بكتاب الله تعالى وعملا بما اشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله
كل امر ذي بال لم يبدأ فيه بالحمد لله تعالى وفي رواية بحمد الله تعالى فهو اقطع اي مقطوع
البركة ولما في كتاب امير المؤمنين عليه السلام يقول ان المدحة قبل المسئلة وروى
عن ابي عبد الله عم انه قال كل دعاء لا يكون قبله تحميد فهو ابتر انما التحميد ثم
الدعاء وعن ابي كهمس قال سمعت ابا عبد الله عم يقول دخل رجل المسجد فابتدأ
بالدعاء قبل الثناء على الله والصلوة على النبي صلى الله عليه وآله فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله عجل العبد ربه تتمة مهمة الدعاء بالضم والمد لغة النداء تقول
دعوت فلانا اذا ناديته وعرفا الرغبة الى الله تعالى وطلب الرحمة منه على وجه
الاستكانة والخضوع وقد يطلق على التحميد والتقديس لما فيه من التعرض
للطلب سئل عطاء عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله خير الدعاء دعائي ودعاء الانبياء
من قبلي وهو لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت
وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير وليس هذا دعاء انما هو تقديس
وتحميد فقال هذا امية ابن الصلت يقول في ابن جدعان اذا اثنى عليك
المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء افيعلم ابن جدعان ما يراد منه بالثناء
عليه ولا يعلم رب العالمين ما يراد منه بالثناء عليه اعلم ان الدعاء من معظم
ابواب العبادات واعظم ما يستعصم به من الافات وامتن ما يتوسل به الى
استنزال الخيرات ووجوبه وفضله معلوم من العقل والشرع لقوله تعالى

ادعوني استجب لكم وروى زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله عز وجل يقول ان
الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال هو الدعاء قلت ان ابراهيم
لاواه للدعاء والاخبار في فضله والترغيب فيه والحث عليه متواترة من طرق الخاصة
والعامة حتى صار شعار من ضروريات الدين وهو من شعار الصالحين وآداب الانبياء
والمرسلين بل من اجل مقامات الموحدين وافضل درجات السالكين لكونه
مشعرا بالذل والانكسار ومظهرا لصفة العجز والافتقار وهو لا ينافي القضاء ولا
يدافع الرضاء روى ميسر بن عبد العزيز عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال لي يا ميسر
ادع لا تقل ان الامر قد فرغ منه ان عند الله منزلة لا تنال الا بمسئلة ولو ان عبدا
سد فاه ولم يسئل لم يعط يا ميسر انه ليس من باب يقرع الا يوشك ان يفتح لصاحبه
فظهر من كلامهم شيئا ان الدعاء سببا من اسباب حصول المطلوب فكون الشيء متوقفا
على سببه لا يدافع كونه مما قضى الله حصوله اذ كما جرى في القضاء حصوله فقد
جرى ايضا حصول هذا السبب وكونه سببا عنه ومن التوهمات الباطلة والظنون
الفاسدة ما قاله بعض الظاهريين من المتكلمين انه لا فائدة في الدعاء لان المطلوب
ان كان معلوم الوقوع عند الله تعالى كان واجب الوقوع والا فلا يقع لان الاقدار نافذة
والاقضية واقعة وقد جف القلم بما هو كائن فالدعاء لا يزيد ولا ينقص فيها
شيء ولان المقصود ان كان من مصالح فالجواد المطلق لا يبخل به وان لم يكن من مصالحهم
لم يجز طلبه ولان اجل مقامات الصديقين الرضاء واهمال حظوظ النفس والاشتغال
بالدعاء ينافي ذلك وهذا ظن فاسد وقول سخيف صادر عن جاهل لا يعرف
الحقايق عن مواضعها واصولها فان الدعاء مما يقاوم القضاء لا من حيث انه
فعل العبد فانه من هذه الحيثية مما يحكم فيه القضاء لانه لو لم يقض عليه
ان يدعو لم يكن يدعو ولكن من حيث ما علمنا الله عز وجل وامرنا به حيث قال ادعوني

استجب

استجب لكم وقال ادعوا ربكم فان الدعاء من هذه الحيثية انما ينبعث من حيث
ينبعث القضاء فلا تسلط للقضاء عليه فان كلا منهما من الله تعالى ولسان العبد
والحالة هذه ترجمان الدعاء لانه لم يدع بنفسه ولكن بامر الله عز وجل
وكل من فعل شيئا بامر احد فيده يد الامر كما اذا امر الملك بعض خدامه ان
يضرب ابن الملك فان يد الخادم والحالة هذه يد الملك ولو كان اليد يده
لم يستطع ان يمدها الى ابن الملك وليست دون ذلك يده وانك لتعلم
ان الدعاء لا يحكم على الله وانما يحكم علينا والله غالب على امره فاذا كان
الدعاء موصول الاصل بالموضع الذي اتصل به القضاء فالقضاء والدعاء
يتعالجان والحكم لما غلب ومن غلب سلب هذا ما ذكره بعض المحققين وقال
النظام النيسابوري في تفسير قوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب
قال جمهور العقلاء ان الدعاء من اعظم مقامات العبودية والقرآن ناطق
بصحته عن الصديقين والاحاديث مشحونة بالادعية المأثورة بحيث لا
مساغ للانكار ولا مجال للعناد والسبب العقلي فيه ان كيفية علم الله
تعالى وقضائه غير معلومة للبشر غائبة عن العقول والحكمة الالهية
تقتضي ان يكون العبد معلقا بين الخوف والرجاء اللذين بهما تتم العبودية
وبهذا الطريق صححنا القول بالتكاليف مع الاعتراف باحاطة علم الله وجريان
قضائه وقدره في الكل وبما روي عن جابر انه جاء سراقة ابن مالك فقال
يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به
الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له و
كل عامل بعمله تنبيه على ما مثلناه فانه صلى الله عليه وآله علقهم بين الامرين
رهبتهم سابق القدر ثم رغبتهم في العمل ولم يترك احد الامرين للآخر فقال

كل ميسر لما خلق له يريد انه ميسر في ايام حياته للعمل الذي سبق به القدر قيل وجوه
الاانك يجب ان تعلم الفرق بين الميسر والمسخر لكيلا تورث في لجة القضاء والقدر
وكذا القول في باب الرزق والكسب والحاصل ان الاسباب والوسائط والروابط
معتبرة في جميع امور هذا العالم ومن جملة الوسائط والوسائل في قضاء الاوطار
الدعاء والالتماس كما في الشاهد فيجعل الله سبحانه قد يجعل دعاء العبد سببا لبعض
مناجحه فاذا كان كذلك فلا بد ان يدعو حتى يصل الى مطلوبه ولم يكن شيء
من ذلك خارجا عن قانون القضاء الثابت وناسخا للكتاب المسطور انتهى كلامه
وقال بيان الحق ابو القاسم النيسابوري لئن كان الدعاء غير معقول كان العبادة
غير معقوله وقد تكون طاعة وعبادة من غير دعاء ومسئلة الا طاعة وعبادة
اذ لا دعاء الا مع الاعتراف بالذلة والنقص والاضطرار والعجز عندنا ولسانا وهيئة
وانه لا فرج له الا من لدن سيده ولا خير له الا من عنده قولا وضميرا فيتردد
لسانه بانواع التضرع والجوارح تضرعت يداه نحو السماء وهكذا الرغبة ولطهر
باطن راحته الى السماء وهكذا الرهبة وجعل ظاهرهما الى السماء وهكذا التضرع
وحرك اصابعه يمينا وشمالا وهكذا التبتل فرفع اصابعه مرة ووضعها
الاخرى وهكذا الابتهال فمد يديه تلقاء وجهه الى القبلة وكان لا يبتهل حتى
تذرف دموعه ويخشع بصره وهل اخلاص العبادة الا هذه الاحوال فكان الدعاء
من اشرف العبادة وبحسب العبادة يتم الشرف الانساني ويخلص الغرض
الالهي كما قال الله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولانه لا يمنع
ظهور رحمة الله وسابغ كرمه في حق العبد من غير مسئلة وكرامته بالاجابة
ويمنع كرامته بالاجابة الا مع ظهور جوده واتصال رحمته حتى يطمئن بفضله
ويثق بقبوله ويعلم انه العبد الذي دعا مولاه فلباه وساله فاعطاه وكان
الدعاء

الدعاء في استزادة المزيد واستجلاب اسباب الرحمة مع الكرامة فرق الطلقة والعبادة ولهذا كان
رسول الله صلى الله عليه وآله يرغب فيه الى جبار خاصة ويساله لنفسه عن صفوة امته
انتهى واما القول بان الاشتغال بالدعاء ينافي الرضاء والقضاء الذي هو اجل مقامات الصديقين
فجوابه انه انما ينافيه لو كان الباعث عليه حظ النفس واما اذا كان الداعي عارفا بالله عالما بانه
لا يفعل الا ما يشاء ودعاه امتثالا لامره في قوله ادعوني ونحوه من غير ان يكون في دعائه
حظ من حظوظ نفسه فلا منافاة بينهما والله اعلم قال سيدنا ومولانا الامام المعصوم
خليفة الله في ارضه القائم بسنته ومرضى زين العابدين وسيد الساجدين صلوات الله عليه و
آله آبائه الابرار وابنائه الائمة الاطهار الحمد لله الذي الاول بلا اول كان قبله والاخر بلا
آخر يكون بعده الحمد هو الثناء على ذي علم بكماله ذاتيا كان كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات
والتنزه عن النقائص او وصفيا ككون صفاته كاملة واحية او فعليا ككون افعاله مشتملة
على حكم فاكثر مصطلحة ما تقرع على المدح الذي هو الثناء على الشيء بكماله داعلم كان او لا لان
الكمال الذي لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالا مطلقا ويقابلهما الذم وعلى الشكر وهو مقابلة
الانعام التعظيم ذكرا باللسان واعتقادا بالجنان او خدمة بالاركان مع صرف ما انعم به الى
ما انعم لاجله لانه وان عم جهات الشاكر فقصر من احاطة كمالات المشكور ولا يتعلق بالكمالات
ويقابله الكفران وعلى الثناء الذي هو ذكر الاوصاف كمالات كانت او نقائص اذ هو وصف
بمدح او ذم ولذلك يقيد بالجميل فاريد المدح ولام الحمد للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة
من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والجارة للاختصاص فيختص حقيقة الحمد به فيكون جميع افرادها
مختصا به سبحانه لان النعوت الكمالية كلها ترجع اليه لانه فاعلها وغايتها كما حقق في مقامه
ولانه الموجود الحقيقي كما يعرفه العارفون وثبوت الصفة فرع ثبوت الموصوف وذلك انهم يرون
كل قدرة مستغرقة في القدرة بالذات وكل علم مستغرقا في العلم بالذات وكل علم مستغرق في العلم
بالذات وهكذا في كل صفة كمالية فاذن المحامد كلها راجعة اليه سبحانه ولهذا ذكر اسم الله دون

من الاسماء الدالة بحسب المفهوم على جامعيته الاوصاف الجماليه والجلاليه كلها وربوبيته
انواع الاشياء كلها وكل اسم غيره انما يدل على صفة وربوبيته نوع واحد وعمم بعض
المحققين الثناء فى تعريف الحمد بكونه قالا وحالا بطريق عموم المجاز لادخال حمده سبحانه
نفسه وذلك حيث بسط بساط الوجود على ممكنات لا تعد ولا تحصى ووضع عليه موائد كرمه
التى لا تتناهى فكل ذرة من ذرات الوجود لسان حال ناطق عنه بحمده ومثل هذا الحمد لا يحيط به
طاق النطق ومن ثم قال صلى الله عليه وآله لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
تنبيه الى ما ذكرناه من رجوع المحامد كلها اليه سبحانه اشار ابو جعفر الباقر فيما روى عنه
ابنه الصادق عليهما السلام قال فقد ابى بغلة له فقال لئن ردها الله تعالى لاحمدنه بمحامد
يرضاها فما لبث ان اتى بها بسرجها ولجامها فلما استوى عليها وضم اليه ثيابه رفع رأسه
الى السماء فقال الحمد لله ولم يزد ثم قال ما تركت وما ابقيت شيئا جعلت كل انواع المحامد لله
عز وجل فما من حمد الا هو داخل فيما قلت انتهى وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف واصله
النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التى لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا
وعجبا واثار الرفع عليه مع انه الاصل للانباء بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت
وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد ولهذا كانت تحية الخليل عليه السلام
للملائكة عليهم السلام احسن من تحيتهم له فى قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام ولم يقدم
الخبر لقصد الاختصاص لحصوله بلام التعريف والجر مع ان فى تاخيره اشعارا بانه
المرجع والله لفظ دال على المعبود بالحق وكما تاهت العقول فى ذاته تعالى وصفاته لاحتجابها
بانوار العظمة تحيروا ايضا فى لفظ الله كانما انعكس اليه من تلك الانوار شعشعة بهرت
اعين المستبصرين فاختلفوا أسريانى هو ام عربى اسم او صفة مشتق وممّ اشتقاقه
وما اصله علم او غير علم فقيل هو سريانى واصله لاها فعرب بحذف الالف الثانية
وادخال الالف واللام عليه وقيل بل عربى وهو المختار واصله الاله فحذفت همزته

على

على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن
معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسى فى حكم الثابت فلا
يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون
الادغام والتعويض من خواص هذا الاسم الشريف ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه
عما سواه مما لا يوجد الا فيه من نعوت الكمال والاله فى الاصل اسم جنس يقع على كل
معبود بحق او باطل اى مع قطع النظر عن وصف الحقيقة والبطلان لا مع اعتبار احدهما
لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم على الثريا والبيت على الكعبة واما الله بحذف
الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالهة والالوهة
بمعنى العبادة كما نص عليه الجوهرى على انه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب
لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شئ اله كما يقال
كتاب مرقوم ولا يقال شئ كتاب وقيل اشتقاقه من اله كعلم بمعنى تحير لانه تعالى
يحار فى شأنه العقول والافهام واما اله كعبد زنة ومعنى فمشتق من الاله المشتق
من اله بالكسر وكذا تأله واستأله استفعال استعمال استوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله
الى فلان اى سكن اليه لاطمينان القلوب بذكره وسكون الارواح الى معرفته
وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به وآلهه غيره اذا اجاره اذ العابد له تعالى يفزع اليه
بجميع وقيل اصله على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل
مبالغة وقيل هو اسم علم لذات الواجب ابتداء وعليه مدار التوحيد فى قولنا لا اله
الا الله ولا يخفى ان اختصاص طوق العلمية بعدما كان اسم جنس فى الاصل وقيل
هو وصف فى الاصل لكنه لما غلب عليه تعالى بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم
ويرده امتناع الوصف به وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وحذف الفه لحن
تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر فى قوله
قوله الا بارك الله فى سهيل فالصحيح ان الشعر والاول ذهب جمهور البصريين الى ان

افعل ثم اختلفوا فاكثرهم على انه فوعل اى حروفه الاصول واو وكلام فاصله على
هذا اوول ادغمت الفكر فى العين قالوا ولم يستعمل هذا التركيب الا فى اول
متصرفاته وقال بعضهم انه من وال يئل والا اى خالات النجاة فى السبق فاصله
اؤال قلبت الهمزة الثانية واوا ادغمت ايضا فهو افعل بمعنى المفعول كاشهر
واحمد والصحيح القول الاول لئلا يلزم قلب الهمزة شاذا على القولين الاخيرين
وذهب الكوفيون وطائفة من البصريين الى انه فوعل من وول قلبت الواو الاولى همزة
ثم زيدت واو ثانية فصار اوول ادغمت الواو التى هى واو فوعل فى الواو التى
هى عين فصار اول وانما ذهبوا الى ذلك لان الواو تزاد ثانية كثيرا كجوهر وكوثر
والصحيح مذهب جمهور البصريين لتصريفهم تعريف افعل التفضيل واستعماله بمن
وذلك يبطل كونه فوعلا ثم للاول استعمالات احدهما ان يكون صفة اى افعل
تفضيل بمعنى اسبق فيعطى حكم افعل التفضيل من منع الصرف وعدم تانيثه
بالتاء وذكر من التفضيلية بعده ظاهرة نحو هذا اول من هذين ولقيته عاما
اول بنصب اول ممنوع الصرف على انه صفة للمنصوب الثانى ان يكون اسما
مجردا عن الوصفية فيكون مصروفا ومنه قولهم ماله اول ولا آخر قال
ابو حيان فى الارتشاف وفى المحفوظ ان هذا يؤنث بالتاء ويصرف ايضا
فيقال اولة وآخرة بالتنوين انتهى وقال الزمخشرى فى اساس البلاغة جمل
اول وناقة اولة اذا تقدما الابل وعلى هذا يحمل ما ورد فى بعض الاحاديث
عن ارباب العصمة عليهم السلام من لفظ الاولة والاولتين وقد يستعمل الاسم ظرفا
بمعنى قبل فيعطى حكمها فى الاعراب والبناء فتقول اذا صرحت بالمضاف اليه ابدأ
به اول فعلك بالنصب على الظرفية كما تقول جئت قبلك وتقول اذا قطعت
عن الاضافة لفظا ومعنى قصد التكثير ابدا به اولا بالنصب والتنوين على الظرفية

كقول الشاعر فساغ لى الشراب وكنت قبلا وان قطعت عن الاضافة بان حذف المضاف
اليه لكن نويت لفظه اعربته بلا تنوين لانتظار المضاف اليه فتقول ابدأ به من
اول بالكسر لفظا كقوله ومن قبل نادى كل مولى قرابة كذا رواه الثقات بكسر اللام
من قبل وان حذفت المضاف اليه ونويت معناه بنيته على الضم فقلت ابدأ به من اول
بالضم قال الشاعر شعر لعمرك ما ادرى وانى لاوجل ۞ على اينا تعدو المنية اول ۞ اذا عرفت
ذلك فما وقع لبعض اكابر السادات من علماء العجم من قوله ان سلخته عن الوصفية واستعملته
على انه ظرف كان مبنيا على الظرف المقطوعة عن الاضافة فتقول ان اتيتنى اول فلك
كذا ليس بصحيح بل انما يبنى على الضم اذا حذف المضاف اليه ونوى معناه وسلخه واستعماله
ظرفا وقطعه عن الاضافة لا يوجب كونه مبنيا على الضم كما عرفت وقوله ايضا اذا قلت
فعلت كذا اولا لم يصح حمله على الصفة ولا على الظرف اذ على الاول يتعين اول بالنصب
من جهة منع الصرف وعلى الثانى اول بالرفع للبناء على الضم ولا يسوغ اولا بالتنوين
على الظرف اصلا ليس بصحيح ايضا بل يصح كونه ظرفا غير مضاف لا لفظا ولا تقديرا عند
الجمهور والتنوين فيه متحتم وهو تنوين تمكين لانه حينئذ نكرة منون تنوين سائر
النكرات وقال بعضهم هو معرفة بنية الاضافة والتنوين تعويض واستحسنه ابن مالك
فى شرح الكافية وانما تعرضنا لذلك مع عدم تعلق الغرض به وتكفل كتب النحو بيانه
لان السيد المذكور تعرض له فى تعليقته على الصحيفة فى هذا المقام فنبهنا على ذلك
لئلا يقع غيره فيما وقع فيه واوليته تعالى عبارة عن كونه قبل وجود الممكنات باسرها
وانه مبدأ كل شئ ومنه نشأ وجود الاشياء كلها وانه موجود بذاته لم يستفد وجوده
عن غيره فان قلت افعل التفضيل يقتضى المشاركة والزيادة والله سبحانه لا يشاركه
شئ فى السبق لان سبقه تعالى اعتبار ذهنى وسبق ما عداه زمانى قلت قد يقصد
بافعل تجاوز صاحبه وتباعده عن غيره فى الفعل لا بمعنى تفضيله بعد المشاركة

الضم ابدا الكسر

في اصل الفعل فيفيد عدم وجود اصل الفعل في غيره فيحصل كمال التفضيل وهو المعنى الافصح
في افعل في صفاته تعالى وبهذا المعنى ورد قوله تعالى وهو اهون عليه وقول يوسف عليه السلام
رب السجن احب الي وهذا اولى من جعل المشاركة تقديرية كما اجاب به بعضهم ومن التشريك بها الا
مشاركة فيه كما اجاب به آخرون ولك ان تريد بالاولية مطلق السبق فيتحقق المشاركة
ويصح التفضيل بلا تاويل قوله بلا اول كان قبله متعلق بمحذوف حال عن الاول والباء
للملابسة اي ملتبسا بلا اول ولا هنا عند الكوفيين اسم بمعنى غير فنقل اعرابها
الى ما بعدها لكونها على صورة الحرف وقيل ان الجار دخل عليها نفسها وان ما بعدها خفض
بالاضافة وعند غيرهم حرف زائد بين الجار والمجرور وان كانت مفيدة لمعنى وهم قد
يريدون بالزائد المعترض بين شيئين متطالبين وان لم يصح اصل المعنى باسقاطه و
الواقع في النسخ المشهورة جر اول بالكسر والتنوين مصروفا على انه اسم وفي نسخة ابن ادريس
بالفتح ممنوعا على انه صفة اي بلا ذي اولية كان قبله وقول بعض اكابر السادة فتحه
ممنوعا على انه افعل تفضيل وجره مصروفا على ان افعل الصفة لا افعل التفضيل وهم
ناقص فان افعل لا تكون صفة بغير تفضيل الا حين وعيب نعم قال الرضي لما لم يكن
لفظ اول مشتقا من شيء مستعمل على القول الصحيح لا مما استعمل منه فعل كاحسن ولا مما اشتق
منه اسم كاحنك خفي فيه معنى الوصفية اذ هي انما تظهر باعتبار المشتق منه واتصاف
ذلك المشتق به كاعلم اي ذو علم اكثر من علم غيره واحنك اي ذو حنك اشد من حنك غيره
وانما ظهر وصفية اول بسبب تاويله بالمشتق وهو اسبق فصار بمنزلة رجل اسد اي جري
فلا جرم لم تعتبر وصفيته الا مع ذكر الموصوف قبله ظاهرا نحو يوما اول وذكر من التفضيل
بعده ظاهرة اذ هي دليل على ان افعل ليس اسما صريحا كافكل فان خلا منهما معا ولم يكن مع
اللام والاضافة دخل فيه التنوين مع الجر لخفاء وصفيته كما في قول علي عليه السلام احمده
اولا باديا وقبال ما ركب له اولا ولا اخرا انتهى كلامه وقضيته ان اول المصروف كان

في الاصل

في الاصل صفة نقلت الى الاسمية ورده الدماميني في شرح التسهيل بانه لو كان
في الاصل صفة لم يمنع غلبة الاسمية وعروضها الخلاف ما اذا كان في الاصل اسما
فوجب القول بانه نوعان اسم وصفة كما مر والغرض تاكيد اوليته تعالى بانه اول بلا اول
لانه قبل كل شيء وسابق عليه بالعلية لاستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها
وكمالاتها اليه وهو مبدأ كل موجود فلم يكن قبله اول بل هو الاول الذي لم يتقدمه
شيء قال النيسابوري وهو سبحانه متقدم على ما سواه بجميع اقسام التقدمات
الخمسة التي هي تقدم بالتاثير والطبع والشرف والمكان والزمان اما بالتاثير فظاهر و
اما بالطبع فلان ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر الى الممكن من حيث هو وحال الممكن
بالخلاف واما بالشرف فظاهر واما بالمكان فلانه وراء كل الاماكن ومعها كقوله
تعالى اينما تولوا فثم وجه الله وقد جاء في الحديث لو دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على
الله ثم قرأ هو الاول والآخر واما بالزمان فاظهر فبطل قول الفخر الرازي ان تقدم الواجب
تعالى على ما عداه خارج عن الاقسام الخمسة وكيفيته لا يعلمها الا هو فتامل قوله ولا آخر
بكسر الخاء على فاعل وهو خلاف الاول اي الذي لا نهاية له والباقي بعد فناء وجود
الممكنات ولو بالنظر الى ذواتها مع قطع النظر عن مبدعها فان جميع الموجودات الممكنة
اذا قطع النظر عن مبدعها في فانية او الذي تنتهي اليه الاسباب لانك اذا نظرت الى
شيء وفتشت عن سببه ثم عن سبب سببه وهكذا انتهيت بالآخرة اليه تعالى فهو الذي يحل
عنده اجتماع اسباب الشيء وقال بعض العارفين هو الآخر بمعنى انه الغاية القصوى التي
تطلبها الاشياء والخير الاعظم الذي يتشوقه الكل ويقصده طبعا وارادة والعرفاء المتالهون
حكموا بسريان نور المحبة له والشوق اليه سبحانه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم وان
الكائنات السفلية كالمبدعات العلوية على اغتراف شوق من هذا البحر العظيم واعتراف بشاهد
مقر بوحدانية الحق القديم فهو الاول الذي منه ابتداء امر العالم حتى انتهى الى الارض والاجسام و

لا اشباح وهو الاخر الذي ينساق اليه وجود الاشياء حتى يرتقي الى سماء العقول والارواح
وهو اخر ايضا بالاضافة الى سير المسافرين فانهم لا يزالون مترقين من رتبة الى رتبة حتى
يقع الرجوع الى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم واندكاك جبال هوياتهم فهو اول من حيث
الوجود واخر من حيث الوصول والشهود وقيل اوليته اخبار عن قدمه واخريته اخبار
عن استحالة عدمه وروى رئيس المحدثين في معاني الاخبار باسناده عن ميمون البان قال
سمعت ابا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن قوله جل وعز هو الاول والاخر فقال الاول
لا عن اول قبله ولا عن بدى سبقه والاخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين ولكن
قديم اول اخر لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال الى حال
خالق كل شيء انتهى **تنبيه** اعلم انه تعالى اول لما هو آخر واخر لما هو اول لم يعتورا اختلاف
ذاته وصفاته اذ هو برىء عن لحوق المكان ووجوده في الزمان فاوليته واخريته راجعتان
الى ما تعتبره الاذهان من حاله تقدمه على وجود الاشياء وتاخره عنها فهما اعتباران ذهنيان
له بالمقايسة بالاضافة الى مخلوقاته وليس هناك اوليته واخريته لانهما من نوع الوقت والزمان
وهو تعالى مقدس عنهما اذ لا وقت ولا زمان في عالم القدس بل نسبته الى الازال والاباد
نسبة واحدة فظهر ان اوليته عين اخريته عين اوليته **قوله** بلا آخر يكون بعده وآخريته م
بكسر الخاء المعجمة من آخر وخفضه بالكسر منونا على ما في النسخ المشهورة ووقع في نسخة
ابن ادريس بكسر الخاء وفتحها معا مع فتح الراء وهو مع كسر الخاء شاذ لان التبرئة
لا تعمل الا بشرط عدم دخول الجار دخل بعد التركيب نحو لا خمسة عشر وليس حرف الجر
معلقا بل لا نصب ولا ما ركب معها في موضع جر لانهما جريا مجرى الاسم الواحد وقال في
الخاطريات ان لا نصبت شيئا ولا حرفها الا انها صارت فضلة نقله عن ابي علي الفارسي
واقره واما مع فتح الخاء فهو بمعنى غير وهو ممنوع الصرف للوصف فالفتحة نيابة
عن الكسرة والمعنى على هذا بلا اخر اي غير يكون بعده فالاخر المفتوح الخاء المعنى

بلا صفة

بلا صفة لمحذوف من جنس المذكور وهو آخر بكسر الخاء لانه لا يستعمل الا فيما هو من جنس المذكور
فاذا قيل جاءني زيد واخر فالمراد رجل اخر بخلاف جاءني زيد وغيره وعلى كل تقدير
فالمقصود تاكيد آخريته تعالى بانه آخر الاواخر لانتهاء وجود كل ممكن اليه وعدم انتهائه
له فلا يكون بعده آخر **اكمال** ذهب جهم بن صفوان الى انه تعالى يوصل الثواب الى
اهل الثواب والعقاب الى اهل العقاب ثم يفني الجنة واهلها والنار واهلها والعرش
والكرسي والملك والفلك ولا يبقى مع الله شيء اصلا في ابد الاباد كما لم يكن معه شيء في
ازل الازال فيتحقق كونه آخرا كما كان اولا وابطله الفخر الرازي بان امكان استمرار
هذه الاشياء حاصل الى الابد بدليل ان هذه الماهيات لو زال امكانها لزم انقلاب
الممكن الى الممتنع ولو زال لتعطلت قدرة الله تعالى من صلاحية التاثير الى امتناع التاثير
ورد بان هذه مغالطة يلزم من الامكان الذاتي للشيء وقوعه في الخارج ولا من عدم
وقوعه في الخارج الامتناع الذاتي والتعويل في ابدية الجنة والنار واهليهما
انما هو على اخبار المخبر الصادق واجماع المسلمين فيكون معنى كونه امرا اي الباقي
بعد فناء الموجودات بقاء بعد فنائها حقيقة بالنسبة الى ما يفنى منها وحكما
بالنسبة الى المؤبد منها اي نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن علتها كما مر او بقاء بعد
فنائها وقيل لايجادها وتابيدها فانه تعالى يفني جميع العالم ليتحقق كونه آخرا ثم
يوجده ويبقيه ابدا وزيف بان هذا حقيق بان يسمى توسطا لا آخرية ولهذا
فسر بعضهم الاخر بانه الباقي مع ما عداه من الاول والاخر وبعد ما يفنى منها والحسن
النيسابوري في تفسير معنى الاول والاخر انه اول في ترتيب الوجود واخر في
عكس الترتيب فانه ينطبق على السلسلة المترتبة من العلل الى المعلولات ومن الاشرف
الى الاخس وعلى الاحد من الوحدة الى الكثرة ومما يلي الازل الى ما يلي الابد ومما يلي
المحيط الى ما يقرب من المركز فهو تعالى اول بالترتيب الطبيعي وآخر بالترتيب المنعكس

قال بهذا البيان يتضح صحة اطلاق المقدمات الخمسة ومقابلاتها عليه سبحانه وهذا من
غوامض الاسرار وقد وفقني الله لحلها وبيانها **الذي قصرت عن رؤيته ابصار**
الناظرين قصرت بالضم في جميع النسخ وهو من القصر كعقب خلاف الطول فيكون من باب
الاستعارة التبعية واما القصور بمعنى العجز ففعله قصر بالفتح كقعد ومنه قصر السهم
عن الهدف اذا لم يبلغه والرؤية معاينة العين الشيء واضافتها الى الضمير من اضافة
المصدر الى المفعول والابصار جمع بصر كسبب واسباب وهو قوة مرتبة في العصبة
المجوفة مدركة لما يقابل العين بتوسط جرم شفاف لا بخروج شعاع منها الى المبصرات
ولا بانعكاسه ولا بانطباع الصور المرئية في الرطوبة الجليدية ولا في الملتقى العصبتين
المجوفتين ولا باستدلال لبطلان ذلك كله كما بين في محله بل بمقابلة المستنير
للعين السليمة وهي ما فيها رطوبة صافية شفافية صيقلية مرآتية فيحصل بتلك المقابلة للنفس
علم اشراقي حضوري على ذلك المبصر المقابل لها فتدركه النفس مشاهدة وانما قصرت
الابصار عن رؤيته تعالى لان المرئي بالبصر يجب ان يكون في جهة وهو تعالى منزه عنها
والا وجب كونه عرضا او جوهرا جسمانيا وهو محال هكذا استدل اهل الحق على
نفي الرؤية واعترضه الغزالي بان احد الاصلين من هذا القياس مسلم وهو ان كونه
في جهة يوجب المحال ولكن الآخر وهو ادعاء هذا اللازم على اعتقاد الرؤية ممنوع
فنقول لم قلتم انه ان كان مرئيا فهو في جهة من الرائي اعلمتم ذلك ضرورة ام بنظر لا
سبيل الى دعوى الضرورة واما النظر فلا بد من بيانه ومنتهاهم انهم لم يروا الى الآن
شيئا الا وكان في جهة من الرائي مخصوصة ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسم ان
يقول ان المذكور تعالى جسم لانه فاعل فانا لم نر الى الآن فاعلا الا جسما وحاصله يرجع
الى الحكم بان ما شوهد وعلم ينبغي ان يوافقه ما لم يشاهد ولم يعلم واجاب بعض
المحققين من اصحابنا المتاخرين بان دعوى كون المرئي بهذه العين مطلقا يجب ان

يكون في جهة ليس مبناها على ان الجزئيات في هذا العالم لا تكون الا في جهة حتى يكون
من باب قياس الغائب على الشاهد بل النظر والبرهان يؤديان اليه وهو ان القوة
الباصرة التي في عيننا قوة جسمانية وجودها وقوامها بالمادة الوضعية وكلما وجود
وقوامه بشيء فقوام فعله وانفعاله بذلك الشيء اذ الفعل والانفعال بعد الوجود
وفرعه اذا الشيء يوجد ولا اما بذاته او بغيره ثم تؤثر في شيء او تتأثر عنه فكل ما كان
وجود القوة بنفسها متعلقا بمادة جسمانية بما لها من الوضع كان تأثيرها ايضا
بمشاركة المادة ووضعها بالقياس الى ما تؤثر فيه او تتأثر عنه فلاجل ذلك يحكم بان
البصر لا يرى الا ماله نسبة وضعية الى محل الباصرة والسامعة لا تبصر ولا تسمع الا
ما وقع منهما في جهة او اكثر هذا هو البرهان **تذنيب** ذهب اهل السنة الى جواز رؤيته
تعالى في الدنيا عقلا واختلفوا في وقوعها فيها اجماعا منهم قالوا ان رؤية الله تعالى
جائزة في الدنيا عقلا لانه تعالى علق رؤيته موسى عليه السلام على استقرار الجبل وهو
في نفسه امر ممكن والمعلق على الممكن ممكن ولانها لو كانت ممتنعة لم يسألها بقوله
رب ارني انظر اليك لان العاقل لا يطلب المحال فدل سؤاله على انه كان يعتقد
جوازها فتكون جائزة والا لزم جهل النبي العظيم المعزز بالتكليم بما يجوز عليه
سبحانه ويمتنع واختلف في وقوعها وفي ان الرسول عليه السلام هل رآه ليلة الاسراء
ام لا فانكرته عائشة وجماعة من الصحابة والتابعين والمتكلمين واثبت ذلك ابن عباس
وقال ان الله تعالى اختصه بالرؤية وموسى بالكلام وابراهيم بالخلة واخذ به جماعة
من السلف والاشعري في جماعة من اصحابه وابن حنبل وكان الحسن يقسم لقد رآه و
توقف فيه جماعة هذا حال رؤيته في الدنيا واما رؤيته في الآخرة فجائزة عقلا و
اجمع على وقوعها اهل السنة للآيات وتواتر الروايات واحالها المعتزلة و
المرجئة والخوارج والفرق بين الدنيا والآخرة ان القوى والادراكات ضعيفة في الد

حتى اذا كانوا في الآخرة دخلقهم للبقاء قوى ادراكهم فاطاقوا رؤيته سبحانه هذا ملخص كلامهم وجه
التفصي عن الشبهة الاولى بانا لا نسلم ان المعلق عليه هو استقرار الجبل مطلقا فانه كان
مستقرا مشاهدا حال التعلق بل استقراره حال التجلي وامكانه ممنوع ودون اثباته
القتادة والخرط وعن الثانية بالمعارضة والحل اما المعارضة فلان رؤيته تعالى لو كانت
جائزة لما عد طلبها امرا عظيما ولما سماه ظلما ولما ارسل عليهم صاعقة ولما قال فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ولما وردت عليهم
هذه المعارضة تحيروا فقالوا تارة ان الاستعظام انما كان لطلبهم الرؤية تعنتا وعنادا
وتارة ان رؤيته تعالى جائزة في الدنيا الا على طريق المقابلة والجهة كما هو المعروف في رؤية
الممكنات فانها ممتنع على هذه الطريقة فاستعظامها وانكارها بناء على ان طلبها وقع
من هذه الطريقة كيف يصلح ان يكون دليلا على جواز الرؤية من غير هذه الطريقة على انه يلزم
ان يكون النبي المكرم بالتكليم جاهلا بما يجوز عليه ويمتنع واما الحل فلان سؤال موسى
عليه السلام لم يكن محمولا على طلب الرؤية لعلمه باستحالتها بل على اظهاره شناعة على الامة
الحاضرين معه والطالبين رؤيته القائلين لن ارنا الله جهرة فقال ذلك القول ليسمعوا الجواب
بلن تراني فيعلموا ان رؤيته غير ممكنة ويرجعوا عن اعتقادهم والذي يدل على ذلك قوله
حين اخذتهم الصاعقة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا والجواب عما نقل عن ابن عباس
انه ليس صريحا في الرؤية العينية لجواز ان يكون المراد بالرؤية التي خص بها صلى الله عليه و
آله الرؤية القلبية بمعنى الادراك العلمي على الوجه الكامل وقد نقل عنه ايضا انه قال رآه
بقلبه وعما نقل عن الحسن انه انكان قول الحسن من عند نفسه فليس بحجة وانكان من ظاهر
الآيات والروايات فكذلك لان ظاهره ليس بحجة على غيره والظاهر قد لا يعمل به والجواب
عن وقوع الرؤية في الآخرة للآيات وتواتر الروايات ان كثيرا من الآيات والاخبار مما ورد
على ظاهرها انما كقوله تعالى ومكر الله والله يستهزئ بهم وما وقع في رواياتكم من ان الحق يرى يوم

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وآله ان من عبيد يوم القيمة من يدعو الله تعالى حتى يضحك الله فاذا ضحك
منه قال ادخل الجنة وعن ابن مسعود ان بعض اهل النار اذا خرج منها ووصل الى باب الجنة يقول
اي رب ادخلنيها فيقول يا ابن آدم ايرضيك ان اعطيك الدنيا ومثلها فيقول يا رب
اتستهزئ بي وانت رب العالمين وامثال ذلك كثيرة وانتم قد اولتم المكر والضحك
والاستهزاء بالجزاء والرضا والخذلان فاذا جاز التاويل فكيف تتمسكون بالظواهر
في الامور العقلية وتجزمون بها وقد انصف بعض علمائهم المتاخرين حيث قال
ان صح الاجماع المذكور فهو العمدة في اثبات هذا المطلب والا فهذه الظواهر لا تفيد
الا الظن لا يجوز التعويل عليه في المسائل العلمية مع انها معارضة بمثلها وانكانت
قابلة للتاويل والاحاديث الواردة في هذا الباب ثبت فيها ذلك مع كونها
كلها احادا على تقدير صحتها والدليل العقلي متعذر ومتعسر قال سيد المحققين
في شرح المواقف الاولى ما قيل ان التعويل في هذه المسئلة على الدليل العقلي
متعذر فلنذهب الى ما اختاره الشيخ ابو منصور الماتريدي من التمسك بالظواهر
النقلية انتهى فلا مطمع ح في تحصيل اليقين في هذه المسئلة بل ولا الظن لما
عرفت من تعارض الادلة النقلية انتهى تنبيه قال حدثنا السيد ابن نظام الدين
احمد قدس الله سره في رسالته لاثبات الواجب تعالى قد ثبت في محله انه يجوز
ان يعلم بعض النفوس المجردة الالهية الكاملة ذات الواجب تعالى بالعلم الحضوري
الذي هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غير تكيف ولا مسامتة ولا محاذاة واذا
جاز ذلك فما المانع من قول من يجوز رؤيته تعالى في الآخرة فان الرؤية في الحقيقة
عبارة عن مشاهدة حضورية ولا يشترط فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة
بل بعض القائلين بجوازها صرح بان رؤيته تعالى لا يجب ان تكون بتوسط
تلك الجارحة المخصوصة قال في شرح التجريد لا يلزم من نفي الرؤية بالبصر نفي الرؤية

مطلقا اذ يمكن ان يرى لا بتلك الجارحة المخصوصة كما هو المدعى فان المثبتين لرؤيته
تعالى يدعون ان الحالة المخصوصة التي تحصل لنا بالبصر في الدنيا وتسمى رؤية
تحصل لنا في تلك النشأة بعينها بالنسبة اليه تعالى من غير توسط تلك الجارحة
انتهى ويؤيد ما ذكرناه ما قال المعلم الثاني في فصوصه من ان كل ادراك يحصل
بلا واسطة استدلال فهو المختص باسم المشاهدة وكل ما لا يحتاج في ادراكه الى
الاستدلال فهو ليس بغائب بل هو شاهد فادراك الشاهد هو المشاهدة في شأنه
اما بمباشرة وملاقاة واما من غير مباشرة وملاقاة وهذا هو الرؤية والحق
الاول تعالى لا يخفى عليه ذاته وليس ذلك باستدلال فجاز على ذاته مشاهدة
كماله من ذاته فاذا تجلى لغيره مغنيا عن الاستدلال وكان بلا مباشرة ولا مماسة
كان مرئيا لذلك الغير فانه صريح فيما ذكرنا فان قلت اذا كانت المشاهدة
الحضورية هي الرؤية ولا مانع منها في هذه النشأة ايضا فلم اختص جواز الرؤية
بالنشأة الاخرة كما هو مذهب اكثر القائلين بجوازها قلت لعل هؤلاء لا يعنون
الجواز بل الوقوع ولعل السر في ذلك ما صرح به بعض الاعاظم من ان النفس سيما الكاملة
المشرقة اذا شاهدت المبدأ الاول والتذت بلذات مشاهدته ذل اقبالها
على الجسم وعالم التجسيم وكلما ازداد اقبالها عليه نقص توجهها الى هذا العالم فينقص
توجهها الى ما تدبره من الجسم بل تعرض عنه بالكلية فيتفتت اجزاء بدنها ويفسد
ويختل تركيبه ويبطل نظام اعضائه واتصالها فلم تبق حياة بدنية لاعراضها
عن البدن بالكلية فان نظام اجزاء البدن واتصالها من اثار الحرارة المدبرة على
ما هو المشهور وبهذا يظهر تفسير الاية الكريمة الحاكية عن سؤال موسى عليه السلام
فان رجعت سال الرؤية وهي المشاهدة الحضورية اجيب بلن تراني اي لن تشاهدني
وانت في هذه النشأة العلقية ويؤيد هذا ما في التورية لا يراني ابن آدم وهو

حي اي في حال حيوته البدنية فان قيل فلا يمكن الرؤية مع بقاء الحيوة في النشأة
الاخرة ايضا قلت لعل البدن الذي في النشأة الاخرة غير قابل التفرق
والتفتت او لعل النفس لكمال قوتها التي اكتسبتها في تلك النشأة اذا شاهدت
المبدأ الاول فيها فاقبلت عليه اقبالا كليا لا تعرض عن البدن بالكلية ولا يشغلها
شأن عن شأن ولا يخفى على الخبير ان ما ذكرناه ليس توجيها لكلام القائلين بجواز
رؤيته تعالى وهم الاشاعرة فان جمهورهم صرح بان الله تعالى يرى في الاخرة بهذه
الجارحة المخصوصة بل هو تفسير وتاويل للايات والاخبار الدالة على جواز رؤيته
تعالى ووقوعها في النشأة الاخرة فيكون جوابا لاستدلالهم بتلك الايات
والروايات سيما ما ذكروه من ان طلب موسى عليه السلام الرؤية دال على جوازها
والا لزم ان يكون جاهلا بصفاته تعالى فانه انما طلب المشاهدة الحضورية
الصرفة الخالية عن شوب الخيالات والاوهام لا الرؤية بالبصر ولا حاجة
في جوابه الى تكلفات ارتكبها القائلون بامتناعها فافهم انتهى كلامه واقتفى
اثره بعض المحققين من اصحابنا المتاخرين فقال الذي يصح عندنا فقال الذي
يصح عندنا ان طلب موسى عليه السلام للرؤية هو انه اراد ان يحصل له الانكشاف
التام والرؤية العقلية لان الرؤية هي الادراك على سبيل المشاهدة وحضور المعلوم
وزيادة الكشف لانه طلب الرؤية بهذه الالة الجسمانية الحالة في عضو من الاعضاء
لا تدرك خالق الارض والسماء واما ما ورد في الادعية المأثورة ووقع في
السنة الطائفة الاسلامية في ابتهالاتهم وتضرعاتهم من طلب لذة النظر الى وجهه
الكريم فذلك لا يدل على جواز رؤيته تعالى بهذا العضو المخصوص سيما وقد نص
بعض الاكابر على ان العضو المخصوص ليس بركن في حقيقة الرؤية فاذا كان
لحقيقة الرؤية افراد متعددة بعضها صحيح في حقه تعالى وبعضها فاسد وجب ان

يحمل الوارد في الكتاب والسنة من الالفاظ الرقيقة على الوجه الصحيح في حقه تعالى لا عين كما في سائر
الالفاظ والصفات المشتركة بين الحق والخلق انتهى وعجزت عن نعته اوهام الواعظين
عجز عن الشي عجزا من باب ضرب ضعف عنه وعجز عجزا من باب تعب لغة لبعض قيس عيلان
ذكرها ابو زيد وهذه اللغة غير معروفة عندهم وقد روى ابن فارس بسنده الى ابن
الاعرابي انه لا يقال عجز الانسان بالكسر الا اذا عظمت عجيزته والنعت الوصف وهو ما
دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه اي يدل على الذات بصفة
كاحمر فانه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود هو الحمرة والاوهام جمع وهم وهو قوة
جسمانية للانسان محلها اخر التجويف الاوسط من الدماغ من شانها ادراك المعاني
الجزئية المتعلقة بالمحسوسات كشجاعة زيد وسخاوته وهذه القوة هي التي تحكم
في الشاة بان الذئب مهروب عنه وان الولد معطوف عليه وهي حاكمة على القوى
الجسمانية كلها مستخدمة اياها استخدام العقل القوى العقلية باسرها لكن المراد
بالوهم هنا الادراك المتعلق بالقوة العقلية المتعلقة بالمعقولات والقوة الوهمية
المتعلقة بالمحسوسات جميعا وقد شاع ذلك في الاستعمال ودلت عليه بعض
الاخبار قال بعض المحققين واعلم ان جوهر الوهم بعينه هو جوهر العقل ومدركاته
بعينها مدركات العقل والفرق بينهما بالقصور والكمال فما دامت القوة العقلية
ناقصة كانت ذات علاقة بالمواد الحسية مشتبكة النظر اليها لا تدرك المعاني
الا متعلقة بالمواد مضافة اليها وربما تذعن لاحكام الحس لضعفها وغلبة الحواس و
المحسوسات عليها فتحكم على غير المحسوس حكمها على المحسوس فما دامت في هذه
المقام اطلق عليها اسم الوهم فاذا استقام وقوى صار الوهم عقلا وخلص عن الزيغ
والضلال والافة والوبال انتهى والمراد بعجز الاوهام عن نعته سبحانه عجزها عن
الاطلاع على كيفية نعته كما هي لان وصف الشي انما يتصور اذا كان مطابقا لما

عليه في نفس الامر وذلك غير ممكن لانه لا يعقل ذاته وكنهه لكن لا يمكن للعقول تعقل حقيقته تعالى
وماله من صفات الكمال ونعوت الجلال لان ذلك التعقل اما بحصول صورة مساوية لذاته
تعالى وصفاته الحقيقية او بحضور ذاته المقدسة وشهود حقيقته والاول محال اذ لا مثل
لذاته وكل ما له مثل وصورة مساوية له فهو ذو ماهية كلية وهو تعالى لا ماهية له
والثاني محال ايضا اذ كل ما سواه من العقول والنفوس والذوات والهويات فوجوده
منقهر تحت جلاله وعظمته انقهار عين الخفاش في مشهد النور الشمسي فلا يمكن
للعقول لقصورها عن درجة الكمال الواجبي ادراك ذاته على وجه الاكتناه والاحاطة
بل كل عقل له مقام معلوم لا يتعداه الى فوقه ولهذا قال جبرئيل عليه السلام حين تخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة المعراج لو دنوت انملة لاحترقت فانى للعقول
البشرية الاطلاع على النعوت الالهية والصفات الاحدية كما هي عليه من كمالها وغاياتها
التي لا غاية لها وكيف يدرك ما لا يتناهى فان قيل اذا استحال حصول الحقيقة الالهية والهوية
الاحدية في شي من المدارك والعقول فكيف يعرف اتصافه بصفاته التي وصف بها
نفسه في كتبه على السنة رسله وكيف يحكم عليه بصدق ذلك لولا انها فالجواب ان
البرهان العقلي يؤدي بنا الى ان نعتقد ان سلسلة افتقار الممكنات تنتهي الى مبدأ
موجود بذاته وانه احدي الذات بلا تركيب بوجه وكونه تام الحقيقة بلا نقص وقصور
وان له من كل ما هو كمال للموجود بما هو موجود غاياتها ونهاياتها وحيث لا مخرج عن النقيضين
فله من كل صفة كمالية ونعت وجودي اشرفها واتمها فله الاسماء الحسنى والصفات العليا
وبالجملة ليس من شرط الحكم على امر بمحمولات عقلية واوصاف كلية ان يوجد ذات
الموضوع في العقل ويتصور ويتمثل فيه بالكنه بل يكفي لذلك تصور مفهوم
عنواني يجعل عنوانا لعقد حملي يحكم العقل بسراية الحكم الموقع على العنوان الى ما
يطابقه في الواقع وان لم يدرك العقل كنهه ويحتمل ان يكون المراد بعجز الاوهام

عن نعته عجزها عن بلوغ تمام نعته يعني ان الواصفين وان بالغوا في التوصيف وتعلوا
عن نعت الى ما هو اشرف واعظم عندهم لم يبلغوا مرتبة وصفه ولم ينعتوه بكماله نعته
بل كلما بلغوا مرتبة من مراتب النعت والثناء كان وراءها اطوار من النعوت اشرف
واعلى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله بقوله لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك وارشد اليه سيد الوصيين صلوات الله عليه بقوله هو فوق
ما يصفه الواصفون تنبيه قال بعض المحققين من اصحابنا المتأخرين لا يلزم من عدم
ادراك العقول كنه كماله وغاية جلاله ان ما يدركه العارفون من صفاته بالبراهين
ويصفونه به لم يكن ثابتا في حقه صادقا عليه كما زعمه كثير من الفضلاء قائلين ان
ما يدركه الانسان من صفاته تعالى انما هو سلوب وتنزيهات فقط فعلمه عبارة عن نفي
الجهل وقدرته عبارة عن نفي العجز وعلى هذا القياس في السمع والبصر وغيرهما
ومما حملهم على هذا الحسبان ويؤكده ما نقل عن الباقر عليه السلام من قوله كل ما ميزتموه
باوهامكم في ادق معانيه مخلوق مثلكم مردود اليكم الحديث وعندنا ليس كذلك
وليس كل صفاته تعالى التي نصفه بها سلوبا وتنزيهات فان كونه موجودا واجبا
حقا قيوما عالما قادرا حيا سميعا بصيرا اوصاف ونعوت وجودية ليس فيها سلب
لشيء واما الحديث المنقول عن الباقر عليه السلام فيجب ان يكون المراد من المذكور فيه
ادراكات نفوس العقول العادية والتصورات الوهمية والخيالية الواقعة من العقول
العامية كما يدل عليه تتمة الحديث وهو قوله ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله زبانيين
فان ذلك كمالها وتتوهم ان عدمهما نقصان لمن لا يتصف بهما انتهى لا الصفات التي
ادركها اهل الكمال بقوة البرهان ونور الاحوال فان قلت فما معنى قول امير المؤمنين صلوات الله
عليه كمال التوحيد نفي الصفات عنه قلت معناه نفي كونها صفات عارضة موجودة
بوجود زائد كالعالم والقادر في المخلوقات فان العلم فينا صفة زائدة على ذاتنا

وكذا القدرة فينا كيفية نفسانية وكذلك غيرهما من الصفات والمراد ان هذه
المفهومات ليست صفات له تعالى بل صفاته ذاته وذاته صفاته لا ان هناك شيئا
هو الذات واشياء اخر هي الصفات ليلزم التركيب فيه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وحاصله ان صفاته كلها موجودة بوجود واحد هو بعينه وجود ذاته فذاته وجود وعلم
وقدرة وحياة وارادة وسمع وبصر وهو ايضا موجود عالم قادر حي مريد سميع بصير
فاحفظ هذا المقام فانه مزلة اقدام الا ترى ان اكثر الناس لما راوا ان مفهومات
الصفات متغايرة ظنوا ان تغايرها من حيث المعنى والمفهوم يوجب اختلاف الحيثيات
الوجودية فذهبوا الى نفي العلم والقدرة وسائر الصفات عن ذاته وجعلوا الذات
الاحدية خالية عن هذه النعوت الكمالية لكن جعلوها نائبة مناب تلك الصفات
في ترتب الآثار فيلزم على ما ذهبوا اليه ان تكون الاسماء والصفات كلها مجازات من
الالفاظ في حقه تعالى وان لا تكون ذاته مصداقا لشيء من معاني الاسماء والصفات وهل
هذا الا تعطيل محض بل الحق الحقيق بالتحقيق ان جميع هذه الصفات موجودة فيه بوجود
اصيل متأكد في غاية التأكيد اعلى واشرف من وجوده فينا فالعلم الذي له تعالى اعلى
اشرف اقسام العلم وجودا والقدرة التي له وكذا نحو القدرة وجودا وتحققا لا
مفهوما وماهية اذ لا تفاوت بين افراد المعنى الواحد والماهية الواحدة في نفس المعنى
والماهية بل انما التفاوت يقع بين انحاء الوجودات بالقوة والضعف والوجوب و
الامكان والتقدم والتأخر هذا حاصل كلامه وهو وان كان خلاف ما عليه الاكثرون
لكنه عند التأمل والتحقيق احرى بالقبول والتصديق والله اعلم ابتدع بقدرته الخلق
ابتداعا واخترعهم على مشيته اختراعا الابتداع والاختراع لفظان متحدان في المعنى
لغة قال الجوهري ابدعت الشيء اخترعته لا على مثال وقال الزمخشري في الاساس اخترع
الله الاشياء ابتدعها من غير سبب انتهى وربما خص الابتداع بالايجاد لا لعلة والاختراع

بالايجاد لا من شيء وهو تخصيص اصطلاحي لا اصل له في اللغة والقدرة لغة القوة على
الشيء واصطلاحا اما عند المتكلمين فهي الصفة التي يتمكن معها الحي من الفعل وتركه
بالارادة واما عند الحكماء فعبارة عن كون الفاعل ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل
سواء وجب تحقق مقدم الشرطية الاولى وامتناع مقدم الشرطية الثانية ام لا
وقدرته تعالى قيل هي عبارة عن نفي العجز عنه وقيل هي نفس الاشياء عنه بمشيته
التي لا تزيد على ذاته وهي العناية الازلية وقيل هي علمه بالنظام الاكمل من حيث انه
يصح صدور الفعل عنه وقيل هي كون ذاته بذاته في الازل بحيث يصح منها خلق ما شاء
فيما لا يزال على وفق علمه بما هي عين ذاته واشتقاق القدير من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته والخلق في الاصل مصدر
بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له قبل ثم استعمل في ايجاد
الشيء وانشائه على غير مثال سبق فقيل خلق الله الاشياء خلقا باعتبار الايجاد على
وفق التقدير الذي اوجبته الحكمة ثم اطلق على المخلوق من باب اطلاق المصدر على
اسم المفعول مجازا والمراد به هنا الثقلان لاعادة ضمير العقلاء عليه ولما
سيأتي في الدعاء مما يدل على ان المراد به ذلك وان كان جميع المخلوقات تجري عليه
هذا الحكم وذلك حمله على مطلق الخلق فيكون اعادة ضمير العقلاء عليه من باب التغليب في
اعادة الضمائر كلامية المعينة لارادة الثقلين من باب الاستخدام وهو ضميره
في اخترعهم كلاهما مفعول به عند الجمهور وذهب جماعة من الائمة منهم الشيخ عبد القاهر
الجرجاني وفخر الدين الرازي والزمخشري وابن الحاجب وابن هشام الى ان مثل ذلك مفعول
مطلق قالوا لان المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل ثم اوقع الفاعل به فعلا
كضربت زيدا فزيد كان موجودا قبل الضرب وانت فعلت به الضرب والمفعول
المطلق ما كان فعل الفاعل فيه هو فعل ايجاده كالسموات في خلق الله السموات

فانها

٦٦

فانها لم تكن موجودة بل عدما محضا والله تعالى اوجدها فخلقها من العدم فكانت
مفعولا مطلقا لا مفعولا به قال ابن هشام والذي غر اكثر النحويين في هذه المسألة
انهم يمثلون المفعول المطلق بافعال العباد وهم انما يجري على ايديهم انشاء الافعال
لا الذوات فتوهموا ان المفعول المطلق لا يكون الا حدثا ولو مثلوا بافعال الله تعالى
لظهر لهم انه لا يختص بذلك لان الله تعالى موجد للافعال والذوات جميعا قال وكذا
البحث في انشأت كتابا وعملت خيرا انتهى واجاب الجمهور بان المفعول به بالنسبة الى
فعل غير الايجاد يقتضي ان يكون موجودا ثم اوجد الفاعل به شيئا آخر فان اثبات
صفة غير الوجود يستدعي ثبوت الموصوف اولا واما المفعول به بالنسبة الى
الايجاد فلا يقتضي ان لا يكون موجودا ثم اوجد الفاعل فيه الوجود بل يقتضي
ان لا يكون موجودا والا لزم تحصيل الحاصل واما التزام كونه موجودا قبل الفعل
على كل حال فدعوى لا دليل عليها وقد الف السبكي في هذه المسألة تأليفا
ذاهبا الى ما ذهب اليه الجرجاني والرازي وغيرهما هذا ولما كان الله تعالى ولم يكن
معه شيء كان وجود الخلق منه فصح انه ابتدعه واخترعه فلذلك اتى بالمصدرين
تأكيدا للنسبة الفعلية اليه سبحانه والغرض انه تعالى خلق الخلق انشاء وابتدعه ابتداء
من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر لان الصنائع البشرية انما تحصل بعد ان ترتسم
في الخيال صورة المصنوع وتلك الصورة تحصل تارة عن مثال خارجي يشاهده
الصانع ويحذو حذوه وتارة بمحض الالهام فان كثيرا ما يفاض على اذهان الاذكياء
صور اشكال لم يسبقهم الى تصورها غيرهم فيصورونها ويبرزونها في الخارج وكيفية
صنع الله عز وجل للخلق منزهة عن الوقوع على هذين الوجهين اما الاول فلانه
تعالى كان ولم يكن معه شيء ولا قبله فلا يكون خلقه مسبوقا بمثال من صانع آخر صنع
هو مثل صنعه واما الثاني فلان الفاعل على وفق ما الهم وان كان مبتدعا ومخترعا

فالظاهر لكنه فى الحقيقة ليس هو المبتدع اما المبتدع هو مفيض تلك الصورة وبلها
فهو مفتقر فى الحقيقة الى الغنى الذى الهمه وافاض على ذهنه صورة ما ابتدعه
ظاهر والله سبحانه منزه عن الافتقار والاحتياج فلم يكن صنعه بهذا الوجه ايضا و
قوله بقدرته اى بنفس قدرته التى هى عين ذاته لا بشئ آخر ولا لازم احد الى
الجنسين من القوة والفعل فلم يكن صنعه بهذا الوجه ايضا وقوله بقدرته واحدا
حقا هو محال وامّا سائر الصناع والفواعل فليس كذلك فانهم بشئ غير ذواتهم
يصنعون ما يصنعون كالة او ملكة نفسانية او مادة او معاون فربما اجتمع
عدة من هذه الامور فى تتميم الصنعة كالانسان مثلا اذا انشاء كتابا فانه يحتاج
الى آلة كاليد والقلم والى ملكة الكتابة والى مادة كالمداد والقرطاس والى معاون يتخذ له
الآلة الخارجة ويصلح له مادة الكتابة وقوله على مشيته اى بمحض مشيته تعالى بمعنى
الباء كقولهم اركب على الله او هى بمعناها اى اخترعهم على وفق مشيته والمشية اسم من
شاء كالمعيشة من عاش واصلها مشيئة على مفعلة بكسر العين استثقلت الكسرة
على الياء فنقلت الى الساكن الصحيح قبلها وهو الشين وبقيت الياء على حالها لمجانستها
الحركة المنقولة منها فصارت مشيئة واتفقت النسخ هنا على ترك الهمزة وتشديد الياء وهو
على ابدال الهمزة ياء تخفيفا وادغام الياء فى الياء وهو مطرد فيما زاد على الاصل كالخطيئة وغاية
ميلها توجه النفس الى معلوم بملاحظة صفاته واحواله المرغوب فيها الموجبة لحركة النفس
الى تحصيله وهذه الحركة النفسانية فينا وتعلقها بتحصيله هى العزم والارادة نسبة
المشية الى الارادة كنسبة الضعف الى القوة والظن الى الجزم فمتى حصلت الارادة
صدر الفعل لا محالة ومشيته تعالى بل هى عبارة عما يترتب عليه اثر هذا التوجه ويكون
بمنزلته وقيل عبارة عن تجلى الذات والعناية السابقة لايجاد المعدوم فهى لا يتعلق
دائما الا بالمعدوم فانها صفة تخصص امرا بالحصول ووجوده ومن تتبع مواضع استعمال

المشية

المشية والارادة فى القرآن يعلم ذلك وان كان بحسب اللغة يستعمل كل منهما مقام الآخر
وقال بعض المحققين لمشيته تعالى معنيان احدهما كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما
هو الخير والصلاح فنفس ذاته المقدسة مشيئة لما يشاء ويختار كما انها علم
بالاشياء وارادة لما يريد ويفعل والمشية بهذا المعنى صفة كمالية قديمة هى عين
ذاته والثانى ايجاده للاشياء بحسب اختياره فهى صفة حادثة بحدوث المخلوقات
لا تتخلف المخلوقات عنها وليست صفة زائدة على ذاته تعالى ولا على المخلوقات
بل هى نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات وهذا المعنى يأتى للارادة ايضا
فالمشية والارادة بهذا المعنى من صفات الفعل وبالمعنى الاول من صفات الذات
انتهى اذا عرفت ذلك فلا يتعين كون المراد بالمشية فى قوله عليه السلام واخترعهم
على مشيته المشية بالمعنى الثانى كما وقع لبعضهم حيث قال هذه المشية محدثة
من صفات الافعال لا من صفات الذات القديمة التى لا يتعلق بالخلق وانما هى باعتبار النسبة
بين ذاته تعالى والخلق وليست هذه الارادة بالحقيقة الا عين الخلق وعلى هذا ليس التغاير
بين المشية والمخلوقات الا باعتبار انتهى بل الاولى ان لم يكن متعينا ان يكون المراد بها المشية
بالمعنى الاول لان المقصود وصفه تعالى بانه اخترع الخلق على مقتضى مشيته اختيارا
لا بالقسر ولا بالقهر ولا بالايجاب الذى لا يكون عن ارادة ومشية كفعل الطبايع العديمة
الشعور المسخرة فى افعالها لان الايجاب ينافى القدرة وايضا صدور الحادث عن القديم
بطريق الايجاب يوجب تخلف المعلول عن تمام علته حيث وجدت العلة فى الازل
دون المعلول وانه اخترعهم على ما اقتضته مشيته التى هى نفس ذاته ووجوده
من غير كثرة من تركيب صفة او تشريك لحدان مشيته كعلمه وقدرته ليست غير ذاته
ليلزم ان يكون لغيره تاثير فى فعله فان من فعل فعلا بمشيته وارادته زائدة
على ذاته كان محتاجا فى مشيته وارادته الى مرجح زائد عليه يرجح احد طرفى مقدوره

لتعلق الارادة به فكانت مستكملة بذلك بذلك المرجح وكل مستكمل بغيره فهو ناقص في
ذاته والله سبحانه منزه عن النقصان ولا يخفى ان المشية بهذا المعنى ليست الا الصفة
القديمة الكمالية التي هي عين الذات المقدسة اي كون ذاته بحيث يختار ما يختار واما
المشية المحدثة التي هي بمعنى الايجاد والاحداث فالاختيار سابق عليها ولهذا قال
بعض المدققين اطلاق الخلق في الارادة والمشية لا يصح الا مجازا
ثم سلك بهم طريق ارادته وبعثهم في سبيل محبته سلك الطريق سلوكا
باب قعد ذهب فيه يتعدى بنفسه وبالباء ايضا يقال سلكت زيد الطريق وسلكت
به الطريق وهو الفصيح وقد يتعدى بالالف ايضا فيقال اسلكته والطريق والسبيل
بمعنى وكل منهما يذكر ويؤنث والبعث الارسال وكل شيء ينبعث بنفسه فان الفعل
يتعدى اليه بنفسه فيقال بعثته وكل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية
فان الفعل يتعدى اليه بالباء فيقال بعثت به والارادة فسرها المتكلمون بانها صفة
مخصصة لاحد المقدورين وقيل هي في الحيوان شوق متأكد الى حصول المراد وقيل انها
مغايرة للشوق فان الارادة هي الاجماع وتصميم العزم وقد يشتهي الانسان ما لا يريده
كالاطعمة اللذيذة بالنسبة الى العاقل الذي يعلم ما في اكلها من الضرر وقد يريد ما لا
يشتهيه كالادوية البشعة النافعة التي يريد الانسان تناولها لما فيها من النفع وفرقوا
بينهما بان الارادة ميل اختياري والشوق ميل جبلي طبيعي قيل ولهذا يعاقب
الانسان المكلف بارادة المعاصي ولا يعاقب باشتهائها وارادة الله سبحانه وتعالى
قيل هي صفة توجب للحي حالا يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقيل هي علمه
بنظام الكل على الوجه الاتم الاكمل من حيث انه كاف في وجود الممكنات ومرجح لطرف
وجودها على عدمها فهي عين ذاته وهو الحق والمحبة فينا ميل النفس او سكونها
بالنسبة الى ما يوافقها عند تصور كونه موافقا وملائما لها وهو مستلزم لارادتها

اباه و

اباه ولما كانت المحبة بهذا المعنى محالا في حقه تعالى فالمراد بها ذلك اللازم وهو
الارادة قال ابن ميثم في شرح النهج المحبة منه تعالى ارادة هي مبدأ فعل ما ومحبته
للشيء هي ارادة وقال بعض العلماء المشية والارادة متغايران للمحبة كما قد يريد الانسان
شيئا لا تستلذه كالحجامة وشرب الدواء الكريه الطعم فكذلك ربما انفكت مشية
الله وارادته عن محبته ورضاه انتهى وعلى هذا فالارادة اعم من المحبة لان كل محبوب
مراد دون العكس والمعنى انه تعالى جعلهم منقادين لارادته مذعنين لحكمه كما اراد
واحب وقيل معناه الزمهم ويسرهم لما خلقهم له ولما كتب في اللوح المحفوظ عليهم
بحسب ارادته ومشيته وساق حكمته الالهية او كنى بالسلوك والبعث عن توجيه
الاسباب بحسب القضاء الالهي عليهم بذلك وقيل معنى سلك بهم طريق ارادته
سيرهم في كل طريق اراده او جعلهم مريدين لارادته كما قال وما تشاؤن الا ان يشاء الله
ومعنى بعثهم في سبيل محبته انه وجههم محبته فالاضافة من باب اضافة المصدر الى
المفعول فان قيل الضمير في بعثهم راجع الى جميع الخلق ومنهم من هو عدو له
فكيف يصح التعميم حينئذ قلنا كل نفس بحسب غريزتها وطبيعتها الفطرية التي فطر
الناس عليها محبة للخير وطالبة له وجميع الخيرات رشح من خيره تعالى كما ان الوجودات
كلها رشح من وجوده فهي اذن ليست محبة الا لله سبحانه بالحقيقة سواء كان بحسب
الظاهر للحسن والجمال او للجاه والمال او غير ذلك ومن هنا قال صاحب الفتوحات
ما احب احد غير خالقه ولكن احتجب عنه تعالى تحت زينب وسعاد وهند وليلى والدرهم
والدينار والجاه وكل ما في العالم فان الحب احد سببيه الجمال وهو له تعالى لان الجمال محبوب
لذاته والله جميل يحب الجمال فيحب نفسه وسببه الآخر الاحسان وما ثم احسان الا
من الله ولا محسن الا الله فان احببت للجمال فما احببت الا الله لانه الجميل وان احببت
للاحسان فما احببت الا الله لانه المحسن فعلى كل وجه ما متعلق المحبة الا الله والى ذلك

اشار ابن الفارض حيث قال ٥ وكل مليح حسنه من جمالها ٥ معار له بل حسن كل مليحة لا يملكون
تاخرا عما قدمهم اليه ولا يستطيعون تقدما الى ما اخرهم عنه ملك الشيء ملكا من باب ضرب
احتواه قادرا على الاستبداد به والملك بالكسر اسم منه والاستطاعة الطاقة والقدرة
يقال استطاع يستطيع وقد تحذف التاء فيقال اسطاع يسطيع بالفتح ويجوز الضم كما
ابو زيد شبهوها بافعل يفعل افعالا والجملتان حاليتان احديهما معطوفة على الاخرى اى
حال كونهم لا يقدرون على خلاف ما حده لهم من تاخر وتقدم بل طائعين لامره منقادين
لحكمه وهذا لا ينافي الاستطاعة فان غايته ما يدل على ان الله تعالى اذا اراد شيئا لا يقع عنه
وما قدمه واخره لا يقع خلافه وبعضهم في سبيل المجاز على المعنى الاول ما يؤيد ذلك
وهذا القول امير المؤمنين في خطبة الاشباح قدر ما خلق فاحكم تقديره ودبره فالطف
تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء الى غايته
اذا امر بالمضي على ارادته كيف وانما صدرت الامور عن مشيته وجعل لكل روح
منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه جعل من الافعال العامة يجيء على ثلثة اوجه بمعنى
صار وطفق ولا يتعدى كقوله ٥ وقد جعلت قلوص بني زياد ٥ من الاكوار مرتعها قريب
وبمعنى خلق واوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور
وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا اذا علمت ذلك
فجعل في المتن بالمعنى الذي اي خلق واوجد والظرف متعلق به وتقديمه على المفعول
للتشويق الى ذلك النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بنفعه شيء منه
فيتمكن بها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر من وصفه من نوع طول لو قدم
لفات تجاذب اطراف نظم الكلام البليغ ويحتمل ان يكون بالمعنى الثالث اى التصيير
المتعدي الى مفعولين فيكون اولهما قوتا وثانيهما الظرف المتقدم على ما هو مقتضى
الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني

وهما في الاصل مبتدا وخبر والاصل لكل روح منهم قوت ثم قيل صار لكل روح قوت ثم
جعل لكل روح منهم قوتا ومعناه جعل قوتا موصوفا بالوصف المذكور كائنا لكل روح
69 منهم فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا يخفى ان الذي
يقتضيه المقام ما ذكرناه اولا وهو الاخبار بجعل القوت اى ايجاده لكل روح منهم والروح
بضم الراء المهملة وبعد الواو حاء مهملة يذكر ويؤنث كما نص عليه الجوهري وصاحب المحكم
وقال ابن الانباري وابن الاعرابي الروح والنفس واحد غير ان العرب تذكر الروح وتؤنث
النفس وهو لغة ما به الحيوة وعرفا يطلق لمعنيين احدهما البخار اللطيف المنبع من تجويف القلب
الجسماني المنتشر بواسطة العروق الضوارب الى سائر البدن وهو الحامل لقوة الحيوة والحس
ويشبه بالسراج الذي يدار في البيت فانه لا ينتهي الى جزء من اجزاء البيت الا ويستنير به
فالحيوة مثل النور الحاصل في الحيطان والروح مثل السراج وحركته في الباطن مثل حركة
السراج في زوايا البيت والاطباء اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وفيه يتصرفون
بتعديل مزاج الاخلاط وهو اول ما يتعلق به الروح بالمعنى الثاني وبواسطته يتعلق
بسائر البدن الثاني ما يشير اليه الانسان بقوله انا اعني النفس الناطقة المستعدة للبيان
وفهم الخطاب وهو المراد هنا قيل والذي نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الامارات الذوقية
واتفق عليه المحققون من الحكماء واهل الملل انه جوهر مجرد في ذاته متعلق بالبدن تعلق
التدبير والتصرف والحيوة عبارة عن هذا التعلق والموت هو قطع هذا التعلق مع بقاء
الروح في ذاته كما صرح به كثير من الخاصة والعامة وقد تحير العقلاء في كيفية هذا
التعلق واعترفوا بالعجز عن ادراكه كما تحيروا في حقيقة الروح وعجزوا عن ادراك كنهه
حتى قال بعضهم ان قول امير المؤمنين عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه
معناه انه كما لا يمكن التوصل الى معرفة النفس اعني الروح لا يمكن التوصل الى معرفة الرب
وقوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا مما يعضد

ذلك وقال بعض علمائنا المتأخرين المستفاد من الاخبار عن الائمة الاطهار ان الروح شبح مثالي
على صورة البدن وكذلك عرفه المتألهون بمجاهداتهم وحققه المحققون بمشاهداتهم
فهو ليس بجسماني محض ولا بعقلاني صرف بل برزخ بين الامرين ومتوسط بين النشأتين
وعالم الملكوت وللانبياء والاولياء عليهم السلام روح آخر فوق ذلك هو عقلاني
صرف وتجردي محض انتهى هذا ولما كان للروح وجودان وجود حقيقي وهو وجوده
لنفسه ووجود نسبي وهو وجوده للبدن وكان الانسان في هذه النشأة عبارة
عنه بوجوده الثاني الذي هو تعلقه بالبدن وتدبيره له وكان البدن لا يقوم الا
بالقوت وحفظه بالغذاء الى اجل معلوم جعل القوت للروح لانه المقصود بخلقه
هذا البدن اذ كان الغرض من ايجاده تعلق الروح وقال بعضهم ان الغذاء كما ينفع البدن
ينفع الروح ايضا اما باعتبار تعلقه بالبدن وبجوهر الروح البخاري واما باعتبار ان الغذاء
اذا كان جيدا مولدا للدم ينتفع الروح من حيث البهجة والسرور كما يتضرر به اذا كان مولدا
للسوداء من حيث الحزن والغم انتهى ولا يخفى ان الاعتبار الثاني ساقط عن درجة الاعتبار
ووقع في نسخة ابن ادريس لكل من زوج بالزاي والجيم والزوج ما يكون له نظير كالاصناف
والالوان او نقيض كالذكر والانثى قال ابن دريد والزوج كل اثنين ضد الفرد وتبعه
الجوهري فقال ويقال للاثنين المتزاوجين زوجان وزوج ايضا تقول عندي زوج
ايضا تقول عندي زوج نعال تريد اثنين وزوجان تريد اربعة وقال ابن قتيبة الزوج
يكون واحدا ويكون اثنين وقوله تعالى من كل زوج اثنين هو هنا واحد وكذلك قال — والروح
ابو عبيدة وابن فارس وقال الازهري وانكر النحويون ان يكون الزوج اثنين والزوج
عندهم الفرد وهذا هو الصواب وقال ابن الانباري العامة تخطئ فتظن ان الزوج اثنان
وليس ذلك من مذهب العرب اذ كانوا لا يتكلمون بالزوج موحدا في مثل قولهم زوج حمام
بل للذكر فرد وللانثى فردة وقال السجستاني ايضا لا يقال للاثنين زوج لا من الطير ولا من

غيره

غيره فان ذلك من كلام الجهال ولكن كل اثنين زوجان واستدل بعضهم لهذا بقوله
تعالى خلق الزوجين الذكر والانثى واما تسميتهم الواحد بالزوج فمشروط بان يكون معه
آخر من جنسه انتهى وقال الزمخشري في الفائق كل شيئين مقترنين شكلين كانا او نقيضين
فكل واحد منهما زوج وهما زوجان كقولك معه زوجا حمام وزوجا نعال وقال
الهروي في الغريبين الزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه آخر والاثنان زوجان
يقال زوجا خف وقال الراغب في تفسير الزوج يقال لكل واحد من القرينين من الذكر
والانثى في الحيوان وغيره كزوج الخف والنعل ولكل ما معه مقارن مماثل او مضاد
معه او مفرد انتهى اذا عرفت ذلك فالمراد بالزوج هنا الفرد الذي له قرين كانه قال
وجعل لكل واحد من الزوجين منهم قوتا معلوما فان كل ما خلقه الله تعالى جعله زوجين كما
قال سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين وقيل المراد بالزوج هنا النوع او الصنف لا
المتزاوجان فالمعنى لكل نوع وصنف قال ابن الاثير الاصل في الزوج الصنف
او النوع لكل شيء وقال بعضهم لا يبعد ان يكون المراد بالزوج على هذه النسخة النفس
الناطقة مع البدن فيؤول الى معنى الروح على النسخة المشهورة وذلك لكونهما شفعا لما
بينهما انتهى ولا خفاء بما فيه من التمحل وقال آخر كل ممكن زوج تركيبي لتركيبه من الذات
والوجود الزائد عليها مثلا وكل واحد منهما مزدوج بالآخر وزوج لصاحبه وهما زوجان
وقال العلامة النيسابوري في تفسير قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد يدور في
الخلد ان الآية اشارة الى ان كل ما سوى الله تعالى فانه مركب نوع تركيب لا اقل من الامكان والوجود
والجنس والفصل والمادة والصورة انتهى والقوت بالضم ما يؤكل ليمسك الرمق ومنه
الحديث اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا اي بقدر ما يمسك الرمق من المطعم وفي الدعاء من
طريق العامة وجعل لكل منهم قيتة مقسومة من رزقه وهي فعلة من القوت كسيرة من الموت
وفي نسخة قدمه وجعل لكل ذي روح وهو ظاهر المعنى وفي قوله منهم ابتدائية او بيانية

والقوت

قوله عليه السلام معلوما اى معلوم الوصف والقدر والوقت على حسب ما تقتضيه الحكمة
وتستدعيه الارادة التابعة لها الا ما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه اذ تخصيص كل
شئ بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل فى
الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لابد له من حكمة تقتضى اختصاص كل من ذلك كما
قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم قوله مقسوما
اى مفروزا عن غيره قسمة تقتضيها مشيئته المبنية على الحكمة والمصلحة ولم يفوض امره
اليهم علما منه بعجزهم عن تدبير انفسهم كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة
الدنيا قوله من رزقه اما متعلق بجعل او بقوله مقسوما ومن يحتمل ان تكون ابتدائية
وبيانية وتبعيضية والضمير اما راجع الى الله تعالى فيكون من باب اضافة الشئ الى فاعله
تاكيدا لجعله او قسمته ليثق الانسان بوصول ما قدره الله اليه فيكف عن الحرص والهلع
فى طلبه والى الروح فيكون من باب اضافة الشئ الى صاحبه بيانا لعنايته سبحانه به
وتمليكه ما يحتاج اليه والرزق فى اللغة العطاء ويطلق على النصيب المعطى نحو ذبح
ورعى بالكسر للمذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفى العرف اما عند الاشاعرة
فهو ما انتفع به حى سواء كان بالتغذى او غيره مباحا كان او حراما وربما قال بعضهم
هو ما يتربى به الحيوانات من الاغذية والاشربة لا غير كالامدى والتعويل على التعميم
واما المعتزلة فلما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه
قالوا ما هو مختص بانتفاع الحيوان به وليس لاحد منعه منه فلا يكون الحرام رزقا واستدلوا
بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون حيث اسند الرزق الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون من
الحلال الطيب المطلق فان انفاق الحرام بمعزل عن ايجاب المدح وبقوله تعالى قل ارايتم ما
انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا حيث ذم المشركين على تحريم ما
رزقهم الله وتمسك الاشاعرة لشمول الرزق لهما بما روى عن صفوان بن امية قال

كنا عند

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ جاء عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله كتب على
الشقوة فلا ارانى ارزق الا من دفى بكفى فاذن لى فى الغناء فقال عليه السلام لا اذن لك
ولا كرامة ولا نعمة كذبت اى عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت
ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا
لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله
رزقها واجابت المعتزلة عن الحديث بالطعن فى سنده تارة وبالتاويل على تقدير صحته
اخرى بان اطلاق الرزق على الحرام لمشاكلة قوله فلا ارانى ارزق كقوله تعالى ومكروا و
مكر الله وباب المشاكلة وان كان نوعا من المجاز لكنه واسع كثير الورود فى القرآن والحديث
فاش فى نظم البلغاء ونثرهم وعن قولهم لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذى به طول
عمره مرزوقا بان مادة النقض لابد وان تكون متحققه وليس اذ لا يتصور حيوان كذلك
اما غير الانسان فلانه لا يتصور بالنسبة اليه حل ولا حرمة واما الانسان فلو لم ياكل من الحلال
الا مدة عدم التكليف لكفى فى دفع النقض وايضا فالرزق اعم من الغذاء وباجماع المعتزلة
وجمهور الاشاعرة لا يشترط الانتفاع به بالفعل فالمتغذى طول عمره بالحرام انما يرد لو لم
ينتفع مدة عمره بشئ انتفاعا حلالا ولا يشرب الماء والتنفس فى الهواء بل ولا يمكن من الانتفاع
بذلك اصلا وظاهر ان هذا مما لا يوجد وللمعتزلة ان يقولوا ايضا لو مات حيوان قبل ان
يتناول شيئا حلالا ولا حراما يلزم ان يكون غير مرزوق فما هو جوابكم فهو جوابنا
تبصرة لك ان تجعل كلام القوت والرزق فى الدعاء اعم من الجسمانى والروحانى فان
الانسان كما علمت مركب من البدن والروح وكما ان البدن محتاج الى قوت جسمانى
ليزيد فى قدره اللائق به ويكمل فى ذاته كذلك الروح محتاج الى قوت مناسب له جسمانى
روحانى ليقويه ويبلغه غاية كماله وهو العلم والمعرفة واطلاق القوت
الطعام على الغذاء الروحانى شائع كقوله عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى

ومعلوم ان طعامه صلى الله عليه وآله عند ربه ليس من جنس اطعمة الحيوانات اللحمية ولا اشربة
من جنس هذه الاشربة وانما المراد طعام العلم وشراب المعرفة وعن زيد الشحام عن ابي
جعفر عليه السلام في قول الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال قلت ما طعامه قال
علمه الذي يأخذه عمن يأخذه فاذن الانسان محتاج الى كل من القوتين فكما جعل لكل
قوة جسمانية رزقا معلوما مقسوما من رزقه جعل له قوة روحانية رزقا معلوما مقسوما من رزقه
وبذلك احتج عليه ووجه الخطاب اليه قال بعض العارفين لكل احد نصيب من لوامع انوار
نوره قلّ او كثر فلله الحجة على كل احد بما عرفه من آيات وجوده ودلائل صنعه وجوده
فوقع التكليف بمقتضى المعرفة والعمل بموجب العلم والله اعلم لا ينقص من زاده ناقص
ولا يزيد من نقص منهم زائد نقص الشيء نقصانا من باب قتل ذهب منه شيء بعد تمامه
ونقصته انا يتعدى ولا يتعدى هذه هي اللغة الفصيحة وبها جاء التنزيل في قوله
ثم ننقصها من اطرافها وقوله غير منقوص وفي لغة ضعيفة يتعدى بالهمزة والتضعيف
قالوا ولم يأت في كلام فصيح ويتعدى بنفسه ايضا الى مفعولين فيقال نقصت زيدا
حقه وكذا زاد يستعمل لازما ومتعديا الى واحد والى اثنين فيقال زاد الشيء وزدته
انا وزدت زيدا درهما اذا عرفت ذلك فقوله ينقص مضارع نقص المتعدي الى واحد
زاده مفعول مقدم وناقص فاعله وهو اسم فاعل منه وكذا قوله يزيد مضارع
زاد المتعدي الى واحد ومن نقص منهم مفعول ومفعول نقص محذوف اي نقصه
منهم وحذف المفعول يكثر اذا كان ضميرا عائدا الى الموصول كقوله تعالى اهذا
الذي بعث الله رسولا اي بعثه وقوله زائد فاعل يزيد والعائد على الموصول
مضاف اذ ليس المراد تعلق النقص والزيادة بالذات والمعنى ان من زاد الله تعالى
قوته او رزقه منهم لا ينقصه ناقص ومن نقصه سبحانه لا يزيده زائد وقدم المفعول
في الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان تعلقه تعالى من الزيادة والنقصان ووقع في نسخ

ابن ادريس

ابن ادريس قوته او رزقه ضبط نقص بالبناء للمجهول والمعنى كما ذكره وان فيه نكتة
لطيفة وهي عدم اسناد النقص اليه سبحانه مع التصريح باسناده عديله اعني الزيادة
اليه تعالى تأدبا معه جل شأنه وتشييدا لمعالم جوده وكرمه حتى كأن الصادر عنه
تعالى هو الزيادة لا غير وان النقص صادر عن غيره جريا على منهاج الآداب التنزيلية
في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله على منهاج الادب
التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى وانا
لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وقوله تعالى الذي خلقني
فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وفائدة هاتين
الفقرتين التأكيد لكون القوت من الرزق معلوما مقسوما من لدنه سبحانه وتعالى لا يستطيع
غيره ان يتصرف فيه بزيادة ونقصان ثم ضرب له في الحيوة اجلا موقوتا ونصب له
امدا محدودا ثم حرف عطف تقتضي الترتيب والتراخي وفيه دلالة على ان تقدير الرزق
مقدم على تقدير الاجل ويؤيده الحديث المشهور خلق الله الارزاق قبل الارواح بأربعة
آلاف عام وضرب له اي قدره وفرضه ومنه الضريبة وهو ما يؤدي العبد الى سيده
والحياة المقدر عليه والحيوة قيل هي قوة الحس والحركة وقيل هي اعتدال المزاج وقيل
قوة تتبع اعتدال المزاج وقيل صفة توجب للمتصف بها ان يعلم ويقدر وقال
الفخر الرازي الحيوة يوصف بها الواجب جل شأنه والانسان والحيوان والنبات والجهة
التي يصح وصف كل منها بها هي كونه على الوجه اللائق الذي يترتب عليه الاحكام التي من شأنه
وقد احسن في جميع معانيها المتعددة في تعريف واحد والاجل يطلق على معنيين
احدهما وهو الاكثر الوقت الذي يضرب لانقضاء الشيء ومنه اجل الانسان الذي
ينقضي فيه عمره وتنقطع فيه حياته كقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون الثاني المدة التي يكون الانقضاء في آخرها كما في قولهم

اجل الدين شهران وعلى هذا يقال اجل الانسان لمدة عمره وارادة هذا المعنى هنا
اولى وانسب من المعنى الاول لتكون الفقرة الاخرى تاسيسا وهو خير من التاكيد
قوله سوقيا اى محدود الوقت من وقته نقيضه من باب وعد اذا حدله وقتا وهو المقدار
من الزمان المفروض لامر ما ونصب الشى ينصبه نصبا من باب ضرب وضعه والامد
الغاية يقال بلغ امده اى غايته وقال الجوهرى يقال ما امدك اى منتهى عمرك و
قال ابن الاثير فى النهاية فى حديث الحجاج قال للحسن ما امدك قال سنتان لخلافة عمر
اراد انه ولد لسنتين من خلافة عمر وللانسان امدان مولده وموته والامد الغاية
انتهى وقال الزمخشرى فى الفائق اراد بالامد مبلغ سنه والغاية التى ارتقى اليها
عدد سنيه قال الطرملح كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انقضى امده وقوله سنتان
من خلافة عمر انتهى والمراد به فى الدعاء امد الموت كما هو ظاهر واعرف من هذه به
العمر وقال ان هذه الفقرة بمنزلة العطف التفسيرى على الفقرة السابقة فان الامد
قد ورد بمعنى الغاية فى جميع كتب اللغة والمحدود مفعول من حدوث الشى
اذا ميزته اى غاية معلومة مميزة لا يقع فيها اشتباه تنبيه الاجل الموقت
لا ينافى الموقوف ويقال له المعلق فانه موقوف ايضا بشرط وهو الذى يقع فيه
التقديم والتاخير والزيادة والنقصان كما دلت عليه الايات والاخبار قال تعالى
فى سورة نوح ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم
الى اجل مسمى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر قال المفسرون الاجل المسمى هو الامد الاقصى
الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم
على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تاخيرهم اليه بالايمان صريح
فى ان لهم اجلا آخر لا يجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر اى ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر اذا جاء وانتم على ما انتم عليه من الكفر

والعصيان

لا يؤخر فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذى هو بقاؤكم
على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التاخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه وروى
ثقة الاسلام فى الكافى باسناده عن حمران عن ابى جعفر عليه السلام قال سألته
عن قول الله تعالى عز وجل قضى اجلا واجل مسمى عنده قال هما اجلان اجل
محتوم واجل موقوف وروى على بن ابراهيم باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام
فى تفسير هذه الآية قال الاجل المقضى هو المحتوم الذى قضاه الله وحتمه و
المسمى هو الذى فيه البداء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء والمحتوم ليس فيه تقديم
ولا تاخير والروايات فى هذا الباب كثيرة تذنيب اختلفوا فى المقتول ونحوه
فقالت الاشاعرة هو ميت باجله بحيث لو لم يقتل فى ذلك الوقت لمات فيه
وموته بفعل الله ووافقهم على ذلك ابو الهذيل من المعتزلة واستدلوا بقوله
تعالى ما تسبق من امة اجلها وقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا موجلا و
قال حكماء الاسلام لكل ذى حيوة اجلان طبيعى وهو الذى يكون بالنسبة الى المزاج
الاول لكل شخص لو بقى مصونا عن الآفات الخارجية واخترامى وهو الذى يحصل
بسبب من الاسباب الخارجية كالقتل والغرق والحرق واللدغ وغيرها من الامور
المنفصلة فالمقتول ونحوه لو لم يقتل مثلا لعاش الى اجله الطبيعى وذهب الى
هذا القول سائر المعتزلة وقالوا ان موته من فعل القاتل لا من فعله تعالى ولا ملام
توجه الذم اليه واحسن ما استدلوا به قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة فان مرة
ان القاتل متى علم انه اذا قتل قتل ارتدع عن القتل فيكون شرع القصاص سببا
لحيوة القاتل والمقتول ولو كانا بحيث لم يقتلا لماتا لم يكن كذلك وحمل الحيوة على
الاخروية بعيد جدا وذهب اكثر المحققين الطوسى فى التجريد وقال ابن نوبخت
من اصحابنا فى كتاب الياقوت من المقتولين من لو لم يقتل لعاش قطعا ومنهم من يجوز

عليلا امران وابخع على القطع بحيوة البعضان ملكا لو قتل اهل بلدة فانه الحكم بانه لو بقيتهم
لعاشوا لانه لولا ذلك لنقض العادة اذ من المستحيل عادة موت اهل تلك البلدة
في يوم واحد ونقض العادة لا يجوز الا في زمان الرسالة ورد بان هذا استحالة
عادة ممنوع لان مثله يقع في الوباء **تخطأه اليه بالهمزة ويرهقها اعوام دهره** تخطا
من الخطو وهو المشي لكن وقع في اكثر النسخ بالهمزة وانكره الجوهري فقال تخطيته
اذا تجاوزته يقال تخطيت رقاب الناس وتخطيت الى كذا ولا تقل تخطات بالهمزة انتهى
واثبته الزمخشري وهو الثقة الثبت فيما ينقله قال في اساس اللغة تافتك هذه
من المخطبات الجيفاء اي تمضي لفقيها وتخلف وراءها التي سقطت من الجحرى انتهى ولا
نكير في ذلك فان العرب قد تهمز غير المهموز قال الفراء ربما خرجت بهم فصاحتهم الى
ان يهمزوا ما ليس بمهموز قالوا رثات الميت ولبات بالحج وحلات السويق كل ذلك بالهمز
وانما هو من الرثى والتلبية والحلاوة وقال ايضا افتات برايه اي انفرد واستبد
قال الجوهري هذا الحرف سمع مهموزا ذكره ابو عمرو وابو زيد وابن السكيت وغيرهم فلا
يخلو اما ان يكون همزوا ما ليس بمهموز كما قالوا حلات السويق ولبات بالحج ورثات الميت
او يكون اصل هذه الكلمة من غير الفوت انتهى فيتوجه له تخطا بالهمز على ما وقع في اكثر
النسخ من باب همزهم ما ليس بمهموز واما جعله من الخطاء الذي هو نقيض الصواب
فخطاء محض ولبعضهم في توجيه الهمز هنا خرافات تضحك الثكلى والايام جمع يوم
ادغم قال الخوارزمي الغالب في الايام واليومان لا يذكر الا في الشر كقوله تعالى وذكرهم
بايام الله اي عقوبته وقال غيره تقع الايام في الخير والشر قال تعالى تلك الايام
نداولها بين الناس وقال الثعلبي في الفاظ كايام الشباب والعمر بالضم وبضمتين مدة
الحيوة ورهقت الشيء رهقا من باب تعب قربت منه قال ابو زيد طلبت الشيء حتى رهقته
وكدت اخذه او لحقته وقال الفارابي رهقته ادركته والاعوام جمع عام وهو في

تقدير

تقدير فصل بفتحتين كسبب واسباب ومعناه الحول قال ابن الجواليقي ولا تفرق عوام الناس
بين العام والسنة ويجعلونهما بمعنى فيقولون لمن سافر في وقت من السنة اي وقت
كان الى مثله عام وهو غلط والصواب ما اخبرت به عن احمد بن يحيى انه قال السنة
من اول يوم عددته الى مثله والعام لا يكون الا شتاء وصيفا وفي التهذيب ايضا
العام حول ياتي على شتوة وصيفة وعلى هذا فالعام اخص من السنة وليس كل سنة
عاما فاذا عددت من يوم الى مثله فهو سنة وقد يكون فيه نصف الصيف ونصف
الشتاء والعام لا يكون الا صيفا وشتاء متواليين وتظهر فائدة ذلك في الايمان
والنذور فاذا نذر ان يصوم عاما لا يدخل بعضه في بعض انما هو الشتاء والصيف
خلاف سنة والدهر الزمان قل او كثر قال الازهري الدهر عند العرب يطلق على
الزمان وعلى الفصل من فصول السنة واقل من ذلك ويقع على مدة الدنيا كلها وقال
سمعت غير واحد من العرب يقول اقمنا على ماء كذا دهرا وهذا المرعى يكفينا دهرا
ويحملنا دهرا قال لكن لا يقال الدهر اربعة ازمنة ولا اربعة فصول لان اطلاقه على
الزمن القليل مجاز واتساع فلا يخالف به المسموع ويحسب الرجل الذي يقول بقدم الدهر
ولا يقول بالبعث دهري بالفتح على القياس واما الرجل المسن اذا نسب الى الدهر فيقال
دهري بالضم على غير قياس والضمير في اليه ويرهقه راجع الى الاجل والامد وان
فسر الاجل بمدة العمر فهو راجع الى الامد فقط وفي عمره ودهره الى كل روح والسالم
والمعنى ان كل شخص يتجاوز الى غاية عمره بايام حثيثة تقرب منه باعوام زمانه
كان كل يوم خطوة وكل عام مرحلة يقطعها الى ان يبلغ منتهاه **حتى اذا بلغ اقصى اثره**
واستوعب ايامه بلغ اي وصل من قولهم بلغت المنزل اي وصلته واقصى الشيء
منتهاه وغايته القصوى والاثر الاجل ومنه الحديث من سره ان يبسط الله في رزقه
وينسا في اثره فليصل رحمه اي في اجله وسمي به لانه يتبع العمر قال زهير لا

ينتهي العمر حتى ينتهي الاثر وقال ان الاثر اصله من اثر مشيه في الارض فان من مات لا
يبقى له اثر فلا يرى لاقدامه في الارض اثر واستوعبه استقصاه واستاصله اي اخذه
جميعه وحسبه يحسبه من باب قتل حسبا وحسبة وحسابا بالكسر فيهما وحسابا بالضم
احصاه عددا وحتى حرف ابتداء يبتدا به الجمل اي يستانف فهو داخل على الجملة
باسرها لا عمل له واذا ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط في موضع نصب بشرطه وهو قوله
بلغ او بجوابه وهو قوله قبضه في اول الفقرة الاتية هذا على راي الجمهور وزعم الاخفش
كالاخفش وتبعه ابن مالك ان حتى هي الجارة واذا في موضع جر بها وهي على هذا لا جواب
لها والمعنى ثم صيرني في الحيوة احلاما موقتا ونصب له امدا محدودا الى بلوغ
اقصى اثره واستيعاب حساب عمره فيكون قوله قبضه الى ما ندبه اليه فيما ياتي
استيناف وجواب سؤال كان قد قيل فاجرى اذ ذاك فقيل قبضه الى ما ندبه اليه وممن
قال هذا الوجه الزمخشري فانه جوزه مع الوجه المذكور عن الجمهور قبضه الى ما ندبه
اليه من موفور ثوابه او محذور عقابه قبضه الله من باب ضرب اماته وعبر عن الاماتة
بالقبض الذي هو في الاصل بمعنى جمع المنبسط وطيه لما في ضدها وهو الاحياء من
معنى المد الذي هو البسط طولا اذ هو جعله ممتدا الى اجل موقوت وامد محدود وعداه
الى الثاني بالى المتضمنة معنى التوجيه اي قبضه موجها له الى ما ندبه
اي دعاه اليه يقال ندبه الى الامر ندبا من باب قتل اذا دعاه والفاعل نادب والمفعول
مندوب والامر مندوب اليه والاسم الندبة كغرفة ومنه المندوب في الشرع
والاصل المندوب اليه لكن حذفت الصلة منه لفهم المعنى والموفور التام المكمل
وفر الشيء يفر وفورا من باب وعد تم وكمل ووفرته وفرا من باب وعد ايضا اتممته
والكلمة يستعمل لازما ومتعديا والمصدر فارق والثواب في اللغة الجزاء والمحذور المخوف
قال تعالى ان عذاب ربك كان محذورا والعقاب العقوبة ماخوذ من العقب لان المعاقب

يتبع

الثواب والعقاب

٧٥

يتبع عقب الخصم طالبا حقه يقال عاقبه اذا جاء بعقبه والمراد بقوله ندبه اليه اما
الاشارة الى توجيه اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه فيكون قوله او محذور عقابه
عطفا على موفور ثوابه او حقيقة الدعاء كقوله تعالى والله يدعو الى دار السلام وقوله
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله
او محذور عقابه اما عطف على ما ندبه اليه او الى محذور عقابه واما على موفور ثوابه
بتضمين ندبه معنى جنبه كما قيل في قوله ، علفتها تبنا وماء باردا ، فضمن علفتها معنى
انلتها واما عطف عليه مع حمل العبارة على ظاهرها فلا يصح الا على اعتقاد المجبرة وهو
تبصرة عرف المعتزلة الثواب بانه النفع المستحق المقارن للتعظيم والعقاب بانه الضرر
المستحق المقارن للاهانة وقالوا بوجوبهما عقلا اما الاول فلان الطاعة مشقة
الله المكلفين وهي من غير عوض ظلم لا يصدر عن الحكيم العدل فلا بد من العوض
ولا يكون الا نفعا ولو امكن الابتداء به كان التكليف قبيحا واما الثاني فلانه لطف
على اللطف فان علم المكلف باستحقاق العقاب على المعصية يبعده من فعلها ويقربه
من فعل ضدها واللطف واجب على الله تعالى وهذا الدليل يجري في الاول ايضا و
عند الاشاعرة سمعي واقع في الثواب لان الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه
الله تعالى عنه واما العقاب فيجوز ان لا يقع ووافقهم على ذلك معتزلة البصرة
وبغداد واختلفت الامامية فذهب جماعة منهم المحقق الطوسي الى ما ذهب
اليه المعتزلة قال في التجريد ويستحق الثواب والمدح بفعل الواجب والمندوب
وفعل ضد القبيح والاخلال به بشرط فعل الواجب لوجوبه او لوجه وجوبه
والمندوب كذلك والضد لانه ترك قبيح والاخلال لانه اخلال به لان المشقة
من غير عوض ظلم ولو امكن الابتداء به كان التكليف عبثا وكذا يستحق العقاب
والذم بفعل القبيح والاخلال بالواجب لاشتماله على اللطف وللسمع انتهى وذهب

طائفة منهم الشيخ ابو اسحق بن نوبخت الى وجوبهما سمعًا لا عقلًا قال في الياقوت ليس
في العقل ما يدل على ثواب لكثرة النعم التى لا يستحق العبد معها جزاء على طاعاته ولا عقاب
الا انه يقتضى العقل تعذيب المسئ في الشاهد دائمًا انتهى وقال آخرون بوجوب الثواب
عقلًا والعقاب سمعًا وهو مختار العلامة الحلى قدس سره ويتعلق بهذا المقام مسائل الاولى
ذهب المعتزلة ووافقهم المحقق الطوسى الى ان الثواب والعقاب يجب خلوصهما من الشوائب
بمعنى ان الثواب يجب ان يكون خالصًا من جميع انواع المشاق والمكاره والعقاب من جميع
انواع السرور اما الاول فلانه لو لم يكن خالصًا لكان انقص حالًا من العوض والتفضل
اذ كانا خالصين وانه غير جائز واما الثانى فلانه ادخل في باب الزجر من الثواب
فيجب خلوصه بالطريق الاولى وان درجات اهل الجنة درجاتهم متفاوتة فمن كان
ادنى درجة يكون مغتمًا اذا شاهد من هو ارفع درجة منه الثواب وايضًا فان
اهل النار يتركون القبائح فيجب ان يثابوا بتركها فلا يكون عقابهم خالصًا عن الثواب
وايضًا فان اهل النار يتركون القبائح فيجب ان يثابوا بتركها فلا يكون عقابهم
خالصًا عن شوب من الثواب واجيب بان كل ذى مرتبة في الجنة لا يطلب الا زيد
من مرتبته لان شهوته مقصورة على ما حصل له فلا يكون مغتمًا عند مشاهدة من
هو ارفع درجة منه وسرورهم بالشكر على النعمة بالغ الحمد تنتفى المشقة معه
اما الاخلال بالقبائح هنا هو بالثواب بنفى عنهم مشقة الاخلال بها واما اهل النار
فلملجاؤن الى ترك القبائح فلا يثابون عليه **الثانية** ذهبوا ايضًا الى انه يجب دوام
ثواب اهل النعيم وعقاب اهل الجحيم واحتج عليه المحقق الطوسى بوجوه احدها ان العلم
بدوامهما يبعث المكلف على الطاعة ويزجره عن المعصية فيكون لطفًا واللطف واجب
الثانى ان المدح والذم دائمان اذ لا وقت الا ويحسن فيه مدح المطيع وذم العاصى وهما
معلولا الطاعة والمعصية فيجب دوام الثواب والعقاب لان دوام احد المعلولين يستلزم

دوام المعلول

٧٦
دوام المعلول الآخر الثالث ان الثواب لو كان منقطعًا لحصل لصاحبه الالم بانقطاعه
ولو كان العقاب منقطعًا لحصل لصاحبه السرور بانقطاعه فلم يكونا خالصين من الشوائب
لكن يجب خلوصهما عنه كما مر **الثالثة** استحقاق الثواب والعقاب هل هو في وقت
وجود الطاعة والمعصية بدون شرط او في الدار الآخرة او في حالة الموت او
في الحال بشرط الموافاة اقوال ذهب الى كل جمع من المعتزلة واختار المحقق الطوسى و
العلامة الحلى من اصحابنا الاخير ومعنى شرط الموافاة انه لو كان في علم الله تعالى
انه يحبط الطاعة او يتوب من المعصية قبل الموافاة فلا يستحق بهما ثوابًا ولا عقابًا
ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى اقتباس من قوله تعالى في سورة النجم ان
ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ولله ما في السموات وما في
الارض ليجزى الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى وقوله ليجزى الى
آخره متعلق في الدعاء بقوله قبضه واما في الآية فقيل متعلق بما دل عليه اعلم الى
آخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل خلقًا لله تعالى مما يقرر علمه سبحانه
باحوالهم لا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما
ليجزى الذين اساؤا الى آخره وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى ولله ما في السموات وما
في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزى وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة
اى هو اعلم بمن ضل ليؤل امره الى ان يجزيه تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤل امره الى ان
يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وقوله بما عملوا اى بعقاب ما عملوا من الاساءة
او بسبب ما عملوا والحسنى صفة المثوبة الحسنى التى هى احسن من اعمالهم عشر مرات فصاعدًا
تفضلًا منه جلت آلاؤه او بسبب اعمالهم الحسنى وتكرير الفعل لاظهار كمال الاعتناء بشأن
الجزاء والتنبيه على تباين الجزائين **تذكرة** الاقتباس تضمين النظم والنثر بعض القرآن
لا على انه منه بان لا يقال قال الله تعالى ونحوه فان ذلك لا يكون اقتباسًا وقد

وقع في خطب امير المؤمنين صلوات الله عليه ودعاء اهل البيت عليهم السلام كثير مما
يدل على جوازه في مقام المواعظ والدعاء والثناء على الله سبحانه واما جوازه في الشعر وفي
غير ذلك من النثر فلم اجد فيه نصا من علمائنا نعم قال الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله
في شرح بديعيته الاقتباس على ثلثة اقسام محمود مقبول ومباح مبتذل ومردود
مردود فالاول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي واله عليهم السلام ونحو
ذلك والثاني ما كان في الغزل والصفات والقصص والرسائل ونحوها والثالث
على ضربين احدهما تضمين ما نسبه الله سبحانه الى نفسه كما نقل عن احد بني مروان
انه وقع على مطالعة فيها شكاية عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والثاني
تضمين اية كريمة في معرض هزل او سخف ونعوذ بالله من ذلك انتهى كلامه ولا اعلم
مستنده في هذا التفصيل ثم الصحيح ان المقتبس ليس بقران حقيقة بل كلام يماثله
بدليل جواز النقل عن معناه الاصلي والتغيير اليسير فيه كقوله امير المؤمنين عليه السلام
في كلام كلم به الخوارج ابعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه واله
اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فقد نقله من معناه
الاصلي وادخل على قد لام جواب القسم ولو كان المراد به الاية بعينها لما جاز ذلك
وقد استوفيت الكلام على ذلك بما لا مزيد عليه في شرح بديعيتي المسمى بانوار
الربيع في انواع البديع لمن اراد الاطلاع عليه فليرجع اليه قوله تقدست اسماؤه
وتظاهرت الاؤه العدل خلاف الجور وعرف بانه الامر المتوسط
بين طرفي الافراط والتفريط وانتصابه على المصدر اي حاكم عدلا او على المفعول له
اي لاجل العدل وتقدست اي تطهرت وتنزهت اسماؤه عن العيوب والنقائص
فالمتلبس بذاته العليا او تنزهت عن الالحاد فيها بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقها
على غيره بوجه يشعر بتشارك كما في قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال

والاكرام

٧٧

والاكرام وفائدة هذا التوسط سلوك سبيل الكناية كما يقال ساحة فلان بريئة عن
المثالب قوله وتظاهرت اي تظهر بمعنى تبينت لكل احد وتفاعل قد ياتي بمعنى فعل
نحو تجاوز بمعنى جاوز وتباعد بمعنى بعد ويحتمل ان يكون مطاوع ظاهر بمعنى
يقال ظاهر بمعنى طابق يقال ظاهر بين الثوبين اذا طابق وليس احدهما على الاخر
فيكون كناية عن ترادف نعمه وتظاهرها والالاء النعم واحدها الى كمعى والى كنحي والى
كدلو والى كفي والى كحي وانما ابدلت الهمزة التي هي فاء في الجمع استثقالا لاجتماع همزتين
وجملة تقدست اسماؤه مستانفة لا محل لها من الاعراب قصد بها تاكيد عدله
سبحانه ورفع توهم الجور في الجزاء بالعقاب وتنزيهه تعالى عن قول من ذهب من المجبرة
والدهرية الى نفي المعاد قائلا بان الاعادة لا لغرض عبث لا يليق بالحكيم والغرض
ان كان عائدا اليه سبحانه كان نقصا له فيجب تنزيهه عنه وان كان عائدا الى العبد فهو
ان كان الالام فهو غير لايق بالحكيم وان كان ايصال لذة اليه فاللذات سيما الحسيات
انما هي دفع الالام كما بينه العلماء والاطباء في كتبهم مثل ان يولم اولا حتى يوصل
اليه لذة حسية فهل يليق هذا بالحكيم وهل هو الا كمن يقطع عضو احد ثم يضع عليه
المراهم ليلتذ فاشار عليه السلام الى ان كل عمل جزاء ولازما وعدل العدل الحكيم يقتضي بصريح
العقل ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم وان لا يظلم ولا يجعل من كفر به
وعصاه كمن عرفه واطاعه ولما كانت هذه الدار ليست محلا لهذه التفرقة بل هي دار
الاكتساب والابتلاء كما نرى اذ اهدى الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات وافسقهم
واجهلهم في تمام اللذات والمسرات كما قيل: كم عالم عالم اعيت مذاهبه * وجاهل
جاهل تلقاه مرزوقا * فوجب بمقتضى عدله وحكمته ان تكون دار اخرى ينتقل اليها الموعود
وهي دار الجزاء فيجزي كلا بما عملوا ولا يظلم ربك احدا لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ
يُسْأَلُونَ اقتباس اخر من كلامه عز شانه وهو استيناف بيان لكمال جلاله

جبروته وعزة سلطانه في ملكه وملكوته بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يسأله عما
يفعل من افعاله مع ما قد ثبت بالدليل وصح بالبرهان عند جميع العقول من عدله وحكمته
فهو لا يفعل الا الحكمة والصواب وما فيه الخير والرشاد فوجب السكوت عن السؤال
للقطع بانتفاء القبح عن جميع ما يفعله من الافعال في جميع الاحوال وليس كذلك من سواه
فانهم عباد مملوكون وخلق مستعبدون ويقع منهم الحسن والقبيح ويصدر منهم الخطاء و
الصواب فهم جديرون ان يسألهم مالكهم الذي لا يجوز لهم ان يسألوه ويقول لهم فعلتم في
كل شيء فهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون واعلم ان المسلمين اجمعوا على انه لا يجوز ان يقال لله تعالى
سبحانه لم فعلت ولكنهم اختلفوا في عدم جواز السؤال لاي سبب فذهبت الاشاعرة الى
ان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض والمصالح وله بحكم المالكية ان يفعل في مخلوقاته ما
يشاء فان من يتصرف في ملك نفسه لا يقال لم فعلت وكيف يتصور في حقه استحقاق
ذم واستحقاق المدح ثابت له وما يثبت للشيء لذاته يستحيل ان يتبدل الصفات وكمالاته
غير معللة بشيء فكذلك صفاته وافعاله وانه غير محتاج الى الاسباب والوسائط والاعراض و
والمقاصد ورد بان نفي الغرض يستلزم العبث ولا يلزم عوده اليه حتى يكون مستكملا
به وقالت الامامية والمعتزلة انه تعالى لم يفعل القبائح غني عن فعلها والقبيح لا يصدر
الا من جاهل بقبحه او محتاج الى فعله فلما كان تعالى عالما بما كان ويكون من قبيح وحسن غنيا
عن المنافع والمصالح انه لا يفعل الا الحكمة ولا يحدث الا الصواب واستحال فعل القبيح
عليه من كل وجه واذا عرف المكلف اجمالا ان كل ما يفعله تعالى فهو حكمة وصواب وجب ان
يسكت عن لم واذا كان الملوك المجازيون لا يسألهم من في مملكتهم عما يوردون ويصدرون
من تدبير مملكتهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطاء والزلل عليهم فملك الملوك ورب
الارباب اولى واحرى بان لا يسأل عن افعاله لما ركز في العقول من ان كل ما يفعله فهو حسن
مشتمل على الغايات الصحيحة وعن الصادق عليه السلام في تفسير الآية المذكورة قال لا

يسل

٧٨

يسأل عما يفعل لانه لا يفعل الا ما كان حكمة وصوابا وهو المتكبر الجبار والواحد القهار فمن
وجد في نفسه حرجا في شيء مما قضى كفر ومن انكر شيئا من افعاله جحد وهم يسألون
قال يعني بذلك خلقه انه يسألهم والحمد لله الذي لو حبس عن عباده معرفة حمده
على ما ابلاهم من مننه المتتابعة واسبغ عليهم من نعمه المتظاهرة لتصرفوا
في مننه فلم يحمدوه وتوسعوا في رزقه فلم يشكروه حبس من باب ضرب اي منع والعباد جمع عبد واكثر
ما يطلق على المملوك وقد يطلق على الانسان حرا كان او عبدا رقيقا قال صاحب المحكم
يذهب بذلك الى انه مملوك لباريه عز وجل قال سيبويه هو في الاصل صفة قالوا
رجل عبد لكنه استعمل استعمال الاسماء قال الجوهري واصل العبودية الخضوع والذل
والعبد عشرون جمعا اشهرها عباد وعبيد واعبد وجعل بعضهم
العباد لله وغيره من الجمع لله والمخلوقين ولو مع ما في حيزها صلة الموصول على معنى
الحمد لله الذي صفته ونعته انه لو حبس عن عباده معرفة حمده لتصرفوا قال ابو البقاء
وتقع الشرطية صلة وصفة وحالا وكان للجملة الشرطية مستثناة عندهم من الانشائية
التي لا تقع شيئا من ذلك والذي سوغ ذلك ان كون حال الموصول ونحوه وصفة مضمون
الشرطية قضية معلومة كما نبه عليه صاحب الكشاف في قوله تعالى وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم حيث قال فان قلت ما معنى لو تركوا وجعل به
صلة قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو تركوا قال التفتازاني يعني
ان الصفة يجب ان تكون قضية معلومة المخاطب ثابتة للموصوف كالصفة للموصوف فكيف
ذلك في الشرطية الواقعة صلة فاجاب بان يكون حال الموصول وصفته مضمون هذه
الشرطية قضية معلومة انتهى والمعرفة العلم وقيل هي ادراك البسائط والجزئيات والعلم
ادراك المركبات والكليات ومن ثم يقال عرفت الله ولا يقال علمته وقيل هي عبارة
عن الادراك التصوري والعلم هو الادراك التصديقي ومن ذهب الى هذا القول جعل

العرفان اعظم رتبة من العلم قلت لان تصديقنا باستناد هذه المحسوسات الى موجود واجب
الوجود امر معلوم بالضرورة واما تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق الطاقة البشرية
لان الشيء ما لم يعرف لم يطلب ماهيته فمثل هذا كل عارف عالم من دون عكس ولذلك
كان الرجل لا يسمى عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقى من مطالعها الى مقاطعها
ومن مباديها الى غاياتها بحسب الطاقة البشرية وقيل هي ادراك الشيء ثانيا بعد توسط نسيان
فلذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف وهذا هو الاول في تعريف المعرفة وعلى هذا
فيحتمل ان يكون سبحانه الهم عباده حمده اولا في عالم الارواح كما الهم الاقرار بربوبيته في
عالم الذر ثم عرفهم اياه ثانيا في عالم الاجسام بما افاض عليهم من القوى الادراكية وارسال
الرسل بما يعلم ما هو الحق من ان جميع المعارف والاحكام توقيفية لا تعرف الا من جهة الرسول
المبعوث بتعريفها فان قلت المعرفة بهذا المعنى تقتضي ان يعرف المدرك ان هذا الذي
ادركه ثانيا هو الذي ادركه اولا ونحن لا نعرف ذلك فكيف يكون ادراكنا الحمد في
هذا العالم معرفة بهذا المعنى قلت اما التعريف منه سبحانه فقد وقع على طبق الهامه
الاول واما المعرفة فمن تخلص من ظلمة الطبع ومهاوي الهوى فهو يعرف ذلك كما هو حال
الانبياء والاوصياء وارباب العرفان حتى قال بعضهم اني لاجد لذة قوله تعالى الست بربكم
في سمعي الى الان واما من نام في مراقد الغفلات ولم يخرج بعد من غسق الظلمات فهو على
حاله في حجب الغفلة والنسيان مستمر داخل فيمن ينادى من مكان بعيد ولهذا سمي القرآن الذكر
من ذكر اللهم اجعلنا من المنتبهين من سنة الغفلة والمتقين مجلوفانه جهله قوله
عليه السلام على ما ابلاهم من حسنه الابلاء والابتلاء الامتحان والاختبار يقال ابلاه الله
بخير او شر يبليه ابلاء ويتعدى بنفسه ايضا فيقال بلاه يبلوه بلوى والاسم البلاء
مثل سلام وقال القتيبي يقال من الخير ابليته ابلاء ومن الشر بلوته ابلوه قال ابن الاثير
والمعروف ان الابتلاء يكون في الخير ابليته ابلاء ومن الشر بلوته ابلوه بلاء قال ابن الا

والمعروف

٧٩

والمعروف ان الابتلاء يكون في الخير والشر معا من غير فرق بين فعليهما ومنه
قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة ومنه الحديث من ابلي فذكر فقد شكر الابلاء
الانعام والاحسان يقال بلوت الرجل وابليت عنده بلاء حسنا انتهى قال بعضهم والتحقيق
مع القتيبي لان كلا منهما في العرف بينهما الا انه لا يستعمل كل في غيره تغليبا او معتقدا ونظيره
الفرق المشهور بين وعد واوعد حيث يستعمل الاول في الخير والثاني في الشر عند
الاطلاق وقد يستعمل كل خلاف الاخر بقرينة صارفة كقوله تعالى الشيطان يعدكم
الفقر وقوله سبحانه ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وفي الحديث واما لمة الملك
فايعاد بالخير والمنن جمع منة بالكسر بمعنى النعمة وكثيرا ما ترد بمعنى الاحسان الى من لا يطلب الجزاء
منه ومنه المنان من اسمائه تعالى وقيل هي النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين احدهما
ان تكون بالفعل فمن عليه اثقله بالنعمة ومنه لقد من الله على المؤمنين والثاني ان
تكون بالقول فهو عد الاحسان وهو مستقبح ولهذا قيل المنة تهدم الصنيعة الا عند
الكفران وقال بعض العلماء المنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله
تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح
للحق سبحانه واذا كانت صفة ذم لخلقه والسبب الفارق كون كل منعم سواه يحتمل ان يتوقع
لنعمته جزاء او يستفيد كمالا يعود اليه مما افاده والسرء توقع المدح ونحوه عن بعا
نعمته وبتوقع لها جزاء وان من بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر وتوقع الجزاء
والحاجة اليه مع الظاهر التطاول بر ولان التطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف اذا
التطاول والكبر انما يليقان بالغني عن غيره ما تطاول بر ولان التطاول مما يتاذى به
المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد نفس المنعم لقبول رحمة الله وجوائزه ولذلك ورد
النهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فجعلها
سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها انتهى وفيه نظر فقد ورد في الدعاء

عنهم عليهم السلام تنزيهه تعالى عن الامتنان بالمعنى المذكور كقول علي بن الحسين عليهما السلام في دعائه في طلب الحوائج ويا من لا يكدر عطاياه بالامتنان بالمعنى المذكور وقوله عليه السلام في وداع شهر رمضان ولم تشب عطاءك بمن وسيأتي الكلام على ذلك في الروضة الثانية عشر ان شاء الله تعالى والمتابعة المتوالية من تابع الشيء تبع بعضه بعضا والاسباغ التوسيع والافاضة سبغت النعمة سبوغا اتسعت واسبغها الله افاضها واتمها ومنه حديث شريح اسبغوا لليتيم في النفقة اي انفقوا عليه تمام ما يحتاج اليه ووسعوا عليه فيه والنعم جمع نعمة بالكسر وهي ما قصد به الاحسان والنفع والمتظاهرة الظاهرة او المترادفة من تظاهر [illegible] في الامر [illegible] تقلب فيه كيف يشاء فتقلب هو ووسعت الشيء فتوسع بسطته فانبسط ولو كانوا كذلك لخرجوا من حدود الانسانية الى حد البهيمية فكانوا كما وصف في محكم كتابه ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا كذلك فيه وجهان احدهما ان تكون الكاف للاستعلاء اي على ذلك كقولهم كن كما انت عليه اي على ما انت عليه في احد الوجوه والاشارة الى المفهوم من سياق الكلام اي ولو كانوا مستمرين على ذلك من تصرفهم في منّه بغير حمده وتوسعهم في رزقه من دون شكره الثاني ان تكون على معناها من التشبيه والمعنى لو كانوا دائما مثل تصرفهم في ذلك الحال من تصرفهم وتوسعهم في منّه ورزقه بدون حمده وشكره لخرجوا عن حدود كونهم اناسا الى حد كونهم بهائم فان ياء النسبة اذا لحقت آخر الاسم وبعدها هاء التأنيث افادت معنى المصدر نحو الفروسية والضاربية وفي اضافة الحدود مجموعة الى الانسانية اشارة الى اتصاف الانسان بامور متعددة يمتاز بها عما سواه من الكمالات العلمية والعملية التي كل واحد منها بالنسبة اليه حد بخلاف البهيمية فليس لها الا حد عدم العقل وفي نسخة [illegible] لدخلوا في حريم البهيمية وهو قريب من معنى الحدود فان حريم الدار ما اضيف اليها من حقوقها ومرافقها سمي بذلك لانه يحرم على غير مالكها ان يستبد بالارتفاق به

ومنه حرم

٨٠

ومنه حريم البئر اربعون ذراعا والانسان اسم جنس يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى واختلفوا في اشتقاقه مع اتفاقهم على زيادة النون الاخيرة فقال البصريون من الانس لانهم يستأنسون بامثالهم فالهمزة اصل ووزنه فعلان وقال الكوفيون مشتق من النسيان فالهمزة زائدة ووزنه افعان على النقص والاصل انسيان افعلان على النقص والاصل انسيان افعلان فحذفت الياء استخفافا لكثرته ولهذا يرد الى اصله في التصغير فيقال انيسيان والبهيمة كل ذات اربع من دواب البر والبحر وكل حيوان لا يميز فهي بهيمة قوله في محكم كتابه من اضافة الصفة الى الموصوف كجرد قطيفة واخلاق ثياب اي كتابه المحكم كقوله تعالى كتاب احكمت آياته يقال احكمت الشيء اذا اتقنته فاستحكم هو والمراد انه لا اختلاف فيه ولا اضطراب كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او من باب اضافة البعض الى الكل لانقسام الكتاب الى محكم ومتشابه لقوله تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ والمحكم ما وضح معناه والمتشابه بخلافه وقيل غير ذلك وسيأتي الكلام عليه في شرح دعاء ختم القرآن ان شاء الله تعالى قوله ان هم الا كالانعام ان نافية اي ما هم الا كالانعام جمع نعم محركة كسبب واسباب والنعم اسم جمع لا واحد له من لفظه قيل يؤنث ويذكر وقال الفراء هو مذكر ولا يؤنث ويذكر قال الفراء هو مذكر ولا يؤنث وهو الابل والبقر والضأن والمعز وقيل هو الابل خاصة واذا كان معها بقر وغنم فهي انعام وان انفردت البقر والغنم لم تسم نعما قال القرطبي والاول هو الصحيح ونقل الواحدي اجماع اهل اللغة عليه والمعنى ما هم في عدم معرفتهم ما يجب عليهم من حمد المنعم وشكره على نعمه ومنّه او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب العيش مقصورة عليها الا كالانعام التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل سبيلا منها وبان ان الانسان [illegible] سائر

الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس الحس الظاهرة
وفي احوال التخييل واما تحصيل الامتياز له بالقوة العقلية التي يهتدي بها الى معرفة الحق
لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل اضل
وادون منها لانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة فيها بل صارفة الى ما خلقت لاجله
فلا تقصير من جهتها في طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للعطية
التي فطرهم الله عليها مستحقون بحكم العقل العظيم العقاب في اشد النكال تذكرة في كلامه
عليه السلام هذا اشارة الى ان شكر النعم واجب عقلا لدلالته على انه مع عدم ارشاد العباد
الى معرفته لو لم يبعث منهم لكانوا مذمومين داخلين في حد البهائم بل كانوا اضل منها
سبيلا والمسألة محل خلاف فذهبت الاشاعرة الى وجوبه شرعا وذهبت الامامية
والمعتزلة الى انه واجب عقلا ولو لم يرد به نقل اصلا استدلت اصحابنا الامامية
على ذلك بان من نظر بعين عقله الى ما وهب من القوى والحواس الباطنة والظاهرة
وتامل بعين فطرته فيما ركب في بدنه من دقائق الحكمة الباهرة وصرف نظر بصيرته الى ما هو
مغمور فيه من انواع النعماء واصناف الالاء التي لا يحصى عشر معشارها ولا يوقف على انحائها
فان العقل يحكم حكما لازما بان من انعم عليه بتلك النعم العظيمة والمنن الجسيمة حقيق
بان يحمد ويشكر وخليق بان لا يجحد ولا يكفر ويقضي قضاء جازما بان من اعرض عن
شكر تلك الالطاف العظام واهمل حمد هذه الايادي الجسام مع تواترها انا فانا و
ترادفها برا واحسانا فهو مستوجب للذم والعتاب بل مستحق لاليم النكال وعظيم العقاب
ثم ان الاشاعرة بعد ما لفقوا ادلة سقيمة ظنوها حججا قاطعة على ابطال الحسن والقبح
العقليين ورتبوا قضايا عقيمة حسبوها براهين ساطعة على حصرهما في الشرعيين
ارادوا تبكيت اصحابنا باظهار الغلبة عليهم على تقدير موافقتهم في العقول المنسوب اليهم
فقالوا انا لو تنزلنا لكم وسلمنا ان الحسن والقبح عقليان فانا واياكم في الاذعان بذلك

سيان

٨٩

سيان فان عندنا ما يوجب تزييف قولكم بوجوب شكر المنعم بقضية العقل ولدينا
ما يقتضي تضعيف اعتقادكم بثبوت ذلك من دون ورود النقل فان ما جعلتموه
دليلا من خوف العقاب ومظنة العقاب مردود اليكم ومقلوب عليكم اذ الخوف
انما هو عند قيام العبد بوظائف الشكر والحمد فان كل من له ادنى عقل يحكم حكما
لا ريب فيه ولا شك يعتريه بان السلطان العظيم والملك الكريم الذي ملك
الاكناف شرقا وغربا وحاز الاطراف بعدا وقربا اذا مد لاهل مملكته من الخاص والعام
مائدة عظيمة لا مقطوعة ولا ممنوعة على توالي الايام مشتملة على انواع المطاعم الشهية
مشحونة باصناف المشارب السنية يجلس عليها الداني والقاصي ويتمتع بطيباتها
المطيع والعاصي فحضرها في بعض الاحيان فقير لم يحضرها قبل ذلك الا الان فتناول
من ذلك الخبز لقمة واحدة لا غير فتناولها ذلك الفقير ثم شرع في الثناء على ذلك
الملك العظيم وجعل يمدحه بجليل الانعام والاحسان ويحمده على جزيل البر والامتنان
ولم يزل يصف تلك اللقمة ويذكرها ويعظم شانها ويشكرها تارة بحرك انامله شكرا
وطورا بهز راسه ذاكرا فلا شك ان ذلك الشكر والثناء ينتظم عند العقلاء في سلك
التهكم والاستهزاء فيستوجب العتاب اليسير بل يستحق العقاب على هذا التكليف ونعم الله تعالى علينا
بالنسبة الى عظيم سلطانه وعميم كرمه واحسانه احقر من تلك اللقمة بالنسبة الى ذلك
الملك بمراتب لا يحيط بها الاحصاء ولا يحوم حولها الاستقصاء فظهر ان العقل السليم والراي
القويم يقتضيان تقاعدنا عن شكره تعالى على نعمائه ويحكمان بوجوب الكف عن حمده
سبحانه على الائه ولا يخفى على من سلك مسالك السداد ولم ينهج مناهج اللجاج والعناد ان
لاصحابنا رضوان الله عليهم ان يقولوا ان ما اوردتموه من الدليل وتكلفتموه من التمثيل
كلام مختل عليل لا يروي الغليل ولا يصح للتاويل فان تلك اللقمة لما كانت ذات قدر
حقير عند الملك والفقير عديم الاعتبار في جميع الانظار لا جرم كان الحمد عليها والثناء بها

في سلك السخرية والاستهزاء فالمثال المطابق لما نحن فيه المناسب لما نقتفيه ان يقال لو
كان في زاوية الخمول وهاوية الذهول مسكين اخرس اللسان موقوف الاركان مسلول
البدن معدم الرجلين مبتلي بالاسقام والامراض محروم من جميع المطالب والاغراض عادم الحواس
الظاهرة باسرها عادم المدارك الباطنة باجزها فاخرجه الملك من غيابة تلك الزاوية
وكابة تلك الهاوية وسلله وتعطف عليه باعطاء السمع والبصر وتكرم بهدايته الى
جلب النفع ودفع الضرر وبالغ في اعزازه واكرامه وفضله على كثير من ابناء جنسه وخدمه
ثم انه بعد انقاذ الملك له من تلك الآفات العظيمة والبلايا العميمة وشفائه من تلك الامراض
والاسقام والاحسان اليه بجزيل الانعام وجميل الاكرام طوى عن شكره كشحا واضرب
عن حمده صفحا ولم يظهر منه ما يدل على الاعتناء بتلك النعماء التي ساقها ذلك الملك اليه ولا
التفات اليها اصلا بل كان حاله بعدها هو لحاله قبل حصولها ولا ريب انه مذموم
بكل لسان مستوجب للاهانة والخذلان فذلكم حقيق بان تكفروه ولا تظهروه و
تمثيلكم حليق بان تتركوه ولا تسطروه فان العقل السليم يأباهما والطبع المستقيم
لا يرضاهما والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله الذي عرفنا من نفسه و
الهمنا من شكره من نفسه اي من ذاته المقدسة وجواز اطلاق النفس مرادا به
الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين قال البغوي النفس يطلق
على الدم وعلى نفس الحيوان وعلى الذات وعلى الغيب والاولان يستحيلان في حقه سبحانه
والآخران يصح ان يرادا منه ولا اعلم ما في نفسك اي في ذاتك او في غيبك وزعم بعض
بعض المتأخرين انه لا يجوز اطلاقه عليه تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة وكفى بنا هذا
على جوازه وروده في كلام المعصومين عليهم السلام وعرفنا في كلام المغربي بيان بمعنى
توفيق الله سبحانه نفسه انه تعالى عرف عباده وجوده وعلمه وقدرته وحكمته اولا نما
على ذلك بالضرورة فان من تأمل في خلق السموات والارض وما بينهما سيما في

بلا حلقة

٨٢

بدو خلقه في ظلمات الارحام ومتضاعفات الاستار واستقراره في قرار مكين الى
معلوم واجل معين وتقلبه في بطن امه من حال الى حال وهو لا يعي دعاء ولا يسمع نداء
وخروجه من ذلك المضيق الى منزل لم يمهده ومقام لم يعرفه واحتياره في غذائه من الثدي
عند الحاجة يعلم ان له الها صانعا قادرا عليما حكيما وهذا العلم ضروري وان احتاج
الى تنبيه كما ورد في مواضع من القرآن العزيز ثم عرفنا ما فوق ذلك من صفات الكمال
ونعوتها ونعوت الجلال التي لا تطلع عليه العقول الا بالاستقلال بالاشراقات القلبية وارسال
الرسل وانزال الكتب ونصب الائمة ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ولئلا
يكون للناس على الله حجة فوجب عليهم ان يعرفوه كما عرفهم وان يصفوه بما وصف به نفسه
ومن وصفه بغير ذلك فقد اشرك بالله والحد في امره وتعدى في حقه تنبيه ليس المراد
معرفته سبحانه الا معرفة كونه موجودا قيوما متصفا بالصفات الحسنى متقدسا عما لا يليق
بجنابه الاسنى واما معرفة كنه ذاته وحقيقة صفاته فامر مستحيل وليس للعقول
اليه سبيل قالوا وتقرير ذلك وبيانه ان طريق معرفة الشيء احد امور ثلاثة اما مشاهدته
وحضوره عند العارف كمعرفة هذا الرجل وهذا الفرس واما معرفة علله واسبابه وهذا
الطريق يقال له برهان لمي واما معرفة آثاره ومعلولاته ويقال له برهان اني ولا طريق
الى المعرفة غير هذه الثلاثة لان ما لا يكون نفس الشيء ولا علته ولا معلوله لا تعلق له
بذلك الشيء فلا مدخل له في كونه وسيلة الى معرفته ثم الطريق الاول لا يمكن الا بفناء
هوية الممكن واندكاك جبل انيته ولم يتيسر لاحد من الانبياء في دار الدنيا صلوات الله عليهم
والطريق الثاني لا سبيل له في ساحة قدسه جل شأنه لانه بسيط صرف لا تركيب فيه اصلا لا ذهنا
ولا خارجا واجب لذاته مبدأ لجميع ما سواه واليه تنتهي الآباد كلها فلا علة له خارجا عن
ذاته ولا سبب له داخلا في ذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبقي الطريق الثالث والعلم الحاصل منه
علم ناقص لا يعلم به خصوصية ذات المعلوم لان الاثر والمعلول لا يستدعيان الا سببا وعلة
ما على وجه كلي لا مؤثرا معينا وعلة معلومة بالهوية ما يستفاد منه انا نظرنا الى احوالنا العام

٦٨

ووجود الحوادث والحركات على نسق وحيه واحكمه علمنا ان في الوجود خالقا قيوما ازليا
واحدا لا شريك له ولا شبيه عالما قادرا موصوفا بالصفات الحسنى والامثال العليا والكبريا
ذلك الله وهذه الطريقة يشترك في سلوكها جميع ارباب العقول من العالمين حتى الانبياء و
المرسلين كما قال تعالى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين وكان
سلوكهم ووصولهم على تفاوت مراتب عقولهم الا ترى انك تستدل بملكوت السموات
وحركات الكواكب وبروجها واتقانها على صانعها ومدبرها كما استدل بها خليل الرحمن
ولكن لا يحصل لك من ذلك الا علم ضعيف لا يكاد يمازجه ايمان ولا ايقان حتى لو وقعت
في ادنى بلية جعلت تلوذ بكل من تتوهم انه ينجيك منها والذي حصل له عليه السلام
علم ثابت ويقين جازم حتى قال له الروح الامين حين رمي بالمنجنيق وكان في الهواء متوجها
الى النار الك حاجة قال اما اليك فلا فلم يراعه عنه في تلك الحالة والمخافة الى ربه
ليس الا انه راى كل ما سواه مفتقرا اليه خاشعا لديه خاضعا بين يديه مقهورا لعزته
مغلوبا لقدرته بل لم ير موجودا سواه ولا ملجا الا اياه فتبين ان معرفة حقيقة
ذاته وما له من كمال صفاته امر غير ممكن الحصول ولا للعقول اليه وصول سواء في ذلك
الملائكة المقربون والانبياء والمرسلون كما قال اعرف الخلق به سبحانك ما عرفناك
حق معرفتك وقال ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الابصار وان الملأ الاعلى
يطلبونه كما انتم تطلبونه فلا تلتفت الى من زعم انه قد وصل الى كنه الحقيقة المقدسة
بل احث التراب في فيه فقد ضل وغوى وكذب وافترى فان الامر ارفع واطهر من ان
يتلوث بخواطر البشر وكلما تصوره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ واقصى ما
وصل اليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق والى ذلك اشار بعضهم حيث قال

والله لا موسى ولا عيسى المسيح ولا محمد :. علموا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
كلا ولا النفس البسيطة ولا العقل المجرد :. من كنه ذاتك غير انك واحد الذات سرمد

فسبحان من احتجب بغير حجاب وتقدس عن ادراك العقول والالباب في لمعة عليه السلام
والهمنا شكره الالهام ما يلقى في القلب بطريق الفيض فلا يحتاج استناده واسناده الى
المعرفة بالنظر في الادلة قال في الغريب يقال لما يقع في النفس من عمل الخير الهام ولما يقع من
الشر ومالا خير فيه وسواس ولما يقع من الخوف ايجاس ولما يقع من تقدير نيل الخير امل ولما
يقع من التقدير الذي لا لعل الانسان ولا له خاطر انتهى قالوا والفرق بين الالهام والوحي
بكون بواسطة الثاني ان الوحي من خواص الرسالة والالهام من خواص الولاية الثالث ان الوحي
مشروط بالتبليغ كما قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك دون الالهام ومنهم من
جعل الالهام نوعا من الوحي كما تقدم واما اللغة فيطلق احدهما على الاخر ومنه واوحى ربك
الى النحل اي الهمنا وقد عرف في علوهما والشكر حالة نفسانية تحصل من العلم بالمشكور
وصفاته وانعامه وثمرة العمل بالقلب واللسان والاركان وهو بالنظر الى تلك الثمرة
وعرفوه بانه فعل دال على تعظيم المنعم قولا وعملا واعتقادا وتخصيصه بالالهام
قد وقع نحوه في كلام امير المؤمنين عليه السلام حيث قال في مفتتح خطبة له الحمد لله الملهم
عباده حمده قال بعض الشارحين اراد بالعباد الملهمين حمده خواص البشر وقال غيره ان
حمد العباد له سبحانه والثناء عليه بما يليق بجبروته ووصفه بما يصح وصفه به وان لم
تدرك حقيقة صفته انما هو بالالهام منه سبحانه ان يحمدوه به وهذه نعمة منه تعالى يجب الحمد
عليها انتهى قلت ولعل فيه اشارة الى ما روي ان الله سبحانه لما نفخ في ادم من روحه صار بشرا
فعطس فاستوى جالسا فعطس فالهمه ان قال الحمد لله رب العالمين فقال الله تعالى يرحمك الله
يا ادم فكان اول حمد وقع من البشر الهاما وقال ابن ابي طاهر ما خلق الله شيئا من خلقه الا والهمه الحمد
وقد يراد بالالهام معناه اللغوي وهو الاعلام مطلقا فلا اشكال حينئذ تذكرة عليه السلام
يا موسى اشكرني حق شكري فقال يا رب كيف اشكرك حق شكرك وليس من شكر اشكرك به
الا وانت انعمت به علي قال يا موسى الان شكرتني حين علمت ان ذلك مني ومثل ذلك ما روي

٨٢

في حمده

من طريق العامة في مناجاة رسول الله صلى الله عليه وآله انت يا رب اسبغت علي النعم السوابغ
فشكرتك عليها فكيف لي بشكر شكرك تعالى الله تعالى العلم الذي لا يعرفه علم الحبيب ان تعلم
ان ذلك من عندي وفي هذا المعنى يقول محمود الوراق شكر الاله نعمة موجبة لشكره وكيف
شكري بره وشكره من بره وسنستوفي الكلام على مباحث الشكر في شرح الدعاء السابع و
الثلثين انشاء الله تعالى **وفتح لنا ابواب العلم بربوبيته** ابواب العلم جمع باب
كان كل وجه منها باب يدخل الى العلم منه والعلم الاعتقاد الجازم المطابق للواقع وقوله بربوبيته
متعلق بالعلم باء ربيت كل شيء وهو في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى
كماله شيئا فشيئا ثم وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وسمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه
ويربيه والمراد بالربوبية من بين الصفات نظرا الى مبدء الاشتقاق وهو التربية
فان العلم بها على حسب اثارها وفتح ابواب العلم بها من اعظم النعم التي يجب الحمد عليها اذ لا شيء
مما احدقه نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات
والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع التربية عنه
انا واحدا لما استقر له قرار وهوى في مهاوي العدم والبوار ولكنه من شانه يفيض
عليه من جنابه الاقدس في كل آن وزمان من انواع الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا
يحيط به الا هو سبحانه ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحق
بقاء وانما ذلك من جناب المبداء الاول عز شانه فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم يسد
عنه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف
عليه وجوده من الامور التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية يتوقف وجوده الوجودية
وهي المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع
غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان
وجودها في نفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشيء

من وجوده

٨٤

من وجوده غير متناهية وبالجملة فاثار تربيته عز وجل التي تفيض على كل فرد من افراد الموجودات
في كل آن من انات الوجود لا تقف على ساحل بحرها الاوهام ولا الالباب ولا يحيط بمقدارها
حصر ولا حساب فسبحان من لا يتناهى احسانه ولا ينفد امتنانه واعلم ان ابواب العلم به
سبحانه وان كانت لا تحصى جهاتها الا انها تنحصر في ثلثة اقسام مندرج تحت كل قسم مراتب غير
محصورة احدها العلم الفطري وهو حاصل للعوام ايضا اذ ما من احد الا ويعلم ان له ربا بحسب
الفطرة الاصلية لما ركب فيه من العقل الذي هو الحجة الاولى وان انكر وجوده منكر فانما
هو لغلبة الشقاوة المكتسبة المبطلة للاستعداد الفطري وهو مع ذلك يعترف به في حال
الاضطرار الثاني العلم بالنظر والاستدلال بالاثار وهذا القسم للخواص الثالث العلم بالكشف
والشهود الذي هو عين اليقين وهذا القسم لخواص الخواص الذين يعرفون الحق بالحق
ويحتمل ان يكون المراد بابواب العلم الهداة اليه والدالين عليه اذ كان العلم منادي
بهم الى مدينة العلم كما في قوله صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها وكذا حكم
اولاده المعصومين عليهم السلام قال بعضهم ويحتمل ان يكون الباء في قوله بربوبيته
للسببية ولا يخفى بعده **ودلنا على الاخلاص في توحيده** الدلالة الارشاد
والاخلاص مصدر اخلص الشيء اذا جعله خالصا مما يشوبه يقال اخلص الماء اذا صفا
من الكدر وكل شيء صفا عن شوبه وخلص يسمى خالصا قال تعالى من بين فرث ودم
لبنا خالصا اي لا شوب فيه من الفرث والدم وخلصت النار الذهب صفته مما يشوبه
من الحديد والنحاس ونحوهما واخلص طاعته ترك الرياء فيها واخلص لله الدين لم
يشرك به قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين اي موحدين غير
مشركين والتوحيد لغة جعل الشيء واحدا اي الحكم بوحدانيته والعلم بها وقد يطلق
بالاشتراك على التفريق بين شيئين بعد الاتصال وعلى الاتيان بالفعل الواحد منفردا
واصطلاحا اثبات ذات الله بوحدانيته منعوتا بالتنزيه عما يشابهه ويشاركه

ووحدانيته بمعنى انه لا ثاني له في الوجود وبمعنى انه لا كثرة فيه مطلقا الا في عين الذات
لانتفاء زيادة الصفات وقد يقصد بها معنى انه لم يفته من كماله شيء بل كل ما ينبغي له
فهو حاصل له بالفعل والمعنى الاول هو المشتمل عليه اول كلمة نطق بها الداعي الى الله تعالى وهي
قول لا اله الا الله ولكلمة التوحيد مراتب اكملها الاخلاص حيث جعله سبحانه على الدلالة
عليه ومراتبه اربع اولها ان يقال كتوحيد المنافق والمسلم من خوف السيف المشهور عليه
والثانية تصديق بمعتقد كتوحيد عامة المسلمين والثالثة يقين يستبصر بواسطة
نور الحق فيرى اشياء كثيرة ولكن صدورها على كثرتها من الواحد الفرد وهو مقام المقربين
كانهم وصلوا الى منتهى المقامات وبشروا بطلوع ثنيات المكاشفات فليس لتقريب
المنازل وجه ولا لتوجه العطشان فاجاه القطن يقولون قد جاز الثنية
رحله فتبشري البشرى وينشرح الصدر والرابعة كشف عن مشاهدة الصديقين
فلا يرى الا واحدا لا يرى نفسه ايضا فيفنى بواحده عن كل ما سواه ويفنى عن نفسه
ايضا فلا يراه فالاول من جهة بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا ويوقيه
خطه منها فلا يراق له دم ولا يباح له حريم ولا يحرم من مغنم ولا يمنع منه في
منكح ولا مذبح والثاني يعصمه في الآخرة ايضا من عذابها اذا توفي على الوفاء باحكامه
ولم تحل المعاصي عقدة اسلامه ويزيد مرتبة الثالث عليه بمقام اليقين وسلوك
طريقة المجتهدين في التجريد اذ يرى كلها من الواحد ولكنه يراها كثيرة نظرا الى جهاتها
ويزيد الرابع على هذا زيادة الشمس على النجم والسماء على الارض من حيث لا يرى في
شهوده غير الواحد الحق فلا يشاهد بالاشياء بل يشهد الاشياء به كما قال
تعالى او لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ومثال الاول هو القشرة الصلبة
السفلى التي هي بدن اللب فالتوحيد عن ظاهر اللسان يحفظ بدن المنافق في دنياه
ثم يرمي به فلا يغني عنه شيئا في اخراه ومثال الثاني هو القشرة الصلبة الاخرى

فانه

٨٥

فانه ظاهر النفع مع الجدوى يصون اللب عن الفساد ويربيه الى وقت الحصاد
وينفصل عنه فينتفع به في الوقود وغيره لكنه نازل القدر زهيد النفع
بالاضافة الى اللب فكذلك الايمان الظاهر عن مجرد الاعتقاد من غير ايقان
ناقص الشرف بالنسبة الى حال انشراح الصدر بالصدق واشتمال القلب باليقين ومثال
الثالث اللب ومثال الرابع الدهن المستخرج من اللب وكما ان اللب نفيس في نفسه بالنسبة الى
القشر ولكنه لا يخلو من شوب عصارة وتخين قراره بالاضافة الى الدهن المستخرج منه الصافي
عن المشوبات الخالص عن الكدورات الذي يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار فكذلك توحيد
الموقنين الصادقين عال المقربين ولكن الاعلى من ذلك اذا صفا من شوب ملاحظة
الاغيار وخلص عن الالتفات الى الكثرة بشهود الحق لا غير وانما حملنا الاخلاص في
التوحيد على هذه المرتبة التي هي الغاية القصوى من مراتبه لانها الخالصة من الشوائب الصافية
عن الالتباس فلا يمارسه الداعي عليه السلام وان كان الاخلاص مقولا بالتشكيك كما
يدل عليه قول امير المؤمنين عليه السلام اول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق
به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له
نفي الصفات عنه اذ لا شك في ان الاخلاص الذي دل الله تعالى عليه اولياءه
المعصومين انما هو الاخلاص الكامل الذي لا فوقه والله اعلم **وجنبنا**
من الالحاد والشك في امره جنبت الرجل الشر جنوبا من باب قعد ابعدته عنه
وجنبته بالتثقيل مبالغة كانه ماخوذ من جعل الشيء جانبا وعداه بمن لتضمنه
معنى الابعاد والمفعول محذوف ومن بيانية الالحاد في الاصل الميل و
العدول عن الشيء ثم قيل الحد الرجل في الدين اذا طعن فيه كانه عدل عنه وقال
ابو عبيدة الحد الحادا جادل ومارى والمراد بالشك هنا معناه اللغوي
الذي عرف ائمة اللغة بقولهم الشك خلاف اليقين فقولهم خلاف اليقين

هو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه او رجح احدهما على الآخر قال تعالى
فان كنت في شك مما انزلنا اليك قال المفسرون اي غير مستيقن وهو يعم الحالتين
فهو اعم من الشك الاصطلاحي الذي هو التردد بين النقيضين لا ترجيح لاحدهما على ٨٥
الآخر عند الميزان وعلى المعنى الاول ورد قول ابي عبد الله عليه السلام من شك في
الله تعالى وفي رسوله صلى الله عليه وآله فهو كافر وعلى المعنى الثاني ورد قوله عليه السلام
من شك او ظن واقام على احدهما احبط الله تعالى عمله ان حجة الله هي الحجة الواضحة
فعطف الظن على الشك لارادة معناه الاصطلاحي قوله في امره اي في معرفة
ذاته وصفاته او في دينه وشرعه كما في قوله تعالى وظهر امر الله وهم كارهون
وقد يطلق عند الحكماء على الذات المقدسة فيقولون هو الامر المحض الذي لا يعلل
حمدا نعمر به فيمن حمده من خلقه ونستبق به من سبق الى رضاه وعفوه حمدا منصوب على المفعولية
المطلقة مفيد لتاكيد عامله وتقوية معناه وعامله اما قوله الحمد لله باعتبار كونه
مصدرا او باعتبار تضمنه معنى الفعل او فعل مقدر يدل عليه المصدر وقس على
ذلك ما ياتي من نظايره قوله نعمر بضم النون وفتح العين المهملة وتشديد
الميم المفتوحة على ما في النسخة المشهورة من العمر بفتح العين وضمها وبضمتين وهو الحياة
يقال عمر يعمر من باب تعب اي طال عمره فهو عامر ويتعدى بنفسه وبالتضعيف فيقال
عمره من باب قتل وعمره تعميرا اي طال عمره والمعنى حمدا نطال به عمرا مع من حمده
او حال كوننا داخلين في عداد الحامدين له وقول بعضهم يحتمل سكون من العمارة
غلط فان استعمال التعمير بمعنى العمارة استعمال جاهلي لم يرد في اللغة وانما يقال
عمر الله منزله عمارة من باب كتب كتابة كما نبه عليه بعض المحققين من اهل اللغة ووقع
في نسخة ابن ادريس يغمر به من حمده بفتح الياء المثناة من تحت وسكون العين المعجمة
وضم الميم وبعدها راء مهملة مع اسقاط لفظ في من قوله في من حمده وهو من الغمر بمعنى

الغين

الغين المعجمة بمعنى الستر يقال غمره غمرا مثل ستره سترا وزنا ومعنى والضمير المستتر في
نغمر راجع الى الله تعالى والمعنى يستر به من حمده وحمده من باب سمع لا غير ومن خلقه متعلق
به ومن بيانية ونستبق يستبق من باب ضرب وقيل يتقدم والمراد به هنا التقدم في الشرف
والفضل بان يكون حمده اشرف وافضل من حمد غيره فيتقدم من تقدم الى رضاه وعفوه ٨٦
وفي الكلام استعارة مكنية تخييلية شبه الرضا والعفو بالغاية التي يتسابق اليها
وذكر السبق الذي هو من لوازم المشبه به والرضا في الانسان حالة للنفس توجب نشاطها
وانبساطها لايصال النفع الى الغير والانقياد للحكمة ورضاه تعالى اي في الانسان حالة
عبارة عن ثوابه كما روي عن الصادق عليه السلام رضاه ثوابه وسخطه عقابه وقيل
رضاه ارادة الثواب وسخطه ارادة العقاب قال ابن ميثم في شرح النهج رضاه تعالى
عن العبد يعود الى علمه بموافقته لامره وطاعته وغضبه يعود الى علمه بمخالفته
لاوامره وعدم طاعته له وقال بعض المحققين من علمائنا المتاخرين رضاه تعالى
مراتب فمنها رضا ازلي هو عين ذاته لا يقابله سخط ولا يمازجه شوب وهو كونه بحيث
تصدر عنه الاشياء موافقة لعلمه بها على افضل وجه واتمه ومنها ما ملك سعد من حيث
هو رضوان الله بالفعل اذ وجوده عين الرضوان الله سبحانه وكذا كل جوهر عقلي لا
يشوبه شوب معصيته اذ كان فعله طاعة الله ومنها ثواب الله والجنة ويقابله
سخطه والنار والعفو محو الذنب من عفت الريح المنزل اذا درسته وانما بدا بالرضا
مع ان حصوله بعد العفو اهتماما بشانه وشوقا بالغا به فان العرب قد تبتدا
بالشيء والمقدم غيره لنكتة تاو الا فالمقام [illegible] فالترقي من الادنى الى الاعلى
كما قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وعلى ذلك ما حكي ان رجلا غضب
على غلام له فاستشفع الغلام الى سيده انسانا فشفعه فلما خلا الغلام تعفر في
التراب خده وسقى الارض دمعه فقال الشفيع ولم ذلك كله وقد عفا عنك

فعلا السيد انه يطلب الرضا وليس ذلك اليه فانما يبكي لجهله او للتنبيه على ان عفوه جل
شانه ليس كعفو غيره الذي هو عبارة عن محو الذنب فقط حتى يكون رضاه الذي
هو عبارة عن ثوابه بعده بل عفوه ابلغ من رضاه لان رضاه كما علمت ثوابه و
الثواب هو النفع المستحق واما عفوه فيتضمن النفع من غير استحقاق لانه كريم العفو
ومعنى كرم عفوه تبديل السيئة حسنة كما ورد في الحديث ان جبرئيل عليه السلام
سمع ابرهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه يقول يا كريم العفو فقال له اوتدري
يا ابرهيم ما كرم عفوه قال لا يا جبرئيل قال ان عفا عن السيئة كتبها حسنة وتدل
عليه قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
وكان الله غفورا رحيما هذا ان فسرنا الرضا بالثواب وان فسرناه بارادة الخير فهو
فيكون سبب كل سعادة وموجب كل فوز ومن ثم نال كرامته التي هي اكبر اصناف
الثواب كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر فالوجه في تقديم ما قدمناه من الاهتمام
او جعله من باب التتميم لا الترقي كانه قال ان لم يسبق به من سبق الى رضاه
فمن سبق الى عفوه ويناسبه ما في الدعاء ان لم ترض عني فاعف عني وقد يعفو السيد
عن عبده وليس براض عنه والله اعلم حمدا يضيء لنا به ظلمات البرزخ بدل
كل من قوله حمدا نعمر به واضاء الصبح اضاءة انار واشرق والاسم الضياء وقد
تميز الياء وضاء ضوءا من باب قال لغة فيه ويكون اضاء لازما ومتعديا
فيقال اضاءه غيره ايضا كما يقال انار الشيء وانار غيره والضياء والنور
مترادفان لغة وقد يفرق بينهما بان الضوء ما كان من ذات الشيء المضيء
والنور مترادفان لغة وقد يفرق بينهما بان الضوء ما كان من ذات الشيء المضيء
والنور ما كان مستفادا من غيره قيل وعليه جرى قوله تعالى وجعل الشمس ضياء والقمر
نورا والظلمات جمع ظلمة وهي عدم الضوء عما من شانه ان يكون مضيئا وقيل هيئة

مضادة

87

مضادة للنور ووقع في النسخ المشهورة تضيء مضبوطا بضم التاء المثناة من
فوق ونصب ظلمات بالكسرة نيابة عن الفتحة على انه مفعول والفاعل
ضمير مستتر في تضيء راجع الى الله سبحانه فيكون من اضاء المتعدي ولك قراءة
يضيء بالياء المثناة من تحت ورفع ظلمات على انه فاعل لازم او فاعل وتضيء بالتاء
المثناة من فوق ونصب ظلمات على انه مفعول متعد ومفعول والفاعل ضمير خطاب
مستتر ويكون من باب الالتفات من الغيبة الى خطابه تعالى ففي العبارة اربعة
اوجه من الاعراب والبرزخ في اللغة الحاجز بين الشيئين واطلق على الحال التي
تكون بين الموت والبعث قال تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون وهي
مدة مفارقة الروح لهذا الجسد المحسوس الى وقت البعث وعودها اليه ويطلق
على القبر بهذا الاعتبار روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن عمر بن يزيد
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام اني سمعتك وانت تقول كل شيعتنا في الجنة
على ما كان منهم قال صدقتك كلهم والله في الجنة قال قلت جعلت فداك
ان الذنوب كثيرة كبار فقال اما في القيمة فكلكم في الجنة بشفاعة النبي
المطاع او وصي النبي ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ قلت وما البرزخ
قال القبر منذ حين موته الى يوم القيمة **تنبيهات الاول** في هذه الفقرة
من الدعاء دلالة على بقاء النفوس الناطقة بعد خراب الابدان لان الاضاءة المطلوبة
ليست الا للروح والا فالجسم يضمحل ويتحلل وهو مذهب اكثر العقلاء من المليين
والفلاسفة القائلين بان الروح جوهر مجرد ابدي لا يعتريه الزوال ولا يتطرق
اليه الاضمحلال ولم ينكره الا شرذمة قليلون كالقائلين بان النفس هي المزاج
او الدم وامثالهم ممن لا يعبأ بهم ولا يلتفت الى قولهم والشواهد العقلية والنقلية
على ذلك اكثر من ان تحصى ويكفي في ذلك قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في

سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون
بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون الثاني الباء في قوله
عليه السلام تضئ به اما للسببية او للآلة ثم الظاهر ان المراد بالاضاءة به ان يصير العمل
جسما متكيفا بالضوء تشرق به الظلمات البرزخية كالشمس المشرقة التي تشرق بضوئها
الظلمات الزمانية بناء على ما هو الصحيح من تجسم الاعمال والاعتقادات في تلك النشأة
كما دل عليه كثير من الاخبار المروية عن ارباب العصمة عليهم السلام فالاعمال الصالحة و
الاعتقادات الصحيحة تظهر صورا نورانية مشرقة تستضئ بنورها اصحابها كما قال تعالى
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وفي الحديث ان العمل الصالح
يضئ قبر صاحبه كما يضئ المصباح الظلمة والاعمال السيئة والاعتقادات الباطلة
تظهر صورا ظلمانية كاسفة تتحير في ظلمها اربابها كما قال تعالى يوم يقول المنافقون و
المنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا
وقال عليه السلام الظلم ظلمات يوم القيمة فيكون المراد بظلمات البرزخ ايضا الاعمال
والاعتقادات المظلمة والمراد باضاءتها حينئذ اما محوها واذهابها كما قال تعالى
ان الحسنات يذهبن السيئات او تبديلها حسنات كما قال سبحانه اولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وقيل المراد بظلمة البرزخ القبر وظلمة العمل وظلمة البدن الهيولاني
الذي انقطع عنه فهو النفس المجردة واستعد للرجوع الى المادة الاصلية انتهى وهو
كما ترى الثالث قال بعضهم لا استبعاد في حمل البرزخ على الوجود في عالم الشهود بعد الوجود
الحسي كما يطلق عليه المحققون من الصوفية فيقولون الموجودات في عوالم برزخية
ووجه الاطلاق انهم ارتفعوا عن فناء العدم الصرف وما اتصلوا بالوجود البحت
الابدي لم يصلوا الى ساحته فكانوا بين بين وتعدد الظلمات حينئذ باعتبار ظلمة
الامكان والاحتياج والمادة وبقية آثار ظلمة العدم الى غير ذلك قال [illegible] ان حمل

كلام

كلام المعصوم عليه السلام على هذا الوجه اللطيف ابهى واحرى من حمله على المعنى السابق ولا
سيما بقرينة ما سيذكره عليه السلام في الفقرة التي تليه من تسهيل سبيل المبعث
الثاني للحشر بل هو مساوق لما في الفقرة التي بعدها من شرف المنازل الحاصل في يوم البعث
لئلا يكون فيه شائبة من التكرار انتهى قلت بل هو بعيد جدا اما اولا فلحمل كلامه عليه
السلام على مصطلح الصوفية مما لا يقبله العقل السليم والطبع المستقيم واما ثانيا
فلانه قد تكرر في كلامهم عليهم السلام تفسير البرزخ بزمان القبر كما تقدم في الحديث
الثاني عن الصادق عليه السلام ايضا والله ما اخاف عليكم الا البرزخ واما اذا صار
الامر الينا فنحن اولى بكم وقال عليه السلام في قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا
هذا في نار البرزخ قبل يوم القيمة فاذا ورد البرزخ في كلامهم عليهم السلام بهذا المعنى
فحمله على ما لا يعرف لغة وعرفا شايعا في نهاية البعد واما ثالثا فلان التكرار الذي
توهمه وحمله على ما زعمه ممنوع كما ستقف عليه اذا اقتصصنا التوبة اليه والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل تبصرة فيها تذكرة دلت الاخبار المنقولة عن الائمة الاطهار
صلوات الله وسلامه عليهم ان الارواح بعد مفارقتها الابدان العنصرية
يتعلق باشباح مثالية تشابه تلك الابدان وهذا التعلق يكون في مدة البرزخ
فتتنعم او تتألم بها الى ان تقوم الساعة فتعود عند ذلك الى ابدانها كما كانت
عليه روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي بصير قال سالت ابا عبد الله
عليه السلام عن ارواح المؤمنين فقال في الجنة على صور ابدانهم لو رأيته لقلت فلان و
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام انا نتحدث عن ارواح المؤمنين انها في حواصل
طيور خضر ترعى في الجنة وتأوي الى قناديل تحت العرش فقال لا اذن ما هي في حواصل طير
قلت فاين هي قال في روضة كهيئة الاجساد في الجنة وعن ابي ولاد الحناط عن ابي عبد الله
عليه السلام قلت جعلت فداك يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول

المؤمن فقال لا المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير ولكن في ابدان كابدانهم
وعن يونس بن ظبيان قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام فقال ما يقول الناس في
ارواح المؤمنين فقلت يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش
فقال ابو عبد الله عليه السلام سبحان الله المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه
في حوصلة طير يا يونس اذا كان ذلك اتاه محمد صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن
والحسين والملائكة المقربون عليهم السلام فاذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في
قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة
التي كانت في الدنيا وعن حبة العرني قال خرجت مع امير المؤمنين عليه السلام الى الظهر
فوقف بوادي السلام كأنه مخاطب لأقوام فقمت بقيامه حتى اعييت ثم جلست حتى مللت
ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني اولا ثم جلست حتى مللت ثم قمت وجمعت ردائي فقلت
يا امير المؤمنين اني قد اشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة ثم طرحت الرداء
ليجلس عليه فقال لي يا حبة ان هو الا محادثة مؤمن او مؤانسة قال قلت يا
امير المؤمنين وانهم لكذلك قال نعم ولو كشف لك لرأيتهم حلقا حلقا محتبين يتحادثون
فقلت اجسام ام ارواح فقال ارواح وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض
الا قيل لروحه الحقي بوادي السلام وانها لبقعة من جنة عدن وعن ضريس الكناسي
قال سألت ابا جعفر عليه السلام ان الناس يذكرون ان فراتنا يخرج من الجنة فكيف
هو وهو يقبل من المغرب وتصب فيه العيون والاودية قال فقال ابو جعفر
عليه السلام وانا اسمع ان لله جنة خلقها الله في المغرب وماء فراتكم هذا يخرج منها
واليها تخرج ارواح المؤمنين من حفرهم عند كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها
وتتنعم فيها وتتعارف فاذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء
والارض تطير ذاهبة وجائية وتعهد حفرها اذا طلعت الشمس وتتلاقى في الهواء

وتتعارف

وتتعارف قال وان لله نارا في المشرق خلقها ليسكنها ارواح الكفار ويأكلون من زقومها
ويشربون من حميمها ليلهم فاذا طلع الفجر هاجت الى واد باليمن يقال له برهوت اشد
حرا من نيران الدنيا كانوا فيه يتلاقون ويتعارفون فاذا كان المساء عادوا الى النار
فهم كذلك الى يوم القيامة والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا قال العلامة البهائي
قدس سره ما تضمنته هذه الاحاديث من ان الاشباح التي تتعلق بها النفوس مادامت
في عالم البرزخ ليست باجسام وانهم يأكلون ويشربون ويجلسون حلقا حلقا على
صور اجسادهم العنصرية يتحدثون ويتنعمون وانهم ربما يكونون في الهواء بين الارض
والسماء يتعارفون في الجو ويتلاقون ونحو ذلك مما يدل على نفي الجسمية واثبات بعض
لوازمها يعطي ان تلك الاشباح ليست في كثافة الماديات ولا في لطافة المجردات بل هي
ذوات جهتين وواسطة بين العالمين وهذا يؤيد ما قاله طائفة من اساطين
الحكماء من ان في الوجود عالما مقداريا غير العالم الحسي هو واسطة بين عالم المجردات
وعالم الماديات ليس في تلك اللطافة ولا في هذه الكثافة فيه للاجسام والاعراض من
الحركات والسكنات والاصوات والطعوم وغيرها مثل قائمة بذواتها معلقة لا في
مادة وهو عالم عظيم الفسحة وسكانه على طبقات متفاوتة في اللطافة والكثافة
وقبح الصور وحسنها ولابدانهم المثالية جميع الحواس الظاهرة والباطنة فيتنعمون ويتألمون
باللذات والآلام النفسانية والجسمانية وقد نسب العلامة في شرح حكمة الاشراق القول
بوجود هذا العالم الى الانبياء والاولياء والمتألهين وهو وان لم يقم على وجوده شيء
من البراهين العقلية لكنه قد تأيد بالظواهر النقلية وعرفه المتألهون بمشاهداتهم
الذوقية وتحققوه بمشاهداتهم الكشفية وانت تعلم ان ارباب الارصاد الروحانية
اعلى قدرا وارفع شأنا من اصحاب الارصاد الجسمانية فكما انك تصدق هؤلاء فيما يلقونه
اليك من خفايا الهيئات الفلكية فحقيق ان تصدق اولئك ايضا فيما يتلونه

عليك من خبايا العوالم القدسية الملكية انتهى **وَتُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِرِّ سُبُلِ الْبَعْثِ** سهل الثلاثي
بالتشديد يدحاله سهلا لا عسر فيه وسهل هو بالضم سهولة هذه هي اللغة المشهورة وقال
ابن القطاع يقال سهل بالفتح والكسر ايضا والضمير في يسهل بالتشديد والياء المثناة من تحت
على ما في النسخة المشهورة راجع الى الله تعالى وسبل المبعث بالنصب مفعول به وكذا على قراءته
بضم التاء المثناة من فوق وضم الهاء المخففة فسبل المبعث مرفوع على انه فاعل له واسناد
الفعل اليه مجاز ويوجد في بعضها مضبوطا بضم التاء المثناة من فوق وفتح الهاء المشددة
على البناء للمفعول فيكون سبيل المبعث نائبا عن الفاعل مرفوعا للنيابة والسبيل
الطريق يذكر ويؤنث والمبعث اما اسم مكان او مصدر ميمي بمعنى البعث وهو لغة الارسال
يقال بعثت رسولا اي ارسلته واصطلاحا نشر الله الموتى من القبور وارسالهم الى المحشر
قيل المراد بالمبعث هنا الحشر وفي الحديث ان الذهاب من القبور الى عرصة المحشر يوم البعث
يشق على قوم ويسهل على آخرين انتهى والاولى ان يكون المراد بالمبعث البعث فيكون مصدرا
ويكون المراد بسبل المبعث السبل التي يبعث اي يرسل منها الناس الى الحشر وتسهيلها
سلوكها دون مشقة والسلامة من اهوالها وشدائد اهوالها وشدائد احوالها نقله
ثقة الاسلام في الروضة في حديث طويل اذا كان يوم القيمة بعث الله الناس من حفرهم
غرلا مهلا جردا في صعيد واحد يسوقهم النور ويجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة المحشر فيركب
بعضهم بعضا ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي فتشتد انفاسهم ويكثر عرقهم و
تضيق بهم امورهم ويشتد ضجيجهم وترتفع اصواتهم قال وهو اول هول من اهوال
يوم القيمة الى ان قال ثم يخلي سبيلهم فينطلقون الى العقبة يكرد بعضهم بعضا حتى ينتهوا
الى العرصة والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة **وَيُشْرِفُ بِرِّ مَنَازِلِنَا مِنْ مَوَاقِفِ**
الْاَشْهَادِ يشرف اي يعلي من الشرف بمعنى العلو يقال شرف شرفا وفي نسخة
يشرف بالمثناة من فوق مفتوحة على مثال يحسن ورفع المنازل على الفاعلية والمواقف جمع موقف

وهو مكان الوقوف والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب وشهيد كشريف واشراف وقال
ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القرآن وقيل هو جمع شهد وهو جمع شاهد
كصحب جمع صاحب وجمعه اصحاب في هو من شهد على الشيء اي اطلع عليه وعاينه او من شهد
اي حضر عما قد شاهد والمراد بهم من يقف يوم القيمة للشهادة على الناس من الملائكة
والانبياء والوصيين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد قيل والفائدة كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد قيل والفائدة في قيام الاشهاد واعتبار قولهم المبالغة في اظهار الفضيحة وقال قتادة
المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع اهل الموقف وروي ان الامم ينكرون يوم القيمة تبليغ
الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى عليهم بالشهداء
وروى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن العجلي قال قلت لابي جعفر عليه السلام
قول الله تبارك وتعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في
ارضه وعنه عليه السلام في قوله تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا وتكونوا شهداء على
الناس قال رسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تعالى ونحن الشهداء
على الناس فمن صدق يوم القيمة صدقناه ومن كذب كذبناه **يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ**
بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اقتباس من قوله تعالى في سورة الجاثية خلق الله السموات
والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون وقد تقدم ان المقتبس ليس بقرآن
حقيقة بل كلام يماثله فلا يضر فيه التغيير اليسير كما وقع هنا فانما انث الفعل في تجزي
وجيء بالضمير مفردا مؤنثا في كسبت لان كلا وان كان لفظها الافراد والتذكير يجب مراعاة
معناها حيث اضيفت الى منكر نحو كل نفس ذائقة الموت فان اضيفت الى معرفة او قطعت
جاز مراعاة معناها نحو كلهم قائمون وقائم وكلا اخذنا بذنبه وكل كانوا ظالمين والصغير

فهم لا يظلمون راجع الى النفوس المدلول عليها بكل نفس وجمعه لان المراد بحال الجزاء كما ان الاولى
او تحقق حال الكسب اى لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب لاستحالة الظلم عليه تعالى خلافا
للاشاعرة حيث قالوا ان تسميته ذلك ظلما لبيان غاية تنزهه سبحانه لطفه عما ذكر بتنزيله
منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى والا فهو ليس بظلم لان له ان يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون** بدل من قوله يوم لا تجزى
وهو اقتباس آخر من قوله تعالى فى سورة الدخان ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم
لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون يقال اغنى فلان عن فلان اذا اجزأ عنه و
قام مقامه وما يغنى عنك هذا اى ما يجزيك وما ينفعك وحكى الازهرى ما اغنيت فلانا
شيئا بالغين والعين اى لم ينفع فى مهم ولم يكف مؤونة والمولى المولى
والناصر والقريب والصاحب والمنعم والجار والحليف والمحب والتابع والمعتق
والعبد والنزيل والشريك والمالك والمراد ان احدا منهم باى معنى فرض
لا ينفع اى مولى كان شيئا من الاغناء والضمير فى ولا هم ينصرون للمولى الاول
باعتبار المعنى لانه عام وتتمة الآية الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم
اى الا من رحمه بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه انه هو العزيز الذى
لا ينصر من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه **جعلنا بنعمه منازل اعلى عليين**
فى كتاب مرقوم يشهده المقربون رفع الشيء كمنعه فارتفع خلاف وضعه
ومن المجاز رفع الله العمل قبله فارتفع الحمد مجاز عن قوله او ارتفع الكتبة
بصحيفته وعليون فى الاصل جمع علّى بكسر العين واللام مع تشديدها او
تشديد الياء ووزنه فعّيل من العلو وقيل جمع علية بكسر العين والضم
لغة جمع بالواو والنون والحق بجمع المذكر السالم فى الاعراب على غير قياس
لعدم العقل على القول الاول وعدمه وعدم التذكير على القول الثانى

ثم قيل وسمى به ديوان الخير هكذا قال غير واحد من النحويين قال الدمامينى
ويلزم على هذا ان لا يكون فيه شذوذ لانه يكون علما منقولا عن جمع و لا
ينفعهم ان يدعوا انه جعل من باب المسموع لا المقيس لكونه لما لا يعقل خلاف
نحو زيدون علما لانه لو سمى قوم بزيدين استحق من الاعراب ما كان له قبل
التسمية الا ترى الى قنسرين ونصيبين ولا ينفعهم ايضا ان يقولوا على ان الكلام
غير علم ولا صفة لانهم قد صرحوا بانه اذا سمى بالجمع على سبيل النقل يعنى
عن الجمع او على سبيل الارتجال يعنى بصيغة تشبه صيغة الجمع فمن لغاته الرفع
بالواو والنصب والجر بالياء ويؤيده اما لا تعرف قنسرا ولا نصيبا علمين ولا صفتين
نعم لو قيل ان عليين غير علم بل هو جمع علية او على وصفت به الاماكن التى تقع
كان شاذا لعدم التذكير والعقل انتهى واختلف المفسرون فى المسمى به فالمشهور
انه اسم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين
لانه سبب الارتفاع الى اعالى الدرجات فى الجنة او لانه مرفوع فى السماء السابعة
حيث تحضره الملائكة المقربون وقال مقاتل هو فى ساق العرش وعن ابن عباس
هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو
السماء السابعة وقيل هو سدرة المنتهى التى اليها ينتهى كل شيء من امر الله
تعالى وقيل هو اعلى الجنة وقيل مراتب عالية واماكن مرتفعة محفوفة بالجلالة
وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى كتاب مرقوم اماكن الكتاب وقيل المراد به
اعلى الامكنة واشرف المراتب واقربها من الله تعالى وله درجات كما يدل
عليه قوله عليه السلام الى اعلى عليين **وروى** ثقة الاسلام فى الكافى باسناده
عن ابى حمزة الثمالى قال سمعته ابا جعفر عليه السلام يقول ان الله تعالى خلقنا
من اعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق ابدانهم من دون ذلك

ذلك فقلوبهم تهوى الينا لانها خلقت مما خلقنا ثم تلا هذه الآية كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون وخلق
عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وابدانهم من دون
ذلك فقلوبهم تهوى اليهم لانها خلقت مما خلقوا منه ثم تلا هذه الآية
كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ
للمكذبين قال بعض علمائنا في الكلام على هذا الحديث كل ما يدركه الانسان
بحواسه يرتفع منه اثر الى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته
وكذلك كل مثقال ذرة من خير او شر يعمله يرى اثره مكتوبا ثمة لا سيما
ما رسخت بسبب الهيئات وتاكدت به الصفات وصار خلقا وملكة فالافاعيل
المتكررة والاعتقادات الراسخة في النفوس هي بمنزلة النقوش الكتابية في الالواح
كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وهذه الالواح النفسية يقال
لها صحائف الاعمال واليه الاشارة بقوله سبحانه واذا الصحف نشرت فمن كان من
اهل السعادة واصحاب اليمين وكانت معلوماته امورا قدسية واخلاقه
زكية واعماله صالحا وفي كتابه بيمينه اعني من جانبه الاقوى الروحاني وهو
جهة عليين وذلك لان كتابه من جنس الالواح العالية والصحف المكرمة
المرفوعة المطهرة بايدي سفرة كرام بررة يشهده المقربون ومن كان من اهل
الشقاء المردودين وكانت معلوماته مقصورة على الجرميات واخلاقه
خبيثة واعماله سيئة اوتي كتابه بشماله اعني من جانبه الاضعف الجسماني
وهو جهة سجين وهو فعيل من السجن سمي به ديوان الشر الذي دون فيه
اعمال الكفرة والفجرة من الثقلين وقيل هو النار والارض السفلى وذلك لان
اوراقه من جنس الاوراق السفلية والصحائف الحسية القابلة للاحتراق

فلاجرم

فلاجرم يعذب بالنار وانما تعود الارواح الى ما خلقت منه كما قال تعالى كما بدأكم
تعودون فما خلق من عليين فكتابه يرتفع الى عليين ويكون فيه وما خلق من
سجين فكتابه يهبط الى سجين ويكون فيه قوله عليه السلام في كتاب مرقوم
متعلق بيرتفع حال من الضمير المستتر فيه الراجع الى الحمد اي كائنا في كتاب مرقوم
اي مسطور بين الكتابة رقم فيه تفاصيل احوال السعداء وقيل معلم بعلم
يراه ان الخير فيه وقيل مختوم لان الختم علامة قوله عليه السلام يشهده المقربون
اي يحضره الملائكة الكروبيون المقيمون في عليين ويحفظونه او يشهدون
بما فيه يوم القيمة وكفى بشهودهم فضيلة له ولمن كتب فيه اسماؤهم واعمالهم
حمدا تقر به عيوننا اذا برقت الابصار وتبيض به وجوهنا اذا اسودت الابشار
قرت العين تقر من باب ضرب وتحت قرة بالضم وقرورا بردت سرورا
من القر بالضم وهو البرد يقال يوم قر بالفتح اي بارد قال ابن الاثير وحقيقته
قرت دمعته العين لان دمعة الفرح والسرور باردة بخلاف دمعة الحزن
فانها تكون حارة انتهى قالت الحكماء ووجه ذلك ان الفرح كيفية تتبعها حركة
الروح الى الداخل هربا من المؤذي فاذا انقبض الروح متراجعا نحا الدماغ عصر
شيئا من الرطوبات الباقية على سخونتها السابقة ولهذا يقال لمن يدعى
عليه سخنت عينه وقيل المراد من قولهم قرة العين سكونها من قر الشيء يقر قرا
من باب ضرب وتعب ايضا اي استقر والقرار بالفتح اسم منه اي سكنت
ببلوغ امنيتها بحيث لا تطمح الى شيء اخر ولا تطلب الفرح بما عداه قال تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قوله عليه السلام
اذا برقت الابصار برق البصر كفرح ونصر برقا وبروقا تحير فزعا حتى لا يطرف
او دهش فلم يبصر وقيل برق كفرح من برق الرجل اذا نظر الى البرق فاثر

بصره من تأمله ثم استعمل في كل حيرة وكنص من البرق وهو اللمعان اى لمع
شدة شخوصه كقوله تعالى انما تؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وبرق الابصار
احد امارات الثلثة التى ذكرها الله تعالى في قوله فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس
والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر **قوله** عليه السلام وتبيض بر وجوه اذا
اسودت الابشار ابيض الشئ ابيضاضا صار ذا بياض واسود اسودادا صار
ذا سواد والابشار جمع بشر بالتحريك كسبب واسباب هو جمع بشرة وهي ظاهر جلد
الانسان قيل وغيره فالابشار جمع جمع وفيه تلميح الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه و
تسود وجوه وللمفسرين فيه قولان احدهما ان المراد بابيضاض الوجوه اشراقها
واستبشارها بنيل البغية والظفر بالامنية والاستبشار بما تصير اليه من الثواب
كقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وباسودادها ظهور اثر الحزن
والكآبة عليها لما تصير اليه من العقاب كقوله تعالى ووجوه يومئذ باسرة وقوله
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وثانيهما ان البياض والسواد محمولان
على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من اهل
نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته ولحاظت
به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك ان يعرف اهل الموقف كل صنف
فيعظموهم ويصغروهم بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرورا وويل
وثبور وايضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الاخرة لحدى الحالتين
ازدادت نفسه رغبته في الطاعات وعرفا من المعاصي والتحقيق في ذلك ان
الهيئات والاخلاق الحميدة انوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات
وكل منها لا يظهر اثاره الا بعد المفارقة الى الاخرة كما سنذكره فابيضاض الوجه
عبارة عن اثار تلك الظلمات اعاذنا الله منها **حذا تعتق فيه من النار**

الى كريم جنسوا ابن الله عتق العبد عتقا من باب ضرب
وعتاقا وعتاقة بفتح الاوايل خرج من الرق وتخلص من العبودية والعتق بالكسر
اسم منه فهو عتيق وعاتق ويتعدى بالهمزة فيقال اعتقته فهو معتق
على القياس ولا يتعدى بنفسه ولهذا قال في البارع لا يقال عتق العبد
وهو ثلاثي مبني للمفعول ولا اعتق هو بالالف مبنيا للفاعل بل الثلاثي
لازم والرباعي متعد ولا يجوز عبد معتوق لان مجيء مفعول من افعلت شاذ
مسموع لا يقاس عليه قال الازهري في شرح الفاظ المختصر العتق ماخوذ من قولهم
عتق الفرس اذا سبق ونجا وعتق فرخ الطائر فاستقل كان العبد لما فكت
رقبته من الرق تخلص وذهب حيث شاء انتهى والاليم من الالم قيل هو بمعنى المولم
كالسميع بمعنى المسمع والنذير بمعنى المنذر وقيل هو بمعنى المتألم يقال الم
كفرح فهو اليم كما يقال وجع فهو وجيع وصف به العذاب ونحوه للمبالغة كما في قوله
تحية بينهم ضرب وجيع على جد جده فان الالم والوجيع حقيقة للمولم والمضروب
كما ان الجد للجاد وهذا قول اكثر المحققين لان مجيء فعيل بمعنى مفعل لم يثبت
في اللغة وان ورد فشاذ لا يقاس عليه واضافته الى النار من اضافة الصفة
الى الموصوف ومثله اضافة الكريم الى الجار واضاف النار الى الله كما اضافها
سبحانه الى نفسه في قوله تعالى نار الله الموقدة تهويلا لامرها وتلميحا الى الاية
قوله عليه السلام الكريم جار الله والكريم العزيز والحسن المرضي وخلاف
اللئيم والجوار بالكسر في الاصل مصدر جاوره يجاوره مجاورة وجوارا بالضم
والصواب ان الاسم بالفتح كما في ديوان الادب للفارابي ثم اطلق على الخفارة
بمعنى الحماية وكان من عادة العرب ان يخيف بعضهم بعضا فكان الرجل اذا
اراد سفرا اخذ من سيد كل قبيلة عهدا فيامن به ما دام مجاورا ارضه فاذا خلا

في حدودها حتى ينتهى الى قبيلة اخرى فيفعل ذلك فيقال هو في جار فلان
اى في خفارته قال في القاموس الجار بالكسر ان يعطى الرجل ذمة فيكون بها جارك
فتجيره والمراد به هنا امان الله تعالى من العذاب وقربه منه او القرب منه
والرفعة عنده بواسطة قبل الثواب تشبيها بالقرب الكائن فيكون من المجاورة
حقيقة **حتى تزاحم بي ملائكته المقربين وتضام بي انبياءه المرسلين** زحمه كمنعه زحما
فزاحمه زحاما ضايقه في المجالس وغيره وفلان زاحم الخمسين قاربها اى حتى
يجب غاية القرب منه تعالى حيث تزاحم به الملائكة لان كمال القرب من الشىء مع كثرة
الطالبين للوصول اليه يوجب المزاحمة وهذا على القول بان الملائكة اجسام ظاهر
واما على القول بانهم ارواح مجردة فهو من باب التمثيل والملائكة جمع ملاءك
بالهمز واصله مالك بتقديم الهمزة وضم اللام من الالوكة وهى الرسالة ثم قلبت
وقدمت اللام فقيل ملاءك وجمع على فعائل مثل شمال وشمائل ثم تركت همزة
المفرد لكثرة الاستعمال والقيت حركتها على اللام فقيل ملك والحاق التاء
لتاكيد تانيث الجماعة نحو حجارة وقد لا تلحق هذا قول الاكثر وقيل جمع ملك واشتقاقه
من الملك لما فيه من معنى القوة والشدة وجمع هذا الجمع باعتبار اصله الذى هو ملاك
على ان الهمزة زيدة وهو كالنوى والمقربون هم العليون الذين شانهم الاستغراق
في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وسياتى الكلام على حقيقة الملائكة واقسامهم في
الروضة الثالثة انشاء الله تعالى **قوله** عليه السلام وتضام بي انبياءه المرسلين
الضم الجمع تقول ضممت الشىء الى الشىء فانضم وضامته اى انجمع اليه وفلان
وفلان ينهض (?) للقتال هو ضامته قومه اى انضموا اليه والمعنى تنضم بك الى
انبياءه المرسلين وتجتمع في دار المقامة معهم والانبياء جمع نبى فعيل بمعنى

فاعل من النبأ بالهمز اى الخبر لانه انبأ عن الله تعالى اى اخبر ويجوز فيه تحقيق الهمز و
تخفيفه يقال نبأ ونبا وانبأ وانبى قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ
مسيلمة بالهمز غير انهم تركوا الهمز في النبى كما تركوه في الذرية والبرية والخابية
الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه الاحرف الاربعة ولا يهمزون غيرها ويخالفون
العرب في ذلك وقال ابن السكيت في اصلاح المنطق قال يونس اهل مكة يخالفون
العرب فيهمزون النبى والبرية والذرية والخابية وغيرهم يترك همزها لكثرة
الاستعمال ونبأ من ارض الى ارض اى خرج وهذا المعنى اراد الاعرابى بقوله يا نبىء الله
بالهمز اى الخارج من مكة الى المدينة فانكره عليه وقال لا تنبر باسمى فانما نبى الله
اى بغير همز وقيل هو مشتق من النباوة وهى الشىء المرتفع لعلو شانه عليه السلام
والمرسلين جمع مرسل من ارسله بعثه برسالة يؤديها فهو مرسل ورسول فعول
بمعنى مفعول وانما وصف الانبياء والنبى بالمرسلين لان الرسول اخص من النبى
لان كل رسول نبى من غير عكس فقيل الرسول الذى معه كتاب من الانبياء والنبى الذى
ينبئ عن الله تعالى وان لم يكن معه كتاب هكذا قال غير واحد من المفسرين وفيه بحث
لان لوطا واسمعيل وايوب ويونس وهرون كانوا مرسلين كما ورد في التنزيل ولم
يكونوا اصحاب كتب مستقلة وقيل الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة
يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بنى اسرائيل
الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ويدل عليه انه عليه السلام سئل عن
الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة
وثلثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحى عيانا ومشاهدة
والنبى يقال له ولمن يوحى اليه في المنام وهذا القول مروى عن ابى جعفر وابى عبد الله
عليهما السلام قالا ان الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه والنبى هو الذى يرى في منامه

ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين
الملك **تنبيه** انما قدم عليه السلام الملئكة على الانبياء في الذكر رعاية للترتيب الواقعي
لانهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله في تبليغ الوحي والشرايع لا لكونهم افضل
من الانبياء خلافا للمعتزلة على ذلك محض افتراء عليهم فان الشيعة مجمعون
على ان الانبياء افضل من الملئكة عليهم السلام قال الشريف المرتضى رضي الله
عنه المعتمد في القطع على ان الانبياء افضل من الملئكة اجماعهم حجة لان المعصوم
في جملتهم وقال الشيخ ابو جعفر بن بابويه قدس سره اعتقادنا في الانبياء والرسل
والحجج عليهم السلام انهم افضل من الملئكة لان الحالة التي يصيرون اليها افضل و
اعظم من حال الملائكة عليهم السلام **في دار المقامة التي لا تزول ومحل كرامته**
التي لا تحول المقامة بالضم مصدر بمعنى الاقامة الحقت به التاء قال تعالى
الذي احلنا دار المقامة من فضله اي دار الاقامة التي لا ننتقل عنها ابدا وزال
الشيء يزول زوالا ذهب واستحال وزال عن مكانه انتقل والمحل بفتح الحاء
والكسر لغة حكاها ابن القطاع موضع الحلول يقال حل بالمكان حلولا من باب
قعد اذا نزل به والكرامة اسم من الاكرام والتكريم وهما بمعنى الاعزاز والتعظيم
وحال الشيء يحول تغير عن طبعه ووصفه كاستحال وانما كانت تلك الدار
دائمة باقية مصونة عن الانقضاء والزوال امنة من الانقراض والاستحالة
والتحول لانها خلقت لذاتها لا لشيء آخر فهي محل الاقامة ودار القرار قال تعالى
انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار بخلاف هذه الدار
فانها لم تخلق لذاتها بل لتكون وسيلة الى تحصيل نشأة اخرى وذريعة
اليها فلا بد من انقطاعها ومصيرها الى البوار **تبصرة** لعل المراد بدار المقامة
الجنة المحسوسة التي لاصحاب اليمين وهي التي ذكرها سبحانه تعالى في قوله جنات

عدن

عدن يدخلونها يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامة
من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وبمحل الكرامة الجنة العقلية
التي للمقربين وهي جوار الله تعالى وحضرته المشار اليها بقوله سبحانه ان المتقين في جنات
ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال صاحب عرائس البيان وصف الله
سبحانه بقوله منازل المتقين الذين اقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبة وخرجوا
مما دونه من البرية وتلك المنازل عالم الشهادة ومقامات الغيبية
جنانها رفارف الانس وانهارها انوار القدس احلهم الله تعالى على بساط القرب
والمداناة التي لا يتغير صاحبها بعلة التهمة ولا يزول عنها بالحجاب في الستر
لذلك سماه مقعد صدق اي محل كرامة دائمة ومواصلة سرمدية
ومن لطفه ابديته انتهى وسئل ابو جعفر الشاشي من الغريب فقال الذي يطلبه رضوان
في الجنة فلا يجده ويطلبه مالك في النار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في
السموات فلا يجده ويطلبه ابليس في الارض فلا يجده فقال له اهل المجلس
قد تفطرت قلوبهم يا ابا جعفر فاين يكون هذا الغريب فقال في مقعد صدق
عند مليك مقتدر وقال بعض العارفين من اصحابنا المتاخرين ان هؤلاء
الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم العقلية مقربين منه تعالى ساكنين في
مقعد الصدق تحت قبة الجبروت لكنهم من جهة نفوسهم المطيعة لامر الله المسلمة
لحكمته يرتعون في مراتع اللذات ويتنعمون بنعيم الجنات فلارواحهم التي هي
عقول بالفعل جنات معنوية من المعارف والعلوم ولانفسهم الحيوانية جنات
صورية من اللذات والشهوات تنالها من طريق قواها الحسية العملية من اكل
وشرب ونكاح وغيرها جزاء بما صبرت عنه في الدنيا من لذاتها وحبست عنه قواها

و شهواتها والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق الاختيار الاصطفاء و اصلها اخذ خير الشيء وصفوته والضمير في لنا للنوع الانسان و اختياره سبحانه محاسن الخلق لهم يعود الى افاضتها عليهم حسب ما وهبت لهم العناية الالهية من القبول والاستعداد لها والمحاسن جمع حسن بالضم بمعنى الجمال على غير قياس و الخلق بفتح الخاء المعجمة وقد يراد به هنا الهيئات والاشكال والصور المدركة بالحواس الظاهرة فيكون اشارة الى قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم فان الانسان لما كان اشرف الحيوانات وخلاصة المخلوقات ركبه تعالى في احسن صورة فخلقه منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيط متهيئا لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ذا لسان ذلق ينطق به و يد و اصابع يتناول ماكوله و مشروبه بها قال بعضهم المحاسن البدنية ثلاثة امور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثاني حسن القامة والتعديل كما قال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقد يراد بالخلق ما يعم الخلق الباطن فيكون حسن خلقه من حيث ان باريه عز وجل خلقه في احسن صورة كاملة ركبه من الاشكال المتفاوتة والامزجة المختلفة وقسم جوهره روحا وبدنا وخصه بالفهم والعقل وزيره والقوى جنوده والحس المشترك بريده والبدن مجلة مملكته والاعضاء خدمه والحواس يسافرون في عالمهم يلتقطون الاخبار الموافقة والمخالفة يعرضونها على الحس المشترك الذي هو بين الحواس والنفس على باب الملك وهو يعرضها على قوة العقل ليختار ما وافق ويطرح ما نفر من هذا الوجه قالوا ان الانسان عالم صغير ومن حيث انه يتغذى وينمو قالوا انه نبات ومن حيث انه يحس و يتحرك قالوا انه حيوان ومن حيث انه يدرك حقائق الاشياء قالوا انه

ملك

ملك نصار مجتمعا لهذه المعاني وليس في خلق الله ما يجمعها غيره وفي نسخة محاسن الخلق بضم الخاء فيكون المراد باختياره ارتضاؤه لها ورضاه بها دون مساوي الاخلاق كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم والخلق هيئة راسخة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير روية وفكر فالجميلة فان كانت بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة شرعا او عقلا سميت خلقا حسنا وان كانت بحيث تصدر عنها الافعال القبيحة شرعا او عقلا سميت خلقا سيئا والروايات في مدح حسن الخلق والحث على اكتسابه مستفيضة من طرق الخاصة والعامة فمن ذلك ما رواه رئيس المحدثين في كتاب الخصال قال حدثنا علي ابن عبد الله بن احمد الاسوادي قال حدثنا ابو يوسف احمدان محمد بن قيس السجزي المذكر قال حدثني ابو محمد عبد العزيز بن علي السرخسي بمرو الروذ قال حدثني ابو بكر احمد بن عمران البغدادي قال حدثنا ابو الحسن قال حدثنا ابو الحسن قال حدثنا ابو الحسن قال حدثنا الحسن عن الحسن عن الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن قال اما ابو الحسن الاول فمحمد بن عبد الرحيم التستري واما ابو الحسن الثاني فعلي بن احمد البصري التمار واما ابو الحسن الثالث فعلي بن محمد الرافدي واما الحسن الاول فالحسن بن عرفة العبدي واما الحسن الثاني فالحسن بن ابي الحسن البصري واما الحسن الثالث فالحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام وبعض العامة روى هذا الحديث بهذه الصورة حدثنا الحسن عن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن رواه المستغفري في مسلسلاته وابن عساكر عن الحسن البصري عن الحسن بن علي عليهما السلام وسنستوفي الكلام على ما يتعلق بالاخلاق في شرح دعائه عليه السلام في مكارم الاخلاق ان شاء الله تعالى **واجرى علينا طيبات الرزق** اجرى على لسانه الرزق

جعله جاريًا اي دارًا متصلًا ومنه الحديث الارزاق جارية اي دارّة
متصلة واجرى عليه الف دينار اي جعلها وظيفة جارية له ومنه
قيل كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة والاخلاق الحميدة وقيل ما لم
تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات و
يحرم عليهم الخبائث قالوا وليس المرجع في الاستطابة والاستخباث الى طبقات
الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب
اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وهو يخالف موضوع الشرع بل ينبغي الرجوع
في ذلك الى العرب لان الدين عربي وهم المخاطبون اولا بقوله تعالى يسئلونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وليس لهم ترفه وتنعم يورث تضييقا عم
على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى في البلاد دون اجلاف البوادي
ايضا يعتبر اصحاب اليسار والترفه دون اصحاب الضرورات والحاجات
وايضا المعتبر حال الخصب والرفاهية دون اهل الجدب والشدة وقد
تقدم الكلام على الرزق فليرجع اليه **وجعل لنا الفضيلة بالملكة على**
جميع الخلق الفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل وهو ضد النقص
والملكة بالملكة من باب ضرب ملكا مثلثة وملكة محركة احتواه قادرا
على الاستبداد به وطال ملكته محركة اي رقه واقر بالملكة محركة بالملك
ولهم عليه ملكته محركة اي هو ملكه ويقال فلان حسن الملكة اذا كان حسن
الصنع الى مماليكه وفي الحديث لا يدخل الجنة سيئ الملكة اي سيئ الصنع الى
مماليكه وهي بهذا المعنى القيام بالمماليك وما يملك من ذوات اليد ومنه الحديث
حسن الملكة نماء وسوء الملكة شؤم والباء للسببية اي بسبب الملكة
لحسن الملكة كانه لفضله فضله وهي متعلقة بالفضيلة ويحتمل تعلقها

بجعل

بجعل وقوله على جميع الخلق متعلق بالملكة وعداها بعلى لما فيها من معنى
التسليط والقدرة كما قالوا له عليه ملكة وقول بعضهم انه متعلق بالفضيلة
ويحتمل تعلقها بجعل وقوله على جميع الخلق متعلق بالملكة وعداها بعلى
لما فيها من معنى التسليط والقدرة كما قالوا له عليه ملكة وقول بعضهم انه
متعلق بالفضيلة وتخصيصه الملكة بحسن الملكة كانه قال فضلنا على
جميع الخلق بحسن الملكة لا يخفى بعده وعدم ملائمته لما بعده وابعد منه
حمل بعضهم الملكة على معنى الكيفية الراسخة القائمة بمحلها اي جعل لنا
الافضلية على جميع الخلق العالم باسره قال الصادق عليه السلام في كتاب التوحيد
اول العبر والادلة على الباري جل قدسه تهيئة هذا العالم وتاليف اجزائه ونظمها
على ما هي عليه فانك اذا تاملته بفكرك وميزته بعقلك وجدته كالبيت
المبني المعد فيه ما يحتاج اليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والارض
ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر
وكل شيء فيها لشانه معد والانسان كالمالك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروب
النبات مهيأة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه قال
بعض العلماء لما كان الغاية القصوى من ايجاد العالم والمقصد الاقصى من
خلق بني آدم ليس الا وجود خليفة الله في ارضه والعالم الرباني في عباده
وهو الثمرة العليا واللباب الاصفى من شجرة الكون المشتملة على الدنيا و
العقبى ليس الا وسائر الاكوان انما خلق في ضمنه لحاجته اليها من ضرورات
تعيشه بها واستخدامه اياها كما قال سبحانه في الحديث القدسي مخاطبا
صفوة خلقه خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي وقال تعالى لولاك
لما خلقت الافلاك وعنه صلى الله عليه وآله يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم

ولا حوا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الارض وجعل المخلوقات العالية والسافلة
كلها مسخرة للانسان مطيعة له كما قال سبحانه وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه وقال
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض فاشار سبحانه الى تسخيره لنا الكواكب و
الحيوانات والنباتات والجمادات فكان عين الانسان اعلى خلق للانسان
والانسان للكامل للاكمل والاكمل لله سبحانه **فكل خليقته منقادة لنا بقدرة**
قاهرة لها طائعة بعزته الفاء للسببية اي فبسبب ذلك كل خليقته
منقادة اي مذعنة طائعة يقال انقاد فلان للامر اذا اطاع واذعن
طوعا او كرها واصله من قاد الرجل الدابة فانقادت اذا اخذ بمقدمها
وسار فتبعته والخليقة فعيلة بمعنى مفعولة والتاء فيها امارة للنقل
من الوصفية الى الاسمية وعلامة لكون الوصف غالبا غير محتاج الى
موصوف كالنطيحة والذبيحة وصاغرة اي راغمة فصار الامر كذا راجع
اليه والطاعة اسم من اطاعه اذا امتثل امره ونهيه والعزة القوة
عز الرجل من باب ضرب عزا بالكسر وعزازة بالفتح قوي وعز يعز من باب
تعب لغة فهو عزيز والاسم العزة بالكسر فقوله بعزته اي بقوته
على جعلها منقادة طائعة بتسخيره اياها لنا والتسخير على ثلاثة اقسام
اولها الوضعي العرضي وهو ادناها كتسخيره سبحانه وجه الارض وما
فيها للحرث والزرع وغير ذلك وسخر لكم ما في الارض جميعا ومن
ذلك تسخير الجبال والمعادن جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم
من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم باسكم ومنه تسخير البحار وهو
الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها

وترى

وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ومنه تسخير
الاشجار للغرس واخذ الثمار وغير ذلك هو الذي انزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل و
الاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وجعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم
منه توقدون كلوا وارعوا انعامكم كلوا من الثمرات رزقا حسنا وجعل لكم
من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ومنه تسخير الدواب والانعام للركوب
والزينة وحمل الاثقال انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها
لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها
تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ومنه تسخير النسوان والجواري للنسل والتوليد نساؤكم حرث لكم
الثاني التسخير الطبيعي وهو اوسطها وهو تسخير جنود القوى النباتية و
مواضعها له للتغذية والتنمية والتوليد والجذب والامساك والهضم والدفع
والتصوير والتشكيل الثالث التسخير النفساني وهو اعلاها وهو تسخير ملكوت
الحواس وملك اعضائنا وهي على صنفين صنف من عالم الشهادة وصنف من عالم
الغيب اما الاول فلا يستطيعون له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين
بالانفتاح انفتحت واذا امر اللسان بالتكلم جرى بحكمه وتحركت وكذا سائر
الاعضاء الظاهرة واما الثاني فكذلك الا ان الوهم لشيطنته بحسب الفطرة
يقبل اغواء الشيطان فيعارض العقل في مقاصده البرهانية الايمانية
فيحتاج الى تاييد جديد اخروي ليقهره ويقلب عليه ويطرد ظلماته ولما كان
خلق هذا العالم الجسماني انما هو لاجل الانسان فالملائكة المدبرون له

له كلهم خادمون له مسخرون لاجله مطيعون له سمائيين كانوا او ارضيين موكلون
بسايس ما خلق لاجله قيل وهذا هو معنى السجود المامور به الملئكة في قوله
تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم
يكن من الساجدين وبيان ذلك ان الوجود كله مرتبط بعضه ببعض ارتباط
اعضاء الانسان الا ترى ان حواس الانسان واعضاؤه المنقادة له المطيعة
لامره مثلا لا تقوم الا بجميع البدن ولا البدن الا بالغذاء ولا الغذاء الا
بالارض والماء والنار والهواء والغيم والمطر والشمس والقمر ولا تقوم شيء
منها الا بالسموات ولا السموات الا بالمدبرات ولا المدبرات الا بالملئكة
العقلية ولا الجميع الا بامر الله وارادته وقدرته وعزته فثبت ان
كل خليقة منقادة لنوع الانسان بقدرته وصائرة الى طاعته بعزته جل وعلا
والحمد لله الذي اغلق عنا باب الحاجة الا اليه غلقت الباب اذا اوثقته مما الغلق
وهو المغلاق الذي يغلق به الباب هذه اللغة المشهورة وفي لغة قليلة
غلقت قال الجوهري وهي لغة ردية متروكة والاستثناء مفرغ وجاز
ذلك وان كان الكلام مثبتا اما لاستقامة المعنى نحو قرأت الا يوم كذا
واما لان الاثبات في قوة النفي لان المعنى لم يبق لنا الحاجة الا اليه
كقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين اي لا تسهل ولا تخف الا
على الخاشعين والظرف متعلق بالحاجة كمتعلقه في الاية بكبيرة والمعنى
انه تعالى لم يزل واهبا لنا جميع ما نحتاج اليه ولم يخلقنا محتاجين الى غيره
قيل وهو اما باعتبار كون الحاجة الى غيره تعالى حاجة اليه لانه المالك
والمنعم الحقيقي واما لانه تكفل برزقنا المضمون فنحن محتاجون اليه دون
غيره وفتحنا باب الحاجة الى غيره لا ينافي اغلاقه الباب وتناول غرض

مرحمي

٩٩

رخص الحاجة بالاحتياج الى التاثير في الايجاد قال فهو بهذا المعنى منحصر في
الاحتياج اليه سبحانه لا بمعنى مطلق الاحتياج ولا مطلق احتياجنا الى الاجزاء
المادية والصورية والشروط والالات وما ضاهاها امر يقضي به العقل
بالضرورة انتهى ولا خفاء بما فيه من التعسف **فكيف نطيق حمده ام متى**
نؤدي شكره لا متى الفاء فصيحة اي اذا كان فضله وجوده
علينا بهذه المثابة فكيف نطيق حمده وسميت فصيحة لافصاحها عن المحذوف
لو ذكر لم يكن بذلك الحسن مع حسن سوقي ذوقي لا يمكن التعبير عنه ومنها
في التنزيل انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج اي
اذا كان منك هذا الكبر فاخرج وقد استوفينا الكلام عليها في شرح الصمدية
والاطاقة للشيء القدرة عليه يقال اطقت الشيء اطاقة فانا مطيق اي قدرت
عليه والاسم الطاقة مثل الطاعة اسم من اطاع وكيف هنا للانكار المشوب
بالتعجب المتضمن للنفي وقد تقدم الكلام عليها في شرح الاسناد وام
حرف عطف وهي هنا منقطعة ومعناها للاضراب المحض لان متى اسم
استفهام عن الزمان والاستفهام فيها هنا للانكار مثله في كيف على ما ذكرناه
وبينهما من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار المقصود الى نفس اطاقة
الحمد وتادية الشكر بان يقال فنطيق حمده ام نؤدي شكره لان كل موجود
يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وفي زمان من الازمنة قطعا
فاذا انتفى جميع احوال وجوده وازمنة فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهاني وادى الامانة الى اهلها اوصلها وديته قضاه والاسم
الاداء ولما كان شكره تعالى واجبا على العبد كانه امانة او دين يجب
عليه ايصاله وقضاؤه استعمل فيه الاداء **قوله** عليه السلام لا متى قال

وركب فينا الآلات البسط وجعل لنا ادوات القبض

بعضهم هو ما بمعنى لا يمكن تأديته شكره متى يمكن ذلك او بمعنى لا يقال
متى فانه يتوهم منه امكان وقوعه وقيل هو من قبيل الحكاية كما حكى
سيبويه ان رجلا يقول للآخر من ابن يا فتى فقال لا من ابن يا فتى يعني
لا تسل فان هنا امر اهم من هذا ولولا الحكاية ما صح دخول لا على من ولا
فهم منه معنى صحيح ويحتمل ان يكون لا لنفي الجنس ومتى اسمها من اداته
هذا اللفظ الموضوع للاستفهام وهو وان كان حينئذ معرفة لان الكلمة
اذا قصد بها لفظها كانت علما لكنه في تأويل النكرة كقوله لا هيثم
الليلة للمطي اي لا مسمى بهذا الاسم والمعنى لا استفهام بمتى في هذا المقام
كانه عليه السلام لما اورد الاستفهام على سبيل الانكار المتضمن للنفي اولا
اراد التصريح بالنفي ثانيا ليكون الاقرار بالعجز عن تأدية الشكر صريحا كما
وهذا التركيب تستعمله العرب بعد الاستفهام عن الشيء الذي يستبعد
الاستفهام عن الشيء الذي يستبعد الاستفهام عنه كقوله اين
جيرانك لا اين هم احجازا او طنوها ام شاما ركب الشيء في الشيء
تركيبا وضعه فيه كانه ركب عليه ومنه ركب الفص في الخاتم وركبه
ايضا وضع بعضه على بعض والآلات جمع آلة وهي ما يؤثر الفاعل في
منفعله القريب منه بواسطته وجعل هنا بمعنى اوجد والادوات
جمع اداة وهي الآلة والمراد بالبسط والقبض بسط الاعضاء وقبضها
وبالآلات والادوات الاعصاب والعضلات والاوتار والرباطات
والعروق والاغشية واللحم والشحوم والرطوبات والغضاريف التي
بواسطتها تنبسط الاعضاء وتنقبض بارادة التحريك وعدمها وانما
قدم البسط على القبض لان اصل العضو باعتبار اصل خلقته يقتضي

الانبساط

١٠٠

الانبساط وانقباضه انما يقع بارادة التحريك وكون المراد بالبسط والقبض
السرور والمساءة احتمال بعيد ومتعنا بارواح الحيوة واثبت فينا جوارح الاعمال
متعته اذا اعطيته ما يتمتع اي ما تنال لك الا الانتفاع به والارواح اما
جمع روح بالضم وهي على ما في الحديث عن امير المؤمنين والباقر والصادق
عليهم السلام خمسة للمقربين روح القدس وبه علموا جميع الاشياء وروح
الايمان وبه عبدوا الله تعالى وروح القوة وبه جاهدوا الاعداء وعالجوا
معاشهم وروح الشهوة وبه اصابوا لذة الطعام والنكاح وروح
البدن وبه دبوا ودرجوا واربعة لاصحاب اليمين يفقد روح القدس
فيهم وثلثة لاصحاب الشمال والدواب يفقد روح الايمان فيهم ويحتمل
ان يكون المراد الارواح الثلثة المتعلقة بالاعضاء الثلاثة الرئيسة
وهي الروح الحيوانية التي تقوم بها القوة الحيوانية المنبعثة المتعلقة
من القلب والروح النفسانية التي تقوم بها القوة المدركة والمحركة
المنبعثة من الدماغ والروح الطبيعية التي تقوم بها القوة الطبيعية من
التغذية والتنمية المنبعثة من الكبد واضافتها الى الحيوة لان النفس
المجردة الانسانية التي الحيوة عبارة عن تعلقها بالبدن تتعلق ببدنه
الارواح بأسرها فتعلق اولا بالروح الحيوانية ثم بتوسطها تتعلق
بالاخيرين على ما هو الصحيح عند جمهور الحكماء واما جمع ريح بالفتح
وهو نسيم الريح فان العروق النابضة الضوارب التي ينبتها القلب
وتسمى بالشرايين لها حركتان انقباضية وانبساطية وشانها
ان تنفض البخار الدخاني عن القلب بحركتها وتجذب بحركتها الانبساطية
نسيما طيبا صافيا يستروح به القلب وتستمد منه الحرارة الغريزية وبهذه

الحركة تنتشر الروح والقوة الحيوانية والحرارة الغريزية في جميع البدن
فهذا النسيم الذي يستريح به القلب هو روح الحيوة فلو انقطع عن القلب
ساعة لانقطعت الحيوة فتبارك الله احسن الخالقين قوله عليه السلام وثبت
فينا جوارح الاعمال اثبت الشيء في الشيء جعله ثابتا فيه لا يفارقه
والجوارح جمع جارحة وهي اعضاء الانسان التي يعمل بها ويكتسب وهي من
جرح اذا عمل بيده تقول بئس ما جرحت يداك اي عملتا ومنه جوارح
الطير لانها تكسب بيدها والاعمال جمع عمل وهو الفعل والصنع و
فرق الراغب بين الثلاثة فقال الفعل لفظ عام يقال لما كان باجادة
وبدونها ولما كان بعلم او غير علم وقصدا وغير قصد ولما كان
من الانسان والحيوان والجماد واما العمل فانه لا يقال الا لما كان من
الحيوان دون ما كان من الجماد ولما كان بقصد وعلم دون ما لم
يكن بغير قصد وعلم قال بعض الادباء العمل مقلوب عن العلم لان العلم
فعل القلب والعمل فعل الجارحة وهو برز من فعل القلب الذي هو العلم
وينقلب عنه واما الصنع فانه يكون من الانسان دون سائر الحيوان
ولا يقال الا لما كان باجادة ولهذا يقال للحاذق المجيد والحاذقة
المجيدة صنع كبطل وصناع كسلام والصنع يكون بلا فكر لشرف فاعله
والفعل قد يكون بلا فكر لنقص فاعله والعمل لا يكون الا بفكر لتوسط
فاعله فالصنع بعض المعاني الثلاثة والفعل اعمها والعمل اوسطها
فكل صنع عمل وليس كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس كل فعل عملا وفارسية
هذه الالفاظ تنبئ عن الفرق بينهما فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار
وللصنيع كنش انتهى واضافة الجوارح الى الاعمال من اضافة الفاعل الى المفعول

واعرب من

واعرب من قال يمكن ان يراد بجوارح الاعمال نفس الاعمال الكاسبة للمثوبات
والعقوبات لتكون الاضافة من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة واعرب من
ذلك قول من لا يبعد ان يكون المراد بالجوارح الاعصاب والشرايين والاوردة
النابتة من الاعضاء الرئيسة الخارجية للاعمال النفسانية والطبيعية والحيوانية
انتهى وليت شعري ما الحاصل له على هذه التمحلات التي لا يثبت لغة ولا اصطلاحا
خصوصا وهو بصدد شرح كلام المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى نسأل الله
الهداية قوله وغذانا بطيبات الرزق واغنانا بفضله واقنانا بمنه الغذا ككتاب ما
نماء الجسم وقوامه من الطعام والشراب يقال غذا الطعام الصبي يغذوه
من باب علا اذا نجع فيه وكفاه وغذوته باللبن اغذوه ايضا فاغتذى
وغذيته بالتثقيل مبالغة فتغذى وطيبات الرزق قوت الاغذية اللطيفة
حيوانية كانت او نباتية وضروب المستلذات مما يحصل بصنعنا او بغير
صنعنا وفي رواية الرزق الطيب هو العلم قوله عليه السلام واغنانا بفضله
هو امام من الغناء بالفتح والمد كسلام بمعنى الاكتفاء يقال غنيت بكذا عن
غيره من باب تعب اذا استغنيت به والاسم الغنية بالضم فانا غني واغنيته
بكفيته او من الغنى بالكسر والقصر وهو اليسار تقول غني فلان من المال
يغنى غنى كرضي يرضى رضى واغناه الله والفضل هنا بمعنى الطول والاحسان
قوله عليه السلام واقنانا بمنه هو امام من القنية بالكسر والضم وهو مال المؤثل
المدخل الذي يقتنيه الانسان لنفسه ويعزم على ان لا يخرجه من يده او من
قنوت الشيء قنوا وقنوة بالكسر اذا جمعته واكتسبته او من القنى بالكسر
القصر كالغنى بمعنى الرضا يقال اقناه الله اي ارضاه واقناه وقال الزمخشري اقنى
والقنية ما اقتني من شاة او ناقة فجعلهما بمعنى وقال في الاساس اقنام

الله واقناه اولاه الغنى والقنى وتقول فلان يجتنى الغنى والقنى من اطراف السوف
والغنا انتهى والفقرتان تلميح الى قوله تعالى انه هو اغنى واقنى قال بعض المفسرين
اغنى الانسان بلبن امه ونفقة ابيه فى صغره ثم اقناه بالكسب بعد كبره
او اغناه بكل ما يدفع الحاجة واقناه بما زاد عليه وقال بعضهم اغنى مول واقنى
ارضى وعن ابن عباس اغنى واقنى اعطى وارضى وعن الصادق عليه السلام
اغنى كل انسان بمعيشته وارضاه بكسبه والمن للانعام وفيه رد على
زعم ان الفقر والغنى بكسب الانسان واجتهاده فمن كسب استغنى ومن
كسل افتقر **ونهانا ليبتلي شكرنا** ثم على حقيقتها فى افادة
الترتيب والمهلة فانه سبحانه لسنة حكمته وقاعدة لطفه ورحمته لم يكلف
عباده الا بعد ان خلق فيهم وآتاهم كل ما يتوقف عليه ما اراد منهم من الالات
والقوى وساير الامور والاسباب المتوقف عليها العبادة والطاعة ثم
امرهم ونهاهم والا لكان خلقهم عبثا وهو محال عليه تعالى كما قال سبحانه
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون وقوله امرنا ونهانا اى
اوقع علينا الامر والنهى ولذلك لم يذكر المأمور به والمنهى عنه ولبيان
هما محذوفين ولا منويين كان الغرض الاعلام بمجرد ايقاع الامر والنهى دون
متعلقيهما والاختبار والابتلاء بمعنى واحد وهو الامتحان وهو فعل
ما يظهر به الشيء وحقيقته من الله تعالى اظهار ما كتب علينا فى القدر وابراز ما
اودع فينا وغرز فى طباعنا بالقوة بما يظهر من الشواهد ويخرجه الى
الفعل من الوقايع والحوادث والتكاليف والشرايع حيث يترتب عليه الثواب
والعقاب فانها ثمرات ولوازم وشعات وعوارض الامور موجودة اى
بالقوة فينا فاذا لم تصدر عنا ولم تخرج الى الفعل وان كانت معلومة

لله عز وجل موجودة فينا بالقوة فكيف تحصل ثمراتها ونتايجها التى هى عوارضها
ولوازمها ولهذا قال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
وامثالها اى نعلمهم موصوفين بهذه الصفات بحيث يترتب عليه الجزاء واما
قبل ذلك الابتلاء فانه علمهم مستعدين للمجاهدة والصبر صابرين اليهما حين
اذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام ليختبر طاعتنا وليبتلي شكرنا اى ليختبرنا انطيع
ام نعصى وليبتلينا انشكر ام نكفر كما قال تعالى هذا من فضل ربى ليبلونى
ءاشكر ام اكفر او ليختبر طاعتنا وليبتلى شكرنا فيعلم حسنهما وقبحهما كما قال
تعالى ونبلوا اخباركم اى ما يحكى منكم ونختبر عن اعمالكم فنعلم حسنها من
قبحها **فان قلت** كيف جعل النهى لابتلاء الشكر دون الطاعة مع ان الطاعة امتثال
الامر والنهى **قلت** لما كان الشكر عبارة عن صرف العبد جميع ما انعم الله
عليه به فيما انعم الله عليه به فيما انعم لاجله كان ارتكاب المناهى منافيا للشكر
فكان النهى من هذه الجهة لابتلاء الشكر والى هذا المعنى اشار الصادق عليه
السلام بقوله شكر النعمة اجتناب المحارم **فخالفنا عن طريق امره و**
ركبنا متون زجره خالف عن الشيء عدل عنه اى مال وانحرف والاصل
خالفنا طريق امره بترك مقتضاه والذهاب الى سمت خلاف سمته ثم
ضمن معنى العدول فعداه بعن ومنه قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون
عن امره اى يخالفونه وعداه بعن لتضمينه معنى الاعراض وانما قلنا بتضمين
معنى العدول فى الاول لمناسبة الطريق اذ يقال عدل عن الطريق ولا
يقال اعرض عنه وركبه كسمعه ركوبا علاه واصله فى الدابة ثم توسع
واستعمل فى غيرها مجازا فقيل ركب الطريق اذا مضى فيه وركب ذنبا
اذا اقترفه وركب راسه اذا مضى على وجهه بغير قصد والمتون جمع

ستن وهو ما صلب وارتفع من الارض والزجر المنع زجرته زجرا من باب
قتل منعته فانزجر واستعار الطريق للامر والمتون للزجر لان الطرق اكثر
ما تكون سهلة السلوك ممهدة للسالكين ومتون الارض وعرة المسالك
عسرة للسائرين لا يركبها الا المتعسف الاخذ على غير الطريق ويحتمل
ان يكون المراد بالمتن الظهر وما ذكرناه انسب انما افرد طريق الامر وجمع
متون الزجر لان الطريق امره تعالى هو طريق الرشد التي لا تختلف وهي
واحدة واما متون زجره فمختلفة كثيرة لكثرة اختلاف طرق الضلال
التي نهى سبحانه عن اتباعها كما قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله روي ان النبي صلى الله
عليه وآله خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وشماله
خطوطا ثم قال هذه سبل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا قوله تعالى
وان هذا صراطي مستقيما الاية **فلم يبتدرنا بعقوبته ولم يعاجلنا بنقمته**
ابتدر الشيء وبادره وبادر اليه عاجله واسرع اليه والعقوبة
بالضم اسم من عاقبه المسيء معاقبة وعقابا كافاه والنقمة ككلمة وبالكسر
والفتح مع سكون القاف المكافاة بالعقوبة نقم منه كضرب وعلم
واستقم عاقبته وفيه تلميح الى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم سمى العقوبة شرا لانها اذى في المرئي وحق
المعاقب اي لو يريد الله عجلة الشر للناس كما ارادوا والعجلة الخير لهم
لاميتوا واهلكوا ولكن اقتضت حكمته ومصلحته مع ان لا يعجل ايصال
الشر اليهم لعلهم يومنون او يتوبون او يخرج من اصلابهم من يؤمن
بل تانانا برحمته تكرما وانتظر مراجعتنا برافته حلما بل حرف

عطفه

عطف يفيد بعد النفي والنهي تقرير حكم متلوه واثبات ضده لتاليه كما افاد
هنا تقرير نفي الابتدار والمعاجلة عنه تعالى واثبت الثاني والانتظار له سبحانه
هذا مذهب ابن مالك وجماعة من النحويين وقال بعضهم بل الداخلة على الجملة
حرف ابتداء لا عاطفة وفائدتها الاضراب والانتقال من جملة الى اخرى اهم من الاولى
وتانى في الامر تمكث ولم يعجل والاسم منه اناة على وزن حصاة وتانيته
امهلته ولم اعجله والباء في برحمته للسببية والرحمة قيل رقة القلب وانعطاف
تقتضي التفضل والاحسان والحق انها فينا حالة نفسانية تكون مع رقة
القلب وانعطاف تقتضي التفضل والاحسان والحق انها فينا حالة نفسانية
تكون مع رقة القلب بها تفعل المودة والاحسان كما ان الغضب حالة نفسانية
تكون في الاكثر مع قساوة القلب وجموده تصدر منها الاساءة والجور وهكذا
العلم والحلم والحيا والصبر والفقر والتجبر وغيرها فينا صفات نفسانية تنبعث بها
احوال القلب ومزاج البدن وهي مبادي افعال واثار تناسبها فاتفق بعض
المحققين من اصحابنا المتاخرين واذا اطلق بعض هذه الصفات على الله
تعالى فلا بد ان يكون هناك علو وجرا على واشرف لان صفات كل موجود على
حسب وجوده فصفات الجسم كوجوده جسمانية وصفات النفس نفسانية وصفات
العقل عقلانية وصفات الله تعالى الهية لا كما عليه كثير من اهل التحصيل و
التمييز من انكار هذه الصفات في حقه تعالى ذاهبا الى القول بان اسماء الله
تعالى انما يطلق عليها باعتبار الغايات دون المبادي التي تكون انفعالات وهنا
من قصور العلم وضيق الصدر وعدم سعة العقل حيث لم يدركوا مقامات
الوجود ومواطنه ومعارجه ومنازله واحواله في كل موطن ومقام فوقعوا
في مثل هذا التعطيل الخالي عن التحصيل بل الجملة العوالم متطابقة فما وجد من الصفات

الكمالية في الآدني يكون في الأعلى على وجه أرفع وأشرف وأبسط فافهم هذا التحقيق
واغتنمه فانه عزيز جدا انتهى **قوله** عليه السلام تكرما أي تطولا وتفضلا وامتنانا
ونصبه على المفعول له لاجله لكونه علة مؤثرة للفعل الذي هو التأني كما
تقول قعدت عن الحرب جبنا لا علة غائية كضربته تاديبا ويأتي التكرم
بمعنى التنزه عما لا يليق يقال تكرم عن القبيح اي تنزه ومنه قول ابي حية النميري
المتعلى الى اذا النفس اشرفت على طمع لم انس ان اتكرما. ويمكن حمله هنا على هذا
المعنى ايضا اي تأنيا برحمته تنزها عن معاجلتنا لان المعاجلة لان المعاجلة
شان من يخشى الفوت كما ورد في الدعاء انما يعجل من يخاف الفوت وهو تعالى
منزه عن ذلك والاول انسب **قوله** عليه السلام وانتظر مراجعتنا برافته حلما
الانتظار في اللغة ترقب حضور الشيء او حصوله تعالى انتظروه ونظره ايضا قال
تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة اي ما ينتظرون والمراجعة المعاودة وهي
الرجوع الى الامر الاول وهنا امانة واعلم انه لما كان غرض العناية الالهية
هو الوصول الى جناب عزه تعالى الذي هو غاية الخلق وسوق كل ما قصر منهم
الى كماله ليصل اليه كاملا حسن ان يعبر عن ابقاء العاصي بالتأني له وعن طلب
العناية الالهية رجوعه الى طاعته له بالانتظار لمراجعته والا فهو سبحانه
منزه عن التأني والانتظار **قوله** عليه السلام برافته قيل الرافة اشد الرحمة
وقيل الرحمة اكثر من الرافة والرافة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن
ايصال النعم بلا كراهة للمصلحة كقطع العضو المتاكل واطلاق الرافة عليه تعالى
كاطلاق الرحمة وقد مر تحقيقه آنفا وقس عليه كل ما ياتي من هذا القبيل والحلم في
الانسان الاناءة والتثبت في الامور وهو فضيلة تحت الشجاعة يعتبر معها
عدم انفعاله تعالى عن مخالفة اوامره ونواهيه فهو الحليم بمعنى الذي لا يحتقر

شي من معاصي العباد ولا يستفزه الغضب عليهم ولا يحمله على سرعة الانتقام منهم
مع قدرته التامة منه غيظ ولا طيش والفرق بينه تعالى وبين العبد في هذا الوصف
ان سلب الانفعال عنه سلب مطلق وعن العبد عما من شانه ان يكون له ذلك الشيء
فكان عدم الانفعال عنه ابلغ واتم والحلم في العبد صفة نفسانية وفي الرب
صفة الهية كما علمت فهو فيه اعلى واشرف واكمل وادوم **والحمد لله الذي دلنا على التوبة
التي لم نفدها الا من فضله** دلنا على التوبة اي عرفنا حقيقتها لان المكلف لا بد
ان يعرف ماهية التوبة حتى يتمكن بعقله من تدارك الذنوب او عرفنا وجوبها
وكونها مقبولة او ذكرنا بعظم العظيمة علينا حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة
وافدت الشيء استفدته واعطيته ضد وقال في القاموس افادني مالا اعطاني و
افاده بمعنى استفاده وقال في المجمل فدت اذا استفدت وافدت اذا افدت
غيرك يقال افدت غيري وافدت من غيري انتهى فقوله عليه السلام لم نفدها
ضبط بكسر الفاء وفتحها مع ضم النون فالكسر من الافادة بمعنى الاستفادة اي
لم نستفدها وبالفتح من الافادة بمعنى الاعطاء اي لم نعطها بالبناء للمفعول و
تشنيع بعض المحشين على من ضبط بفتح الفاء له ثم استفدناها التوبة من فضله
تعالى اما باعتبار دلالته لنا عليها او من حيث انه لما كانت عبارة عن انزجار النفس
العاقلة عن ذنبها بقهر النفس الامارة بالسوء وانزجارها انما يكون بسوانح وجواذب
الهية تسنح لها فتطلع معها على قبح ما كانت عليه من اطباع شياطينها فتكون
سببا لجذبها عن مهاوي الهلاك وتوجيهها عن الجهة السافلة الى القبلة الحقيقية
لم يكن استفادتنا لها الا من فضله **فلو لم نعتدد من فضله الا بها لقد حسن بلاؤه
عندنا وجل احسانه الينا وجسم فضله علينا** اعتددت بالشيء على افتعلت اي ادخلته
في العد والحساب فهو معتد به اي محسوب غير ساقط والواقع في جميع النسخ

لم يفتدِ نفسك بالادغام وهي لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فلغتهم الادغام وقرى قوله تعالى
من يرتدد منكم عن دينه باللغتين قال بعضهم وجواب لو في هذا المقام محذوف والتقدير
التقدير لو لم نعتد من فضله الابها لكفانا ذلك وهذا متعارف كثيرا انتهى قلت
وانما ادعى حذف الجواب ولم يجعل قوله لقد حسن بلاؤه عندنا جوابا لان النحاة
لم يذكروا اقتران جواب لو الماضي باللام وقد بل انما ذكروها افتقارا بها فقط وحكوا
ندرته قال ابن هشام في المغني ورود جواب لو الماضي مقرونا بقد وهو غريب
كقول جرير لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة انتهى لكنه قد سمع اقترانه بهما معا قال
الدماميني في تحفة الغريب وقع في صحيح البخاري في باب رجم الحبلى من الزنا في حديث
ابن عباس الطويل الذي فيه ذكر البيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه واله ما نصه قال
لي عبد الرحمن بن عوف لو رايت رجلا اتى امير المؤمنين هل لك في فلان يقول لو
قد مات عمر لقد بايعت فلانا انتهى قال الدماميني ففيه ورود جواب لو وشرطها
جميعا مقرونين بقد قال وفلان المشار اليه هو طلحة بن عبيد الله وقع ذلك في فوائد
البغوي وثبت ايضا في صحيح البخاري في ابواب الخمس حديث جابر بن عبد الله
قال قال النبي صلى الله عليه واله لو قد جاء مال البحرين قد اعطيتك هكذا وهكذا
انتهى فالاولى ان يكون قوله عليه السلام لقد حسن بلاؤه عندنا هو جواب لو لثبوت
مثله في فصيح الكلام والحذف والتقدير خلاف الاصل فيكون المعنى حينئذ
لو لم نعتد من فضله الا بالتوبة لكان بلاؤه عندنا حسنا واحسانه الينا
جليلا وفضله علينا جسيما وذلك لان التوبة من اعظم نعم الله تعالى على عباده
لانها ممحاة للذنوب مسترة للعيوب مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة
لابواب الجنان معدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس
مستنزلة للمواهب الربانية من الملك القدوس روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه

قال لا شفيع انجح من التوبة وعن ابي جعفر عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب له
وعن ابي عبد الله عليه السلام ان الله تعالى يفرح بتوبة عباده المؤمنين اذا تابوا كما
يفرح احدكم بضالته اذا وجدها وسياتي تمام الكلام عليها في شرح دعائها
انشاء الله تعالى قوله عليه السلام حسن بلاؤه البلاء هنا بمعنى الاحسان والانعام
ومنه قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا قال المفسرون اي عطاء جميلا
غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره قوله جل احسانه اي عظم يقال جل
الشيء جلالا من باب ضرب اي عظم فهو جليل ومنه الجلي بالضم للامر العظيم
وقوله جسيم فضله كعظم لفظا ومعنى فهو جسيم وهو من الجسيم بمعنى جماعة البدن
كانه صار ذا جسم فهكذا كانت سنته في التوبة لمن كان قبلنا السنة
بالضم لغة الطريقة المستقيمة قيل ماخوذة من سن الماء اذا والى صبه او من سن اذا
حدد او من سن الابل اذا ارسلها في الرعي وسنة الله تعالى حكمه وهكذا اشارة الى الحاضر
في الذهن من سنته في التوبة المفترضة على هذه الامة المرحومة التي ليس هي الا
الندم على الذنب لكونه ذنبا والمراد بمن كان قبلنا بنو اسرائيل الذين كانت سنته
في التوبة لهم قتل انفسهم لا الندم فقط كما نطق به التنزيل في قوله تعالى واذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا
انفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم روي ان موسى
عليه السلام سال ربه التوبة على بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا ان يقتلوا انفسهم
فامرهم موسى عليه السلام بالقتل فاجابوا فاخذ عليهم المواثيق ليصبرن على القتل
فاصبحوا مجتمعين وقد اغتسلوا ولبسوا اكفانهم كل قبيلة على حدة واتاهم هرون
والاثنى عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل وبايديهم السيوف فاجثوا بافنية بيوتكم
واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا حل حبوته او قام من مجلسه او مد اليهم طرفه

انما هم سبد او رجل فيقولون آمين روى ان الرجل كان يبصر ولده وجاره وقريبه
فلم يمكنه المضى لامر الله فارسل الله سبحانه ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء فقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولان اهلكت
بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت الضبابة والسحابة واوحى الله اليهما قد غفرت
ذنب من قتل وتبت على من لم يقتل منهم وكانت القتلى سبعين الفا **لقد وضع**
عنا ما لا طاقة لنا به ولم يكلفنا الا وسعا ولم يجشمنا الا يسرا
اللام جواب قسم محذوف فتقديره لقد صدق فكم الله وعده لاعذبنه عذابا شديدا لئن
اخرجوا لا يخرجون معهم والتقدير اقسم بالله لقد وضع عنا ما لا طاقة لنا اى ما لا
قدرة لنا عليه من التكاليف الشاقة لا ما ينفى الطاقة البشرية حقيقة فان ذلك
غير جائز عليه تعالى عقلا خلافا للاشاعرة واستعمال عدم فيما يشق شايع فى كلامهم
فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وآله قال فى المملوك له طعامه وكسوته ولا
يكلف من العمل الا ما يطيق اى ما لا يشق والمراد انه تعالى لم يشدد علينا فى التكاليف
كما شدد على من قبلنا من اليهود حيث فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء
ربع اموالهم فى الزكوة واوجب عليهم قرض ما اصابته النجاسة من الثوب والجلد
واللحوم وان لا يطهر بالغسل واذا اتوا بخطيئة حرم عليهم نعين القصاص فى
العمد والخطاء من غير الدية وقطع الاعضاء الخاطئة واحراق الغنائم وتحريم السبت وكانوا
اذا قاموا الى الصلوة لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة الى
غير ذلك من اعباء التكاليف الثقيلة وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته لحبس
نفسه على العبادة الى غير ذلك من اعباء التكليف الثقيلة هذه الامة عن امثال ذلك
وانزل فى شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال عليه السلام ولم

يكلفنا

يكلفنا الا وسعا التكليف الامر بما فيه كلفة ومشقة والوسع بالضم ما يسع الانسان
ولا يضيق عليه اى لم يكلفنا الا ما تسع له طرقنا ولم تضق عنه قدرتنا كما قال تعالى
وما جعل عليكم فى الدين من حرج **قوله** عليه السلام ولم يجشمنا الا يسرا جشمت الامر
كسمعت وتجشمته اذا تكلفته على مشقة وجشمته غيرى بالتشديد واجشمته
بالالف كلفته اياه واليسر بالضم نقيض العسر واصله السهولة ومنه اليسار للغنى
لانه يتسهل الامور وتسنى المقاصد اى لم يكلفنا الا ما سهل علينا وتيسر وفى
مدى الطاقة والوسع الانسانى اوجب علينا من الصلوات خمسا ومن السنة
صوم شهر ومن العمر حجة واحدة مع امكان الانسان وطاقته ان يصلى اكثر من الخمس
ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لكنه تعالى اراد بنا اليسر فضلا منه ورحمة
كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر هذه الفقرة من باب التكميل وهو ان
يوتى بكلام فى فن فيرى انه ناقص فيكمل باخر فانه عليه السلام قال ولم يكلفنا الا وسعا
توهم ان ذلك يوهم ان تكليفنا مبلغ وسعنا فكمل بقوله ولم يجشمنا الا يسرا
نفيا لذلك الايهام وهذا من كمال البلاغة وايقانها حق ضمها **ولم يدع لاحد**
منا حجة ولا عذرا لم يدع اى لم يترك وهو من الودع بمعنى الترك
قالوا ولم يستعمل منه الا المضارع والامر فلا يقال ودعه بل تركه ولا ودعا
ولكن تاركا ولا يقال يحيينى ودعك الخبر بل تركك ولا مودوع ولكن متروك
وما ورد منه فشاذ ومثله وذر انما يقال منه ذر ولا مذر ولا عين والحجة
ما دل على صحة الدعوى والعذر التفصى عن الذنب بوجه معقول والمعنى انه
تعالى لما لم يكلفنا الا دون وسعنا ولم يشق علينا فى شىء من التكاليف لم يترك لاحد
حجة يحتج بها ولا عذرا يقيمه فى عدم طاعته ولم فعل امره ونواهيه التى لا كلفة
علينا فى القيام بها بل لله تعالى الحجة البالغة وعن الصادق عليه السلام انا نظرت فى جميع

الاشياء لم يجد احدا في ضيق ولم يجد احدا الا الله على الحجة وما امروا الا
بدون سعتهم وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم ولكن الناس لا حيث
فيهم **فالهالك منا هلك عليه والسعيد بشأن رغبت** * الهلاك الموت
هلك يهلك من باب ضرب هلكا بالضم ومهلكة مثلثة اللام والاسم
الهلاك ويعبر به عن الخسران واستيجاب النار وهو المراد هنا لمقابلته
بالسعيد لاستلزامه الشقاوة ومنه الحديث اذا قيل هلك الناس فهو
اهلكهم قال ابن الاثير يروى بفتح الكاف وضمها فمن فتحها كانت فعلا
ماضيا ومعناه ان الغالين في الدين يوئسون الناس من رحمة الله يقولون
هلك الناس اي استوجبوا النار بسوء اعمالهم فاذا قال الرجل ذلك فهو الذي
اوجبه لهم لا الله تعالى او هو الذي لما قال لهم ذلك وايئسهم حملهم على ترك
الطاعة والانهماك في المعاصي فهو الذي اوقعهم في الهلاك واما الضم
فمعناه انه اذا قال لهم ذلك فهو اهلكهم اي اكثرهم هلاكا وهو الرجل
يولع بعيب الناس ويذهب بنفسه عجبا ويرى له عليهم فضلا انتهى وعلى
من قوله هلك عليه قيل بمعنى مع اي مع سعة رحمتك وقيل ضمن
معنى استعلى واستعصى وقيل معناه الخاسر من خسر عنده والظاهر
ان معناه لا كره منه كما يقال باع القاضي عليه داره لانه تعالى لا يرضى
بهلاك احد من عباده ولذلك وسع لهم رحمته ولم يعاجلهم بالاخذ
على ذنوبهم بل اناهم برحمته وانتظر مراجعتهم برافته وفتح لهم باب
التوبة ووضع عنهم ما لا طاقة لهم ولم يكلفهم الا دون وسعهم فمن هلك
بعد ذلك كله بسوء كسبه كان كانه هالك على كره منه سبحانه وانما
دلت على على ذلك لانها تستعمل في الافعال الشاقة المستثقلة يقال

هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما يؤثره وعلى فيما يكرهه قالت
الخنساء ساحمل نفسي على حالة فاما عليها واما لها ومنه قوله تعالى
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت والسعيد خلاف الشقي ورغب الى الله
ساله وطلبه وقدم المسند على المسند اليه في الفقرتين للمبالغة في هلاك
من هلك عليه كانه لا هالك غيره وسعادة من رغب اليه كانه لا سعيد
غيره على ما قالوه في نحو الامير زيد والشجاع عمرو من ان اللام ان حمل في
المقام الخطابي على الاستغراق كان بمنزلة كل امير زيد وكل شجاع عمرو
وان حمل على الجنس افاد ان زيدا وجنس الامير وعمروا وجنس الشجاع
يتحدان في الخارج وكيف كان فالقصر الادعائي حاصل **والحمد لله بكل**
حمده ادنى ملائكته واكرم خليقته عليه وارضى حامديه
لديه الباء للاستعانة او المصاحبة وحمده ضبط بكسر الميم
كعلمه وبتشديدها من التحميد وهو حمده تعالى مرة بعد اخرى وادنى ملائكته
اي اقربهم اليه من الدنو بمعنى القرب وارضى هنا اسم تفضيل من رضي مصوغا
للمفعول اذ المعنى اعظم المرضيين لديه وبناء اسم التفضيل من رضي مصوغا
وان كان الغالب فيه ان يكون من الفعل المصوغ للفاعل لكنه قد سمع
بناؤه من المصوغ للمفعول ايضا بكثرة كاجن واشغل واعجب واشعث
واعذر واشهر وكفى شاهدا على صحته وروده في كلامه عليه السلام فلا عبرة
بمن منعه من النحاة وقوله لديه اي عنده وياؤها منقلبة عن الف لان
اصلها لدى كعلى لكنهم عاملوا الفها معاملة التي الى وعلى فقلبوها مع الظاهر
وتقليبها مع المضمر في الافصح كما قالوا والقيا سيدها لدى الباب ولدينا
مزيد **تنبيه** الظاهر ان المراد بقوله ادنى ملائكته واكرم خليقته وارضى

حامد به كل من اتصف بهذه الصفات منهم لا واحد معين وانما افرد اسم
التفضيل لاستعماله مضافا وهو اذا استعمل كذلك كان عدم المطابقة
فيه اولى كما تقدم قال تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ولم يقل
احرصى بالياء فان قلت اسم التفضيل اذا قصد به التفضيل على من اضيف
اليه وجب كونه منهم واحدا كان او متعددا لتحصل المشاركة بين الجميع في
المعنى بذكره معهم ليصح تفضيله عليهم وذلك يستلزم تفضيل الشيء على نفسه
قلت هو داخل فيهم اى داخل عنهم تركيبا اوداخل فيهم لفظا خارج
عنهم ارادة فلا يلزم ذلك حمدا يفضل سائر الحمد كفضل الله على جميع
خلقه تفضله بفضله من باب كسرته غلبه في الفضل يقال فاضله
ففضله وسائر الحمد باقيه اى ما عدا الحمد المذكور قال الزمخشري في الكشاف
العربي السائر بمعنى الباقي واستعماله في كلام المصنفين بمعنى الجميع غير
ثبت انتهى وقال الصغاني سائر باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من قصر
في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام وقال الحريري في درة
الغواص في لفظه وعزا وهامهم الفاضحة واغلاطهم الواضحة انهم يقولون
قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج فيستعملون سائرا بمعنى جميع وهو
في كلام العرب بمعنى الباقي ومنه قيل لما يبقى في الاناء سؤر والدليل على
صحة ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله قال لغيلان وحين اسلم وعنده
عشر نسوة اختر اربعا منهن وفارق سائرهن اى من بقى بعد الاربع اللاتي تختارهن
ولما وقع سائر في الموطن بمعنى الباقي الاكثر منع بعضهم من استعماله بمعنى
الباقي الاقل والصحيح انه يستعمل في كل باق اقل او اكثر لاجماع اهل اللغة
على ان معنى الحديث اذا شربتم فاسئروا اى ابقوا في الاناء بقية سالا ان المؤ

اربعون

به ان الاقل ويبقى الاكثر وانما ندب الى التادب بذلك لان الاكثار من
المطعم والمشرب منبئ عن النهم وملامة عند العرب ومما يدل على ان
سائرا بمعنى الباقي ما انشد ترى الثور فيها مدخل الظل راسه وسائره
باد الى الشمس اجمع انتهى كلامه قال ابن بري ويؤيد ذلك ان ابن دريد نقل في بعض
اماليه ان سائر الشيء يقع على جله ومعظمه ولا يستغرقه كقولهم جاء سائر الحاج
اى جلهم ذلك سائر المال اى معظمه وانشد قول مضرس شعر فاحسن
ان يعذر المرء نفسه وليس له في سائر الناس عاذر لنفسه من الناس هو باق
بالنسبة اليه وان كثر ولا يقال جميع الناس الا اذا لم يشذ احد من الافراد و
ممن نص على ان سائرا بمعنى الجميع الجوهري في الصحاح فقال سائر الناس جميعهم
قال الشيخ تقي الدين ولا التفاتات الى قوله فانه لا يقبل ما تفرد به وقد حكم
عليه بالغلط في هذا من وجهين احدهما تفسيره ذلك بالجميع والثاني ذكره
له في باب سير وحقه ان يذكر في باب سار لانه من السؤر بالهمز وهو بقية
الشيء وقال النووي هي لغة صحيحة لم يتفرد بها الجوهري بل وافقه عليها
الامام ابو منصور الجواليقي في اول كتابه شرح ادب الكاتب واذا اتفق
هذان الامامان على نقلها فهي لغة صحيحة وانكروا على ان يكون سائر
من السؤر بمعنى البقية لانها تقتضي الاقل والسائر الاكثر ولحذفهم منها
في نحو قولهم وهي ادهاء سارها لانها لما اعتلت بالقلب اعتلت بالحذف
ولو كانت العين همزة في الاصل لما حذفت وقال ابن بري من جعل سائرا
من سار يسير فيجوز ان يقول جئت سائر القوم اى الجماعة التي يسير فيها
هذا الاسم وانشدوا على ذلك ابياتا منها قول الاحوص فجعلتها لنا لبانه
لما وقضا لبتو سائر الحوائج انتهى وانما استوفينا الكلام على هذا اللفظ هنا

لا انزكثير ما يقع السؤال عنه ولعلك لا تجد بهذا الاشباع فى غير هذا الكتاب قوله
عليه السلام كفضل ربنا فى محل النصب على المفعولية المطلقة والاصل فضلا كفضل
ربنا فحذف الموصوف واقيم الوصف مقامه قيل والمراد التشبيه فى مطلق
الفضل فلا يلزم ان يكون عين ما من ان المشبه متناه بخلاف المشبه به والاولى
ان يقال المراد كون فضل حمده على سائر حمد الحامدين فى مرتبة من الكمال الذى
لا نهاية له مثل فضله تعالى على جميع الخلق اى الممكنات والمراد بسائر الحمد
حمد المخلوقين بقرينة المقام فلا يدخل فى عمومه حمده تعالى نفسه قوله
الحمد كان كل نعمة له علينا وعلى جميع عباده الماضين والباقين تم هنا استيناف
لا عاطفة فلا حاجة الى التمحل بانه انما اتى بها لما بين الحمدين السابق
واللاحق من التفاوت وفضل كل واحد على الاخر وجه تفضيل الاول
من حيث الكيفية والثانى من حيث الكمية مثلا ووقوع ثم للابتداء
صرح به صاحب صف المبانى كما حكاه عنه المرادى قال الدماميني
وفات ابن هشام عد هذا القسم فى المغنى وقدم الخبر فى قوله له الحمد لافادة
الاختصاص والقصر فيه حقيقى والمكان موضع كون الشئ اى موضع كل نعمة
والمراد كونه حاصلا حيث حصلت كل نعمة فيكون مجازا عن كونه بازاء
كل نعمة وعوضا عنها كما تقول خذ هذا مكان ذاك اى قائما مقامه
وعوضا عنه وهو حال من المبتدأ كما فى قوله تعالى وله الحمد فى السموات
والارض ومنهم من جعل الظرف متعلقا بالنسبة التى تشتمل عليها الجملة
وحكم العلامة التفتازانى فى شرح المفتاح عند قول السكاكى وهو عند
السلف كذا بان الظرف معمول الثبوت الخبرى للمبتدأ واختاره المحقق
الشريف وحكم بانه اظهر من جعله حالا من المبتدأ وقول بعضهم انه منصوب

بنزع الخافض

بنزع الخافض وقوله اخرانه مفعول مطلق غلط فاحش فاحذره فان قلت
كيف يكون الحمد بازاء كل نعمة وعوضا عنها وقد قيل من اعتقد ان شكره
يساوى نعمة الله فقد اشرك قلت انما كان عوضا من حيث رضا الله
تعالى به كذا النعمة لا من حيث كونه مساويا لها وفى الخبر ان الله تعالى اوحى الى نوح
عليه السلام انى رضيت الشكر مكافاة من اولياى على ان حمده تعالى نعمة منه ايضا
فهو من جعل نعمة له تعالى عوضا عن نعمة له اخرى بامره وتوفيقه وعن الصادق
عليه السلام من حمد الله على نعمة فقد شكره وكان الحمد افضل من تلك النعمة
هذا وانما حمده تعالى على كل نعمة له على غيره من ماض وباق من حيث انه المنعم
بها وتصور الجهة التى باعتبارها كان مستحقا للحمد دون غيره وهى كونه المفيض
لتلك النعم التى لا تحصى ولا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظة هى مطلوب
الله تعالى من العبادات وهو جار منها مجرى الروح من الجسد قوله عليه السلام
الماضين والباقين المراد بالماضين من مات وفنى من قولهم مضى الشئ
يمضى مضيا ومضاء بالفتح والمد ذهب وخلا وبالباقين من لم يمت بعد
وحيا ولم يوجد بعد من بقى الشئ يبقى بقاء ضد فنى او من بقى بمعنى لاح
فيشمل الحاضر منهم والمستقبل ويدخل فيهم الملائكة والعقول
الباقية ببقاء الدنيا ولا حاجة الى تكلف تخصيص الماضين بالذوات
المتغيرة الغائبة من الناس والباقين بالذوات الباقية الثابتة من
العقول والملائكة عدد ما احاط به علمه من جميع الاشياء العدد اسم من عد
الشئ عدا اذا احصاه والكمية التى تقع جوابا لكم وهو مفعول مطلق لعد
عامله اى اعد حمده عدد ما احاط به علمه واقرب من قال انه منصوب بنزع
الخافض واحاط بالشئ علما ادركه بكماله ظاهرا وباطنا وعلمه تعالى عبارة

عن انكشاف الاشياء له في الازل كلها وجزئياتها كل في وقته وبكل مرتبة وعلى ما هو عليه
فيما لا يزال وهذا الانكشاف حاصل له تعالى من ذاته بذاته قبل خلق الاشياء وهو عينه
فهو تعالى لم يزل عالما بذاته وعالما بالاشياء قبل ايجادها ولا يعزب عنه مثقال ذرة من كلياتها
وجزئياتها وحقايقها ولوازمها وعوارضها وجوانبها وحدودها التي تنتهي اليها
بعلم قديم كامل من جميع الجهات هو عين ذاته الحقة التي هي العلم بالاشياء كلها
على نحو واحد لا بعلم حادث زايد عليه فان قلت ذاته تعالى مجهولة لنا ومفهوم
العلم معلوم فكيف يكون احدهما عين الاخر قلت المعلوم من العلم مفهومه الكلي المشترك
القول بالتشكيك على افراده الموجود بوجودات مختلفة والذي هو ذات الباري جل شانه
فرد خاص منه وذلك الفرد اشدها نورانية وهو لظهوره مجهول لنا محتجب عن عقولنا
وكذا الكلام في ساير صفاته الذاتية فهو ماهيتها المشترك معلوم ووجودها القدسي
الواجبي مجهول وفي هذه الفقرة رد صريح على من زعم انه تعالى ليس عالما بذاته لوجوب
المغايرة بين العالم والمعلوم ولم يعلم ان التغاير الاعتباري كاف كعلمنا بانفسنا
فهو عالم ومعلوم وعلم وعلى من زعم انه ليس عالما بغيره لان علم احد بغيره عبارة
عن صورة مساوية له مرتسمة في العالم ولم يعلم ان علم احد بغيره قد يكون حضوريا
بمعنى حضور ذلك الشيء بنفسه لا بمثاله وصورته عند العالم وعدم غيبته عنه
وان العلم الحضوري اقوى من العلم الحصولي ضرورة ان انكشاف الشيء
على احد لاجل حضوره عنده وان العلم بنفسه اقوى من انكشافه عليه لاجل
حصول مثاله وصورته فيه وعلى من زعم انه تعالى ليس عالما بالجزئيات لان
الجزئيات متغيرة فعلمه بها يوجب التغير في ذاته ولم يعلم ان التغير ان صار
يقع في الاضافة لا في ذاته ولا في صفاته ولان علمه تعالى بالكليات والجزئيات
لخروجه عن كونه زمانيا مستمر على نحو واحد ازلا وابدا من غير تغير اصلا

ويتعلق بكل واحد منها بعددها اضعافا مضاعفة من الازل الى الابد الفضل الى

الواو

١٩٦

الواو للاستيناف والظرف خبر وعددها مبتداء هذا على ضبط عددها
مبتداء هذا على ضبط عددها بالضم واما على نسخة ابن ادريس من ضبطه
بالفتح فالواو عاطفة والمعطوف عليه مكان السابق وعددها راجع الى الكل نعته
والاضعاف جمع الضعف بالكسر وضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه وضعافه اضعاف
امثاله وقال الخليل رحمه الله التضعيف ان يزاد على اصل الشيء فيجعل مثلاه او اكثر
وكذلك الاضعاف والمضاعفة وقال الازهري الضعف في كلام العرب المثل
هذا هو الاصل ثم استعمل في المثل وما زاد وليس للزيادة حد يقال هذا ضعف
هذا اي مثله وهذان ضعفاه اي مثلاه قال وجاز في كلام العرب ان يقال
هذا ضعف هذا اي مثلاه وثلثه امثاله لان الضعف زيادة غير محصورة
فلو قال في الوصية اعطوه ضعف نصيب ولده اعطى مثليه ولو قال اعطوه
ضعفيه اعطى ثلاثة امثاله حتى لو حصل للابن مائة اعطى مائتين في
الضعف وثلثمائة في الضعفين وعلى هذا جرى عرف الناس واصطلاحهم
والوصية تحمل على العرف لا على دقايق اللغة انتهى والابد في اللغة الدهر وهو
الزمن الممتد قيل اشتقاقه من الابود وهو النفور لان العقول تنفر عن ادراك
آخره وفي الاصطلاح استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب
المستقبل كما ان الازل استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب
الماضي والسرمد الدائم الذي لا ينقطع قال الخليل هو دوام الزمان واتصاله من
ليل ونهار قيل واشتقاقه من السرد وهو التوالي والتعاقب ولما كان الزمان
انما يبقى بسبب تعاقب اجزائه كان لذلك مسمى بالسرمد وادخلوا عليه الميم لتفيد
المبالغة وفي قوله عليه السلام الى يوم القيمة متعلق به اذ كان بمعنى الدائم الى يوم القيمة

٢٠٧

قيل اصلها مصدر قام الخلق من قبورهم قيامة وقيل هي تعريب قيمتا وهو السريانية
بهذا المعنى **حمدا لا منتهى لحده ولا حساب لعدده ولا مبلغ لغايته ولا انقطاع لامده**
اى لا نهاية لحده وهو اقصى ما يمكن ان يبلغه ذلك جعل المنتهى بمعنى النهاية
والحد مصدر من حددت الشئ اذا جعلت له حدا ينتهى اليه وهذا اضراب عما
قبله فلا يقال جعل الحمد الى غاية وهو يوم القيمة ثم نفى الغاية عنه هنا
تناقض بل هذا من فنون البلاغة بديع يسمى الرجوع في علم البديع وهو ان يرجع
المتكلم الى كلام السابق فينقضه لنكتة كان وهم سابقا ما ينبغى ان يرجع اليه
وهو هنا كذلك فانه عليه السلام عين اولا الحمد بيوم القيمة لانه غاية كل حامد
ثم تنبه الى انه ينبغى ان يكون الحمد مناسبا للمحمود الذى لا غاية له فرجع عنه و
قال احمد لا منتهى لحده كانه قال بل احمده حمدا لا غاية له كما ورد فى دعاء اخر حمدا
خالدا مع خلودك وهذا النمط فى كلام بلغاء العرب كثير وقد استوفيت
الكلام عليه فى شرح بديعيتى المسمى بانوار الربيع وذكرت شواهده **قوله**
عليه السلام ولا حساب لعدده الحساب الاحصاء والعدد تقول حسبت المال
من باب قتل حسبا بالفتح وحسبانا بالضم وحسابا بالكسر اى احصيته وجمعت والعدد
كمية تطلق على الواحد وما يتالف منه فيدخل الواحد وقيل ما ساوى
نصف مجموع حاشيتيه القريبتين او البعيدتين على السواء كالاثنين فانه
حاشيته السفلى واحد والعليا ثلاثة ومجموع ذلك اربعة ونصفه
اثنان وهو المطلوب وعلى هذا فالواحد ليس بعدد لانه لا حاشية له سفلى
ويطلق على الصورة التى تنطبع فى نفس العاد من تكرار الواحد وهو المراد
هنا لما سياتى عليه السلام ولا مبلغ لغايته اى لا منتهى لغايته وغاية الشئ

مداه ولا انقطاع لامده اى لا انتهاء ومنه منقطع الشئ بالبناء للمفعول حيث ينتهى
طرفه نحو منقطع الوادى والرمل والطريق والامد الغاية وهذه الفقرات الاربع
كلها من باب نفى الشئ بنفى لازمه وهو ان ينفى اللازم والمراد نفى الملزوم مبالغة
فى النفى وتاكيدا له كقوله ٭ على لاحب لا يهتدى بمناره ٭ وقوله ٭ ولا ترى الضب بها
ينجحر ٭ اى لا منار فلا اهتداء ولا ضب فلا انجحار ووجه المبالغة فى ذلك ايذانه
بان انتفاء الملزوم امر محقق لا نزاع فيه وبلغ فى تحققه الى ان صار كالشاهد على
نفى اللازم اذ لو كان له منار لوقع الاهتداء به ولو كان بها ضب لكان له انجحار
والامر هنا كذلك فان المراد بقوله عليه السلام لا منتهى لحده ولا حساب لعدده
لا حد له فلا انتهاء ولا عدد له لعدم تناهيه فلا حساب اذ لو كان له حد لكان
له منتهى ولو كان له عدد لكان له حساب وقس على ذلك ونفى الغاية عنه
ثلاث جمل مترادفة اكدها بما بعدها تاكيدا لسلبها وابرزه فى قوالب مختلفة
ايذانا بان اللائق نفيها بكل عبارة يمكن التعبير بها عنه **حمدا يكون وصلة
الى طاعته وعفوه وسببا الى رضوانه وذريعة الى مغفرته** الوصلة بالضم الوسيلة وكل شئ
اتصل بشئ فما بينهما وصلة وهذا وصلة الى كذا اى يتوصل به اليه والسبب فى الاصل
الحبل الذى يتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير لكل ما يتوصل به الى شئ كقوله
تعالى وتقطعت بهم الاسباب اى الوصل والمودات والرضوان بكسر الراء وقيس
وتميم بضمها بمعنى الرضاء وهو خلاف السخط والذريعة الوسيلة وهى ما
يتقرب به الى الشئ وفلان ذريعتى الى فلان وقد تذرعت به اليه
توسلت والمغفرة فى الاصل اسم من غفر الشئ غفرا من باب ضرب اذا
ستره ثم اطلقت على ستر القادر القبيح ممن هو تحت قدرته حتى ان العبد اذا
ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له واذا نسبت الى الله فالمراد بها

ستره لذنوب عباده وعفوه بهم مع تجاوزه عن خطاياهم وذنوبهم وعفوه عن
معاصيهم لا محو والستر كما يدل عليه ما ورد في احاديثهم عليهم السلام والله لقد ستر
حتى كانه غفر **وطريقا الى جنته وخفيرا من نقمته وامنا من غضبه** استعار
الطريق للحمد لكونه مستلزما للوصول الى الغاية تطلب فيكون حمده مستلزما
للوصول الى الجنة التي هي الغاية الحقيقية ولمثلها يعمل العاملون وفيها يتنافس
المتنافسون والخفير بالخاء المعجمة والفاء المجير والحامي من خفره يخفره من باب
ضرب وقيل اذا اجاره وحماه من طالب له بمكروه والاسم الخفارة بالكسر والضم ولما
كان الخفير يذود عن مخفوره ويحميه من مكروه يصل اليه استعاره للحمد وطلب
ان يكون مجيرا له من نقمته وحاميا له من عقوبته بان يكون سببا لغفران ذنوبه
ومحو خطاياه التي يترتب عليها النقمة والعقاب والامن ضد الخوف وهو هنا بمعنى
المؤمن اسم فاعل من امنه ضد اخافه وضع المصدر موضع الفاعل مبالغة جعل
المسمى نفسه امنا كما وضعوا العدل موضع العادل والكلام على هذه الفقرة
كالتي قبلها **وظهيرا على طاعته وحاجزا عن معصيته وعونا على تادية حقه ووظائفه**
الظهير المعين ويطلق على الواحد والجمع وفي التنزيل وكان الكافر
على ربه ظهيرا والملئكة بعد ذلك ظهير وتظاهروا تعاونوا والمراد انه يكون
حمده سببا لافاضة قوة على استعداد يقوى به عقله على تذليل نفسه لطاعته
تعالى كما يكون الظهير سببا للقوة على قهر الخصم واذلاله والحاجز الحائل بين الشيئين
والمعصية ترك الانقياد للامر والمراد كونه سببا لحسم اسباب المعاصي وعدم الانقياد
لها بتوفيقه تعالى والعون والمعين بمعنى والتادية مصدر ادى الحق الى صاحبه اذا
اوصله اليه والاسم الاداء والوظائف جمع وظيفة وهو ما يقدر للانسان في كل
وقت من رزق او عمل وعطفها على حقه من عطف الخاص على العام اذ كان المراد بحقه

تكاليفه

۱۱۳

تكاليفه الشرعية والعقلية وبالوظائف ما وظفه من حقوقه وايجابها منه ومالها
كالصلوات والعبادات التي لها اوقات معينة **فان قلت** كيف يكون الحمد عونا
على تادية حقه تعالى وقد قال امير المؤمنين عليه السلام في اول خطبة له في نهج البلاغة
الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه
المجتهدون وهذا صريح في ان تادية حقه تعالى لا يطيقها المجتهدون فضلا
عن غيرهم **قلت** المراد بنفي تادية المجتهدين حقه نفي تادية حق نعمته تعالى فانما
ولا شك ان جزاء نعمته سبحانه امر ليس في طاقة البشر من وجهين احدهما
انه لما كان اداء حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء وكانت نعم الله تعالى لا تحصى
كما قال لا يحصي نعماءه العادون بدليل قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لزم من ذلك ان لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما نتعاطاه من افعالنا الاختيارية
مستند الى جوارحنا وقدرنا وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي باسرها
مستندة الى جوده ومستفادة من نعمته وكذلك ما يصدر عنا من الحمد والشكر
وساير العبادات نعمة منه سبحانه فيكون مقابلة نعمته بنعمته جزاء وتادية
لحق نعمته واما المراد بتادية حقه في الدعاء فهو القيام بتكاليفه تعالى لانها
لما كانت تسمى حقوقا سمي القيام بها تادية والقائم بها مؤديا وهذا لانها
في الحقيقة من اعظم نعم الله تعالى على عباده اذ كان القيام بتكاليفه وساير اسباب السلوك
الموصل الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم
للايمان ان كنتم صادقين ومما كان في الحقيقة نعم الله تعالى لا يكون اداء لها وجزاء
لها وان اطلق ذلك في العرف اذ كان من شان الحق المفهوم المتعارف بين الخلق مثلا
وجوب الجزاء والاداء ليسارعوا الى الاتيان به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من التكليف

حتى لو لم نعتقد وان الله حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهموا به غاية الاهتمام اذ كان خارج
غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة في تحمله الا يبلغت قاهر من خارج
حداً تسعد بها في السعداء من اوليائه ونضربه في نظم الشهداء بسيوف اعدائه
ايسه ولي حميد لما كانت همته
عليه السلام مقصورة على السعادة الاخروية التي هي مطمع انصار اولى النفوس
القدسية جعل بطلبها منتهى مطالبه وطلب اعظم وسايلها التي هي الشهادة غاية
ماله ربه والسعداء جمع سعيد وهو من عرف ربه وسلك سبيله حتى وصل
اليه هي الغاية العظمى للسعادة بل هو عينها وفي بمعنى مع اي مع السعداء الذين هم
اولياؤه والولي فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله امره كما قال تعالى وهو يتولى
الصالحين وقيل بمعنى فاعل اي الذي يتولى عبادة الله ويوالي طاعته من غير تخلل
معصية وكلا الوصفين شرط في الولاية وقال المتكلمون الولي من كان انسيا بالاعتقاد
الصحيح المبني على الدليل وبالاعمال الشرعية والتركيب يدل على القرب فكانه قريب منه
تعالى لاستغراقه في انوار معرفته وجمال جلاله قال بعض المحققين وتحقيقه ان
يقال هو من يتولى الله تعالى بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا
ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد المفني يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه
واسمه ويمحو عينه واثره ويحييه بحيوته ويبقيه ببقائه وقيل الولي هو المطلع
على الحقائق الالهية ومعرفة ذاته تعالى وصفاته وافعاله كشفا وشهودا من الله
خاصة من غير واسطة ملك او بشر وقيل هو من ثبت له الولاية التي توجب له التصرف
في العالم العنصري وتدبيره باصلاح فساده واظهار الكمالات فيه لاختصاص
صاحبها بعناية الهية توجب له قوة في نفسه لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال
بالعالم العلوي واكتساب العلم الغيبي منه في حال الصحة واليقظة بل يجمع بين الا

لما فيها

لما فيها من القوة التي تسع الجانبين ولولا تنبيهنا لهذا المعنى لما ذكرنا للامامة عندنا
روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام وبطنه
من الطعام وعنى نفسه بالصيام والقيام قالوا بآبائنا وامهاتنا يا رسول الله
هؤلاء اولياء الله قال ان اولياء الله سكتوا فكان سكوتهم ذكرا ونظروا فكان
نظرهم عبرة ونطقوا فكان نطقهم حكمة ومشوا فكان
مشيهم بين الناس بركة لولا الآجال التي كتبت عليهم لم تقر ارواحهم في اجسادهم خوفا
من العذاب وشوقا الى الثواب وقيل الاولياء هم انس الله وهم مختبرون عنده
في حجال الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الآخرة **وعن** يحيى بن معاذ ولي الله
لا يجد له اخوانا ولا اعطاء لدين اعوانا تداير له الله خيرا منهم فاتخذ الصبر شعارا
والشكر دثارا والقرآن معينا والفقر سبيلا والتقوى مطيته والجاهد
زادا والايام مراحل والاحوال مناهل والتفويض رفيقا والتوكل منارا والرضا نورا
والجنة مقصدا والذكر انيسا والفكر جليسا واليقين محبة والصدق حجة
وعن الصادق عليه السلام اولياء الله هم الذين يذكروا الله برؤيتهم والى هذا
المعنى اشار من قال الولي من اولياء الله ريحان الله في الارض يتشممه الصديقون
فيشتاقون به الى مولاهم وقال ابو يزيد اولياء الله لا يخافون ولا يحزنون لانهم
في ضياء الرضا ونور الموافقة وظل القعود وانس الوصول الى الله تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون **قوله** عليه السلام ونضربه في نظم الشهداء بسيوف
اعدائه النظم التاليف وضم الشيء الى آخر ونظم اللؤلؤ من باب الضرب وجمعه في سلك والنظام
بالكسر ويطلق النظم على المنظوم كالنثر على المنثور ويقال جاء ناظم من رجال
ومنظوم منه ونظام اي صف والمعنى في جماعة الشهداء او في صفهم والشهداء

جمع شهيد وهو القتيل في سبيل الله فعيل بمعنى مفعول لان الملائكة شهدت غسله
او شهدت نقل روحه الى الجنة او لان الله شهد له بالجنة وقيل بمعنى فاعل لسقوطه
على الشهادة وهي الارض او لانه يشهد ملك الله تعالى وملكوته او لانه ممن يستشهد يوم
القيمة على الامم الخالية فيشهد او لانه يشهد ما اعد الله له من الكرامة وقيل غير ذلك
واستشهد بالبناء للمفعول قتل شهيدا والاسم الشهادة والعدو خلاف الصديق الموالي
يكون للواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى بلفظ واحد وفي التنزيل فانهم
عدو لي الا رب العالمين قال سيبويه عدو وصف ولكنه ضارع الاسم وقد يثنى
ويجمع ويونث والجمع اعداء والاعادي جمع الجمع والعدى والعدى بالكسر والضم
اسمان للجمع وعرفوا العداوة بانها حالة تتمكن من القلب لقصد الاضرار والانتقام
والمراد بالعداوة لله تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة لان العدو
لا يمتثل امر عدوه ولا ينقاد لطاعته فاطلقت على ما هو من لوازمها مجازا والمراد
بعداوته تعالى عداوة اوليائه وخواصه كقوله تعالى ان الذين يحاربون الله اي
يحاربون اوليائه وانما اضافهم اليه تعالى تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم
عداوته عز وجل فان قلت ما فائدة التقييد بسيوف اعدائك فان الشهيد
قتيل الكفرة الذين هم اعداء الله قلت هو في الاصل كذلك ولكن قد اتسع فيه
واطلق على من سماه النبي صلى الله عليه وآله من المبطون والغرق والحرق و
صاحب الهدم وذات الجنب وغيرهم شهيد فالقيد للتنصيص على المراد و
لرفع توهم ان المراد بالشهداء هم المذكورون في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس وانما ختم عليه السلام دعاءه بطلب المصير في نظم الشهداء
لكون طريق الشهادة افضل الطرق عند الله ثوابا واكرمها مآبا كما يدل على ذلك صريحا
ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام ان امير المؤمنين صلوات الله عليه اذا اراد القتال

قال اللهم

قال اللهم انك اعلمت سبيلا من سبلك جعلت فيه رضاك وندبت اليه اولياءك
وجعلته اشرف سبلك عندك ثوابا واكرمها لديك مآبا واحبها اليك مسلكا
ثم اشتريت فيه من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليك حقا فاجعلني ممن اشتريت
فيه منه نفسه ثم وفى لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهدا ولا
مبدل تبديلا استيجابا لمحبتك وتقربا به اليك فاجعله خاتمة عملي وصير فيه
فناء عمري والدعاء طويل اخذنا منه موضع الحاجة فتراه عليه السلام كيف طلب ان
يكون سبيل الشهادة خاتمة عمله وفيه فناء عمره وهذا ملحوظ سيد عليه السلام في
ختم دعائه بطلبها وعن ابي عبد الله عليه السلام ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه
بر وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من طلب الشهادة
صادقا اعطيها وان لم تصبه اي اعطي ثواب اهلها وان لم يتفق له القتل في سبيل الله
تعالى قوله عليه السلام انه حميد الولي من اسمائه تعالى بمعنى الناصر لعباده المؤمنين كما
قال تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقيل المتولي لامور العالم
والخلائق والقائم بها وقيل المتولي اولياءه بالاحسان والاكرام والفوز بالثواب
في دار السلام قيل وهذا اولى من التعميم الذي اقتضاه القول الثاني لان الله سبحانه
قد تبرأ من ولاية الكفار بقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقال يوسف
الصديق عليه السلام فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة اي انت
هديتني الى الاسلام وغرست في قلبي شجرة الايمان ونجيتني من المعصية والهلكة
وعلمتني من تأويل الاحاديث وآتيتني الملك والحمد لله الذي يستحق الحمد في السراء والضراء
والشدة والرخاء المحمود بما احمد بنفسه وبما احمده من عباده وخلقه وانما كان محمودا

فى الشدة والضراء كما كان محمودا فى الرخاء والسراء لان شدته وضرائه من نعم الله التى
يستحق عليها الحمد اذ كان الصبر عليهما موجبا للثواب مستلزما للزلفى لديه وحسن المآب
ولا يخفى حسن ختام الدعاء باسمه الحميد وكان الدعاء مخصوصا بالتحميد والحمد لله
على ما هدانا اليه والصلوة والسلام على نبيه وآله المحمودين لديه اللهم اجعلنا من العابدين
لك على حسن بلائك والشاكرين لاحسانك ونعمائك واجعل ما اوردناه فى هذه
الاوراق خالصا لوجهك الكريم وتقبله منا انك انت السميع العليم

قال مؤلفه العبد على بن احمد الحسينى هذا آخر الروضة الاولى من رياض
السالكين فى شرح صحيفة سيد العابدين ويتلوه بعون الله
وحسن توفيقه شرح الدعاء الثانى وهو دعاؤه عليه السلم
فى الصلوة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم واتفق
الفراغ منه بعد العشاء الاخرة من ليلة السبت لخمس
عشرة خلون من محرم الحرام مفتتح عام
وتسعين والف من الهجرة النبوية
على صاحبها وآله افضل الصلوة
والسلم والتحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرف محمدا بمزيد كرامته تشريفا له وتكريما وصلى عليه هو وملائكته
وامر سائر خلقه بذلك اجلالا له وتعظيما فقال ان الله وملائكته يصلون
على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما صلى الله عليه وآله الذين
اورثهم معارفه وعلمهم من لدنه تعليما وهذه الروضة الثانية من رياض السالكين
تتضمن شرح الدعاء الثانى من ادعية صحيفة سيد العابدين املاء راجى
فضل ربه السنى على صدر الدين الحسينى الحسنى وفقه الله تعالى لمراضيه وجعل
مستقبل حاله خيرا من ماضيه وكان من دعائه عليه السلام بعد هذا التحميد الصلوة على
رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام فى هذا المقام يستدعى صلح الاول اختلف العلما
فى اشتقاق الصلوة فقيل من صليت العود بالنار اذا لينته وقومته لان المصلى
يلين بالخشوع والعطف ويسعى فى تعديل ظاهره وتقويم باطنه كالخشب الذى
يعرض على النار وقال النووى وفى هذا القول غباوة من صاحبه لان الصلوة
واوية وصليت العود من ذوات الياء فكيف يصح الاشتقاق قال الزركشى وهو
عجيب فان المشدد تقلب منه الواو ياء كما فى زكيت المال والظاهر ان النووى
توهم انه ماخوذ من صليت المخففة انتهى وهذا التعجب اعجب والعجب فان
كلام من صليت العود وصليته المخففة انتهى وهذا والمشددة من ذوات الياء
فلم تقلب الواو فى المشددة من ذوات الياء فلم تقلب الواو فى المشددة ياء كما
زعم الزركشى بل الياء فيهما من نفس الكلمة بخلاف التزكية فانها واوية فقلبت
الواو فى بابه مع التشديد وهذا ظاهر وقيل من الصلوين وهما عرقان من جانب
الذنب وعظمان ينحنيان عند الانحناء فناسب ان يراد بها الخشوع والانعطاف بين
وقال الزمخشرى فى الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتا بالواو

على لفظ الفم وحقيقته صلى لحرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده
انتهى فان قلت هذا الاشتقاق انما يناسب معنى الصلوة ذات الركوع والسجود لا المعنى
المراد ههنا قلت اجيب بان المصلي لما كان ينعطف في ركوعه وسجوده وكانت
الصلوة ذات الاركان مشتملة على التعطف استعيرت للتعطف على الغير حنوا
وترؤفا وقيل بل اصل الصلوة اللغوي بمعنى الدعاء ويؤيده ان الصلوة بهذا
المعنى في اشعار الجاهلية كثير الاستعمال الثاني قال الجمهور الصلوة من الله
تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الادميين الدعاء واستبعد بعضهم
احديهما اقتضائه الاشتراك والاصل عدمه لما فيه من الالباس حتى ان فيهما
نفوه ثم المثبتون له يقولون متى عارضه غيره مما يخالف الاصل كالمجاز قدم
عليه ولذلك تسمعهم يقولون المجاز خير من الاشتراك الثانية انا لا نعرف
في العربية فعلا واحدا يختلف معناه باختلاف المسند اليه اذا كان الاسناد
حقيقيا الثالثة ان الرحمة فعلها متعد والصلوة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير
القاصر بالمتعدي الرابعة انه لو قيل مكان صلى عليه دعا عليه انعكس المعنى
حق المراد فتبين صحة حلول كل منهما محل الاخر وقال المحققون انها لغة بمعنى واحد
وهو العطف ثم العطف بالنسبة الى الله تعالى الرحمة اللائقة به والى الملائكة
الاستغفار والى الادميين دعاء بعضهم لبعض قال السهيلي في نتايج الفكر الصلوة
وان اختلفت معانيها راجعة الى اصل واحد فلا تظنها لفظا مشتركا ولا استعارة
انما معناها العطف ويكون محسوسا ومعقولا انتهى والحاصل ان الاختلاف على
هذا القول في افراد معنى الصلوة على قول الجمهور في نفس معنى الصلوة الثالث معنى
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء
شريعته وفي الآخرة بتضعيف مثوبته والزيادة في رفع درجته فيكون دعائنا له

بذلك

بذلك عائدة الى المصلي لان الله تعالى قد اعطاه من اعلاء الكلمة وعلو الدرجة ورفع
المنزلة ما لا يؤثر فيه صلوة مصل ولا دعاء داع وقيل بل غايته طلب زيادة كمالات عليه
وقربه من الله تعالى اذ مراتب استحقاق نعم الله عز وجل غير متناهية الرابع الصلوة عليه صلى الله
عليه وآله في غير الصلوة وعند عدم ذكره مستحبة عند جميع اهل الاسلام ولا يعرف من
قال بوجوبها غير الكرخي فانه اوجبها في العمر مرة كما في الشهادتين واما في الصلوة فاجمع ۱۱۶
علمائنا رضوان الله عليهم على وجوبها في التشهدين معا وقال الشافعي هي مستحبة في
الاول واجبة في الثاني وقال ابو حنيفة ومالك مستحبة فيهما معا واما عند ذكره صلى الله
عليه وآله فظاهر كثير من الاخبار كقوله صلى الله عليه وآله من ذكرت عنده ولم يصل علي
دخل النار ومن ذكرت عنده فنسي الصلوة علي خطئ به طريق الجنة وقوله من ذكرت
عنده ولم يصل علي فدخل النار فابعده الله انه البخيل كل البخل من ذكرت عنده ولم يصل علي وكلما سمع ذكره لان الامر عند
امارة الوجوب وهو مختار ابن بابويه والمقداد من اصحابنا والطحاوي من العامة قال
الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط ومنهم من اوجبها في كل مجلس مرة ومنهم من
اوجبها في العمر مرة وقال المحقق الاردبيلي ولا شك ان احتياط الزمخشري احوط ولو
يمكن اختيار الوجوب في مجلس ان اتحد الذكر وان تعدد تعدد كما يجب ايضا كما في تعدد
الكفارة في تعدد الموجب اذا تخللت والا فلا انتهى والحق ان هذه التفاصيل فرع
عن المستند فالقول بشيء منها تحكم والاولى الوجوب عند كل ذكر للاخبار الكثيرة
الصريحة بالامر بها كلها ذكر والاصل في الامر الوجوب واما القول بالاستحباب مطلقا
كما ذهب اليه جماعة مستدلين بالاصل والشهرة المستندين الى عدم تعليمه عليه السلام
للمؤذنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم كما يفعلون الآن ولو كان لنقل ففيه
ان عدم التعليم ممنوع وكذا عدم النكير كعدم النقل فقد روى ثقة الاسلام في الكافي
في باب بدء الاذان والاقامة باسناده عن ابي جعفر عليه السلام اذا اذنت فافصح

بالالفقر الحا، وصل على النبي عليه السلم كلما ذكرته او ذكره ذاكر في اذان وغيره
على ان عدم الفصل لا يدل على عدمه واصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود
القرآن والاخبار به ثم الظاهر من بعض الاخبار كقوله الصادق عليه السلام اذا
ذكر النبي صلى الله عليه وآله فاكثر والصلوة عليه حيث رتب الامر بالصلوة على
الذكر بالفاء التعقيبية هو تقابلهما على الفور فلو اهمل الفور اثم على القول
بالوجوب ولم يسقط وكذا الظاهر ان الامر بها عام لكل احد وعلى كل حالة حتى في الصلوة
فلو ترك الامتثال واشتغل بالقراءة فيها هل تبطل الصلوة على تقدير الوجوب
ام لا فان قلنا ان الامر بشيء نهى عن ضده الخاص والنهي في العبادة تقتضي
الفساد بطلت وان قلنا بعدمه فلا وهو الراجح فلو تكرر الذكر تكرارا كثيرا
بحيث يخرج بالاشتغال بالصلوة عليه صلى الله عليه وآله عن كونه مصليا لا يبعد
القول بسقوط التكليف بها لان الفعلين اذا تضيقا وتعذر الجمع بينهما
علمنا ان احدهما ليس بواجب قطعا ولما كان شغله بالصلوة ووجب اتمامها
والاستمرار فيها كان ما نافيه غير مامور به فليتامل الخامس انما كان
عليه السلام يدعو بالصلوة عليه صلوات الله عليه وآله بعد التحميد ولما
ورد في ذلك عن جابر عليهما السلام ان رجلا دخل المسجد فصلى ركعتين
ثم سال الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عجل العبد ربه
وجاء آخر فصلى ركعتين ثم اثنى على الله عز وجل وصلى على النبي صلى
الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله سل تعط وعنه
عليه السلام ان في كتاب علي عليه السلام ان الثناء على الله والصلوة على
رسوله قبل المسئلة ولو لم يرد ذلك لكان فعله عليه السلام انما حجة وسنة
ينبغي اتباعها ثم الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله من اعظم شروط الاجابة

نعن ابي عبدالله عليه السلام

روى ثقة

١١٧

روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال لا
يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآل محمد و عنه عليه السلام من دعا
ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على راسه فاذا ذكر النبي
صلى الله عليه وآله رفع الدعاء قال العلماء والسر في قبول الدعاء اذا قرن
بالصلوة امران الاول ان النبي وآله عليهم السلام وسائط بين الله سبحانه وبين
عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم وهم ابواب معرفته عز وجل فلابد
من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء عليه وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد من
الرعية اظهار حاجة على السلطان توسل بمن يعطيه ولا يرد قول الثاني اذا ضم
العبد الصلوة مع دعائه وعرض المجموع على الله تعالى والصلوة غير محجوبة فالدعاء
عليه وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد من الرعية اظهار حاجة على السلطان
توسل بمن يعطيه ولا يرد قول الثاني غير محجوب لانه تعالى اكرم من ان يقبل الصلوة
ويرد الدعاء فيكون قد قبل الصحيح ورد المعيب كيف وقد نهى تعالى عباده
عن تبعيض الصفقة ولا يمكن رد الجميع لكرامة الصلوة عليه فلم يبق الا قبول الكل
وهو المطلوب وفي نهج البلاغة عن امير المومنين عليه السلام اذا كانت لك
الى الله تعالى حاجة فابدأ بمسئلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله ثم سل
حاجتك فان الله اكرم من ان يسال حاجتين فيقضي احدهما ويمنع الاخرى
السادس الاخبار في افضل الصلوة عليه صلى الله عليه وآله اكثر من ان تحصى
فمنها ما رواه ثقة الاسلام في الكافي عن ابي عبدالله عليه السلام انه قال
اذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله فاكثروا الصلوة عليه فانه من صلى على النبي
صلوة واحدة صلى الله عليه الف صلوة في الف صف من الملئكة ولم يبق شيء
مما خلقه الله الا صلى على العبد لصلوة الله وصلوة ملئكته فمن لم يرغب في

هذا فهو جاهل مغرور وقد برئ الله منه ورسوله واهل بيته وملئكته عنه
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله من صلى علي صلى الله عليه وملئكته
فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر وعنه عليه السلام من صلى على محمد وال محمد صلى الله
عليه وملائكته الف اما تسمع قول الله تعالى عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملائكته
ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما وعن احدهما عليهما السلام
وقال ما في الميزان شيء اثقل من الصلوة على محمد وال محمد وان الرجل لتوضع
اعماله في الميزان فتميل به فيخرج صلى الله عليه واله الصلوة عليه فيضعها في ميزانه
فترجح وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ارفعوا
اصواتكم بالصلوة علي فانها تذهب بالنفاق **التاسع** ما وقع في عنوان هذا
الدعاء من قوله صلى الله عليه واله بالعطف على الضمير المجرور دون اعادة الخافض
مبني على مذهب الكوفيين ويونس والاخفش من البصريين من عدم وجوب اعادة
الخافض مبني على مذهب الكوفيين في ذلك خلافا للجمهور البصريين واختاره
الشلوبين وصححه ابن مالك وابو حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح الشذور
والتوضيح لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام بخفض الارحام عطفا على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب ما فيها
غيره وفرسه بخفض الفرس عطفا على الهاء المخفوضة باضافة غير اليها وقول الشاعر
فاذهب فما بك والايام من عجب بخفض الايام عطفا على الكاف المخفوض بالباء والى
ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة وعود خافض لدى عطف على
ضمير خفض لازما قد جعلا وليس عندي لازما اذ قد اتى في النثر والنظم الصحيح
مثبتا واما ما زعمه بعضهم من ان الشيعة تلتزم عدم اعادة الخافض وهو علي في
مثل هذه العبارة لحديث يأثرونه وهو في فضل سبحه بن ابي يعلى فقد حقق انه

فقد تحق

زعم محض لا عين له ولا اثر اذ لا تعرف الشيعة هذا الخبر ولم ترد به رواية
من طرقهم بل لم يذكر ولا منقطعا في شيء من كتبهم كيف والادعية المأثورة
من اهل البيت عليهم السلام مشحونة باعادة الخافض في مثل ذلك كما ستقف
عليه مكررا في ادعية الصحيفة الشريفة والله المستعان **قال** سيد العابدين
وامام الموحدين صلوات الله عليه **والحمد لله الذي من علينا بمحمد نبيه صلى الله
عليه واله دون الامم الماضية والقرون السالفة** الواو عاطفة للجملة على قوله في الدعاء
السابق ثم له الحمد لانه عليه السلام كان يصلي هذا الدعاء من غير فصل كما هو ظاهر
العنوان او هي استئنافية معنى المن هنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه و
فيه اشارة الى قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا
من قبل لفي ضلال مبين ومحمد علم منقول من الصفة التي معناها كثير الخصال المحمودة
قال اهل اللغة رجل محمد اي كثير الخصال المحمودة وقال ابن فارس سمي
نبينا محمد صلى الله عليه واله محمدا لكثرة خصاله المحمودة يعني الهمه الله تعالى
اهله تسميته بذلك لما علم من خصاله الحميدة وقال السهيلي في محمد معنى المبالغة
والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما ان المكرم من كرم مرة بعد اخرى
وكذلك الممدوح واسم محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل ان يسمي
به وهو علم من اعلام نبوته عليه السلام اذ كان اسمه صادقا عليه واله محمود
في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة
فقد تكرر فيه معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ انتهى وقد ورد في اخبار كثيرة من طرق
اهل البيت عليهم السلام عنه صلى الله عليه واله انه قال سماني الله من فوق عرشه
وشق لي اسما من اسمائه فسماني محمدا وهو محمود واخرج البخاري في تاريخه الصغير

رَوى عن علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول ، وشق له من اسمه ليجله ، فذو العرش محمود وهذا محمد قال القسطلاني في المواهب وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل الخلق بالفي عام كما ورد من حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة موسى عليه السلام
قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وآله انه لم يسم احد قبله باسمه محمد صيانة من الله لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشرت به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما قرب زمانه وبشر اهل الكتاب بقربه سمى قوم اولادهم بذلك رجاء ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهو ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب خاتم النبيين وسيد المرسلين حملت به امه في ايام التشريق في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ليلة الجمعة وهي امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وولد صلى الله عليه وآله بمكة يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الاول عام الفيل وعند جمهور العامة انه ولد يوم الاثنين من ربيع الاول ثم اختلفوا فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلون منه وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة ليلة وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت ووافقهم على ذلك من اصحابنا ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني في الكافي وقيل لسبع عشرة وفاقا لما عليه جمهور الشيعة وقيل ولد يوم عاشورا وقيل في صفر وقيل في ربيع الآخر وقيل في رجب وقيل في شهر رمضان فروى عن ابن عباس باسناد لا بأس وهو موافق للقول بان امه حملت به في ايام التشريق واما على المشهور بانه ولد في ربيع الاول فيلزم منه الاشكال المشهور وهو انه يلزم ان يكون مدة حمله ثلثة اشهر او سنة وثلثة اشهر وهذا مخالف لما اتفق عليه الاصحاب من ان مدة الحمل لا تزيد عن سنة ولم ينقل احد ان ذلك من خصائصه والجواب ان المراد بايام

التشريق الايام المعلومة من شهر جمادى الاولى وقع فيه حج المشركين في عام الفيل باعتبار النسيء حيث كانوا يؤخرون الحج عن ذي الحجة فيحجون سنتين في محرم وسنتين في صفر وهكذا الى ان تم الدور ثم يستانفونه وعلى القول بان مولده كان في ثاني عشر من جمادى الاولى والله اعلم ونقل عن البلخي وهو من علماء النجوم انه استخرج طالع النبي صلى الله عليه وآله فكان عشرين درجة من الجدي حين كان زحل والمشتري في ثالث درجة من العقرب مقترنين في درجة وسط السماء والمريخ في بيته في الحمل والشمس ايضا في الحمل في الشرف والزهرة في الحوت في الشرف وعطارد ايضا في الحوت والقمر في اول الميزان والرأس في الجوزاء في الشرف والذنب في القوس في الشرف في بيت الاعداد ذكر ذلك في روضة الاحباب ومات ابوه عبد الله بن عبد المطلب وهو ابن شهرين او سبعة او سبعة اشهر ولما بلغ اربعا او ست من السنين ماتت امه وكان في حجر جده عبد المطلب ثماني سنين وشهرين وعشرة ايام فتوفي عبد المطلب وليه عمه ابو طالب عليه السلام وذهب به الى الشام بعد ما تم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة ايام ورجع من بصرى وخرج الى الشام مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل ان يتزوجها ثم تزوجها بعد ما بلغ خمسا وعشرين وبقيت معه ثمانية عشر سنة ولما بلغ خمسا وثلثين شهد بنيان الكعبة فلما بلغ اربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الاول فكان شجر وحجر الاسلام عليه قائلا السلام عليك يا رسول الله وفرض عليه التبليغ وقراءة القرآن ولما تمت له احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر اسرى به دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفرض عليه خمس صلوات ولما بلغ ثلثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الاول ودخلها ضحى يوم الاثنين واذن له في الجهاد في السنة الثانية

اوثلث عشر

لمن ابتداه في غير الاشهر الحرم ثم ابيح له ابتداؤهم فيها ايضا وفيها فرض صوم شهر رمضان
واختلفوا في الزكوة هل فرضت قبله او بعده وفرض الحج في الخامسة او السادسة وفي
السنة الخامسة كانت بيعة الرضوان وفي الثامنة فتح مكة واظلت عليه جماعتها و
فدعا لها بالبركة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة عرفة فيها يوم الجمعة
بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها وقبلها لم يضبط واعتمر اربعا وكانت غزواته تسعا
وعشرين وسراياه ستا وخمسين وقيل غير ذلك وتزوج احدى وعشرين امراة طلق
ستا ومات عنده خمس وتوفي عن عشر واحدة منهن لم يدخل بها واولاده ستة
ذكران وهما القاسم وابرهيم واربع بنات وهن فاطمة عليها السلام وزينب ورقية
وام كلثوم وكلهم من خديجة عليها السلام الا ابراهيم هذا المتفق عليه واختلف فيما سوى هو
ولما بلغ صلى الله عليه وآله ثلثا وستين وقيل خمسا وستين اختار الرفيق الاعلى يوم الاثنين
لليلتين بقيتا من صفر سنه احدى عشرة من الهجرة وقيل لثنتي عشرة خلت من ربيع الاول
السنة المذكورة ودفن ليلة الثلثاء او الاربعاء في حجرته التي قبض فيها هذه نبذة مما
ذكره ارباب السير وفي كون وفاته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول مع كون وقفة
عرفة يوم الجمعة في السنة العاشرة اشكال يعرف بالتامل قوله عليه السلام دون الامم الماضية
بمعنى التجاوز كما في شرح المسند فهي ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المتكلمين في علينا
والعامل فيه من اي منّ علينا بمحمد صلى الله عليه وآله حال كوننا متجاوزين الامم الماضية
في المنة به علينا وقد يقال انها مستعارة من معناها الوضعي الذي هو ادنى مكان
من الشي لقدامه كما في قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى
قدامها وهي قدامه فيكون ظرفا لغوا معمولا لمنّ والمعنى منّ علينا بمحمد صلى الله عليه
وآله بين الامم الماضية اي في مستقبلها وفي القاموس انها بمعنى امام وورا وضد
وعلى هذا فلا حاجة الى دعوى الاستعارة وكانه جعلها هنا بمعنى امام وجعلها بمعنى

ورائه ايضا

ورائه ايضا وهو واضح والامم جمع امة وهي الجماعة واصلها القصد من امه يؤمه اما
اذا قصده كانهم قصدوا امرا واحدا وجهة واحدة وتاتي لمعان الجماعة مطلقا وجماعة
ارسل اليهم رسول والجيل من كل حي ومنه لولا ان الكلاب امة تسبح لامرت بقتلها
جماعة ارسل اليهم او من هو على الحق مخالف لساير الاديان ومنه ان ابراهيم كان امة
والحين ومنه وادكر بعد امة وقوم الرجل وخلق الله وامة النبي نوعان امة
الاجابة وهم الذين اجابوا دعوته وصدقوا نبوته وآمنوا بما جاء به وهؤلاء
هم الذين جاء مدحهم في الكتاب والسنة كقوله تعالى جعلناكم امة وسطا كنتم
خير امة وكقوله صلى الله عليه وآله شفاعتي لامتي وتاتي امتي غرا محجلين وغير
ذلك وامة الدعوة وهم الذين بعث اليهم النبي وغيرهم كذلك وامة الدعوة وهم الذين
بعث اليهم النبي عليه السلام من مسلم وكافر ومنه قوله صلى الله عليه وآله والذي نفس
محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي
ارسلت به الا كان من اصحاب النار قوله عليه السلام والقرون السالفة القرون
جمع قرن قال الهروي القرن كل طبقة مقترنين في وقت ومنه قيل لاهل كل
مدة او طبقة بعث فيها نبي قلت السنون او كثرت قرن ومنه الحديث خيركم
قرني يعني اصحابي ثم الذين يلونهم يعني التابعين لهم باحسان واشتقاقه من
الاقتران وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون وقيل مائة وقال ابن الاعرابي
القرن الوقت وقال غيره قيل للزمان قرن لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم
وهو مصدر قرنت جعل اسما للوقت او لاهله هذا آخر كلام الهروي
وفيه اقوال اخرى قال بعضهم والذي ارى ان القرن كل امة هلكت ولم يبق
منها احد والسالفة المتقدمة من سلف فلان من باب قعد سلوفا تقدم
ومنه سلف الرجل لآبائه المتقدمين ويقال سلف سلفا محركة اي مضى

وانقضى وانما قيد عليه السلام الست بعلينا وبنا فقضائه تاكيد الحمد لما في ذلك من
الكرامة التي خصنا تعالى بها دونهم تفضيلا لنا عليهم ومزيد عنايته بنا لم يجز ونحوها
اذ كانت الانبياء والمرسلون فضلا عن غيرهم يتمنون ان يكونوا من امته ويسالو
الله ان يجعلهم منهم كما وردت به الاخبار المستفيضة من طرق الخاصة والعامة
فمن ذلك ما رواه رئيس المحدثين في كتاب معاني الاخبار باسناده عن ابي عبد الله
عليه السلام انه كان فيما ناجى الله تعالى به موسى ان قال له يا موسى لا اقبل الصلوة
الا ممن تواضع لعظمتي والزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري ولم يبت
مصرا على الخطيئة وعرف حق اوليائي واحبائي فقال يا رب تعني باحبائك
واوليائك ابرهيم واسحق ويعقوب فقال هم كذلك يا موسى الا اني
اردت من من اجله خلقت الجنة والنار فقال موسى ومن هو يا رب قال محمد
احمد شققت اسمه من اسمي لاني انا المحمود فقال يا موسى انت من امته اذا انت
عرفته وعرفت منزلته اهل بيته والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة
واخرج ابو نعيم في الحلية عن النبي صلى الله عليه واله قال ان موسى لما نزلت عليه
التورية وقراءها وجد فيها ذكر هذه الامة فقال يا رب اني اجد في الالواح
امة هم الآخرون السابقون فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب
اني اجد في الالواح امة اناجيلهم في صدورهم يقرؤنها ظاهرا فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يأكلون الفيء
فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم
احدهم بالحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له حسنة
واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها امتي قال تلك امة احمد
قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها لم

(في الهامش: صلى الله عليه وآله المقتضية لحصول مطلق الفضيلة بقوله دون الاعلى الخاصية لان ذا درجة بعض المعقولة)

نكتب

نكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتي قال تلك امة
احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يؤتون العلم الاول والآخر
ويقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب
فاجعلني من امة احمد فاعطى عند ذلك خصلتين فقال يا موسى اني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين قال
قد رضيت يا رب والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدا ولله الحمد يعجز بها التي
لا يعجز من شيء وان عظم ولا يفوتها شيء وان لطف متعلق بقوله من
علينا والقدرة فينا قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافعال
الاختيارية والعجز ما يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شانه
ان يقدر كما في حق الواحد منا اذ لا يقال للجدار مثلا انه عاجز وقدرته
تعالى تعود الى اختياره كونه تعالى مصدر الاثار هذا قول الجمهور وقد اسلفنا
الكلام على ذلك مبسوطا فراجعه والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما
يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق
على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار
به فقط فيتناول الواجب والممكن والممتنع وقد يخص بالممكن موجودا كان
او معدوما كما هنا بقضية اختصاص تعلق القدرة به اذ المراد بها التمكن
من الايجاد والاعدام الخاصين به وذهب القاضي في جمع من الاشاعرة الى
ان الشيء مختص بالموجود وان المعدوم لا شيء ولا ذات ولا ماهية وهو ايضا
مذهب الحكماء على ما نقل عنهم قالوا الشيء اسم لما هو حقيقة الشيئية ولا يقع
على المعدوم والمحال والعلم بالمحال اصلا اذ لا شيئية له ولا هو مما يتمثل في ذهن
او يتصور في وهم وانما المعلوم المتصور المتمثل في الذهن عنوان المفهوم

من الفطرة وهو ممكن من الممكنات ليس في ان له حقيقة من الحقائق وشيء من الاشياء ابدا
والحال لا ولذا ذهب المعتزلة وجماعة من الاشاعرة قال الزمخشري والنيسابوري الشيء
اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل المعدوم
والمحال وهذا العام مخصوص بدليل العقل من الاشياء ما لا تتعلق القدرة به
كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال القطب العلامة كل من قال ان الوجود
عين الماهية مثل الاشعري واتباعه قال بان المعدوم ليس بشيء لانتفاء الماهية
عند العدم ومن قال بان الوجود غيرها فهم قد اختلفوا في ذلك والنزاع انما هو
في المعدوم الممكن لا الممتنع فانه ليس بشيء عند الفريقين انتهى وهذا لا يرد على ما (في المعدوم)
صرح به الزمخشري والنيسابوري كان كلامهما بحسب مفهومه لغة وما ذكر من النزاع
انما هو في الشيئية بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا في اطلاق لفظ الشيء
على مفهومه فانه بحث لغوي مرجعه الى النقل والسماع لا يصلح محلا لاختلاف العقلاء
الناظرين في المباحث العلمية ولهذا قال صاحب الكشف النزاع في هذا لا ينبغي
ان يقع بين المحققين لانه امر لفظي والبحث فيه من وظيفة اصحاب اللغة انتهى
قال العلماء معنى كون قدرته تعالى لا تعجز عن شيء وكونه على كل شيء قديرا ان
قدرته لا تعجز عما يمكن تعلق القدرة به وانه على كل شيء قدير يصح تعلقها
به قدير من كل ماهية امكانية او شيئية تصورية واما الممتنعات فلا
ماهية لها ولا شيئية حتى يصح كونها مقدورة له تعالى وليس في عدم مقدوريتها
نقص على عموم القدرة بل القدرة عامة والفيض شامل والممتنع لا ذات له
فانما يخترع العقل في وهمه مفهوما يجعله عنوانا لامر باطل الذات كشريك
الباري واللاشيء واجتماع النقيضين على وجه التلفيق ويجعله عنوانا للحكم
على افرادها المقدرة بامتناع الوجود ومن هنا اطلق على المستحيل انه شيء والا

فيها

فيها ماهية له ولا معنى فلا تعلق للقدرة به واما الحديث المشهور الذي رواه
ثقة الاسلام في الكافي عن علي بن ابراهيم عن محمد بن اسحق الخفاف او عن ابيه
عن محمد بن اسحق قال ان عبد الله الديصاني سأل هشام بن الحكم فقال له الك
رب فقال بلى قال قادر هو قال نعم قادر قاهر قال يقدر ان يدخل الدنيا
كلها في بيضة لا يكبر البيضة ولا يصغر الدنيا قال هشام النظرة فقال له انظرتك
حولا ثم خرج عنه فركب هشام الى ابي عبد الله عليه السلام فاستاذن عليه فاذن له
فقال يا ابن رسول الله اتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس فيها الا على الله وعليك
فقال ابو عبد الله عليه السلام عما ذا سألك فقال قال لي كيت وكيت فقال ابو
عبد الله عليه السلام يا هشام كم حواسك قال خمس قال ايها اصغر قال الناظر قال
وكم قدر الناظر قال مثل العدسة او اقل منها فقال له يا هشام فانظر امامك وفوقك
واخبرني بما ترى فقال ارى سماء وارضا ودورا وقصورا وبراري وجبالا
وانهارا فقال له ابو عبد الله عليه السلام ان الذي قدر ان يدخل الذي تراه العدسة
او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة
فانكب هشام عليه وقبل يديه ورأسه ورجليه وقال حسبي يا ابن رسول الله والحديث
طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومثله ما رواه رئيس المحدثين في كتاب التوحيد
بسنده الى احمد بن محمد بن ابي نصر قال جاء رجل الى الرضا عليه السلام فقال
هل يقدر ربك ان يجعل السموات والارض وما بينهما في بيضة قال نعم وفي اصغر
من البيضة قد جعلها الله في عينك وهي اقل من البيضة لانك اذا فتحتها عاينت السماء
والارض وما بينهما ولو شاء لاعماك عنها فقال بعضهم ان السؤال في ذلك هو ادخال
الكبير مع كبره في الصغير مع صغره وانه كان من قبيل المنافيين فكان حقيقة
الجواب عنه ان يقال ان هذا امر محال والمحال غير مقدور عليه اذ لا ذات له ولا شيئية

لانه عليه السلام عدل عنه الى ما ذكره لقصور الافهام المعاصرة عن ادراك ذلك
الوجه والذي افاده عليه السلام وجها ثانيا مبناه على المقدمة المشهورة لدى
الجمهور ان الرؤية بدخول المرئيات في العضو البصري فاكتفى في الجواب بهذا
القدر لقبول الخصم له وتسليمه اياه قال والذي يدل على صحة ما حملنا عليه عرض
هذا الحديث ما رواه في كتاب التوحيد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قيل لامير
المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ان يصغر
الدنيا او يكبر البيضة فقال ان الله تعالى لا ينسب الى العجز والذي سالتني لا
يكون وهذا الحديث صريح في ان الذي ساله ذلك الرجل ممتنع بالذات محال
والمحال لا شيئية له فليس بمقدور والله على كل شيء قدير ولو لم يكن معنى الروايتين
الاوليين ما اولناهما به لكان بين الاخبار تناقض وجلت احاديثهم عليهم السلام
عن ان يناقض بعضها بعضا لعصمة الجميع عن الخطاء ومثل الحديث المروي عن امير
المؤمنين عليه السلام ما رواه في كتاب التوحيد ايضا باسناده عن ابي عبد الله ع انه
جاء رجل الى امير المؤمنين عليه السلام فقال له ايقدر الله ان يدخل الارض في بيضة
ولا يصغر الارض ولا يكبر البيضة فقال له ويلك ان الله لا يوصف بالعجز ومن اقدر
ممن يلطف الارض ويعظم البيضة فدلت هذه الرواية على ان ادخال العظيم او تعظيم
البيضة الى حد تدخل فيها الارض غاية القدرة وقال بعض المعاصرين ان هذه الاحاديث
كلها متفقة لا تنافي ولا تناقض فيها وان الجواب في كل منهما بحسب ما يقتضيه المقام
وحال السائل وكلامهم عليهم السلام اصله واحد وقدامهم وان يكلموا الناس على قدر
عقولهم وبيان ذلك ان الحديثين الاوليين يدلان على ما دل عليه الحديثان الاخران
على وجه لطيف ومعنى شريف وتوضيحه ان الظاهر من حال الديصاني في الحديث
الاول انه كان مناظرا مجادلا لا كما يظهر من سياق كلامه مع مثل هشام بن الحكم وجواب

الامام

الامام عليه السلام له على هذا النحو يدل على انه كان يعلم ان ما سال عنه محال و
القدرة لا تتعلق بالمحال لنقصه عن الاستعداد لتعلق القدرة به فعدوله
عليه السلام الى ما يدل على كمال القدرة مع وجوده وعدم لزوم المحال فيه مع
كونه نظيرا لما اراده السائل فيه تمام الفصاحة والبلاغة والالزام لمن عرف
عليه السلام من حاله انه يفهم ذلك وحال هشام في فهمه كحال الديصاني والا
فمثل هشام مع العلم بحاله لا يخفى عليه ان السائل اراد غير ما اجاب عليه السلام
به ولربما جمعه في ذلك لاجل دفع ما يورده السائل من انه اراد غير ما تضمنه
الجواب حاصل الكلام انه غير المسلم به انه ان الله سبحانه قادر على ان يدخل
الدنيا في البيضة مثل دخول ما تراه بناظرك في الناظر وهو بهذا القدر وذلك
بحيث لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا كما ان ما يراه الناظر يدخل تحت قدرته بحيث
لا يكبر الناظر ولا يصغر ما ينظره وعلى هذا النحو ما في الحديث الاخر من قول الرضا عليه السلام
نعم وفي اصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك وهي اصغر من البيضة يعنيه بعينيه
للسائل على كمال قدرته مما هو ممكن وعين محال وان ما سال عنه لا ينبغي
ان يسال عنه لما ذكره من كونه محالا فظهر كون الاحاديث كلها متفقة لا تنافي
بينها والا فكيف يتصور ان يخفى على الامام عليه السلام ما اراده السائل حتى يجيبه
بغير ما دل عليه سؤاله ومع ذلك لا يعرف هشام والسائل بين السوال والجواب
ويستقل مثل هذا اجلاء العلماء ومن يتوهم لدفع ما ذكره وما ذلك الا لفهمهم
وجه ذلك والله اعلم قوله عليه السلام وان اعظم ان هذه هي التي يسميها اكثر المتاخرين
وصلية ومتصلة وذلك حيث وقع الشرط بها سدا لو لا على جوابه بما قبله من الكلام
وكان ضده شرطا اولى بالجزاء من الشرط كقولك اكرمه وان شتمني فالشتم بعيد عن الاكرام
وضده وهو المدح اولى بالاكرام ومثله قوله وان عظم فان كون الشيء عظيما بعيد في

وصلة هو

الظاهر من القدرة علمه كونه لطيفا اولى الذكر بالقدرة عليه ومثل قوله ما تقدم
عليه مثل ان في ذلك لو المستعملة في معناها نحو اطلبوا العلم ولو بالصين و
الواو قيل للعطف على محذوف وهو ضد الشرط المذكور اي لا تعجز عن شئ ولكانه
انه عظيم وقيل الجملة اعتراضية والواو للاعتراض وهي قد تأتي بعد تمام
الكلام وفيه انه لا يفيد ادخال الواو وحينئذ كون الجزاء اولى من الشرط
فان واو الاعتراض هي الاستينافية كما جزم به بعضهم وعظم الشئ بالضم خلاف صغر
فهو كعنب وعظامة فهو عظيم قوله عليه السلام ولا يفوتها شئ وان لطف فات الشئ
فوتا وفواتا ذهب عنه ولطف ككرم كعظم لطفا بالضم ولطافة صغر حجمه ودق
فهو لطيف اي لا يذهب عن قدرته شئ لصغره ودقته كما لا يعجزها شئ لعظمه
وكبره بل هو على كل شئ قدير عظيما كان او لطيفا لعموم قدرته جل شانه وعز سلطانه
الكمال قال بعضهم الاولى في اثبات عموم قدرته تعالى ونحوه من المطالب التي لا
يتوقف ارسال الرسول عليها بالادلة السمعية فيستدل على شمول القدرة
بقوله تعالى والله على كل شئ قدير واعترض المحقق الدواني بان كون شمول القدرة
مما لا يتوقف عليه ارسال الرسول مسلم اذ لو فرض قدرته على الارسال فقط لكفى في
صدور الارسال عنه لكن اثبات ارسال الرسول مما يتوقف على شمول القدرة اذ
طريق اثباته ان المعجزة فعل الله تعالى خارق للعادة وصدر عنه حال دعوى النبوة
واذا خالف الفاعل المختار عادته حين استدعاء النبي تصديقه بامر يخالف عادته
دل ذلك على تصديقه قطعا وهذا يتوقف على كونه فعلا له وكونه فعلا له سبب
شمول القدرة اذ لا دليل لنا على ان خصوص المعجزة فعل الله تعالى ومقدوره
الا ان زعم المعتزلة واحتمال وجوده لا يجدي نفعا فلا يتم هذا القول وارد انه
يكفي في ثبوت المعجزة كون الامر الخارق للعادة فعل الله تعالى بل يتوقف على انها

العلم بان الله تعالى لا يصدق الكاذب وهم لا يقولون بالحسن والقبح العقليين
فيتوقف على اخبار الرسول بذلك فيدور ايضا ومن الادلة العقلية على عموم
القدرة ان علة المقدورية عامة في جميع الممكنات فالقدرة عامة في جميعها
اما ان علة المقدورية عامة في جميعها فلان علتها الامكان وهو وصف
مشترك في جميع الممكنات فيكون جميعها مقدورا له تعالى قال جدنا العلامة
نظام الدين احمد قدس سره لو تم هذا الدليل لدل على ان قدرة العباد
ايضا عامة فالامكان علة للمقدورية على الممكن للعبد ايضا واذا كانت علة
المقدورية عامة في جميع الممكنات كانت قدرته ايضا عامة ولا قائل به اصلا
والمشهور في الاستدلال على ذلك ان المقتضي للقدرة هو الذات والمصحح
للمقدورية هو الذات الامكان فالوجوب والامتناع يحيلان المقدورية
ونسبة الذات الى جميع الممكنات على السواء فاذا ثبت قدرته على بعضها ثبت على
كلها لكن هذا انما يتم اذا لم تكن الممكنات حال العدم متمايزة بعضها عن بعض ولا
يكون لها مادة كما هو مذهب الاشاعرة بل المحققين من المتكلمين اما على القول
بان لها اشيا حال العدم بان يكون لها ثبوت دون الوجود فتكون متمايزة
متمايزة بعضها عن بعض حال العدم كما هو مذهب المعتزلة القائلين بالوجود الذهني
وان الموجودات الذهنية لها ثبوت دون الوجود فيجوز ان يكون خصوصية بعض الممكنات
في حال العدم مانعة عن تعلق قدرته تعالى به فلا تكون نسبة الذات الى الجميع على السواء
وكذا على القول بان لها مادة كما هو مذهب الحكماء اذ يجوز ان تكون تلك المادة معدة
لبعض الممكنات دون بعض فما اعدته المادة كان مقدورا له تعالى دون غيره فلا تتساوى
نسبة الذات اليها ايضا على هذا القول اما اذا لم تكن الممكنات حالة العدم متمايزة
بعضها عن بعض ولم تكن بعضها عن بعض ولم تكن لها مادة كانت نسبة الذات الى

على السواء فيثبت عموم القدرة عليها قال جدنا العلامة المذكور قدس سره ويرد عليه
انه على تقدير ثبوت الممكنات حال العدم وعدم المادة ايضا يجوز ان يقال ان الماكات
تلك الممكنات معلومة للواجب تعالى في الازل كانت ممتازة بعضها من بعض بحسب علمه فيمكن
ان يقال لم لا يكون خصوصية بعضها في علمه تعالى مانعة عن تعلق قدرته به فلا تكون نسبة
الذات الى جميعها على السواء لا بد لنفي ذلك من دليل انتهى فالاولى ان المعول في ذلك على
الدليل السمعي واجماع الانبياء عليهم السلام الذين علموا ذلك بالوحي والعلم الشهودي كما قال
تعالى مخاطبا لهما ثم اخبارانه عليهم السلام لم يعلم ان الله على كل شئ قدير ولزوم الدور انما يرد
على كون معرفة صدق النبي بالمعجزة موقوفا على العلم بعموم القدرة لكن العلم الضروري
العادي يحصل بمجرد ظهور المعجزة على صدقه كما جزم به جدنا الاعظم غياث الحكماء في
رسالته دليل الهدى ووافقه عليه بعض المحققين فيحصل العلم بالقدرة والعلم وعمومهما
من اخبارهم عليهم السلام فاعرف ذلك واين علم امثال هذه المطالب فانه السبيل الذي
لا يضل سالكه الطالب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **ختم بنا على من مر وجعلنا**
شهداء على من بعده وكثر بامته على من قل ختم الكتاب من باب ضرب ختم
عليه ختما وضع عليه الخاتم وهو الطابع والباء للسببية قال ابن مالك في شرح التسهيل وهي
الداخلة على صالح للاستغناء به عن فاعل معداها مجازا نحو فاخرج به من الثمرات ولو
قصد اسناد الاخراج الى الهاء لحسن ولكنه مجاز قال ومنه كتبت بالقلم وقطعت بالسكين
فانه يقال كتب القلم وقطعت السكين والنحويون يعبرون عن هذه الباء باء الاستعانة
واثرت على ذلك التعبير بالسببية من اجل الافعال المنسوبة الى الله تعالى فان استعمال
السببية فيها يجوز واستعمال الاستعانة لا يجوز وذرأ الله الخلق ذرأ فالجميع من باب قطع
خلقهم قال ابن الاثير وكان الذرأ مختص بخلق الذرية انتهى والذرية مثلثة نسل الثقلين
والمعنى انه تعالى جعلنا اخر جميع من خلق من الانبياء واممهم كما قال تعالى وان من امة الا خلا

نذير

نذير فختمهم بنا فلا امة بعدنا ولا رسل اليها رسول كما ان نبينا صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء
والمرسلين فلا احد بنبي بعده ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه
ممن نبي قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وآله مصليا
الى قبلته كانه بعض امته **قوله** عليه السلام وجعلنا شهداء جمع شهيد فعيل بمعنى
فاعل من شهد على الشئ اطلع عليه وعاينه فهو شهيد وشاهد ويجمع حقه
ويجيد جحدا وجحودا من باب منع انكره ولا يكون الا على علم من الجاحد به وفي هذه
الفقرة اشارة الى قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا والوسط في الاصل اسم لما تستوي نسبة الجوانب
اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع
اليها الخلل والاوساط محوطة كما قيل فان تلك العلامة بمعزل من الاعتبار في هذا
المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل
كون تلك الخصال اوساط الخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط
كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن والحكمة
التي طرفاها الجربزة والبلادة ثم اطلق على المتصف بها مبالغة
كانه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كما
الاسماء التي يوصف بها اي جعلناكم متصفين بالخصال الحميدة خيارا عدولا مزكين
بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله تعالى قد اوضح السبل فارسل الرسل
فبلغوا ونصحوا اذ كنتم واقفين على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي
على احكام الدين واحوال الامم اجمعين حاويا بالشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم
يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالب الله تعالى الانبياء بالبينة
على انهم قد بلغوا وهو اعلم للحجة على الجاحدين وزيادة لخزيهم فيؤتى بامة محمد صلى الله

نفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية

على من بعده الشهداء

قال في مجمع البيان في قوله لتكونوا شهداء على الناس ... احدها ان المعنى لتشهدوا ... على الناس بما عاينتم من ... الحق ... في الدنيا والآخرة كما قال الله ... ويوم يقوم ... بالنبيين والشهداء وقال ... الاشهاد والثاني ان المعنى لتكونوا ... على الناس فتبينوا لهم الحق والدين ويكون الرسول شهيدا مؤديا

... الذين ... [illegible] ... يوم القيامة ... الاعلام ... [illegible]

عليه وآله فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه
الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بمحمد صلى الله عليه وآله ويسأل
عن امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا
ومن الحكمة في ذلك تمييز امة محمد صلى الله عليه وآله في الفضل عن سائر الامم ولا
تقبل شهادة الامم عليهم وانما قيل ويكون الرسول عليكم شهيدا حيث يبادرون
الى تصديق الله وتصديق جميع انبيائه والايمان بهم جميعا فهم بالنسبة الى غيرهم
كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على الامم ولا تقبل شهادة الامم
عليهم وانما قيل ويكون الرسول عليكم شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لما في الشهيد
من معنى الرقيب مثل والله على كل شيء شهيد مع رعاية المطابقة للاول وتقديم الظرف
للدلالة على اختصاص شهادة عليهم السلام بهم وقيل ان هذه الشهادة في الدنيا
وذلك ان الشهادة في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس بالفاظ مخصوصة فكل
من عرف حال شخص فله ان يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة
لا يجوز ان تكون موقوفة على الآخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم
بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم ترتب كونهم شهداء عدالتهم فيجب ان يكونوا
شهداء في الدنيا فان قيل لعل التحمل في الدنيا ولكن الاداء في الآخرة قلنا المراد
في الآية الاداء لان العدالة انما تعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان
اجماعهم حجة لا بمعنى ان كل واحد منهم محق في نفسه بل حيثيتهم الاجتماعية تقتضي كونهم
محقين وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل لهم مع ذلك الشهادة في
الآخرة فيجري الواقع منهم مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد
ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا
فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار قال النيسابوري قيل الآية ستر وكتر الظاهر

وصف

١٢٦

وصف الامة بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك
فلا بد من حملها على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب
في جعلناكم للموجودين عند نزول الآية لان خطاب من لا يوجد محال فالآية
يدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم الى ما بعد وفاة
الرسول عليه السلام فلا صحة للاجماع وحينئذ واجيب بان حال الشخص في نفسه غير
حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز ان لا يكون الشخص مقبول القول عند الانفراد
ويكون مقبول القول عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الآية الى قيام
الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فالموجودون
بالذات والباقون بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة واخرها باسرها لزالت فائدة
الآية اذ لم يبق بعد انقضائها ممن يكون الآية حجة عليه فعلمنا ان المراد بها اهل كل
عصر ثم ان الله تعالى زكى هذه الامة ان جعلهم خيارا وعدولا عند الاجتماع
فلو امكن اجتماعهم على الخطأ فسلم لكن لا من حيث عصمتهم حال اجتماعهم عن الخطأ
كما يزعمه المخالفون القائلون بجواز الخلو عن المعصوم بل من حيث دخول المعصوم فيهم
لان تحقق الاجماع كاشف عن دخوله والمسألة مستوفاة في كتب الاصول هذا
والحق ان المراد بالشهادة الشهادة في الآخرة وبالشهداء الائمة المعصومين عليهم
السلام لما روي عن الصادق عليه السلام انه قال اظننت ان الله عنى بهذه الآية جميع
اهل القبلة من الموحدين افترى ان من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر
يطلب الله شهادته يوم القيمة ويقبلها منه بحضرة جميع الامم الماضية كلا لم يعن الله
مثل هذا من خلقه يعني الامة التي وجبت لها دعوة ابراهيم عم كنتم خير امة
اخرجت للناس وهم الائمة الوسطى وهم خير امة اخرجت للناس وروى الحاكم ابو القاسم
الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي عم ان الله

تعالى اياناعنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء
الله على خلقه وحجته فى ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة
وسطا فروى ثقة الاسلام فى الكافى بسنده عن بريد بن معوية قال قلت لابى
جعفر عليه السلام قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس قال
نحن الامة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحجته فى ارضه وبسنده عن ابى بصير
عن ابى عبد الله عليه السلام قال نحن الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وبما
ضيعوا منه وعلى هذا فالضمير فى جعلنا من قوله وجعلنا شهداء على من حجة للامة
باعتبار بعضهم الذين هم الائمة عليهم السلام قال بعض العلماء فان قلت ما حقيقة هذه
الشهادة وما فائدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب والشهادة قلت اما حقيقتها فيعود الى
اطلاعهم صلوات الله عليهم على اعمال الامة وبيان ذلك ان للنفوس القدسية الاطلاع
على الامور الغيبية والانتقاش بها مع كونها فى جلابيب من ابدانها فكيف بها سلا بستها
لها وبعد مفارقتها لهذا العالم والجسم المظلم فانها اذن تكون مطلعة على افعال جميع الامم
ومشاهدة لها من خير وشر واما فائدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمته
والوهم منكر للاله على الوجه الذى هو الاله فبالحرى ان ينكر كونه عالما بجزئيات افعال
عباده ودقايق خطرات اوهامهم وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع عدم المبالاة بفعل
القبيح والانهماك فى الامور الباطلة التى نهى الله تعالى عنها فاذا ذكر لهم ان عليهم شهداء
ورقباء وكتابا لما يفعلون مع كل ذلك بلحسن تاويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر
النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة ويردع النفس عن متابعة الهوى واذا كان
معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما فى ذمة المشهود عليه علم ان حجيته و
فائدتها حفظ ما فى ذمة المشهود عليه وتخويفه ان جحد ولم يوصله الى مستحقه
ان يشهد عليه الشاهد فيفتضح ويمنع منه على اقبح وجه كان المعنى والفائدة

قابلين

قابلين فى شهادة الائمة عليهم السلام اذ بها تحفظ اوامر الله وتكاليفه التى هى
حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها اذ لكن شهادتهم عليهم بالتقصير
فيفتضحوا فى محفل القيامة ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه
بالعقاب الاليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء الله على خلقه **قوله** عليه السلام
وكثرنا بمنه على من قل كثرت الشئ تكثيرا واكثرته اكثارا جعلته
كثيرا اى جعلنا كثيرين وافرين العدد دون ساير الامم الذين هم قليلون
بالنسبة الينا وعدى كثر بعلى لتضمينه معنى التفضيل كانه قال كثرنا بمنه مفضلا
لنا على من قل وتكثيرنا اما باعتبار كون شريعته عليه السلام مؤبدا الى يوم القيمة
فتكون امته مستمرة لا انقطاع لها الى انقضاء الدنيا بخلاف ساير الامم
او باعتبار شمول رسالته الى العرب والعجم والانس والجن او باعتبار البركة
فى النسل كما قال صلى الله عليه وآله تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الامم يوم القيمة
او باعتبار بقاء المعجزة الذى هو القرآن الى آخر الدهر وبالجملة فقد عد
العلماء من خصائصه عليه السلام كونه اكثر الانبياء تابعا فروى عنه
صلى الله عليه وآله انه قال ما من الانبياء نبى الا اعطى من الآيات ما مثله آمن
عليه البشر وانما كان الذى اوتيت وحيا اوحاه الله الى فارجو ان اكون اكثرهم على
الآيات ما مثله الى اكثرهم تابعا يوم القيمة وهذا الخبر يؤيد الاعتبار
الاخير وفسر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر بالكثير اولاده وتابعه عليه السلام
ويحتمل ان يراد بالكثرة الثروة وبالقلة الفقر يقال رجل مكثر اذا كان
ذا مال كما يقال رجل مقل اذا كان فقيرا اى جعلنا مكثرين موسرين فايقين
على من كان فقيرا مقلا ويحتمل ان يراد بهما العزة والذلة اذا كان من الشايع ان
يكنى بالكثرة عن العزة وبالقلة عن الذلة اى اعزنا على من ذل قال الزجاج فى

قوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم جعل كثرة العدد بعد القلة وكثرة القدرة
والشدة بعد الضعف والذلة وقال الزمخشري اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم
قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم ويجوز اذ كنتم فقراء مقلين فكثركم
فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد **اللهم
صل على محمد نبيك على وحيك ونجيبك من خلقك وصفيك من عبادك** اللهم يا الله
حذف حرف النداء وعوض عنه الميم ولذلك لا يجمع بينهما الا ضرورة كقول الشاعر
اني اذا ما حدث الما اقول يا اللهم يا اللهما وانما اخرت الميم تبركا باسمه تعالى وخصت
بذلك دون غيرها لان الميم عهد زيادتها آخرا كزرقم للشديد الزرقة هذا مذهب
البصريين وذهب الكوفيون الى ان الميم المشددة زيادتها ليست عوضا بل بقية من جملة
محذوفة وهي امنا بخير قال الرضي وليس بوجه لانك تقول اللهم لا تؤمهم بخير وقال
ابو علي ولانه لو كان كما ذكر لما حسن اللهم امنا بخير وفي حسنه دليل على ان الميم ليست بمأ
خوذة منه اذ لو كان كذلك لكان تكرارا وقال بعضهم اصل اللهم يا الله المطلوب للمنعم
فحذف حرف النداء لدلالة المطلوب في الاهتمام عليه مع قيامه مقامه واقتصر من لفظ الصفتين
باول الاول وآخر الثاني وادغم احدهما في الآخر على كرسم امينك على وحيك الامين
فعيل من الامانة فهو اما بمعنى مفعول اي مأمون من امنه كعلم اذا ائتمنه او بمعنى
فاعل من امن هو ككريم فهو امين والوحي في اللغة الاشارة والرسالة والكتابة
والالهام وكل ما القيته الى غيرك ليعلمه فهو وحي كيف كان وهو مصدر وحى اليه
من باب وعد واوحى اليه بالالف مثله وهي لغة القرآن الغالبة ثم غلب استعمال
الوحي فيما يلقى الى الانبياء من عند الله والمراد على وحيه تعالى قوته على ما كلف به
من ضبط الوحي في الواح قواه الشريفة بحكم الحكمة الالهية بها عليه وكمال استعداد نفسه
الطاهرة لاتباع اوامر الله وعلى ما حكم وحفظ فلا ثلم صيانتها وصيانتها عن تدنسها

باذهان

باذهان غير اهلها وعدم تطرق تبديل او زيادة او نقصان اليها اذ كان من شأن
الامين قوته على ضبط ما يشاء من عليه واستعداده وحفظه وصيانته عن التلف
والادناس من التبديل والزيادة والنقصان ولهذا السر كانت العرب تسميه
بالامين قبل بعثته لما شاهدوه من امانته وشهرته بهذا الاسم قبل نبوته وبعدها
قوله عليه السلام ونجيبك الكريم النفيس في نوعه فعيل بمعنى فاعل من نجب
ككرم نجابة ويحتمل ان يكون بمعنى مفعول اي اللباب الخالص الذي انتجبته من
خلقك من قولهم نجبت العود من باب ضرب وقتل وانتجبته اذا قشرت
نجبه بالتحريك وهو لحاؤه وقشره وتركت لبابه وخالصه وفي حديث
ابن مسعود الانعام من نجائب القرآن او نواجب القرآن قال في القاموس
نجائب القرآن افضله ومحضه ونواجبه لبابه الذي عليه يجب وفي نسخة ابن
نجيك من خلقك بالياء المثناة من تحت مشددة بعد الجيم وهو فعيل
النجوى بمعنى السر يقال ناجيته اي ساررته وهو نجي فلان مناجيه
دون اصحابه وقال ابن الاثير في النهاية في حديث الدعاء اللهم بمحمد نبيك
وموسى نجيك هو المناجي المخاطب للانسان والمحدث له يقال ناجاه يناجيه
مناجاة فهو مناجي والنجي فعيل منه وقد تناجيا مناجاة وانتجاء ومنه الحديث
لا يتناجى اثنان دون الثالث وفي رواية لا ينتجي اثنان دون صاحبهما
اي لا يتسارران منفردين لان ذلك يسوؤه ومنه حديث علي عليه السلام دعاه
رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال
نجواه فقال ما انتجيته ولكن الله انتجاه اي ان الله امرني ان اناجيه الى هنا كلام
ابن الاثير **قوله** عليه السلام وصفيك من عبادك الصفي اما بمعنى المصطفى اي المختار
ومنه الصفي والصفية لما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة او بمعنى الحبيب

المصافی من صافاه الود والاخاء صدقه کما صفاه یقال هو صفیی من بین اخوانی
قال ابن الاثیر هو فعیل بمعنی فاعل او مفعول وانتجاب الله تعالی واصطفاؤه
علیه السلام وکذلک مصافاته له یعود الی افاضة الکمال النبوی علیه حبیبا ووهبت له
العنایة الالهیة من القبول والاستعداد ویحتمل ان یکون المراد باصطفائه تعالی له
علیه السلام جعله صفوة خلقه وعباده ای خیرتهم کما قال صلی الله علیه وآله
ان الله اصطفی من قریش بنی هاشم واصطفانی من بنی هاشم وفی هذا المعنی
اخبار اخر سیاتی ذکر بعضها فی الروضة السادسة ان شاء الله تعالی امام
الرحمة وقائد الخیر ومفتاح البرکة بدل من محمدا او عطف بیان علیه والامام
ما یقتدی به من رئیس او غیره فیطلق علی الخلیفة والعالم المقتدی به فی الصلوة
ویستوی فیه المذکر والمونث قال بعضهم وربما انث امام الصلوة فقیل
امراة امامة وقیل الهاء فیها خطاء والصواب حذفها لان الامام اسم
لاصفة وقال بعضهم لا یمتنع ان یقال امراة امامة لان فی الامام معنی
الصفة والرحمة قیل هی میل القلب الی الشفقة علی الخلق والتلطف بهم وقیل هی
ارادة ایصال الخیر الیهم واضافة الامام الیها اما بمعنی اللام الاختصاصیة
ای امام للرحمة والمعنی الامام المختص بالرحمة او بمعنی من البیانیة ای امام من جنس
الرحمة والمعنی الامام الذی هو الرحمة کانه نفس الرحمة مبالغة وفیه اشارة الی
قوله تعالی وما ارسلناک الا رحمة للعالمین قال اهل العربیة یجوز ان یکون رحمة
مفعولا له ای لاجل الرحمة وان یکون حالا مبالغة فی ان جعله نفس الرحمة او
علی حذف مضاف ای ذا رحمة او بمعنی راحم وفی الحدیث انا نبی الرحمة
وفی اخر انما انا رحمة مهداة وتفصیل هذه الرحمة من وجوه احدها انه الهادی
الی سبیل الرشاد والقائد الی رضوان الله سبحانه وبسبب هدایته یکون وصول

الخلق

١٢٦

الخلق الی المقاصد العالیة ودخول جنات النعیم التی هی غایة الرحمة الثانی ان
التکالیف الواردة علی یدیه اسهل التکالیف واخفها علی الخلق بالنسبة
الی سایر التکالیف الواردة علی ایدی الانبیاء السابقین لامهم کما قال علیه السلام
بعثت بالحنیفیة السهلة السمحة وذلک عنایة من الله تعالی ورحمة اختص بها امته
علی یدیه الثالث انه ثبت ان الله تعالی یعفو عن عصاة امته ویرحمهم
بسبب شفاعته الرابع انه سال الله ان یرفع عن امته بعده عذاب
الاستیصال فاجاب الله دعوته ورفع العذاب رحمة الخامس ان الله
وضع فی شرعه الرخص تخفیفا ورحمة لامته السادس انه علیه السلام رحم کثیرا
من اعدائه کالیهود والنصاری والمجوس برفع السیف عنهم وبذل الامان لهم
وقبول الجزیة منهم السابع ان الله تعالی اخر عذاب من کذبه الی الموت
او القیامة کما قال تعالی وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم وکل نبی من الانبیاء
قبله کان اذا کذب اهلکه الله من کذبه الی غیر ذلک من الوجوه التی لا تکاد تحصی
کثرة فان قلت کیف کان رحمة وقد جاء بالسیف واستباحة الاموال حتی قال
فی حدیث انا نبی الملحمة ای القتال قلت انما جاء بالسیف لمن جحد وعاند
واراد خفض کلمة الله ولم یتفکر ویتدبر الا تری انه کان علیه السلام لا یبدا
احدا بقتال حتی یدعوه الی الله وینذره ومن اسماء الله تعالی الرحمن الرحیم
ثم المنتقم من العصاة فلا شک انه علیه السلام کان رحمة لجمیع الخلق للمومنین
بالهدایة وغیرها وللمنافقین بالامان وللکافرین بتاخیر العذاب فقد انه
عم برحمته نفع المومن والکافر وروی انه صلی الله علیه وآله قال لجبرئیل لما
نزل علیه بقوله تعالی وما ارسلناک الا رحمة للعالمین هل اصابک من هذه الرحمة
شیء قال نعم کنت اخشی سوء العاقبة فامنت انشاء الله تعالی بقوله تعالی ذی قوة

عند دخاله الوحش ممكن مطلع ثم امين قوله عليه السلام وقايد الخير وقاد الدابة يقودها قودا
من باب قال وقيادا اذا تقدمها اخذا بقيادها وهو خلاف السوق ومنه فانه يدعى الخير
لا يدعهم كانه يقودهم وجمع قادة وقواد وقد يقال للدليل ايضا قايد لانه يهدي الى
والخير قيل هو شيء من اعمال القلب نوراني زايد على الايمان وغيره من الصفات المرضية
يدل على ذلك ما في حديث انه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه
من الخير ما يزن مثقال ذرة وقيل هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض وهو ما يصدق
كوجود العقل لانه خير محض لا يشوبه شر ونقص واما خير مقيد كوجود كل من الصفات
المرضية وقيل هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل عاقل وهو ينقسم الى خير بالذات
وخير بالعرض فالاول هو الحقيقي ومرجعه الى الوجود البحت والموجود بما هو موجود
كالعلم والايمان الحقيقيين والثاني ما هو وسيلة الى الاول كالعبادة والزهد وقيل
هو ما يستوي فيه كل احد بلا مثوبة وهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لاجله فان
الكل يطلبه بالحقيقة الخير وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فيقصد الخير
بعبادة الشر وهو المحتوى من اجل نفسه والمحتوى غيره من اجله والحق ان الخير كلي
يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة كما يدل عليه قول امير المؤمنين ع افعلوا الخير ولا
تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده ما في بعض الاخبار انه يخرج
منها اي من جهنم قوم لم يعملوا خيرا قط وهؤلاء الذين ليس معهم الا الايمان انتهى
ويقابله الشر فيكون كليا يندرج تحته جميع الاعمال السيئة واضافة القايد الى
الخير من اضافة الفاعل الى المفعول وفيه استعارة لطيفة فان القايد لما كان من
شانه ان يقود الدابة حتى يصل بها الى الموضع المقصود وكان عليه السلام قد جاء بما يخرج
واصله الى الخلق لاجرم حسنت استعارة القايد له قوله عليه السلام ومفتاح البركة الفتاح
سابقة بالمغلاق والمفتح مثله وكان مقصورا من الاول وجمع الاول مفاتيح و

الثاني

الثاني مفاتح بغير ياء والبركة محركة النماء والزيادة والسعادة وفيه بديعة
حسنا وذلك ان الكفر والضلال لما كانا مانعين من نماء الاعمال وسعادة الدارين
شبههما بالمغلاق الذي يمنع من الدخول الى الدار ولما كان عليه السلام دافعا للكفر
وملجئا للضلال وكان سببا للاقدام على استفادة الخيرات الزاكية والسعادات
الناهية شبهه بالمفتاح كما نصب لامرك نفسه وعرض لمكروه فيك بدنه
الكاف للتعليل عند من اثبته لها اي علي لاجل نصبه لامرك نفسه كما في قوله تعالى
واذكروه كما هداكم اي لهدايته اياكم فما مصدرية وزعم الزمخشري وابن عطية
وغيرهما انها كافة قال ابن هشام وفيه اخراج الكاف عما ثبت لها من العمل
من غير مقتض ومن نفى ورود الكاف للتعليل اجاب بانه من وضع الخاص موضع
العام اذ الذكر والهداية يشتركان في امر وهو الاحسان فهذا في الاصل بمنزلة
واحسن كما احسن الله اليك والكاف للتشبيه لا للتعليل فوضع الخاص موضع العام
وهو الاحسان والاصل واحسنوا كما احسن الله اليكم ثم عدل عن ذلك الى قوله
عليه السلام نصب للاعلام بخصوصية المطلوب والاخفاء بما في ذلك من التكلف والحق
ورودها للتعليل فان معنى التعليل ظاهر في حكاية سيبويه كما انه لا يعلم فتجاوز الله
عنه وفي قول الشاعر ... وطرفك اما جئتنا فاحبسنه كما يحسبوا ان الهوى
حيث تنظر اذ معناه انك اذا جئتنا فلا تنظر الينا وانظر الى غيرنا ليحسبوا الى قوام
ان هواك مقصور على من تنظر اليه ليكون ذلك سببا للستر وعدم الفضيحة
قال ابن مالك ونصب الفعل بعدها تشبيها بكي في المعنى ونصب امام النصب فيكون
الشاد مصدر نصبك بصبت الشيء من باب ضرب اذا اقمته تقول نصبت الامر كذا
فانتصب اي اقمته له فقام والمعنى اقام لامرك نفسه او من النصب محركة
بمعنى التعب يقال نصب ينصب كتعب يتعب لفظا ومعنى ونصبه غيره ونصبه

قد طلب ابن الاثير في النهاية والمعنى اتعب لامرك نفسه والامر اما بمعنى طلب
الفعل اى لما امرته به او بمعنى الدين والشرع كما فى قوله تعالى وظهر امر الله قوله
عليه السلام معرض المكروه فيك بدنا غرضه لكذا نوعرضا فعرض نصبه له فانتصب كانك
جعلته غرضة له اى معروضا وفيك اى لاجلك ففى للتعليل كقوله تعالى فذلكن الذى
لمتنني فيه اى لاجله والمكروه ما يكرهه الانسان ويشق عليه وبدن الانسان قال
الجوهرى جسده وقال الازهرى والفيض وزاد ادى هو من الجسد ما سوى الراس و
الشوى وقال بعضهم هو ما سوى المقاتل والصحيح انه جملة الجسد كما يدل عليه كلامه
عليه السلام وفى هاتين الفقرتين اشارة الى قيامه صلى الله عليه وآله بامر الله تعالى
كما امره وبذله مهجته وجهده فى سبيله ومقاساته للمكاره وتحمله المشاق
فى ذاته قوله ابى عبد الله عليه السلام ان الله تعالى كلف رسوله ما لم يكلف احدا
من خلقه كلفه ان يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه ان لم يجد فئة تقاتل معه
ولم يكلف احدا من خلقه كلفه ان يخرج على الناس الى قبله ولا بعده ثم تلا هذه الاية
فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك واما ما لاقاه عليه السلام من المكروه
المشقة فى ذات الله فمن قرأ كتب السير علم ذلك كاستهزاء قريش به فى اول الدعوة ورميهم
اياه بالحجارة حتى ادموا عقيبه وصلح الصبيان به ووضع الكرش على راسه وقيل
الثوب فى عنقه وحصره مع اهله فى شعب بنى هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم
ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى كادوا يموتون جوعا لولا ان بعض من كان يحنوا
عليهم لرحم او لسبب غيره كان يسرق القليل من الدقيق او التمر فيلقيه اليهم ليلا
ثم قصدهم له بالاذى والاصحابه بالضرب والتعذيب بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم
اياهم من شعاب مكة حتى خرج من خرج منهم الى الحبشة وخرج هو عليه السلام مستجيرا
منهم تارة بثقيف وتارة ببنى عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا على قتله

والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا اهله وولده وما حوته
يده ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه الحرب ورموه بالكتائب
وصدقوه القتال والكفاح حتى ادموا فمه وطلح مغشيا عليه وكم نيل منهم فى عدة شديد
وحروب متصلة الى ان اكرمه الله تعالى بنصره وايده بظهور دينه ومن له انس بالتواريخ
يعلم من تفاصيل هذه الاحوال ما يطول شرحه وكاشف فى الدعاء اليك حامته وحارب
فى رضاك اسرته وقطع فى احياء دينك رحمه كاشفه بالعداوة باداه بها اى جاهره
من الكشف بمعنى الاظهار وفى للتعليل كالتين بعدها والدعاء الى الله طلب الخلق
الى توحيده والاقبال الى طاعته وحامة الرجل خاصته ومن يقرب منه وهو الحميم
ايضا ومنه الحديث انصرف كل رجل من ثقيف الى حامته قال ابن الاثير وقال
الجوهرى هولاء حامة الرجل اى اقرباؤه وفى القاموس هى خاصة الرجل من اهله
وولده والاسرة بالضم كغرفة ومن ضبطه بالفتح فقد وهم رهط الرجل الادنون
واصلها من الاسر وهو الشد لان الرجل يشتد برهطه وعشيرته ويتقوى بهم وقطع
رحمه قطعا وقطيعة هجرها وعقها اى شق عصى القرابة وترك برها والحنو عليها
والرحم ككتف ويخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها ايضا فى لغة بنى كلاب
فى لغة لهم بكسر الحاء اتباعا لكسرة الراء وهى موضع تكوين الولد ووعاؤه فى امه ثم سميت
القرابة رحما لكونهم يرجعون الى رحم واحد واختلف العلماء فى تعيين معناها فقيل هى
خلاف الاجنبى فتعم القرابة والوصلة من جهة الولاء ذكره الفيومى فى المصباح وقيل
هى قرابة الرجل من جهة طرفيه اباؤه وان علوا وابناؤه وان سفلوا وما يتصل بالطرفين
من الاعمام والعمات والاخوة والاخوات واولادهم وقيل الرحم التى يجب صلتها كل رحم
بين اثنين لو كان احدهما ذكرا لم يتناكحا فعلى هذا لا يدخل اولاد الاعمام والاخوال و
هى نسبة واتصال بين المنتسبين يجمعهما رحم واحدة قيل وهذا يشبه ان يكون من

وليس بدوري لان الرحم الواقعة في التعريف بمعنى موضع تكون الولد فلا دور وهذا
معنى قول بعضهم هي عامة في كل من يجمع بينك وبينه نسب وان بعد وهو اقرب الى الصواب
ويدل عليه ما رواه علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم انها نزلت في بني امية وتؤيده روايات اخر وفي هذه الفقرات
اشارة الى ما فعله صلى الله عليه وآله مع قومه وعشيرته واسرته واقربائه من قريش وبني
المطلب وبني هاشم الذين كذبوه وحاربوه ليطفئوا نور الله ويأبى الله الا ان يتم نوره
فحاربهم وقاتلهم وقتل منهم الجم الغفير في بدر واحد واسر منهم من اسر لم تأخذه بهم رأفة
ولا عطفة عليهم رحم غضبا لله تعالى وطلبا لمرضاته واحياء لدينه حتى علت كلمته وظهر دينه
ولو كره المشركون **وأقصى الأدنين على جحودهم وقرّب الأقصين على استجابتهم**
لك اقصاه ابعده من قصى الشيء قصوا من باب قعد اذا بعد والادنين والاقصين بفتح
ما قبل علامة الجمع فهم الاقارب والاباعد جمع ادنى واقصى واصلهما الادنيين والاقصيين
تحركت ياؤهما المنقلبتان عن واو في الاصل لانهما من الدنو والقصو وانفتح ما قبلهما فقلبتا
الفين ثم حذفت الالف لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة قبلهما دليلا عليهما وهذا الحكم جار
في كل مقصور يجمع هذا الجمع فيحذف الفه دون الفتحة التي قبلها لتدل عليها وفي التنزيل
وانتم الاعلون فانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وجحده جحدا وجحودا انكره مع علمه واستجاب
استجابة اذا دعاه الى شيء فاطاع وعلى في الفقرتين للتعليل اي لجحودهم ولاستجابتهم كقوله
تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم اي لهدايته اياكم واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود تشبيه
اذ المشبهون الله سبحانه بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه بأسرهم جاحدون له في الحقيقة
وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الها ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما
سوى ذلك فكانوا نافين للاله الحق في المعنى وجاحدين له صريحا جاحدون له لزوما واما
الاخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا من الجهة التي يثبته العقلاء بها مقرون به لزوما

واضطرار

١٢٢

واضطرارا فان كل احد اذا وقع في محنة واضطر في ضيق فزع من دون اختيار الى ربه وتضرع
اليه في النجاة والخلاص واليه الاشارة بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا
اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا **وعادى فيك الأبعدين و**
عادى فيك الأقربين الموالاة ضد المعاداة والمراد بالابعدين والاقربين ما هو
اعم من البعد في النسب والقرب فيه فيدخل في الابعدين الابعد نسبا او سببا
او مكانا او دارا وفي الاقربين الاقرب كذلك وكذا الكلام في الادنين والاقصين في
الفقرتين الاوليين ولا حاجة الى تخصيص الاولين بالقرابة والاخرين بالمكان تفاديا
عن التكرار والتأسيس خير من التأكيد فان الافعال كافية في التأسيس اذ اختصاص الاقصاء
والتقريب بالمكان ظاهر ولا داعي الى التعميم فيهما حتى يكونا شاملين للموالاة والمعاداة
فيلزم التكرار وشمولهما لهما لزوما لا ينافي التأسيس وقوله فيك في كلا الفقرتين
للتعليل اي لاجلك وقيل لاجل حبه وبغضه عليه السلام تعالى وهما من اعظم الاعمال
بل هما اوثق عرى الايمان كما روي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله لاصحابه اي عرى الايمان اوثق فقالوا الله ورسوله اعلم قال بعضهم الصلوة
وقال بعضهم الزكوة وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم
الجهاد فقال رسول الله صلعم لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن اوثق عرى الايمان
الحب في الله والبغض في الله وتوالي اولياء الله والتبري من اعداء الله وعن الصادق
عليه السلام قال من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له والاخبار في
هذا المعنى كثيرة **ودأب نفسه في تبليغ رسالتك وأتعبها بالدعاء الى ملتك وشغلها**
بالنصح لاهل دعوتك دأب الرجل في عمله كمنع اجتهد وادأب نفسه اجهدها
احدهما والتبليغ والابلاغ الايصال والاسم البلاغ بالفتح وفي التعليل والرسالة
بالكسر لغة اسم من الارسال وهو التوجيه وعرفا تكليف الله تعالى بعض عباده بواسطة

ملك يشاهده ويشافهه ان يدعو الخلق اليه ويبلغهم احكامه وقد تطلق على نفس الاحكام
المرسل بها كما وقع هنا والملة بالكسر لغة الطريقة المسلوكة واصطلاحا الطريقة الالهية
المجتمع عليها المثبتة للاحكام المتضمنة لمصالح العباد وعمارة البلاد والنجاة في المعاد
والملة والشريعة والدين متحدة ذاتا ومختلفة اعتبارا فان الطريقة الالهية من حيث انها
يجتمع عليها تسمى ملة ومن حيث اظهار الله تعالى لها تسمى شريعة ومن حيث انه يطاع
بها تسمى دينا واجتهاد الرسول صلى الله عليه وآله نفسه في تبليغ الرسالة واتعابه لها
في الدعاء الى الملة من وجوه احدها مقاساته للمتاعب الكثيرة والمكاره الشديدة من المشركين
في بدء دعوته حتى قال ما اوذي نبي مثل ما اوذيت وقال امير المؤمنين عليه السلام
مشيرا الى ذلك خاض الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون
وتالب عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها
حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار واسحق المزار الثاني شدة حرصه على رجوع
الخلق الى الحق ومبالغته في دعوتهم اليه وكمال الاهتمام بشانهم وكثرة تاسفه وتحسره
على عدم ايمانهم حتى خاطبه ربه بقوله تعالى لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اسفا شبهه برجل فارقه احبته فهو يتاسف على آثارهم ويهلك نفسه تحسرا
وتاسفا على فراقهم وقال له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون
الثالث معالجته للامراض النفسانية وازالته للاعراض الظلمانية من نفوس الجهال
وقلوب اهل الزيغ والضلال فان النفوس الجاهلية وان كانت في اول الفطرة قابلة
لنور العلم وظلمة الجهل لكنها بمزاولة الاعمال السيئة والافعال الشهوية والغضبية صارت
كالبهائم والسباع مظلمة الذوات ورسخت فيها الجهالات والاخلاق الحيوانية والدواعي
السبعية فيحتاج معالجتها الى جهد جهيد وعناء شديد حتى يزيل عنها ظلمة الجهل ويجعلها
قابلة لنور العلم فيفيض عليها الحقائق العلمية والمعارف اليقينية هذا مع تفاوت

مراتب

مراتب الاذهان في قبول التعليم وتباين الفطرة والافهام في الاستعداد للتفهيم وفي
ذلك من التعب والمشقة ما لا يخفى على احد الا ترى ان طبيب البدن يشق عليه علاج الامراض المعضلة
كحمى الدق والسل والمرض المزمن ما لا يشق عليه غيرها خصوصا اذا كثرت علل المرضى واختلف
امزجتهم في قبول الدواء فان الانبياء عليهم السلام ومن يقوم مقامهم اطباء النفوس المعلولة
لعلاج امراضها كما ان الحكماء اطباء الابدان المخصوصون بمداواتها الغاية نفاستها على
صلاحها او رجوعها الى العافية من امراضها ولما رئي المسيح عليه السلام خارجا من بيت فاجرة
مجاهرة بالفجور فقيل يا روح الله ما تصنع هيهنا فقال انما ياتي الطبيب المرضى الرابع
اشتغاله حال التبليغ والدعوة بالخلق عن الحق والالتفات من المقام الاسنى الى المقام
الادنى فانه صلى الله عليه وآله لما كان دائم التوجه الى الملأ الاعلى مستغرقا في الالتفات
اليه مرتبطا به اشد الارتباط مقبلا عليه وكان مع ذلك منصوبا لتشريع الشريعة
وتاسيس الملة وارشاد الخلائق وافادة الحقائق لم يكن له بد من النزول عن ذلك
المقام العلوي الى هذا العالم السفلي فكان يجد عند ذلك من الجهد والتعب والمشقة والنصب
ما لا مزيد عليه ومن هنا قال صلى الله عليه وآله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
في اليوم مائة مرة قوله عليه السلام وشغلها بالنصح لاهل دعوتك الشغل بالضم وبضمتين
خلاف الفراغ وشغله كمنعه شغلا بالفتح ويضم ولا تقل اشغله اشغالا فانها لغة
ردية ومما يحكى من ادب الصاحب بن عباد رحمه الله ان بعض العمال كتب اليه
ان راى مولانا ان يامر باشغالي ببعض اشغاله فوقع تحت الرقعة من كتب اشغالي
لا يصلح لاشغالي ويقال اشتغل بامره فهو مشتغل بالبناء للفاعل نص عليه الازهري
وغيره وقال ابن فارس ولا يكادون يقولون اشتغل وهو جائز يعني بالبناء
للفاعل والنصح بالضم مصدر نصح له من باب منع هذه اللغة الفصيحة وعليها قوله
تعالى ان اردت ان انصح لكم وفي لغة يتعدى بنفسه فيقال نصحته والاسم النصيحة

وهي كلمة جامعة ومعناها حيازة الحظ للمنصوح له من نصحت العسل اذا صفيته من
الشمع شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الشمع وقال ابن الاعرابي اصلها
من نصحت الثوب اذا خطته وهي اخلاص المحبة لغيرك في اظهار ما فيه صلاحه انتهى
والمراد بنصيحته عليه السلام لهم ارشادهم الى مصالح دينهم ودنياهم وتعليمهم اياها
وعونهم عليها وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والذب عنهم وعن اعراضهم
والسخاء عليهم بموجوده والايثار لهم وحسن الخلق معهم واغتفار سيئاتهم واكرامهم على
حسناتهم والدعاء لهم وبالجملة جلب خير الدنيا والآخرة اليهم خالصا مخلصا لوجه الله ومن ثم
قيل النصيحة في وجازة لفظها وجمع معانيها كلفظ الفلاح الجامع لخير الدنيا والآخرة والدعوة
بالفتح اسم من الدعاء وما دعوت اليه من طعام وشراب يقال نحن في دعوة فلان والمراد
بها هنا الدعوة التي نسبها الله تعالى الى نفسه في قوله سبحانه له دعوة الحق عن ابن عباس دعوة
الحق قول لا اله الا الله قيل وانما سميت دعوة لانها التي يدعى اليها اهل الملل الكافرة وقيل
الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقيل هي بمعنى الدعاء الحق اي الدعوة
الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها واضافتها الى الحق للايذان بملابستها له واختصاصها
به وكونها بمعزل عن شائبة الباطل كما يقال كلمة الحق قال الزجاج وجائز ان يكون والله اعلم
دعوة الحق ان من دعا الله تعالى موحدا استجيب له دعاؤه انتهى فالمراد بقوله عليه السلام لاهل
دعوتك اما اهل توحيدك واهل عبادتك واهل دعائك ويحتمل ان يكون من قبيل
الاضافة الى الفاعل اي الذين دعوتهم فاجابوا دعوتك وعلى كل وجه فالمراد بهم سلوك
كما يقتضيه تشريفهم باضافتهم الى الدعوة المضافة اليه تعالى بعضهم ولا يبعد ان يراد بتبليغ
الرسالة مطلق الرسالة دون تبيين الاحكام الاصولية والفرعية وبالدعاء الى الملة
بتبليغ الاحكام الاصولية كما يشعر به لفظ الملة وبالنصح لاهل الدعوة تبليغ الاحكام المفصلة
الشرعية الفرعية كما يشعر به لفظ النصح هذا كلامه والله اعلم **وهاجر الى بلاد الغربة**

ومحل

١٣٤

ومحل الثاوي سرى موطن رحله وموضع رجله ومسقط رأسه ومأنس نفسه
هاجر مهاجرة اذا خرج من ارض الى ارض والاسم الهجرة بالكسر والضم قليل قال الواحدي
المهاجر الذي فارق عشيرته ووطنه واصله من الهجر الذي هو ضد الوصل والبلاد بالكسر
جمع بلدة مؤنث بلد وهو من الارض مكان مأوى للانسان وان لم يكن فيه سكنة
ويجمع بلدان بالضم والغربة بالضم البعد والنوى عن الشخص بالضم غاية كثير في
تعدي عن وطنه فهو غريب فعيل بمعنى فاعل وغربته انا تغريبا فتغرب واغترب وغرب
نفسه ايضا تغريبا واغرب بالالف دخل في الغربة والناي بالهمز ناي نايا من باب
نفع بعد ويتعدى بنفسه وبالحرف وهو الاكثر فيقال نأيته ونأيت عنه ويتعدى
بالهمزة الى ثان فيقال انأيته عنه والمراد ببلاد الغربة ومحل الناي مهاجره صلى الله
عليه وآله وهو المدينة المنورة وجمعية البلاد باعتبار ما حولها من القرى وقوله عن موطن
رحله متعلق بهاجر ويحتمل تعلقه بالناي والموطن الوطن وهو مكان الانسان ومقره
والرحل بفتح الراء وسكون الحاء المهملتين مركب للبعير وما يستصحبه المسافر من الاثاث
ورحل الشخص ماواه ومنزله في الحضر ومنه اذا ابتلت النعال فالصلوة في الرحال
وانما قيل لامتعة المسافر رحل لانها ماواه في السفر والمراد بها هنا اما رحل البعير واثاث
المسافر فيكون موطن رحله كناية عن مكان اقامته كما يقال حط رحله والقى رحله اي اقام
وان لم يكن له رحل او ماواه ومنزله اي الموطن الذي فيه ماواه ومسكنه وموضع رجله
كناية عن نشأته ومرباه لانه اول موضع وضع فيه رجله حين نشأ واخذ يمشي كما ان مسقط
راسه كناية عن مولده والمسقط كمقعد ومنزل موضع السقوط وسقط الولد من بطن
امه خرج وانما اضيف المسقط الى الراس لان ما يسقط من الولد راسه يقال هذا البلد
مسقط راسي قال الشاعر حججنا جميعا من مساقط رؤوسنا على ثقة منا بجود ابن عامر
ولا ينافي ذلك ما ورد في بعض الاخبار ان من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم انه وقع

على قدميه حين الولادة لا على راسه تكريما له وتعظيما لان سقط راس الرجل صار كناية
عن تولده سواء ولد على راسه او على رجليه بناء على ان الغالب فى الولادة على ان المشهور
انه عليه السلام وقع على الارض معتمدا على يديه رافعا راسه الى السماء والله اعلم والماتم بفتح
العين وكسرها محل الانس بالضم وهو ضد الوحشة اى المحل الذى كانت تانس به نفسه
والمراد بموطن رحله الى آخره مكة شرفها الله تعالى وقد كان يعز عليه صلوات الله عليه فراقها
والهجرة عنها روى انه لما خرج منها مهاجرا التفت اليها فظن انه لا يعود اليها ولا يراها
بعد ذلك فادركته رقة وبكى فاتاه جبرئيل عليه السلام وتلا عليه قوله تعالى ان الذى فرض
عليك القرآن لرادك الى معاد وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجرته وقد اشتاق
الى مولده ومولد آبائه وحرم ابرهيم عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم قال جا
البدر روى عبد الله بن الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو واقف
على راحلته يقول مخاطبا مكة والله انك لخير ارض الله واحبها الى الله ولولا انى اخرجت
منك ما خرجت تبصرة قيل فى هذه الفقرات اشارة الى ان مكة شرفها الله افضل
سائر البقاع لانه صلى الله عليه وآله افضل الانبياء فينبغى ان يكون موطنه ومنشاؤه
ومولده ومانسه افضل الاماكن وقد اختلف العلماء من العامة فى التفضيل بين
مكة والمدينة فذهب جمهورهم الى فضيلة مكة وبعضهم الى فضيلة المدينة ولكل من
الفريقين حجج عقلية ونقلية يطول ذكرها واجمعوا على ان الموضع الذى ضم اعضائه
الشريفة افضل بقاع الارض والمستفاد من احاديث اهل البيت عليهم السلام ان مكة
افضل من سائر الارض وان الصلوة فى المسجد الحرام افضل من الصلوة فى مسجد النبى صلى الله
عليه وآله اما كون مكة من سائر الارض فيدل عليه ما رواه رئيس المحدثين فى الفقيه
باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام قال احب الارض الى الله مكة وما تربة احب الى الله
من تربتها ولا حجر احب الى الله من حجرها ولا جبل احب الى الله من جبلها ولا ماء احب الى الله

حبالها ولا ماء احب الى الله من مائها واما كون الصلوة فى المسجد الحرام افضل من الصلوة فى المسجد
النبى صلى الله عليه وآله فيدل عليه صريحا ما رواه رئيس المحدثين ايضا فى كتاب ثواب
الاعمال باسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
صلوة فى مسجد النبى صلى الله وآله فيدل عليه صريحا ما رواه رئيس المحدثين ايضا
تعدل عند الله عشرة الاف صلوة فى غيره من المساجد الا المسجد الحرام فان الصلوة
١٣٥ فيه تعدل مائة الف صلوة وفى هذا المعنى اخبار اخر وقال شيخنا الشهيد قدس سره
فى الدروس مكة افضل بقاع الارض ما عدا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وروى
فى كربلاء على ساكنها السلام مرجحات والاقرب ان مواضع قبور الائمة عليهم السلام كذلك
اما البلدان التى هم بها فمكة افضل منها حتى المدينة وروى صامت عن الصادق عليه السلام
ان الصلوة فى المسجد الحرام تعدل مائة الف صلوة ومثله رواية السكونى عنه
عن آبائه عليهم السلام واختلف الروايات فى كراهة المجاورة بها واستحبابها والمشهور
الكراهة اما لخوف الملالة وقلة الاحترام واما لخوف ملابسة الذنوب فان الذنب
بها اعظم قال الصادق عليه السلام كل الظلم فيها الحاد حتى ضرب الخادم ولذلك كره الفقهاء
سكنى مكة ولتايد وم شوقه اليها اذا اسرع خروجه منها ولهذا ينبغى الخروج منها عند
قضاء المناسك وروى ان المقام بها يقسى القلب والاصح استحباب المجاورة بها
للواثق بنفسه بعدم هذه المحذورات لما رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام
من جاور بمكة سنة غفر الله له ذنبه ولاهل بيته ولكل من استغفر له ولعشيرته و
لجيرانه ذنوب تسع سنين قد مضت وعصموا من كل سوء اربعين ومائة سنة وروى
ان الطاعم بمكة كالصائم فيما سواها وصيام يوم بمكة يعدل صيام سنة فيما سواها
ومن ختم القرآن بمكة جمعة الى جمعة او اقل او اكثر كتب الله له من الاجر والحسنات من اول
جمعة كانت فى الدنيا الى آخر جمعة تكون وكذا فى سائر الايام وقال بعض الاصحاب ان

ان جاور للعبادة استحب وان كان للتجارة فهو مكروه جمعاً بين الروايات وروى محمد بن
مسلم عن الباقر عليه السلام لا ينبغي للرجل ان يقيم بمكة سنة وفيها اشارة الى التعليل
بالملال وانه للكره اقل من سنة الى هنا كلام الشهيد طاب ثراه **ارادة منه لاعزاز دينك**
واستنصاراً على اهل الكفر بك الارادة هنا العزم على الفعل او الترك بعد
تصوره وتصور الغاية المترتبة عليه من خير او نفع او لذة ونحو ذلك وهي اخص من المشية
لان المشية ابتداء العزم على الفعل فنسبتها الى الارادة نسبة الضعف الى القوة والظن
الى الجزم فانك ربما شئت شيئا ولا تريده لمانع عقلي او شرعي واما الارادة فمتى حصلت
صدر الفعل لا محالة وقد يطلق كل منهما على الاخرى توسعا وانتصابها على المفعول
لاجله اي هداهم لاجل ارادته اعزاز دينك اي تقويته من العز بمعنى الشدة
والقوة قال في المحكم عززت القوم واعززتهم وعززتهم قويتهم وفي التنزيل
فعززنا بثالث اي قوينا وشددنا انتهى او الاكرام دينك من عز علي يعز عزا وعزة
وعزازة كرم واعززته اكرمته والدين في اللغة الطاعة وفي العرف الشرعي هو الشرع
الصادر بواسطة الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع الشرع طاعة مخصوصة كان ذلك
تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته ولكثرة استعماله صار حقيقة دون سائر
المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال اطلاق لفظة الدين والاستنصار طلب النصر
استنصر واستنصر به فنصره على عدوه اعانه وقواه وقوله بك يحتمل تعلقه به
وبالكفر اذ يقال كفره وكفر به والمراد باهل الكفر اهل الملل المتفرقة والاهواء المنتشرة
الذين كانوا عند مقدمه صلى الله عليه وآله كما قال امير المؤمنين صلوات الله عليه
بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه
مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة
وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم

به من الضلالة

١٣٦

من الضلالة بمكانه من الجهالة **قال** بعض العلماء اعلم ان الخلق عند مقدمه صلى الله عليه
وآله اما ان علموا اسم الشرايع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والمجوس
وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان
الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر
وسموهما النور والظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة
ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان يكون العالم السفلي خالصا لاهرمن
الذي هو الظلمة سبعة الاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان الذي هو النور
الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والمتشتتة فمنهم
العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة
فصنف منهم انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم
الذين حكى القرآن عنهم وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا
الدهر وقصروا الموت والحياة على تحلل الطبايع المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع
والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء
الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القرآن الكريم وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق
عليم وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها
شفعاؤهم عند الله كما قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطائف و
قريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة

ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن وانما
المحصلة فقد كانوا في الجاهلية على ثلاثة انواع من العلوم احدها علم الانساب في التواريخ و
الاديان والثاني علم تعبير الرؤيا والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة
والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن
عبدة العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع
في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرائع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم
اصحاب البددة والبددة عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا
يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام
النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسائط روحانية ياتيهم بالرسالة من
عند الله في صورة البشر من غير كتاب فيامرهم وينهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم
عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا
تستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في مهماتهم ولهذا كان
اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان الاصل في وضع
الاصنام ذلك اذ يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا او حجرا بيده ثم يتخذه الها الا
ان الخلق لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي وبرهان من الله تعالى
كان عكوفهم عليها وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وعدا ذلك من اصناف الالحاد
والمذاهب الفاسدة اكثر من ان يحصى وهي مذكورة في الكتب المصنفة في
هذا الفن ويدخل اربابها جميعهم تحت اهل الكفر **حتى استتب له ما حاول في**
اعدائك واستتم له ما دبر في اوليائك قال ابن الاثير في النهاية في حديث
الدعاء حتى استتب له ما حاول في اعدائك اي استقام واستمر وقال
الجوهري استتب له الامر اي تهيأ واستقام وقال الزمخشري في كلام استتب

له الامر اي استقام واستمر وتم ويجوز ان يقال للاستقامة والتمام الاستتباب
اي طلب التباب لان التباب يتبع التمام انتهى يريد بالتباب النقص و
الهلاك لان الشيء اذا تم نقص وخلص فكان من هلك وحاول الشيء اراده وقيل
المحاولة طلب الشيء بحيلة واستتم اي تم كقر واستقر قال الرضي ولابد
في استقر من مبالغة ودبر الامر تدبيرا فعله عن فكر وروية ماخوذ من الدبر كانه
نظر في دبره اي في عاقبته وآخرته ومفعولا حاول ودبر محذوف اي
ما حاوله ودبره والمراد بما حاوله في الاعداء غلبته عليهم والظفر بهم وبما دبر
في الاولياء صدق رغبتهم في الجهاد واجتماع قلوبهم عليه الى غير ذلك فهم من عظيم
فضله وجزيل اجره مع علمهم حينئذ انهم سيغلبون وينصرون كما يدل على
ذلك قوله عليه السلام **فنهد اليهم مستفتحا بعونك ومتقويا على ضعفه بنصرك**
نهد الى العدو ينهد من بابي نفع وقيل نصر وبرز والفاعل ناهد والجمع نهاد
مثل كافر وكفار وناهده مناهدة ناهضه وتناهدوا في الحرب نهض بعضهم الى
بعض للمحاربة ومستفتحا اي مستنصرا وطالبا للفتح فالباء للاستعانة يقال فتح الله
على نبيه اي نصره وهو يستفتح الله للمسلمين على الكفار ويحتمل ان يكون بمعنى مفتتحا و
البادي للملاقية اي مفتتحا للجهاد حال كونه ملتبسا بعونك او للسببية اي بسبب عونك
ومتقويا اسم فاعل من تقوى اي صار ذا قوة وعلى بمعنى مع اي مع ضعفه مثلها في قوله
تعالى وآتى المال على حبه والضعف بالفتح والضم خلاف القوة وقيل هو بالضم في الجسد وبالفتح
في العقل والراي وروي عن ابن عمر قال قرأت على النبي صلى الله عليه وآله الذي خلقكم
من ضعف بالفتح فاقرأني من ضعف بالضم والضعف محركة لغة في الضعف حكاها ابن الاعرابي
والنصر الاعانة على العدو وفيه اشارة الى ان استفتاحه عليه السلام وتقويه على الكفار
انما كان بعون الله ونصره لا بالاسباب الظاهرة والتدبير الذي دبره كما قد يتوهم من الفقرة

الشايقة فانها بمعزل عن التاثير واما التاثير مختص به تعالى كما قال وما النصر الا من عند الله
اى كائن من عنده من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب العادية ولعله مطابقة
له بطريق جريان السنة الالهية غزا عمر في عقر ديارهم وهجم عليهم في حجرة دارهم
غزاه غزوا اراده وقصده كما اغتزاه ومنه مغزى الكلام اى مقصده وغزا العدو
سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاوة وقيل انما يكون غزو العدو في بلاده
وعقر الدار بضم العين وفتحها اصلها وقيل وسطها قاله في المحكم وقال الازهري قال
ابو عبيد سمعت الاصمعي يقول عقر الدار بالضم في لغة اهل الحجاز فاما اهل نجد فيقولون
عقر بالفتح ومنه قيل العقار بالفتح وهو المنزل والارض والضياع وقال بعضهم عقر الدار
اصلها في لغة الحجاز وتضم العين وتفتح عندهم وعقرها معظمها في لغة غيرهم و
تضم لا غير وقال الزجاج عقر دار القوم اصل مقامهم الذي عليه معولهم واذا انتقلوا
منه تحجروا رجعوا اليه والديار جمع دار وهي المحل يجمع البناء والعرصة والبلد قال الجوهري
الدار مؤنثة وانما قال نعم ولنعم دار المتقين فذكر على معنى المثوى كما قال تعالى نعم
الثواب وحسنت مرتفقا فانث على المعنى وادنى العدد ادؤر والهمزة فيه مبدلة
من واو مضمومة ولك ان لا تهمز والكثير ديار مثل جبل وجبال ودور ايضا مثل اسد
واسد انتهى وهجم عليه هجوما من باب قعد دخل بغتة على غفلة منه وحجرة الدار
فالمكان بالضم وسط وبجح وتحجح اذا تمكن وتوسط المنزل والمقام والقرار بالفتح
المكان الذي يستقر فيه وهذا من جملة ما حاوله عليه الصلوة والسلام في اعلاء
الله ودينه ... اذ غزا الكفار في عقر ديارهم وهجم عليهم في ... ليكون اعظم
في ذلهم واشد في هوانهم كما قال امير المؤمنين عليه السلام والله ما غزي قوم في عقر دارهم
الا ذلوا قيل وعلة ذلك ان الاوهام فعالة عجيبة في الابدان فانه ... تارة
... ان الوهم ربما كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان

السبب

السبب في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم فلانها
حكم بانه لم يتقدم على غزوهم في مكانهم الا لقوة فاذ بهم واعتقاده فيهم الضعف
بالنسبة اليه فتنفعل لذلك نفوسهم عن تلك الاوهام وتبهر عن المقاومة وتضعف
عن الانبعاث وتزول عنها قواها جميعها فتحصل على طرف رذيلة الذل فاما اوهام
غيرهم فلان العزة الذي يلحقهم يكون باعثا لكثير من الاوهام على الحكم بضعفهم
ويحرك الطمع كل طامع فيهم فيثير ذلك لهم احكاما وهمية تعجزهم عن المقاومة فتكون
سببا للانتصار عليهم والقهر لهم والايقاع بهم اما الذين غزاهم صلى الله عليه وآله
في عقر ديارهم فقبائل كثيرة منهم بنو قينقاع بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت
وتثليث النون والضم اشهر ثم قاف مفتوحة وبعد الالف عين مهملة وهم حي من اليهود ثم
عند جسر بطحان مما يلي العالية حاصرهم عليه السلام في حصنهم حتى نزلوا على حكمه فربطهم ثم
اجلاهم وغطفان غزاهم بنجد فلما سمعوا بهبطه عليه السلام هربوا في رؤس الجبال وبنو
النضير قبيلة كبيرة من اليهود وكانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير غزاهم صلى الله
عليه وآله في اماكنهم وحاصرهم في حصونهم خمسة عشر يوما فجهدهم الحصار فارسلوا
اليه عليه السلام انا نخرج من بلادك فامرهم بالخروج فخرجوا وانمار وثعلبة وغيرهم جمعوا
جموعا لقصد المسلمين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فمضى اليهم حتى اتى
محالهم بذات الرقاع فهربوا الى رؤس الجبال فلم يجد المسلمون الا نسوة فاخذوهن و
اهل دومة الجندل قال سعد غزاها النبي صلى الله عليه وآله ونزل بساحة اهلها فلم
يجد الا الانعام والشاء فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من اصاب في هرب في كل
وجه ... وبنو المصطلق وهم بطن من خزاعة غزاهم في دارهم وهو ماء لهم يسمى المريسيع
بالتصغير والعين المهملة في آخره فهجم عليهم واغار وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء
فقاتل مقاتلهم وسبى ذراريهم وهم على الماء وبنو قريظة وهم احدى قبائل اليهود غزاهم

غزاهم صلى الله عليه وآله فی ساكنهم يحاصرهم فی حصنهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم
الحصار فنزلوا على ان يحكم فيهم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل الرجال وغنم الاموال
وسبي الذراری والنساء فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق
سبع ارقعة فجاء بهم الى المدينة مقرنين فی الاصفاد وهم ثمانمائة رجلا واكثر ثم
ضرب اعناقهم وبنو لحيان غزاهم فی منازلهم فهربوا وتمنعوا بشعف الجبال ويهود خيبر غزاهم
فی ديارهم وحاصرهم فی حصونهم حتى اتوهم فی صياصيهم وكان قدم عليهم ليلا فلم يشعروا
بقدومه فلما اصبحوا فتحوا حصونهم وخرجوا بمساحيهم ومكاتلهم الى عمالهم فلما رأوه
قالوا هذا والله محمد والخميس معه فولوا هاربين الى حصونهم وجعل صلى الله عليه وآله يقول
خربت خيبر فاذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين ثم حاصرهم حتى فتح الله عليه
جميع حصونهم وهی عشرة ويهود وادی القرى غزاهم وحاصرهم ليالی وفتح الوادی و
اصاب المسلمون به اموالا كثيرة وامتعة وميرة وقريش غزاهم بمكة وفتحها فكان
الفتح المبين والنصر العزيز وهوازن غزاهم بحنين وثقيف غزاهم بالطايف هؤلاء الذين
غزاهم صلى الله عليه وآله بنفسه فی عقر دیارهم وهجم عليهم فی بحبوحة دارهم سوى غزوات
الاخر وسوى سراياه وكان جميع غزواته بنفسه الشريفة ستا وعشرين غزوة وجميع
ستا وثلثين سريه وتفصيل ذلك يتكفل به كتب السير والله اعلم **حتى ظهر امرك و**
علت كلمتك ولو كره المشركون ظهر الشیء يظهر من باب منع ظهورا تبين و
برز بعد الخفاء وظهر عليه غلب وعلا واظهره الله وامر الله تعالى هنا دينه وشرعته كما
فی قوله تعالى فظهر امر الله وهم كارهون ای غلب دينه وعلا والعلو الارتفاع و
الغلبة والقهر ای ارتفعت كلمتك او غلبت وقهرت من قولهم علا فلان فلانا اذا غلبه
وقهره وكلمته تعالى قيل كلمة التوحيد وقيل الدعوة الى الاسلام قال تعالى وجعل كلمة الذين
كفروا السفلى وكلمة الله هی العليا قال المفسرون كلمة الذين كفروا هی دعوتهم الى الكفر و

عبادة الاصنام والسفلى الدنية التی لا يبالی بها وكلمة الله هی دعوته الى الاسلام او كلمة
التوحيد لا اله الا الله والعليا العالية الى يوم القيمة **قوله** عليه السلام ولو كره المشركون
جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة و
كلتاهما فی موضع الحال ای ظهر امرك وعلت كلمتك لو لم يكره المشركون ذلك ولو
كرهوه ای على كل حال مقروض وقد حذفت الجملة فی الباب حذفا مطردا لدلالة
الثانية عليها دلالة واضحة لان الشیء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدم
اولى وعلى هذا السر يدور ما فی ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق
لهذا على ان فی صدر الدعاء والمشركون هم الذين اشركوا بالله تعالى فجعلوا له شركاء
فی العبادة قال العلماء وليس احد فی العالم يثبت لله سبحانه شريكا فی الوجوب والعلم
والقدرة ولكن الثنوية يثبتون الهين اثنين حكيما يفعل الخير وسفيها يفعل
الشر اما المتخذون معبودا سوى الله تعالى فيكثرون منهم عبدة الكواكب وهم الصابئة
ومنهم عبدة المسيح ومنهم عبدة الاوثان ولادين ابطل فقدم مزهبهم لان اقدم
الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو لما جاء بالرد عليهم قالوا لا تذرن
الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ودينهم باق
الى الآن وعبادتهم لها فی مبداء الامر لم يكن لاعتقادهم فيها انها الهة اذ العلم بان
هذا الحجر المنحوت فی هذه الساعة ليس هو الذی خلقنی وخلق السموات والارض
علم ضروری فيمتنع اطباق جمع عظيم عليه فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك
وقد ذكروا فيه وجوها احدها ان بعضهم كاهل الصين والهند كانوا مجسمة
فاتخذوها اشباها لله تعالى وملئكته واعتكفوا على عبادتها الكواكب وهم بالحقيقة
وملئكته الثانی انهم اتخذوها اصناما للكواكب وقصدوا بعبادتها عبادة الكواكب
وهم بالحقيقة عبدة الكواكب الثالث ان اصحاب الاحكام اتخذوها طلاسم فی اوقات

العصد طلب الى الله

في اوقات مخصوصة وعظموها لاعتقادهم الانتفاع بها الرابع انهم على صور رجال
كانوا يعتقدون فيهم اجابة الدعوة وقبول الشفاعة فعبدوها على اعتقاد ان تلك
الرجال يكونون شفعاء لهم يوم القيمة عند الله تعالى هؤلاء شفعاؤنا عند الله
الخامس لعلهم اتخذوها قبلة لصلواتهم وعبادتهم يسجدون اليها لا لها كما انا نسجد
الى القبلة لا للقبلة السادس لعلهم كانوا حلولية فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها
فهذه الوجوه هي التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث يعلم بطلانه بالضرورة
ثم لما تطاول الامد ونسي مبدا الامر ظن جهال القوم انها الهة لهم يجب عبادتها
فعبدوها وسموها الهة واشبهت حال من يعتقد انها الهة مساوية لله تعالى في ذاته
وصفاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فسموا مشركين وسمى الله الهتهم اندادا تهكما
بهم وتشنيعا عليهم فقال ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون اللهم فارفعه بما
كدح فيك الى الدرجة العليا من جنتك حتى لا يساوى في منزلة ولا يكافا
في مرتبة ولا يوازيه لديك ملك مقرب ولا نبي مرسل الفاء
فصيحة اي اذا كان كذلك فارفعه والباء للسببية وما مصدرية اي بسبب كدحه كقوله
تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا والكدح جهد النفس في العمل والكد
بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه وقيل في قوله تعالى يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه ان المراد بالانسان محمد صلى الله عليه وآله والمعنى
انك كادح في تبليغ رسالات ربك فابشر فانك تلقى الله بهذا العمل وفي من قوله فيك
للتعليل اي لاجلك او ظرفية على حذف مضاف اي في سبيلك والدرجة المرقاة
والطبقة والعليا اسم تفضيل مؤنث الاعلى واصلها العلوى لانها من علا يعلو
فقلبت الواو ياء تخفيفا لما في كون الضمة في اول الكلمة والواو قرب الاخر من
ثقل مع قصد الفرق بين الاسم والصفة فقلبت الواو ياء في الاسم دون الصفة لكون

الاسم

لكون الاسم اسبق من الصفة وانما حكموا بان العليا اسم لا صفة لانها لا تكون صفة
بغير الالف واللام فلا تقول درجة عليا كما لا تقول دار دنيا بل الدرجة العليا
والدار الدنيا فاجريت مجرى الاسماء التي لا تكون وصفا لان الصفة لا تلزم حالة
واحدة وانما شانها ان تكون مختلفة تارة نكرة وتارة معرفة فلما اختص الوصف
بها حال التعريف كان كونها صفة كلا صفة ومثلها في ذلك الدنيا قال ابن جني
العليا والدنيا وان كانتا صفتين الا انهما خرجتا الى مذهب الاسماء كالاجرع
والابطح والجنة لغة البستان من النخل والشجر المتكاثف بالتفاف اغصانها فعلة
من جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لالتفافها وشرعا اسم لدار الثواب كلها و
المكانات الجنة درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات كما قال تعالى اولئك
هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم وقال سبحانه لهم
غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وكان من مقتضى عدل الله
ان يبلغ نبيه محل الرسالة اقصى ما استعدت له من درجات الكمال وبعد ما
بذلك الكمال على دعائه صلى الله عليه وآله ان يرفعه تعالى الى الدرجة العليا التي
لا درجة اعلى منها وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤس
الخلائق فكان سائر الدعاء اشارة الى ذلك قوله عليه السلام حتى لا يساوى في منزلة يجوز
ان تكون حتى بمعنى كي التعليلية وان تكون بمعنى الى ان وساواه مساواة ماثله
وعادله قدرا وقيمة ومنه قولهم هذا يساوي درهما اي يعادل قيمته درهما واما
قولهم يسوى درهما فليس عربيا صحيحا وقيل هي لغة قليلة والمنزلة المكانة عند الملك
ونحوه يقال له منزلة عند الامير وهي استعارة من موضع النزول قوله عليه السلام ولا
يكافا في مرتبة كافاه فلان مكافاة وكفاء ماثله وهو كفؤه اي مماثله

والمرتبة المنزلة والمكانة كالرتبة بالضم من رتب الشيء رتوبا بمعنى ثبت قال الزمخشري
في الاساس ومن المجاز لفلان مرتبة عند السلطان ومنزلة وهو من اهل المراتب وهو في
اعلى المراتب انتهى والتنكير في الفقرتين للتعميم اي في شيء من المنازل والمراتب **قوله**
عليكم السلام ولا يوازيه لديك ملك مقرب الازاء المحاذات والمقابلة قال الجوهري هو
بازائه اي بحذائه وقد آزيته اذا حاذيته ولا تقل وازيته انتهى في الاساس اللغة
بنو فلان يوازون بني فلان اي يقاومونهم في كونهم ازاء الحرب وفلان لا يوازيه احد
انتهى وما سمعه الجوهري من قوله وازيته اثبته بعضهم وقال انها لغة لاهل اليمن تبدل
الهمزة واوا فيقال في ازيته وازيته وهو المشهور على السنة الناس **تبصرة** قال بعضهم
فائدة دعاء الامة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم برفعه الى الدرجة العليا واقصى
مراتب الزلفى ان الله سبحانه قدر له تلك الدرجة والمنزلة باسباب منها دعاء الامة
ورغبتهم الى ربهم ان ينيله اياها وذلك بما نالوه على يده من الايمان والهدى
كما يدل عليه امره صلى الله عليه وآله وسلم لامته ان يسألوها له كما في حديث
الوسيلة وانكر هذا جماعة من المتكلمين وخصوصا الاصحاب فجعلوا هذا من قبيل
الدعاء تعبدا وقع امتثالا لامر الله تعالى في قوله صلوا عليه وسلموا تسليما والا فهو
صلى الله عليه وآله وسلم قد اعطاه الله من علو الدرجة وقرب المنزلة وعظيم الفضل
والجزاء ما لا يؤثر فيه دعاء داع وجدا وعدم وفائدة الدعاء انما تعود الى الامة
الداعين له لينالوا به زيادة الايمان ويستفيدوا به الزلفى من الله تعالى وحسن الثواب
كما جاء من صلى علي صلى الله عليه عشرا ولعل الاقرب من الصواب ما قال بعض المحققين
من اصحابنا انه لما كانت مراتب استحقاق نعم الله تعالى غير متناهية كان فائدة
ذلك طلب زيادة كماله عليه السلام وقربه من الله عز وجل وقد تقدمت الاشارة
الى ذلك **بمعرفته في ذلك اهله الطاهرين وامته المؤمنين من حسن الشفاعة**

فايدة دعاء الامة للنبي صلى الله عليه وآله

١٤١

اهل بيته وعترته معرفة الامر بعرفه عرفانا علمه اياه وعرفه بيته اعلمه بمكانه
واما عرفه به فبمعنى وسمه قال صاحب المحكم قال سيبويه عرفته زيدا فذهب الى تعدية
عرف بالتثقيل الى مفعولين يعني انك تقول عرفت زيدا فيتعدى الى واحد ثم
تثقل العين فيتعدى الى مفعولين قال واما عرفته بزيد فانما تريد عرفته بهذه العلامة
واوضحته بها فهو سوى المعنى الاول وانما عرفته بزيد كقولك سميته بزيد انتهى و
اهل الرجل عشيرته واقاربه والمراد بهم هنا اهل الكساء مع باقي الائمة الاثني عشر عليهم السلام
ووصفهم بالطاهرين اي النقيين من الدنس والرجس في الميلاد والاعمال البريئين من المآثم
والذنوب صغايرها وكبايرها كما قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا **خرج** الطبراني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال لفاطمة عليها السلام ايتيني بزوجك وابنيه فجاءت بهم فالقى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال اللهم هؤلاء آل محمد وفي لفظ آل
محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد كما جعلتها على آل ابرهيم انك حميد مجيد قالت
ام سلمة فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير وفي هذا المعنى روايات
كثيرة سياتي ذكر شيء منها انشاء الله تعالى والشفاعة قيل هي اصلاح حال المشفوع فيه
عند المشفوع اليه وهذا دوري والاولى ان يقال هي السؤال في التجاوز عن الذنوب
الذي وقع الجناية في حقه ويقال شفعت في الامر شفاعة اذا طالبت بوسيلة او ذمام
والمراد جنس الشفاعة فوقها والى ضاعتين شفع فيهم وتعريفه ذلك ان يخبر له وعرفه
بصيرفه واقعا محققا معرفة شهود بحضوريته والكان هو الآن به عالما علما
يقينيا فان الاشياء قبل وجودها تكون معلومة للعالم بها وبعد وجودها تكون
مشهودة له وانما استعمل التعريف في هذا لانه اذا شاهده عرف انه ذلك الذي علم
من قبل فكانه عرفه اياه وما قيل من ان معنى عرفه اذكره بعيد جدا وابعد منه قول بعضهم

يجوز ان يكون من العرف بالفتح بمعنى الرايحة الطيبة وان يكون من العرف بالضم بمعنى المعروف
بل لايجاد يقع وانما دعا الله تعالى بذلك مع العلم بانه لا يخلف الميعاد لانه سال له اجل
الموعود وعدم الخلف يصدق على اتيانه دناه وان لوحظ سعة كرمه تعالى ولا يكون
به جل شانه الا انجاز اجل ما وعد خصوصا مع احب خلقه اليه واكرمهم لديه فلان
معظم الغرض في الدعاء اظهار سيما العبودية او المراد وفق اهل شفاعته للاعمال
التي بها يصيرون اهلا لاجل ما وعدته به من حسن الشفاعة واعصمهم عما لا يستحقون
به ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا
تخلف الميعاد فان قلت كيف تكون الشفاعة في اهله الطاهرين وهم معصومون
من جميع الذنوب قد قال عليه السلام انما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واما المحسنون فما
عليهم من سبيل قلت قد علمت ان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيما الافتقار والعبودية
فلا منافاة او المراد بالشفاعة فيهم شفاعة مخصوصة لا السؤال في التجاوز عن الذنوب
ولذلك عبر بجنس الشفاعة وسياتي ان الشفاعة على اقسام منها رفع الدرجات وفي
الحديث انه لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وهو محتاج الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يوم القيمة ويحتمل ان يكون المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم لا الشفاعة لهم و
كذا شفاعة امته المومنين فتكون في من قوله في اهل الطاهرين متعلقا بوحدة
او هي للمصاحبة بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا في امم اي معهم فيكون ظرفا مستقرا في محل
النصب على الحال من الضمير المنصوب في عرفنا لا متعلقا بالشفاعة والمعنى عرفنا مع اهله
الطاهرين وامته المومنين اجل ما وعدته من حسن الشفاعة في يوم القيمة ويحتمل ان يكون
المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم لا الشفاعة لهم وكذا شفاعة امته المومنين فتكون
في في قوله في اهله الطاهرين الى فلا يكون للمشفوع فيهم له ذكر هنا وقد نقل اجماع المفسرين
في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا على ان المقام هو مقام الشفاعة وعن

الباقر عليه السلام في قوله تعالى وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون
ما كنتم تعملون قال ذلك النبي عليه السلام وعلي يقوم على كوم قد علا على الخلايق
فيشفع الرجل للرجلين على قدر عمله فذلك المقام المحمود وعنه عليه السلام في
قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق قال شفاعة النبي والذي جاء بالصدق
شفاعة علي اولئك هم الصديقون شفاعة الائمة ومروي ان اقل المومنين شفاعة
من يشفع في ثلثين الفا والاخبار في ذلك كثيرة وان جلت في اهله الطاهرين عليهم السلام
على الذين هم اعم من المعصومين عليهم السلام وفسرت الطهارة بالطهارة في الميلاد والنسب
فلك حمل الشفاعة فيهم وفي امته المومنين وكانت في متعلقة بالشفاعة فيهم وفي
امته المومنين وكانت في متعلقة الشفاعة فيكون اهله وامته هم المشفوع فيهم كما
روي عنه عليه السلام انه قال واول من اشفع له يوم القيمة اهل بيتي ثم الاقرب فالاقرب
وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولسوف يشفعك يا
محمد يوم القيمة في جميع اهل بيتك تدخلهم كلهم الجنة ترضى بذلك عن ربك وعن علي
عليه السلام اذ قال صلى الله عليه وآله وسلم اذن لا ارضى وواحد من امتي في النار وعن الصادق
عليه السلام رضا جدي صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يدخل النار موحد ولقد اغرب من
زعم ان المراد بجنس الشفاعة الشفاعة الحسنة في قوله تعالى ومن يشفع شفاعة حسنة
يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها ثم قال وقد فسرت الشفاعة
الحسنة بالشفاعة فيما يجوز في الدين والدعاء للمومنين او ان يصير الانسان شفيع
صاحبه في جهاد عدوه لتحصيل الغنيمة عاجلا والثواب اجلا والاصلاح بين اثنين
والشفاعة بالسيئة بعكس هذا قال والتفسير الاخير بعيد في هذا المقام انتهى كلامه
ولا يخفى بعده عن الصواب تتمة قال بعض العلماء الشفاعات خمس الاولى الاراحة
من هول الموقف وهذه تشترك فيها جميع الامم كما دلت عليه الاخبار الثانية في ادخال

ثم الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة
في اخراج من ادخل النار من العصاة الخامسة في رفع الدرجات وانكر بعض المعتزلة
والخوارج الشفاعة الرابعة وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله تعالى
ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجيب بان هذه الآيات في الكفار ومذهب اصحابنا
والاشاعرة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة
الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقد جاءت
الاخبار التي بلغت حد التواتر بصيغة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين جعلنا الله ممن
تناله شفاعة نبيه وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين **يا نافذ العدة**
يا وافي القول يا مبدل السيئة باضعافها من الحسنات انك ذو الفضل العظيم
نافذ العدة بالذال المعجمة اي ماضيها من نفذ السهم كقعد نفوذا اذا خرق الرمية وخرج
منها اي لا خلف لعدته بل هي ماضية لامرها كالسهم النافذ لا مرد له ولا توقف
والعدة الوعد واصلها وعدة بالكسر استثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين
ثم حذفت الواو ولزمت تاء التانيث عوضا منها قال الفراء يقال وعدته خيرا ووعدته
شرا باسقاط الالف فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير وعدته وفي الشر اوعدته بالالف
وفي الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد فاذا قالوا اوعدته بالشر اثبتوا الالف
مع الباء قال صاحب المحكم وقال ابن الاعرابي اوعدته خيرا بالالف وهو نادر وانشد يبسطني
مرة ويوعدني فضلا طريقا الى الذي فيه انتهى والخلف في الوعيد عند العرب كذب وفي
الوعيد كرم قال الشاعر اذا وعد السراء انجز وعده وان اوعد الضراء فالعفو مانعه
ولخفاء الفرق في ذلك من كلام العرب تمحل بعض اهل البدع القول بوجوب الوعيد
بناء على الوعد لجهلهم باللغة العربية وقد نقل ان ابا عمرو بن العلاء نبه عمرو بن عبيد
وهو طاغية المعتزلة على ذلك فلم يقبل حكى المبرد عن ابي عثمان المازني قال حدثني

محمد

محمد بن سعد قال جمعنا بين ابي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجد فقال له ابو عمرو
وما الذي يبلغني عنك في الوعيد فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز
وعده ووعيده فقال ابو عمرو ابيت انك اعجم ولا اعني عجمة لسانك ولكن
فهمك ان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الوعيد كرما وانشد واني اذا
اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد
حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللؤم
فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على ان كل ما ورد من وعيد الفساق فهو مشروط
بعدم العفو كما انه مشروط بعدم التوبة وفاقا فلا يلزم من تركه الكذب في كلام الله تعالى
ووافي القول اي صادقه يقال وفى وفاء ووفى بمعنى والقول الكلام وقيل القول في
الخير والقال والقيل والقالة في الشر **قوله** عليه السلام يا مبدل السيئات باضعافها من الحسنات
اشارة الى قوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ان هذا التبديل انما يكون في الدنيا فيبدلهم
بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا فبشرهم الله
تعالى انه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة اذا تابوا وآمنوا وعملوا سائر الاعمال الصالحة
وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب
الحسنة مع التوبة وذهب سعيد بن جبير الى ظاهر الآية وهو انه تعالى يمحو السيئة
عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة وايد هذا الظاهر بما روي مرفوعا ليتمنين اقوام
انهم اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل سيئاتهم حسنات
وقال القاضي والقفال انه تعالى يبدل العقاب بالثواب فذكر السيئة واراد المسبب بها وقيل
يبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس بملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية
وروي علي بن ابراهيم عن ابي جعفر وابراهيم عن ابي الحسن الرضا عليه السلام قال اذا كان يوم القيمة

وقف الله المؤمن بين يديه وعرض عليه عمله فينظر في صحيفته فاول ما يرى سيئاته
فيتغير عند ذلك لونه فيقول الله عز وجل بدلوا سيئاته حسنات واظهروها للناس
فيبدلها الله لهم فيقول الناس اما كان لهؤلاء سيئة واحدة وهو قوله تعالى يبدل الله
سيئاتهم حسنات وفي رواية عن الصادق عليه السلام اذا كان يوم القيمة تجلى الله تعالى
لعبده المؤمن فيقفه على ذنوبه ذنبا ذنبا ثم يغفر له لا يطلع على ذلك ملكا مقربا ولا نبيا
مرسلا ويستر عليه ما يكره ان يقف عليه احد ثم يقول لسيئاته كوني حسنات وروى مسلم
في صحيحه مرفوعا الى ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم
القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحوا عنه كبارها فيقال عملت حسنة
فيقول ان لي ذنوبا ما اراها هيهنا قال فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ضحك حتى بدت نواجذه فان قلت الاية انما دلت على تبديل السيئات حسنات فما
الاضعاف الواقع في الدعاء قلت اما على القول بان هذا التبديل للسيئات يكون في
الدنيا اثباتا للتوفيق للاعمال الصالحة بعد الاعمال السيئة كما نقل عن ابن عباس وبل ابدلهم
بملكة المعصية ملكة الطاعة فوجه الاضعاف ظاهر لان من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها بنص الكتاب واما على القول بان التبديل يكون في الآخرة كما دلت عليه الاخبار
المذكورة فظاهر انه اذا بدل سيئة العبد حسنة فكانه جاء بالحسنة وقد قال
تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ويفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير ولك
ختم الدعاء بقوله انك ذو الفضل العظيم تذييلا لما سبق وتقريرا لمضمونه والفضل
الخير والاحسان ابتداء والعظيم ضد الحقير كما ان الكبير ضد الصغير وكان الحقير
دون الحقير دون الصغير فكذلك العظيم فوق الكبير ويستعملان في الصور والمعاني
يقال رجل عظيم وكبير اي جثة او قدرا وهو هنا صفة للفضل كما وقع في التنزيل مكررا
والله ذو الفضل العظيم ووقع في نسخة مضبوطا بالضم على انه صفة له تعالى والاول انسب بالمقام

وفيه ايذان بان جميع الاحسان الواقع والمرجو رشحة في بحار افضاله وعظيم
احسانه ونواله وان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لعدم استعداد
المحروم وقابليته نسأل الله ان لا يحرمنا من فضله العظيم وجوده العميم بجاه
نبيه الكريم واهل بيته الطاهرين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين
والحمد لله رب العالمين قال مؤلفه العبد علي بن احمد الحسيني كان الله تعالى له هذا
آخر الروضة الثانية من رياض السالكين من شرح صحيفة سيد العابدين ويتلوها
بعون الله وتوفيقه الروضة الثالثة في شرح دعائه عليه السلام في الصلوة
على حملة العرش وكل ملك مقرب ولله الحمد

الحمد لله الذي

م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جاعل الملئكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع والصلوة
والسلام على رسوله الذي اشرقت بانوار هدايته البقاع والرباع وعلى آله
وعترته الذين النفر طاعتهم من شرق وغرب وعلى حملة العرش وكل ملك
مقرب وبعد فهذه الروضة الثالثة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الثالث
من ادعية صحيفة سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين
املاء راجي فضل ربه السني علي الصدر الحسيني الحسني اصلح الله تعالى اعماله وبلغه
بفضله آماله وكان من دعائه عليه السلام في الصلوة على حملة العرش وكل ملك مقرب
اختلف الناس في حقيقة الملئكة على اقوال احدها وهو قول المحققين من المتكلمين

انها اجسام لطيفة نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة
والافعال الشاقة والتشكل باشكال مختلفة ذوات عقول واذهان مسكنها السموات
وبعضها عند الله اقرب من بعض فلكل درجة كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له
مقام معلوم والى هذا القول ذهب اكثر المسلمين وفي اخبار اهل البيت عليهم السلام
ما يدل عليه الثاني وهو قول عبدة الاوثان انها هي هذه الكواكب الموصوفة بالسعود
والنحوس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب الثالث
وهو قول معظم المجوس والثنوية القائلين بالنور والظلمة وانهما جوهران حساسان
قادران متضادان في النفس والصورة مختلفان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل
خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي والظلمة
ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة
من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه
من السفيه الرابع قول من قال انها ليست باجسام بل جواهر متحيزة ثم اختلفوا فقال
بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي النفوس الناطقة المفارقة لابدانها
فان كانت خيرة صافية فهم الملائكة وان كانت شريرة كثيفة فهي الشياطين وقال
آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها
اكمل قوة واكثر علما ونسبتها الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها
نفوس ناطقة فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم اثبت انواعا اخر من الملائكة
وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين
ولكل من الفرق ادلة على ما ذهب اليه يطول ذكرها تبصرة الايمان بالملائكة واجب
قال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وروي عنه
صلى الله عليه وآله وسلم حين سئل عن الايمان انه قال ان تؤمن بالله وملئكته

ذكره

١٢٥

وكتبه ورسله والايمان بالملائكة يتضمن معاني احدها التصديق بوجودهم
واما البحث عن انها روحانية محضة وجسمانية محضة او مركبة من القسمين
وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية او هوائية
او بعضها نورانية وبعضها هوائية كما ذهب الى كل طائفة فليس مما يجب لان مدار الايمان
بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من حيث انهم عباد
مكرمون له من شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي الثاني
انزالهم منازلهم واثبات انهم عباد الله وخلقه كالانس والجن مأمورون مكلفون لا يقدرون
الا على ما اقدرهم الله عليه وانهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحفتهم بمعرفته وطاعته
والموت جائز عليهم ولكن الله جعل لهم املا بعيدا فلا يتوفاهم حتى يبلغوه ولا يوصفون
بشيء يؤدي وصفهم به الى اشراكهم بالله تعالى ولا يدعون الهة كما ادعتهم الاوائل الثالث
الاعتراف بان منهم رسلا يرسلهم الله الى من يشاء من البشر وقد يجوز ان يرسل بعضهم الى
بعض ويتبع ذلك الاعتراف بانه منهم حملة العرش ومنهم الصافون ومنهم خزنة الجنة
ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة الاعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب فقد ورد القرآن
بذلك كله او باكثره وقد اشار سيد العابدين صلوات الله عليه الى جملة من انواعهم في
هذا الدعاء كما ستقف عليه فائدة قال سعيد بن المسيب عنه الملائكة ليسوا بذكور ولا
اناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون والجن يموتون والجن يتوالدون وفيهم
ذكور واناث ويموتون والشياطين ذكور واناث ويتوالدون ولا يموتون حتى
يموت ابليس قال سيد العابدين وامام الموحدين صلوات الله وسلامه عليه
وعلى آبائه وابنائه الطاهرين اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك
ولا يسأمون من تقديسك الواو للاستيناف وما بعدها مبتدأ وخبر وقوله
بما يأتي فصل عليهم والذين في محل رفع صفة لحملة عرشك الذي هو المبتدأ او

و قول بعضهم طلبته العجم مبتداء والذين خبره خطاء محض فاحذره والحملة
بفتحتين جمع حامل وهذا البناء مطرد في كل وصف لمذكر عاقل صحيح اللام نحو كامل
وكملة وساحر وسحرة وفاسق وفسقة وسافر وسفرة فان قلت هذا البناء من ابنية الكثرة وهي
ما جاوز العشرة وحملة العرش دون العشرة كما سيأتي فكيف استعمل فيه قلت قد
يستغنى ببعض ابنية الكثرة عن بناء القلة وبالعكس وضعا بان يكون العرب لم تضع
احد البنائين استغناء عنه بالآخر كما وقع هنا فانهم لم تضع لحامل نحو جمع قلة او استعمالا
بان تكون وضعتهما معا ولكنهما استعملت في بعض المواضع احدهما مكان الآخر اتكالا
على القرينة والعرش في اللغة سرير الملك ومن البيت سقفه كالعرش والخيمة والبيت الذي
يستظل به وعرش الله تعالى يطلق على معنيين احدهما علمه تعالى وحملته ثمانية اربعة من اهل البيت
عليهم السلام واربعة من غيرهم كما رواه ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي عبد الله
عليه السلام قال حملة العرش والعرش العلم ثمانية اربعة منا واربعة ممن شاء الله تعالى
وقال الصدوق قدس سره في كتاب العقائد اما العرش الذي هو العلم فحملته اربعة من
الاولين واربعة من الآخرين فاما الاربعة من الاولين فنوح وابراهيم وموسى وعيسى
عليهم السلام واما الاربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين
هكذا روي بالاسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام في العرش وحملته قال وانما
صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لان الانبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله
عليه وآله وسلم على شرايع الاربعة من الاولين نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
ومن بعد الحسين من الائمة عليهم السلام انتهى ومعناه الثاني وهو المراد هنا الجسم المحيط بالكل
المحيط بالسموات السبع وما بينهما كما روي عن ابي عبد الله عليه السلام كل شيء خلق الله في جوف
الكرسي والكرسي محيط به خلا العرش فانه اعظم من ان يحيط به الكرسي قال بعضهم ولعل العرش
هو الفلك الاعظم والكرسي هو الفلك المشهور بفلك البروج وفي رواية عن النبي صلى الله

عليه وآله

عليه وآله وسلم انما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي كالحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة قال الصدوق طاب ثراه
اعتقادنا في العرش انه جملة الخلق وروي في كتاب الخصال باسناده عن حفص
بن غياث النخعي قال سمعت الصادق عليه السلام ان حملة العرش اربعة احدهم على صورة
ابن آدم يسترزق الله لولد آدم والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير والثالث
على صورة الاسد يسترزق الله للسباع والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم
ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل فاذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية
ومن طريق العامة عن ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العرش تحمله
اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية وعن وهب قال حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيامة ايدوا باربعة اخرى وعن ابن زيد لم يسم من حملة العرش الا اسرافيل
قال وميكائيل ليس من حملة العرش وعن ابن عباس قال قال الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان ملكا من حملة العرش يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قد مرقت قدماه
في الارض السابعة السفلى ومرق رأسه من السماء السابعة العليا وعن خطبة لامير المؤمنين
عليه السلام في صفة حملة العرش من الملائكة عليهم السلام ومنهم الثابتة في الارضين
السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم
والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم
مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير
ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر
وقوله عليه السلام المناسبة لقوائم العرش اكتافهم يعني ان للعرش قوايم غير الحاملين
وكذلك روي عن الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام قال ان بين القائمة من قوائم العرش
والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين عاما واعلم ان من قال بان الملائكة اجسام

كان حمل صفاتهم المذكورة على ظاهرها امراً ممكناً فان الله تعالى قادر على جميع الممكنات واما من
نزههم عن الجسمية فهو يسلط على ذلك كلمة التاويل بما ذكره يفضى بنا الى التطويل قوله عليه السلام
لا يفترون عن تسبيحك فتر يفتر فتوراً ويفتر من باب دخل وضرب فتوراً سكن بعد حدة ولان
بعد شدة وفتر الماء سكن حره وفتر جسمه لانت مفاصله وضعف والفتر محركة
الضعف والتسبيح مصدر سبح اذا قال سبحان الله والتنزيه يقال سبحت الله اذا نزهته
عما يقول الجاحدون فهو بمعنى التبعيد من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما ويجيء
يكون بمعنى الذكر يقال فلان يسبح الله اى يذكره باسمائه نحو سبحان الله وبمعنى الصلوة
هو سبح اى يصلى ومنه فلولا انه كان من المسبحين اى من المصلين وفيه اشارة الى قوله
تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون قال المفسرون اى ينزهونه فى جميع الاوقات ويعظمونه
ويمجدونه دائماً لا يلحقهم فتور ولا كلال لان الفتور هو وقوف الاعضاء البدنية عن العمل
وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها الى الاستراحة وكل ذلك
من توابع المزاج الحيوانى فلا جرم صدق سلبه عنهم وقيل معنى لا يفترون لا يتخلل تسبيحهم
فترة اصلاً بفراغ او بشغل آخر واورد عليه انهم قد يشتغلون باللعن كما قال تعالى
اولئك عليهم لعنة الله والملائكة واجيب بان التسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عنه الاشتغال
بشيء آخر واعترض بان آلة التنفس لنا مغايرة لآلة التكلم فلهذا صح اجتماع النفس والتكلم
واجيب بانه لا استبعاد فى ان يكون لهم السن كثيرة او يكون المراد بعدم الفترة انهم لا
يتركون التسبيح فى اوقاته اللائقة به وعن روى محمد بن الحسن الصفار عن ابراهيم
بن هاشم عن ابى عبد الله البرقى يرفعه الى ابى عبد الله عليه السلام قال رجل لابى عبد الله
عليه السلام جعلت فداك اخبرنى عن قول الله تبارك وتعالى وما وصف من الملائكة يسبحون
الليل والنهار لا يفترون ثم قال ان الله وملائكته يصلون على النبى صلى الله عليه وآله كيف
فقال ابو عبد الله عليه السلام ان الله تبارك وتعالى لما خلق محمداً امر الملائكة فقال انقصوا من

وذكرى

وذكرى بمقدار الصلوة على محمد فبقول الرجل صلى الله على محمد فى الصلوة مثل قوله
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفى بعض الاخبار ان حملة العرش يتجاوبون
بصوت رخيم يقول اربعة منهم سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وعن
الصادق عليه السلام قال انفاسهم تسبيح وفى رواية ليس شيء من اطباق اجسادهم الا
ويسبح الله ويحمده من ناحيته باصوات مختلفة ومن الغريب ما اخرجه ابن ابى شيبة
فى المصنف عن ابى امامة قال ان الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية
ذكر عنه الجلال السيوطى فى الحبائك قوله عليه السلام ولا يسأمون من تقديسك سئم منه
ومنه كفرح سآمة ملالة بالتحريك وسآمة بالمد ضجر وملّ وفى التنزيل لا يسأم الانسان
من دعاء الخير والتقديس تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقاداً او قولاً وعملاً عما لا يليق
بجنابه من قدس فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اى طهره فان مطهر الشيء
مبعد له عن الاقذار فالتسبيح بمعنى التنزيه والتقديس يرجعان الى معنى واحد وهو
تبعيد الله عن السوء اما فى الذات ويحصل بنفى الامكان المستلزم لنفى الكثرة المستلزم
لنفى الجسمية والعرضية والضد والند واما فى الصفات بان يكون مبرأ عن العجز والجهل
والتغير محيطاً بكل المعلومات قادراً على كل المقدورات واما فى الافعال بان لا يكون افعاله
عبثاً ولا لجلب المنافع اليه ولا لدفع المضار عنه وقال بعضهم بين التسبيح والتقديس فرق وهو
ان التسبيح هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص والتقديس هو التنزيه عما ذكر وعن
التعلق بالجسم وقبول الانفعال وشوائب الامكان وامكان التعدد فى ذاته وصفاته و
كون الشيء من كمالاته بالقوة فالتقديس اعم اذ كل مقدس مسبح من غير عكس وذلك لان الابعاد من
الذهاب فى الارض اكثر من الابعاد من الذهاب فى الماء فالملائكة المقربون الذين هم
ارواح مجردة بتجردهم وامتناع تعلقهم وعدم احتجابهم عن معبودهم وقهرهم
لما تحتهم باضافة النور عليه وتاثيرهم فى غيرهم وكون كل كمالاتهم بالفعل مسبحون مقدسون

وغيرهم من الملائكة السماوية والارضية ببساطة ذواتهم وخواص افعالهم وكمالاتهم
سبحون بل كل شئ مسبح وليس بمقدس ويقال سبوح قدوس ولا يعكس انتهى و في نفي السأم
عنهم تلميح الى قوله تعالى يسبحون الليل والنهار وهم لا يسأمون وانما كان السأم والملال منفيا
عنهم لانه عبارة عن اعراض النفس عن الشئ بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن افعالها وذلك
غير متصور في حق الملائكة السماوية وفي بعض الاخبار ليس لحملة العرش كلام الا ان
يقولوا قدوس الله القوى ملأت عظمته السموات والارض ولا يستحسرون من عبادتك
ولا يؤثرون التقصير على الجد في امرك ولا يغفلون عن الوله اليك لا يستحسرون اى
لا يتعبون ولا يعيون من حسر حسورا كضرب وفرح اى تعب واعيا وكان الابلغ في وصفهم
ان ينفى عنهم ادنى الحسور ولكنه اتى بصيغة الاستفعال المبنية عن المبالغة في الحسور المنبئة
على ان عباداتهم لثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا فادة نفي
المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام
للعبيد لافادة نفي كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم
مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وفيه اشارة الى قوله تعالى ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون واثر الشئ بالمد اختاره وفضله والتقصير في الامر التواني فيه وهو خلاف
الجد فيه والمعنى انهم لا يختارون الراحة على تعب العبادة فيقصروا ويتوانوا في عبادته
تعالى وقيل المقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه
الابدان الحيوانية والغفلة عدم الفطن للشئ وغيبته عن البال وقد استعمل فيمن
تركه اهمالا واعراضا كما في قوله تعالى وهم في غفلة معرضون يقال غفلت عن الشئ
من باب قعد غفولا وغفلة وغفلا بالتحريك واغفلته واغفلا تركته اهمالا او عن غير
تفطن له وتغافل ارى من نفسه ذلك وليس به والوله الى الشئ الحنين اليه يقال وله
كلام الى ولده اى ولها بالتحريك اذا حنت اليه واما الوله

بمعنى ذهاب العقل من فرح او حزن فانما يعدى بعلى فيقال وله عليه والمراد بوله
الملائكة اليه سبحانه محبتهم وعشقهم له وصدق رغبتهم فيما عنده فهو من باب
اطلاق الملزوم وارادة اللازم ولما كانت الغفلة من لواحق القوى الانسانية
وجبان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية لسلبها عنهم وكل ذلك اشارة
الى كمال مراتبهم في صنوف عباداتهم وتاكيدها بعدم النقصانات اللاحقة فان كل
هذه الصفات المنفية لو وجد كان نقصانا فيما يتعلق به واعراضا عن الجهة المقصودة
تنبيه في قوله عليه السلام ولا يؤثرون التقصير على الجد في امرك دلالة على ان الملائكة
عليهم السلام قادرون على التقصير لكنهم لا يؤثرونه اختيارا للجد عليه وتقادبا عنه والمسألة
محل خلاف فذهب الفلاسفة واهل الجبر الى انهم خير محض فانهم مطبوعون على الطاعات
لا قدرة لهم على الشرور والمعاصي وذهب المعتزلة وجمهور الامامية الى ان لهم قدرة
على الامرين بدليل قوله تعالى ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا
يقتضى كونهم مزجورين وقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار
انما يحسن لو كان قادرا على الاستكبار ولولا ذلك لما استحقوا ثوابا على طاعاتهم اذ لو كانوا
مطبوعين على الطاعات لم يكن عليهم مشقة في التكليف فلم يستحقوا ثوابا والتكليف
انما يحسن في كل مكلف تعريضا للثواب فلا بد ان يكون لهم شهوات فيما حظر عليهم
ونفار عما وجب عليهم حتى يحصل فائدة التكليف والله اعلم واسرافيل صاحب الصور
الشاخص الذى ينتظر منك الاذن وحلول الامر فينبه بالنفخة صرعى رهائن
القبور اسرافيل عطف على حملة عرشك وهو بكسر الهمزة اسم اعجمى مركب مضاف الى
ايل بالكسر وهو اسم الله تعالى بالعبرانية وقيل هو رباعى وقيل خماسى والهمزة اصلية
اخرج ابن جرير عن العامة عن على بن الحسين عليهما السلام قال كل اسم يرجع الى ايل فهو عبد الله
عزوجل وقال الاخفش ويقال في لغة اسرافين بالنون كما قالوا جبرين واسماعين

واسرافيل وانما افرده بالذكر مع انه من جملة حملة العرش كما تقدم في بعض الاخبار
لاظهار فضله كانه من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة
التغاير في الجنس لاختصاصه دونهم بكونه صاحب الصور فخصه بالذكر من بينهم
ليترتب عليه الوصف المختص به وفي تقديمه على من بعده في الذكر دلالة على تفضيله
ويدل عليه ايضا ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان ملك الله الذي يليه
اسرافيل وعن ابن مسعود ان اقرب الخلق من الله اسرافيل وعن الحسن انه قال
ليس احد اقرب الى الله من اسرافيل وبينه وبين الله سبعة حجب في الصور بالضم
القرن ينفخ فيه والشاخص فاعل من شخص كمنع شخوصا ارتفع او من شخص
بصره اذا فتح عينيه لا يطرف وربما عدي بالباء فقيل شخص ببصره فهو شاخص
والاذن بالكسر اسم من اذنت له في كذا اطلقت له فعله وحلول الامر نزوله
وانتهاء اجله من حل الدين اذا انتهى اجله ووجب اداؤه ويقال حل امر الله
عليه اي وجب اخرج ابو الشيخ عن وهب قال خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء
في صفاء الزجاج ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق به ثم قال كن فكان
اسرافيل فامره ان يأخذ الصور فاخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة
ونفس منفوسة لا تخرج روحان من ثقبة واحدة وفي وسط الصور كوة
كاستدارة السماء والارض واسرافيل واضع فمه على تلك الكوة ثم
قال له الرب قد وكلتك بالصور فانت للنفخة وللصيحة فدخل اسرافيل
في مقدم العرش فادخل رجله اليمنى تحت العرش وقدم اليسرى ولم يطرف
منذ خلقه الله ينتظر ما يؤمر به وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته
واصغى سمعه ينتظر حتى يؤمر فينفخ قالوا فما تقول يا رسول الله قال قولوا

حسبنا الله

حسبنا الله ونعم الوكيل وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لما فرغ الله
من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل عليه السلام فهو واضع
على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قيل يا رسول الله ما الصور قال القرن
قيل كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات
والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى من في الحياة احد الا من شاء الله
وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا
من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك
قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والى النفخة الثانية اشار
سيد العابدين بقوله فينبهه بالنفخة صرعى رهائن القبور الفاء عاطفة
سببية والمعطوف محذوف والتقدير فينفخ فينبه كقوله تعالى ان
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اي فضرب فانفجرت والتنبيه الايقاظ
من النوم ولما كان الموت شبيها بالنوم حتى اطلق لفظ الموت عليه فقيل
مات بمعنى نام وفي الحديث كما تنامون تموتون استعمل التنبيه لبعث
الاموات والنفخة المرة من نفخ بفمه اذا اخرج منه الريح والصرعى جمع
صريع بمعنى مصروع كقتلى جمع قتيل واسرى جمع اسير وهو من الصرع
بمعنى الطرح على الارض والصريع من الاغصان ما تهدل وسقط على الارض قيل
ومنه قيل للقتيل صريع والرهائن جمع رهينة وهي الرهن والهاء للمبالغة
كالشتيمة والشتم قال الزمخشري ليست الرهينة بتأنيث الرهين بمعنى
المرهون لان فعيلا هذا يستوي فيه المذكر والمؤنث بل هي مصدر اقيم مقام المرهون
كالرهن وقولهم هو رهينة في يده وقوله ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة
رمس ذي تراب وجندل دليل على ما قلناه انتهى قلت ويجوز ان تكون الرهائن

جمع رهين لا رهينة فانهم نصوا على انه جمع لهما قال ابو حيان في الارتشاف رهين
ورهينة قالوا فيهما رهاين بمعنى المرهون والمسقوم فاستعار لفظ الرهاين للموتى
باعتبار لزوم القبور لهم في عدم انفكاكهم عنها كالرهن في يد المرتهن او باعتبار كونهم
ملزومين في القبور باعمالهم ويحتمل ان يكون رهينة بمعنى راهنة من رهن
الشيء رهونا اذا ثبت ودام فيكون المراد برهاين القبور الاشخاص المقيمة
الثابتة في قبورها فلا يكون الكلام استعارة واضافة صرعى الى الرهاين
من اضافة الصفة الى الموصوف اي رهاين القبور الصرعى تنبيه قال بعض المحققين
النفخة نفختان نفخة تطفي النار ونفخة تشعلها قال تعالى ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
فينفخ اسرافيل نفخة واحدة فتمر على الصور المشتعلة بارواحها سماوية كانت
او ارضية فتطفيها ثم ينفخ نفخة اخرى فتمر على الصور المستعدة للاشتعال
بارواحها فتشتعل بها فاذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور احياء ناطقة
بما ينطقها الله فمن ناطق بالحمد لله ومن ناطق يقول من بعثنا من مرقدنا ومن ناطق
بالحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور وكل ينطق بحسب علمه وحاله
وما كان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيل ان ذلك منام كما يتخيله المستيقظ
من نومه وقد كان عند موته وانتقاله الى البرزخ كالمستيقظ هناك وان
الحيوة كانت له كالمنام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وفي الاخرة يعتقد في
امر الدنيا والبرزخ انه منام في منام وان اليقظة الصحيحة هي هذه التي هو عليها
وكانت كالاولى في اعتقاده في كل موطن من المواطن النوع من النفخة الاولى هي النفخة
الثانية وكانت كالاولى من حالات الحيوة في نشاءة عالية يلزمها الموت عن
نشاءة سافلة انتهى واقتصر عليه السلام على ذكر النفخة الثانية في قوله منبه بالنفخة
صرعى رهاين القبور وميكائيل ذا الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك

اخرج الديلمي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اسم ميكائيل
عبد الله وفيه لغات ميكائيل كميكاعيل وميكال كميعاد وميكاعل وميكئيل كميكعيل
وميكئل كميكعل وبابدال اللام نونا ميكائين كاسرائين روى انه موكل بالارزاق
للاجساد والحكمة والمعرفة للنفوس وله اعوان موكلون على جميع العالم من شانهم
احداث قوة النمو في الاركان والمولدات وغيرها التي بها الوصول الى الغايات
وبلوغ الكمال كملائكة الرياح والسحب والامطار والنبات والحيوان والمعادن فكل
ذلك باعوانه والجاه القدر والمنزلة يقال فلان ذو جاه اي قدر ومن ثم قالوا
وهو مقلوب من الوجه من قولهم وجه الرجل بالضم اي صار وجيها ذا جاه وقدر
الاسم الوجاهة وفي حديث عائشة كان لعلي وجه من الناس حيوة فاطمة قال ابن الاثير
في النهاية اي جاه وعز فقدهما بعدها والمكان الموضع والرفيع اما بمعنى مفعول من رفعه
كمنعه ضد وضعه او بمعنى فاعل من رفع ككرم رفعة بالكسر اي شرف وعلا قدره
فهو رفيع والطاعة لغة الانقياد واصطلاحا موافقة الامر وقيل موافقة الارادة
والمراد بجاهه عنده تعالى كرامته لديه كما قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم وبرفعة
مكانه في طاعته تعالى كمال عبادته له ويحتمل ان يشير بذلك الى ما روي عن
امير المومنين عليه السلام انه قال موذن اهل السموات جبرئيل وامامهم ميكائيل
يؤمهم عند البيت المعمور فان لامامته مكان رفيع في الطاعة لا يوتيها الا ارفع
مكانا واجمع لشرائطها وجبرئيل الامين على وحيك المطاع في اهل سمواتك
المكين لديك المقرب عندك اخرج ابن جرير من طرق عن ابن عباس قال
جبرئيل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه ايل معبد الله واخرج عن عبد الله
بن الحارث قال ايل بالعبرانية وقيل اسم جبرئيل في الملائكة خادم الله قال ابن جني
اصل جبرئيل كبرئيل فغير بالتوسط وطول الاستعمال الى ما ترى وفيه لغات جبرئيل

بكسر الجيم والراء بلا همزة وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همزة وجبرائيل بهمزة بعد الالف
وجبرائيل بيائين بلا همزة وجبرئيل بهمزة وياء بلا الف وجبرئيل مشددة اللام وجبرين
بهمزة وجبرين بالنون مع فتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخرى والمروي منها في الدعاء
اللغة الاولى والخامسة والامين الحافظ لما كلف بحفظه عن تطرق الخلل اليه
ولما كان الوحي النازل بواسطته محفوظا من الخلل هو صدق عليه انه امين عليه والمطاع
في اهل سمواتك اي الملائكة السماويين فانهم يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه كما
ورد في الخبر والمكين فعيل بمعنى مفعل من مكين مكانة كضخم ضخامة عظم عنده
وارتفع فهو مكين والمقرب قريب منزلة ورتبة لا قربا مكانيا والعندية عندية
اكرام وتشريف لا عندية مكان لتنزهه تعالى عن المكان لكنه عبر بذلك تنزيلا
له لكرامته عليه وزلفاه عنده منزلة المقرب عند الملك بطريق التمثيل وفي هذه
الصفات تلميح الى قوله تعالى في وصفه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرئيل ما احسن
ما اثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فما كانت قوتك
وما كانت امانتك فقال اما قوتي فاني بعثت الى مدائن لوط وهي اربع مدائن
في كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى
سمع اهل السموات اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما السموات
امانتي فاني لم اؤمر بشيء فعدوته الى غيره تنبيه قد يقال في تقديم ميكائيل
في الذكر دلالة على انه افضل من جبرئيل لكن يعارضه تقديم الله تعالى جبرئيل
في الذكر في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبرئيل وميكائيل فان الله
عدو للكافرين والاخبار في ذلك متعارضة اخرج الحكيم الترمذي في نوادر
الاصول عن زيد بن رفيع قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل

وميكائيل

وهو غضبان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل ايكما اكبر فقال
جبرئيل اكبر قال الترمذي اي اول ميكائيل فانه اكبر واخرج الطبراني عن
ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا اخبركم بافضل
الملائكة جبرئيل والله اعلم والروح الذي هو على ملائكة الحجب الروح
هنا اما اسم ملك موكل على ملائكة الحجب وصفه له على ان الملائكة كلها
ارواح ويؤيده كونه صفة ما روي عن الربيع بن انس ان الملك الموكل بالحجب يقال
له ميطاطروس والحجب جمع حجاب وهو الستر والاصل فيه جسم حائل بين
جسدين واستعمل في المعاني فقيل العجز حجاب بين الانسان ومراده والمعصية
حجاب بين العبد وربه والمراد بالحجب هنا ما فوق السموات من الانوار والكلمات
وغيرها التي حجبت عن تعلق علوم المخلوقين بما وراءها فقيل ان ما فوق
السماء السابعة صحارى من نور لا يعلم ما فوق ذلك الا الله تعالى وعن وهب بن
منبه فوق السموات حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضا لكثرتهم يسبحون
الله بلغات مختلفة واصوات كالرعد القاصف وروى رئيس المحدثين في
سرعة باسناده عن وهب قال سئل امير المؤمنين صلوات الله عليه عن الحجب فقال
اول الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وبين كل حجابين مسيرة
خمسمائة عام والحجاب الثاني سبعون الف ملك قوة كل ملك منها قوة الثقلين
منها ظلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحاب ومنها برق ومنها
رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها انهار وهي
حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة الف عام ثم سرادقات الجلال وهي ستون
سرادقا في كل سرادق سبعون الف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة
عام ثم سرادق العز ثم النور الابيض الفخر ثم سرادق الكبرياء ثم سرادق
العظمة ثم سرادق القدس ثم سرادق الجبروت ثم سرادق الفخر ثم النور الابيض

ثم سرادق الوحدانية وهو مسيرة سبعين الف عام ثم الحجاب الاعلى وانقضى
كلامه وسكت عليه السلام فقال عمر لا بقيت ليوم لا اراك فيه يا ابا الحسن قال ابن
الفارسي ما هذه الحجب مضروبة على العظمة العليا من خلق الله تعالى التي لا يقدر
قدرها وليست مضروبة على الله تعالى لانه سبحانه لا يوصف بمكان ولا بانه
مستتر بحجاب **قلت** وقد اشار امير المؤمنين عليه السلام الى هذه الحجب والسرادقات
في خطبته في صفة الملائكة عليهم السلام حيث قال وبين فجوات تلك الفروج
زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد وفي الحديث
المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله تعالى سبعين الف حجاب من نور
وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره وللعلماء في تاويل
هذا الحديث كلام طويل وجملة ان الحجاب في حقه تعالى لا يمكن فرضه الا بالنسبة
الى العبد وتحقيق الحجاب ان الطالب له مقامات كل منها حجاب له قبل الوصول اليه
ومراتب المقامات غير متناهية فتكون مراتب الحجب ايضا غير متناهية وحصرها
في سبعين الفا لا يدرك الا بنور النبوة والمراد بالسبعين معنى الكثرة فان السبعين
جار مجرى المثل في الكثرة **والروح الذي هو من امرك** يحتمل ان يكون المراد بالامر هنا الشان
والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه ونبه على تشريف المضاف
ما لا يخفى اي الروح الذي هو من جنس ما استاثرت بعلمه من الاسرار الحقيقية التي لا
يكاد يحوم حولها عقول البشر ويحتمل ان يكون المراد به عالم الامر المقابل لعالم الخلق
المعبر عنهما بعالم الغيب والشهادة والملكوت والملك فعالم الامر هو الاوليات
العظام المخلوقة للبقاء من غير مادة واصل من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش
والكرسي والجنة والنار وسمي بعالم الامر لان الله عز وجل اوجده بامره لا من شيء
وعالم الخلق لانه تعالى خلقه من شيء له مساحة وتقدير اذ كان الخلق بمعنى المساحة
والتقدير فالمعنى الروح الروح الذي هو من ابداعاتك الكائنة من عالم الامر بحيث لا

التكوين

التكوين من غير حصول مادة وتولد من اصل وليس هذا من قبيل قوله سبحانه
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة
التكوين سواء كان الكائن من عالم الامر او من عالم الخلق ويدل على هذا المعنى
ما رواه ابو جعفر الصفار في بصائر الدرجات باسناده عن ابي بصير قال سالت
ابا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي
قال خلق اعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وهو مع الائمة وهو من الملكوت فقوله عليه السلام وهو من الملكوت
ظاهر في انه تفسير للامر وباسناده عن ابي الصباح الكناني قال قلت لابي عبد الله
عليه السلام وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال خلق والله اعظم من جبرئيل
وميكائيل وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع
الائمة من بعده وباسناده عن علي بن اسباط قال ساله رجل من اهل هيت
وانا حاضر عن قول الله عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فقال
منذ انزل الله ذلك الروح على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما صعد الى السماء
وانه لفينا وباسناده عن سعد الاسكاف قال اتى رجل علي بن ابي طالب عليه السلام
يساله عن الروح اليس هو جبرئيل فقال له علي عليه السلام جبرئيل من الملائكة والروح غير
جبرئيل فقال له لقد قلت عظيما من القول ما احد يزعم ان الروح غير جبرئيل
فقال له علي عليه السلام انك ضال تروي عن اهل الضلال يقول الله تبارك وتعالى
لنبيه عليه السلام اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة
بالروح والروح غير جبرئيل وروي عنه عليه السلام ان له سبعين الف وجه لكل
وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات
كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيمة ولم يخلق الله

خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلع السموات السبع والارضين السبع
بلقمة واحدة لفعل فسبحان من هو على كل شيء قدير **فصلّ عليهم** حتى قوله وحملة
عرشك والفاء اما زائدة عند من يجيز زيادتها في الخبر وهو الاخفش مطلقا والفراء
والاعلم وجماعة ان كان امرا او نهيا او هي جواب لاما مقدرة قال الرضي وقد تحذف
اما لكثرة الاستعمال نحو قوله تعالى وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وهذا
فليذوقوه وبذلك فليفرحوا وانما يطرد ذلك اذا كان ما بعد الفاء امرا او نهيا
وما قبلها منصوبا به او بمفسر به انتهى لا يقال ما قبل الفاء هنا ليس منصوبا
بما بعدها بل هو مرفوع على الابتداء لانا نقول هو في حكم المنصوب بما اذ هو مفعول
في المعنى ولولا تعلق الجار به لنصب به الا ترى ان الافعال اللازمة المعداة
بحرف جر اذا نزع الجار منها نصبت ما كان مجرورا نحو ذهبت الشام وتسميتهم نحو
ذلك منصوبا بنزع الخافض تسامح قال ابن هشام سقوط الخافض لا يقتضي النصب
من حيث سقوط الخافض بل من حيث ان العامل الذي كان الجار متعلقا به لما زال
الجار من اللفظ ظهر اثره لزوال ما كان يعارضه فاذا لم يكن في الكلام ما يقتضي النصب
من فعل او شبهه لم يجز النصب انتهى وقول بعضهم ان الفاء فصيحة خبط صريح **وعلى
الملائكة الذين من دونهم من سكان سمواتك واهل الامانة على رسالاتك**
من دونهم اي من تحتهم مقدارا ومكانا روي عن النبي صلى الله عليه وآله ان الله
خلق الله السماء الدنيا فجعلها سقفا محفوظا وجعل فيها حرسا شديدا وشهبا وسكنها
من الملائكة اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع في صورة البقر مثل عدد النجوم
لا يفترون من التسبيح والتهليل والتكبير واما السماء الثانية فسكانها عدد
القطر في صورة العقبان لا يسأمون ولا يفترون ولا ينامون منها يشق
السحاب حتى يخرج من تحت الخافقين فينشر في حق السماء معه ملائكة يصرفونه

حيث امروا به اصواتهم التسبيح وتسبيحهم تخويف واما السماء الثالثة
فسكانها عدد الرمل في صورة الناس يجأرون الى الله الليل والنهار واما
السماء الرابعة فسكانها عدد اوراق الشجر صافون مناكبهم في صورة الحور
العين من بين راكع وساجد تبرق سبحات وجوههم ما بين السموات السبع
والارض السابعة واما السماء الخامسة فان عددها يضعف على سائر الخلق
في صور البشر منهم الكرام البررة والعلماء السفرة واما السماء السادسة
فحزب الله الغالب وجنده الاعظم في صورة الخيل المسومة واما السماء
السابعة ففيها الملائكة المقربون الذين يرفعون الاعمال في بطون الصحف
ويحفظون الحسنات ومنها حملة العرش الكروبيون وعن ابي ذر رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اطت السماء وحق لها
ان تئط ما عليها موضع اربعة اصابع الا وعليه ملك واضع جبهته وعن
جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما
في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قائم او ملك
ساجد فاذا كان يوم القيمة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك
الا انا لم نشرك بك شيئا ومن خطبة لامير المؤمنين عليه السلام وليس في اطباق
السموات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون
على طول الطاعة بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما **قوله** عليه السلام واهل
الامانة على رسالاتك يحتمل ان يكون معطوفا على الملائكة وان يكون معطوفا
على اهل سمواتك والمراد بهم الذين جعلهم الله وسائط بينه وبين رسله
في تادية خطابه الكريم اليهم وسر هذا التوسط ان المخاطبة تقتضي مناسبة
بين المتخاطبين فاقتضت الحكمة توسط الملك ليستلقف الوحي بوجهه الذي في عالم

الملكوت والقدرة من الله سبحانه للعفاء روحانيا او من اللوح المحفوظ ويلقيه
بوجهه الذي في عالم الملك والحكمة الى النبي عليه السلام لان من خواص الملك
ان يتمثل للبشر ويرى محسوسا فربما ينزل الملك الى الصورة البشرية وربما
يترقى النبي عليه السلام الى الرتبة الملكية ويتعرى عن الكسوة البشرية فيأخذ
عنه الوحي ولما كان ذو الامانة هو الحافظ هو الحافظ لما اؤتمن عليه ليؤديه
الى مستحقه وكانت الرسالات النازلة بواسطة الملائكة نازلة كما هي
محفوظة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم موصوفات السهو هناك او عن عمد لعدم
الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون صدق
انهم اهل الامانة على رسالاته تعالى والذين لا تدخلهم سآمة من دؤوب ولا اعياء
من لغوب ولا فتور السآمة كراهة الملل اي لا يدخل اليهم ولا يعتريهم ملل من احل
دؤوب اي اجتهاد وجد في العمل ولا اعياء اي تعب يقال اعياني كذا بالالف اعياء
فاعييت انا يستعمل لازما ومتعديا واعيا في مشيه فهو معي تقول وما اعييت
كرضيت فهو نادر الخ بالكسر وهو الحصر في المنطق واللغوب الكلال والفتور الانكسار
والضعف وهو مروي بالجر عطفا على لغوب وبالضم عطفا على اعياء والتصريح بنفيه
مع استلزام ما قبله له لبيان العز في انتفاء كل منهما وتنكير كل من هذه الاحوال للدلالة
على ان لا يدخلهم شيء من ذلك ولا حالة منه في الجملة وقد سبق بيان وجه انتفاء
ذلك عنهم فحصر من الكلام على هذا الدعاء فليرجع اليه ولا تشغلهم عن تسبيحك
الشهوات ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الشهوات جمع شهوة وهي حركة
النفس طلبا للملائم قيل وهي ضربان محمودة ومذمومة فالمحمودة من فعل الله تعالى
وهي قوة جعلت في النفس لتنبعث بها النفس لتنبيل ما نظن ان فيه صلاح البدن
والمذمومة من فعل البشر وهي استجابة النفس الى مقتضى طلبها من اللذات البدنية

الى حد الخروج عن حدود الشريعة والهوى هو هذه الشهوة وهي بقسميها منفية عن الملائكة
عند الفلاسفة اذ كانت من لوازم النفس الحيوانية وهي غير متصورة فيهم وذهب
جمهور الامامية والمعتزلة ان لهم شهوات لكنهم قاهرون لانفسهم عن اتباعها قال الشريف
المرتضى رضي الله عنه عن نعلم على الجملة ان الملائكة اذا كانوا مكلفين فلا بد
ان يكون عليهم مشاق في تكليفهم لولا ذلك ما استحقوا ثوابا على طاعاتهم والمتكلف انما
يحسن في كل مكلف تعريضا للثواب في لا يكون التكليف عليهم شاقا الا وبكون لهم شهوات
فيما حظر عليهم ونفار عما وجب عليهم انتهى وقطعه عن الشيء حبسه ومنعه و
التعظيم الاجلال والتوقير والسهو عدم التفطن للشيء مع بقاء صورته او
معناه في الخيال والذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها والغفلة
عدم خطور الشيء في البال بالفعل فهي اعم من السهو قيل ولما كان ذلك من لوازم القوى
الانسانية كان مسلوبا عن الملائكة عليهم السلام الخشع الابصار فلا يرومون النظر
اليك النواكس الاذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك الخشع جمع خاشع كركع
جمع راكع طلبه وخشوع ابصارهم اما على حقيقته بناء على القول بانهم اجسام وفي
الجملة انهم لا يستطيعون ان يرفعوا ابصارهم من شعاع النور او هو كناية عن كمال
خشيتهم الله تعالى واعترافهم بقصور ابصار عقولهم عن ادراك ما وراء كمالاتهم المفروضة
لهم مع ضعفها عما لا تحتمله من انوار الله وعظمته في خلقه وما فوقه من بيد عاته
فان شعاع ابصارهم منه واقف محجوب عنه الله تقدس وتعالى فلا يطلبون النظر اليه
سبحانه والنواكس جمع ناكس من نكس راسه اذا طاطاه وهو جمع شاذ لا يقاس عليه
لان فواعل انما هو جمع فاعلة مثل ضاربة وضوارب او جمع فاعل اذا كان صفة
للمؤنث مثل حائض وحوائض او كان لما لا يعقل كجبل بازل وبوازل وحائط و
حوائط فاما مذكر من يعقل فلم يجمع عليه الا فوارس ونواكس وهوالك والادفان جمع

ذقن بفتحتين ككتب اسباب وهو جمع قلة استعمل في الكثرة اتكالا على القرينة وجمع الكثرة
ذقون كاسد واسود وهو مجتمع اللحيين من اسفلهما ونكسه كناية عن نكس الراس استرامة
له وهو هنا اما على حقيقته ايضا او كناية عن كمال خضوعهم وانقيادهم تحت سلطان
تعالى المشاهد في صورة عرشه وملكوته وكنى بطول رغبتهم عن دوامها وثبوتها
اذ كانت رغبتهم وشوقهم الى كمال ذواتهم من معرفته التامة وكمال المحبة له سبحانه دائمة
ثابتة لا تنقطع لان انقطاع الرغبة في الشيء انما هو بانقطاع مادتها او مادة دواعيها اما
دواعي المعرفة وسوقها وهي ما تنقطع باستيلاء الملال والكلال على النفس وطلبها
وتصورها لنيله وانقطاع امالها باليأس منه او بنيله وسادة رغبتهم فيما عنده
بريئة عن القواطع اما عن ذواتهم فلان الملال والكلال من عوارض المركبات العنصرية
واما عن مطلوبهم فلانه كمال معرفته تعالى بعد تصورهم كمال ذلك المطلوب وقد
علمت ان درجات الوصول الى معرفته تعالى غير متناهية لا جرم مدحهم بطول رغبتهم
فيما لديه ليستلزم ذلك سلب انقطاع عبادتهم له عز وجل المستهترون بذكرك
والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك المستهتر بفتح العين المولع
بالشيء لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره وفي الحديث سبق المفردون قالوا وما
المفردون قال المستهترون بذكر الله وقد استهتر بكذا على ما لم يسم فاعله وفي نسخة
ضبط بكسر العين ولم ينص عليه اهل اللغة واشتقاقه من الهتر بالفتح وهو خرق
العرض والشتم لان المولع بالشيء لا يبالي بما قيل فيه وشتم له او من الهتر بالضم
وهو ذهاب العقل من مرض او حزن قال الزمخشري في الفائق استهتر فلان اذا
ذهب عقله بالشيء وانصرفت همه اليه حتى اكثر القول فيه واولع به فلا اله
النعم لا جمع الى وقد تقدم الكلام عليه في الروضة الاولى وهو كناية عن دوام شكرهم
له تعالى وتعداد نعمه اذ كان لكل منهم مرتبة معينة من الكمالات العلم والقدرة لا تنيل اليها

مزدونه

زدونه وكل ما كانت نعم الله عليه اكمل واتم كان شكره اعلى وطاعته اوفى
والتواضع الخشوع والذل لله تعالى وعظمته تعالى عبارة عن علو شانه وجلالة
قدره وكمال شرفه وشدة غنائه عن الخلق ونهاية افتقارهم اليه في الوجود والبقاء
والكمال الى غير ذلك مما لا يحيط به العقول وليست عظمته مقدارية ولا عددية
لتنزهه عن المقدار والمقداريات والكم والكميات والجلال العظمة
والكبرياء الشرف والرفعة والتجبر والملك وقيل هي عبارة عن كمال الذات
وكمال الوجود ولا يوصف بها الا الله تعالى وتواضعهم دون عظمته وجلال
كبريائه عبارة عن اعترافهم بذل الحاجة والامكان والنقص في وجوده و
ووجوده ولا نهايات تحت عظمته وكماله والذين يقولون اذا نظروا الى جهنم
تزفر على اهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حق عبادتك جهنم اعاذنا الله منها
اسم لنار الآخرة قيل اسم عربي سميت نار الآخرة بها لبعد قعرها ومنه قولهم
ركية جهنام وجهنم اذا كانت بعيدة القعر ولم يصرف للتعريف و
التأنيث وقيل اشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ يقال جهم الوجه اي غليظه
فسميت جهنم لغلظ امرها في العذاب وقيل هي عجمية وعدم الصرف
للعجمة والتعريف وقيل هي تعريب كهنام بالعبرانية وتزفر جملة في
محل النصب على الحال من جهنم يقال زفر يزفر من باب ضرب زفرا وزفيرا
اخرج نفسه بعد مدة اياه والزفير اول صوت الحمار والشهيق في الصدر
وقال الفارابي في ديوان الادب والزفير انين الحزين والمراد بزفيرها
صوت التهابها المنكر الفظيع تشبيها بصوت المتغيظ وزفيره قال تعالى اذا رأتهم
من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ روي ان جهنم تزفر
زفرة لا يبقى احد الا ترعد فرائصه حتى ان ابراهيم عليه السلام يجثو على ركبتيه

ويقول نفسي نفسي والمعصية ترك الانقياد وفي اضافتها اليه سبحانه تعظيم لامرها
وايذان باستحقاق اهلها ان تزفر عليهم جهنم غيظا او غضبا وسبحانك منصوب
على المصدرية قيل هو اسم مصدر وقع موقع المصدر وهو التسبيح بمعنى التنزيه
وقيل هو مصدر كالغفران وهو غير متصرف اي لا يستعمل الا محذوف الفعل
منصوبا على المصدرية ولا يكاد يستعمل الا مضافا واذا استعمل غير مضاف كان
علما للتسبيح غير مصروف للعلمية والالف والنون المزيدتين كعثمان علما
لرجل فان العلمية كما تجري في الاعيان تجري في المعاني والمعنى على الاول
نسبحك تسبيحا عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها عدم
عبادتنا لك حق عبادتك وعلى ابدالك نسبحك تسبيحا ناشئا عن كمال الاعتراف و
الايقان بالعجز عما يليق بمقامك الاعلى من العبادة وعلى الثاني تنزهت عن
ذلك تنزها ناشئا عن ذاتك ولا يبعد ان يحمل على التعجب لانه قيل ما اعظم
من له هذه القدرة والتنزه عن جميع النقايص فلا يكون خلقه لجهنم وتغيظها
على اهل معصيته الا حكمة وصوابا او تعجب من حال اهل معصيته كيف عصوا
من هو قادر على ذلك فاستحقوا هذا النوع من الانتقام كانه قيل ما ابعد من عقابه
وانتقامه بهذه المثابة عن ان يرتكب مخلوق معصيته وافادة هذه اللفظ
للتعجب سيأتي بيانه في الروضة الثالثة عشرة ان شاء الله تعالى وحق عبادتك
منصوب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر المضاف اليه اي عبادة
الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه
اي ما عبدناك العبادة التي هي حق لك وتليق بعظمتك وانما قالوا ذلك
حين نظرهم الى جهنم حالة زفيرها لما شاهدوا من شدة اثار قهره
تعالى فاحتقروا عبادتهم وراوها قاصرة عما يجب لجلاله عز وجل

حين

حين قوله والذين لا تدخلهم سآمة من دؤوب كما يدل عليه رفع الصفات
وقوله الخشع الابصار وانس الاذقان والمستهترون والمتواضعون
ويجوز ان يكون معطوفا على ما قبله من المجرور ويكون رفع الصفات على القطع
على المدح فالفاء في فصل عليهم حينئذ فصيحة اي اذا كان من هذه الصفات فصل
عليهم صلاة تخصهم اذا كانت الصلاة الاولى بالتبع وعلى الروحانيين من
ملائكتك واهل الزلفة عندك في الروحانيين لغتان ضم الراء وفتحها والموجود
في النسخ هنا بفتح الراء فقط قال الحليمي والبيهقي والقونوي اما الضم فلانهم
ارواح ليس معها ماء ولا نار ولا تراب ومن قال هذا قال الروح جوهر
وقد يجوز ان يولف الله ارواحا فيجعلها ويخلق منها خلقا ناطقا عاقلا
فيكون الروح مخترعا والتجسيم والنطق والعقل ايجادا ثانيا من بعده ويجوز
ان تكون اجسام الملائكة على ما هي عليه اليوم مخترعة كما اخترع عيسى و
ناقة صالح عليهما السلام واما الفتح فمعناه انهم ليسوا محصورين في الابنية
والظلل ولكنهم في فسحة وبسط انتهى وقال ابن الاثير في النهاية ما معناه
الملائكة الروحانيون يروى بضم الراء من الروح الذي يقوم الجسد و
بفتحها لانه نسب الى الروح بالفتح وهو نسيم الريح والالف والنون
من زيادات النسب يريد انها اجسام لطيفة لا يدركها البصر انتهى و
قال الشهرستاني روحاني بالرفع من الروح وروحاني بالنصب من الروح
والروح والروح متقاربان وكان الروح جوهر والروح حالته الخاصة
به انتهى وقيل ان الروحانيين بالفتح هم ملائكة الرحمة فيكون نسبة
الى الروح بمعنى الرحمة اخرج البيهقي في شعب الايمان عن علي ابن ابي طالب
عليه السلام قال ان في السماء السابعة حظيرة يقال لها حظيرة القدس

فهنا للملائكة فيقال لهم الروحانيون فاذا كان ليلة القدر استاذنوا ربهم في النزول
الى الدنيا فياذن لهم فلا يمرون على مسجد يصلى فيه ولا يستقبلون احدا في طريق
الا دعوا له فاصابه منهم بركة والزلفة بالضم القرب وفي التقديم كان الفوق المراد بهم
الملائكة المقربون وليس المراد بالقرب القرب المكاني لتنزهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة
والرتبة منه وهم الذين علمهم بجلاله اكثر وخوفهم وخشيتهم له اشد ومن كان
كذلك كان ادنى منزلة عنده واقرب مرتبة لديه ويقال لهم الكروبيون من كرب اذا
قرب روى ابو جعفر الصفار في كتاب بصائر الدرجات عن ابي عبد الله ع قال
ان الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الاول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور
واحد منهم على اهل الارض لكفاهم ثم قال ان موسى عليه السلام لما ان سال ربه ما سال امر
رجلا من الكروبيين فتجلى للجبل فجعله دكا وسئل ابو الخطاب بن دحية عن الكروبيين
هل يعرف في اللغة ام لا فقال الكروبيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم
المقربون من كرب اذا قرب قال الزمخشري في ربيع الابرار في الكروبي ثلاث مبالغات
الكروب ابلغ من القرب واقصر مسافة تقول كرب الشمس ان تغرب اي كادت وفعول
بناء مبالغة وياء النسب التي في الاحمري وحمال الغيب الى رسلك والمؤمنين على خلقه
الحمال بضم اوله وتشديد ثانيه جمع كثرة لحامل كحامل وحمال والغيب اما مصدر
وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل
خفف كلين في هين وميت في ميت لكن قيل لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل
في نظائره واياما كان فهو غائب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك
بواحد منهما بطريق البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد
بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كوجود الصانع
وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرايع والاحكام والاخبار عن اليوم الآخر

١٥٧

واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء والمراد به هنا ما اوحاه تعالى
الى رسله في انبيائه من الوحي وافاضه عليهم بواسطة الملائكة وقد عرفت
السر في هذه الوساطة فيما تقدم قريبا ولعل المراد بالمؤمنين على الوحي
هنا من اوحى الله تعالى اليه من ملائكته وائتمنه على اسرار وحيه وهم غير الوسايط
بينه تعالى وبين رسله اذ قد سبق ذكر اهل الامانة على رسالاته الذين هم
الوسايط ليكون المراد بالمؤمنين على الوحي هنا غيرهم تفاديا عن التكرار
والله اعلم وقبايل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك واغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك
واسكنتهم بطون اطباق سماواتك القبايل في الاصل الراس وهي قطع المتصل بعضها
ببعض ومنه قبايل العرب الواحدة قبيلة وهم بنو اب واحد والملكات
الملائكة من عالم واحد اطلق على طوائفهم لفظ القبايل كانهم بنو اب واحد
ويحتمل ان يراد بالقبايل هنا جمع قبيلة لغة في القبيل وهو الجماعة
ثلثة فصاعدا سواء كانوا بني اب واحد ومن نحو واحد او من قوم شتى وخصصت
فلان فلانا جعله خاصته وقربه منه حتى انه يضاف اليه وقوله لنفسك
اي صرفت جميع هممهم الى طاعتك وعبادتك حتى لا يشتغلوا بغيرها اهلكتهم وكلفتهم
بدوا ويحتمل ان يكون من باب التمثيل مثل حالهم بحال من يراه بعض الملوك اهلا للتقرب
والتكرم بحضرته فيختصه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا
يسمع الا باذنه ولا يأتمن على مكنون سره سواه وذكر النفس لكونها ادخل في
الاختصاص واغنيتهم بكذا عن غيره كفيتهم به فاستغنى وعن كرفي عناه بالفتح والمد
الكفي والاسم الغنية بالضم والطعام اسم لما يؤكل كالشراب اسم لما يشرب هذا
اذا اجتمعا واما اذا انفرد الطعام فقد يطلق عليهما جميعا ايضا قال ابن فارس
في المجمل وغيره من اهل اللغة الطعام يقع على كل ما يطعم حتى الماء قال الله تعالى ومن لم يطعمه

١٥٧

منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زمزم
انها طعام طعم وشفاء سقم اي يشبع منه يقال طعام طعم بالضم اي يشبع
من أكله والمعنى اعطيتهم قوة الطاعين والشاربين بذكرك الذي يقيد سويك
به وينزهونك عما لا يليق بمقدس جنابك وفي الحيوان ان الله تعالى خلق الملائكة
صمدا ليس لهم جوف والبطون جمع بطن وهو خلاف الظهر وجوف كل شيء
والاطباق طبق بفتحتين كسبب واسباب فيجمع على طباق ايضا كجبل وجبال قال
تعالى خلق سبع سموات طباقا اي طبقة فوق طبقة والاصل في الطبق غطاء الشيء
الذي يكون على مقداره مطبقا له من جميع جوانبه فكان كل سماء طبق للاخرى
وبطون اطباقها اشارة الى ما بين السموات كما قال امير المؤمنين عليه السلام في
خطبة له ثم فتق ما بين السموات العلى فملأهن اطوارا من ملائكته واعلم ان
اسكان السموات على نوعين احدهما الارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها
بالتحريك والادارة باذن الله تعالى والثاني الارواح المبرأة عن تدبير الاجسام
المستغرقة في جمال حضرة الربوبية وجلالها على تفاوت مراتبهم قال بعض الحكماء
ان لم يكن في فضاء السموات وسعة الافلاك سكان كيف يليق بحكمة الباري
تركها فارغة خاوية مع شرف جوهرها وهو لم يترك قعور البحار اللجية المظلمة فارغة
حتى خلق فيها انواع الحيوانات وكذلك ما ترك جو الهواء الرقيق حتى خلق له
انواع الطير يسبح فيه كما يسبح السمك في الماء ولم يترك البراري اليابسة والآجام
الوحلة والجبال الراسية حتى خلق فيها انواع السباع والوحوش ولم يترك ظلمات
التراب حتى خلق فيها انواع الهوام والحشرات والله عليم حكيم والذين على ارجائها
اذا نزل الامر بتمام وعدلك الارجاء جمع رجاء مقصورا وهو ناحية الموضع
فاصلها الواو لانه يثنى على رجوين وفي المثل لا يرمى به الرجوان يضرب لمن لا

جمع

١٥٨

يخلع فيترك عن وجه لي وجه واصله الدلو يرمى بها رجوا البئر والضمير في
ارجائها عايد الى السموات اي الذين يصيرون او يقفون على جوانب السموات
وحافاتها لتعيين نزول الامر والحكم وبانجازها وعد سبحانه من قيام الساعة فتنشق
السماء فتعدل الملائكة عن مواضع الشق الى جوانب السماء كما قال تعالى فيومئذ
وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها
ولعل المراد بهم المستثنون عن الصعق في قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق
من في السموات الا ما شاء الله والا فسائر الملائكة يموتون وقال
بعضهم في النفخة الاولى فكيف يقفون على ارجاء السماء او لعلهم يقفون لحظة
ثم يموتون وقال بعضهم المراد بالملائكة الذين على ارجائها المحركون للسماء
الحركة الدورية المانعة عن الانشقاق المتوقف على الحركة المستقيمة كانهم
اذا صاروا على ارجائها لم يتولهم تحريك فامكن تحريك المنع بالقسر على
الاستقامة فلا يمتنع انشقاقها وخزان المطر وزواجر السحاب الخزان
جمع خازن من خزنت المال من باب قتل خزنا اذا وضعته في الخزانة وهي ما يحفظ
فيه نفائس الاموال شبه الملائكة الموكلين بالمطر بالجماعة الذين يحفظون
خزائن الاموال ويخرجون منها ما امروا باخراجه فذكر الخزان على طريقة
الاستعارة التخييلية اخرج ابن حبان عن علي بن ابي طالب عليه السلام قال لم
تنزل قطرة من ماء الا بكيل على يدي ملك الا يوم نوح فانه اذن للماء دون
الخزان فطغا الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى انا لما طغا الماء والزواجر جمع
زاجرة اي للملائكة الذين يزجرون السحاب من زجر الابل يزجرها من باب
قتل اذا حثها وحملها على السرعة والاصل في الزجر المنع يقال زجرته
عن كذا اي منعته وانما قيل لحث الابل وسوقها زجر لان الزاجر لها يمنعها

عن البطون في السير والتوالي في الشيء وعن ابن عباس في قوله والى اجرات زجرا
قال بعض الملائكة الموكلين بالسحاب فالذين يصوت زجره يسمع رجل من نحو ويسمع
به حقيقة السحاب المتعب الصوت كيفية تحدث في الهواء من قلع او قرع فيحملها صواعق البروق
الى الصماخ والرحل مفتجين اختلاف الاصوات والصوت الرفيع العالي والرعود جمع
رعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب يسمى باسم الملك المصوت به الذي
هو موكل بالسحاب كما ورد في اخبار كثيرة من طرق الخاصة والعامة اخرج غير
غير واحد عن ابن عباس قال اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه واله
فقالت اخبرنا ما هذا الرعد قال ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده
مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث امر الله قالوا فما هذا الصوت
الذي يسمع قال صوته قالوا صدقت وعنه ان ملك من الملائكة اسمه الرعد
وهو الذي تسمعون صوته وفي رواية بمنزلة الرحل يكون للابل يزجرها
هادها كهيئة ذلك وسحب الفرس دوي تسمع من بابه منع مدت يديها
في الجري كانها تسبح بهما والخيفقة بالخاء المهملة فعيلة من خفق الفرس خفيفا
اذا سمع دوي جوفه او صوت جريه عند الركض وفيه استعارة تخييلية
من تشبيه القطعة من السحاب التي يسمع لها دوي عند مرورها بالفرس الذي
يسمع دوي جوفه عند ركضه ثم قرنها بما يلائم المستعار منه من السبح يقال
فرس سابح وسبوح وفي نسخة ابن ادريس خنيفة بالخاء المعجمة والفاء بعد القاف
بعد المثناة التحتية وهي فعيلة بمعنى مفعولة من خفقه اذا ضربه بالدرة
اي مضروبة السحاب التي ضربها الملك بمخراقه والباء في بها للسببية والصواعق
الى صوت زجره وقيل بعضهم الخفيقة احدى خوافق السماء وهي الجهات التي تهب
منها الرياح كما ربع ولا وجه له على ان واحدة الخوافق خافقة لا خفيقة حتى يقال

لا خوافق

لا خوافق واللمعت او اضاءت وهو افتعال من اللمع يقال لمع البرق كمنع لمعا
ولمعانا تحركه اضاءه ولا تمع دون الالتماع زيادة في المعنى كانهما اجتهدت في
بالغت في اللمعان والصواعق جمع صاعقة وهي نار تحدث من حركة سوط الملك
كما في الحديث وقيل هي قصفة الرعد الشديد من السحاب تخرج منه نار لا تحرق
لا تقع على شيء الا اتت عليه وبناؤها اما ان يكون لقصفة الرعد فالتاء للتأنيث
وللرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية وهي مصدر كالعافية والبروق جمع برق
وهو سوط من نار يزجر به الملك السحاب وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم سئل عن منشاء السحاب فقال ان ملكا موكلا بالسحاب
يلم القاصية ويلحم الدانية في يده مخراق فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت
واذا ضرب صعقت تبصرة قال بعض الطبيعيين ان سبب البرق والرعد ان البخار
الممتزج بالدخان الصاعد من الارض اذا وصل الطبقة الزمهريرية حبس فيما
بين السحاب فما صعد الى العلو لحرارة لطافته ويبسه او هبط الى السفل
لتكاثفه بالبرد الشديد الواصل اليه من السحاب صاعدا وهابطا
تمزيقا عنيفا فيحصل صوت هائل وهو الرعد وتشتعل الدخان بالتسخين
القوي الحاصل من الحركة الشديدة والمصاكة العنيفة فان كان لطيفا انطفى
بسرعة كان برقا ويرى قبل الرعد لان الصوت لا بد له من حركة الهواء وقلة
دفعته فيحتاج الى زمان ولا كذلك الرؤية ولذلك نرى حركة يد القصار
قبل سماع الدق بزمان وان كان كثيفا لا ينطفي بسرعة بل يصل الى الارض
كان صاعقة وربما صار لطيفا بحيث ينفذ في المتخلخل ولا يحرقه ويذيب
المندمج فيذيب الذهب في الكيس دون ان يحرقه الا ما احترق من الذائب
وربما كان كثيفا غليظا جدا فيحرق كل شيء اصابه وكثيرا ما يقع على الجبل فيدكه

دكا وقال بعضهم ان السحاب فيه كثافة بالنسبة الى الهواء والماء واذا هبت
ريح قوية تخرقه بعنف فيحدث صوت الرعد وتخرج منه النار المصادمة
العنيفة بينهما كما تخرج من ضربات الحديد على الحجر وهو البرق او الصاعقة على
ما مر قال بعض اصحاب العارفين اعلى ان الانسان عند نظره الى حدوث الاشياء
بعد انعقاد السحاب في الرعد والبرق وكان قد قرع سمعه من طريق الشرع ان
ملكا يزجر السحاب ويسوقه الى مواضع ويضربه بسوط ليمطر وان الرعد
صوت زجره اي صوته والبرق نار تحدث من حركة سوطه وكان له روية
قلبية وبصيرة باطنية علم يقينا ان ما ورد في هذا الباب حق وصدق وان ما يقوله
الطبيعيون تخمينات لا تغني من الحق شيئا **وتشييع الثلج والبرد والهابطين مع**
قطر المطر والنزل التشييع اسم فاعل من التشييع قال صاحب المحكم شيعه وشايعه
كلاهما خرج معه ليودعه ويبلغه منزلة وقيل هو ان يخرج معه يريد صحبته
وايناسه الى موضع ما انتهى والمراد بهم هنا المنازلون مع الثلج والبرد ليبلغوهما
حيث امر الله تعالى قال بعض الطبيعيين هما ما تصاعد من الابخرة الى كسرة الزمهرير
ليكون سطرا فيتعاكس عليه الثلج البارد فينعقد ويسقط في البلاد البعيدة
عن الشمس اما كالدقيق ويختص باسم الثلج او كالبنادق ويعرف بالبرد اصطلاحا
وقال بعضهم ان الشمس وغيرها من القوى الفلكية اذا اثرت في الارض خرج منها
ابخرة متصاعدة الى الكثرة الزمهريرية التي لا يصل اليها اثر شعاع الشمس المنعكس
من وجه الارض وهي منشاء السحب وما يتعلق بها من الصواعق والبرق والرعد ونحوها
فاذا وصلت تلك الابخرة الى هذه الطبقة تكاثفت بالبرد وتصير سحابا فاما
ان لا يكون البرد قويا فتتقاطر ويكون قويا فان اثر في الاجزاء المائية قبل
اجتماعها حصل الثلج وان اثر بعده حصل البرد وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينجمد

ينعقد

١٦٠

وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج او البرد هذا ما عليه الطبيعيون والذي
يدل عليه ظاهر قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد خلقها الله تعالى
فيها كما خلق في الارض جبالا من حجر وهو الذي عليه عامة المفسرين في
هذا وان كان مما يستبعده الغافلون لكن يجب قبوله اذا اخبر به
المخبر الصادق كما في سائر الاسرار الالهية وليس في العقل ما ينفيه من قطع
وقال المتاولون المراد بالسماء هيهنا الغيم المرتفع على الرؤوس اذ كل
ما علا الراس فهو سماء وبالجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب
والقطع العظام التي تشبه الجبال في عظمها وجودها **حكى** ابن الديبع في
بغية المستفيد انه وقع باليمن سنة خمس وتسعين وسبعمائة مطر نزلت
فيه بردة كالجبل الصغير لها شرفات تزيد كل واحدة منها على ذراع فوقعت
في مفازة فغاب في الارض اكثرها وبقي بعضها على الارض كان يدور حوله
عشرون رجلا لا يرى بعضهم بعضا ووقعت بردة اخرى حاول قلعها
خمسون رجلا فما امكنهم فسبحان من هو على كل شيء قدير **قوله** عليه السلام
والهابطين مع قطر المطر الهبوط النزول هبط يهبط من باب ضرب هبوطا
نزل وفي لغة قليلا يهبط هبوطا من باب قعد وهبطته انزلته لازم ومتعد
والقطر ما يقطر واحده قطرة كتمر وتمرة والمطر في الاصل مصدر مطرت
السماء تمطر من باب طلب ثم سمي الغيث بالمصدر روي عن امير المؤمنين
عليه السلام ان تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت ارزاق الحيوانات فاذا اراد الله
تعالى ان ينبت ما يشاء لهم رحمة منه لهم اوحى الله اليه فمطر ما شاء من سماء الى
سماء حتى يصير الى سماء الدنيا فيلقيه الى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال
فيقطر على النحو الذي يامره به فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك يضعها

والحديث طويل نقلنا بعضه «القوام على خزائن الرياح» القوّام
جمع قايم من قام بالامر على الرعية اذا ولي امرها ملك امرها والخزائن جمع خزانة
وقد تقدم الكلام عليها في شرح الاسناد والرياح جمع ريح والعين فيهما واو
قلبت ياء لانكسار ما قبلها وجمع القلة ارواح بالواو اذ لم يوجد فيه ما
يوجب الاعلال وزعم الحكماء ان حدوث الرياح من تموج الهواء بحركته الى الجهات
وكيفية حدوثها ان الادخنة التي تحدث من تاثير الشمس في الارض وغيرها
من الاشياء اليابسة اذا وصلت الى الطبقة الباردة اما ان ينكسر حرها واما
ان تبقى على حرارتها فان انكسر حرها ثقلت وقصدت النزول فيتموج بها
الهواء وان بقيت على حرارتها تصاعدت الى كرة النار المتحركة بحركة الفلك
الدورية الى اسفل فيتموج بها الهواء ايضا فتحدث منه الرياح واصولها
اربعة الشمال ومهبها من مطلع بنات نعش الى مغرب الشمس والجنوب ومهبها
من مطلع سهيل الى مشرق الشمس والصبا ومهبها من المشرق الى بنات نعش
والدبور ومهبها من المغرب الى مطلع سهيل ولكل واحدة منها ملك يهيجها في
تحريكها بامر الله كما وردت به الروايات الصحيحة عن ابي جعفر عليه السلام لا كما زعمه
الحكماء روى ثقة الاسلام في الروضة باسناد صحيح عن ابي بصير قال سألت
ابا جعفر عليه السلام عن الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور وقلت
ان الناس يذكرون ان الشمال من الجنة والجنوب من النار فقال ان لله
جنودا من رياح يعذب بها ما يشاء ممن عصاه ولكل ريح منها ملك موكل
بها فاذا اراد الله عز ذكره ان يعذب قوما بنوع من العذاب اوحى الى الملك الموكل
بذلك النوع من الريح التي يريد ان يعذبهم بها قال فيامرها الملك فتهيج
كما يهيج الاسد المغضب قال ولكل ريح منها اسم اما تسمع قوله عز وجل كذبت

عاد فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر
وقال الريح العقيم وقال ريح فيها عذاب اليم وقال فاصابها اعصار فيه
عذاب اليم وقال فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت وما ذكر من الرياح التي
يعذب الله بها من عصاه قال ولله عز ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها
بين يدي رحمته منها ما يهيج السحاب للمطر ومنها رياح تحبس السحاب بين
السماء والارض ورياح تعصر السحاب فتمطر باذن الله تعالى ومنها
رياح مما عدد الله في الكتاب فاما الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا
والدبور فانما هي اسماء الملائكة الموكلين بها فاذا اراد الله ان يهب شمالا
امر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على الركن الشامي فضرب بجناحه فتفرقت
ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث جنوبا امر الملك
الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه
فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث دبورا امر الملك
الذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحه
فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر ثم قال ابو جعفر عليه السلام اما
تسمع لقوله ريح الشمال وريح الجنوب وريح الصبا وريح الدبور انما تضاف
الى الملائكة الموكلين بها وروى رئيس المحدثين في كتاب العلل باسناده عن
العرزمي قال كنت مع ابي عبد الله عليه السلام جالسا في الحجر تحت الميزاب ورجل
يخاصم رجلا واحدهما يقول لصاحبه والله ما تدري من اين تهب الريح فلما اكثر
عليه قال له ابو عبد الله عليه السلام هل تدري انت من اين تهب الريح فقال لا ولكني اسمع الناس
يقولون فقلت لابي عبد الله عليه السلام من اين تهب الريح فقال ان الريح مسجونة تحت هذا
الركن الشامي فاذا اراد الله عز وجل ان يرسل منها شيئا اخرجه اما جنوبا فجنوب

دائما تسمالا فسماك اما صبا فصبا واما دبورا فدبور ثم قال وآية ذلك انك لا تزال
ترى هذا الركن متحركا ابدا في السماء والصيف والشتاء والليل والنهار واخرج
عن علي عليه السلام انه قال لم ينزل شيء من الريح الا بكيل على يد ملك الا يوم عاد فانه
اذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى بريح صرصر عاتية عتت على الخزان
والموكلين بالجبال فلا تزول الموكل اسم مفعول من وكلته بالامر توكيلا اذا جعلته
للقيام به والجبال جمع جبل وهو معروف قال بعضهم ولا يكون جبلا الا اذا كان مستطيلا
قال الحكماء اذا امتزج الماء بالطين وفي لزوجة واثرت فيه حرارة الشمس مدة طويلة
صار حجرا كما ترى ان النار اذا اثرت في الطين جعلته آجرا والآجر ضرب من الحجر وكلما
كان اثر النار فيه اكثر كان اصلب واشبه بالحجر فزعموا ان تولد الجبال من اجتماع الماء
والطين وحرارة الشمس واما سبب ارتفاعها وشموخها فجاز ان يكون بسبب الزلزلة
فيها خسف فينخفض بعض الارض ويرتفع بعضها ثم ذلك البعض يصير حجرا كما ذكر
وجاز ان يكون بسبب ان الرياح تنقل التراب من مكان الى مكان فتحدث تلال
ووهاد ثم تتحجر بالسبب المذكور وفي الخبر ان الله خلق الارض فجعلت تمور فقالت
الملئكة ثم خلقت وروى رئيس المحدثين في كتاب العلل باسناده عن امير المؤمنين
عليه السلام في حديث طويل انه قام اليه رجل من اهل الشام فقال يا امير المؤمنين اني
اسئلك عن اشياء فقال سل تفقها ولا تسل تعنتا فاحدق الناس بابصارهم فقال
اخبرني عن اول ما خلق الله تبارك وتعالى فقال خلق النور قال فمم خلق السموات قال
من بخار الماء قال فمم خلق الارض قال من زبد الماء قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج
والحديث طويل الذي اخذنا منه موضع الحاجة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه قال جاءني جبرئيل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد
ارسله معك وامره ان لا يفعل شيئا الا بامرك فقال ملك الجبال ان شئت دمدمت

عليه

عليهم الجبال وان شئت رميتهم بالحصباء وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك
الجبال انت كاسماك ربك رؤف رحيم قوله فلا تزول الفاء للسببية اى بسبب
توكيلهم بها لا تزول اعرب من قال انها ابطة وللاستيناف وتزول اما من الزوال
بمعنى الذهاب اى فلا تهد وتدك فتذهب او بمعنى الانتقال عن اماكنها
اى فلا تستقر في مواضعها والذين عرفتهم مثاقيل المياه وكيل ما تحويه لواعج الامطار
وعوالجها المثاقيل جمع مثقال وهو ميزان الشيء اى ما يعادله في الوزن قال
ابن الاثير المثقال في الاصل مقدار من الوزن اى شيء كان من قليل او كثير
فمعنى مثقال ذرة وزن ذرة والناس يطلقونه في العرف على الدينار
وليس كذلك والمياه جمع ماء اصله ماه بالهاء وقيل موه تحركت الواو وانفتح
ما قبلها فقلبت الفا وقلبت الهاء همزة لاجتماعها مع الالف وهما حرفان حلقيان
ووقوعهما طرفا ولهذا يرد الى اصله في الجمع والتصغير فيقال مياه ومويه وقالوا
ايضا مثل باب وابواب وربما قالوا امواء بالهمز على لفظ الواحد وفي الخبر ما نزل من الماء
شيء الا عليه خزان يعلمون قدره وعدده ووزنه وكيله حتى كان ايام نوح فانه دفق
منه شيء لا يعلمون قدره ولا وزنه ولا كيله غضبا لله تعالى فلذلك سمي طاغيا والكيل
تحرير مقدار الشيء بظرف مخصوص قال في النهاية والذي يعرف به اصل الكيل
والوزن ان كل ما لزمه اسم القفيز والمكوك والصاع والمد فهو كيل وكل ما لزمه
اسم الارطال والامناء والاواقي فهو وزن انتهى وقد يطلق الكيل على الوزن
ومطلق المقايسة قال في القاموس كال الدراهم وزنها والشيء بالشيء قاسه
واللواعج جمع لاعج من لعجه الحزن اشتد عليه قال صاحب المحكم لعج الحزن والحب
يلعج لعجا استحر في القلب اى اشتد والعوالج جمع عالج وهو المجتمع من الرمل وقال في المحكم عالج
الرمل اجتمع وعلج رمل بالبادية كانه منه بعد طرح الزائد انتهى وقال ابن الاثير

في النهاية وفي حديث الدعاء وما تحويه عوالج الرمال هي جمع عالج وهو ما تراكم من الرمل
ودخل بعضه في بعض انتهى والمعنى كيل ما تحويه الامطار والسيل مرة والتراكم
القطر من الماء فهو من باب اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الامة الامطار القواعج
والعوالج فقدم الصفة وجعلها نوعا مضافا الى الجنس مثل كرايم الناس فلا يرد ان القطا
في عوالجها ضمير والضمير لا يوصف بل ان الحكم بان الضمير لا يوصف فيما اذا كانت
الصفة جارية عليه لا مضافة اليه **ومرسل الملائكة الى اهل الارض بكرة وعشيا**
بين يدي البلاء ومحبوب الرخاء الى والباء كلاهما متعلقان بمرسل تقول ارسلته الى فلان
بكذا والباء للمصاحبة نحو اهبط بسلام والمكروه ما يكرهه الانسان ويشق عليه وما موصولة
ومن البلاء بيان لها والبلاء اسم من بلاه يبلوه بمعنى امتحنه والمحبوب مفعول من حبه
حبه من باب ضرب والقياس ان يكون بالضم من باب قتل لكنه غير مستعمل وهي لغة
في احبه بالالف وهي الكثيرة المستعملة لكنهم استغنوا بمحبوب عن محب كما تقدم بيانه
في شرح الاسناد والرخاء بالفتح والمد سعة العيش يقال رخى عيشه ورخو من باب تعب
وكرم رخاوة اى اتسع فهو رخي على فعيل والاسم الرخاء وزيد رخي البال اى في نعمة
وخصب قال الفارابي في ديوان الادب الرخاء مصدر قولك رخي البال وفي الحديث
تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة **والسفرة الكرام البررة** قيل السفرة
هم الكتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب في
قيل هم الذين يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين انبيائه عليهم السلام على انه جمع سفير
من السفارة واصل السفارة الاصلاح يقال سفرت بين القوم سفارة بالكسر اى
اصلحت ثم سمي الرسول سفيرا لانه يسعى في الاصلاح ويبعث له غالبا وقيل انما سمي
سفرة لنزولهم غالبا بما يقع به الصلاح بين الناس تشبيها بالسفير وهو المصلح والمراد
بكونهم كراما انهم اعزاء على الله تعالى او متعطفون على المؤمنين مستغفرون لهم

قال عطاء

١٤٣

قال عطاء اراد انهم يتكرمون عن ان يكونوا مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع
وعند قضاء الحاجة وبكونهم بررة انهم اتقياء مطيعون لله تعالى فاعلون
للخيرات منزهون عن النقائص من البر بالكسر وهو التقى والصلاح وفعل الخير
وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة
كرام بررة قال بعضهم وهذه اللفظة يعني السفرة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق
على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة انتهى **والحفظة الكرام الكاتبين** الحفظة
محركة جمع حافظ من حفظ المال اذا رعاه وتوكل به فهو حافظ وحفيظ ثم اطلق على الذين
يحفظون اعمال العباد من الملائكة وهم الحافظون قال تعالى وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين وهم طائفتان ملائكة اليمين للحسنات وملائكة الشمال للسيئات
قال تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد عن الصادق ع انه قال استعبدهم
الله بذلك وجعلهم شهودا على خلقه ليكون العباد لملازمتهم اياهم اشد على
طاعة الله مواظبة وعن معصيته اشد انقباضا وكم من عبد يهم بمعصيته فذكر
مكانهم فارعوى وكف فيقول ربي يراني وحفظتي علي بذلك تشهد قال المفسرون
وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من جلائل الامور
حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام **واعلم** ان الحفظة على قسمين حفظة على العباد
وهم الكرام الكاتبون المذكورون وحفظة للعباد وهم الذين يحفظونهم بامر الله
تعالى من الآفات التي تعرض لهم كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله **عن** ابي جعفر عليه السلام يقول من امر الله من ان يقع في ركي او يقع عليه حائط
او يصيبه شيء حتى اذا جاء القدر خلوا بينه وبينه يدفعونه الى المقادير وهما ملكان
يحفظانه بالليل وملكان بالنهار يتعاقبانه **تكميل** قال بعض القدماء ان هذه النفوس
البشرية والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة

الكاتبين

وكذا القول في البلادة والذكاء والجبن والعفة والدناءة والشرف وغيرها من الصفات ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو بمنزلة الشفيق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها تارة على سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهو مبدأ لما يحدث فيها من خير وشر وهو في تلك المبادي في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك الطبايع والاخلاق تامة بالنسبة الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها وهذا هو الموسوم بالحفظة وقال بعضهم ان الله سبحانه خلط الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممتزج بسبب ذلك الامتزاج لقبول النفس المدبرة والقوى الحسية والمحركة فالمراد بالحفظة المرسلة في قوله تعالى ويرسل عليكم حفظة هي تلك النفوس والقوى التي تحفظ تلك الطبايع الممتزجة على امتزاجاتها وهي الضابطة على انفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صورة ما تفعله لتشهد به على نفسها يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وقال اخرون ان النفوس المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة بالنفوس المفارقة عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس التي لم تفارق فيكون لها تعلق ما بوجه ما بهذه الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى طباعها وشاهدة عليها لا يخفى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد هذه جملة اقوال ارباب العقول في حقيقة الحفظة والذي يقتضيه ظاهر القرآن ودلت عليه الاخبار انهم ارواح سماوية كلفهم الله تعالى بحفظ عباده فمنهم حافظون لهم ومنهم حافظون عليهم كما عرفت والايمان بذلك اظهر واسلم والله اعلم وملك الموت واعوانه ملك الموت

عبادة

١٦٤

عبارة عن الروح المتولي لافاضة صورة العدم على قوى اعضاء هذه البدن وهاهنا قد يسمى النفس له واسمه على ما وردت به الاخبار المستفيضة عزرائيل عن ابي الحسن الاول عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان الله تبارك وتعالى اختار من الملائكة اربعة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وفي روايات ان هؤلاء الاربعة هم المدبرات امرا والمقسمات امرا وعن اسباط بن سالم مولى ابان قال قلت لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض قال لا انما هي صكاك تنزل من السماء اقبض نفس فلان والاعوان جمع عون بالفتح وهو الظهير على الامر والمعاون عليه اعانه اعانة وعاونه معاونة روى الصدوق في الفقيه قال سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها وعن قول الله عز وجل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وعن قول الله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين والذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم وعن قوله تعالى توفته رسلنا وعن قوله عز وجل ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الافاق ما لا يحصيه الا الله عز وجل فكيف هذا فقال ان الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت اعوانا من الملائكة يقبضون الارواح بمنزلة صاحب الشرطة له اعوان من الانس يبعثهم في حوائجه فتتوفاهم الملائكة ويتوفاهم ملك الموت من الملائكة مع ما يقبض هو ويتوفاهم الله عز وجل من ملك الموت وعن ابن عباس في قوله تعالى توفته رسلنا قال اعوان ملك الموت من الملائكة قال بعض الصوفية من ملك الموت ان يحبه المسلم من بين الملائكة فضل محبة من حيث انه سبب لتعويض الحيوة السنية الابدية من الحيوة الدنية الدنيوية ولهذا امرنا بان نقول في دعائنا اللهم صل على جبرئيل وميكائيل وملك الموت فان جبرئيل وميكائيل وملك الموت فان جبرئيل وميكائيل

وملك الموت فان جبرئيل وميكائيل سببان لانبائنا عن ذلك العالم بما فيه خصوصا
من دار الكون والفساد وملك سبب لاخراجنا من دار الكون والفساد اذا حصل
عظيم وشكره لانهم **ومنكر ونكير ورومان فتان القبور** منكر اسم مفعول
من انكر الشيء خلاف عرف والنكير فعيل بمعنى الانكار سمي بهما ملكا القبر كما
تظافرت بذلك الاحاديث وانكر بعض اهل الاسلام تسميتهما بهذين الاسمين وقالوا
ان المنكر هو ما يصدر عن الكافر من التلجلج عند سؤالهما اياه والنكير هو ما يصدر عنهما
من التقريع له فليس للمؤمن منكر ولا نكير عند هؤلاء والاحاديث المستفيضة من طرق
الخاصة والعامة صريحة في خلافهم اخرج الطبراني من العامة في الاوسط بسند حسن
عندهم عن ابن عباس قال اسم الملكين اللذين يأتيان في القبر منكر ونكير واخرج البيهقي
في كتاب عذاب القبر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كيف انت يا عمر اذا انتهى بك الى الارض فحفر لك ثلاثة اذرع وشبر في ذراعين في شبر
ثم اتاك منكر ونكير اسودان اشعران كان اصواتهما الرعد العاصف وكان اعينهما
البرق الخاطف يحفران لك الارض بانيابهما فاجلساك فزعا فتلتلاك وتوهلاك قال
يا رسول الله وانا يومئذ على ما انا عليه قال نعم قال اكفيكهما باذن الله تلتله حركه
واقلقه وتوهله عرضه لان يهل اي يغلط ويسهو واخرج الترمذي والبيهقي عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قبر الميت اتاه ملكان
اسودان يقال لاحدهما منكر وللآخر نكير **وعن** ابي عبد الله عليه السلام قال يجيء الملكان
منكر ونكير الى الميت حين يدفن اصواتهما كالرعد العاصف وابصارهما كالبرق
الخاطف يخطفان الارض بانيابهما ويطآن في شعورهما وعنه عليه السلام ملكا القبر
وهما قعيدا القبر منكر ونكير **قوله** عليه السلام ورومان فتان القبور رومان بضم
الراء المهملة اسم احد ملائكة القبر وهو فعلان من الروم يقال رام يروم روما

اذا طلبه

١٦٥

اذا طلبه اخرج ابو نعيم عن ضمرة بن حبيب قال فتان القبر ثلاثة انكر وناكور
ورومان واخرج ابو الحسن القطان في المطولات عن ضمرة قال فتان القبور
اربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان ذكر ذلك الجلال السيوطي في الحبائك
وفي رواية عبد الله بن سلام قال سالت رسول الله صلى الله عليه وآله ملك يتلألأ
وجهه كالشمس اسمه رومان يدخل على الميت ثم يقول له اكتب ما عملت من حسنة
وسيئة فيقول باي شيء اكتب اين قلمي ودواتي ومدادي فيقول ريقك مدادك و
قلمك اصبعك فيقول على اي شيء اكتب وليس معي صحيفة قال صحيفتك كفنك فاكتب
فيكتب ما عمله في الدنيا خيرا واذا بلغ سيئاته يستحيي منه فيقول له الملك يا خاطئ
ما تستحيي من خالقك حين عملته في الدنيا فتستحيي الآن فيرفع الملك العمود ليضربه
فيقول ارفع عني حتى اكتبها فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثم يامره ان
يطوي ويختم فيقول باي شيء اختمه وليس معي خاتم فيقول اختمه بظفرك ود
علقه في عنقك الى يوم القيمة كما قال الله تعالى وكل انسان الزمناه طائره في عنقه
ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وفتان بنية المبالغة في الفتنة قال
ابن الاثير وفي حديث الكسوف انكم تفتنون في القبور يريد مسائلة منكر ونكير
والفتنة الامتحان والاختبار وقد كثرت استعاذته من فتنة القبر وفتنة
الدجال وفتنة المحيا والممات وغير ذلك ومنه الحديث فبي تفتنون وعني تسألون
اي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرف ايمانكم بنبوتي انتهى واصل الفتنة للفضة
هو سبكها بالنار ليتميز رديئها من جيدها واضافة فتان الى القبور اما من
اضافة اسم الفاعل الى معموله على حذف مضاف اي فتان اصحاب القبور
او الى غير معموله كمصارع مصر وهذا اولى ونصبه فتحه وابن براد رئيس على
القطع باضمار اعني **تبصرة** القول بسؤال منكر ونكير وفتنة القبر وعذابه

وانما يجب الايمان به لما تواترت من الاخبار المجمع على صدورها عن الذين و
لا اظهر لا اسلم في الايمان بذلك ان يصدق بانها موجودة وان ذلك ملكين
او اكثر على الصورة المحكية وانما لا نشاهد ذلك اذ لا نصلح لهذه العين لمشاهدة
الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة لا يرون
نزول جبرئيل والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه
وكما ان جبرئيل لا يشبه الناس فكذلك منكر ونكير فهو وسمان فوجب التصديق بوجودهم
والايمان بسؤالهم وفتنتهم كما اخبر به المخبر الصادق واما ما في الوارد عن غير ارباب
العصمة على تقدير احتمال صحته فلا موجب للقول فضلا عن الاذعان به والطائفين
بالبيت المعمور طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا استدار به والبيت المعمور
هو المسمى بالضراح بضم الضاد المعجمة وفتح الراء والمهملة المخففة وبعد الالف حاء
مهملة على وزن غراب من المضارحة وهي المقابلة والمضارعة وراوي الضاد مصحف
وهو في السماء السادسة وفي اخرى في السابعة وعن ابي جعفر عليه السلام ان
اركان البيت الحرام في الارض حيال البيت المعمور في السماء وروى ثقة الاسلام
في الكافي باسناده عن محمد بن مروان قال سمعت اباعبدالله عم يقول كنت مع ابي
في الحجر فبينما هو قائم يصلي اذ اتاه رجل فجلس اليه فلما انصرف سلم عليه ثم قال
اني اسألك عن ثلثة اشياء لا يعلمها الا انت ورجل آخر قال ما هي قال اخبرني
اي شيء كان سبب الطواف بهذا البيت فقال ان الله عز وجل لما امر الملائكة ان يسجدوا
لآدم عليه السلام ردوا عليه فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك قال الله تبارك وتعالى اني اعلم ما لا تعلمون فغضب عليهم
ثم سألوه التوبة فامرهم ان يطوفوا بالضراح وهو البيت المعمور ومكثوا يطوفون
به سبع سنين يستغفرون الله عز وجل مما قالوا ثم تاب عليهم من بعد ذلك ورضي

عنهم

عنهم فهذا كان اصل الطواف ثم جعل الله البيت الحرام حذاء الضراح توبة لمن اذنب
من بني آدم وطهورا لهم فقال صدقت وفي رواية اخرى عنه عليه السلام ان الله امر
الملائكة ان يجعلوا له بيتا في السماء السادسة يسمى الضراح بازاء عرشه
فصيره لاهل السماء يطوف به سبعون الف ملك في كل يوم لا يعودون ويستغفرون
وعن ابي عبدالله عم ان الله عز وجل امر الملائكة ببيت من مرمر سقفه ياقوتة
حمراء واساطينه الزبرجد يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يدخلونه بعد ذلك
الى يوم الوقت المعلوم قال ويوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصور نفخة واحدة
وخرج الازرقي عن علي بن الحسين عليهما السلام من جملة حديث ان الله سبحانه وتعالى
وضع تحت العرش بيتا على اربع اساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء
وسمي البيت الضراح ثم قال الله للملائكة طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش
فطاف الملائكة بالبيت وتركت العرش فصار اهون عليهم وهو البيت المعمور الذي
ذكره الله يدخله كل يوم وليلة سبعون الف ملك لا يعودون فيه ابدا ومالك
والخزنة مالك اسم مقدم خزنة النار اعاذنا الله منها وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة
حيث تصرفت حروفه قال تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون
والخزنة الملائكة المتولون لامرها قال عز وجل وقال الذين في النار لخزنة جهنم
وقال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال والذي
نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق جهنم بالف عام فهم كل يوم
يزدادون قوة الى قوتهم ورضوان وسدنة الجنان رضوان بكسر الراء و
ضمها علم منقول من الرضوان بمعنى الرضا وهو خلاف السخط ولما كان رضوان الله
تعالى اعظم السعادات واشرف المرغوبات كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر سمي الله
تعالى رئيس خزان الجنان برضوان اذ كان دخول الجنان وسكناها من مقتضيات رضوان

والسدنة جمع سادن من السدانة بالكسر وهي خدمة الاماكن المعظمة كالكعبة والمسجد
قال ابن الاثير سدانة الكعبة هي خدمتها وتولي امرها وفتح بابها واغلاقه يقال سدن يسدن
وقال الزمخشري في الاساس سدنة البيت حجبته وسدن الستر وسدل ارسله
ارخاه وهو سادن فلان واذنه لحاجبه انتهى فظهر ان السدانة مشتقة
من السدن كالستر وزنا ومعنى كما ان الحجابة مشتقة من الحجاب ثم اطلقت على
خدمة الكعبة ونحوها والجنان جمع جنة واشتقاقها من الستر والتغطية ومنه
الجنين لاستتاره في البطن والجان لاستتاره عن العيون وسمي البستان جنة
لانه يستر داخله بالاشجار وتغطيه فلا يستحق هذا الاسم الا موضع كثير الاشجار
متهدل الاغصان والجنان المذكورة في القران ثمان وهي جنة النعيم
وجنة وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن و
دار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام وسدنتها هم خزنتها الذين
اشار اليهم سبحانه وتعالى بقوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين **لا يعصون الله ما امرهم و**
يفعلون ما يؤمرون اقتباس من قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ
شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وفي الكشاف هم
الزبانية وذكره عليه السلام للزبانية بعد هذا يدل على انهم عنيهم وقوله ما امرهم
في محل نصب على انه بدل اشتمال من الله اي لا يعصون امره او على نزع الخافض اي
فيما امرهم ولا يخفى ان عدم العصيان يستلزم قبول الامر وامتثاله فصرح
بما عرف ضمنا قائلا ويفعلون اي يؤدون ما يؤمرون من غير تثاقل وكلام
ويجوز ان يكون الاول متعلقا بالماضي من الامر والثاني بالمستقبل منه **والذين يقولون**

سلام

سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار اقتباس من قوله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار اي قائلين ذلك
فقولهم سلام عليكم بشارة بدوام السلامة لاهل الجنة من جميع الافات والآلام
من قوله بما صبرتم تتعلق بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بسبب
صبرتم على الطاعات وعن المعاصي وقيل متعلقها محذوف اي هذه الكرامة
العظمى بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه فالباء
للبدلية والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة ونعم بكسر النون
وسكون العين فعل جامد للزومه انشاء المدح على سبيل المبالغة وعقبى الدار
مرفوع على الفاعلية له والعقبى مصدر كالعاقبة ومثلها البشرى والقربى
والمراد بالدار الدنيا وعقباها الجنة لانها التي اراد الله ان يكون عاقبته
الدنيا ومرجع اهلها يقولون نعم ما اعقبكم الله بعد الدار الاولى ولعل
المراد بالملائكة المذكورين سكان الجنة المدبرهم عن خزانها وهم الذين
يتلقون عباد الله المخلصين بالشفقة والبشارة بما تقر به اعينهم ويدخلون
عليهم من كل باب من ابواب قصورهم فيؤنسونهم ويبشرونهم بما تنشرح
به صدورهم وتزيد به سرورهم **والزبانية الذين اذا قيل لهم خذوه فغلوه**
ثم الجحيم صلوه اسرعوا بسرعة ولم ينظروه الزبانية الشرط وهم اعوان
الولاة قيل هي جمع لا واحد له وقيل واحد زبنية كعفرية وقيل زبني بالكسر
كانه نسب الى الزبن وكسر الزاي لتغيير النسب كانسي واصلها زباني فقيل زبانية
بتعويض التاء عن الياء واشتقاقها من الزبن وهو الدفع يقال زبنت الشيء زبنا
اذا دفعته سمي بها ملائكة العذاب لانهم يدفعون اهل النار اليها وفي جامع
الزبانية ارجلهم في الارض ورؤوسهم في السماء والضمير في خذوه عائد

على المستحق للجحيم وان لم يحق له ذكر لا لا له الشاق عليه قوله فغلوه اى شدوه فى الاغلال والجحيم النار الشديدة التاجج وكل نار بعضها فوق بعض وجحنار عظيمة فى مكان هاو وصلاة النار بصليته ادخله اياها فاتواه فيها وتقديم الجحيم على التصلية للحصر اى لا تصلوه الا الجحيم فابتدر الشئ كبادر عاجله فسارعا اى سارعين وهو جمع سريع كصغير وصغار ولا نظار الامهال اى لم يمهلوه روى انه اذا قبل فه ابتدر اليه ما يزال الف ملك وجمع يده الى عنقه وما منا الا له مقام معلوم فما لك يك فيها بيت لم يروا ثلثه او هم الشئ ابهما ما تركه واو هم فى الحساب ماتة اسقطها ولم نعلم مكانه اى منزلته ومرتبته منك اى عند الله مثلها فى قوله تعالى لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اى عنده والواو فى قوله ولم نعلم يحتمل ان تكون عاطفة اى ومن لم نعلم مكانه وان تكون للحال اى ومن او هم ذكره والحال انا لم نعلم مكانه وقوله وبأى امر وكلته عطف على قوله مكانه اى ولم نعلم بأى امر كلته وفيه دلالة على ان لا يعلم اصناف الملائكة غير خالقهم كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو حتى قيل ما من ذرة من ذرات العالم الا وقد وكل بها ملك او ملائكة روى ابو جعفر الصفار فى كتاب بصائر الدرجات باسناده عن حماد بن عيسى قال سال رجل ابا عبد الله عليه السلام فقال الملائكة اكثر ام بنو آدم فقال والذى نفسى بيده لملائكة الله فى السموات اكثر من عدد التراب فى الارض وما فى السماء موضع قدم الا وفيه ملك يسبح له ويقدسه ولا فى الارض شجرة ولا مثل غرزة ابرة الا وفيها ملك موكل بها ياتى الله كل يوم بعملها والله اعلم بها وما منهم احد الا ويتقرب الى الله فى كل يوم بولايتنا اهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن اعداءنا ويسال الله ان يرسل عليهم العذاب ارسالا اخرج الواحدى والبيهقى فى الدلائل عن حارثة بن ابرهيم عن ابيه قال قال رسول الله

صلى

صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل من القائل يوم بدر اقدم حيزوم فقال جبرئيل ما كل اهل السماء اعرف ثم سكان الهواء والارض والماء الحولة بالمد الحركة والمراد بسكان هذا سكانها من الملائكة ولا فله سكان لحروف كما ورد فى بعض الروايات ان الاعراب خرجوا يتبعون الكماة فاصابوا فى البدو خلقا فالقى فاتوا ابا الربيع حاجب المنصور فادخله على المنصور ليخبره منه فوضعه بين يديه فلما راه قال نحه وادع لى جعفر بن محمد فدعاه فقال يا ابا عبد الله اخبرنى عن الهواء ما فيه فقال فى الهواء موج مكفوف فقال فيه سكان قال نعم قال وما سكانه قال خلق ابدانهم خلق الحيتان ورؤسهم رؤس الطير ولهم اعراف كاعراف الديكة وتغانغ كتغانغ الديكة واجنحة كاجنحة الطير فى الوان اشد بياضا من الفضة المجلوة قال الربيع فقال المنصور هلم الطست فجئت بها وفيها ذلك الخلق فاذا هو والله كما وصف جعفر بن محمد فلما نظر اليه جعفر قال هذا هو الخلق الذى يسكن الموج المكفوف فاذن له بالانصراف فلما خرج قال يا ربيع هذا الشجا المعترض فى حلقى من اعلم الناس ويحتمل ان يكون المراد بسكان الهواء والارض والماء والملائكة العناصر فقد صرحوا بان اصناف الملائكة ملائكة العناصر وان يكون اعم منهم روى الصدوق فى الفقيه قال نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحت السماء الا بميزر ونهى عن دخول الانهار الا بميزر وقال ان للماء اهلا وسكانا وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال دخل الحسن بن على عليهما السلام الفرات فى بردة كانت عليه قال فقلت له لو نزعت ثوبك فقال لى يا عبد الرحمن ان للماء سكانا ومن يهم على الخلق اى موكل على جميع المخلوقات السماوية والارضية فقد روى ان ما من شئ من خلق الله الا وملك موكل عليه قال بعض العلماء روى انه ما من ذرة ولا قطرة الا وقد وكل بها ملك او ملائكة واذا كان هذا

حال الذرات والقطرات فما ظنك بالسموات والكواكب والهواء والغيوم والرياح والامطار والارض والجبال والقفار والبحار والعيون والانهار والمعادن والنبات فالملائكة صلاح العالم ونظام الموجودات وكمال كل بتقدير العزيز العليم تسوق عليهم يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد قائم اي مطالبه قائم على غريمه اذا طالبه ومنه قوله تعالى الا ما دمت عليه قائما وفي قراءة ابن ادريس سائق وشهيد وهو المطابق للتنزيل قال تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اي معها ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد بعملها وما قيل من احتمال كون السائق والشهيد ملكا واحدا جامعا بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها يرده ما رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان ابن آدم اذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات وانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والاخر شهيد وما روي عن الصادق عليه السلام سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وصل عليهم صلوة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم الكرامة الاسم من الاكرام واكرامهم تقريبهم منه تعالى كما قال بل عباد مكرمون وطهارتهم تقدسهم عن المعاصي والخروج عن الطاعات وجواذب الشهوات ولما كانت مراتب استحقاق نعم الله تعالى على اصناف خلقه غير متناهية عالم عليه السلام ان يزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم وعلى للاستعلاء المعنوي بمعنى فوق كما في قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض ويجوز ان تكون بمعنى مع اي مع كرامتهم اللهم واذا صليت على ملائكتك ورسلك وبلغتهم صلواتنا

عليهم

عليهم فصل عليهم بما فتحت لنا من حسن القول فيهم انك جواد كريم اذا ظرف للمستقبل متضمن معنى الشرط وجوابه قوله فصل عليهم اذ كان ذكر المؤمنين لهم بالخير سببا لرحمة الله تعالى اياهم وفي نسخة فصل علينا وهو الانسب بقوله بما فتحت لنا والباء للسببية اي بسبب ما فتحت لنا اي يسرت على الفهم والفكر واللسان من زيادة المواد لحسن القول فيهم ووصفهم بالجميل والدعاء لهم والجواد الكثير الانعام والاحسان والكريم اعم منه ولذلك قال بعض الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال بما اعطى ولا لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا الله تعالى والجملة تعليل للدعاء ومزيد ابتهال الى الله للاستجابة واوردها مؤكدة لكمال تحققه لمضمونها وهو جوده وكرمه تعالى نسأل الله تعالى بجوده وكرمه ان يسبغ علينا سوابغ نعمه وان يجعل ما اوردته في هذه السطور حجة لنا على يوم النشور والحمد لله رب العالمين والصلوة على نبيه واله الاكرمين قال مؤلفه عفا الله تعالى عنه

كان الفراغ من تحرير هذه الروضة لثلاث عشرة خلون من صفر

عام ست وتسعين والف وكان الفراغ من تبييضها اخر يوم

الخميس غرة ذي الحجة الحرام اخر شهور سنة

ثمان وتسعين والحمد لله رب العالمين

م م م

ا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل اتباع الرسل منوطا بالشرف والكرامة فاستحق اتباعهم بتصديقهم اياهم تشريفه تعالى والكرامة والصلوة والسلام على نبيه المظلل بالغمامة وعلى اهل بيته المخصوصين بالولاية والامامة **وبعد** هذه الروضة الرابعة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الرابع من ادعية صحيفة سيد العابدين املاء اسير ربه الغني علي صدر الدين الحسيني الحسني احسن الله احواله وقرن بالسداد افعاله واقواله **وكان من دعائه عليه السلام في الصلوة على اتباع الرسل ومصدقيهم** الاتباع اما جمع تابع كصاحب واصحاب وطاهر واطهار او جمع تبع ككتب واسباب فان التبع وان استوى فيه الواحد والجمع تقول هذا تبع لامامه والناس تبع له لكنه جاز فيه جمعه على افعال ويجوز ان يكون جمع تبيع كنصير وانصار وزنا ومعنى والاول اولى لان المراد بالاتباع هنا المقتدون بهم في كل ما يأتون ويذرون من امور الدنيا فيدخل فيه الاتباع في الصورة دخولا اوليا ولا وجه لي العموم نحو المنافقين الذين **اللهم واتباع الرسل ومصدقوهم من اهل الارض بالغيب** قوله واتباع الرسل مبتدأ خبره قوله بعد ذلك فاذكرهم والفاء جواب لاما مقدرة كما مر بيانه في اول الدعاء السابق وقوله من اهل الارض بيان لجنس المصدقين كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي المصدقون الذين هم من جنس اهل الارض اي البشر لبيان ان المقصود بالدعاء له هنا من صدق من الثقلين واما اهل السماء وهم جنسهم من الملائكة وانما تقدم فقد سبق الدعاء لهم وقوله بالغيب يجوز ان يكون صلة للتصديق فالباء للتعدية وهو واقع موقع المفعول الثاني وعلى هذا يكون الغيب بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر كما سمي الشاهد بالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا واما مخفف فيعل كميت مخفف ميت وعلى التقدير

بالمرء فالمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم نحن منه ما اعلمناه ونصب لنا دليلا عليه وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد ونحو ذلك ويجوز ان يكون حالا فالباء للمصاحبة والغيب مصدر على حاله بمعنى الغيبة والخفاء كما في قوله تعالى يخشون ربهم بالغيب وقوله ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي ومصدقوهم ملتبسين بالغيبة اما عن المصدق فيه اي غائبين عن الرسل غير مشاهدين لما فيهم من شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واما اهم فقال ابن مسعود ان امر محمد عليه السلام كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم قرأ قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب او اما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين آمنوا كما قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ويحتمل ان يكون المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى ومصدقوهم بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة **عند معارضة المعاندين لهم بالتكذيب** عند هنا ظرف لزمان الحضور نحو عند طلوع الشمس وعارض الشيء بالشيء معارضة قابله وعاند فلان عنادا من باب قاتل اذا ركب الخلاف والعصيان قال الازهري المعاند المعارض بالخلاف لا بالوفاق وقال صاحب المحكم المعاندة والعناد ان يعرف الرجل الشيء فيأباه ويميل عنه وعانده عنادا عارضه وقوله لهم متعلق بالمعارضة اي عند مقابلتهم بالتكذيب **والاشتياق الى المرسلين بحقائق الايمان** الاشتياق بالشين المعجمة افتعال من الشوق وهو نزاع النفس الى الشيء هكذا ضبط في جميع النسخ ونقل بعضهم ان في نسخة الشهيد الاستباق بالسين المهملة والباء الموحدة بعد التاء المثناة من فوق افتعال من السبق

وهو التقديم ولا يكون الا من اثنين فصاعدا يجتهد كل منهما اى يسبق صاحبه ومنه
واستبقا الباب اى تبادرا واما ما كان فهو معطوف على معارضة المعاندين وقيل
على الارض والاول اظهر والمعنى على الرواية المشهورة ومصدقوهم بالغيب عند
اشتياق المؤمنين الى المرسلين وذلك فى حال غيبتهم اذ الاشتياق لا يكون الا مع عدم
الحضور وعلى ما نقل عن نسخة الشهيد عند تسابق الناس اليهم وذلك فى اول الدعوة
وحال طلب فضيلة السبق الى الاجابة والفوز بنيل درجته ومنزلته كما رواه ثقة
الاسلام فى الكافى باسناده عن ابى عمرو الزبيرى عن ابى عبد الله عم قال قلت له
ان للايمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله قال نعم قلت صفه
لى رحمك الله حتى افهمه قال ان الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان ثم
فضلهم على درجاتهم فى السبق اليه فجعل كل امرء منهم على درجة سبقه لا ينقصه فيها
من حقه ولا يتقدم مسبوق سابقا ولا مفضول فاضلا تفاضل بذلك اوايل هذه
الامة واواخرها فلو لم يكن للسابق الى الايمان فضل على المسبوق اذن للحق اخر
هذه الامة اولها نعم ولتقدموهم اذا لم يكن لمن سبق الى الايمان الفضل على
من ابطاء عنه ولكن بدرجات الايمان قدم الله السابقين وبالابطاء عن الايمان
اخر الله المقصرين لانا نجد من المؤمنين من الاخرين من هو اكثر عملا من الاولين و
اكثرهم صلوة وصوما وحجا وزكوة وجهادا وانفاقا ولو لم يكن سوابق
يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضا لكان الاخرون بكثرة العمل مقدمين
على الاولين ولكن ابى الله تعالى ان يدرك اخر درجات الايمان اولها ويقدم فيها
من اخر الله او يوخر فيها من قدم الله قلت اخبرنى عما ندب الله تعالى المؤمنين اليه
من الاستباق الى الايمان فقال قول الله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة الا
وقال السابقون السابقون اولئك المقربون وقال السابقون الاولون من المهاجرين

والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه فبدأ بالمهاجرين
الاولين على درجة سبقهم ثم ثنى بالانصار ثم ثلث بالتابعين لهم باحسان فوضع
كل قوم على درجاتهم ومنازلهم عنده والحديث طويل اقتصرنا منه على ما
تعلق الغرض به وقوله بحقائق الايمان الباء اما سببية متعلقة بالاشتياق او
الاستباق على الروايتين او للمصاحبة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الاتباع والمقتدين
او من فاعل الاشتياق او الاستباق اى ملتبسين بحقائق الايمان والحقائق جمع حقيقة
وهى ما به الشئ هو هو باعتبار تحققه فحقائق الايمان والحقائق التصديقات
الحقة بجميع ما جاء به المرسلون قال ابن الاثير فى النهاية ورد فى الحديث لا يبلغ المؤمن
حقيقة الايمان حتى لا يعيب مسلما بعيب هو فيه يعنى خالص الايمان ومحضه و
كنهه انتهى فى كل دهر وزمان ارسلت فيه رسولا وانمت لاهله دليلا الدهر
والزمان فى اللغة مترادفان وقيل الدهر طائفة من الزمان غير محدودة والزمان
مرور الليالى والايام وقالت الحكماء الدهر هو الآن الدائم الذى هو امتداد
الحضرة الالهية وهو باطن الزمان وبه يتحد الازل والابد والزمان مقدار
حركة الفلك الاطلس وهذان المعنيان غير مرادين هنا وقال المتكلمون الزمان
عبارة عن متجدد معلوم يقدر به متجدد آخر موهوم كما يقال آتيك عند
طلوع الشمس فطلوعها معلوم ومجيئه موهوم فاذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم زال
الابهام وجملة ارسلت فى محل جر على انها وصف لكل وانمت اى نصبت وهى
جملة تابعة للاولى والدليل المرشد والمراد به المنصوب من الله تعالى مرشدا للخلق
الى سلوك سبيل الحق صدق عليه انه دليل من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه
وآله من هنا لابتداء الغاية فى الزمان وهو مطرد عند الكوفيين وهى متعلقة
بمحذوف واقع حالا من كل دهر وزمان لوصفه بالجملة فالنكرة الموصوفة كالمعرفة

اى كائنا من لدن آدم او وصفا له اى كاين ولدن بفتح اللام وضم الدال المهملة وسكون
النون من الظروف المبنية وهى لاول غاية زمان او مكان وبنيت لشبهها
بالحروف فى لزومها استعمالا واحدا وهو الابتداء وعدم التصرف والغالب استعمالها
بمن ولم تقع فى التنزيل الا كذلك وآدم ابو البشر قيل هو اسم عجمى والاقرب ان
وزنه فاعل كآزر وقيل عربى ووزنه افعل قال الجواليقى اسماء الانبياء كلها
عجمية الا اربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام واختلف فى اشتقاقه فقيل
من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة يقال هو ادمة اهله اى اسوتهم الذى به يعرفون
وقيل من الادمة بالضم بمعنى الالفة والخلطة وقيل من اديم الارض وهو الصحيح لما
رواه الصدوق قدس سره فى كتاب العلل باسناده عن عبد الله عليه السلام قال
انما سمى آدم آدم لانه خلق من اديم الارض واخرج ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال
انما سمى آدم لانه خلق من اديم الارض قال الصدوق اسم الارض الرابعة اديم وخلق
آدم منها فلذلك قيل خلق من اديم الارض ومنعه من الصرف على القول الاول
للعلمية والعجمة وعلى الثانى للعلمية ووزن الفعل قال ابن ابى حثمة عاش آدم
تسعمائة وستين سنة وقال النووى اشتهر فى كتب التواريخ انه
عاش الف سنة وفى حديث الخصال التى سأل ابو ذر عنها النبى صلى الله عليه وآله
قلت يا رسول الله كم النبيون قال مائة الف واربعة وعشرون الف نبى قلت يا
رسول الله كم المرسلون قال ثلثمائة وثلثة عشر جم غفير قلت من كان اول
الانبياء مرسلا قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم قال يا اباذر اربعة
من الانبياء سريانيون آدم وشيث وادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة
من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد صلى الله عليه وآله وعليهم واول الانبياء
آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله واول نبى من انبياء بنى اسرائيل موسى

واخرهم

١٢٢

وآخرهم عيسى عليه السلام وبينهما الف نبى عليهم السلام قال بعض العلماء وان الله تعالى
فى كل الف سنة نبيا بعثه بمعجزات غريبة وبينات عجيبة لوضوح دينه
القويم وظهور صراطه المستقيم وليس نقول على راس الف كل سنة بل نقول
فى كل الف سنة نبيا كان ايكون بين النبيين اكثر من الف سنة او اقل فكان
فى الالف الاول ابو البشر آدم صلوات الله عليه وفى الثانى شيخ المرسلين نوح صلوات الله
عليه وفى الثالث خليل الله ابراهيم صلوات الله عليه وفى الرابع كليم الله موسى
صلوات الله عليه وآله وفى الخامس نبى الله سليمان بن داود صلوات الله
عليه وفى السادس روح الله عيسى صلوات الله عليه وفى السابع حبيب الله
المصطفى صلوات الله عليه وآله ثم ختمت به النبوة وانتهت الالاف الدنيا لما
روى سعيد بن جبير عن ابن عباس الدنيا جمعة من جمعات الاخرة سبعة
الاف سنة وقد مضت ستة الاف ومائة وليأتين عليها مئون سنين
من ائمة الهدى وسادة اهل التقى على جميعهم السلام من بيانية ظرف مستقر صفة
لدليل اى دليلا كائنا من ائمة الهدى والائمة جمع امام وهو المقتدى به
فى امر الدين واصله اءممة كامثلة فادغمت الميم فى الميم بعد نقل
حركتها الى الهمزة ومن القراء من يبقى الهمزة محققة على الاصل ومنهم من
يسهلها على القياس بين بين وبعض النحاة يبدلها بالتخفيف وبعضهم
يعده لحنا ويقول لا وجه له فى القياس والهدى فى الاصل مصدر هداه
كالسرى والبكى ومعناه الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اى ما من شانه
ذلك وقيل الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة فى مقابلته فى قوله
تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ولا شك فى ان عدم الوصول معتبر
فى مفهوم مقابله ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب والقادح

قال من واد الاسير الحبيش فباده ويجمع على تقوى اذ اليها والتقى مصدر تقاه كهداه بمعنى
اتقاه والنار مبدلة من واو والاسم التقوى ويجوز ان يكون التقى جمع تقاة في
تقدير رطبة ورطب فيكون الجمع باعتبار مراتبه وهو في اللغة بمعنى الوقاية
وهي فرط الصيانة وخص في عرف الشرع بوقاية النفس عما يضرها في الآخرة
وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله
تعالى والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى
الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله
تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا الثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل
سره عن الحق ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا
ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض تتفاوت
فيه طبقات اصحابها بحسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم
بموجب المشية الالهية والمراد بها هنا ما يعم المراتب الثلاث ثم المراد بالدليل
الموصوف بكونه من ائمة الهدى وقادة اهل التقى هو من نصبه الله حجة على
خلقه نبيا كان او وصيا اذ لا تخلو الارض من حجة الله على عباده كما رواه
رئيس المحدثين في كتاب العلل باسناده عن ابي حمزة عن ابي عبد الله عليه السلام قال والله ما ترك
الله الارض منذ قبض الله آدم الا وفيها امام يهتدى به الى الله وهو حجة الله
على عباده ولا تبقى الارض بغير حجة الله على عباده وروى في كتاب الخصال
باسناده عن النبي صلعم قال ما خلق الله عز وجل مائة الف نبي واربعة وعشرين
الف نبي انا اكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة الف وصي واربعة
وعشرين الف وصي فعلي اكرمهم على الله وافضلهم **اذكرهم منك بمغفرة
ورضوان** الى آخر قوله واتباع الرسل قال الواحدي اصل الذكر في اللغة

التنبيه

التنبيه على الشيء ومن ذكرك شيئا فقد نبهك عليه واذا ذكرته فقد نبهت له
قال ومعنى الذكر حضور المعنى في النفس ثم يكون تارة بالقلب وتارة بالقول
وليس شرطه ان يكون بعد نسيان انتهى ولما كان الذكر بالمعنى المذكور يستلزم تخصيص
الشيء بحضوره في النفس كان المراد بذكر الله تعالى لعباده تخصيصهم بما يتعلق التوفيق
من باب اطلاق اللازم على الملزوم فقوله فاذكرهم اي فخصهم وهل يستطيع ربك
اي هل يفعل اطلق الاستطاعة على الفعل لانها لازمة له ومن في قوله منك للابتداء
الغاية مجازا متعلقه بالذكر اي ابتداء منك على نهج التفضل زائدا على ما وعدتهم
في مقابلة اعمالهم **اللهم واصحاب محمد خاصة** اي بخصوصهم دون غيرهم وهي
حال عن الاصحاب والتاء فيها للنقل كعامة وكافة لا للتانيث والاصحاب جمع صاحب
وهو على اظهر الاقوال من لقي النبي صلى الله عليه وآله مؤمنا ومات على الاسلام
ولو تخللت ردة والمراد باللقاء ما هو اعم من المجالسة والمماشاة ووصول
احدهما الى الآخر وان لم يكالمه ويدخل فيه رؤية احدهما الآخر سواء كان
ذلك بنفسه او بغيره كما اذا حمل شخص طفلا واوصله الى النبي صلى الله عليه وآله
والمراد رؤيته في حال حياته عليه السلام فلو رآه بعد موته قبل دفنه كابي ذؤيب
الهذلي فليس بصحابي على المشهور وكذا المراد رؤيته اعم من ان تكون مع تمييز
وعقله حتى يدخل فيه الاطفال الذين حنكهم ولم يروه بعد التمييز ومن رآه وهو
لا يعقل والتعبير باللقاء اولى من قول بعضهم الصحابي من رأى النبي صلى الله
عليه وآله لانه يخرج حينئذ ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد واللقاء
المذكور لكن في حال كونه كافرا لم يؤمن باحد من الانبياء كالمشركين وقولنا
به فصل ثان يخرج من لقيه مؤمنا لكن بغيره من الانبياء عليهم لكنه هل يخرج من لقيه
مؤمنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة كبحيرا الراهب فيه تردد فمن اراد اللقاء

وقولنا ومنا يخرج من صحابه

حال نبوته حتى لا يكون مثله صحابيا عنده يخرج عنه ومن اراد اعم منه يدخل
دقولنا مات على الاسلام فصل ثالث يخرج من ارتد بعد ان لقيه مومنا ومات على
الردة كعبد الله بن جحش وقولنا ولو تخللت ردة اى بين لقائه له مومنا وبين
موته عليه السلام بل بعده ايضا فان اسم الصحابة باق سواء رجع الى الاسلام فى
حيوته ام بعده وسواء لقيه ثانيا بعد الرجوع الى الاسلام لا هذا مذهب الجمهور
خلافا لبعضهم قالوا ويدل عليه قصة الاشعث بن قيس فانه كان ممن ارتد
واتى به الى ابى بكر اسيرا فعاد الى الاسلام فقبل منه ذلك وزوجه اخته
كانت عوراء فاولدها ابنه محمد الحد قتله الحسين عليه السلام ولم يتخلف احد عن
ذكره فى الصحابة ولا عن تخريج احاديثه فى المسانيد وغيرها وقيل ان الصحابى
هو من طالت مجالسته له عليه السلام على طريق التبع له والاخذ عنه فلا يدخل من وفد
عليه وانصرف بدون مكث وهو قول اصحاب الاصول وحكى عن سعيد بن المسيب
انه قال لا يعد صحابيا الا من اقام معه عليه السلام سنة وسنتين وغزا معه غزوة
او غزوتين ووجهه ان صحبته صلى الله عليه وآله شرف عظيم فلا ينظر الا باجتماع
يظهر فيه الخلق المطبوع عليه الشخص كالغزو المشتمل على السفر الذى هو محك الخلق
والرجال والسنة المشتملة على الفصول الاربعة التى بها يختلف المزاج وعورض
بانه صلى الله عليه وآله لشرف منزلته اعطى كل من راه حكم الصحبة و
ايضا يلزمه ان لا يعد جرير بن عبد الله ونحوه صحابيا ولا خلاف فى انهم صحابة
ثم الصحابة على مراتب كثيرة بحسب التقدم فى الاسلام والهجرة والملازمة والقتال
معه والقتل تحت رايته والرواية عنه ومكالمته ومشاهدته ومماشاته وان اشترك
الجميع فى شرف الصحبة ويعرف كونه صحابيا بالتواتر والاستفاضة والشهرة القاصرة
عن التواتر واخبار الثقة وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله عن مائة واربعة

عشر الف صحابى آخرهم موتا على الاطلاق ابو الطفيل عامر بن واثلة بمائتين سنة
مائة من الهجرة والله اعلم الدين حب الصحابة بفتح الصاد مصدر صحبه
بكسر الحاء بصحبه بفتحها كالصحبة وثانى جمع الصاحب والجملة فى محل رفع على انها
صفة للاصحاب مقيدة لها دحكم الصحابة عندنا حكم غيرهم لا يتحتم الحكم
بايمانهم وعدالتهم ونجاتهم بمجرد صحبتهم بل لا بد مع ذلك من تحقق ايمانهم وعدالتهم
وحسن صحبتهم لرسول الله صلعم وحفظهم وصيته فى اهل بيته وتمسكهم بالثقلين بعده
واما من انقلب على عقبيه واظهر العداوة لاهل البيت عليهم السلام فهو هالك لا محالة بل
تجب عداوته لله تعالى والبراءة الى الله منه خلافا للعامة والحشوية القائلين بوجوب
الكف والامساك عن جميع الصحابة وعما شجر بينهم واعتقاد الايمان والعدالة فيهم
جميعا وحسن الظن بهم كلهم قال بعض العلماء من الشيعة لو كان الانسان عرف عداوة
من عادى الله من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله فى اصحابه ومن
عهده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ولكن محبة رسول الله صلى الله
عليه وآله ليست كمحبة الجهال الذين يضع احدهم محبته لصاحبه مع العصبية
وانما وجب رسول الله صلى الله عليه وآله محبة اصحابه لطاعتهم لله تعالى فاذا عصوا الله
وتركوا ما اوجب محبتهم فليس عند رسول الله صلعم محاباة فى ترك لزوم ما كان عليه
من محبتهم ولا تغطرس فى التعدى ولا عن التمسك بموالاتهم فلقد كان صلى الله
عليه وآله يحب ان يعادى اعداء الله ولو كانوا عترته كما يحب ان يوالى اولياء الله
وان كانوا ابعد الخلق نسبا منه والشاهد على ذلك اجماع الامة على ان الله تعالى قد اوجب
عداوة من ارتد بعد الاسلام وعداوة من نافق وان كان من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله فاما ما ورد فى القرآن من قوله تعالى لقد رضى الله عن المومنين وقوله تعالى
محمد رسول الله والذين معه فمشروط بسلامة العاقبة وكيف يجوز ان يحكم حكما

خو ثم ان كل واحد من الصحابة عدل ومن جملة الصحابة الحكم بن ابي العاص وكفاك
به عدوا مبغضا لرسول الله ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنص الكتاب
ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية وبسر بن ارطاة
عدو الله وعدو رسوله وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس ومن
ذا الذي يجترى على القول بان اصحاب محمد صلى الله عليه وآله لا يجوز البراءة من احد منهم
وان اساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي اشرف برؤيته لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين وبعد قوله سبحانه قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
وبعد قوله عز وجل فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله
لهم عذاب شديد الا من لا تمييز له ولا نظر ولا تمييز عنده نعم من ثبت ايمانه منهم وعدالته
واستقامته على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وجبت موالاته والتقرب الى الله
تعالى بمحبته والدعاء له كما وقع من سيد العابدين عليه السلام في هذا الدعاء وكما قال
الصادق عليه السلام ان الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وآله من اصحابه طائفة اكرمهم باجل
الكرامة وحلاهم بحلى التأييد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه
وانطق لسان محمد صلى الله عليه وآله بفضائلهم ومناقبهم فاعتقد محبتهم واذكر فضلهم
الذين ابلوا البلاء الحسن في نصره وكانفوه واسرعوا الى وفادته وسابقوا الى
دعوته [illegible] ابلاه في الحرب بلاء حسنا اذا اظهر باسه حتى بلاه الناس اي خبروه قاله
الزمخشري في اساس اللغة وكانفه اي عاونه والوفادة بالكسر اسم من وفد فلان
على الامير اي ورد رسولا فهو وافد ووفدته انا اي ارسلته اي اسرعوا الى تصديق
رسالته والايمان بوروده عليهم رسولا وعن والان المعنى اسرعوا الى الوفادة عليه فقد
ابعد والدعوة بالفتح اسم من دعوته اذا طلبت اقباله اي سابقوا الى اجابة دعوته [illegible]
اجمع الشيعة والمعتزلة على ان اول من اجاب دعوته وصدق رسالته واسلم من
عليه السلام

عليه السلام قال بعض العامة فالروايات الصحيحة والاسانيد القوية الوثيقة كلها
ناطقة بان عليا عليه السلام اول من اسلم وزعمت العامة ان اول من اسلم ابو بكر
قال ابو جعفر الاسكافي وجمهور المحدثين لم يذكروا ان ابا بكر اسلم الا بعد عدة من
الرجال منهم علي بن ابي طالب وجعفر اخوه وزيد بن حارثة وابو ذر الغفاري وعمرو بن
عنبسة السلمي وخالد بن سعيد بن العاص وخباب بن الارت والله اعلم واستجابوا
له حيث اسمعهم حجة رسالاته وفارقوا الازواج والاولاد في اظهار كلمته
استجاب له اذا دعاه الى شيء فاطاع كاجابه وحيث هنا ظرف زمان اي حين
اسمعهم وفيه شاهد على ورودها له وفاقا للاخفش وابن هشام والحجة بالضم
الدليل والبرهان والمراد بها هنا القرآن المجيد وانما كان حجة لاعجازه من حيث
فصاحته وبلاغته ومباينته لساير كلام الناس وعجز سائر الفصحاء والبلغاء
عن معارضة شيء منه وتاثيره في النفوس والقلوب بحيث يجد سامعه من اللذة
والحلاوة عند سماعه ما لا يجده عند سماع غيره واحاطته بعلوم الاولين والآخرين
كما قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء واخباره بالمغيبات مما كان ويكون نحو قوله
يعصمك من الناس ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اي الى مكة
واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم سيهزم الجمع ويولون الدبر وغير ذلك
والازواج جمع زوج وهو كما يقال للرجل يقال للمرأة ايضا وهي اللغة الفصيحة
المشهورة التي جاء بها التنزيل قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة وقد يقال
للمرأة زوجة بالهاء وهي لغة مشهورة حكاها جماعة من اهل اللغة قال ابو حاتم
السجستاني في المذكر والمؤنث لغة اهل الحجاز زوج وهي التي جاء
بها القرآن والجمع ازواج قال واهل نجد يقولون زوجة المرأة قال واهل
مكة والمدينة يتكلمون بذلك ايضا وفي التعليل اي لاجل اظهار كلمته اي

جعلها ظاهرة اى غالبة من ظهر على عدوه اذا علبه او بارزة من ظهر الشئ اذا برز و
بان بعد الخفاء وكلمته دعوته الى الاسلام **وقاتلوا الاباء والابناء فى تثبيت مبنى ترو**
انتصروا مصداق هذا الكلام قول امير المومنين عليه السلام من خطبة له ولقد كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل اباءنا وابناءنا واخواننا واعمامنا وما يزيد
ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا فى جهاد العدو
ولقد كان الرجل منا والاخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما
ايهما يسقى صاحبه كاس المنون فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما راى الله صدقنا
انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام ملقيا جرانه ومتبوئا
اوطانه وقوله عليه السلام وانتصروا من باب التكميل المسمى بالاحتراس فى علم البيان
وهو ان يوتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم فانه لو اقتصر على
ما قبل هذه الجملة لاوهم ان انتصارهم كان بمجرد حسن بلائهم وجدهم فى القتال
فدفع ذلك بقوله وانتصروا به ايذانا بان انتصارهم انما كان ببركته صلى الله
عليه وآله وانه السبب فى نزول النصر عليهم من الله تعالى لان النصر انما هو من عند الله
وقد وعد الله نبيه بالنصر فانجز له ما وعد فانتصارهم بسبب ايمانهم به
كونهم جند الله كما قال امير المومنين عليه السلام ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه
بكثرة ولا قلة وهو دين الله الذى اظهره وجنده الذى اعده وامده حتى
بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع **ومن كانوا مستولين على محبته يرجون تجارة لن**
تبور فى مودته من موصولة اعمى يشترك فيه الواحد وغيره تقول جاءنى
من قام ومن قاما ومن قاموا وفلان منطو على كذا مضمر له والرجاء ترقب النفس
لانتظار ما هو محبوب لها وتوقعها حصوله لسبب حاصل واستعار لفظ التجارة للتوا
والجملة فى موضع نصب على الحال ولن تبور ترشيح اى لن تكسد ولن تهلك بالخسران

اصلا صفة التجارة جئ بها للدلالة على انها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح
والخسران بل هى تجارة لا كساد فيها ولا بوار والمودة اسم من وده يوده من باب تعب
وده بفتح الواو وضمها بمعنى احبه وقيل المودة اشد من الحب فى اما للتعليل متعلقة
بيرجون او للظرفية مجازا وهى مجرورها فى موضع نصب اما صفة ثانية للتجارة
او حال منها ويحتمل تعلقها بتبور **والذين هجرتهم العشاير اذ تعلقوا بعروته**
وانتفت منهم القرابات اذ سكنوا فى ظل قرابته هجره صاحبه هجرا من باب قتل والشئ تركه
والاسم الهجران بالكسر والعشاير جمع عشيرة وهى القبيلة وقيل بنو الى الرجل
الادنون قال ابو على قال ابو الحسن ولم يجمع جمع السلامة وقال غيره وجمع على عشرات
وقول بعضهم العشاير المعاشرون غلط فان العشرة بمعنى المعاشر لا يجمع على عشاير
بل جمعه عشراء ككريم وكرماء وتعلق بالشئ استمسك به وعروة الدلو والكوز ونحوه
مقبضه الذى يتعلق به وعروة القميص مدخل زره قال الزمخشرى فى الاساس ومن
يستعار العروة لما يوثق به ويعول عليه وهى هنا استعارة للاعتقاد الحق الذى هو دين
الاسلام ويتعلق بها ترشيح وانتفى من ولده دفع نسبه اليه ولم يثبته واصله من نفى
الحصى نفيا من باب رمى اذا رفعه عن وجه الارض فانتفى ثم قيل لكل شئ تدفعه ولا تثبته
نفيته فانتفى ونفيت النسب اذا لم تثبته والرجل ينتفى من النسب وقد يقول الرجل لابنه
لست بولدى ولا يريد به نفى النسب بل مراده نفى خلق الولد وطبعه الذى يخلق ابوه
فكانه قال لست على خلقى وطبعى وهذا نقيض قولهم فلان ابن ابيه والمعنى هو على
الاقارب قال الزمخشرى فى الاساس بينهم قرابة وقربى وقرابة وهو قريبى وقرابتى
وهم اقربائى واقاربى وقرابتى انتهى فيكون المراد بالقرابات هنا الاقارب ولا
عبرة بقول صاحب القاموس هو قريبى وذو قرابتى ولا تقل قرابتى بعد نقل الزمخشرى
لذلك ونصه عليه وهو الامام الثبت الثقة فى اللغة حتى قال التفتازانى فى شرح

الكشاف يجان استعماله بمنزلة رواية على انه لم ينفرد بذلك بل قال الفارابي في ديوان
الادب القرابة القريب في الرحم وهي في الاصل مصدر انتهى وعلى تسليم انكار صاحب
القاموس فاسناد الانتفاء الى القرابات مجاز عقلي ماذ في الفقرتين للتعليل اي حرمتهم
العشائر لاجل تعلقهم بعروتك وانتفت منهم القرابات لاجل سكونهم في ظل قرابتك ومثلها
في قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون اي ولن ينفعكم
اليوم اشتراككم في العذاب مشتركون اي ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب لاجل ظلمكم
في الدنيا وهل هي بمنزلة لام العلة او ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ فانه
اذا قيل ضربته اذ اساء واريد الوقت اقتضى ظاهر الحال ان الاساءة سبب الضرب قولان
اجاز ابن مالك الاول ورجحه الرضي حيث قال يجوز اذ للتعليل والاولى حرفيتها اذ لا
معنى لتاويلها بالوقت حتى يدخل في حد الاسم انتهى واختار الشلوبين الثاني اي الظل
الفئ الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس وقيل هو من الطلوع الى الزوال والفئ من الزوال
الى الغروب ثم كني به عن الكنف والناحية والستر فقيل هو في ظل فلان اي في
كنفه وستره ومنه الحديث سبعة في ظل العرش فقوله في ظل قرابتك اي في كنفها
وحمايتها والقرابة هنا بمعنى القرب في المكان والقربة في المنزلة والقربى والقرابة
في النسب انتهى وعلى هذا القول الاخير فاطلاق القرابة على القرب من باب الكناية
وهي نوع من البديع فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك وارضهم من رضوانك
[illegible]
يكنى الشئ كرضى نسيه فيا اشترك بين معنيين احدهما الترك
على تعمد وهو المراد هنا اي لا تترك ما تركوا لك وفيك مهملا من غير جزاء وثواب
عليه قوله ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تقصدوا الترك والاهمال والثاني ترك
الشئ عن ذهول وغفلة وذلك خلاف المذكور وان حمل على هذا المعنى هنا كان

المراد

١٧٧

المراد لا تعاملهم معاملة الناسين لهم فيما تركوا لك لاستحالة النسيان بهذا المعنى
عليه تعالى والغرض الدعاء لهم باثابتهم ومجازاتهم على ما تركوه لله وفي سبيله من الازواج
والاولاد والاموال والاوطان ونحو ذلك مما يعز تركه ووافق وفائدته طلب التجاوز
عنهم على كل حال وهكذا فانهم على كل فعل وترك وقع منهم له تعالى كما يقول الانسان اذا
اراد ان يشفع لاحد عند عظيم لا تنس له حسن بلائه في رضاك وما لقاه من الشدائد
لاجلك ثم ترقى عليه السلم عن ذلك الى سؤال الرضا عنهم حتى يرضوا فقال وارضهم من
رضوانك ومن ابتدائية لا بيانية كما توهم بعضهم وبما حاشوا الخلق عليك وبما حاشوا الخلق
عليك الواو عاطفة والمعطوف عليه معنى يتضمنه الكلام السابق والمقدر
وارضهم من رضوانك بسبب ما ذكر من جميل اعمالهم وبما حاشوا الخلق عليك وما مصدرية
اي لحوشهم يقال حش عليه الصيد واحشه اذا ساقه اليه وجمعه عليه وفي
القاموس حاش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه الى الحبالة كاحاشه والابل جمعها وساقها انتهى
والمعنى بسبب جمعهم الناس على دينك وترغيبهم لهم في طاعتك وعلى هذا فحاشوا
بضم الشين كقالوا وناموا وفي نسخة بفتح الشين فاصله حاشووا كفاعلوا تحركت
الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فالتقى ساكنان الالف وواو الجماعة فحذفت
الالف فصار حاشوا بفتح الشين اي جانبوا الخلق وصاروا على حاشية وطرف منهم
وحاشية كل شئ ناحيته وطرفه لا اقصى وعلى من قوله عليك للتعليل اي لك و
المعنى اعتزلوا الناس وجانبوهم لاجلك كما قال الكوفيون في قوله تعالى قلن حاش لله
ان المعنى جانب يوسف المعصية لاجل الله تعالى وكانوا مع رسولك اي مجتمعين و
مشتركين واللام من قوله لك للاختصاص متعلقة بمحذوف صفة للدعاة اي كائنين
لك هو ظرف مستقر والدك ظرف لغو متعلق بالدعاة اي دعاة الى طاعتك والدلول
في دينك

اى جازهم بجزيل الاجر على تركهم الاهل وبلاد قومهم
ولما كان سبحانه مجازيا للمطيع بجزيل الثواب جعل مجازاته شكرا لهم على سبيل المجاز والا
فالشكر هو الاعتراف بالاحسان والله سبحانه هو المحسن الى عباده والمنعم عليهم وهكذا يجب
شكره تعالى لعبده ثناؤه عليه واطاعه والمراد بهذا الكلام الدعاء للمهاجرين من الصحابة
قال ابن الاثير في النهاية والهجرة هجرتان احداهما التي وعد الله عليها الجنة في قوله ان الله
اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فكان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ويدع اهله وماله لا يرجع في شيء منه وينقطع بنفسه الى مهاجره و
كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكره ان يموت الرجل بالارض التي هاجر منها
فمن ثم قال لكن البائس سعد بن خولة يرثي له ان مات بمكة وقال حين قدم مكة صارت
دار اسلام كالمدينة وانقطعت الهجرة والهجرة الثانية من هاجر من الاعراب وغزا مع المسلمين
ولم يفعل كما فعل اصحاب الهجرة الاولى فهو مهاجر وليس بداخل في فضل من هاجر تلك
الهجرة وهو المراد بقوله عليه السلام لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة فهذا وجه الجمع بين
الحديثين واذا اطلق في الحديث ذكر الهجرتين فانما يراد بهما هجرة الحبشة وهجرة المدينة
انتهى كلامه والسعة خلاف الضيق وهي مصدر وسع يسع والهاء فيها عوض عن الواو
وتطلق على الجدة والطاقة قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته اي قدر غناه وسعته والمعاش
هنا بمعنى المعيشة وهو ما يعاش به ويقع مصدرا يقال عاش عيشا ومعاشا واسم زمان
قال تعالى وجعلنا النهار معاشا اي وقت التقلب في تحصيل المعاش وضاق الشيء ضيقا
بالفتح والكسر خلاف اتسع وقيل بالفتح مصدر وبالكسر اسم والضيق بالتشديد ايضا تخفيف
الضيق كميت وميت فيجوز حمله في الدعاء على هذا المعنى في رواية الفتح روى
رئيس المحدثين في كتاب الخصال باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثني عشر الف ثمانية آلاف من المدينة والفين

من مكة

من مكة والفين من الطلقاء لم ير فيهم قدري ولا مرجي ولا حروري ولا معتزلي
ولا صاحب راي كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون اقبض ارواحنا من قبل ان ناكل
خبز الخمير وفي خطبة لامير المؤمنين عليه السلام اين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه
وقرؤا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا وله اللقاح اولادها وسلبوا السيوف اغمادها
واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا
يبشرون بالاحياء ولا يعزون بالموتى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام
ذبل الشفاه من الدعاء صفر الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك
اخواني الذاهبون فحق لنا ان نظما اليهم ونعض الايدي على فراقهم قال ابن ابي الحديد
ان هؤلاء الذين يشير عليه السلام اليهم هم قوم كانوا في نأنأة الاسلام في
زمان ضعفه وخموله ارباب زهد وعبادة وجهاد شديد في سبيل الله كمصعب
بن عمير من بني عبد الدار وكسعد بن معاذ من الاوس وكجعفر بن ابي طالب و
عبدالله بن د وغيرهم ممن استشهد من الصالحين ارباب الدين والعبادة والشجاعة
في يوم احد وفي غيره من الايام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وكعمار
وابي ذر والمقداد وسلمان وخباب وجماعة من اصحاب الصفة وفقراء المسلمين
ارباب العبادة الذين قد جمعوا بين الزهد والشجاعة وقد جاء في الاخبار الصحيحة
ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الجنة لتشتاق الى اربعة علي وعمار وابي ذر و
المقداد وجاء في الاخبار الصحيحة ايضا ان جماعة من اصحاب الصفة مر بهم ابو سفيان
بن حرب بعد اسلامه فعضوا ايديهم عليه فقالوا واسفاه كيف لم تاخذ السيوف
ماخذها من عنق عدو الله وكان معه ابو بكر فقال لهم اتقولون هذا لسيد البطحاء
فرفع قوله الى رسول الله صلى الله عليه وآله فانكره وقال لابي بكر انظر لا تكون
اغضبتهم فتكون قد اغضبت ربك فجاء ابو بكر اليهم وترضاهم وسالهم ان يستغفروا

له فقالوا اغفر الله لك انتهى ومن كثرت فى اعين الناس من مظلوميهم
عطف على الذين هجرهم الخاسرون وقيل على ضمير الجمع فى قوله واشكرهم وفى التعليل اى
لاجل اعزاز ذلك واعزه اعزازا جعله عزيزا اى رفيعا ممتنعا واعزه ايضا اذا قواه
وشدده وكثره ومنه فعززنا بثالث اى فقوينا وشددنا قال صاحب المحكم وفى
التنزيل اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اى اشداء عليهم وليس هو من عزة
النفس ومن فى قوله من مظلوميهم لبيان الموصول مثلها فى قوله تعالى ليمس الذين
كفروا منهم عذاب اليم ومع مجرورها فى موضع نصب على الحال وصاحبها من
الموصولة لانها فى محل نصب مفعول كثرت وهو العامل فيها والمراد بظلمهم
ما اصابهم من تعذيب المشركين لهم قبل الهجرة حتى قالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها واخراجهم اياهم من ديارهم واموالهم كما قال تعالى والذين اخرجوا
من ديارهم واموالهم كما قال تعالى والذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا وذلك حين اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج ومما اصيبوا
به فى الانفس من القتل والاسر والجراح وفى الاموال من النهب والغصب وما كانوا يلقونه
من سماع الاذى من اهل الكتاب والمشركين من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى
احكام الشرع الشريف وصدهم ارادات بونهم وتخطئته من امن ونحو ذلك كما قال
تعالى لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ومن فى فوادلك
هنا قال بعضهم يجوز ان تكون من ابتدائية على ان يكون المظلوم بمعنى البلد الذى
لا زرع فيه ولا مرعى للدواب والارض التى لم تهيأ للزرع قطعا يعنى مكة زادها الله
تعالى شرفا وتعظيما اللهم وافض الى التابعين لهم باحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان خير جزائك التابعون هم اللاحقون بالسابقين

من المهاجرين

من المهاجرين والانصار وفيه تلميح الى قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه والتابعى
قوله باحسان للملابسة اى ملتبسين به والمراد به كل خصلة حسنة فيدخل
فى التابعين ساعد السابقين من الفريقين صحابيا او كان تابعيا والتابعين
لهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بهم المؤمنون بعد الصحابة الى
اخر الدهر وقوله الذين يقولون الى اخره نعت للتابعين وهو اقتباس من قوله
تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤف رحيم والجملة
مستوفية لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الله
الذى هو اعز واشرف عندهم من النسب فى الاعتراف لهم بفضل السبق بالايمان الذى
احرزوه دونهم وخير للتفضيل اصلها اخير حذفت الهمزة منها كما حذفت
من شر وهى لغة جميع العرب فيهما ما عدا بنى عامر فانهم يقولون هذا اخير من ذاك
واشر منه باثباتها واختلف فى سبب حذفها عندهم فقيل لكثرة الاستعمال
وهو المشهور وقال الاخفش لانهما لما لم يشتقا من فعل خولف لفظهما فقيل هذا
منهما شذ وذاك حذف الهمزة وكونهما لا فعل لهما والجزاء المكافاة على الشى
يقال جزاه به وعليه جزاء وجازاه مجازاة وقد يطلق على المجازى به ومنه
فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا الذين قصدوا سمتهم وتحروا وجهتهم ومضوا
على شاكلتهم قصدت الشى وله واليه قصدا من باب ضرب طلبته بعينه
وقصدت قصده اى نحوت نحوه والسمت الطريق والقصد وحسن النحو والسكينة
والوقار وهو حسن السمت اى الهيئة وتحرى الشى توخاه وتعمده وقصده واصل
التحرى طلب ما هو الاحرى اى الاليق والاخلق والوجهة بكسر الواو وتضم قال

قال المازنى والمبرد والفارسى هى اسم ظرف بمعنى المكان المتوجه اليه فلا شذوذ
فى اثبات واوها لانها ليست بمصدر وهو انما تحذف ويعوض عنها الهاء اذا كانت فى
المصادر كعدة وزنة وذهب قوم الى انها مصدر بمعنى التوجه وهو الذى يظهر
من كلام سيبويه ونسب الى المازنى ايضا وعلى هذا فاثبات الواو فيها شاذ والمسوغ
لاثباتها دون غيرها من المصادر انها مصدر غير جار على فعله اذ لا يحفظ وجه يجه
فلما فقد مضارعه لم يحذف منه الواو اذ لا موجب لحذفها منه الا حمله على
مضارعه ولا مضارع له وانما الفعل المستعمل منه توجه والجهة والمصدر الجارى
على التوجه بحذف زوائده وقيل وجهة ورجح الشلوبين القول بانها مصدر
فقال لان وجهة وجهة بمعنى واحد فلا يمكن ان يقال فى جهة انها اسم المكان
اذ لا يبقى الحذف وجره ورجح الرضى الاول قال واما الجهة فشاذ لانه ليس بمصدر
فلبس تأويله بكان الواو والشاكلة الشية والطريقة والمذهب وما يشاكل الاصل
ومنه قوله تعالى كل يعمل على شاكلته اى طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى
والضلالة وقيل جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه ومفاد هذه الفقرات
من الدعاء بيان اتباع التابعين لهم باحسان وتقريرا نقفائهم اثارهم وسلوكهم
مسالكهم والاقتداء بهم فى اعمالهم وافعالهم لم يثنهم ريب فى بصيرتهم ولم يختلجهم
شك فى قفو اثارهم والائتمام بهداية منارهم ثناه يثنيه من باب رمى اذا عطفه ورده وعن مراده
طرفه عنه والريب فى الاصل مصدر قولك رابنى الشىء اذا حصل فيك الريبة
بالكسر وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل فى معنى الشك مطلقا
او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفى الحديث دع ما يريبك الى ما
لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة والبصيرة العقيدة والعلم
الخبرة والفطنة او هى للنفس كالبصر للجسد والاختلاج افتعال من الخلج وهو الجذب

والترع

والنزع يقال خلجه من باب ضرب واختلجه اذا جذبه وانتزعه ومنه الحديث
ليردن على الحوض اقوام ثم ليختلجن دونى اى يجتذبون ويقتطعون ومنه
خلج قلبى امر اى نازعنى فيه فكرى وتخلجته الاشواق والهموم تجاذبته والشك
خلاف اليقين واصله اضطراب القلب والنفس ثم استعمل فى التردد بين
الشيئين سواء استوى طرفاه او ترجح احدهما على الآخر قال تعالى وان كنت فى شك
مما انزلنا اليك اى غير متيقن وقال الاصوليون هو تردد الذهن بين امرين
على حد سواء قالوا التردد بين الطرفين ان كان على السواء فهو الشك والا
فالراجح ظن والمرجوح وهم وقفوت اثره قفوا من باب قال تبعته والاثار
جمع اثر بفتحتين وهو ما بقى من رسم الشىء وانما قيل لمن يتبع شخصا قفا اثره
واقتفى اثاره لانه كالماشى على اثر اقدامه والائتمام الاقتداء من ائتم به اى
اقتدى واسم الفاعل مؤتم واسم المفعول مؤتم به فالصلة فارقة
والهداية مصدر هداه الطريق يهديه هداية اى دله عليه وهذه لغة الحجاز
وفى لغة غيرهم يتعدى بالحرف فيقال هديته الى الطريق وللطريق والمنار
بفتح الميم قال الجوهرى علم الطريق وذو المنار ملك من ملوك اليمن واسمه ابرهة
بن الحرث الرائش وانما قيل له ذو المنار لانه اول من ضرب المنار على طريقه فى مغازيه ليهتدى بها اذا رجع
انتهى وفى القاموس المنار العلم وما يوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق
انتهى وقال ابن الاثير فى النهاية وفى لعن الله من غير منار الارض المنار جمع منارة
وهى العلامة تجعل بين الحدين ومنار الحرم اعلامه التى ضربها الخليل عليه السلام
على اقطاره ونواحيه والميم زائدة ومنه حديث ابى هريرة ان للاسلام صوى
ومنارا اى علامات وشرائع يعرف بها انتهى وقال الزمخشرى فى الاساس اهتدوا
بمنار الارض باعلامها وهدم فلان منار المسجد جمع منارة انتهى وعلى هذا فقوله

بهداية منادهم يجوز ان يكون مفردا بمعنى العلم وان يكون يكون اسم
جنس بمعنى الاعلام وجملة لم يتهم في محل نصب على الحال من الذين او
ضميره **متكاتفين متوازرين يدينون بدينهم ويهتدون بهديهم** كانفه
عاونه وفي النهاية في حديث الدعاء مضوا على شاكلتهم مكانفين اي
يكنف بعضهم بعضا اي يعين يقال كنف صاحبه اذا اعانه والموازرة
المقوية والمساعدة من الازر بالفتح بمعنى القوة والشدة وواوها منقلبة
عن همزة يقال ازره بوازره موازرة واما وازره بمعنى صار له وزيرا
فهو من الوزر بالكسر بمعنى الثقل لان الوزير يحمل اثقال الملك فواوه اصلية و
يدينون بدينهم اي يتبعونهم ويوافقونهم على دينهم قال ابن الاثير في حديث
الحج كانت قريش ومن دان بدينهم اي اتبعهم في دينهم ووافقهم عليه واتخذ دينهم
دينا وعبادة والهدى بفتح الهاء وسكون الدال على وزن فلس مصدر بمعنى
الهدى بضم الهاء وفتح الدال قال في القاموس هداه هدى وهديا وهداية
وهدية بكسرهما ارشده فهتدى واهتدى انتهى والهدى على وزن فلس
الطريقة والسيرة والهيئة ايضا يقال هدى هدى فلان اذا سار سيرته
ومنه الحديث واهدوا اهدي عمار اي سيروا سيرته وتهيئوا بهيئته تقول
عليه السلام يهتدون بهديهم يجوز ان يكون بمعنى الهداية اي يهتدون بهدايتهم و
ارشادهم وان يكون بمعنى الطريقة اي يهتدون بطريقتهم وسيرتهم والهدى
بهذا المعنى اشهر منه بمعنى الهداية ونصب متكافين وموازرين على الحال و
جملة يدينون اما حال مترادفة او مستانفة على وجه التعليل اي لانهم يدينون
بدينهم **يتفقون عليهم لا يتهمونهم فيما ادوا اليهم** اي يجتمعون عليهم ولا
يختلفون في امرهم بان يقول بعضهم فيهم قولا ويقول آخرون خلافه بل كلمتهم مجتمعة

عليهم والاتفاق افتعال من الوفق بمعنى الموافقة واصله او تفاق لان الواو
قلبت بالانكسار ما قبلها وهي ساكنة وادغمت في تاء الافتعال بعد قلبها
تاء للتوصل الى الادغام فتولدت الشدة لذلك وهكذا الكلام في يتفقون
اصله يوتفقون جرى فيه نحو الاعلال المذكور من قلب الواو تاء وادغامها
في تاء الافتعال فصار يتفقون ونظير ذلك الاتهام ويتهمون ونحوه واتهمه
بكذا كافتعله ادخل عليه التهمة كرطبة اي ما تهم عليه واتهمه في كذا شك
في صدقه وادى اليه الشيء اوصله ومنه اداء الامانة اي لا يشكون في صدقهم
وصحة ما اوصلوه اليهم من الاثار والاحوال والاحكام التي سمعوها وشاهدوها
من النبي صلى الله عليه وآله وجملة يتفقون عليهم مستانفة استينافا بيانيا كانه قيل
كيف يكاتفونهم ويوازرونهم ويدينون بدينهم فقال يتفقون عليهم الى آخره
ولهذا لم يعطفها على ما قبلها **اللهم وصل على التابعين من يومنا هذا الى**
يوم الدين من يومنا هذا اي من وقتنا واليوم وان كان في اللغة عبارة عن
الوقت الذي يقع ما بين طلوع الشمس الى غروبها الا ان العرب قد تطلقه
وتريد به مطلق الوقت والحين نهارا كان او ليلا فيقولون ذخرتك لهذا اليوم
اي لهذا الوقت الذي افتقرت فيه اليك ومنه تلك ايام الهرج اي وقته
ولا يكادون يفرقون بين قولهم يومئذ وحينئذ وساعتئذ ومن للابتداء
الغاية في الزمان وعلى التقديرين فهي متعلقة بالتابعين لا بقوله صل كما توهم
بعضهم والواو من قوله والى يوم الدين ثابتة في النسخ المشهورة وهي عاطفة
والظرف بعدها متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله والتقدير وعلى التابعين
من بعد يومنا هذا الى يوم الدين على كون من ابتدائية او وعلى التابعين في كل يوم
الى يوم الدين على كونها ظرفية وفائدة ايراد الواو وادخال من تجدد من التابعين

الى اليوم قد جرت كل الكتاب

في كلامه تعالى يوم القيمة واما ما قيل من الاتيان بها للارادة التابعين الذين يتبعون
متابعتهم الى ما يترتب على المتابعة من الثواب الى يوم الدين ولا يعتريهم تغير و
لا تبدل فغير ظاهر بل لو قيل ان عدم ما يدل على هذا المعنى كان اظهر ويحتمل احتمالا
بعيدا ان تكون من في من يومنا هذا لانتهاء الغاية بمعنى الى كما ذهب اليه الكوفيون
وتبعهم ابن مالك من اثبات هذا المعنى لها واستدل له ابن مالك بصحة قوله تقربت
منه وهو معنى تقربت اليه وعلى هذا يكون المعنى وصل على التابعين الى
يومنا هذا والى يوم الدين فايراد الواو حينئذ متحتم ومقابلها ظاهر واليوم
المضاف الى الدين مراد به مطلق الوقت ايضا والدين هنا بمعنى الجزاء خيرا كان
او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم
يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني
فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم مسببه
كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمها في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
وقوله سبحانه فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء
المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره
فان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسببة
وهي العقوبة به فصارت كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة
المفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم الى الدين لملابسة
كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب
وعام الفتح وتخصيصه من بين ساير ما يقع فيه من القيمة والجمع والحساب لكونه
ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي
الجزاء ومقدماته وعلى ازواجهم وعلى ذرياتهم وعلى من اطاعك منهم اعا

الخاص

الخاص للتأكيد وافادة تعدد الصلوة لتكون الصلوة على كل منهم مستقلة لا بطريق
التبعية من زوج الرجل امرأته وزوج المرأة بعلها ايضا والجمع فيهما ازواج
هذه اللغة العالية وبها جاء التنزيل قال ابو حاتم واهل نجد يقولون في
المرأة زوجة بالهاء واهل الحرم يتكلمون بها وعكس ابن السكيت فقال و
اهل الحجاز يقولون زوج بغير هاء وسائر العرب زوجة بالهاء وجمعها
زوجات والفقهاء يقتصرون في الاستعمال عليها للايضاح وخوف لبس الذكر
بالانثى اذ لو قيل تركة فيها زوج لم يعلم اذكر ام انثى والذريات جمع
ذرية مثلثة الاول والضم اشهر وهي نسل الرجل قيل هي فعولة من ذرو
او ذري والاصل ذرووة او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة
واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت ياء وواو
سبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء فصارت
ذرية وقيل فعيلة منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو ياء لما
سبق من اجتماعهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء في
مثلها فصارت ذرية وقيل فعلية من الذرء بالهمز بمعنى الخلق والاصل ذريئة
فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت الياء الزائدة في المبدلة
وقيل فعلية من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء
لتوالي الامثال كما في تقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر وقيل فعولة
منه والاصل ذرورة فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقوله عليه السلام
وعلى من اطاعك منهم من عطف الخاص على العام اظهارا لشرف الطاعة وابانة
لحظوها واهتماما بشأن اهلها بتخصيصهم بالذكر بعد العموم والدعاء لهم ضمنا
واستقلالا والضمير في منهم اما للاولاد او للازواج والاولاد معا فقد ذكر على

على سبيل التغليب صلوة تعصمهم بها من معصيتك وتفتح لهم فى رياض جنتك سبل

تعصمهم فى محل نصب على النعت الصلوة وهى منصوبة على المفعولية المطلقة

وعصمه الله من المكروه ونحوه يعصمه من باب ضرب حفظه ووقاه والاسم

العصمة والباء من بها للسببية والضمير للصلوة والمعصية مفعلة من العصيان

يقال عصاه يعصيه عصيا وعصيانا ومعصية لم يطعه قال سيبويه

لا يجى هذا الضرب على مفعل الا وفيه الهاء لانه ان جاء على مفعل بغير ها اشتبه

بالمفعل فعدلوا الى الاخف وفتح له فى المكان من باب نفع وسع والاسم الفسحة بالضم بمعنى

السعة والرياض جمع روضة والاصل رواض قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها

وهى الموضع المعجب بالزهور وقيل كل ارض ذات نبات وماء فروضة وقيل

سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة فيها اى لسكونها بها قال

تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون اى يسرون

او ينعمون وتمنعهم بها من كيد الشيطان وتعينهم بها على ما استعانوك عليه من

بر المنع تحجير الشئ وفلان يمنع الجار يحميه من ان يضام وكاده كيدا

من باب باع خدعه ومكر به وفى الشيطان قولان احدهما انه من شطن اذا بعد

فانه بعيد عن الخير والرحمة فتكون نونه اصلية ووزنه فيعال الثانى ان الياء

اصلية والنون زائدة عكس الاول وهو من شاط يشيط اذا بطل واحترق ووزنه

فعلان واستعانه واستعان به طلب معونته يتعدى بنفسه وبالحرف

والبر بالكسر هو التوسع فى الخير من البر بالفتح الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع

اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة

الاقارب وبر فى مراعاة الاقارب وفى مسالمة الاجانب ومن بيان لما و

تنكير البر هنا للاستغراق والنكرة فى الايجاب وان كان ظاهرة فى عدم الاستغراق

الا انها قد تستعمل فيه مجازا كثيرا فى المبتداء نحو تمرة خير من جرادة وقليلا فى

غيره نحو علمت نفس ما احضرت وقول الحريرى يا اهل ذا المغنى وقيتم شرا

وما نحن فيه من هذا القبيل وانما قدم طلب المنع من كيد الشيطان على طلب الاعانة

على البر جريا على القاعدة المشهورة من تقديم التخلية على التحلية وتقيهم بها من طوارق

الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير وقاه الله السوء يقيه وقاية بالكسر حفظه

منه وصانه عنه والطوارق جمع طارقة وهى فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا

اذا جاء ليلا قال الماوردى واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما

سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ما ظهر

بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية فقالوا

طرق الخيال والمراد ههنا مطلق الحوادث ليلا كانت او نهارا لا اضافتها اليهما

والاضافة بمعنى فى نحو مكر الليل وتربص اربعة اشهر على الصحيح وفاقا لابن الحاجب

وابن مالك وقال الجمهور ما ادعم معنى فى فهو على معنى اللام مجازا وهو تكلف لا

داعى اليه وقوله الا طارقا اى حادثا والباء فى بخير للملابسة اى ملتبسا بخير

مثلها فى قوله تعالى اهبط بسلام منا قال الرضى وقيل ولا يكون هذا المعنى الا مستقرا

والظاهر انه لا منع من كونها لغوا وتبعثهم بها على امتثال حسن الرجاء لك والطمع فيما

عندك وترك التهمة فيما تحويه ايدى العباد بعثه على الشئ حمله على فعله والمعتقد

كذا اعتقدت عليه القلب والضمير حتى قيل العقيدة ما يدين الانسان به والرجاء

بالمد قال بعض المحققين وحقيقته ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها

فهو حالة لها تصدر عن علم وتقتضى عملا وبيان ذلك ان ما يتصوره النفس من

محبوب او مكروه اما ان يكون موجودا فى الماضى او الحال او يوجد فى الاستقبال

والاول يسمى ذكرا وتذكرا والثانى يسمى وجدا لوجدان النفس له فى الحال والثالث

وهو ان يغلب على ظنك وجود شئ فى الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك
انتظارا وتوقعا فان كان مكروها حدث منه فى القلب تألم يسمى خوفا وان كان
محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس وارتياح باخطار وجوده بالبال
يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لابد وان يكون لسبب فان كان توقعه
لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم
بانتفاء اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة
الوجود ولا الانتفاء فاسم التمنى اصدق على انتظاره واعلم ان الرجاء لثواب الله
ورحمته والفوز بالسعادات الاخروية مقام شريف مستلزم لمقامات
عالية لانه يستلزم الصبر على المكاره وفعل الطاعات وترك المنهيات لعلمه
بان الجنة حفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات ومقام الصبر يؤدى الى
مقام كمال المعرفة المؤدى الى مقام الانس المؤدى الى مقام المحبة المستلزم لمقام
الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب وتفويض نفسه وامره
اليه والوثوق بعنايته ولذلك قيل الرجاء لا ينفك عن الاعمال الصالحة وقيل الرجاء
ماتة الاستبشار بلزوم الطاعات ويدل عليه ما روى عن الصادق عليه السلام قيل
له ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصى ويقولون نرجو فقال كذبوا ليسوا لنا بموال
اولئك قوم ترجحت بهم الامانى من رجا شيئا عمل له ومن خاف من شئ هرب منه
وفى خطبة لامير المؤمنين عليه السلام زعم انه يرجو الله كذب والعظيم ماله لا يتبين
رجاؤه فى عمله وكل من رجا عرف رجاؤه فى عمله ومن ثم قالوا الرجاء افضل
اذا قارنه خوف لان كل واحد منهما من دون الاخر من الملكات الردية المهلكة كما يؤيده
قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وقول الباقر عليه السلام انه ليس من عبد مؤمن
الا وفى قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا

لم يزد على هذا وقول

لم يزد على هذا وقول بعض العارفين من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل
نفسه على الخوف قنط ولكنه ينبغى ان يخاف العبد راجيا ويرجو خائفا
وتقييده عليه السلام الرجاء بالحسن فى قوله حسن الرجاء اشارة الى ذلك وهو له
لك اى لثوابك او لرحمتك كقوله تعالى لمن كان يرجو الله اى رحمته بدليل قوله
سبحانه ويرجون رحمته **قوله** عليه السلام والطمع فيما عندك طمع فيه وبه من باب
فرح طمعا وطماعا وطماعية مخففة حرص عليه ورجاه واكثر ما يستعمل فيما
يقرب حصوله والمراد بما عنده سبحانه خزائن رحمته الدنيوية والاخروية كما
قال تعالى ان ما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق
اما الاخروية فبقاؤها ظاهر واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية
ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات الصالحات ومن هذا يظهر ان
هذه ليست تكرارا للاولى لاختصاص الاولى بالرحمة الاخروية وعموم هذه
للدنيوية والاخروية معا فهى من قبيل عطف العام على الخاص **قوله** وترك
التهمة فيما تحويه ايدى العباد التهمة على وزن رطبة اسم من اتهمته بكذا
اذا ظننت به وسكون الهاء لغة حكاها الفارابى واصل التاء واو كما
مر بيانه وحواه يحويه ضمه واستولى عليه وحواه ايضا ملكه وجمعه كاحتواه
واحتوى عليه والايدى جمع قلة ولامها محذوفة والاصل يدى قيل بفتح
الدال وقيل بسكونها وجمع الكثرة الايادى ولما كانت اليد من بين
جوارح الانسان مناط عامة صنايعه ومدار اكثر منافعه عبر بها تارة
عن النفس كما يقال هو ملك يده اى ملكه وتارة عن القدرة كما يقال اخذته عن يد اى
عن قدرة عليه وتارة عن الملك كما يقال الدار فى يد فلان اى فى ملكه وتارة
عن التصرف كما يقال الامر بيده او فى تصرفه والمراد بترك التهمة امانوك التهمة

لله سبحانه في قضائه بسبب ما تحويه ايدي الناس من متاع الدنيا بان تتهموه بعدم
العدل في القسمة اذا نظروا الى خلو ايديهم عما جمعوه وملكه غيرهم كما رواه ثقة
الاسلام في الكافي باسناده عن ابي الحسن الاول عليه السلام قال ينبغي لمن عقل
عن الله ان لا يستبطئه في رزقه ولا يتهمه في قضائه وفي ذلك يقول الشاعر
ومن لم يكن لله متهما ٭ لم يمس محتاجا الى احد وقال الآخر ٭ لا اقول الله يظلمني ٭
كيف اشكو غير متهم ٭ او ترك التهمة للعباد فيما جمعوه وملكوه بان يسيئوا الظن
فيهم اذا منعوهم ما في ايديهم كما رواه في الكافي ايضا عن ابي عبد الله عليه السلام
قال من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته
الله قال بعض العلماء والنهي عن لومهم لوجوه الاول ان لومهم ظلم لهم لانهم لم
يمنعوه بل الله لم يؤته ما سأل منهم والثاني ان لومهم ينتهي الى الله لانه انما يلام
المانع من الاعطاء لا معطي ولا مانع الا الله فيرجع اللوم اليه الثالث ان لومه
للمانع من الخلق شرك لانه اعتقد انه مانع له فلامه فاشرك في المنع مع الله عز وجل وفي
رواية ترك النهمة بفتح النون وسكون الهاء اي الشهوة قال في الاساس لي في
هذا الامر نهمة اي شهوة والمعنى على هذه الرواية ظاهر لتردهم الى الرغبة اليك
والرهبة منك اللام للتعليل قال ابن هشام وانتصاب الفعل بعدها بان مضمرة
جميعا وفاقا للجمهور لا بان مضمرة او بكي مصدرية مضمرة خلافا للسيرافي وابن كيسان
ولا باللام بطريق الاصالة خلافا لاكثر الكوفيين ولا بها لنيابتها عن ان خلافا
لثعلب انتهى ومتعلقها قوله وتبعتهم ورده ردا بمعنى صرفه اي لتصرفهم الى
الرغبة اليك اي الضراعة والمسألة لك يقال رغب الى الله رغبا اذا دعاه وسأله
واذا عديت بفي فهي بمعنى الارادة يقال رغب فيه اي اراده او بعن فهي بمعنى
الكراهة يقال رغب عنه اذا كرهه ولم يرده والرهبة الخوف قال المحقق الطوسي في

اوصاف

١٨٥

اوصاف الاشراف هو تألم النفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيات
والتقصير في الطاعات كما في اكثر الخلق وقد يحصل بمعرفة عظمة الحق
ومشاهدة هيبته كما في الانبياء والاولياء وفرق بعض العارفين بين الخوف
والرهبة فقال الخوف هو توقع الوعيد وهو سوط الله تقوم به الشاردين
عن بابه ويسير بهم على صراطه حتى يستقيم بهم امر من كان مغلوبا على رشده ومن
علامته قصر الامل وطول البكاء والرهبة هي انصباب الى وجهة الهرب بل هي
الهرب رهب وهرب مثل جبذ وجذب فصاحبها يهرب ابدا لتوقع العقوبة
ومن علاماتها حركة القلب الى الانقباض داخل وهربه وانزعاجه عن انبساطه
حتى انه يكاد ان يبلغ الرهابة في الباطن مع ظهور الكدر والكآبة على الظاهر انتهى
والرهابة كسحابة عظم في مشرف على البطن وان يزهدهم في سعة العاجل بحبب اليهم
العمل للآجل والاستعداد لما بعد الموت زهد في الشيء وزهد عنه ايضا زهدا
وزهادة تركه واعرض عنه فهو زاهد والجمع زهاد ويتعدى بالتضعيف فيقال
زهدته فيه والعاجل اسم فاعل من عجل عجلا من باب تعب اذا اسرع وحضر
وسعة العاجلة للساعة الحاضرة وهو صفة لموصوف محذوف اي سعة
المعاش العاجل كما ورد في دعاء آخر ولا تشغل قلبي بدنياي وعاجل معاشي عن
آجل ثواب آخرتي وتحبب اليهم العمل اي تجعله محبوبا لهم ولما كان في التحبيب
معنى انهاء المحبة وايصالها اليهم استعمله بكلمة الى والآجل فاعل من اجل
الشيء اجلا من باب تعب واجل اجولا من باب قعد لغة بمعنى تأخر ومنه آجل الشيء
لمدته ووقته الذي يحل فيه واللام للتعليل متعلقة بالعمل هنا ترك المعاصي
وفعل الطاعات ليصيروا بذلك بعد الموت ناجين من العذاب فائزين بجزيل
الثواب وفيه اشعار بتجرد النفس الانسانية وبقائها بعد الموت كما وردت به

نصوص كثيرة عنهم عليهم السلم تهون اى تسهل من هان يهون هونا بالفتح ادلان كول
هو يقين و يعدى بالتضعيف فيقال هونته والكرب الحزن والغم ياخذ بالنفس
كربه الامر من باب قتل شق عليه والكربة بالضم اسم منه وحل العذاب يحل حلولا
من باب ضرب و تعدى اى نزل واما حل بالبلد حلولا فهو من باب قعد اعنى و يوم
خروج الانفس اى وقت خروجها فالمراد باليوم مطلق الوقت كما تقدم بيانه و
يحل كرب يحل بهم غمرات الموت و سكراته التى هى اقطع من ان يحيط بها وصف
او يقوم بيانها شرح كما قال امير المؤمنين ع فى خطبة له وان للموت لغمرات هى
اقطع من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل الدنيا اى لا تستقيم على العقول
اهل الدنيا اى لا تستقيم على العقول فلا تصدق بها لهولها وعظمها و روى ان
النبى صلى الله عليه و آله كان يقول فى سكرات الموت قال بعض المحققين فمن
يستعين عليه الرسول صلى الله عليه و آله مع كمال اتصاله بالعالم الاعلى فلا شك فى
شدته والله المستعان تنبيه ظاهر قوله عليه السلام يوم خروج الانفس من ابدانها
ان النفس داخله فى البدن فهى عند الموت تخرج منه وهى بظاهرها تؤيد قول المنكرين
لتجرد النفس كالنظام القائل بانها اجسام لطيفة سارية فى البدن سريان ماء الورد
فى الورد وجمهور المعتزلة القائلين بانها جسم لطيف بخارى يتكون من الطف اجزاء
الاغذية ينفذ فى العروق الضوارب والحيوة عرض قائم بالنفس وحال فيها قالوا وكيفية
قبض ملك الموت للنفس انه يلج فى فم الانسان الى قلبه لانه جسم لطيف هوائى لا يتعذر
عليه النفوذ فى المخارق الضيقة فيخالط النفس التى هى كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخارى
ثم يخرج من حيث دخل والنفس معه وانما يكون ذلك فى الوقت الذى يأذن الله تعالى
فيه وهو حضور الاجل وهؤلاء نافون للنفس الناطقة لكن اعاظم الحكماء الالهيين و
اكابر الصوفية العارفين كلهم قائلون باثبات النفس الناطقة وتجردها عن عالم

الاجسام

الاجسام و وافقهم من متكلمى الاسلام قدماء اصحابنا الامامية رحمهم الله كابن
بابويه والشيخ المفيد والمرتضى علم الهدى وبنى نوبخت جميعا استفادوه
من ائمتهم المعصومين عليهم السلام ومن الاشاعرة الغزالى والفخر الرازى فذهبوا
الى ان النفس الناطقة موجود ليس بجسم ولا جسمانى اى حال فى الجسم وهى التى يشير
اليها كل واحد منا بقوله انا وانها ليست بداخلة فى البدن ولا خارجة عنه بالمباينة
ولا متصلة به ولا منفصلة عنه لان مصحح الاتصاف بهذه الامور الجسمية والتحيز
وقد انتفيا عنها وليست ايضا فى جهة من الجهات بل منزهة عن الاختصاص بالجهات
والاتصال بالاجسام والحلول فيها ولا هى عرض مطلقا لان العرض لا يتصف بصفة
لانه نفس الصفة ولا يقبل صفة اخرى سيما الصفة المقابلة كالعلم والجهل والشجاعة
والجبن وتعلقها بالبدن انما هو كتعلق العاشق بالمعشوق عشقا جبليا الهاميا لا يمكن
العاشق بسببه مفارقة معشوقه ما دامت مصاحبته ممكنة ولذلك يكره مفارقته
ولا يمله مع طول مصاحبته اياه وكتعلق الصانع بالالات التى يحتاج اليها
فى افعاله فكان من الواجب ان يكون لها بحسب كل فعل آلة مناسبة لذلك الفعل
فلذلك خلق فى البدن قوى مختلفة كل واحدة منها آلة لفعل مخصوص كقوة
البصر للابصار والسمع للسماع فتبارك الله احسن الخالقين وحقيقة الموت
عند هؤلاء هو انقطاع تعلق النفس بالبدن وتصرفها فيها لخروجه عن حد الانتفاع
به وكيفية قبض ملك الموت لها انه يتولى افاضة العدم على قوى هذا البدن
حال انقطاع تعلق النفس به وعلى هذا فيكون خروج الانفس عن ابدانها كناية
عن مفارقتها لها وانقطاع تعلقها بها ولما كانت النفس متجردة منغمرة فى
عوارض البدن وعلائقه المادية وملاحظتها اياه دائما لا تنفك عن الالتفات
اليه ما دامت متعلقة به لسعيها فى مصالح هذا المزاج واصلاحه واعدادها

اياه لتمام التصريف والاستعمال كانت كانهما حالة فيه حلول الساكن في الدار القايم
بمصالحها فعبر عن القائهما اياه وطرحها له وتخليها عنه بالخروج عنه وفيه دلالة
على ان النفس الانسانية شئ غير هذا الهيكل المحسوس لان الخارج يجب ان يكون مغايرا
للخروج منه خلافا لجمهور المتكلمين القائلين بان النفس هي الهيكل المخصوص والله اعلم
ونعافيهم مما تقع به الفتنة من محذوراتها عافاه الله من المكروه
معافاة وعافية وهب له العافية وهي دفاع الله عن العبد تكون اسما وتكون مصدرا
وهو الاصل فيها جاءت على فاعلة ومثله ناشئة الليل بمعنى نشوء الليل والخاتمة
بمعنى الختم والعاقبة بمعنى العقب ومنه ليس لوقعتها كاذبة اي كذب ووقع الشئ
حصل ووجد والمكروه تركه او قعه اوجده واحدثه كوقع به مثل اذهبه وذهب به
فالباء للتعدية وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا قال صاحب المجمل وقع بالامر
احدثه وانزله ومن بيان لما والمعنى مما توقعه الفتنة من محذوراتها اي تحدثه
وتنزله ومن جعل الباء للسببية ومن بيانا للفتنة فقد اخطا وتعسف والفتنة
بالكسر اسم من فتنه تفتينه من باب ضرب فتنا وفتونا اذا امتحنه واختبره وقد كثر
استعمالها فيما اخرجه الاختبار للمكروه ثم كثر حتى استعمل بمعنى الضلال والاثم
والكفر والفضيحة والعذاب والجنون والقتال والاحراق والازالة والصرف عن الشئ
والمراد بها هنا المحنة والمحذورات المخوفات من حذر الشئ من باب تعب اذا خافه فالشئ
محذور اي مخوف وكبة النار وطول الخلود فيها كبة الشئ بالفتح شدته
وصدمته يقال جاءت كبة الشتاء اي شدته وقال الزمخشري في الفائق كبة النار
معظمها وفي النهاية كبة النار صدمتها وطال الشئ طولا بالضم امتد ومنه طال
الجلوس اذا امتد زمانه وخلد بالمكان خلودا من باب قعد اقام فيه وخلد في النعيم
خلودا ايضا بقي فيه ابدا وهذا من قبيل نفي الشئ بنفي لازمه لان الخلود يلزمه

استداد الزمان فاذا نفاه فقد انتفى مطلق الخلود والمراد معا فانهم من الكون
في النار مطلقا وتصيرهم الى امن من مقيل المتقين اي تنقلهم من
صار زيد غنيا اذا انتقل الى حالة الغنى بعد ان لم يكن عليها او تجعل مصيرهم
اي عاقبتهم ومالهم من صار الامر الى كذا اذا انتهى ورجع فيقال مصيره الى كذا اي
مرجعه وماله والامن ضد الخوف والمراد محل ذو امن جعله نفس الامن مبالغة
كقولهم رجل عدل فحذف الموصوف واقام الوصف مقامه نحو وعندهم قاصرات
الطرف او هو على حذف المضاف اي محل امن نحو واسئل القرية التي كنا فيها
والعير التي اقبلنا فيها اي اهل القرية واهل العير وقوله من مقيل المتقين صفة
لامن اي كائن من مقيل المتقين والمقيل اسم مكان من القيلولة وهي الاستراحة نصف
النهار يقال قال يقيل قيلا وقيلولة فهو قائل ثم اطلق على المكان الذي يؤوى
اليه للاستراحة الى الازواج والتمتع بمغازلتهن لان التمتع به يكون في
القيلولة غالبا قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا قال المفسرون
المقيل المكان الذي ياوون اليه للاستراحة الى ازواجهم والاستمتاع بمغازلتهن
وملامستهن كحال المترفين في الدنيا ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم
الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وعن ابن عباس لا ينتصف النهار من يوم القيمة
حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وعن سعيد بن جبير ان الله
تعالى اذا اخذ في فصل القضاء قضى بينهم كقدر ما بين صلوة الغداة الى نصف النهار
فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقال مقاتل يخفف الحساب على
اهل الجنة حتى يكون بمقدار نصف يوم من ايام الدنيا ثم يقيلون يومهم ذلك
في الجنة وانما ذكر المتقين دون سائر اوصاف اهل الجنة تلميحا الى الاية المذكورة
فان اصحاب الجنة فيها هم المتقون المشار اليهم في الاية التي قبلها بايات من سورة

القرآن وهي قوله تعالى قل ذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء و
مصيرا كما نبه على بعض شارحي المفسرين والمتقون هم الذين وقوا انفسهم عما يضرها
في الآخرة من اعتقاد وخلق وعمل وقد تقدم الكلام على حقيقة التقوى والله اعلم

هذا آخر الروضة الرابعة من رياض السالكين في شرح صحيفة
العابدين ع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دعا الى الطاعة لنفسه واهل ولايته والصلوة والسلام على
منقذ عباده من الضلال بهدايته وعلى اهل بيته القائمين باعباء وصايته
العاملين بروايته حكمه الشريف ودرايته وبعد فهذه الروضة الخامسة من
رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الخامس من ادعية صحيفة سيد العابدين
املاء عبد الفقير الى ربه الغني علي الصدر الحسيني الحسني اصلح الله اعماله وبلغه
في الدارين آماله **وكان من دعائه عليه السلام لنفسه واهل ولايته** النفس ذات الشي
وحقيقته وقد يقال للروح لان الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه
وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هنا المعنى الاول
لان المقصود ان الدعاء مختص به عليه السلام وباهل ولايته الذين اشركهم معه فيه والاهل

الاهل

١٨٨
لاهل القرابة ثم اطلق على من اختص بشيء واتصف به كاهل البلد واهل العلم وهو
هنا كذلك اذ المراد باهل ولايته من اتصف بها والولاية بالفتح والكسر المحبة
والنصرة وقيل هي بهذا المعنى بالفتح واما بالكسر فهي بمعنى الامارة **يا من لا
تنقضي عجائب عظمته صل على محمد وآله واحجبنا عن الالحاد في عظمتك**
انقضى الشيء فني وتصرم كتقضى والعجائب اما جمع عجيبة اسم من العجب
قال صاحب المحكم العجب والعجب انكار ما يرد عليك لقلة اعتياده وقالوا
العجيبة والاعجوبة واما جمع عجيب بمعنى معجب عند من قال انه جمع على عجائب
وقيل لا يجمع قال الجوهري العجيب الامر يتعجب منه ولا يجمع عجب ولا عجيب وقيل
جمع عجيب عجائب مثل افيل وافايل وتبيع وتبايع انتهى وعرف العجب بانه
تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله وقال الراغب العجب
حيرة تعرض للانسان عند جهل سبب الشيء وليس هو شيئا له في ذاته
حالة بل هو بحسب الاضافات الى من يعرف السبب والى من لا يعرفه ولهذا قال
قوم كل شيء عجب وقال قوم لا شيء بعجب انتهى وعظمته تعالى عبارة عن كمال ذاته
وعلو شانه وجلالة قدره وكمال شرفه وشدة غنائه عن الخلق وبهاية افتقارهم
اليه في كل حال ودوام تسلطه وجريان حكمه على جميع ما سواه لكونه مبداء شان كل ذي
شان ومنتهى سلطان كل ذي شان ومنتهى كل ذي سلطان فلا شان ارفع من شانه
ولا سلطان اعظم من سلطانه واعلم ان العظيم يطلق على كل كبير محسوسا كان او
معقولا عينا كان او معنى واذا استعمل في الاعيان فاصله ان يقال في الاجزاء
المتصلة والكبير يقال في المنفصلة ثم قد يقال في المنفصل عظيم نحو قولهم
جيش عظيم ومال عظيم والعظيم المطلق هو الله سبحانه لاستيلائه على جميع
الممكنات بالايجاد والافناء وليست عظمته عظمة مقدارية ولا عظمة عددية

لتنزهه عن المقدار والمقداريات والكم والكميات بل هي عبارة عن كمال الذات
والصفات ومعنى عدم انقضاء عجائبها ان كلما تأملها الانسان واجال فيها
النظر وجد من كمال قدرته وآثار حكمته الدالة على جليل عظمته امورا معجبة لم يكن
وجدها في بادي النظر فان عظمته جل شانه لا تتناهى قدرا وعرفانا بل كلما غاص
العارف المتقرب اليه في البحر الزاخر عظمته وعبر منزلا من منازلها ازدادت
عظمته في نفسه وعظم منها ما علم اولا وهكذا حتى يكل عقد نفسه بذلك و
يبلغ الى غاية ما يتصور له من منازلها فينادي بالعجز عن معرفته مقرا بعلو
عظمته كما نطق به لسان سيد الانبياء واشرف الاوصياء صلوات الله
عليهما وعلى ابنائهما الطاهرين وبداء الدعاء بالصلوة على النبي وآله صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين لما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال اذا كانت لك
الى الله سبحانه حاجة فابدا بمسألة الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله ثم سل
حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احدهما ويمنع الاخرى
وحجبه حجابا يلب قيل منع ومنه قيل للستر حجاب لانه يمنع من المشاهدة وقيل
للبواب حاجب لانه يمنع من الدخول اي امنعا عن الالحاد بحسم اسبابه وعدم الاعداد
له والا فقد وقع المنع عنه بالنواهي واصل الالحاد الميل والعدول عن الشيء ومنه
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي اي يميلون ويشيرون اليه ثم خص بالطعن في الدين
يقال لحد الرجل في الدين لحدا والحد الحادا اذا كان مال وعدل الى غيره وطعن
فيه وقال ابو عبيدة لحد والحد اماحل وجاري ولحد جار وظلما والحد في الحرم
بالالف استحل حرمته وانتهكها فالالحاد في عظمته تعالى اما بمعنى الميل والعدول
عن الحق فيها او بمعنى المماراة والمجادلة فيها او انتهاك حرمتها بارتكاب المعاصي
والاعراض عن مراقبتها والله اعلم ويا من لا تنتهي مدة ملكه صل على محمد وآله واعتق

رقابنا

رقابنا من نقمتك ٥٥ انتهى الامر بلغ النهاية وهو اقصى ما يمكن ان يبلغه
والمدة بالضم البرهة من الزمان تقع على القليل والكثير والجمع مدد كغرفة وغرف
والملك بضم الميم اسم من ملك على الناس امرهم اذا تولى السلطنة فهو ملك بكسر
اللام وتخفف بالسكون والجمع ملوك وملكه سبحانه عبارة عن سلطانه القاهر
واستيلائه الباهر وغلبته التامة وقدرته على التصرف الكلي في الامور العامة بلا
انتهى ونفي الانتهاء عن مدته من باب نفي الشيء بنفي لازمه مبالغة في النفي اي لا مدة
لملكه فلا انتهى لها كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب فلا انجحار وقد تقدم
بيان ذلك في دعاء التحميد عند قوله عليه السلام حمدا لا منتهى لحده ولا حساب لعدده
فليرجع اليه واعتق العبد اعتاقا وحرره فهو معتق على قياس الباب ولا يتعدى
بنفسه فلا يقال عتقته ولا يجوز عبد معتوق لان مجيء مفعول من افعلت شاذ
مسموع لا يقاس عليه والرقاب جمع رقبة وهي مؤخر اصل العنق قيل ان اشتقاقها
من المراقبة وذلك ان مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم ولهذا
يقال المملوك رقبة كانه يراقب العذاب ولا يقال له عنق وقال ابن الاثير قد تكرر
في الاحاديث ذكر الرقبة وعتقها وتحريرها وفكها وهي في الاصل العنق فجعلت كناية
عن جميع ذات الانسان تسمية للشيء ببعضه فاذا قال اعتق رقبة فكانه قال اعتق
رقبة اي عبدا او امة ومنه قولهم دينه في رقبته انتهى قال الزمخشري في
الاساس ومن المجاز هذا الامر في رقابكم وفي رقبتك والموت في الرقاب واعتق الله
رقبته واوصى بماله في الرقاب انتهى قال بعضهم وانما اقيمت الرقبة مقام
جميع ذات الانسان لموته بصرفها كما اقيم الراس مقامه بقطعه ايضا ولا يلزم ذلك
اطلاق العنق عليه لانه رفض وهجر لمناسبة للتسمية وهو لا يلزم اطراده والنقمة
على وزن كلمة وتخفف باسكان العين مع كسر الفاء فيقال نقمة كسدرة وهي الاسم

من استعتقت منه اذا عاقبته والمراد باعتاق الرقاب منها اطلاقها وتخليصها
منها كما يطلق العبد من قيد الرق بتحريره والله اعلم **ويا من لا يفنى خزائن رحمته
صل على محمد وآله واجعل لنا نصيبا في رحمتك** فنى المال يفنى من باب تعب
عدم ويعدى بالهمزة فيقال افنيته والخزائن جمع خزانة وهي بالكسر اسم للمكان الذي يخزن
كالمخزن وخزنت الشيء خزنا من باب قتل احرزته بحيث لا تصل اليه الايدي وجعلته
في الخزانة شبه رحمته تعالى بالشيء النفيس الذي يحرز ويخزن استعارة بالكناية فاثبت
له الخزائن استعارة تخييلية وجاء بالخزائن بلفظ الجمع اشعارا بان رحمته لوفورها
لا يكفي في احرازها خزانة واحدة بل لا بد فيه من خزائن متعددة قال المفسرون في
تفسير قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي ارزاقه وسائر نعمه على خلقه
وقد تقدم معنى الرحمة لغة ووجه اطلاقها عليه سبحانه في شرح الدعاء الاول فليرجع
اليه والنصيب الحصة والجمع انصبة وانصباء ونصب ايضا بضمتين اي اجعل لنا حصة
في رحمتك وانما سال نصيبا منها لحصول الغرض بادنى حصة منها لتعرف
العالم نعمه وعفوا كما قيل ٭ قليل منك يكفيني ولكن ٭ قليلك لا يقال له
قليل ٭ وفي في قوله عليه السلام في رحمتك اما للظرفية المجازية او بمعنى من نحو قوله تعالى
ويوم نبعث في كل امة شهيدا اي منهم بدليل الآية الاخرى **ويا من تنقطع دون رؤيته
الابصار صل على محمد وآله وادننا الى قربك** تنقطع اي تقف فلم
تمض قال صاحب المحكم انقطع كلامه وقف فلم يمض ودون رؤيته اي قبل الوصول
اليها ومنه اذا ركع المصلي دون الصف اي قبل وصوله الى الصف كره وقد تقدم
الكلام على امتناع رؤيته سبحانه في شرح الدعاء الاول عند قوله عليه السلام الذي قصرت
عن رؤيته ابصار الناظرين فليرجع اليه ودنا منه ودنا اليه يدنو دنوا قرب ويتعدى
بالهمزة فيقال ادناه يدنيه وقربك اي القرب منك وليس المراد القرب المكاني

لتنزهه

١٩٠

لتنزهه تعالى عن المكان بل قرب المنزلة والرتبة منه وفي الحديث من تقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا قال ابن الاثير المراد بقرب العبد الى الله تعالى القرب بالذكر
والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان لان ذلك من صفات الاجسام والله تعالى
عن ذلك ويتقدس والمراد بقرب الله من العبد قرب نعمه والطافه منه وبره و
احسانه اليه وترادف مننه عنده وفيض مواهبه عليه انتهى **ويا من عظمت عنده
الاخطار صل على محمد وآله وكرمنا عليك** صغر الشيء على وزن كرم صغرا
وزان عنب خلاف عظم وصغر في عيون الناس كلهم ايضا ذهبت مهابته فهو صغير
ومنه يقال جاء الناس صغيرهم وكبيرهم اي من لا قدر له ولا منزلة ومن له
قدر وجلالة منزلة ومنزلة وقدر وهذا المعنى هو المراد هنا واما بالمعنى الاول
فهو يختص بالجرم واما الصغار بمعنى الذل والهوان فهو وان ناسب معناه في هذا المقام
الا ان المسموع في فعله صغر من باب تعب والرواية في الدعاء تصغر بالضم
فلا تساعد هذا المعنى وخطر الرجل بالتحريك قدره ومنزلته والجمع اخطار كسبب و
اسباب يقال منه خطر الرجل خطرا كشرف شرفا اذا ارتفع قدره ومنزلته فهو خطير
والخطر ايضا الاشراف على الهلاك وخوف التلف والجمع اخطار ايضا ويأتي بمعنى
العوض ومنه الحديث الجنة لا خطر لها اي لا عوض لها والمراد هنا المعنى الاول والقول
باحتمال غيره تعسف لا داعي اليه وكرمه عظمه ونزهه يقال كرم علينا فلان
كرامة اي عز وعظم علينا كرامة او عزازة اي واجعلنا مكرمين منك عزيزين لديك
وعلى للاستعلاء مجازا اذ الحقيقي انما هو الحسي مثلها في قوله تعالى كتب على نفسه الرحمة
اي اوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة فكانه عليه السلام قال واوجب
كرامتنا عليك تفضلا واحسانا والظاهر ان هذا التكريم المطلوب غير التكريم
المذكور في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم لان المراد بذلك واقع بل المراد بتكريم اخص

منه عاجلا واجلا وهو من قبيل بسط الكلام مع المحبوب فليس الغرض حصول مضمونه
فلا يضر كون مضمونه واقعا كما في قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا فانه
حاصل بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وحيث ان الكلام مع المحبوب امر لذيذ
مطلوب اقتضى الكلام تطويله كما قاله علماء المعاني في قول موسى عليه السلام هي عصاي
اتوكأ عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى **ويا من تظهر عنده بواطن**
الاخبار صل على محمد وآله ولا تفضحنا عندك ظهر الشيء يظهر ظهورا تبين و
البواطن جمع باطن اسم فاعل من بطن الشيء يبطن من باب قتل خلاف ظهر والاخبار
جمع خبر وهو اسم لما ينقل ويتحدث به قال بعض العلماء ظهور الاشياء هو انكشافها
بينا ويقابله بطونها اي خفاؤها عن احدهما ولما ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية ولوازمها
علم ان المراد بظهور الاشياء عنده علمه بها اذ كل ممكن وان خفي على غيره فهو ظاهر في علمه
فظهور البواطن عنده عبارة عن علمه سبحانه بخفيات الامور ومضمرات السرائر وعلمه نافذ
في كل مستتر وغايب بحيث لا يستره ساتر ولا يحجبه حاجب حتى انه يعلم ما دق من عقائد
القلوب واسرار الصدور وخطرات الخواطر واغا عبر عن علمه تعالى بمعلوماته والكائنات
في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقال به شائبة
خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء وانما خص
البواطن بالذكر دون الظواهر لانه من ظهر عنده الباطن فظهور الظاهر اولى اولان
ما من شيء يظهر الا وهو او مباديه قبل ذلك باطن فكان الباطن اصلا للظاهر فذكر الاصل
وان كان علمه تعالى بهما في الحقيقة على السواء فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها
بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى فاذا كان علمه بهذا المعنى لم يختلف الحال
بين الاشياء البارزة والكامنة وفضحه فضحا من باب نفع كشفه قال الفيومي في المصباح
وفي الدعاء لا تفضحنا بين خلقك اي استر عيوبنا ولا تكشفها ويجوز ان يكون المعنى

اعصمنا حتى لا نعصي فنستحق الكشف انتهى وفي القاموس فضحه كمنعه كشف مساويه فافتضح
والاسم الفضيحة ولا شك ان المراد بسؤال عدم الفضيحة هنا سؤال العصمة منها او
عدم الاعداد لها وقوله عندك يعين هذا المعنى **اللهم اغننا عن هبة الوهابين**
بهبتك اغنانا من الغناء بالفتح والمد على وزن كلام بمعنى الاكتفاء يقال غنيت
بكذا عن غيره من باب تعب اذا استغنيت به والاسم الغنية بالضم فانا غني به ويتعدى
بالهمزة فيقال اغنيته والهبة العطية بلا عوض اصلها وهب حذفت الواو وعوضت
الهاء عنها قال بعض العلماء الهبة هي العطية الخالصة عن الاعواض والاغراض فاذا كثرت
العطايا والصلات سمي صاحبها وهابا ولا يتحقق معنى الهبة الا في الله تعالى لانه وهب
كل محتاج ما يحتاج من غير عوض **واكفنا وحشة القاطعين بصلتك** كفى
تستعمل متعدية لواحد ومتعدية لاثنين فالاولى بمعنى اجزأ واغنى تقول كفاني الشيء
اي اغناني والثانية بمعنى وقى كقوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال اي وقاهم وقيل
هي في الاية بمعنى اغنى ايضا اي اغناهم عن القتال وتستعمل بهذا المعنى متعدية لواحد
ومتعدية لاثنين وكلا المعنيين صحيحان هنا اذ يصح ان يفسر قوله
عليه السلام اكفنا بمعنى اغننا عن وحشة القاطعين وبمعنى قنا وحشة القاطعين و
الوحشة الانقطاع وبعد القلوب من المودات وهو المراد هنا قال الجوهري الوحشة
الخلوة والهم والمعنى الثاني صحيح هنا يضادون الاول وهي من الوحش وهو ما لا
يستانس من دواب البر والقاطعين جمع قاطع من القطيعة ضد الصلة يقال قطع
فلان صديقه قطيعة اذا هجره وقطع رحمه قطيعة اذا هجرها وصد عنها وذلك
بترك البر والاحسان اليها والصلة ضد القطيعة والباء في الفقرتين من قوله
عليه السلام بهبتك وبصلتك للسببية والمراد بصلته تعالى بره واحسانه ورحمته
ماخوذ من صلة الرحم قال ابن الاثير وهي كناية عن الاحسان الى الاقربين من ذوي النسب

اعصمنا

والاصهار والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لاحوالهم وكذلك ان تعدّوا ١٩١
او اسائوا او قطع الرحم ضد ذلك كله يقال وصل رحمه يصلها وصلاً وصلة
والهاء فيها عوض من الوا والمحذوفة فكانه بالاحسان اليهم قد وصل ما بينه وبينهم
من علاقة القرابة والصهر انتهى حتى لا ترغب الى الجمع مع بذلك ولا نستوحش من احسن
مع نقصك حتى هذه بمعنى كى التعليلية اى كيلا ترغب مثلها فى قوله
تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا او هو لك سلم
حتى يدخل الجنة ورغب اليه رغبا محركة ساله والبذل العطاء واستوحش
وجد الوحشة ومع بذلك متعلق بنستوحش والفضل الخير والاحسان والافضال
اللهم صل على محمد واله وكد لنا ولا تكد علينا وامكر لنا ولا تمكر بنا
الكيد والمكر الخديعة وهى ان ترى غيرك انك شيئا ثم تفعل خلافه قال بعض العلماء
الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله تعالى التدبير
بالحق بمجازاة اعمال الخلق والمكر من جانب العبد ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر
ومن جانب الحق هو ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب واظهار
الكرامات من غير جهد انتهى وقيل المراد بكيده تعالى ومكره صرف الكيد والمكر او جزاء
اهلهما والتسمية من باب المشاكلة وقال المفسرون فى قوله تعالى وكذلك كدنا ليوسف
اى علمناه الكيد او اوحينا به اليه قال بعضهم والكيد مبداه السعى فى الحيلة و
الخدعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر فى امر مكروه لا سبيل الى دفعه ومثل
هذه الالفاظ فى حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات انتهى وقال ابن الاثير فى
حديث الدعاء اللهم امكر لى ولا تمكر بى مكر الله ايقاع بلائه باعدائه دون اوليائه
وقيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم انها مقبولة وهى مردودة والمعنى
الحق مكرك باعدائى لا بى كما لا يخفى وعلى من قوله علينا للاستعلاء المعنوى قال ابن مالك

ومنه المقابلة

١٩٢ ومنه المقابلة للام المفهمة ما يجب كقوله فيوم علينا ويوم لنا انتهى وادل لنا
ولا تدل منا ادل لنا من الدولة بالفتح قال الجوهرى الدولة فى الحرب ان تدال
احدى الفئتين على الاخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع الدول والدولة
بالضم فى المال يقال صار الفئ دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا و
الجمع دولات ودول وقال ابو عبيدة الدولة بالضم اسم الشئ الذى يتداول به بعينه
والدولة بالفتح الفعل وقال بعضهم الدولة والدولة لغتان بمعنى وقال محمد بن
سلام الجمحى سالت يونس عن قول الله تعالى كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم فقال
قال ابو عمرو بن العلاء الدولة بالضم فى المال والدولة بالفتح فى الحرب وقال
عيسى بن عمر كلتاهما تكون فى الحرب والمال سواء وقال يونس اما انا فوالله ما ادرى
ما بينهما واداله الله من عدوه من الدولة والادالة الغلبة يقال اللهم ادلنى على فلان و
انصرنى عليه انتهى كلام الجوهرى وقال ابن الاثير الادالة الغلبة يقال اديل لنا
على اعدائنا اى نصرنا عليهم وكانت الدولة لنا والدولة الانتقال من حال الشدة
الى حال الرخاء ومنه حديث ابى سفيان وهرقل ندال عليه ويدال علينا اى نغلبه
مرة ويغلبنا اخرى انتهى وقال الزمخشرى فى الفائق فى حديث الحجاج يوشك ان تدال
الارض منا اى يجعل للارض الكرة علينا تقول اداله الله
زيدا من عمرو ومعناه نزع الله الدولة من عمرو فاتاها زيدا وفى امثالهم يدال من
البقاع كما يدال من الرجال اى تؤخذ منها الدول انتهى وقال فى الاساس اداله الله بنى
فلان من عدوهم جعل الكرة لهم عليه اذا عرفت ذلك فمعنى الدعاء اجعل الدولة والكرة
لنا على عدونا ولا تنزعها منا فتؤتيها غيرنا والله اعلم اللهم صل على محمد واله وقنا منك
واحفظنا بك واهدنا اليك ولا تباعدنا عنك وقيت الشئ اقيه وقيا ووقاية
اذا صنته وحفظته من الاذى قيل معناه وقنا من عذابك وسخطك وهو مثل قوله

صلى الله عليه وآله اعوذ بك منك قال بعض العارفين في قوله عليه السلام في سجوده
اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك حين
امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب قال في سجوده اعوذ بعفوك من
عقابك وهو كلام عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو
كما يراد به صفة العافي قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو في المعفو عنه
كالخلق والصنع ثم لما قرب فغني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادرها وهي الصفات
قال واعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان متضادتان ثم لما راى ذلك نقصانا في
التوحيد اقترب وترقى عن مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك
منك وهذا فرار اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات فهذه ثلاث مراتب
والمرتبة الثالثة هي اول مقام الوصول الى ساحة العزة ثم للسباحة في لجج الوصول
درجات اخر لا نهاية لها ولذلك لما ازداد صلى الله عليه وآله وسلم قربا قال لا احصي ثناء
عليك فكان ذلك حذفا لنفسه عن درجة الاعتبار في ذلك المقام واعترافا منه
بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت الكمال وكان قوله بعد ذلك انت
كما اثنيت على نفسك كمال الاخلاص وتجريدا للمكان للطلق الذي به هو هو عن ان
يلحقه حكم لغيره وهمي او عقلي انتهى فعلى هذا ليس هناك مضاف مقدر
كسخطك وعقابك بل هو من باب الترقي الى المرتبة الثالثة المذكورة التي هي ملاحظة
الذات دون الافعال والصفات والله اعلم وقس على ذلك قوله عليه السلام واحفظنا بك
واهدنا اليك ولا تباعدنا عنك فلا حاجة الى تقدير مضاف في شيء من ذلك كما قيل ان
معناه واحفظنا بحفظك واهدنا الى صراطك المستقيم الذي لو اعلمته بالاوامر الشرعية
ولا تباعدنا عن رحمتك وان كان هذا المعنى في نفسه صحيحا ظاهرا الا ان حمله على ذلك
التحقيق اليق بمقام الداعي صلوات الله عليه انه من تقه يسلم ومن تمده يغنم و

تعربه اليك يغنم ٥٥ هذا تعليل لما قبله من طلب الوقاية
والحفظ والهداية والقرب على طريقة اللف والنشر المرتب وادرج الحفظ في الوقاية
لانهما بمعنى وبيان التعليل انه لما كان حصول الوقاية والحفظ مما نتعادى عن
التفريط والافراط كان العبد مستقيم الحركات على سواء الصراط وذلك هو السلامة
من الزيغ والوقوع في هوى المهالك وكذلك لما كان حصول الهداية مما نتعادى الضلالة
عن الصراط المستقيم كان العبد عالما بسلوك جادة سبيل الحق وذلك هو العلم
وكذلك لما كان حصوله القرب مستلزما للفوز بالسعادة الابدية كان العبد
فائزا بالغنى الحقيقي والملك الابدي وذلك هو الغنيمة التي لا يقاس بها مغنم
فكانه قال سلك الوقاية والحفظ المستلزمين للسلامة والهداية المستلزمة للعلم
والقرب المستلزم للغنم ومن هنا شرطية مثلها في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
ومحلها الرفع على الابتداء فيكون اسم ان ضمير شان محذوفا والاصل انه من تقه
يسلم كقوله • ان من يدخل الكنيسة يوما • يلق فيها جآذرا وظباء • واما لم يجعل من اسمها
لانها شرطية بدليل جزمها الفعلين والشرط له الصدر فلا يعمل فيه ما قبله ويسلم
من باب تعب سلامة خلص من الآفات والمراد السلامة من الآفات النفسانية
والآراء الفاسدة والعقائد الباطلة مثل الكفر والكبر والحسد والنفاق في الدنيا
ومن العقوبات في الآخرة والهداية مطلق الارشاد والدلالة على المطلوب بلطف سواء
كان معها وصول اليه اولا وسواء تعدت الى ثاني المفعولين بنفسها او بالحرف وهذا
هو الحق في تفسير الهداية وهداية جل شانه للعباد على انواع مترتبة الاول الهداية
الى جلب المنافع ودفع المضار بافاضة المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة واليه
الاشارة بقوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وثانيها نصب الدلائل العقلية الفارقة
بين الحق والباطل والخير والشر واليه الاشارة بقوله تعالى وهديناه النجدين وثالثها الهداية بارسال الرسل

واليه يشير قوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ورابعها الهداية
الى حظائر القدس ومقامات الانس بانطماس آثار التعلقات البدنية واندراس اكدار
التعلقات الهيولانية والاستغراق في ملاحظة اسرار الجلال ومطالعة انوار الجمال و
هذا النوع من الهداية يختص به الاولياء ومن يحذو حذوهم وهو المقصود هنا كما يدل عليه
قوله عليه السلام واهدنا اليك على ما مر تحقيقه ولان هذه الهداية هي التي يترتب عليها
العلم ترتب الجزاء على الشرط اذ المعنى ومن هديته حصل له العلم فان قلت ما المراد بهذا
العلم الذي يحصل بهدايته اليه سبحانه قلت المراد من العلم الالهي والحكمة اللدنية
المشار اليها في الذكر الحكيم بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فمن حصل
له هذا العلم تنقش قلبه بالاسرار الغيبية والصور الكلية والجزئية وكيفية
انشعابها وتفاصيلها واستفاد من ذلك الاحكام والوقايع والاخلاق واحوال المبدأ
والمعاد وغيرها من الفضائل الشرعية ومقاصدها من الكتاب والسنة وكان المتصف
به هو العالم الذي هو على هدى من ربه المالك للمجتمعة الانسانية بالعقل وهي اول
الى ما خلق الانسان لاجله من المعارف الالهية والطاعات البدنية والطهارة القلبية
الموجبة لكمال قربه ورفع درجته عنده تعالى والخلوص عن كل ما يوجب البعد عنه
جل شانه وقوله بالتضعيف ادناه وغنمت الشيء اغنمه كعلمته اعلمه غنما بالضم
وقرئ به بلا مشقة والغنيمة اسم لما يغنم وفي التهذيب الغنيمة في اللغة الفائدة
وقيل هي في الاصل ما اصيب من اموال الحرب واوجف عليه المسلمون بالخيل و
الركاب يقال غنم يغنم اذا اصاب غنيمة ومغنما ثم استعمل في كل امر نفيس
ومنه الحديث الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة قال ابن الاثير انما سماه غنيمة
لما فيه من الاجر والثواب والمعنى ان من تقربه اليك يحصل له الغنيمة او يتصف بكونه
غانما فان غنم وان كان متعديا ولكنه نزل منزلة اللازم لان القصد الى اعلام

مجرد

١٩٤

مجرد اسناد الفعل الى الفاعل لا بايقاعه على مفعول وكذلك قوله يعلم
من قوله عليه السلام ومن نقدته يعلم فهو مثل قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون اي من يتصف بالعلم ومن نفي عنه العلم قال بعض المحققين
والقرب المذكور ليس بالمكان ولا بالزمان بل انما هو بحسب الذات قربا معنويا
لاجل التشابه والتنزه عن التدنس برجسها ونقايص المواد وآفاتها والله اعلم
اللهم صل على محمد وآله واكفنا حذر نوائب الزمان حذر الشيء وحدته باسه وشدته
والنوائب النوازل جمع نائبة وهي ما ينوب الانسان اي ينزل به من الحوادث
والمصائب نابه ينوبه نوبا اذا نزل به واضافة النوائب الى الزمان يحتمل ان تكون
بمعنى في نحو مكر الليل وتربص اربعة اشهر اي النوائب الواقعة في الزمان اي
في زماننا ولا شك ان لكل نائبة لا بد لها من زمان تقع فيه والاظهر انها بمعنى اللام اي
النوائب التي للزمان قال بعض العلماء ان نسبة الشر الى بعض الازمنة كالحين الى
بعض اخر نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في
هذا العالم من الاستحالات وما يتبعها مما يعد خيرا او شرا والله اعلم ومن شر مصائد
الشيطان الشر السوء والفساد والمصائد بغير همزة جمع مصيدة بكسر الميم
وسكون الصاد وفتح الياء او مصيد بحذف الهاء وهي آلة الصيد وانما لم تهمز لان الياء
فيها اصلية كما تقدم بيانه في ضابط هذا الجمع في شرح السند عند ذكر الخزائن ووقع
في بعض النسخ المصحفة همزها فان صح فهو على لغة من همز معايش ومنابر تشبيها
للاصلي بالزائد والمراد مصائد الشهوات واللذات الدنيوية التي يغر الشيطان
بها الخلق فيوقعهم بها في الهلاك واستعار لها لفظ المصائد لمشابهتها اياها
في استلزام الحصول فيها للبعد عن السلامة والحصول في العذاب وهي
استعارة تبعية ويمكن ان يقال انه شبه الشيطان بالصائد في احتياله على عالم

فهي استعارة بالكناية ثم اثبت لها المصايد التي لا يحمل الاحتيال والاعتيال الابها تخييلا للمبالغة في التشبيه وهي استعارة تخييلية كقوله وإذا المنية انشبت اظفارها واضافة الشرك الى المصايد الشيطانية من باب اضافة النتيجة الى المقدمات وفي موعظة ابي عبد الله عليه السلام لعبد الله بن جندب يا ابن جندب ان للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شباكه ومصائده قلت يا ابن رسول الله وما هي قال اما مصائده فصد عن بر الاخوان واما شباكه فنوم عن قضاء الصلوة التي فرضها الله تعالى والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومن سطوة صولة السلطان المراد بسطوة الشيء بسبب صولة السلطان وهي حقيقة في الكيفية المخصوصة للاجسام استعارها عليه السلام لما يوجد من الناس بسبب صولة السلطان والصولة الحملة والوثبة والسطوة والاستطالة يقال صال الفحل يصول صولا وثب وصال على قرنه سطا واستطال قال المطرزي ومن العرب من يقول صؤل مثل قؤب بالهمزة للبعير وصال بغير همز على قرنه والمراد بصولة السلطان قهره وباسه وسطوته والسلطان هنا بمعنى الملك اي صاحب السلطنة والولاية وقد يطلق على الولاية نفسها ويحتمل حمله هنا على هذا المعنى ايضا والاول اظهر اللهم انما يكتفي المكتفون بفضل قوتك فصل على محمد واله واكفنا انما للحصر اي لا يكتفي المكتفون الا بفضل قوتك والفضل بمعنى الزيادة يقال فضل فضلا من باب قتل اي زاد والقوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف ولما كان سبحانه مستند جميع الوجودات والمفيض على كل مكتف انما يكتفي بسبب قوته الزائدة على كل قوة بالمعنيين المذكورين لها وروي ان الحسن قال واعجبا لنبي الله لوط اذ قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد انه اراد ركنا اشد من الله تعالى وانما يعطي المعطون من فضل جدتك فصل على محمد واله واعطنا المعطون جمع معط اسم فاعل من اعطى

١٩٥

يعطي اعطاء والاصل المعطيون بكسر الطاء وضم الياء حذفت ضمة الياء للاستثقال ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين وحذفت الكسرة التي كانت قبل الياء لئلا يلزم قلب الواو ياء لوقوعها ساكنة اثر كسرة ثم عوض من الكسرة الضمة لمناسبة الواو وان شئت قلت استثقلت الضمة على الياء فنقلت منها الى ما قبلها بعد سلب حركة ما قبلها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين وقس على ذلك هذا كل اسم منقوص يجمع جمع المذكر السالم والجدة بكسر الجيم وفتح الدال المهملة مخففة كعدة الغنى قال ابن الاثير في اسمائه تعالى الواحد هو الغني الذي لا يفتقر وقد وجد يجد جدة اي استغنى غنى لا فقر بعده انتهى واصلها وجد بالواو وحذفت الواو وعوض منها الهاء كما في عدة وهبة وصلة وانما حصر اعطاء المعطين في كونه من فضل جدته لما علمت انه تعالى مستند جميع الموجودات وكل ممكن فهو مفتقر في طرفيه منه في سلسلة الحاجة اليه فكل معط غيره مجاز لا حقيقة وانما يهتدي المهتدون بنور وجهك فصل على محمد واله واهدنا النور هو ما تنكشف به الاشياء ويظهر وجودها عند الحس وهو اما جسم كما ذهب اليه جماعة من المحققين او عرض كما قيل وعلى التقديرين فيسر هو لمن ذهب الى المراد اما الهداية او العلم على سبيل الاستعارة و تشبيه المحسوس بالمعقول لجامع عقلي وهو الايصال الى المطلوب وفي كلام امير المؤمنين عليه السلام وضيف بنور الله حين وقفوا قال شارح كلامه اي كان سلوكي لسبيل الحق على وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى به انتهى والوجه بمعنى الذات والمعنى لا يهتدي المهتدون الا بهداك او بجعلك كما قال سبحانه قل ان الهدى هدى الله وقال سبحانه ومن يهدي الله فهو المهتد وفي الحديث القدسي يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني

اهدكم اللهم انك من واليت لم يضره خذلان الخاذلين والاه
ولاء وموالاة نصره قال الفيومي في المصباح الولاء النصرة لكن خص في الشرع
بولاء العتق ويقال والاه ايضا بمعنى تابعه وقال الفارابي في ديوان الادب
والموالاة نقيض المعاداة والخذلان بالكسر اسم من خذله خذلا من باب قتل اي
ترك نصره واعانته وتاخر عنه ومفعول واليت محذوف اي واليته وحذف
المفعول بكثير عائدا على الموصول نحو من يهد الله فما له من مضل اي يهده ونحو
هذا الذي بعث الله رسولا اي بعثه والمعنى ان من نصرته لا يبالي بمن تاخر عنه
وترك نصره ولم يعنه وهذا يستلزم تمام قدرة الله جل شانه وكمال سلطانه
تعالى لان امره وقضاءه واقع لا محالة اذا كان متعلقا بوجوده فلا بد من وجوده
سواء كان مكروها للخلق او محبوبا لهم كما قال تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره ولو
كره الكافرون وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير
فهو على كل شيء قدير ومن اعطيت لم ينقصه منع المانعين اي
اعطيته كما متى ونقص ياتي لازما ومتعديا فيقال نقص الشيء من باب قتل نقصا
ونقصانا بالضم اي ذهب منه شيء بعد تمامه ونقصته اي اذهبت منه شيئا
هذه اللغة الفصيحة وبها جاء القرآن في قوله تعالى ننقصها من اطرافها وفي لغة
ضعيفة يتعدى بالهمزة والتضعيف ولم ارها في كلام فصيح ويتعدى ايضا
الى مفعولين فيقال نقصت زيدا حقه ومنعه يمنعه بفتح الوسطين منعا
ضد اعطاه والمعنى ان من جدت عليه بانالته فضلك لم ينقص من حظه
حرمان غيرك له اذ لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ومن هديت
لم يغوه اضلال المضلين غوى يغوي غيا من باب ضرب والاغواء غيره والاسم
الغواية بالفتح اي من هديته لم يضله مضل بصرفه عن مقصده او يصيبه

بسوء

١٩٦

بسوء بغي بسلوكه اذ لا راد لفضله ولا معارض لارادته سبحانه كما قال ومن
يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام اي أليس هو بغالب لا يغالب
منيع لا يمانع ولا ينازع وصل على محمد وآله وامنعنا بعزك من عبادك
الفاء فصيحة اي اذا ثبت انك من واليت لم يضره خذلان الخاذلين و
هذا الوصف يقتضي انك بعزك تمنع من تشاء من كل احد ولا يمنع منك
احد فامنعنا بعزك من عبادك والمنع وان كان في الاصل الحجر الشيء الا انه
يستعمل بمعنى الحماية قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز فلان يمنع الجار ويحميه
من ان يضام والعز والعزة الامتناع والشدة والغلبة ورجل عزيز منيع لا
يغلب ولا يقهر اي احمنا بغلبتك وشدتك من عبادك الذين يريدون
بنا سوء والباء في بعزك للسببية ويحتمل ان يكون للاستعانة واغرب من قال
ان المعنى امنعنا بافاضتك عن منك نستغني به عن الالتجاء بعبادك واغننا
عن غيرك بارفادك الارفاد الاعطاء والاعانة يقال ارفده ورفده كضربه
بالهمزة وبدونها بمعنى قال الجوهري الرفد بالكسر العطاء والصلة والرفد
بالفتح المصدر تقول رفدته ارفده اي اعطيته وكذلك اذا اعنته والارفاد
الاعطاء والاعانة انتهى وقال الزمخشري في الاساس رفد فلانا وارفده
اعانه بعطاء او قول او غير ذلك وهذه الفقرة مترتبة على قوله
عليه السلام ومن اعطيت لم ينقصه منع المانعين اي اذا كان الامر هكذا
فاغننا عن غيرك باعطائك لانها معطوفة على مدخول الفاء الفصيحة ومما
يناسب ايراده هنا من الحكايات ما حكي عن بعضهم قال كنت جالسا في
جماعة فوقف علينا سائل وسال شيئا فلم يعطه احد شيئا فبكى ذلك الرجل
بكاء شديدا فرق له قلبي فقلت له تعال حتى اعطيك شيئا فقال اني لم ابك

لما توهمت ولكني تذكرت ذل من يفتقر الحر رحمه الله كيف يكون حاله فلما كان
بعد ايام اذ انحن بلحسان عليه ثياب حسنة فوقف علينا وقال اتعرفوني فقلنا
لا تنكرك فمن انت قال انا السائل الذي رددتموه ذلك اليوم رجعت بسلالتي
الى ربي فوهب لي انعاما واغناني عن غيره **واسلك بنا سبيل الحق بارشادك**
سلكت الطريق سلوكا من باب فقعد ذهبت فيه يتعدى بنفسه وبالباء ايضا
وهو الاكثر استعمالا فيقال سلكت زيد الطريق وسلكت به الطريق والسبيل
الطريق يذكر ويؤنث والارشاد خلاف الاضلال ومنه الحديث وارشاد
الضال اى هدايته الطريق وتعريفه وهذه الفقرة مرتبة على قوله
عليه السلم ومن هديت لم يغوه اضلال المضلين اى اذا كان من شانك ذلك
فاجعلنا ممن بسالك طريق الحق بهدايتك وتوفيقك والمراد بسبيل الحق
الطريق الموصلة اليه تعالى وهي التي تطابقت على الهداية اليها السنة الرسل
والانبياء **اللهم صل على محمد وآله واجعل سلامة قلوبنا في ذكر عظمتك** السلامة
الخلوص من الافاة والمراد بسلامة القلوب سلامتها من الامراض المرفوعة
كالجهل وساير الاخلاق الذميمة ويندرج في سلامة القلب سلامته سائر القوى
لا تتربحها وفي اتيا للظرفية المجازية كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة
وانما سال ان يجعل سلامة قلوبهم في ذكر عظمته فيكون ذكر عظمته ظرفا لها
لان المظروف اذا احتواه الظرف لا يصيبه ما يفرقه ولا هو بنفسه يتفرق في
بلاشى خصوصا اذا كان الظرف حصينا منيعا فيكون ذكر عظمته حينئذ
حاميا لسلامة القلوب من الافاة التي تتطرق اليها ويكون المعنى اذا سلمت
قلوبنا من الافات فاجعل سلامتها في ذكر عظمتك لا في غيره لتتوفر على ذكرها
والاشتغال به دون غيره او للسببية كقوله تعالى لمسكم فيما افضتم وفي الحديث

امراة

١٩٦

ان امراة دخلت النار في هرة اى اجعل سلامة قلوبنا منسبية عن ذكر
عظمتك بحيث كلما ذكرت عظمتك سلمت من كل آفة حتى يكون ذكر عظمتك
جنة لها لا عليها والذكر باللسان والقلب بكسر وبضم يقال ذكرته بلساني و
قلبي ذكرى بالتانيث وكسر الذال والاسم الذكر بالضم والكسر نص عليه
جماعة منهم ابو عبيدة وابن قتيبة وانكر الفراء الكسر في القلب قال اجعلني
على ذكر منك بالضم لا غير ولهذا اقتصر عليه جماعة والصحيح ما ذكرناه اولا وكفى
شاهدا وروده في كلام سيد العابدين عليه السلام فان نسخ الصحيفة متطابقة
على ضبطه بالكسر هنا والله اعلم وقد تقدم بيان معنى عظمته سبحانه فليرجع
اليه **تنبيه** القلب في اللغة حرف الشيء الى عكسه ومنه القلب سمي به لكثرة تقلب
قال الشاعر • قد سمي القلب قلبا من تقلبه • فاحذر على القلب من قلب وتحويل
وله ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة في التجويف الايسر من الصدر
وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا ينسب اليه الصلاح والفساد وباطن
وهو اللطيفة الربانية النورانية العالمة التي هي مهبط الانوار الالهية
وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد لامتثال الاحكام وبها صلاح
البدن وفساده ويعبر عنها بالنفس الناطقة ونفس وما سواها فالهمها
فجورها وتقويها وبالروح قل الروح من امر ربي ولذا كانت معرفته
بحالها متعذرة والاشارة الى حقيقة على ارباب الحقائق متعسرة وهو مقر الايمان
اولئك كتب في قلوبهم الايمان كما ان الصدر محل الاسلام افمن شرح الله
صدره للاسلام والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب
مقام التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب اى الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي
وبقوا بلب الوجود الحقيقي فاوهم فاز من نفايس الرموز وبدايع الكنوز **تتمة**

قال بعض العارفين القلوب هدف سهام القهر واللطف وهي متقلبة في قبضة خالقها فاذا وقعت في بحار النكرات مالت من ايتين الشهوات الى عالم الشهوات وافاضت على الجوارح مباشرة الاثام واذا وقعت في بحار المعارف مالت بعث المحبة والشوق والشوق الى مشاهدة الله فاستاذن بنورها قوات العقل والحس والروح والصورة فيتولد من جوارحها خشوع الصورة وصلاح الجوارح في خدمته **وفراغ ابداننا في شكر نعمتك** الفراغ اسم من فرغ من الشغل فروغا من باب قعد اذا تخلى منه اى واجعل فراغ ابداننا اذا تخلت عن كل ما يشغلها مصروفا في شكر نعمتك لا في غيره والشكر يحتمل ان يكون المراد به هنا اللغوي وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل من اللسان و الجنان وسائر الاركان ويحتمل ان يراد به العرفي وهو صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق الله لاجله وبين الشكرين عموم وخصوص مطلق وذكر الابدان يرجح ارادة الثاني والله اعلم **واطلاق السنتنا في وصف منتك** يقال رجل طلق اللسان وطلقه وطليقه اى ماضي القول سريع النطق كذا في النهاية وفي المصباح طلق لسانه بالضم طلوقا وطلوقة فهو طلق اللسان وطليقه اى فصيح عذب المنطق وفي الاساس رجل منطلق اللسان وطلقه وطليقه انتهى والحاصل انه من وصف اللسان بالانطلاق فالمراد جريانه ومضاؤه وذلاقته بحيث لا يعترضه لكنة ولا تقف به حبسة عند الكلام وبسط المقال فهو من لوازم الفصاحة وصفته وصفا من باب وعد نعته بما فيه والوصف والصفة مترادفان عند اهل اللغة والهاء عوض من الواو كالوعد والعدة وعند بعض المتكلمين الوصف هو كلام الواصف والصفة هي المعنى القائم بالموصوف قال بعضهم والتحريرات الوصف لغة ذكر ما في الموصوف

من الصفة

198

من الصفة والصفة هي ما فيه ولا ينكر انه يطلق الوصف ويراد الصفة وبهذا لا يلزم الاتحاد لغة اذ لا شك في ان الوصف مصدر وصفه اذا ذكر ما فيه انتهى فتامل والمنة النعمة الثقيلة من عليه اثقله بالنعمة ومنه لقد من الله على المؤمنين والمعنى اجعل جريان السنتنا وذلاقة منطقنا مصروفة في ذكر ما في نعمتك الجليلة من الصفات الجميلة والله اعلم **اللهم صل على محمد وآله واجعلنا من دعاتك الداعين اليك** الدعاة بالضم جمع داع من دعاه يدعوه بمعنى ناداه وطلب اقباله واصله دعوة بالضم فتح ثانيه قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وقيل اصله فعلة بفتح الفاء وان الفتحة حولت ضمة للفرق بين معتل اللام وصحيحها وهذا الجمع مطرد في وصف لعاقل على زنة فاعل معتل اللام كهاد وقاض وغاز والداعين جمع داع ايضا بالمعنى المذكور الا ان الاول جمع تكسير وهذا جمع سلامة وقد سبق اعلال نظيره فليقس عليه ووصف دعاته بالداعين اليه اما للتخصيص ان اراد بالدعاة طالبي احسانه من دعا الله اذا طلب وابتهل اليه بالسؤال او للتوضيح ان اراد بهم معنى الداعين اليه فوصفهم بذلك لرفع احتمال المعنى الاول والمعنى اجعلنا من المبتهلين اليك بالسؤال الطالبين اقبال الناس الى طاعتك وعبادتك او اجعلنا من طالبي اقبال الخلق الى جنابك واضافة الدعاة الى كاف الخطاب على المعنى الاول من اضافة الفاعل الى المفعول فهي لفظية وعلى الثاني معنوية كغلام زيد **والهداة الدالين عليك** وصف الهداة بالدالين عليه اما للتخصيص او للتوضيح ايضا كما مر انفا وعلى الاول فالمعنى واجعلنا من الهداة المنسوبين اليك الدالين على طاعتك وعلى الثاني اجعلنا من الهداة اليك الدالين على سبيلك والاضافة على الوجهين معنوية

والفرق بين المعنيين ان الهداة على الاول اعم منه على الثاني ويحتمل ان يكون
الهداة جمع هاد من هدى بمعنى اهتدى قال الجوهري هدى واهتدى بمعنى
وقرأ حمزة والكسائي أمّن يهدي الى الحق احق ان يتبع امّن لا يهدي الا ان يهدى
بفتح الياء وسكون الهاء وكسر الدال من يهدي الاول والثاني لازم بمعنى يهتدي
وعلى هذا فالمعنى واجعلنا من المهتدين المنسوبين اليك الهادين غيرهم الى
سبيلك فيكون الوصف للتخصيص على هذا المعنى ايضا **ومن خاصتك**
المخاصين لديك الخاصة خلاف العامة من خص الشيء يخص من باب قعد
خلاف عم فهو خاص والهاء فيها للتاكيد وعن الكسائي الخاص والخاصة واحد
وفي الاساس للزمخشري لي خصوص والهاء فيها للتاكيد وعن الكسائي الخاص
والخاصة ولي خصوصية وهذا خاصتي وهم خاصتي والمراد بخاصته تعالى
اولياؤه المخلصون له في المحبة والطاعة الذين لهم به خصوصية دون غيرهم لاختصاصه
اياهم لنفسه ووصفهم بقوله المخاصين لديك للتخصيص او الايضاح او المدح وفيه
من الاشارة الى الاعتناء بهم اذ المراد عندية الشرف والرتبة **يا ارحم الراحمين**
ختم الدعاء عليه السلام بهذا النداء توقعا لحصول المطلب واستعطافا بوصف الدال
على انه الجواد المطلق الذي لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا لمضرة يدفعها عنه وكل راحم
سواه فرحمته لغرض من الاغراض اما ثناء دنيوي او ثواب اخروي او للرقة الناشية
من الجنسية ونحو ذلك على ان تلك الرحمة ايضا تتوقف على داعية يخلقها الله تعالى
فيه والافات والالام التي تراها في هذا العالم لا تنافي رحمته سبحانه لان كلها
مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو وانها ضرورية في الوجود لاشتمالها
على خيرات اكثر من الشرور ثم اطلاق الراحم عليه تعالى وعلى غيره انما هو من باب
الاشتراك اللفظي دون المعنوي اذ لا مشاركة بينه وبين غيره في المعنى اصلا

فان رحمته

١٩٩

فان رحمته تعالى تناسب ذاته المقدسة وهي عبارة عن احسانه ولطفه
بعباده ورحمة غيره رقة وانعطاف تقتضي الشفقة والتلطف بالخلق
وهو سبحانه منزه عن هذا المعنى وقد سبق بيان ذلك في الروضة الاولى
فلا وجه لاعادته ومما يناسب ايراده هنا ما رواه اصحاب السير انه وقع صبي
في بعض الغزوات فنودي عليه بين يدي في يوم صائف شديد الحر فبصرت به
امراة وهو ينادى عليه فعدت مسرعة اليه فاخذته والصقته الى بطنها ثم القت
ظهرها على البطحاء واجلسته على بطنها تقيه الحر وتقول ابني ابني فبكى الناس وتركوا
ما هم فيه فاقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى وقف عليهم فاخبروه فقال
اعجبتم من رحمة هذه ابنها ان الله ارحم بكم جميعا من هذه بابنها فتفرق المسلمون
وهم فرحون مستبشرون اللهم انا نسألك يا ارحم
الراحمين برحمتك التي وسعت العالمين ان ترحمنا
رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك وان تجعلنا
من وسعته رحمتك ورضاك انك اجود
مسؤول واكرم مأمول ه ه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا وسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون سرا وعلنا والصلوة والسلام على نبيه الذى شرع بملته فرضا وسننا وعلى اهل بيته الذين نهج بولايتهم لسلوك الحق سننا وبعد فهذه الروضة السادسة من رياض السالكين فى شرح صحيفة سيد العابدين املاء راجى فضل ربه الغنى على صدر الدين الحسينى الحسنى دفع الله اضيقه وجعل مستقبله خيرا من ماضيه وكان من دعائه عليه السلام عند الصباح والمساء الصباح اول النهار اذا جاء ضياؤه وهو الفجر ومثله الصبح وقد يطلق على من نصف النهار الى آخر نصف الليل قال ابن الجواليقى الصباح عند العرب من نصف الليل الى آخر الزوال ثم المساء الى آخر نصف الليل الاول وقال ابن القوطية ما بين الظهر الى المغرب والمراد بهما هنا اول النهار واول الليل وبذلك فسر قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون لو فسر بالمعنى الذى ذكره ابن الجواليقى عن العرب لكان قوله وعشيا داخلا فى المساء وقوله حين تظهرون داخلا فى الصباح وقد روى عن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ثم الذى يدل عليه متن هذا الدعاء انه مختص بالصباح لا به وبالمساء كما وقع فى عنوانه ولذلك خصصه شيخ الطائفة قدس سره وغيره بالصباح والله اعلم الحمد لله الذى خلق الليل والنهار بقوته الخلق احداث الشىء من غير احتذاء على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا فى صفات الله سبحانه اذ لا احد سواه تكون افعاله من غير احتذاء وعلى مثال والليل هو الزمان الذى يقع ما بين غروب الشمس ويطلق عليها عند اهل اللغة وما بين غروبها وطلوع الفجر

الصادق الى غروب الشمس وهو حقيقة شرعية فى ذلك وفى الحديث انما هو بياض النهار وسواد الليل وقال الفيومى فى المصباح المنير النهار فى اللغة من طلوع الفجر الى غروب الشمس وهو مرادف لليوم ولا واسطة بين الليل والنهار وربما توسعت العرب فاطلقت النهار من وقت الاسفار الى الغروب وهو فى عرف الناس من طلوع الشمس الى غروبها واذا اطلق النهار فى الفروع انصرف الى اليوم نحو صم نهارا وعمل نهارا لكن قالوا اذا استأجر ان يعمل له نهار يوم الاحد مثلا فهل يحمل على الحقيقة اللغوية حتى يكون اوله من طلوع الفجر او يحمل على العرف حتى يكون اوله من طلوع الشمس لاشتغال الاضافة لان الشىء لا يضاف الى مرادفه والاول هو الراجح دليلا لان الشىء قد يضاف الى نفسه عند اختلاف اللفظين نحو ولدار الآخرة وحق اليقين وما اشبه ذلك وقيل فيه وجهان وقياس هذا اطراده فى كل صورة يضاف فيها النهار الى يوم كما لو حلف لا ياكل ولا يسافر نهار يوم كذا انتهى كلامه قالوا ولا يثنى النهار ولا يجمع لانه بمنزلة المصدر يقع على القليل والكثير وربما جمع على نهر وانهر والقوة سبحانه عبارة عن كمال قدرته ولذلك قيل القوة والقدرة متقاربتان تنبيه قيل قدم الليل على النهار فى الذكر لان الليل مخلوق قبل النهار لان الظلمة هى الاصل والنور طارئ عليها ويشهد واستدل بعضهم بقوله تعالى اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اى كانتا مظلمتين ففتقهما الله باظهار النور فيهما اذ لا يكون مع الرتق الا الظلام فهى سابق على النور وقال الجلال السيوطى قد ثبتت السنة انه لا تقوم الا نهارا فدل على ان ليلة اليوم سابقة على نهاره اذ كل يوم له ليلة فكان الليل قبل النهار والصحيح ان النهار خلق قبل الليل لما رواه العياشى فى تفسيره باسناده عن الاشعث

بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه السلام والفضل بن سهل و
المأمون في الايوان بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا عليه السلام ان رجلا من
بني اسرائيل سألني بالمدينة النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال فاداروا
الكلام فلم يكن في ذلك شيء فقال الفضل للرضا عليه السلام اخبرنا بها اصلحك الله
قال نعم من القرآن ام من الحساب قال الفضل من جهة الحساب قال قد علمت يا فضل ان
طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها زحل في الميزان والمشتري
في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في
الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل انتهى وعلى
هذا فالنكتة في تقديم الليل في الذكر اما لان الشهور غررها الليالي او لان مدد
العبادة والخلوة فقدم لشرفه وقال النيسابوري في تفسيره قال اهل البرهان قدم
الليل على النهار لان ذهاب الليل بطلوع الشمس اكثر فائدة من ذهاب
النهار بدخول الليل **وميز بينهما بقدرته** مأخوذ من ميز الشيء من الشيء من باب
باع فرق بينهما وفصل والتثقيل مبالغة فيقال ميزته او ميز بينهما ومنه سن
التمييز وهي السن التي اذا بلغ اليها الانسان عرف مضاره ومنافعه ويتميز
بينهما وبين ظرف مبهم لا يتبين معناه الا باضافته الا متعدد او ما يقوم مقامه
كقوله تعالى عوان بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اختص
بالاضافة الى متعدد قال الزمخشري وهي بحسب ما تضاف اليه فان اضيفت الى
مكان كانت ظرف مكان والى زمان فظرف زمان وقيل اصلها ان تكون
ظرفا للزمان وقيل بالعكس ومعنى التمييز بينهما جعل كل منهما منفصلا عن الآخر
بحيث لا يشتبه احدهما بالآخر فجعل الليل مظلما والنهار مضيئا حتى ان انشقاق
ظلمة الليل بظهور الصبح المستطير وهو انتشار ضوء الصبح يرى كانه جدول ماء صاف

بليل

٢٠٦

بليل في جو كدر بحيث لا يتكدر الصافي بالكدر ولا يختلط الكدر بالصافي وسياق
الكلام يقتضي ان يكون خلق الليل والنهار والتمييز بينهما الى غير ذلك مما سيأتي من ما حل
في اقتضاء الحمد فان ترتيب الوصف على الحكم مشعر بالعلية كما تقرر في الاصول وهو كذلك
ووجهه ظاهر فان خلق الليل والنهار والتمييز بينهما وتخصيص كل واحد منهما
بحد وامد من المنح الجليلة التي لا يحيط نطاق البيان بما فيهما من المصالح والمنافع
ولذلك يمدح سبحانه وامتن على عباده بذلك مكررا في كتابه الكريم فقال عز من
قائل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون وقال سبحانه الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقال تعالى ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الى غير
ذلك من الآيات وقد تقدم الكلام على معنى قدرته تعالى في اوايل شرح الدعاء
الاول وقرن الخلق بالقوة والتمييز بالقدرة لمناسبة ظاهرة فان احداث الشيء
من غير احتذاء على مثال يستدعي كمال القدرة بخلاف التمييز وجعل لكل واحد منهما حدا
ومنه حدود الدار لتميزها عن مجاورها
ومحدودا اي مميزا مستعيذا عن الاشتباه به والامد يطلق على معنيين احدهما الغاية
ومنه قوله تعالى تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا الثاني الوقت والزمان كالمدة
ومنه قوله تعالى ولكن طال عليهم الامد فقست قلوبهم اي طال عليهم الزمان وهذا المعنى
هو المراد هنا اي جعل لكل واحد من الليل والنهار وقتا مبسوطا لمصالح العباد ومنافعهم
التي لا تحصى **فنقول** مجموع زمان الليل والنهار عند الجميع اربع وعشرون ساعة من غير
زيادة ولا نقصان وكلما نقص من الليل زاد في النهار وبالعكس واطول ما يكون من النهار
يوم سابع عشر حزيران عند حلول الشمس آخر السنبلة فيستوي الليل والنهار ويسمى الاعتدال

[illegible]

الخريف فيصير كل منهما اثنتى عشرة ساعة ثم ينقص النهار ويزيد الليل الى سابع عشر
من كانون الاول عند حلول الشمس آخر القوس فيصير الليل خمس عشرة ساعة والنهار
تسع ساعات فيكون الليل فى غاية الطول والنهار فى غاية القصر ثم يأخذ الليل
فى الزيادة والنهار و يصير كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ويسمى الاعتدال الربيعى
ثم يستانف الدورة ويرجع الى الاول كما قال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير
العزيز العليم تتمة كلما ازداد البلد عرضا عن خط الاستواء هو الموضع المحاذى لمنطقة
الفلك الاعظم المسماة معدل النهار ازداد نهاره فى الصيف طولا وفى الشتاء قصرا
وبالعكس فى الليل وقد يرتقى طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث يصير
اليوم بليلته نهارا كله وبازائها الليل ثم الى اكثر من ذلك الى حيث يكون نصف السنة
نهارا ونصفها الآخر ليلا فتكون السنة كلها يوما وليلة وذلك اذا صار قطب الفلك
الاعظم محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا فيما يقرب منه اذ لا يتم به النضج
لشدة البرد اللازم من انخفاض الشمس ولا يصلح المسكن للحيوان ولا ينبت فيه
شىء من اسباب المعيشة واما البلاد التى هى تحت خط الاستواء فالليل والنهار
فيها فى جميع السنة متساويان كل واحد منهما اثنا عشرة ساعة متساوية والله
اعلم يولج كل واحد منهما فى صاحبه ويولج صاحبه فيه ولج الشىء فى غيره يلج ولوجا
من باب وعد دخل فيه وايلاجه ادخاله اى يدخل كل واحد من الليل والنهار
فى الآخر بان يقلب بعض اجزاء الليل المظلمة باجزاء النهار والمنيرة يدخله فيه
وبالعكس فيكون قد نقص من احدهما شيئا وزاده فى الآخر كنقصان ليل الصيف وزيادة
نهاره وزيادة ليل الشتاء ونقصان نهاره قال العلامة البهائى فى مفتاح الفلاح
فان قلت هذا المعنى يستفاد من قوله عليه السلام يولج كل واحد منهما فى صاحبه فاى فائدة
فى قوله عليه السلام ويولج صاحبه فيه قلت مراده عليه السلام التنبيه بالواو والحال

على امر مستغرب وهو حصول الزيادة والنقصان معا فى كل من الليل والنهار
فى آن واحد وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الاستواء
والجنوبية منه سواء كانت مسكونة ام لا فان صيف الشمالية شتاء الجنوبية
وبالعكس فزيادة النهار ونقصانه واقعان فى وقت واحد لكن فى بقعتين
وكذلك زيادة الليل ونقصانه ولو لم يصرح عليه السلام بقوله ويولج صاحبه
فيه لم يحصل التنبيه على ذلك بل كان الظاهر من كلامه عليه السلام وقوع زيادة النهار
فى وقت ونقصانه فى آخر وكذا الليل كما هو محسوس معروف للخاص والعام
قالوا وفى قوله عليه السلام ويولج صاحبه فيه والحال باضمار مبتدا كما هو المشهور
بين النحاة انتهى كلامه رفع مقامه ويحتمل ان يكون الواو العاطفة كما هو المتبادر
من ظاهر العبارة ويكون المراد بالاول الايلاج حين ايجاد كل عقيب الآخر باعتبار
الايلاج فى مكانه وبالايلاج الآخر الزيادة والنقص كما مر فقد فسر بعضهم قوله
تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل بالاتيان باحدهما فى مكان
الآخر قال الشيخ الجليل امين الاسلام الطبرسى فى مجمع البيان قيل فى معناه قولان احدهما
ان معناه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة فى النهار وينقص من النهار فيجعل
ذلك النقصان زيادة فى الليل على قدر طول النهار وقصره عن ابن عباس والحسن و
مجاهد والآخر معناه يدخل احدهما فى الآخر باتيانه بدلا فى مكانه عن ابى على الجبائى
انتهى وعلى هذا المعنى اقتصر الزمخشرى فى الكشاف وقال البيضاوى ايلاج الليل فى
النهار ادخال احدهما فى الآخر بالتعقيب او الزيادة والنقص انتهى فكانه عليه السلام
ضمن المعنيين معا فان حملت الايلاج فى الفقرة الاولى على معنى الزيادة و
النقص كان فى الفقرة الثانية بمعنى المعاقبة والا فبالعكس ويكون المستفاد
من الجملة المعطوفة غير ما يستفاد من الجملة المعطوف عليها والله اعلم بمقاصد اوليائه

بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به ويخشهم عليه التقدير تعيين ذات الشيء
وصفاته وعدد افراده وكيفياته وساير ما يدخل في خصوصياته فيل هو عبارة
عن تصور الاشياء المعلومة على الوجه العقلي الكلي جزئية متعددة بافراد معينة
متشكلة باشكال وهيات تشخصية مقارنة لاوقات مخصوصة على الوجه الذي
يظهر في الخارج قبل اظهارها وايجادها والباء للسببية متعلقة بيولج ان جعلت
جملة مستانفة وبخلق اول الدعاء ان جعلت جملة حالية ومنه متعلق بمحذوف
صفة لتقدير اي كاين من عنده تعالى وهي صفة مبينة لفخامة التقدير واللام
في للعباد للتعليل اي لاجلهم متعلقة بتقدير وفي من قوله فيما طرفية مجازية
متعلقة بمحذوف صفة اخرى لتقدير اي تقدير منه كاين فيما يغذو العباد
ويحتمل ان يكون للتعليل كقوله تعالى لمسكم فيما افضتم اي لاجل ما يغذوهم به
وغذوته بالشيء جعلته غذاء كالكتاب وهو ما يغتذي به من طعام و شراب تقول
غذوته باللبن فاغتذى وغذيته بالتثقيل تغذية مبالغة وينشهم اي يربيهم
ومنه قوله تعالى او من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين اي يربي
في الزينة وانشئ بالهمزة والتثقيل بمعنى واحد وعلى من قوله عليه متعلقة
بينشهم وهي للاستعلاء المعنوي ويحتمل ان يكون بمعنى الباء كقولهم اركب على
اسم الله وفي هذا الكلام اشارة الى حكمة اختلاف الليالي والايام وتفاوت
زمان النور والظلام وهو من لطايف صنع الله تعالى وعجايب رحمته للعباد كما قال
سبحانه ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى
الالباب فان من الواجب تفاوت المتنافيين على امر واحد وهيا لصفة لا يمكن تعلق
الحيوان ومعاشه قال بعض العارفين من اصحابنا انظر ايها العارف المتعمق في
اسرار حكمة الله تعالى وجوده انه لو لم يخلق هذه الاجرام النيرات على الوضع الذي

يقع من التفاوت

٢٠٣

يقع من التفاوت بين الليل والنهار بان يلج مدة من هذا في ذلك ومدة اخرى بالعكس
وتقدير المتعاقب بينهما على نظام محكم ونسق مضبوط لما صلحت احوال الخلايق والبلاد
ولا ادت امزجة الحيوان والنبات الذي به قوامه الى الفساد الى تركيب خلق الله
تعالى اوضاع النيرات العلوية ومناطق حركاتها ومدارات سيرها على نحو ينتظم به
احوال الكاينات وتنتفع به السفليات فلو ثبت انوارها فتحركت ولكن
لزمت دايرة واحدة لاثرت بافراط فيما قابلها وتفريط فيما وراء ذلك ولو
لم تجعل دوايرها للحركات البطيئة وسموتها مايلة عن سمت الحركة السريعة لما
مالت تلك الانوار الى النواحي شمالا وجنوبا فلم تنتشر اثارها ومنافعها
على بقاع الارض ولو لا حركة الشمس على هذا المنوال من مخالفة سمت حركتها الذاتية
لسمت حركتها العرضية لما حصلت الفصول الاربعة التي بموجبها تفاوت مقادير
الليالي والايام ولو لا حصولها لما تم النظام ولا صلحت امزجة العباد وفسد الحرث
والنسل في البلاد وقد علمت ان نشاة الاخرة من الدنيا وان الدنيا قنطرة
الاخرة وفي فساد القنطرة قبل العبور حرمان عن الوصول الى دار الكرامة فاذن
قد تحقق وتبين عندا ولى الالباب غاية الحكمة في اختلاف الليل والنهار وتولجهما
على هذا الوجه المودي للتناسج والانام والله اعلم فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من
حركات التعب ونهضات النصب الفاء هنا للترتيب الذكري وهو عطف مفصل على مجمل نحو توضأ
فغسل وجهه ويديه ومسح راسه ورجليه فانه عليه السلام لما ذكر خلق الليل والنهار
وايلاج احدهما بالاخر بتقدير منه للعباد اخذ يفصل بعض المنافع المخصوصة بالليل و
بعض المصالح المخصوصة بالنهار وبدأ بذكر منافع الليل على الترتيب السابق والسكون
ذهاب حركة المتحرك سكن يسكن من باب قتل سكونا وسياتي بيان معنى الحركة في هذه
الروضة ان شاء الله تعالى والتعب الاعياء والكلال والنهضات جمع نهضة من نهض بمعنى

۲۰۷

تامر وقال الفيومي في المصباح كان منه نهضة الى كذا اى حركة والجمع نهضات و النصب
التعب نصب نصبا كتعب تعبا وزنا ومعنى وفى القاموس نصب كفرح اعيا والرجل
جدّ وعيش ناصب فيه كد وجهد انتهى فلك حمل النصب هنا على معنى الجد او الكد
والجهد ليكون تاسيسًا تاكيدًا فيكون معنى حركات التعب الحركات الموجبة
للتعب ومعنى نهضات النصب الحركات التى اوجبها الجد والجهد فى تحصيل الكد
وفى بعض النسخ نهضات النصب بالباء الموحدة والظاهر انه من هبط الحمل اذا اثقله
من قوله عليكم من حركات التعب ليدا اى ليسكنوا فيه بدلا وعوضا من حركات
التعب مثلها فى قوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة اى بدلا منها وابتداء
بتضمين السكون معنى الخلاص اى ليسكنوا فيه خالصين من حركات التعب ونهضات
النصب وفيه اشارة الى قوله تعالى الله الذى خلق لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرًا وانما
خص الليل بالسكون لخلقه باردًا مظلمًا ليؤدى الى ضعف الحركات وهدو الحواس
ليستريحوا فيه من متاعب الاشغال ولا كذلك النهار وان كان السكون فيه ممكنًا
وجعله لباسًا ليلبسوا من راحته ومنامه فيكون ذلك لهم جمامًا وقوة اللباس على وزن
كتاب ما يلبس لبس الثوب من باب تعب لبسًا بضم اللام واما اللبس بالكسر فبمعنى
اللباس شبه الليل باللباس لستره بظلامه كما يستر اللباس قال تعالى وهو الذى جعل لكم
الليل لباسًا وقال وجعلنا الليل لباسًا قال المفسرون اى غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء
وفى تفسير على بن ابراهيم قال يلبس على النهار ان يغطى عليه يقال الحبارى غطاه وهو معنى
قوله تعالى يغشى الليل النهار اى يغطيه به وقوله ليلبسوا من راحته ومنامه استعارة
مكنية تخييلية شبه الراحة والمنام بالثوب فى شموله للبدن والجامع الشمول وهى استعارة
بالكناية واثبت لهما اللبس الذى لا يكمل شمول الثوب للبدن الا به وهى استعارة تخييلية
ومن قوله من راحته للابتداء ومثلها فى قوله تعالى يحلون فيها من اساور عند الجمهور وقال

لاحتر

۲۰۴

الاخفش انها فى الاية زايدة بدليل قوله تعالى وحلوا اساور من ذهب ولو قيل بزيادتها
هنا لم يكن بعيدا لصحة المعنى بدونها والضمير فى راحته ومنامه لليل والاضافة
اما بمعنى فى مثل مكر الليل او بمعنى اللام الاختصاصية واجاز بعضهم عود الضمير
فيهما الى الله سبحانه باعتبار خلقه لهما والفاء من قوله فيكون عاطفة سببية وذلك
اشارة الى لبس الراحة والمنام والجمام بفتح الجيم الراحة والنشاط ويقال جم الفرس جمًا
وجمامًا اذا ترك فلم يركب فذهب اعياؤه وتعبه فقوله جمامًا اشارة الى استراحة
القوى النفسانية وقوله قوة الى تقوى القوى الطبيعية ولينالوا به لذة وشهوة
نال الشئ من باب تعب يناله نيلا اصابه واللذة قيل ادراك المشتهى وقيل ادراك
الملايم من حيث انه ملايم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق والنور عند البصر و
حضور المرجو عند الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة تلتذ بذكرها
وقيد الحيثية للاحتراز عن ادراك الملايم لا من حيث ملايمته فانه ليس بلذة
كالدواء النافع المر فانه من حيث انه نافع يكون ملايمًا لا من حيث انه مر والشهوة
انبعاث النفس وحركتها طلبا للملايم والمراد بها هنا المشتهى اذ الشهوة نفسها
لا اختصاص لها بالليل وعبر عليه السلام بالشهوة عن المشتهى كما عبر سبحانه
بالشهوات عن المشتهيات فى قوله تعالى زين للناس حب الشهوات قال
المفسرون جعل الاعيان المشتهيات شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة كانها
محروصًا على الاستمتاع بها او ذلك للتعلق والاتصال كما يقال للمقدور قدرة
وللمرجو رجاء انتهى والباء من قوله به ظرفية بمعنى فى والضمير عائد الى الليل
والمراد باللذة والشهوة اللتين تنالان فى الليل الرفث الى النساء وانما خص
ذلك بالليل لانه استر من النهار والفعل فيه اخفى منه فى النهار وقد حث
الشرع على اخفاء هذا الفعل ولانه احمد وقانه ما لا طبا اجود او قانه النصف

الا حين من الليل وقد انهضم الطعام ونحن بابطن الرحم وخلق لهم النهار مبصرا
ليبتغوا فيه من فضله اى مبصرا اى ذا ابصار باعتبار اصحابه لابصارهم بما فيه
من الضياء طرق التقلب فى امور المعاش فيولع فيه حيث جعل الابصار الذى
هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التى خلق عليها بحيث لا ينفك عنها
ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما ان تاثير الظلام فى السكون ليس بمثابة
تاثير ضوء فى الابصار وبغى الشىء يبغيه ويبتغيه طلبه وفى الابتغاء مزيد
اهتمام بالشىء واعتناء النفس بتحصيل الفضل وسعيها فى طلبه وفيه اقتباس من
قوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ويتسبب
اليه يتوصل ماخوذ من السبب وهو الحبل وهو ما يتوصل به الى الاستعلاء ثم استعير
لكل شىء يتوصل به الى امر من الامور فقيل هذا سبب هذا وهو مسبب عنه وقد
تسبب اليه اى توصل واتخذ اليه اسبابا توصل اليه وقد تقدم الكلام على ذلك فى
فى الروضة الاولى فليرجع اليه ويسرحوا فى ارضه طلبا لما فيه نيل العاجل من
دنياهم ودرك الاجل فى اخراهم سرحت الابل من باب نفع سرحا وسروحا
حيث بالغداة الى المرعى وسرحتها انا بالتخفيف يتعدى ويسرحتها بالتثقيل
للمبالغة والتكثير واذا رجعت بالعشى قيل راحت ومنه قوله تعالى ولكم
فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون شبه عليه السلام انتشار الناس لطلب
المعاش فى اول النهار بخروج الابل الى مراعيها وهى استعارة تبعية وقوله عليه السلام
طلبا مفعول له او مصدر فى موضع الحال اى لاجل الطلب او الطالبين وما موصولة
او موصوفة ونيل الشىء اصابته وادراكه والعاجل اسم فاعل من عجل بمعنى
حضر لا بمعنى اسرع قال الفيومى فى المصباح عجل عجلا من باب تعب وعجلة
اسرع وحضر فهو عاجل ومنه العاجلة للساعة الحاضرة والدنيا انثت لادنى

دونها فعلى كصغرى وكبرى تانيث الاصغر والاكبر وقد وردت
على خلاف القياس لانسلاخها عن معنى الوصفية واجرائها مجرى الاسما
وهى اسم لهذه الحيوة قيل سميت بها لدنوها من الاخرة وقيل لبعد الاخرة
عنها والدرك بفتح الراء الادراك وهو اللحاق والوصول وتسكين الراء
لغة قال الفارابى فى ديوان الادب الدرك لغة فى الدرك وهو ادراك
الشىء اشهى وقيل هو بالتحريك اسم وبالسكون مصدر والاجل خلاف العاجل
اسم فاعل من اجل من باب تعب بمعنى تاخر والاخرى بمعنى الاخرة اسم لدار
البقاء سميت بها لتاخرها عن الدنيا وهى فى الاصل صفة فاجريت مجرى الاسما
كالاخرة والدنيا بدليل قوله تعالى وان عليه النشاة الاخرى ثم الله ينشئ النشاة
الاخرة فان قلت اذا كانت الاخرى بمعنى الاخرة فكيف منعوا ان يقال جمادى
الاخرى مع قولهم جمادى الاخرة قلت انما منعوا ذلك لخوف اللبس فان الاخرى
كما تكون بمعنى الاخرة تكون مونث الاخر بفتح الخاء بمعنى المغاير لمتقدم ذكره وان كان
متقدما فى الوجود وكذلك مونثه ومجموعه فلو قيل جمادى الاخرى احتمل ان يراد
بها هذا المعنى فيتناول المتقدمة والمتاخرة فيحصل اللبس بخلاف الاخرة فانها
نص فى التاخر الوجودى والمراد بنيل العاجل فى الدنيا نيل المنافع الدنيوية
والمطالب المتعلقة بهذه النشاة وبدرك الاجل من الاخرى ادراك ثمرات الاعمال
الصالحة الموجبة للسعادة الابدية فى النشاة الاخروية تنبيه دل هذا الكلام
منه عليه السلام على ان الله جل جلاله خلق الليل والنهار لعباده ليراعوا امر دنياهم
واخراهم ويغادون الاقتصار على مراعاة احدهما من غير التفات الى الاخرى والناس
فى ذلك ثلثة اصناف صنف هم المنهمكون فى الدنيا بلا التفات منهم الى الاخرى
وهم المسمون عبدة الطاغوت وشر الدواب وما شاكل ذلك من الاسماء وصنف

مخالفون لهم غاية المخالفة يراعون الاخرى من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا
وصنف متوسط وهو الذي راعى حقهما وهذا الصنف هم عند الحكماء الافضلون
لان بهم قوام اسباب الدنيا والاخرة ومنهم عامة الانبياء لان الله تعالى بعثهم
لاقامة مصالح المعاد والمعاش ولان امورهم مبنية على الاعتدال الذي هو من افضل
الاحوال قال بعض العلماء اجدر ان تكون هذه الاصناف الثلاثة داخلة في عموم
قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة
ما اصحاب المشامة والسابقون السابقون الاية فالمراعي للدنيا والاخرة على ما
هي وكحقهما من السابقين قال وجعل قوم السابقين هم النساك الذين
رفضوا الدنيا وزهدوا فيها بالكلية محتجين بقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وخفي على هذا ان اعظم عبادة الله ما يكون عائدا بصلاح عباده روي
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال الخلق كلهم عيال الله واحب الناس
اليه انفعهم لعياله وقال بعض المحققين من اصحابنا رضوان الله عليهم ان ترك
الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع
يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء
النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يهدم ذلك النظام وينافيه بل الذي
امر به الشريعة القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين التي وردت به
الرسل والوقوف فيها عند الحدود المضروبة في شرايعهم دون تعديها وقد
كان رسول الله صلعم وعلي عليه السلم وجماعة من اكابر الصحابة رضوان الله عليهم
اميل الى طريق التقشف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير احوال المدن
وصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها ولا معتزلين وانما الناسكون والصوفية
بعد عصر الصحابة فمنهم من اختار التقشف وترك الطيبات وهجر اللذات

ومنهم

٢٠٦

ومنهم من اثر الترف والذي يفعله المحققون من السالكين من التقشف لا ينافي
الشريعة لعلمهم بان ما يسروه وطريقهم اقرب الى السلامة من طريق المترفين لكون
الترف مجال الشيطان والله اعلم كل ذلك يصلح شانهم ويبلوا اخبارهم
الباء للاستعانة متعلقة بيصلح تقدمت مع مجرورها عليه لتاكيد الشمول في
ذلك اشارة الى خلق الليل لباسا والنهار معاشا واعداد هما لمصالحهم من ليس الراحة
والمنام ونيل اللذة والشهوة والابتغاء من فضله والتسبب الى رزقه والسعي
في ارضه لطلب منافعهم الدنيوية والاخروية والشان الامر بمعنى الحال وهو
مهموز العين وقد تسهل الهمزة فيقال شان بالالف وبلاه يبلوه بمعنى
اختبره ويقال ابتلاه بمعنى ايضا والاخبار جمع خبر محركة وهم اسم ما
ينقل ويتحدث به والمراد باخبارهم ما يخبر به من اعمالهم فيظهر حسنها
وقبيحها اعلم انه لما كانت حقيقة الابتلاء والاختبار طلب الخبر بالشيء و
معرفة لمن لا يكون عارفا به وكان هو تعالى عالما بما كان وما يكون قبل كونه
كان تعالى وما من غايبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقال تعالى
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان
نبراها ان ذلك على الله يسير لم يكن اطلاق هذا اللفظ في حقه سبحانه حقيقة
بل على وجه الاستعارة باعتبار انه لما كان ثوابه وعقابه موقوفين على
تكليفهم بما كلفهم به فان اطاعوا فيما امرهم به اثابهم وان عصوه عاقبهم
اشبه ذلك اختبار الانسان لعبيده وتمييزه لمن اطاعه منهم ممن عصاه
فاطلق عليه لفظه فقوله عليه السلم ويبلوا اخبارهم كقوله تعالى ولنبلونكم
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم والمعنى يبلونكم
حتى يعاملهم معاملة المبتلي والمختبر فيما يخبر به عن اعمالهم وينظر كيف هم

في اوقات طاعته ومنازل فروضه ومواقع احكامه اي يرى كيف هم واطلاق
النظر عليه سبحانه من باب الاستعارة والا فالنظر حقيقة لا يجوز عليه تعالى
لانه انما يكون بالقلب وهو ملاحظة معقول لتحصيل مجهول او بالعين وهو
تقليب الحدقة السالمة نحو المرئي التماسا لرؤيته وكل من هذين المعنيين لا يجوز
عليه سبحانه وانما يستعمل ذلك في صفاته العليا على وجه المجاز والاتساع فيقال
استعير النظر للعلم الحقيقي الذي لا يطرقه الريب والشك ويعني به العلم الذي يتعلق
به الجزاء فان النظر انما هو لطلب العلم وهو تعالى يعامل عباده معاملة المختبر الذي
لا يعلم ما يكون منهم فيطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم على ما يعلمه منهم قديما
وانما يجازيهم على ما يعلمه منهم حديثا فيتعلق النظر بالاولى به وقال بعض العلماء
قد وقع في مواضع من القرآن ما يوهم ان علمه تعالى ببعض الاشياء حادث كقوله تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقوله تعالى ثم بعثناكم لنعلم اي
الحزبين احصى لما لبثوا امدا وامثال ذلك والتفصي عن هذا الاشكال ما اباده اهل
المتكلمون من ان علمه سبحانه قديم ومتعلقه حادث فمعنى حتى نعلم حتى يتعلق علمنا القديم
بالمجاهدين منكم والصابرين واما ان المراد بالعلم الشهود فان الاشياء قبل
وجودها العيني معلومة للحق سبحانه وبعده مشهودة له فالشهود خصوص نسبة
للعلم فانه قد يلحق العلم بواسطة وجود متعلقه نسبة باعتبارها تسمى وجودا
وحضورا لا انه حدث هناك علم فمعنى حتى نعلم نشاهد والله اعلم قوله
عليكم كيف هم جملة اسمية فهم مبتدا وكيف خبره قدم عليه لتضمنه ما يقتضي
صدر الكلام وهو الاستفهام والجملة في موضع الحال مفعول مقيد بالجار لانه
يقال نظرت فيه او اليه ولكن علق الفعل بالاستفهام عن الوصول في اللفظ الى المفعول
وهو من حيث المعنى طالب له على معنى ذلك الحرف هذا على مذهب ابن خروف

وابن عصفور وابن مالك من الحاق نظر قلبية كانت نحو فانظري ماذا تامرين او
بصرية نحو فلينظر ايها ازكى طعاما بافعال القلوب في التعليق وذلك جعل
كيف حالا اي حين المبتدا او الخبر بعده وقدمت الحال لتقدم والمعنى على الاول
وينظر على اي حالهم حال كونهم في اوقات طاعته وعلى الثاني وينظر كونهم في اوقات
طاعته على اي حال لان مفعول النظر في الحقيقة انما هو مضمون الجملة قوله عليكم
في اوقات طاعته اما حال من ضمير الجمع او خبر له على ما ذكرنا والاوقات جمع وقت
وهو مقدار من الزمان مفروض لامر ما والطاعة موافقة الامر وقيل هي الانقياد
للامر والنهي والمراد الاوقات التي وقتها سبحانه كانت كاوقات النوافل
ومن ايام الصوم المندوب او واجبة كاوقات الصلوة وشهر الصيام واشهر الحج
ونحو ذلك قوله عليكم ومنازل فروضه المنازل جمع منزل وهو موضع النزول
والفروض جمع فرض وهو هنا بمعنى الايجاب من فرض الله الاحكام فرضا من باب
ضرب اوجبها وانما جمعه لتنوعه ويكون بمعنى المفروض وهو ما امر الله
عباده ان يفعلوه كالصلوة والزكاة ويرادفه الامر والمكتوب و
الواجب وفرق اصحاب ابي حنيفة بين الفرض والواجب فالفرض عندهم
ما ثبت وجوبه بدليل مقطوع به والواجب ما ثبت وجوبه بدليل مجتهد
فيه والمراد بمنازل الفروض متعلقاتها اعني المفروضات وجعل ما تعلق
به الفرض كالمنزل له قوله عليكم ومواقع احكامه المواقع جمع موقع و
هو المحل الذي يقع فيه الشيء والحكم لغة القضاء واصطلاحا خطاب الله
تعالى المتعلق بالمكلفين والمراد بمواقعه مناطه ومتعلقه والمعنى وينظر على
اي حالهم في اوقات الطاعة ايطيعونه فيها ام لا وفيما فرضه عليهم ايقيمونه
بادائه ام لا وفيما حكم به من التكاليف ايعملون
بالاحكام ويوثرون طاعته فيها ام لا ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين

احسنوا بالحسنى ۝ اى ليجزى الذين اساؤا بعقاب ما عملوا ويجزى الذين احسنوا با
لمثوبة الحسنى او المنزلة او المرتبة الحسنى وهى الزلفى والجنة وفى جعل جزاء الاساءة
ما عملوا وجزاء الاحسان الحسنى تنبيه على ان جزاء السيئة لا يضاعف وجزاء الحسنة
يضاعف لان الحسنى مؤنث الاحسن وهو يقتضى الزيادة كما صرح سبحانه بذلك
فى قوله تعالى فى سورة الاعراف من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وقد تقدم الكلام على هذه الاية فى الروضة الاولى
فليرجع اليه اللهم فلك الحمد على ما فلقت لنا من الاصباح ومتعتنا به من ضوء النهار من الغيبة
الى الخطاب وتكون للمتكلم من باب الى باب جار على نهج البلاغة فى افتنان الكلام و
مسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام قالوا وفائدته العامة ان التنقل من اسلوب
الى اسلوب ادخل فى استجلاب النفوس واستمالة القلوب حتى ان نفس المتكلم
لتجد فى ذلك ما لا تجده لو اجرى الكلام كله على نمط واحد وجريه على سنن مطرد
وقد يختص كل موقع بنكت ولطائف باختلاف محله كما يمكن ان يقال هنا من النكت
الى نعم امور احدها الاشارة الى حق الكلام انه يجرى من اول الامر على طريق الخطاب
لان الله تعالى حاضر لا يغيب بل هو اقرب من حبل الوريد لكن انما اجرى على طريق الغيبة
والمتعداد مقام الحضور والقرب رعاية للادب الذى هو ادب السالكين وشعار
المحبين فلما حصل القيام بهذه الوظيفة جرى الكلام حقه ان يجرى عليه فى ابتداء
الذكر ففى الحديث القدسى انا جليس من ذكرنى الثانى التنبيه على ان الدعاء
ينبغى ان يكون عن قلب حاضر وتوجه كامل بحيث كلما اجرى الداعى صفة من تلك الصفات
العظمى على لسانه ونقشه على صفحة جنانه حصل للمدعو مزيد انكشاف وجلاء و
للداعى زيادة واقبال وهكذا شيئا فشيئا الى ان يترقى الى درجة الحضور ويفوز
مرتبة العيان فيناجيه بصيغة الخطاب الثالث انه لما شرع فى الدعاء ونوى
القربة فاثنى على الله تعالى بما ناسب الوقت بطريق الغيبة فكانه استشعر اجابته

هذا التفات

دعايه

٢٠٨

دعائه فى حصول القربة فانتقل من مقام الغيبة الى مقام الحضور الرابع انه لما
اخذ يدعو كان ذاكرا محكيا لحمد الله بلفظ الغيبة ثم صار واصلا لحمده بصيغة
الخطاب الخامس انه لما ابتدا بالاظهار كان ناظرا وملاحظا لمخلوقاته تعالى
ثم التفت الى عظمة الخالق فناجاه مخاطبا والفاء من قوله فلك الحمد فصيحة اى اللهم
اذا كان خلق الليل والنهار لهذه المصالح العظيمة والمنافع الجليلة فلك
الحمد وتقديم الظرف للتخصيص اى لك الحمد خاصة وفلقت الشئ فلقا من باب
ضرب شققته والاصباح مصدر سمى به الصبح قال تعالى فالق الاصباح
قيل المراد فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش فى آخر الليل وكان الافق كان
بحرا مملوا من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه
جدولا من النور فالمعنى فالق الاصباح نور الاصباح وحسن الحذف للعلم
به او المراد فالق الاصباح بضياء النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود
الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب
واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق عن ابن عباس والضحاك الفلق با
السكون بمعنى الخلق واما الفلق بالتحريك فهو ضوء الصبح لانه بمعنى مفعول
ومن فى قوله من الاصباح مبينة لما او مفعول فلقت محذوف اى على ما فلقته
لنا ومتعته بالشئ بالتثقيل وامتعته به بالهمزة جعلته له متاعا وهو اسم
لما ينتفع به والضوء النور وهو ما انتشر من الاجسام النيرة وقيل هو اقوى
من النور فهو فرط الانارة وقال المتكلمون القائم بالمضئ لذاته هو الضوء
كما فى الشمس والمضئ بغيره هو النور كما فى القمر ووجه الارض قال تعالى جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقد يتعاوران تبصرة اعلم ان ضوء الصبح انما هو
من ضياء الشمس قطعا وبيان ذلك على ما صرح ارباب الهيئة ان المستضئ

بالشمس من الارض اكثر من نصفها اذا لان الشمس اعظم من الارض كما قام عليه البرهان
في محله ومتى استضاءت كرة صغرى من كرة عظمى كان المستضيء من الصغرى اكثر
من نصفها والظل اقل منه ويكون ظلها مخروطا فظل الارض على هيئة مخروط يلازم
راسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم بالحساب وفي النهار مدة كون المخروط
تحت الافق والليل مدة كونه فوقه فاذا ازداد قرب الشمس من شرقي الافق
ازداد ميل المخروط الى غربية ولا يزال كذلك حتى يرى الشعاع المحيط به واول ما يرى
منه هو الاقرب الى موضع الناظر لانه اصدق رؤيته وهو موضع خط يخرج من بصره
عمودا على الخط المماس للشمس والارض فيرى الضوء مرتفعا عن الافق مستطيلا وما
بجنبه وبين الافق مظلما لونه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن
الناظر وهو الصبح الكاذب ثم اذا قربت الشمس جدا يرى الضوء معترضا منبسطا وهو
الصبح الصادق فسبحان فالق الاصباح وهذا لا ينافي كونه تعالى فالقه حقيقة كما ان
وجود النهار بسبب طلوع الشمس لا ينافي كونه تعالى خالقه والفخر الرازي اراد ان يبين
ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كون الصبح بسبب ضوء الشمس فاحتج عليها
وعند نفسه وكلها اختلاق المعقول والمنقول من علم الرياضة فكانت ساقطة عن درجة
الاعتبار زائفة جدا ولدى الابصار **وبصّرتنا به من مطالب الاقوات ووقيتنا فيه
من طوارق الآفات** بصّره اياه وبصّر به تبصيرا عرّفه واوضحه له حتى
كانه مبصر له وهو من البصر بمعنى العلم والخبرة اي اعلمتنا والباء من به ان جعلت
للتعدية كان الضمير المجرور بها راجعا الى ما والتقدير وعلى ما بصّرتنا به من مطالب الاقوات
وان جعلت ظرفية كان راجعا الى ضوء النهار ومفعول بصّرتنا محذوف والتقدير
على الوجهين بيانية والمطالب جمع مطلب يكون مصدرا واسم مكان اي موضع الطلب
وكل من المعنيين محتمل هنا اي عرّفتناه من طلب الاقوات او اماكن طلبها والاقوات

جمع

٢٠٩

جمع قوت بالضم وهو ما يؤكل ليمسك الرمق ووقاه الله بقيه وقاية بالكسر
حفظه والطوارق جمع طارق او طارقة بمعنى حادث او حادثة اي حوادث
الآفات وانما سميت الحوادث طوارق تشبيها لها بالآتي ليلا لاحتياجه غالبا
الى طرق الباب اي دقه ولذلك اضيفت في بعض الادعية الى الليل ومنه اعوذ
من طوارق الليل ثم توسع فيها فاطلقت على مطلق الحوادث ليلا كانت او نهارا
والآفات جمع آفة وهي عرض يفسد ما اصابه وهي العاهة وآفت الشيء كقيل
بالبناء للمفعول اصابته الآفة وهو مؤوف كمقول والاصل ماووف على مفعول
لكنه استعمل على نقص العين فوزنه مفعول **اصبحنا واصبحت الاشياء
كلها بجملتها لك** اصبحنا جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب اي دخلنا
في الصباح والاشياء جمع شيء وهو في اللغة عبارة عن كل موجود اما حسا
كالاجسام او حكما كالاقوال وقد اسلفنا الكلام على اختلافهم في اطلاقه على المعدوم
في اوائل الروضة الثانية فليرجع اليه وكلها تاكيد للاشياء افادت عمومها
وبجملتها حال مؤكدة لصاحبها والجملة بالضم جماعة الشيء اي واصبحت الاشياء
كلها جميعا هو كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والباء
في بجملتها للملابسة متعلقة بمحذوف وجوبا اي ملتبسة بجملتها متعلقة باصبحت
لان الظرف والجار والمجرور اذا وقعا حالا وجب تعلقهما بمحذوف ولك
حال من الاشياء والمعنى دخلنا في الصباح ودخلت فيه الاشياء كلها بجملتها
كائنة لك اي عرفنا الاشياء كلها لك كذا قال شارح الحصن الحصين في نظير
هذا الموضع والظاهر ان لك حال من الضمير في اصبحنا ومن الاشياء ومعناه اي
مملوكين لك وهذا الكلام انشاء في صورة الخبر كقولك بعت واشتريت لا اخبار
المقصود به الاقرار لله سبحانه بالمملوكية والتضرع اليه تعالى لا الاخبار عن ذلك

فهو لا يحتمل التصديق والتكذيب فتعين كونه انشاء لا يقال كيف يكون انشاء وله نسبة
خارج وقد قالوا ان الكلام اما ان يكون لنسبته خارج وقد قالوا ان الكلام اما
ان يكون لنسبته خارج اولا فالاول الخبر والثاني الانشاء لانا نقول انما يكون لنسبته
خارج وقد قالوا ان الكلام انما يكون لنسبته خارج اذا اريد به الاخبار واما حال
الدعاء فلا ملاحظة لنسبته الخارجية اصلا بل الغرض مجرد الاعتراف والاقرار
فان قلت فيكون الغرض من ذلك افادة لازم الحكم كما اشار اليه شارح الحصن بقوله
اي عرفنا الاشياء كلها لك قلت انما يفاد الحكم او لازمه لمن لا يكون عالما بهما
والله سبحانه لا يخفى عليه شيء فلم يبق الا ان يكون الغرض انشاء الاقرار والتضرع كما ذكرنا
وقس على ذلك ما يرد عليك في الدعاء من امثاله قال المحقق التفتازاني في شرح
التلخيص كثيرا ما تورد الجملة الخبرية لاغراض اخرى سوى افادة الحكم او لازمه
كقوله تعالى حكاية عن امرأة عمران رب اني وضعتها انثى اظهارا للتحسر على خيبة
رجائها وعكس تقديرها والتحزن الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا و
قوله تعالى حكاية عن زكريا رب اني وهن العظم مني اظهارا للضعف والتخشع انتهى
قال بعضهم وهو جار في كل خبر يخاطب به من يستحيل عليه الجهل كقول الداعي ربنا اننا
سمعنا مناديا ينادي للايمان قال بعض المحققين ان الكلام الذي اريد به مثل
هذه المعاني ليس بخبر بل انشاء فالمتكلم بمثل هذا الكلام ليس بمخبر ويدل
عليه قول الامام المرزوقي في قوله • قومي هم قتلوا اميم اخي • هذا الكلام تفجع
وتحزن وليس باخبار انتهى **اسماواتها وارضيها** بدل بعض من الاشياء واتى
التفصيل بعد الاجمال بسطا للكلام حيث الاصغاء مطلوب والسماء اسم جنس يطلق
على الواحد والمتعدد وقيل جمع سماة كسحابة وسحاب وفي تقديم السماء على الارض
في الذكر مع تقدم خلق الارض على خلق السماء كما ورد عن ابي جعفر عليه السلام عليه

اطباق

اطباق اكثر المفسرين ايماء الى شرفها او فضلها والمسألة محل خلاف فقال بعضهم
السماء افضل لانها متعبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها وقال تعالى
وجعلنا السماء سقفا محفوظا وورد في الاكثر ذكر السماء مقدما على الارض و
السماويات مؤثرة والسفليات متأثرة والمؤثر اشرف من المتأثر وقال
آخرون بل الارض افضل لانه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة فقال ان اول
بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا في البقعة المباركة الى المسجد الاقصى
الذي باركنا حوله مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها يعني ارض الشام
وصف جملة الارض بالبركة وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فان
قلت واي بركة في المفاوز المهلكة قلنا انها مساكن الوحوش ومرعاها ومساكن
الناس اذا احتاجوا اليها ومساكن الناس خلق لا يعلمهم الا الله تعالى فلهذه البركات
قال تعالى وفي الارض آيات للموقنين تشريفا لهم لانهم هم المنتفعون بها كما قال
هدى للمتقين وخلق الانبياء من الارض منها خلقناكم وفيها نعيدكم
واكرم نبيه المصطفى فجعل الارض كلها له مسجدا وطهورا هكذا ذكر بعض المفسرين
وقال ابن ابي الحديد في شرح النهج لا شبهة ان السماء اشرف من الارض على رأي
المليين وعلى رأي الحكماء اما اهل الملة فلان السماء مصعد الاعمال الصالحة
ومحل الانوار ومسكن الملائكة وفيها العرش والكرسي والكواكب المدبرات امرا
واما الحكماء فلامور اخرى تقتضيها اصولهم انتهى قلت ومما يدل على ان
السماء اشرف من الارض قول امير المؤمنين صلوات الله عليه في خطبة لم ملائكة
اسكنتهم سمواتك ورفعتهم عن ارضك لخساستها بالنسبة الى شرف اقدامهم
كما تقول لمن يعز عليك اذا زاول امرا خسيسا انا ارفعك عن هذا الذي اجل شانك
عنه ثم التفضيل بين السماء والارض انما يتم على قول من زعم ان الفلك جماد غير

ذی روح ونطق وان الکواکب کالدرر والیواقیت وسایر الاحجار جمادات واما
علی القول بان السموات وما فیها کلها حیة ناطقة مطیعة لله تعالی فی حرکاتها
وان حرکاتها عبادة ملکیة کما ذهب الیه جمع کثیر من محققی الحکماء الاسلامیین
واستدلوا علی ذلک ببراهین عقلیة ودلایل نقلیة فلا مجال للتفصیل بینهما
والله اعلم **وما بثت فی کل واحد منهما** بث الله الخلق نشأ من باب قتل خلقهم
وبث السلطان الجند فی البلاد نشرهم وما موصولة بمعنی الذی ای والذی
خلقت او نشرت فی کل واحد من السماء والارض کالملکة والکواکب فی السماء
واصناف الحیوانات والنبات والجماد فی الارض ولم یقل کل واحدة منهما بالتا
مع ان کلا منهما بالتأنیث مع ان کلا منهما مونث سماعی لانه اراد النوع او لفرد
ساکنة ومتحرکة بالضم علی الروایة المشهورة بدل بعض من الموصول وبالکسر بدل
من واحد والسکون عند الحکماء عدم الحرکة عما من شأنه ان یتحرک وبهذا القید احترز
عن المفارقات اعنی الجواهر المجردة عن المادة القائمة بانفسها فان الحرکة مسلوبة
عنها لکن لیس من شأنها الحرکة فلا تتصف بحرکة ولا سکون وعند المتکلمین حصول
الجسم فی المکان اکثر من زمان واحد بین المعنیین تلازم فی الوجود وتغایر
فی المفهوم وعلی الاول التقابل بین الحرکة والسکون تقابل العدم والملکة
وعلی الثانی تقابل الضدین قال فی الملخص ماخذ الخلاف ان الجسم اذا لم یکن
متحرکا عن مکانه کان هناک امران احدهما حصوله فی ذلک المکان العیّن
والثانی عدمی بالاتفاق والمتکلمون اطلقوا لفظ السکون علی الاول والحکماء
علی الثانی فالنزاع لفظی والحرکة قیل هی الخروج من القوة الی الفعل من سبیل
التدریج فبهذا القید احترز عن الکون وهو ما حدث دفعة کانقلاب الهوا ماء
فان الصورة الهوائیة کانت للماء بالقوة فخرجت منها الی الفعل دفعة وقیل

هی اشغال

هی اشغال المتحیز من حیز الی حیز آخر وقیل هی حصول المتحیز فی حیز بعد
الکان فی حیز آخر ثم المتحرک هنا یشمل ما کان حرکته کمیة وهی انتقال
الجسم من البرودة الی الحرارة علی التدریج وبالعکس وتسمی هذه
الحرکة استحالة او اینیة وهی حرکة الجسم من مکان الی آخر وتسمی نقلة
او وضعیة وهی الحرکة المستدیرة الذی یلازم الجسم معها مکانه کحرکة
الرحی والکرة فی مکانها وما کانت حرکته ارادیة وهی ما یکون مبدؤها بسبب امر
خارج مقارنا بشعور وارادة کالحرکة الصادرة من الحیوان بارادته او قسریة
وهی ما یکون مبدؤها بسبب میل مستفاد من خارج کالحجر المرمی الی فوق
او طبیعة وهی ما لا یحصل بسبب امر خارج ولا یکون مع شعور وارادة کحرکة
الحجر الی اسفل او عرضیه وهی ما یکون عروضها للجسم بواسطة عروضها لشیء
آخر بالحقیقة کحرکة الدرة المتحرکة بحرکة الحقة اذا عرفت ذلک فتقدیم الساکن علی
المتحرک فی الذکر لکون السکون مقدما علی الحرکة **ومقیمه وشاخصه** اقام
بالمکان اقامة دام فهو مقیم وشخص یشخص من باب منع شخوصا خرج من موضع الی
غیره فهو شاخص ویتعدی بالهمزة فیقال اشخصته واعرف بین فسر الشاخص هنا
بمعنی المرتفع من شخص شخوصا ایضا بمعنی ارتفع **فان قلت** ما المراد بالمقیم والشاخص
مما بثه الله سبحانه فی السماء **قلت** یحتمل ان یراد بالمقیم الملکة الذین لا
یبرحون من السماء وهم ارباب العبادة فمنهم من هو ساجد ابدا لا یقوم ومنهم
من یرکع ومنهم من هو راکع ابدا لم ینتصب قط ومنهم الصافون بالصلوة بین یدی
خالقهم لا یتزایلون کما ورد فی کلام امیر المومنین صلوات الله علیه حیث قال
ثم فتق ما بین السموات العلی فملاهن اطوارا من ملائکته منهم سجود لا یرکعون
ورکوع لا ینتصبون وصافون لا یتزایلون ویکون المراد بالشاخص الملکة

الذين يعرجون من السماء بامر ربهم ويهبطون الى الارض لامور وكلوا بها كالمعقبات
وهم الملائكة الذين ينزلون بالبركات ويصعدون بارواح بني آدم
واعمالهم وكالملائكة الذين ينزلون بالبركات يكتبون الصلوة على النبي صلى الله
عليه وآله كما روي عن ابي عبد الله عليه السلام اذا كان يوم الخميس عند العصر
اهبط الله تعالى ملائكته من السماء الى الارض معها صحائف من فضة بايديها اقلام
من ذهب تكتب الصلوة على محمد في ذلك اليوم وتلك الليلة الى الغد الى
غروب الشمس وكالملائكة الموكلين بقبره صلى الله عليه وآله وسلم فقد ورد انه
من حين يطلع الابرق سبعون الف ملك حتى يحفوا بقبر النبي صلى الله عليه و
آله حتى اذا امسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت
الارض خرج في سبعين الف ملك يوقرونه والله اعلم **وما في الهوى**
وما كن تحت الثرى ه علا الشيء يعلو علوا من باب قعد ارتفع تعالى
علوت في الجبل علوا وعلوت عليه اي رقبته وعلي في المكارم يعلى
من باب تعب علاء بالفتح والمد وبالمضارع سمي ومنه يعلى بن امية والهوا
بالمد الحق وهو المسخر بين السماء والارض والجمع اهوية ويطلق ايضا
على الخلاء الذي لم تشغله الاجرام وكن بالفتح على الرواية المشهورة بمعنى
استكن اي استتر واختفى وعلى هذا فيستعمل لازما ومتعديا يقال كننته
واكننته من باب قتل بمعنى سترته وكن هو وما اكننته بالالف فبمعنى اضمرته
قال الكسائي كننت الشيء سترته في الكن بالكسر وهو السترة واكننته في نفسي اسررته
وقال ابو زيد كننته واكننته بمعنى في الكن وفي النفس جميعا وفي نسخة ابن
ادريس وما كن تحت الثرى بضم الكاف على البناء للمفعول من كننت الشيء بمعنى
سترته والثرى بالقصر التراب الندي وعن محمد بن كعب انه ما تحت الارضين

السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة وقيل الثور
او الحوت وقيل هو الطبقة الترابية من الارض وهو آخر طبقاتها وقال بعض
المفسرين المحققين ان الثرى هو التراب الندي وهو ملاصق من البحر من جهة
الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هناك اشياء لا يعلمها الا الله تعالى من المعادن
وغيرها ولا ريب ان الكل له سبحانه ويؤيده قول اهل اللغة الثرى التراب الندي
فانه لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال حينئذ ثرى والحاصل ان له سبحانه و
تعالى ما علا وما سفل وما توسط وما نزل **اصبحنا في قبضتك** ه
قبض الشيء قبضا من باب ضرب اخذه بكفه وهو في قبضه وفي قبضته
بالفتح اي في ملكه واما القبضة بالضم فاسم للمقبوض كالغرفة بمعنى المغروف
وقد تفتح بهذا المعنى ايضا قال في القاموس والقبضة ما قبضت عليه من شيء
وبالفتح اكثر اي اصبحنا في ملكك وتحت قدرتك تتصرف فينا كيف تشاء
بلا مانع ولا دافع وعبر عن ذلك بالكون في القبضة جريا على سنن التمثيل
الذي يسميه اهل البيان تمثيلا تخييليا اي لا ايقاع في الخيال بتصوير
المعاني العقلية بصور الاعيان الحسية لكونها اظهر حضورا واكثر
خطورا وهذا ما قال الحكماء ان الناس للتخييل اطوع منهم للتصديق فكثيرا
من استعمال القضايا المتخيلة في مقام الترغيب والتنفير والاستمالة
والاستعطاف ونحو ذلك وهي وان كانت بحسب الظاهر كاذبة فليست
بكاذبة لان المقصود منها تشبيه تلك الحال بحال من تعرض له تلك الصورة
الحسية مثلا مثل حال تسلطه تعالى على عباده واحاطته بامورهم و
قدرته على التصرف فيهم كيف يشاء بحال من يكون له قبضة تحتوي عليهم و
يكونون فيها من غير ان يذهب بها الى جهة حقيقة بالنسبة الى الله تعالى

كما يذهب اليه المجسمة او مجاز بان يراد بالقبضة الملك وانما المراد بالمفردات
في مثل ذلك حقايقهما في نفسها كما في قولهم اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى
لكن لا بالنسبة الى الممثل له بل بالنسبة الى الممثل به وهو باب جليل في
علم البيان عليه يحمل كثير من متشابهات القرآن كقوله تعالى والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقوله تعالى والسماء
بنيناها بايد قال صاحب الكشاف ان ذلك تمثيل وتصوير لعظمته
تعالى وتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين والايدي
الى جهة حقيقة او مجاز بل يذهب الى اخذ الزبدة والخلاصة من الكلام من
غير ان يحمل مفرداته حقيقة او مجازا بل لا يذهب الا الى اخذ الزبدة كقوله
تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو
جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط وشدد النكير على من اول القبضة
بالملك واليمين واليد بالقدرة وقال انه من ضيق العطن والمسافرة
من علم البيان مسافة اعوام قال وكم من اية من ايات الله في التنزيل و
حديث من احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات الغثة
والوجوه الرثة واعتذر الشيخ عبد القاهر بن تاول القبضة بالملك
واليد بالقدرة ونحو ذلك بان الوهم منه انه لا يقع السامع في التشبيه
والتجسيم ربما ينبه على كون الكلام للتصوير والتمثيل حوينا ملكك و
سلطانك وتصفنا مشيئتك وتصرف عن امرك وتقلب حوى الشيء يحويه
اذا ضمه واستولى عليه والملك بالضم اسم من ملك على الناس اي تولى
امرهم وجملة حوينا ملكك حال موكدة لمضمون الجملة قبلها والسلطان
هنا بمعنى الولاية وعطفه على الملك من عطف الشيء على مرادفه حتى انما

فی نسخة

شكوا

شكوا انتي وحرتني الى الله وزعم بعض اهل البيان ان التطويل لا لفائدة من
طرق التعبير عن المراد مما لا يقبل واعترض بان ذكر الشيء مرتين فيه فائدة
التاكيد وقد قال النحاة ان الشيء يعطف على نفسه تاكيدا والفائدة كثيرة
معتبرة في الاطناب وضم الشيء شيئا من باب قبل جمعه وضم المشيئة كناية
عن جريانها في جميع مخلوقاتها سبحانه واجتماعهم بجميعها فكانها جمعتهم جميعا
بحيث لا يشذ عنها منهم شاذ واتفقت النسخ هنا على ترك الهمزة من المشية
وتشديد الياء سهوا وقد سبق الكلام على توجيهه في الروضة الاولى قوله
عليه السلام وتصرف عن امرك التصرف عن امرك المصروف والتقلب بمعنى
صرفته في الامر تصريفا فتصرف قلبته فتقلب ويحتمل ان يكون سببية
اي بسبب امرك مثلها في قوله تعالى وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك فالظرف
عن قولك فالظرف لغو متعلق بتصرف ويحتمل ان يكون مستقرا على انه حال
من الضمير اي نتصرف صادرين عن امرك قيل المراد به الامر التكويني وقيل
امر المخلوق بالتوجه الى وجهه على وفق ارادة الله تعالى وسوق الحكمة الالهية
كلا الى غايته وهو اشارة الى توجيه اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه بذلك
قوله عليه السلام وتقلب في تدبيرك التقلب التصرف من حال الى حال واصله
من التقلب ظهرا لبطن والتدبير فعل الشيء عن فكر وروية ونظر الى دبره وهو عاقبته
واخره والمراد به هنا تعلق العلم بصلاح امر كتعلقه بصلاح اوله من غير
روية وفكر وقيل الجارية على وفق المصلحة ليس لنا من الامر الا ما قضيت ولا من
الخير الا ما اعطيت ما قضيت اسم ليس ولنا خبرها قدم وجوبا لاقتران
الاسم بالا من زيادتيه والامر هنا بمعنى الشان والحالة والالف واللام فيه
جنسية لاستغراق الافراد اي ليس لنا من كل امر الا ما قضيته ويحتمل ان تكون

لتعريف الماهية قال العلامة التهانوي قدس في المفتاح المراد بالامر هنا النفع
فالمعطوف عليها كالمشروح لها انتهى وانما فسرنا بالنفع مايدل عليه بحسب الظاهر
من الخير وسلب اختيار العبد لو اريد بالامر مطلقه فتكون افعال العباد كلها
خيرها وشرها بقضائه تعالى وبطلانه معلوم عندنا عقلا ونقلا فوجب التأويل
فاذا اول الامر بالنفع كان فعله تعالى وفعله لا يكون الا بقضائه سبحانه فكانت
افعال العباد خارجة عنه وقال بعض المحققين من اصحابنا وقد يفسر القضاء
بمعنى العلم المستلزم لايجاد الواجب على وفقه وهو ان القضاء عبارة
عن ابداع الاول تعالى الصور الموجودات الكلية والجزئية التي لا نهاية لها من حيث
هي معقولة في العالم العقلي ثم لما كان ايجاد ما يتعلق منها بمواد الاجسام في موادها
واخراج المادة من القوة الى الفعل غير ممكن الا على سبيل التعاقب لامتناع
قبول المادة الصور الكثيرة معا وكان الجود الالهي مقتضيا لايجادها وتكميل
المادة بابداعها فيها واخراج ما فيها من قبول تلك الصور من القوة الى الفعل
قدر بلطيف حكمته وجود الزمان المديد المتخرج فيه تلك الامور من القوة الى
الفعل واحدا بعد واحد فتصير في جميع ذلك الزمان موجودة في موادها وتكون
المادة كاملة بها فالقدر عبارة عن وجود هذه الاشياء مفصلة واحدا بعد واحد
في موادها السفلية الخارجية بعدما كانت مقدرة في صحائفها العلوية كما قال
تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والقضاء
بالمعنى المذكور لا ينافي الاختيار العبد وحسن تكليفه وثوابه وعقابه لان
معنى الاختيار ان يكون للعبد قوة فاعلية صالحة للفعل والترك يقال لها
القدرة وقوة اخرى علمية مدركة للنفع والضر والاثر والشر في جانبي ما
يقدر عليه وقوة اخرى ارادية باعثة نطيعها القوة المسماة بالقدرة

جبر

بحيث متى انبعثت الارادة لفعل او ترك بحسب ما ادركته النفس بقوتها
الادراكية اطاعتها تلك القوة ففعلت او تركت وذلك امر لا ينافي علم الله
تعالى بما يقع او لا يقع من الطرفين فان حصل وجوب تصور نفع مظنون او
مجزوم وانبعاث ارادة علامة فذلك وجوب عارض لاحق لا ينافي الامكان
سابق انتهى اذا عرفت ذلك فبقاء معنى الامر على عمومه لا يحذر فيه **قوله** عليه السلام
ولان الخير لا اعطيت الخير لفظ جامع لجميع الامور الحسنة كما ان الشر جامع
لجميع الامور القبيحة هو مفهوم كلي يندرج تحته افراد كثيرة وقيل الخير هو الوجود
واطلاقه على غيره انما هو بالعرض وهو ينقسم الى خير مطلق كوجود العقل
والى خير مقيد كوجود كل واحدة من الصفات المرضية والشرايع النبوية ولاة
هو الحق وهو فرع قول بعض العلماء الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل
والشيء النافع والشر ضده والمال سمي بالخير تارة وبالشر تارة اخرى قال
ترك خيرا ويحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات لانه
خير لشخص وشر لاخر لمن انفقه في سبيل الله تعالى وامسكه عن سبيل الشيطان
كان له خيرا ومن عكس كان له شرا **وهذا يوم حادث جديد وهو علينا شاهد**
عتيد **اليوم** في اللغة عبارة عن الزمن الذي يقع ما بين طلوع الشمس
الى غروبها وفي الشرع عبارة عما يقع بين طلوع الفجر الى غروب الشمس وفي
في عرف المنجمين عبارة عن مفارقة الشمس دائرة نصف النهار الى عودها
اليها بحركة الكل وحدث الشيء حدوثا من باب قعد وجد بعد عدمه وشهيد
على الشيء اطلع عليه وعاينه فهو شاهد وشهيد وشهد عليه بكذا اخبر
بما اطلع عليه ومنه قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وكثيرا ما يحذف متعلق الشهادة اعني الاخبار عما قد

شوهد فيقال شهد فلان على فلان اى اخبر بما شاهده منه فهو شاهد عليه وشهيد
القيامة فمنه قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ويمكن ان يكون هذا المعنى هو
المراد هنا ويؤيد معناه ما رواه ثقة الاسلام فى الكافى بسنده عن ابى عبد الله عليه
السلام قال ما من يوم يأتى على ابن آدم الا قال له ذلك اليوم يا ابن آدم انا يوم
جديد وانا عليك شهيد فقل فىّ خيرا واعمل فىّ خيرا اشهد لك يوم القيمة
فانك لن ترانى بعدها ابدا قال بعض العلماء وهذا القول بلسان الحال وينبغى
للمؤمن ان يسمعه باذن قلبه ويعمل بمقتضاه ولتكن هذه الشهادة ايضا بلسان
الحال لا النطق به فان اليوم لما كان ظرفا لمباشرة الفعل كان حضوره ذلك اليوم
وما صدر فيه فى علم الله تعالى مثبتا لتلك الشهادة بين يديه والكرم فى الكلام والعتيد
فعيل بمعنى فاعل من عتد الشئ ككظم عتادا بالفتح بمعنى حضر فهو عتيد بفتحتين
وعتيد ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال اعتده صاحبه وعتده اذا اعده وهيأه
فهو معتد ومنه قوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا ان احسنا ودعنا بحمد وان
اسأنا فارقنا بذم احسن فعل الحسن كما يقال اجاد اذا فعل الجيد واساء
فعل سوءا وودع المسافر الناس توديعا خلفهم خافضين فى دعة وهم يودعونه
اذا سافر تفاؤلا بالدعة التى يصير اليها اذا قفل والاسم الوداع بالفتح
فهو على هذا مأخوذ من الدعة بمعنى الخفض والسعة فى العيش وقيل انه مأخوذ
من الودع بمعنى الترك وله وجه ظاهر بالتأمل ومنه له بحمد وبذم للملابسة
اى ودعنا متلبسا بحمد وفارقنا متلبسا بذم واسناد التوديع والمفارقة
لليوم مجاز عقلى ولك جعله من باب الاستعارة التمثيلية بان يعتبر
تشبيه التلبس العقلى الفاعلى بالتلبس الفاعلى ويستعمل فيه اللفظ الموضوع
لافادة التلبس الفاعلى كما فى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ويمكن ان يكون

ذلك على

ذلك على وجه التقدير اى لو كان اليوم عاقلا ثم اراد الذهاب عنا لكان ان احسنا
مودعا لنا بحمد وان اسأنا مفارقا لنا بذم وانما جئ بلفظ الوداع لان الوداع
ابلغ من المفارقة اللهم صل على محمد وآله وارزقنا حسن مصاحبته واعصمنا من سوء
مفارقته رزقه الله رزقا بالفتح اعطاه ووهبه اى وهب لنا حسن مصاحبته
والمصاحبة مفاعلة من الصحبة بمعنى المعاشرة وتطلق على مطلق الملازمة
قال ابن فارس كل شئ لازم شيئا فقد استصحبه وحسن مصاحبته
كناية عن الكون فيه بالطاعات واجتناب المعاصى والسلامة فيه من الآفات الدينية
والدنيوية وعصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب حفظه ووقاه
اى احفظنا وقنا من سوء مفارقته بحسم اسباب المعاصى وعدم الاعتداد لها
اذ كان ارتكابها هو الموجب لسوء مفارقته كما اشار اليه عليه السلام بقوله بارتكاب
جريرة واقتراف صغيرة او كبيرة الباء للسببية متعلقة بسوء مفارقته و
ارتكاب الذنب واقترافه بمعنى اى اكتسابه والجريرة ما يجترمه الانسان من ذنب
فعيلة بمعنى مفعولة والصغيرة والكبيرة من الصفات الغالبة قيل الصغيرة
هى الزلة التى لا تكسب النفس هيئة ردية باقية بل حالة يسرع زوالها والكبيرة
خلافها وقد اختلفت اقوال الاكابر فى تحقيق الكبائر وروى ثقة الاسلام فى الكافى
باسناده عن ابى عبد الله عليه السلام قال الكبائر التى اوجب الله تعالى عليها النار وقال
قوم هى كل ذنب رتب عليه الشارع حدا او صرح فيه بالوعيد وقيل هى كل معصية
ملحق صاحبها بالدين وقالت طائفة كل ذنب علمت حرمته بدليل قاطع وعن ابن
مسعود انه قال اقرأوا من اول سورة النساء الى قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكلما نهى عنه فى هذه السورة الى هذه الآية فهو
كبيرة وضعف بانه تعالى ذكر الكبائر فى سائر السور فلا وجه للتخصيص وقال

وقال جماعة هي الذنوب التي نص عليها النبي صلى الله عليه وآله باعيانها فقال اجتنبوا السبع
الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات وضعف بانه ذكر عند ابن
عباس انها سبعة فقال هي الى السبعين وفي رواية الى السبعمائة اقرب منها الى السبع وفي
رواية عن الرضا عليه السلام انها السبع المذكورة واليأس من روح الله والامن من مكر الله و
عقوق الوالدين والزنا واليمين الغموس والغلول ومنع الزكوة المفروضة وشهادة
الزور وكتمان الشهادة وشرب الخمر وترك الصلوة متعمدا او شيء مما فرض الله تعالى
ونقض العهد وقطيعة الرحم وزاد بعضهم اللواط والغيبة واستحلال الكعبة والتعرب
بعد الهجرة وزاد بعض اكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به من غير ضرورة
والسحت والقمار والبخس في الكيل والوزن ومعاونة الظالمين وحبس الحقوق
من غير عسر والسعاية الى الظالم وتاخير الحج عن عام الوجوب اختيارا والظهار وكذا
والتبذير والخيانة والاشتغال بالملاهي والاصرار على الذنوب والرشوة والمحاربة
بقطع الطريق والقيادة والدياثة والنميمة والغضب والكذب خصوصا على
رسول الله صلى الله عليه وآله وضرب المسلم بغير حق وتاخير الصلوة عن وقتها
وقال قوم جميع الذنوب والمعاصي كبائر قال الشيخ امين الاسلام الطبرسي في
تفسيره الكبير والصغير والى هذا ذهب اصحابنا رضوان الله عليهم فانهم قالوا
المعاصي كلها كبائر من حيث كانت قبائح لكن بعضها اكبر من بعض وليس في الذنوب
صغيرة وانما يكون صغيرا بالاضافة الى ما هو منه اكبر ويستحق عليه العقاب اكثر انتهى
كلامه ولا يخفى انه مشعر بان هذا القول متفق عليه بين الامامية لكن قال شيخنا
الشهيد الثاني قدس سره في شرح الشرائع اختلف الاصحاب وغيرهم في ان الذنوب
هل هي كلها كبائر وصغائر فذهب جماعة منهم المفيد وابن البراج وابو الصلاح وابن

ادريس

٢١٦

ادريس والطبرسي الى الاول نظرا الى اشتراكها في مخالفة امره ونهيه تعالى
وجعلوا الوصف بالكبر والصغر اضافيا فالقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة الى الزنا
وكبيرة بالنسبة الى النظر وكذلك غصب الدرهم كبيرة بالنسبة الى غصب اللقمة
وصغيرة بالاضافة الى غصب الدينار وهكذا وذهب المصنف واكثر المتاخرين
الى الثاني عملا بظاهر قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم
دل بمفهومه على ان اجتناب بعض الذنوب وهي الكبائر يكفر السيئات وهو
يقتضي كونها غير كبائر وقال تعالى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش مدحهم
على اجتناب الكبائر من غير ان يضايقهم في الصغائر وفي الحديث ان الاعمال
الصالحة تكفر الصغائر اذا تقرر ذلك فعلى القول الاول يقدح في العدالة مواقعة العدالة
اي معصية كانت ولا يخفى ما في هذا من الحرج والضيق لان غير المعصوم لا ينفك
عن ذلك وقد قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج واجاب ابن ادريس بان
الحرج ينتفي بالتوبة واجيب بان التوبة تسقط الكبائر والصغائر ولا يكفي في
الحكم بالتوبة مطلق الاستغفار واظهار الندم حتى يعلم من حاله ذلك و
هذا قد يودي الى زمان طويل يفوت معه الغرض من الشهادة ونحوها فيبقى
الحرج وعلى الثاني يعتبر اجتناب الكبائر كلها وعدم الاصرار على الصغائر
فان الاصرار عليها يلحقها بالكبيرة ومن ثم ورد لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار والمراد بالاصرار الاكثار منها سواء كان من نوع واحد او انواع
مختلفة وقيل المداومة على نوع واحد منها ولعل الاصرار يتحقق بكل منهما
وفي حكمه العزم على فعلها ثانيا وان لم يفعل واما من فعل الصغيرة ولم
يخطر على باله بعدها العزم على فعلها ولا التوبة منها فهذا الذي لا يقدح في العدالة
والا لادى الى ان لا تقبل شهادة احد ولعل هذا مما تكفره الاعمال الصالحة

من الصلوة والصيام وغيرهما كما جاء في الخبر انتهى كلام الشهيد طاب ثراه تنبيهات
الاول قال بعضهم ان تكفير الصغائر باجتناب الكبائر على القول بان كلا منهما
امور مخصوصة معقول فما معناه على القول بان الوصف بالكبر والصغر اضافي
واجيب بان معناه ان من عنّ له امران منها ودعته نفسه اليهما بحيث لا
يتمالك فكفها عن اكبرهما مع ارتكابه اصغرهما فانه يكفر عنه ما ارتكبه لما استحقه
من الثواب على اجتناب الاكبر كمن عنّ له التقبيل والنظر بشهوة فكف عن التقبيل
وارتكب النظر وفيه انه يلزم منه ان من كف نفسه عن قتل شخص وقطع
يده مثلا يكون مرتكبا للصغيرة وتكون مكفرة اللهم الا ان يراد بقوله
من ارتكب اصغرهما ما لا اصغر منه في نوعه وهو في المثال اقل ما يصدق عليه النظر
وفيه ما فيه الثاني قال العلامة البهائي قدس سره في شرح الاربعين الظاهر
ان قولهم العدل من يجتنب الكبائر ولا يصر على الصغائر ينبغي ان يراد به انه اذا عنّ
له امران كف عن الاكبر ولم يصر على الاصغر وهذا المعنى وان كان غير مشهور فيما
بينهم ولا مسطور في مصنفاتهم بل المتعارف بينهم خلافه لكنه هو الذي يقتضيه
التطبيق بناء على القول بان الذنوب كلها كبائر فما في كلام بعض الاعلام عليه بل يلزم
ان يكون كل معصية تخرج عن العدالة محل نظر انتهى تذنيب قال العلامة النيسابوري
في تفسيره الحق في هذه المسألة وعليه الاكثر بعد اثبات تقسيم الذنب الى الصغير
والكبير انه تعالى لم يميز جملة الكبائر عن جملة الصغائر لما بين في قوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر
فلو عرف المكلف جميع الكبائر اجتنبها فقط واجترأ على الاقدام على الصغائر اما اذا
عرف انه لا ذنب الا ويجوز كونه كبيرا صار هذا المعنى زاجرا له عن الذنوب كلها ونظير هذا
في الشرع اخفاء ليلة القدر في ليالي شهر رمضان وساعة الاجابة في ساعات الجمعة

ووقت

ووقت الموت وجملة الاوقات هذا ولا مانع ان يبين الشارع في بعض الذنوب
انه كبيرة كما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات
الى غير ذلك واجزل لنا فيه من الحسنات واخلنا فيه من السيئات جزل الحطب
٢١٧ بالفتح جزالة اذا عظم فهو جزل انشد سيبويه
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا
ونارا تأججا ثم استعير في العطاء فقيل اجزل له من العطاء اذا اوسعه
واكثره اي واكثر لنا فيه من الحسنات والغرض سؤال افاضة قوة تستعد
بها النفوس وتقوى على الاكثار من كسب الحسنات ومن زائدة نحو يغفر
لكم من ذنوبكم على رأي الاخفش وابتدائية والمفعول محذوف في التقدير
واجزل لنا فيه العطاء من الحسنات وعرفت الحسنة بانها ما يكون متعلق
المدح في العاجل والثواب في الآجل والسيئة خلافها وقيل الحسنة ما ندب
اليه الشارع والسيئة ما نهى عنه واصلها سيوئة من ساء يسوء سوءا ومساءة قلبت
الواو ياء وادغمت واخلاه جعله خاليا اي فارغا اي اجعلنا فارغين من السيئات
بحسم اسبابها وعدم الاعداد لها وحاصل ذلك كله سؤال التوفيق والالطاف الداعية
الى كسب الحسنات والالطاف الصارفة عن اكتساب السيئات ذلك حمل كل من الحسنات
والسيئات على معناه اللغوي فيعم الدينية والدنيوية واملأ لنا ما بين طرفيه حمدا
وشكرا واجرا وذخرا وفضلا واحسانا ملأ الاناء ملأ من باب نفع افعمه وطرف الشيء بالتحريك
جانبه والمراد بطرفيه اوله وآخره وهو كناية عن جميعه والغرض طلب الكثرة من الحمد
والشكر وما بعدهما بحيث لا يخلو آن من آنات اليوم من شيء من ذلك حتى لو قدر ان يكون
اليوم اناء وللحمد وما بعده اجسام لبلغت من كثرتها ان تملاه ولكل من الحمد والشكر
معنيان لغوي وعرفي فالحمد لغة هو الثناء باللسان على الجميل سواء تعلق بالفضائل

او بالفواضل وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم على النعمة باللسان والجنان و
الاركان وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما الى ما خلقه
الله لاجله فبين الحمد اللغوي والحمد العرفي عموم وخصوص من وجه كما ان بين الحمد
اللغوي والشكر اللغوي ايضا كذلك وبين الحمد العرفي والشكر العرفي عموم وخصوص
مطلقا كما ان بين الشكر اللغوي ايضا والشكر العرفي والحمد اللغوي عموم وخصوص
من وجه ولا فرق بين الشكر اللغوي والحمد العرفي ثم الحمد والشكر وان كانا من فعل العبد
لكن التوفيق لهما والاقتدار عليهما من فضله سبحانه ولذلك سألهما والاجر الثواب جزاه الله جزاء
من باب ضرب وقتل وجزأ بالمبالغة ثالثه اداثانيه وذخرته ذخرا من باب
نفع والاسم الذخر بالضم اذا اعددته لوقت الحاجة اليه والذخر ما ذخرته ايضا والجمع ذخائر
وما احسن ما قال القائل • واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد • ذخرا يكون كصالح
الاعمال • والفضل الزيادة والحسن والاحسان لغة فعل ما ينبغي ان يفعل من الخير
وفي الشرع ان تعبد الله تعالى كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **اللهم يسر على**
الكرام الكاتبين مؤنتنا واملأ لنا من حسناتنا صحائفهم ولا تخزنا عندهم بسوء
اعمالنا يسر الشيء يسرا من باب قرب سهل فهو يسير ويسره الله تيسيرا سهله
والمؤنة على فعولة بفتح الفاء الثقل وقال الفراء هي مفعلة من الاين وهو التعب
والشدة قال الخليل لو كان مفعلة لكان مئينة مثل معيشة ويقال مهموز
بواوين بلا همز ومؤنة بواو بدون همز والكرام الكاتبون هم الملائكة الذين يحصون
اعمال العباد وهم الحافظون قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقد
تقدم الكلام على ذلك مبسوطا في الروضة الثالثة قال العلامة البهائي قدس سره في
المفتاح تيسير المؤنة عليهم كناية عن طلب العصمة عن ارتكاب الجرائم والاشتغال بما
ليس فيه نفع دنيوي ولا اخروي اذ يحصل به التخفيف على الكرام الكاتبين بتقليل ما يكتبونه

اقوالنا وافعالنا انتهى وفي الحديث عجبت لابن آدم وملكاه على عاتقه ولسانه
قلمهما وريقه مدادهما كيف يتكلم فيما لا يعنيه ونظر بعض السلف الى رجل يفحش
فقال يا هذا انك تملي على حافظيك كتابا فانظر ماذا تقول وسمع بعض الائمة
رجلا يكثر الكلام فيما لا يعنيه فقال ان حفظة هذا منه في مؤونة وقال بعض
العلماء ليس على الكرام الكاتبين في كتابة الحسنات مؤونة وكلفة وانما الكلفة
عليهم في كتابة السيئات وقد ورد في بعض الاخبار انهم اذا كتبوا الحسنات صعدوا
بها فرحين وعرضوها على ربهم مسرورين واذا كتبوا سيئة صعدوا بها وجلين
محزونين فيقول الله عز وجل ما فعل عبدي فيسكتون حتى يسألهم ثانيا وثالثا
فيقولوا الهي انت الستار على عبادك وقد امرت بستر العيوب فاستر عيوبهم وانت
علام الغيوب ولهذا يسمون كراما كاتبين **قوله** عليه السلام واملأ لنا من حسناتنا
صحائف الحسنات هنا ما يتعلق به الثواب والقربة وهذه الصحائف هي صحائف
الاعمال المشار اليها بقوله تعالى واذا الصحف نشرت قال الطبرسي يعني صحف الاعمال
التي كتبت فيها الملائكة اعمال اهلها من خير وشر تنشر ليقرأها اصحابها ولتظهر
الاعمال فيجازوا بحسبها وعن قتادة هي صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك حين موتك
ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وقال بعض ارباب المعقول
كل ما يدركه الانسان بحواسه يرتفع منه اثر الى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته
وخزانة مدركاته وكذلك كل مثقال ذرة من خير او شر يعمله يرى اثره مكتوبا
ثمة ولا سيما ما رسخت بسبب الهيئات وتأكدت به الصفات وصار خلقا
وملكة فالافاعيل المتكررة والاعتقادات الراسخة في النفوس هي بمنزلة النقوش
الكتابية في الالواح كما قال الله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وهذه الالواح
النفسية يقال لها صحائف الاعمال وهو كتاب منطو اليوم عن مشاهدة الابصار و

انما ينكشف بالموت عند كشف الغطاء كما قال الله تعالى واذا الصحف نشرت وقال
عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا
وقال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون **قوله** عليه السلام
ولا تخزنا عندهم بسوء اعمالنا اخزى كرضى خزيا بالكسر وقع في بلية وشهرة فافتضح
بها واخزاه الله فضحه اي لا تفضحنا عندهم والمراد طلب العصمة عن المعاصي او عن الهم
بها لانهم يطلعون على ذلك كما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن ابي عبد الله
بن موسى ابن جعفر عن ابيه عليهما السلام قال سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب اذا
اراد العبد ان يعمله او الحسنة فقال ريح الطيب سواء فقلت لا قال ان العبد اذا هم
بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال قف فانه قد هم بالحسنة
فاذا هو عملها كان لسانه قلمه وريقه مداده فاثبتها له واذا هم بالسيئة فاذا فعلها
كان ريقه مداده ولسانه قلمه فاثبتها عليه قال بعض العلماء انما جعل الريق واللسان
آلة للاثبات الحسنة والسيئة لان بناء الاعمال انما هو على ما عقد عليه في القلب
التكلم بها والميل الاشارة بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذا
الريق واللسان الظاهر صورة هذا المعنى لكنه في الحديث يستحى اهل كرام الملكة
الدنيا معه كما يستحيي من رجلين صالحين من جيرانه وهما معه بالليل والنهار
اللهم صل على محمد واجعل لنا في كل ساعة من ساعاته حظا من عبادك ونصيبا من شكرك و
شاهد صدق من ملائكتك الساعة اصلها السوعة بفتح الواو
ثم صارت الفا لانفتاح ما قبلها وهي في اللغة جزء وقليل من ليل او نهار ومنه قوله
تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وهو المراد هنا اذ المعنى اجعل لنا في كل جزء
من اجزاء هذا اليوم وفي اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم بليلته
وذلك انهم قسموا اليوم بليلته على اربعة وعشرين قسما متساوية وسموا كل قسم

ساعة وسموا كل ساعة بستين قسما وسموا كل قسم دقيقة وساعات النهار
تزيد من وقت انتقال الشمس الى الجدى الى وقت انتقالها الى السرطان وتنقص
فيما في النصف الآخر وساعات الليل بعكس ذلك فيكون اطول ايام السنة واقصر لياليها
وقت انتقال الشمس الى السرطان واقصر ايام السنة واطول لياليها وقت انتقالها
الى الجدى ويتساويان عند انتقالها الى الحمل والميزان ويسمى الساعات المذكورة
المستويات لتساويها في المقدار ابدا طال كل من الليل والنهار ام قصر لكنها تختلف
في العدد بحسب طول كل منهما وقصره وقد يقسمون كل يوم وكل ليلة باثني عشر
قسما متساوية ويسمونها الساعات الزمانيات والمعوجة لعدم تساويها في
المقدار وان استوت في العدد فان مقدار كل ساعة يزيد وينقص بحسب طول
كل من الليل والنهار وقصره لكنها لا تختلف في العدد فهي عكس المستويات وقد ورد
في الحديث قسمة النهار الى اثنتي عشرة ساعة قسمة مخصوصة ونسبة كل ساعة الى واحد
من الائمة الاثني عشر صلوات الله عليهم وتخصيصها بدعاء يدعى به فيها وهي مذكورة
في كتب الادعية لاصحابنا رضوان الله عليهم **قوله** عليه السلام حظا من عبادك الحظ النصيب
وقيل خاص بالنصيب من الخير والفضل وعبادك على الرواية المشهورة جمع عبد قيل
معناه اجعل لنا نصيبا منهم لنقتدي بافعالهم ونقتدي بآثارهم ويحتمل ان يكون
على حذف مضاف اي من صفات من عبادك الذين وصفتهم بقولك وعباد
الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما الى آخر ما نعتهم به او عبادك المتصفين بالعبودية
التي لا مقام اشرف منها اذ هي عبارة عن صيرورة العبد عبدا خالصا مفتقرا محضا
لمولاه جهة انانيته ونظره الى ما سوى المعبود الحق الاول وذلك بعد
الانسلاخات عن نسبة الوجودات الكونية وعقيب رياضات علمية وعملية وتجردات

انما ان نشاءت الى نشاوة وصورة الى صورة حتى يصير عبدا محضا فانيا عن نفسه
وعن كل شئ سوى الحق مستغرقا في عبوديته وفقره الى الله بل فنى عن ملاحظة هذا
الاستغراق فاقصر نظره على مطالعة الجلال ومشاهدة الجمال وهذا هو غاية الجاد الخلق
ورتبة هذه العبودية المحضة افضل من رتبة الرسالة ولهذا قدمت في التشهد
على الرسالة فيقال اشهد ان محمدا عبده ورسوله واوثر لفظ العبد في قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده دون بنبيه او رسوله وفي نسخة من ادريس خطام
عبادتك وهو انسب بقوله عليه السلام ونصيبا من شكرك والعبادة فعل المكلف
على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه وقال الحكماء عبادة الله نوع على ثلثة انواع
الاول ما يجب على الابدان كالصلوة والصيام والسعي الى المواقف الشريفة لمناجاته
جل ذكره الثاني ما يجب على النفوس كالاعتقادات الصحيحة من العلم بتوحيد الله
تعالى وما يستحقه من الثناء والتمجيد والفكر فيما افاضه الله سبحانه على العالم
من جوده وحكمته ثم الاتساع في هذه المعارف الثالث ما يجب عند مشاركات الناس
في المدن وهي في المعاملات والمزارعات والمناكح وتادية الامانات ونصح البعض
للبعض بضروب المعاونات وجهاد الاعداء والذب عن الحريم وحماية الحوزة
قوله عليه السلام ونصيبا من شكرك النصيب الحصة والجمع انصبة وانصباء ونصب بضمتين
وفيه اشارة الى العجز عن القيام بجميع الشكر كما قيل ولو ان لي في كل منبت شعرة لسانا
يقول الشكر فيك لقصرا قوله عليه السلام وشاهد صدق من ملئكتك اي شاهدا صادقا
كاملا في الشهادة كما يقال رجل صدق اي صادق في الرجولية كامل فيها والعرب اذا
مدحت شيئا اضافته الى الصدق ليعلم ان كلما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق
ذلك الظن ويوجد فيه ومنه في التنزيل مقعد صدق ولسان صدق ومدخل صدق
ومقعد صدق قال الرضي المراد بالصدق في مثل هذا المقام مطلق الجودة لا الصدق

في الحديث

٢٢٠

كقوله

في الحديث وذلك مستحسن جيد عندهم حتى صار واستعملوا في مطلق الجودة
فيقال ثوب صدق وخل صادق الحموضة قال في الاضافة في نحو رجل صدق
ورجل سوء للملابسة وهم كثيرا ما يضيفون الموصوف الى الصفة نحو خبز السوء
اي الخبز السوء فمعنى رجل صدق رجل صادق انتهى وقال غيره هو من باب اضافة
الموصوف الى صفته ووصف في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيف الى صفته نحو
ما كان ابوك امرأ سوء وقيل الاضافة بمعنى من كخاتم حديد اي رجل من صدق كانه
خلق منه مبالغة وفي القاموس الصدق بالكسر الشدة هو رجل صدق وصدق
صدق مصادقين وكذا امرأة صدق وحمار صدق ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ
صدق انزلناهم منزلا صالحا ويقال هذا الرجل الصدق بالفتح فاذا اضفت اليه
كسرت الصاد وفي شرح المشكاة للطيبي في حديث وجعل لي وزير صدق اي
وزيرا صادقا ويعبر عن كل فعل فاضل ظاهرا وباطنا بالصدق انتهى ثم المراد
بالشاهد الصدق من الملائكة هنا الشاهد بالحسنات فكان طلبه كناية عن طلب
التوفيق لها تذكرة في قوله عليه السلام واجعل لنا في كل ساعة من ساعاته اشارة
الى ما ورد في الخبر انه يفتح للعبد يوم القيمة اربع وعشرون خزانة لساعات
اليوم والليلة فيفتح له خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك
الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار
لالهاهم عن الاحساس بالامها ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة
يفوح نتنها ويغشاه ظلامها وهي الساعة التي عصى الله تعالى بها فيناله من
الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة
اخرى فارغة ليس فيها ما فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة لنغص عليهم
ما يسوءه ولا ما يسره وهي الساعة التي نام فيها او غفل في شئ من مباحات الدنيا

فيتحسر على خلوها ويناله من الغبن الفاحش ما يناله من قدر على ربح كثير ثم ضيعه واليه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن
فسؤاله عليه السلام في كل ساعة من ساعات اليوم حظا من عبادته تعالى و
نصيبا من شكره وشاهد صدق من يمكنه طلب لملء تلك الخزائن من الحسنات
حتى لا يكون شيء منها خاليا من تلك الكنوز العظيمة والفوائد الجسيمة وعلى
هذا فيحتمل ان يكون المراد بالساعات النجومية التي هي اربع وعشرون
ساعة لليوم بليلته كما وقع في متن الحديث والله اعلم اللهم صل على محمد واله
واحفظنا من بين ايدينا ومن خلفنا وعن ايماننا وعن شمائلنا ومن جميع نواحينا
من بين ايدينا اي من قدامنا لان ما بين يدي الانسان قدامه ومن خلفنا
اي من وراءنا والايمان بالفتح جمع يمين وهي ضد الشمال والشمائل جمع شمال
بالكسر وجمع على اشمل ايضا سأل عليه السلام الحفظ من الجهات الاربع التي
اقسم ابليس لعنه الله تعالى لياتين بني ادم منها حيث قال فبما اغويتني
لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين وقد ذكروا في ذكرها
وجوها احدها اجمالا انها الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها
مثل قصد اياهم للتسويل والاضلال من اي وجه تيسر باتيان العدو
من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت الثاني ما روي
عن ابي جعفر عليه السلام قال ثم لاتينهم من بين ايديهم معناه اهون
عليهم امر الاخرة ومن خلفهم امرهم بجمع الاموال والبخل بها عن الحقوق
لتبقى لورثتهم وعن ايمانهم افسد عليهم امر دينهم بتزيين الضلالة و
تحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم

الثالث ما روي عن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من جهة
الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم الرابع من بين
ايديهم انفرهم عن الرغبات في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوى رغبتهم
في لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون اليها ويقبلون
عليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وعن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم
اقوي دواعيهم الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان المؤمن يقول
اجعلني في يمينك اي من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اي من المؤخرين و
لا يخفى ان هذا القول كالشرح لما روي عن ابن عباس ولا مغايرة بينهما في اصل المعنى
الخامس من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات
لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات في بين يديه ويحضر منه فيعتقد ان الغائب
مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم
الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وقال
حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادة الروحانية
احدها القوة الخيالية التي تجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم
من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة الوهمية التي تحكم
في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ
وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد عن يمين البدن ورابعها
الغضب ومنشاؤه القلب الذي في الشق الايسر فالشياطين الخارجية لم تستعن
بشيء من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة ولم يذكر الفوق و
التحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادة الروحانية هي هذه
الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن وان شقيا من صلح الا قعد الشيطان لي

على اربعة مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى اما من بين يدى
فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما
من خلفى فيخوفنى الضيعة على من خلفه بعدى فاقرا وما من دابة الا على الله رزقها
واما عن يمينى فياتينى من قبل الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين واما عن شمالى فياتينى
من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانما عدى الفعل فى الاولين
وفى الآيتين الاولين بحرف الابتداء لان الاتى منهما يتوجه الى الانسان وفى الاخرين
بحرف المجاوزة لان الاتى منهما كالمنحرف المتجافى عن المار على عرضه ونظيره جلست
عن يمينه وقال الزمخشرى كلمة من هاهنا تبعيضية لان الفعل يقع فى بعض الجهتين
قال فى الكشاف فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم
وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدى اليه الفعل نحو تعديته الى
المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذلك اختلفت فى هذا وكانت
لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس
عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل
فى المتجافى وغيره ونحوه من المفعول به رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمى ويبتدئ منها وكذلك
قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن
خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل
انتهى كلامه ثم ومن جميع نواحيها النواحى جمع ناحية وهى الجانب فاعلة بمعنى
مفعولة لانك نحوتها اى قصدتها اى من جميع جوانبنا وهذا تعميم بعد التخصيص
فدخل فيه الفوق والتحت لاحتمال اتيان المكروه منهما قال بعضهم اسال الله
تعالى خائف من قطع الطريق من الشيطان وهو لا يالو جهدا فى ان ياتيه من اى جهة

اسكنه

اسكنه الاتيان منها فليس للتخلص منه سبيل الا بالالتجاء الى الله سبحانه وسؤاله
الحفظ من جميع الجهات **حفظا عاصما من معصيتك هاديا الى طاعتك مستعملا**
لمحبتك حفظا مصدر منصوب على المفعولية المطلقة وهو بنفسه مفيد
لتقوية عامله وتقرير معناه وبوصفه بكونه عاصما مفيد لبيان نوعه عاصما
اى مانعا والطاعة موافقة الامر او الارادة وقدم العصمة على الهداية الى الطاعة
لان التخلية مقدمة على التحلية ثم ترقى الى سؤال المحبة ومستعملا معا يروى بفتح
الميم اسم مفعول وبكسرها اسم فاعل فعلى الاول معناه حفظا نستعمله لمحبتك وعلى
الثانى حفظا يستعملنا لمحبتك لان الاول من استعملت الثوب ونحوه اذا اعملته فيما
يعد له والثانى من استعملته اذا جعلته عاملا واضافة المحبة الى كاف الخطاب من
اضافة المصدر الى المفعول اى لمحبتنا اياك او الى الفاعل اى لمحبتك ايانا قيل محبة
العباد لربهم محبة طاعته وابتغاء مرضاته واجتناب ما يوجب سخطه وعقابه و
محبة الله تعالى لعباده ارادة اكرامهم وان يثيبهم احسن الثواب ويرضى عنهم و
يعفو عنهم عن المعاصى وهذا التفسير لمحبة العباد لربهم مبنى على ما ذهب اليه جمهور
المتكلمين من ان المحبة نوع من الارادة والارادة لا تعلق لها الا بالحوادث فيستحيل
تعلق المحبة بذات الله تعالى وصفاته ولانها تستدعى الجنسية بين المحب والمحبوب
قال بعض المحققين والمنع عن الاول ان المحبة ليست نوعا من الارادة لتعلقها بالاعيان
وتعلق الارادة بالافعال بل لو عكس لكان صوابا وعن الثانى ان المحبة قد تتعلق
بالاعراض ولا جنسية بين الجوهر والعرض والتحقيق انها من الوجدانيات التى لا
تحتاج الى تعريف حقيقى بل الى شرح مستقيم لتمتاز عن باقى المعانى الوجدانية بان
يقال هى ادراك الكمال من حيث انه مؤثر وكلما كان الادراك اتم والمدرك اشد كمالا
مؤثرة كانت المحبة اكمل ولذلك قال العارفون نحن نحب الله تعالى لذاته لا لغرض ولو

٢٢٢

كان كل شيء محبوبا لاجل شيء آخر دار وتسلسل واذا كنا نحب الرجل العالم لعلمه والرجل
الشجاع لقوته وغلبته والرجل الزاهد لبراءة ساحته عن المثالب فالله تعالى احق
بالمحبة لان كل كمال بالنسبة الى كماله نقص والكمال مطلوب لذاته محبوب لنفسه
وكلما كان الاطلاع على دقايق حكمة الله وقدرته وصنعه اكثر كان حبه اتم وبحسب
الترقي في درجات العرفان تزداد المحبة الى ان يستولى سلطان الحب على كل المحب
فيشغله عن الالتفات الى غيره ويفنى عن حظوظ نفسه فبه يسمع وبه يبصر و
ينطق وبه يبطش وبه يمشي فلا يفعل الا ما احبه واراده ولا يختار الا ما امره و
رضيه ولا يشتاق الا اليه ولا يسكن الا اليه ولا يتكلم الا عنه ولا يتفكر الا فيه ولا يستمع
الا منه وهذه احوال تلطف عن العبارة وتدق عن الاشارة ولنذكر شيئا
من كلام المحبين في المحبة تبركا بانفاسهم واقتباسا من انوارهم قال بعضهم المحبة
هي امحاء القلب عما سوى المحبوب وقال آخر هي نار تحرق ما سوى مراد المحبوب و
قال آخر هي الموافقة في جميع الاحوال وقال آخر المحبة بذل المجهود والحبيب يفعل
ما يريد وقال آخر المحبة ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك
وروحك ثم موافقتك له سرا وجهرا فيما تركك او سالك ثم علمك بتقصيرك
في حقه وقال آخر المحبة ما لا تنقصه الاساءة ولا يزيده الاحسان ولا ينبهه
القرب ولا يسلبه البعد قالوا والمحبة خصايص فمن خصايصها تقديم امور الآخرة
في كل ما يقرب الى الله تعالى على امور الدنيا من هوى النفس والتذلل لاولياء
الله من العلماء والعباد والتعزز على ابناء الدنيا والمجاهدة في طريق المحبوب
بالمال والنفس جميعا والانقطاع عن كل شيء اليه ووجود الانس بالوحدة والروح
بالخلوة والالتذاذ بحلاوة الخدمة وانه لا يسكن الا اليه ولا يعتمد الا عليه وفي
قصة برخ العبد الاسود الذي استسقى لبني موسى على نبينا وعليه السلام ان الله تعالى اوحى اليه

ان برخ

٢٢٣

ان برخ نعم العبد لي الا ان فيه عيبا قال يا رب وما ذاك قال يعجبه نسيم الاسحار
ومن احبني لا يسكن الى شيء ولا يانس بشيء ومن خصايصها الخروج الى الله تعالى من الدنيا
بالزهد فيها والخروج اليه من النفس بايثار الحق على الهوى والخروج من العمل باسقاط النظر
والطواعية للاجر والجزاء وعليه قول سيد العارفين صلوات الله عليه ما عبدتك خوفا من نارك
ولا طمعا في جنتك الحديث ومن خصايص المحبة ان المحب هش بش بسام يحسن لمن عاشره
خلقه ويبذل لمن يلقاه بشره يحنو على الصغير ويجل الكبير وكيف لا يهش وهو
فرحان بالحق ويجل شيء فانه يرى فيه لطف الحق ومن خصايصها ان الذكر لا يكون عن نسيان
والرؤية لا تكون عن غيبان فلا يكون في نفسه موضع الا وهو معمور بمحبة مالك عليه ولا
في قلبه موقع الا وهو شيء بذكره مطرز باسمه وانشدوا لا لاني انساك
اكثر ذكراك ۝ ولكن بذاك يجري لساني ۝ انت في القلب والجوانح والنفس ۝
وانت الهوى وانت الاماني ۝ كل جزء مني يراك من الوجد ۝ بعين خفية عن عياني ۝
فاذا غبت عن عياني ابصر ۝ لك مني معي في كل مكان ۝ كان الفضيل بن عياض
يقول اذا قيل لك تحب الله فاسكت فان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر
المقت وان قلت لا كفرت واما محبته تعالى لعباده فقال بعض العارفين هي راجعة
الى محبته تعالى ذاته لانه من تواجهها بكل ما هو اقرب اليه كان احب عنده فترجع محبته
لما سواه الى محبته لذاته كما يدل عليه ما ورد في الحديث ان الله جميل يحب الجمال ولهذا
لما قرا القاري في مجلس الشيخ ابي سعيد بن ابي الخير قوله يحبهم ويحبونه قال الحق
يحبهم وبحق انه يحبهم لانه انما يحب نفسه اشارة الى انه لا نظر له الى غيره من حيث
انه غيره بل نظره الى ذاته والى افعاله فقط وليس في الوجود الا نفسه وافعاله
وصنائعه وآثاره وكلها راجع اليه وهو عاين كل شيء فلا تجاوز محبته ذاته وتابع
ذاته وتابع ذاته من حيث هو متعلق بذاته فهو اذا لا يحب الا نفسه وما ورد في

الاخبار من جهته لعباده خصوصا اذا بما ذكرناه ويرجع معناه الى انه جعله قريبا منه كشف
عن قلبه الحجب حتى رآه بقلبه لمحبته تعالى من لحبه ازلية مهما اضيفت الى الازلي
الازلية واذا اضيفت الى فعله وصنعه في حق عبده من تمكينه اياه من القرب منه و
مشيئته وارادته المخصوصة التي اقتضت تمكن هذا العبد من سلوك طريق التقرب
اليه فهي حادث بحدوث السبب المقتضي له كما ورد في الحديث القدسي لا يزال العبد يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب
عن قلبه وحصوله في درجة القرب وصيرورته من جملة المقربين فصار قريبا بعد ما كان
بعيدا كما كنا في مقام البعدين كالبهائم والسباع وابناء الشيطان فقد تجددت له درجة
القرب والمحبوبية بالمعنى الذي علمت من كونها على وجه التبعية ولم تتجدد فيه تعالى
صفة لم تكن ولكن ربما يظن هذا انه لما يتجدد له القرب صار محبوبا لله تعالى بعد ان
لم يكن فقد تغير وصفا العبد والرب جميعا وهذا ظن باطل اذ البرهان قائم على ان التغير
عليه تعالى محال بل لا يزال من نعوت الكمال والجمال على ما كان عليه في ازل الازال وهذا مما ينكشف
لك بمثال في قرب الاشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون
احدهما ثابتا فيتحرك الاخر فيحصل القرب بينهما متغيرا في احدهما فقط وكذا في القرب
المعنوي فان التلميذ يطلب القرب من درجة استاذه في كمال العلم وقوة اليقين و
الاستاذ ثابت في كمال علمه متحرك بالنزول الى درجة التلميذ والتلميذ متحرك مترق
من حضيض الجهل الى ذروة العلم ويفاع الكمال فلا يزال دائبا في التغير والترقي
الى ان يقرب من استاذه والاستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي ان يفهم ترقي
العبد في درجات القرب من الله عز وجل وصيرورته من جملة المقربين المحبوبين
بعد ما لم يكن تتمه قال بعض ارباب العرفان كما ان لمحبة المحب مراتب متفاضلة
كذلك لمحبة المحبوب درجات متفاوتة فمحبته للعوام باختصاصهم بالنعم والنور

والتجلي

والتجلي عليهم بالافعال والايات ومحبته للخواص باختصاصهم بتجلي صفات الجلال
وستر ظلمة وجودهم بانوار الوجود الحقيقي فيتجلى لانوار الجلال فيحرق عن
قلبهم جميع ما كان فيه ثم يتجلى بنور الجمال فيمحوهم عنهم ويثبتهم به ويسلب عنهم
السمع والبصر والنطق كما ورد في الحديث الصحيح المشهور بين الخاصة والعامة
فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق
به ويده التي يبطش بها ان دعاني اجبته وان سألني اعطيته قال العلامة
البهائي في شرح الاربعين المراد والله اعلم اني اذا احببت عبدي جذبته الى
محل الانس وصرفته الى عالم القدس وصيرت فكره مستغرقا في اسرار الملكوت وحواسه
مقصورة على اجتلاء انوار الجبروت فتثبت حينئذ في مقام القرب قدمه ويمتزج
بالمحبة لحمه ودمه الى ان يغيب عن نفسه ويذهل عن حسه فتتلاشى الاغيار
في نظره حتى اكون بمنزلة سمعه وبصره كما قال من قال : جنوني فيك لا يخفى :
وناري منك لا تخبو : فانت السمع والابصار : والاركان والقلب : اللهم صل على محمد
وآله ووفقنا في يومنا هذا وليلتنا هذه وفي جميع ايامنا لاستعمال الخير وهجران الشر
والشكر للنعم التوفيق جعل الاسباب متوافقة في التأدي الى المسبب الذي هو المطلوب
خيرا كان او شرا ثم خص بالخير هذا معناه اللغوي واما معناه العرفي فعند بعض
المتكلمين هو الدعوة الى الطاعة وعند بعضهم خلق ارادة الطاعة وقيل هو جعل الله
تعالى فعل عبده موافقا لما يحبه ويرضاه وهذا وهذه صفتان لليوم والليلة
بتاويل الحاضر والحاضرة واستعمال الخير اي العمل به قال ابن سيدة في محكم اللغة
استعمله عمل به والهجران بالكسر اسم من هجره هجرا من باب قتل بمعنى تركه ورفضه وقد
اسلفنا الكلام على معنى الخير والشر وعن امير المؤمنين صلوات الله عليه افعلوا الخير
ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم ان احدا

اولى نعمل الخير متى فيكون و الله كذلك ان للخير و للشر اهلا فهما تركتموه
منهما كفاكموه اهله و عنه عليه السلام جامع لمساوى العيوب فظهر ان الخير
كلى يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة والشر كلى يندرج تحته جميع الاعمال
الصالحة والشر كلى يندرج تحته جميع القبايح قوله عليه السلام وشكر النعم الالف و
اللام للاستغراق الافرادى شكر كل نعمة ظاهرة كانت او باطنة وقد علمنا
ان الشكر حمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح فشكر النعم بالقلب القصد الى
تعظيمه تعالى وتمجيده وتحميده عليها والتفكر فى آثار لطفه بايصالها ونحو ذلك
وباللسان اظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتهليل والتسبيح
بالجوارح استعمالها فى طاعته وعبادته والاحتراز من الاستعانة بها فى
معصيته ومخالفته وسيأتى تمام الكلام على الشكر فى الروضة السابعة
والثلاثين ان شاء الله تعالى واتباع السنن ومجانبة البدع الاتباع الاقتداء
والمراد باتباعها العمل بها والسنن جمع سنة وهى لغة الطريقة وتطلق
شرعا على الاحاديث المروية عنه صلى الله عليه وآله وعلى الطريقة
النبوية وهى ما سنه النبى صلى الله عليه وآله اى شرعه من مفروض او مندوب
وغير ذلك وهو المراد هنا وعلى الطريقة المسلوكة فى الدين من غير
افتراض ولا وجوب وهى نوعان سنة يتعلق بتركها كراهة كالاذان
والاقامة ويسميها بعضهم سنة الهدى وسنة فعلها خير ولا حرج فى
تركها كسنن النبى صلى الله عليه وآله فى قيامه وقعوده واكله وشربه
ويسميها بعضهم سنن الزوائد وقد تطلق السنة على ما يتعلق به
الوجوب وعليه قول ابى جعفر عليه السلام كل من تعدى السنة رد الى السنة
وقول امير المؤمنين صلوات الله عليه السنة سنتان سنة فى فريضة

الاخذ بها

الاخذ بها هدى وتركها ضلالة وسنة فى غير فريضة الاخذ بها
فضيلة وتركها الى غير خطيئة ومجانبة الشئ مجانبته باخذه كانه
ترك جانبا والبدع جمع بدعة بالكسر وهى من ابتدع الامر اذا ابتداه
واحدثه كالرفعة من الارتفاع والخلفة من الاختلاف ثم غلبت
على ما هو زيادة فى الدين او نقصان منه وقيل كل ما لم يكن فى زمن
النبى صلى الله عليه وآله فهو بدعة ورده الفاضل الاردبيلى بمنع الشرطية
وقال البدعة هى كل عبادة لم تكن مشروعة ثم احدثت بعينها وبلا شرعية
على نفيها فلو صلى او دعا او فعل غير ذلك من العبادات مع عدم وجودها
فى زمانه صلى الله عليه وآله فانه ليس بحرام لان الاصل كونها عبادة وغير
ذلك مثل الصلوة خير موضوع والدعاء حسن انتهى وفى تخصيصها
بالعبادة نظر ظاهر وقال العلامة البدعة فى الشرع احداث ما لم يكن
فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وهى منقسمة الى واجبة ومحرمة
ومندوبة ومكروهة ومباحة والطريق فى ذلك ان تعرض البدعة
على قواعد الشريعة فان دخلت فى قواعد الايجاب فهى واجبة او فى قواعد
التحريم فمحرمة او الندب فمندوبة او الكراهة فمكروهة او الاباحة
فمباحة وللبدع الواجبة امثلة منها الاشتغال بعلم النحو الذى
يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وذلك واجب
لان حفظ الشريعة واجب ولا يتاتى حفظها الا بذلك وما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب ومنها حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة ومنها تدوين
اصول الفقه ومنها الكلام فى الجرح والتعديل وتمييز الصحيح من السقيم
وقد دلت قواعد الشريعة على ان حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على التعيين

ولا ينافي ذلك الا ما ذكرناه وللبدع المحرمة امثلة منها مذاهب القدرية
والجبرية والمرجئة والمجسمة والرد على هؤلاء من البدع الواجبة وللبدع
المندوبة امثلة منها احداث الربط والمدارس وكل احسان لم يعهد في
الاول وللبدع المكروهة امثلة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف و
للبدع المباحة امثلة منها التوسع في اللذيذ والماكل والمشارب والملابس
والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الاكمام وقال شيخنا الشهيد قدس سره
في القواعد الاصولية محدثات الامور بعد عهد النبي صلى الله عليه واله
تنقسم اقساما لا يطلق اسم البدعة عندنا الا على ما هو محرم منها اولها الواجب
كتدوين القرآن والسنة اذا خيف عليهما التفلت من الصدور فان التبليغ
للقرون الآتية واجب اجماعا وللآية ولا يتم الا بالحفظ وهذا في زمان
الغيبة واجب اما في زمان ظهور الامام عليه السلام فلا لانه الحافظ لهما حفظا
لا يتطرق اليه خلل وثانيها المحرم وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم و
ادلته من الشريعة كتقديم غير المعصومين عليهم واخذهم مناصبهم واستئثار
ولاة الجور بالاموال ومنعها مستحقها وقتال اهل الحق وتشريدهم وابعادهم
والقتل على الظنة والالزام ببيعة الفساق والمقام عليها وتحريم مخالفتها
والغسل في المسح والمسح على غير القدم وشرب كثير من الاشربة والجماعة
في النوافل والاذان الثالث يوم الجمعة وتحريم المتعتين والبغي على الامام وتوريث
الاباعد ومنع الاقارب ومنع الخمس اهله والافطار في غير وقته الى غير ذلك
من المحدثات المشهورات ومنها بالاجماع من الجبايات المكس وتولية المناصب غير
الصالح لها ببذل او ارث او غير ذلك وثالثها المستحب وهو ما تناولته
ادلة الندب كبناء المدارس والربط وليس منه اتخاذ الملوك الاهبة ليعظموا

في النفوس

عن استعمال المكس فيما يأخذه اعوان الملوك ظلما عند البيع والشراء منه

في النفوس اللهم الا ان يكون ذلك مرهبا للعدو ورابعها المكروه وهو
ما شملته ادلة الكراهية كالزيادة في تسبيح الزهراء عليها السلام وسائر
الموظفات او النقيصة منها والتنعم في الملابس والماكل بحيث يبلغ الاسراف
بالنسبة الى الفاعل وربما ادى الى التحريم اذا استضر به وعياله وخامسها
المباح وهو ما تناولته ادلة الاباحة كنخل الدقيق فقد ورد اول شيء
احدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه واله اتخاذ المناخل لان لين
العيش والرفاهية من المباحات فوسيلته مباحة انتهى وقال بعضهم البدعة
تطلق على معنيين احدهما ما خولف به الكتاب والسنة والاجماع فهذه
البدعة الضلالة والثاني ما لم يرد فيه نص بل سكت عنه فاحدث بعد
هذه فان كان منها حسنا فلا خلاف من احد في كونه غير مذموم وما ورد في الخبر
من كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار فالمراد به المفهوم الاول والله اعلم
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر المراد بالمعروف هنا الواجب والمندوب
وبالمنكر الحرام والمكروه وهما واجبان في الواجب والحرام ومستحبان في المندوب
والمكروه ودليل الوجوب قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير و
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله صلى الله عليه واله لتأمرن بالمعروف
ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم
فلا يستجاب لهم ومن طرق اهل البيت عليهم السلام في هذا المعنى ما يقصم الظهر
فليقف عليه من اراده في الكافي وغيره وههنا مسائل لا باس بالتعرض لها تتميما
للفائدة وتعميما للعائدة احدها اختلف اصحابنا هل الوجوب في هذا الباب عيني
او كفائي فشيخ الطائفة وابن ادريس وجماعة من المتاخرين على الاول وعلم الهدى
وابو الصلاح والعلامة وبعض المتاخرين على الثاني والحق في المسألة ان ان

كان المطلع منفردا تعين عليه والكفاية جماعة فان شرع احدهم فيه وظن
الباقون تاثيره مشاركتهم في الردع وجب عليهم فيكون الوجوب عينيا وا لا
كان على الكفاية الثانية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر شروط والمشهور
منها اربعة احدها علم الامر والناهي وتمييزه بين المعروف والمنكر فان
الجاهل ربما امر بمنكر ونهى عن معروف الثاني تجويز التاثير فان علم عدمه
سقط الوجوب دون الجواز وهل يكفي ظن العدم قيل نعم وقيل لا لان التجويز
قائم مع الظن وهو حسن اذا لا يترتب عليه ضرر فان جمع والا انفرد اذى فرضه
والعوض وانتفاء الضرر الثالث الامن من الضرر الثالث الامن من الضرر
على المباشر وعلى بعض المومنين نفسا ومالا او عرضا بدونه بحرم ايضا
على الاقوى ولا يجب في السقوط العلم بالضرر بل يكفي ظنه الرابع اصرار المامور
او المنهي على الذنب فلو علم منه الاقلاع والندم سقط الوجوب بل حرم
واكتفى الشهيد في الدروس جماعة في السقوط بظهور امارة الندم وهو في
محله وزاد بعضهم شرطا خامسا وهو عدم كون الامر والناهي مرتكبا للمحرمات
واشترط فيه العدالة بدليل قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
والحق انه ليس شرطا اذ لا يسقط بترك احد الواجبين الواجب الاخر والانكار
في الاية على عدم العمل لا على الامر الثالثة للانكار مراتب اولها بالقلب وهو ان
يبغضه عليه وهو البغض في الله المامور به في السنة المطهرة وهو مشروط
بعلم الامر والناهي واصرار المنهي دون الشرطين الاخرين ثم باظهار الكراهة
لعين قول او فعل فان ارتدع اكتفى به والا اعرض عنه وهجره والا انكره باللسان
بالوعظ والزجر مرتبا الايسر فالايسر وغيره باليد ككسر الملاهي واراقة الخمر
مثلا مع التهديد ولو لم ينزجر الا بالضرب ونحوه فعل مع القدرة ولو

الى الجرح

الى الجرح توقف على امر الحاكم وانه الا ان يتعرض لنفسه او حرمه
فيجب الدفاع بما امكن فان قتل كان هدرا وان قتل كان شهيدا
وكذا اذا راى مع امراته رجلا يزني بها فان له قتلهما ان طاوعته ولكن
في الظاهر عليه القود في الصورتين الا ان ياتي ببينة او تصدقه الولي
وله الانكار ظاهرا والحلف عليه مع التورية ولم يزجر المطلع على دار
فلو اصابه بما جنى عليه كان هدرا الا ان يكون محرما للنسا الرابعة لا
يشترط في المامور والمنهي ان يكون مكلفا بل اذا علم اصرار غير المكلف منع
من ذلك وكذا الصبي ينهى عن المحرمات لئلا يتعود بها ويومر بالطاعات
ليتمرن عليها تنبيه علم مما مر ان في اطلاق الامر والنهي على كل من مراتب
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سوى بعض افراد الامر والنهي اللساني تجوزا وكذا
في اطلاق النهي على الانكار القلبي لان الامر والنهي حقيقة استدعاء الفعل
وتركه بالقول قال العلامة البهائي وكان ذلك صار حقيقة شرعية والله
اعلم حياطة الاسلام حاط الشيء يحوطه حوطا وحيطة وحياطة حفظه وذب عنه
وتعهده والمراد بالاسلام هنا جميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من الدين
الحق المشار اليه بقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقوله اليوم اكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله ومن يبتغ غير
الاسلام دينا فلن يقبل منه والمراد بحياطته نصرته والاهتمام بامره والذب
عنه وصيانته عنه وشبهات الشياطين وتدليلهم وتحريفهم وما يتبع ذلك
باظهار حججه واقامة براهينه ونفي الشبهات عنه ودعاية الناس اليه الى غير
ذلك والنقص الباطل وادامة ونصرة الحق والعزة النقيصة العيب قال في
الاساس انتقصه وتنقصه عابه والذل بالضم والذلة بالكسر والمذلة الضعف

والهوان ويتعدى بالهمزة فيقال اذله اذلالا والنصرة بالضم اسم من نصره على عدوه نصرا اى اعانه وقواه وعز الرجل عزا من باب ضرب قوى واعزه اعزازا قواه والحق فى اللغة هو الثابت الذى لا يسوغ انكاره من حق الشئ يحق من بابى ضرب وقتل اذا وجب وثبت وفى اصطلاح اهل المعانى الحكم المطابق للواقع يطلق على الاقوال والعقائد والاديان والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك ويقابله الباطل واما الصدق فقد شاع فى الاقوال خاصة ويقابله الكذب وقد يفرق بينهما بان المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع وفى الصدق من جانب الحكم فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع ومعنى حقيته مطابقة الواقع اياه وقد يطلق الحق على الموجود المبنى على الحكمة ولما يوجد عليها كما يقال الله تعالى حق وكلمة حق وقد يراد به الاقبال على الله تعالى بل نحو الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة للواقع وبالباطل الالتفات عنه الى غيره ذلك مما لا يجدى نفعا فى الاخرة ثم المراد بانتقاص الباطل واذلاله ترييفه واظهار بطلانه والرد على اصحابه وبيان ضلالهم وبنصر الحق واعزازه تاييده واظهار حقيته وترغيب الناس فى اتباعه واعتقاده ونحو ذلك **وارشاد الضال ومعاونة الضعيف وادراك اللهيف**
الرشد بالضم خلاف الغى والضلال وهو الاهتداء رشد يرشد رشدا من بابى قتل وتعب فهو راشد والاسم الرشاد ويتعدى بالهمزة فيقال ارشده ارشادا والضلال قيل هو الفقدان لما يوصل الى المطلوب وقيل هو سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب وقيل هو العدول عن الطريق السوى ولو خطا والحق شموله للمعانى الثلاثة ومن الاول قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى على بعض الاقوال فى معناه اى فاقدا لما يوصلك الى ما انت عليه الان من النبوة والشريعة فهداك اليه

بنصب الادلة والالطاف حتى وصلت الى المطلوب وعلى المعنيين الاخيرين فاذا اصغر الصغاير واعلاه اكبر الكباير اذا عرفت ذلك فالمراد بالارشاد الدلالة على المطلوب بلطف سواء كان معها وصول اليه ام لا فلا ينافيه قوله تعالى انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء اذ المراد بالهداية هنا الايصال الى المطلوب وهو بيده تعالى **فان قلت** قد ورد فى الحديث عن ابى عبد الله عليه السلام كفوا عن الناس ولا تدعوا احدا الى امركم وهو ينافى سؤال التوفيق لارشاد الضال مع انه من باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر **قلت** اجيب بان الامر بالكف والنهى عن الدعاء انما هو لاجل ما كان فى ذلك الزمان من شدة التقية من اهل الجور والعدوان واما ان القصد منه ترك المبالغة فى الدعاء وعدم المخاصمة فى امر الدين كما يدل عليه قول ابى عبد الله عليه السلام فى حديث اخر لا تخاصموا الناس لدينكم فان المخاصمة ممرضة للقلب فلا منافاة وفى ارشاد الضال وهدايته من الثواب ما لا يحصى فعن ابى عبد الله عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام لما وجهنى رسول الله صلى الله عليه واله الى اليمن قال يا على لا تقاتلن احدا حتى تدعوه الى الاسلام وايم الله لان يهدى الله عز وجل على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه **قوله** عليه السلام ومعاونة الضعيف عاونه معاونة اى اعانه فهو فاعل بمعنى افعل والضعيف بفتح الضاد فى لغة تميم وبضمها فى لغة قريش خلاف القوة والصحة فالمفتوح مصدر ضعف ضعفا من باب قتل والمضموم مصدر ضعف مثال قرب ومنهم من يجعل المفتوح فى الراى والمضموم فى الجسد وهو ضعيف وضعف عن الشئ عجز عن احتماله فهو ضعيف ايضا وقد يطلق الضعيف على المهين الذى لا عزة له ولا قوة فلا يقدر على الامتناع

ممن يريد ظلمه وهضمه او يريد به سوءًا ومكروهًا ولعل هذا المعنى هو المراد هنا وعن
ابي عبد الله ع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله عونك الضعيف من افضل
الصدقة قوله عليه السلام وادراك اللهيف ادركته اذا طلبته فلحقته
واللهيف واللهوف واللهفان واللاهف المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر
والمراد بادراكه اغاثته ادراك قبل فواته ولهذا كتب عثمان بن عفان الى امير
المؤمنين عليه السلام حين ضاق به الخناق في الدار قول الشاعر شعر فان
كنت ماكولا فكن خير آكل ... والا فادركني ولما امزق ... وقد ورد في اغاثة
اللهوف اخبار جمة فعنه صلى الله عليه وآله انه كان يحب اغاثة اللهفان
وعن امير المؤمنين صلوات الله عليه من كفارات الذنوب العظام اغاثة
اللهوف والتنفيس عن المكروب وعن زيد الشحام قال سمعت ابا عبد الله
عليه السلام يقول من اغاث اخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته
واعانه على نجاح حاجته كانت له بذلك عند الله اثنان وسبعون
رحمة من الله يعجل له منها واحدة يصلح بها معيشته ويدخر له احدى
وسبعون رحمة لافزاع يوم القيمة واهوالها اللهم صل على محمد وآله
واجعله ايمن يوم عهدناه وافضل صاحب صحبناه وخير وقت
ظللناه فيه اليمن بالضم البركة والسعادة يمن كعلم ويمن بالبناء
للمفعول فهو ميمون وقدم على اعز اليمنى اي اليمين وعهدناه اي عرفناه
او لقيناه يقول الامر كما عهدت اي عرفت وعهدته بمكان كذا لقيته
وعهدي به قريب اي لقائي والفضل الخير اي خير صاحب واطلاق
الصاحب على اليوم مجاز والوقت المقدار من الزمان واكثر ما يستعمل
في الماضي كما وقع هنا وظل يظل ظلا وظلولا من باب تعب قال الفارابي

في ديوان

في ديوان الادب الظلول بالنهار بمنزلة البيتوتة بالليل سأل عليه السلام
ان يكون يومه اكثر يمنا وفضلا وخيرا من ايامه الماضية واراد بذلك
ان يكون طاعته وعمله اكثر مما كان في سالف ايامه طلبا للترقي في معارج
القدس ومدارج الانس يوما فيوما فان من استوى يوماه فهو مغبون
فهو من باب سؤال اللازم وارادة الملزوم واجعلنا من ارضى من مر عليه الليل
والنهار من جملة خلقك ارضى اسم تفضيل يجوز ان يكون
من رضي بالبناء للفاعل اي اجعلنا من اعظم الراضين بقضائك وان يكون
من رضي بالبناء للمفعول على ما مر بيانه في الروضة الاولى اي اجعلنا من
اعظم المرضيين عندك قال العلامة البهائي قدس سره في الحديقة الهلالية
وفي كلام بعض اصحاب القلوب ان علامة رضا الله سبحانه عن العبد
رضاء العبد بقضائه وهذا يشعر بنوع من التلازم بين الامرين ولو
اريد باسم التفضيل هنا ما يشملهما من قبيل استعمال المشترك في
معنييه لم يكن فيه كثير بعد ومثله في كلام البلغاء غير قليل انتهى
ومن في قوله من جملة خلقك بيانية والجار والمجرور حال من اسم التفضيل
اي كائنا من جملة خلقك كما تقول انت منهم الفارس البطل اي انت
من بينهم وهذا الفرس من بين الخيل كريم اشكرهم لما اوليت من نعمك
اشكرهم بالنصب حال من ارضى على الصحيح من جواز تعدد
الحال في الفصيح وما قيل من انه معطوف على ارضى بتقدير حرف
العطف فخطاء لانه لو كان كذلك كان مجرورا الا ان يقال انه عطف
على محله وفيه ان حذف حرف العطف بابه الشعر كما نص عليه
ابن هشام في المغني وفي رواية ابن ادريس اشكرهم بالجر وهو اما

يدل من الارضين او عطف بيان او لبيته موفوا منحته اياه سئل
بعض العارفين من اشكر الناس فقال اربعة هم اشكر الناس واسعدهم
الطاهر من الذنب بعد نفسه من المذنبين والراضي بالقليل بعد نفسه
من الاغنياء والقاطع دهره بذكر الله بعد نفسه من الغافلين والدائب
نفسه في العمل بعد نفسه من المقلين فهذا هو اشكر الناس وافضل المؤمنين
وافقهم عما شرعت من شرائعك الشرائع جمع شريعة وهي ما شرع الله
من الفرائض والسنن ماخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء سميت
بذلك لوضوحها وظهورها وشرع الله لنا كذا اظهره واوضحه اي شرعهم
فيما ما اظهرته لنا من احكام دينك فرضا كان او سنة ووقع في كلام
بعض المترجمين من العجم ان حرف العلة وهو الياء من شرايع لا تقلب همزة
بل تبقى يا على حالها البتة وعلل ذلك بان حرف العلة المذكورة لم يقع
قبله واو او ياء كاوايل وجايز حتى تقلب همزة وهو خطاء واضح وغلط
فاضح بل الياء من شرايع يجب قلبها همزة من غير خلاف فرقا بين الزائدة
والاصلية كما بيناه في شرح السند عند قوله ويدخروه في خزائنهم وتعجب
لعجمي هذا مبلغه من العربية كيف سولت له نفسه التعرض لشرح كلام
كلام معصوم والله المستعان واوقفهم عما حذرت من نهيك
اوقفهم اسم تفضيل من وقف عن الشيء بمعنى توقف اي امسك عنه
ولم يدخل فيه والتحذير التخويف ونهى الله تعالى عن الشيء اي حرمه والمراد
بنهيه هنا منهيه اي ما حرمه اطلاقا للمصدر على المفعول كالشرط بمعنى المشروط
ولما كان للتوقف عن المنهيات مراتب اتى باسم التفضيل الدال على الزيادة
طلبا لاعلى درجاته وقد رتبوه على اربع درجات الاولى التوقف عما يوجب

الاحكام

الرجل

ارتكابه التفسيق وسقوط العدالة وهذه ادنى الدرجات الثانية الحذر عما
يتطرق اليه شبهة الحرمة وان ساغ ذلك في الفتوى وهو الذي قال فيه
رسول الله صلى الله عليه واله دع ما يريبك الى ما لا يريبك وهذه الدرجة
للصالحين الثالثة وقوف المتقين وورعهم قال رسول الله صلى الله عليه
واله لا يبلغ درجة المتقين حتى يترك ما لا باس به مخافة ما به باس فربما
يوقف المتقي من الاطعمة المشتبهة والملابس المبهجة خيفة ان تجمح به
النفس الامارة بالسوء الى سوا قعة محظور ومنها الاعراض عن التعين الى ما منع
من الناس لئلا تتحرك دواعي الرغبة فيه على ما قال الله تعالى ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا الرابعة
الوقوف عما لا يراد به وجه الله ولا للقوة على الطاعة او يلم بصاحبه بعض خواطر
المعصية وهذه درجة الصديقين كما حكي عن بعضهم انه شرب دواء
واشير عليه بالشيء فقال اني لم امش قط في غير طاعة ولا اعرف لمشيتي
هذه وجها فيها وكان بعضهم يتجنب شرب ماء الانهار الكبار
التي تحتفرها السلاطين وظلمة بحجتهم سراجا اشعله غلامهم
زادا رحالهم وامثال هذه الافعال انما توجد في نفس قدسية
يقول الله تعم قل الله ثم ذرهم فان كل ما لم يكن لله حراما عليها
فتوقفت عنه وقصرت اعينها عن النظر اليه فكانت اوقف خلق الله
عما حذر من نهيه وابعد من الجوارح الى سوا قعة محظوراته اللهم
انا نشهدك وكفى بك شهيدا نشهدك اي نسئلك الا نستشهد والشهيد
الشاهد قال ابن الاثير في النهاية في اسمائه تعالى الشهيد هو الذي
لا يغيب عنه شيء والشاهد الحاضر وفعيل من ابنية المبالغة فاذا

اعتبر العلم مطلقا فهو العليم واذا اضيف الى الامور الباطنة فهو الخبير واذا
اضيف الى الامور الظاهرة فهو الشهيد وقد يعتبر مع هذا ان يشهد
على الخلق يوم القيمة بما علم انتهى وفي كفى بك قولان احدهما ان ضمير
المخاطب فاعل كفى والباء زائدة غلبت زيادتها في فاعل هذا الفعل
لتضمنه معنى اكتف والاصل كفيت شهيدا فلما زيدت الباء قيل كفى
بك ومثله قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وكفى بالله حسيبا وهو قول
الزجاج قال ابن هشام وهو من الحسن بمكان ويصححه قولهم اتقى الله
امرؤ وفعل خيرا يثب عليه اي ليتق بدليل جزم يثب وبوجه قولهم
كفى بهند بترك التاء وتعقب بعضهم ما استحسنه فقال ابن عين صحيح
لانه يلزم عليه ان يكون فاعل كفى ضمير المخاطب والفعل الماضي لا يرفع ضمير
المخاطب المستتر الثاني ان الفاعل ضمير الاكتفاء والتقدير كفى الاكتفاء
بك او بالله وهو قول ابن السراج قال ابن هشام وصحة قوله موقوفة على جواز
تعلق الجار بضمير المصدر وهو قول الفارسي والرماني اجازا مروري
بزيد حسن وهو بعمرو قبيح ومنع جمهور البصريين اعماله مطلقا وقال
ابن الصائغ لا نسلم توقف الصحة على ذلك لجواز ان تكون الباء للحال او
كفى الاكتفاء في حال كونه ملتبسا بك او بالله وهو في محله قال الدماميني
في شرح التسهيل ولم ار من افصح عن معنى كفى التي تغلب زيادة الباء في
فاعلها وفي كلام بعضهم ما يشير الى انها قاصرة لا متعدية وفي كلام بعضهم
خلاف ذلك انتهى قلت قال المرادي في الجنى الداني هي بمعنى حسب و
فيه مسامحة ظاهرة ثم مقتضى كلام ابن هشام في المغني استعمالها كونها
لازمة في زيادة الباء حيث قال ولا تزاد في فاعل كفى التي بمعنى اجزا و

واغنى

٢٣١ واغنى والتي بمعنى وقى فالاولى متعدية لواحد كقوله قليل منك يكفيني و
الثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال انتهى وصرح كل
من مكي وابي البقاء في اعرابه بانها متعدية قال مكي في قوله تعالى وكفى بالله حسيبا
اي كفاك الله حسيبا فالكاف المفعول محذوف والباء زائدة والجار والمجرور
في موضع رفع فاعل كفى والتقدير كفاك الله حسيبا وجعلها ابو البقاء متعدية
الى مفعولين فانه قال وكفى تتعدى الى مفعولين وقد حذفا هنا والتقدير
كفاك الله شرهم حال كونه حسيبا ويجوز ذلك والدليل عليه فسيكفيكهم الله
انتهى وعلى هذا فالتقدير في وكفى بك شهيدا وكفيتني شهيدا او وكفيتني
شهادة غيرك حال كونك شهيدا ويحتمل ان يكون شهيدا تمييزا رافعا لاجمال
النسبة وقال ابو حيان كفى في هذا التركيب في معنى فعل غير متصرف وهو
فعل التعجب بمعنى قولك كفى بزيد ناصرا ما اكفى زيدا ناصرا ولذلك لا
يجوز تقديم التمييز عليه اجماعا لا يقال ناصرا كفى بزيد ولا شهيدا كفى بالله
انتهى واشهد سماءك وارضك ومن اسكنتهما من ملائكتك وسائر خلقك
اشهاد السماء والارض اما على طريق التقدير اي اشهدهما ان كانا ممن له
اهلية الاشهاد بناء على القول بان كلا منهما جمادا وعلى سبيل التمثيل لعموم
الاشهاد بناء على ذلك ايضا او على وجه التحقيق اما لان الله تعالى سينطقهما
فيشهدان او لان لكل منهما شعورا ونطقا اما السماء فقد تقدم ان الحكماء
يدعون انها حيوان ناطق متحرك بالارادة اما طاعة الله تعالى وله جسم ونفس
ولنفسه عقل واما الارض فقال بعض اهل العرفان للعرفاء فيها ابيات
خفية يعرفون فيها كونها ذات شعور ونطق وذكر وتسبيح وطاعة وجوهر نفس
عقلي نوراني كما اشير اليه بقوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وفي بعض

الاخبار ان رجلا اخذ فی کفه حصیات و قال اشهدك ایها الحصیات انی اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله و اذا کان یوم القیمة امر به الی النار فاتی تلك الحصیات فتشهد له بما اشهدها فیومر به الی الجنة بشهادتها قوله علیکم و سایر خلقك ای باقی مخلوقاتك یروی بالجر عطفا علی ملائکتك و بالنصب عطفا علی من اسکنتهما فی یومی هذا و ساعتی هذه و مقامی هذه و بلدی هذه و مستقری هذا الظرف متعلق باشهدك و اشهد ضمنه سمائك علی سبیل التنازع و اسماء الاشارة صفات بتاویل الحاضر والحال والسنة مکان الاستقرار و الاشارة الی اللیلة باعتبار حضورها فی الذهن ان کان الدعاء مخصوصا بالصباح او قری فیه وان قری بالمساء فالاشارة الی الیوم باعتبار حضوره فی الذهن و فایدة هذا القید التنصیص علی انشاء الاشهاد للمبالغة مع ما فیه من ربط الکلام حیث الاضافة مطلوب انی اشهدك انت الله الذی لا اله الا انت ای علی انی اشهدك و حذف الجار یکثر و یطرد مع ان وان و اختار الجملة الفعلیة لافادة التجدد و المضارع لافادة الاستمرار و اختار صیغة المتکلم اظهارا للتوحید و اهتماما باثباته والشهادة هی الاخبار بصحة الشیء الناشی عن العلم و هی اخص من العلم والاقرار اذ العلم قد یخلو عن الاقرار و الاقرار عن العلم و الشهادة جامعة لهما وانت ضمیر فصل یفصل بین الخبر والتابع بالاعلام من اول الامر بان ما بعده خبر لا تابع و لهذا سمی فصلا و یوکد النسبة و یفید اختصاص المسند بالمسند الیه و هو حرف علی الاصح لا محل له من الاعراب و قیل هو اسم لا محل له و قیل محله بحسب ما قبله و قیل بحسب ما بعده و یحتمل ان یکون توکیدا وان یکون مبتدأ و خبره اسم الجلالة و الجملة خبران و قوله الا انت حمل علی المعنی اذ

الخطاب

الخطاب علی الغیبة ولو حمل علی اللفظ لقال الا هو و هذا وان کان هو العالب فی الاستعمال لان لما کان ما قبله خطابا و الداعی فی مقام الحضور و الشهود طوی عن الغیبة کشحا و اجری الکلام علی سنن واحد استلذاذا بالخطاب قال النحویون اذا کان الموصول او موصوفه خبرا عن متکلم او مخاطب جاز ان یکون العاید الیه غایبا و هو الاکثر لان الظاهرات کلها غیب نحو انا الذی قال کذا وانت الرجل الذی فعل کذا و علیه قول امیر المومنین علیه السلام انا الذی سمتنی امی حیدره تنبیه ینبغی ان یراد بالا المنفی فی کلمة التوحید المعبود بالحق ای لا معبود بالحق الا الله او الا الله اذ لو ارید به مطلق المعبود لزم الکذب لکثرة المعبودات الباطلة فان قلت ما اعراب الا انت او الا الله قلت زعم الاکثرون ان المرتفع بعد الا فی ذلك بدل من محل اسم لا کما فی قولك ما جاءنی من احد الا زید و استشکل بان البدل لا یصلح هنا لحلول محل الاول و قال ابن هشام و قد یجاب بانه بدل من الاسم مع لا فانهما کالشیء الواحد و یصح ان یخلفهما ولکن یذکر الخبر حینئذ فیقال الله موجود و قیل هو بدل من ضمیر الخبر المحذوف و ههنا سوال مشهور و هو ان قدر الخبر المحذوف موجود لم یلزم نفی امکان اله معبود بالحق غیره تعالی غایته نفی وجود اله کذلك وان قدر ممکن لم یلزم الا اثبات امکان الوجود له تعالی لا اثبات وجوده تعالی الله عن ذلك قال بعض المحققین و تحقیق الجواب علی التقدیرین ان المعبود بالحق لا یکون الا واجب الوجود و محال ان یبقی واجب الوجود فی عالم الامکان فان قلنا لا اله موجود الا الله لزم نفی امکان اله غیره وان قلنا لا اله ممکن الا الله لزم وجود الله تعالی لاستحالة بقاء واجب الوجود فی رتبة الامکان و هو دقیق لطیف جدا انتهی و قال بعض العلماء الحق ان کل تقدیر یقدر ههنا فهو مخرج لهذه الکلمة عما یفیده

البدل

اطلاقها و يقيدها تخصيصا لمن يكن وهي مما يجده الانسان من نفسه عند الاعتبار
فالاولى ان يكون خبر لا هو قولنا الا الله وحينئذ لا حاجة الى امر زائد انتهى و
كان من ارادته خبر لا مع اسمها فانهما في موضع رفع عند سيبويه و لا النافية
عمل لان في غير نكرة منفية وهو غير صحيح و نعم ما قال بعضهم ان كلمة الشهادة
تامة في اداء معنى التوحيد الذي هو نفي امكان الوجود عما سوى الله تعالى
من الالهة واثبات الوجود له تعالى لانها صارت علما عليه شرعا من غير نظر الى
المعنى اللغوي **هداية** اعلم ان كلمة الشهادة اشرف كلمة تنطبق على معنى التوحيد
لما تضمنه تركيبها من حسن الوضع المؤدي للمقصود التام منها وبيان ذلك انه
قد ثبت في علم السلوك الى الله تعالى ان التوحيد المحض والاخلاص المطلق لا
يتفرد الا بنقض كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل ما لا يحق له وطرحه عن درجة
الاعتبار وهو المسمى في عرف اهل العرفان بمقام التخلية والنقض والتفرق
وما لا يتحقق الشيء الا بركان اعتباره مقدما على اعتباره وقولنا لا اله الا الله
مشتمل على هذا الترتيب اذ كان الجزء الاول منها مشتملا على سلب كل ما عدا
الحق سبحانه مسلما بالعقل درك كل شبهة لخاطر سواه وهو مقام التنزيه و
التخلية حتى اذا ارتاح كل ثان عن محل عرفانه استعد لجوده للتحلية بنور وجوده
وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة فكانت اجل كلمة نطق بها في التوحيد
قائم بالقسط عدل في الحكم رؤف بالعباد مالك الملك رحيم بالانام
بالخلق القسط بالكسر اسم من اقسط بمعنى عدل ويجوز ان يكون قائم بالقسط
وما بعده اخبار مترادفة بعد خبر ان واخلاؤها عن العاطف ولايرادها
على طريق التعديد وان يكون اخبار المبتدأ محذوف اي انت قائم بالعدل كما
يقال فلان قائم بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير اي يجريه على سنن

الاستقامة

الاستقامة او مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب
وفيما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم
اذا عرفت ذلك فقوله عدل في الحكم كالمفسر له اذ العدل هو الذي لا يجور
في الحكم وهو في الاصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل وهو ابلغ منه لانه
جعل المسمى نفسه عدلا وقد خص قيامه بالقسط بالعدل في افعاله تعالى وعدله
في الحكم بجعله في اوامره ونواهيه قال بعض الحكماء اعلم ان واجب الوجود
يلزمه الغنى والاحكام الحسنى والصفات العليا ومن كونه في المطلق والعلم التام
والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات
وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شيء من الاشياء وعدم النقص في شيء من الافعال
والاحكام الى غير ذلك من الاسماء والصفات العليا ومن كونه في العقل السليم
ان من هذا شانه لا يصدر منه شيء الا على وفق العدالة ومقتضى الحكمة المتسقة من عامة
المصالح عموما وخصوصا فكل ما يخيل الى المكلف انه خارج عن قانون العدالة
او يشبه الجور والقبح وجب ان ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته
التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادي والغايات فانظر في كيفية
خلقة اعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف احوال
الخلق في الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة
والالم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر الى كيفية خلقة العناصر و
اجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة
فكلها حكمة وعدل وانظر الى تفاوت الخلائق في العلم والجهل والفطانة
والبلادة واقطع بان كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى
لم يخلق مستعدا لادراك تفاصيل كمالات الله تعم فالخوض في ذلك خوض فيما لا يعنيه

بل لا يشعر ولا ينفعه الا العلم الاجمالى بانه تعالى واحد فى ملكه وملكه لا منازع له ولا
مضاد ولا مانع لقضائه ولا ارادة وفى كل واحد من مصنوعاته ولكل شيء من افعاله حكم
ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقطعا
وعدلا هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مزلة والخبال فيه
لمن نسبه سبحانه الى الجور فى فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا
يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الغيوب العالم بالخفيات
والمطلع على الكليات والجزئيات من ازل الازال الى ابد الاباد والى ذلك يشير قول
امير المؤمنين عليه السلام التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه تنبيه قوله
عليه السلام الى اشهد انك انت الله الذى لا اله الا انت قائما بالقسط تلميح الى قوله
تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط فكانه قال
انى اشهد بما شهدت به على نفسك وما شهد به ملائكتك واولوا العلم من عبادك
روى الشيخ الجليل ابو على الطبرسى فى تفسيره الكبير عن غالب القطان قال اتيت
الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة
اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الاية شهد الله انه
لا اله الا هو الاية ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه
الشهادة وهى لى عند الله وديعة قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت
معه وودعته ثم قلت اية سمعتك ترددها قال لا احدثك بها الى سنة فكنت
على بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة
فقال حدثنى ابو وائل عن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
ويجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدى هذا عهدا عندى وانا
احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى هذا الجنة قوله عليه السلام رؤف بالعباد لان الرأفة

اقوى فى الكيفية من الرحمة لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام و
الرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد تكون مع الالم كالضرب للتاديب قال تعالى
والله رؤف بالعباد قال بعضهم من كمال رأفته ورحمته بهم بالعباد انه بعث
اليهم مائة واربعة وعشرين الف نبى ليدلوهم على الطريق الموصل الى السعادة
الابدية ويصرفوهم عن السبيل المؤدى الى الشقاوة السرمدية وقد تمدح
سبحانه بهذا الارسال بقوله هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم
اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين
قوله عليه السلام مالك الملك اى مالك جنس الملك فيتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون قيل المراد به كل ملك وملك فكل مالك دونه هالك وكل ملك
دونه هالك وقيل اى مالك العباد وما ملكوا وقيل مالك امر الدنيا والاخرة
قال بعض ارباب القلوب ان العبد اذا تحقق ان الملك لله وهو مالك كل
شىء تنكب عن وصف الدعوى وتبرأ من الحول والقوة فسلم الامر لمالكه ولم
يفزع الى احتياله عند طلب الخلاص من مهالكه فلا يقول لى ولا يقول منى
ولهذا قال بعضهم التوحيد اسقاط الياءات قوله عليه السلام رحيم بالخلق الرحيم
صفة مشبهة من رحم بالكسر بعد نقله الى رحم بالضم لان الصفة المشبهة لا
تشتق من المتعدى الا بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز فينقل الى فعل بضم
العين فتشتق منه الصفة وهذا مطرد فى باب المدح والذم نص عليه السكاكى
فى تصريف المفتاح وجار الله فى الفائق وقيل الرحيم ليس صفة مشبهة بل هى
صيغة مبالغة نص عليه سيبويه فى قولهم هو رحيم فلانا وعداه بالباء لتضمينه
معنى الرأفة ورحمته تعالى بالخلق ان كل نعمة او نقمة دنيوية او اخروية فانما تصل
الى العبد او تندفع عنه برحمته سبحانه وفضله من غير شائبة غرض ولا ضميمه

علة لانه الجواد المطلق والغني الذي لا يفتقر فينبغي ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى
الا نقمته فان محمدا عبدك ورسولك جمع بينهما ليدفع الافراط
والتفريط الذي وقع في شان عيسى عليه السلام وقدم العبد ترقيا من الادنى الى
الاعلى وفي كلام ارباب العرفان انه لا مقام اشرف من العبودية لانها
ينصرف من الخلق الى الحق وينعزل عن التصرفات ولذا قال سبحان الذي
اسرى بعبده ولم يقل برسوله فلا يكون ترقيا والعبد الحقيقي من يكون
حرا عن الكونين وهو نبينا صلى الله عليه واله اذ يقول امتي امتي وكل نبي
يقول نفسي نفسي ولانه هو الذي صح نسبة العبودية كما ينبغي فاطلق عليه
اسم العبد في القرآن وقيد لسائر الانبياء وهو من قولهم طريق معبد اي مذلل
بكثرة الوطء فسمي به لذلته وانقياده واعاقبت هذه الكلمة بكلمة التوحيد
يعبر فيها الاخلاص صرف لا يحصل الاخلاص الا بسلوك مراتبه ودرجاته
ولن يحصل ذلك الا بمعرفة كيفية السلوك ولا تحصل تلك المعرفة الا بالبيان
النبوي القائم بتعريف كيفية السلوك في درجات الاخلاص فكانت الشهادة
بالرسالة مصدقة المبين لكلمة بعد كلمة الاخلاص لانها بمنزلة الباب لها
فلاجل ذلك قرنت بها وصارتا كلمتين متقارنتين لا يصح انفكاك احديهما
عن الاخرى وخيرتك من خلقك الخيرة بكسر الخاء وفتح الياء بمعنى الخيار
وهو الاختيار ويقال هي اسم من تخيرت الشيء مثل الطيرة اسم من تطيرت
يقال هما بمعنى واحد والخيرة بالكسر والسكون ما يختار ايضا قال في التاريخ
خرت الرجل على صاحبه من باب باع احيره خيرا وزان عنب وخيرة
اذا فضلته عليه وهذه خيرتي بالسكون وهو ما اختاره انتهى ومحمد رسول الله
صلى الله عليه واله خيرة الله من خلقه يروى بالكسر وفتح الياء او سكونها

امارنابا

امارنابا اطلاق المصدر على المفعول مبالغة كالرضا بمعنى المرضي او بمعنى
مختاره واختيار الله سبحانه له عليه السلام بمعنى الحاكم امه باعداد نفسه الشريفة
لقبول انوار النبوة وفي الحديث عنه صلى الله عليه واله ان الله اختار خلقه فاختار
منهم بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار
قريشا فاختار منهم بني هاشم اختار بني آدم ثم اختار بني هاشم فاختارني
منهم فلم ازل خيارا من خيار وعن المطلب بن ابي وداعة قال قال رسول الله
صلى الله عليه واله انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني
في خيرهم ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم
فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا حملته رسالتك فاداها حملة
استيناف به والرسالة لغة بالكسر اسم من الارسال بمعنى التوجيه وعرفا امر الله
تعالى بعض عباده بواسطة ملك يظهر له عيانا ويخاطبه شفاها بدعوة الخلق
اليه وتبليغهم احكامه وهي ارفع درجة من النبوة كما يظهر من الاحاديث الواردة
عن اهل البيت عليهم السلام في الفرق بين الرسول والنبي وعبر بتكليفه
بها بالتحميل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاحمال
الثقيلة التي تستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيه
من القوة والشدة والتادية الايصال اي فاوصلها الى المرسل اليهم بمعنى
تادية مقتضاها من الشرايع والاحكام وقد يراد بالرسالة نفس المرسل به كما في
قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت
رسالته وعلى هذا فالمراد بتاديتها تبليغها نفسها وامرته بالنصح لامته
فنصح لها نصحت لزيد انصح من باب منع نصحا بالضم ونصيحة هذه اللغة
الفصيحة وعليها قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم وفي لغة يتعدى بنفسه فيقال

ن لما دالل

نصحته والنصيحة كلمة جامعة ومعناها الدعاء الى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه
الفساد والمراد بامته هنا امة الدعوة وهم من بعث اليهم من مسلم وكافر
ولا شك انه صلى الله عليه وآله امر بالنصح لهم عامة فما قصر بل بالغ في النصيحة لهم
امرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر ودفع عنهم المضار واحسن لهم الخلق ودعاهم
بالمعذرة على جهلهم وبذل لهم المعروف فقبل نصيحته من قبل وصد عنها من خذل
اللهم فصل عليه اكثر ما صليت على احد من خلقك الفاء فصيحة كما مر اي اذا
كان الامر كذلك فصل من لا من جهة استحقاق ولما كان الجزاء من الحكيم العدل
ينبغي ان يكون مناسبا للفعل المجزي عنه طلب ما يناسبه من الجزاء واكثر نائب
عن المصدر في الانتصاب على المفعول المطلق وما مصدرية والاصل فصل عليه
صلاة مثل اكثر صلواتك على احد من خلقك فحذف الموصوف وهو صلاة ثم المضاف
وهو مثل ووضع [illegible] نعتا للنكرة وان اضيف لمعرفة لانه لم يكتسب التعريف
لتوغله في الابهام **وآته عنا افضل ما آتيت احدا من عبادك** آتيته كذا اي اعطيته
اعطيته ومنه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة اي يعطون ما اعطوا
وافضل منصوب على المفعول به والاصل وآته مثل افضل ما آتيت فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وما موصولة او موصوفة ومفعول آتيت محذوف
اي افضل الذي آتيته او افضل شئ آتيته واجيد الصلة وحذفا بدلت الواو
همزة ويقع على الذكر والانثى وفي التنزيل يا نساء النبي لستن كاحد من النساء
واجزه عنا افضل واكرم ما جزيت احدا من انبيائك عن امته جزاه الله خيرا
اي اعطاه جزاء ما اسلف من طاعته وجزيته على فعله اذا فعلت معه ما يقابل
فعله وعن في الموضعين للبدلية اي بدلنا وبدلا منه مثلها في قوله تعالى
لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي بدل نفس وفي الحديث صومي عن امك اي بدلها ولما

كان احسان

كان احسان الرسول صلى الله عليه وآله على امته عظيما وكان جزاء الاحسان
احسانا بنص هل جزاء الاحسان الا الاحسان وكانت الامة عاجزة عن
جزاء احسانه العظيم لا جرم انها فزعت بالتوسل الى من هو على كل شئ قدير
في طلب جزائه عنها والمراد من الاكثر صلوات وافضل ما تعطيه واكرم جزائه
ما جل وعظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لذلك ثم هذه
الاعتبارات وان اختلفت مفهوما لكنها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب
زيادة كماله عليه وآله وقربه من الله تعالى اذ مراتب استحقاق نعم الله تعالى غير
متناهية **انك انت المنان بالجسيم الغافر للعظيم** المنان من ابنية المبالغة
كالوهاب الغفار وهو من المن بمعنى العطاء والانعام لا من المنة بمعنى الاعتداد
بالصنيعة قال في النهاية كثيرا ما يرد المن في كلامهم بمعنى الاحسان الى
من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه والجسيم صفة مشبهة من جسم بالضم
بمعنى عظم جسمه ثم استعمل في كل عظيم مجازا قال الزمخشري في الاساس
ومن المجاز امر جسيم وهو من جسيمات الخطوب والغافر من الغفر بمعنى
الستر ثم اطلق على الصفح عن الذنب يقال غفر الله له غفرا من باب
ضرب وغفرانا صفح عنه والمغفرة اسم منه وموصوفا الجسيم والعظيم
محذوفان اي المنان بالعطاء الجسيم والغافر للذنب العظيم وانت
ضمير فصل اتي به للتخصيص اي ان كثرة المنة بالجسيم والغفران
للعظيم مقصوران عليك لا يتجاوزانك الى غيرك وهذا تعليل لطلب
الاكثر من الصلوة والافضل من الايتاء والاكرم من الجزاء اذ كان تعالى
بالغا غاية المن والاحسان لا يتكاده عظيم انعام وامتنان وان منع
من اجابة هذا الدعاء وتحقيق هذا المطلب وقبول هذا التوسل عظيم ذنب

فهو الغافر للعظيم من الذنوب وان كان قطيعا فيقتضى ان الله يغفر الذنوب
جميعا وانت ارحم من كل رحيم استعطاف وترقب للرحمة لقبول
الدعاء لاحوال مغفرته مبسوطا للمذنبين وفيض رحمته معد للعالمين
فلا تبلغ عظم رحمته رحمة احد فانى رحمة منه كيف وهو الذى سبقت رحمته
غضبه ووسعت رحمته كل شيء ما لكل طالب طلبه فصل على محمد واله الطيبين الطاهرين
الاخيار الانجبين اعاد طلب الصلوة عليه صلى الله عليه واله لقصد الاهتمام
بشانه والمبالغة في الدعاء له والتعظيم لجنابه صلى الله عليه واله ولتكون
الصلوة عليه وعلى آله خاتما للدعاء فيكون ختامه مسكا ولاشراك
آله في الصلوة عليه لكانت الصلوة الاولى مخصوصة به صلى الله عليه وآله
وفيه تعليم انه ينبغي ذكر الآل معه في الصلوة بل ورد في بعض الاخبار
ما يدل على وجوب ذلك وهو ما رواه ثقة الاسلام في الكافي باسناده
الى ابى عبد الله عليه السلام قال سمع ابى رجلا متعلقا بالبيت وهو يقول
اللهم صل على محمد فقال له ابى لا تبترها لا تظلمنا حقنا قل اللهم
صل على محمد واهل بيته فهي قسمة من البتر وهو قطع الشيء قبل تمامه
وعده ذلك ظلما ولا شك في ان ظلم اهل البيت عليهم السلام حرام
والاحتياط طاهر وطاب الشيء يطيب اذا لذ للحاسة والنفس فاصل الطيب
ما تستلذه الحواس والنفوس والطيب من الناس من تزكى عن نجاسة الجهل
والفسق وتحلى بزينة العلم ومحاسن الافعال والطهارة النقاء من الدنس
والنجس والطاهر النقي منهما وفي اصطلاح ارباب العرفان الطاهر من عصمه الله
عن المخالفات وهو ينقسم الى طاهر الظاهر وهو من عصمه الله عن المعاصي
والى طاهر الباطن وهو من عصمه الله عن الوسواس والهواجس وطاهر السر

وهو من لا يذهل عن الله طرفة عين وطاهر السر والعلانية وهو من قام
بتوفية حقوق الحق والخلق جميعا لسعته برعاية حقوق الجانبين ولا
خفاء في ان المراد بها هنا ما يعم جميع هذه الاقسام والاخيار جمع خير مخففا
كعين واعيان او جمع خير مشدد كالكيس والاكياس وهما بمعنى واحد اي
كثير الخير وقيل المخفف في الجمال والميسم والمشدد في الدين والصلاح
والاول هو الاشهر قال الجوهري رجل خير وخير مشدد ومخفف والانجبين
جمع الانجب تفضيل من نجب بالضم نجابة اذا صار نجيبا اي كريما فاضلا
في الحسب وهذه النعوت لهم عليهم السلام عين الحق ونفس الواقع كيف لا
وهم الذين قال الله تعالى في شانهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت ويطهركم تطهيرا وما احسن واصدق ما قال الجاحظ فيهم
هم سنام العالم وصفوة الامم وغرة العرب ولباب البشر ومصاص
بني آدم وزينة الدنيا وحلية الدهر والطينة البيضاء والمغرس المبارك
والنصاب الوثيق ومعدن المكارم وينبوع الفضائل واعلام العلم
وايمان الايمان صلوات الله عليهم اجمعين والحمد لله رب العالمين
يقول مؤلفه عفا الله عنه هذا آخر الروضة
السادسة من رياض السالكين في شرح صحيفة
سيد العابدين وفق الله لاتمامه
وشفع حسن ابتدائه بحسن
ختامه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله دافع كل مهمة ورافع كل ملمة والصلوة على نبيه كاشف الغمة وعلى آله الهداة الائمة وبعد فيقول العبد علي صدر الدين المدني بن احمد نظام الدين الحسيني الحسني انالهما الله من فضله السني هذه الروضة السابعة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء السابع من ادعية صحيفة سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين آمين

وكان من دعائه عليه السلام اذا عرضت له مهمة او نزلت به ملمة وعند الكرب

عرض للشيء يعرض من باب ضرب اى ظهر وعرض له خطب اى اعترض من قولهم سرت فعرض لي في الطريق عارض من جبل ونحوه اى مانع يمنع عن المعنى واعترض لي بمعناه وفي المحكم العرض محركة والعارض الآفة تعرض في الشيء وعرض له الشك ونحوه من ذلك والمهم والمهمة الامر الشديد والحالة الشديدة من اهمه الامر اذا اقلقه واحزنه واوقعه في الهم والملمة النازلة من نوازل الدهر من الالمام وهو النزول يقال الم به اى نزل به والكرب الغم الذي يشتد على صاحبه مقدمة لا في استحباب الدعاء عند نزول البلاء ففي الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام اذا اشتد الفزع فالى الله المفزع وروى ثقة الاسلام في الصحيح عن ابي الحسن موسى عليه السلام ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عز وجل الدعاء الا كان كشف ذلك وشيكا وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء الا كان ذلك البلاء طويلا فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل وفي الحسن عن ابي عبد الله عليه السلام هل تعرفون طول البلاء من قصره قلنا لا قال اذا الهم احدكم الدعاء عند

البلاء فاعلموا ان البلاء قصير وفي الصحيح عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال الدعاء لله والطلب الى الله يرد البلاء وقد قدر وقضي ولم يبق الا امضاؤه فاذا دعي الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفه فائدة روى ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال اذا نزلت برجل نازلة او شديدة او كربه امر فليكشف عن ركبتيه وذراعيه وليلصقهما بالارض وذراعيه وليلصقهما بالارض وليلزق جؤجؤه بالارض ثم ليدع بحاجته وهو ساجد قلت رايت بخط بعض علمائنا المعتبرين ان ذلك مجرب في كشف الكرب شيكا واما الادعية في هذا المعنى فكثيرة جدا وقد عقد لها في الكافي بابا وفي جنن سنن الدعوات ما فيه كفاية ان شاء الله تعالى قال سيد العابدين وامام الساجدين صلوات الله وسلامه عليه يا من تحل به عقد المكاره ويا من يفثا به حد الشدائد ويا من يلتمس منه المخرج الى روح الفرج حل العقدة من باب قتل نقضها فانحلت والعقد جمع عقدة بالضم كغرفة وغرف وهي موضع العقد الذي يظهر فيه حجم والعقد الشد والمكاره جمع مكره بفتح الميم وهو ما يكرهه الشخص ويشق عليه وهو في الاصل مصدر بمعنى الكره بالفتح وهو المشقة قال في الاساس لقيت دونه كرائه الدهر ومكارهه وجئته على كره وبكره وفي الكلام استعارة مكنية تخييلية شبه في نفسه الصفات من المكاره بالاشياء المعقدة بجامع الالتواء والصعوبة وقيل عليها باثبات العقد التي هي من خواص المشبه به وهو المعقدات وهذا هو التخييل لتخييل المشبه من جنس المشبه به وفثأ الغضب ونحوه من باب منع سكنه وكسره وحد كل شيء حدته وسورته والشدائد ما اشتد من الخطوب والباء في الموضعين للاستعانة والتمست الشيء طلبته والمخرج مصدر ميمي بمعنى المخلص يقال

وجدت للامر مخرجا اى مخلصا ومنه قوله تعم ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى
مخلصا من غموم الدنيا والآخرة والروح بالفتح الراحة والفرج بفتحتين اسم من فرج
الله الغم بالتشديد كشفه **ذلت لقدرتك الصعاب وتسببت بلطفك**
الاسباب ذل ذلا من باب ضرب اى ضعف وهان والاسم الذل بالضم والصعاب
جمع صعب كسهم وسهام وصعب الشئ من باب كرم اى عسر وهى صفة لمحذوف
اى الامور الصعاب وقدرته تعا تعود الى اعتبار كونه مصدر الاثارة وذل
الصعاب لها يعود الى انفعالها عنها وسطا وعنها لها وخضوعها فى رق الجريان
على وفق القضاء ولطفه تعا قيل هو اجراء القضاء على وفق الارادة وايصال
نفع فيه دقة وقيل هو عبارة عن تصرفه فى الذوات والصفات تصرفا خفيا
بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها وقيل هو عبارة عن علمه تعا بدقائق
المصالح وغوامضها وما دق منها ولطف ثم ايصاله لها الى المستعد بالرفق
دون العنف واما المعنى العرفى المشهور وهو ما يقرب به العبد من الطاعة
ويبعد من المعصية فليس مرادا هنا والاسباب جمع سبب وهو اسم لما يتوصل
به الى شئ ومعنى تسبب الاسباب بلطفه تعا صيرورتها اسبابا بخفى تصرفه
واعداده لها حتى صارت اشياء يتوصل بها الى المسببات وهذا معنى ما
ورد فى بعض الادعية ايضا يا مسبب الاسباب من غير سبب **وجرى بقدرتك**
القضاء ومضت على ارادتك الاشياء جرى يجرى خلاف وقف
واصله من جريان الماء وهو سيلانه والقضاء يحتمل ان يراد به هنا الامور
المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اى مقضية ويحتمل ان يراد به الامر والحكم
والخلق على وفق التقدير الازلى ويحتمل ان يراد به ابداعه سبحانه لصور
الموجودات الكلية والجزئية التى لا نهاية لها من حيث هى معقولة فى العالم

العقلى وهو المسمى القضاء الازلى وقد يعبر عنه بسطر ما كان وما يكون
فى اللوح المحفوظ بالقلم الالهى ومضى الامر مضيا نفذ اى نفذت على وفق
ارادتك الاشياء والمراد مضيها ونفاذها على وفق ارادته سبحانه اما من
وجودها على غاية السرعة بلا تخلف ولا تلكؤ ولا تطول بل يكون كلمح البصر كما
قال تعا وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر واما توجهها الى جهتها على وفق ارادته
تعا بوفق الحكمة الالهية كلا منها الى غايته بحيث لا يتعداها ولا يقصر عنها
وهذا كقول امير المؤمنين عليه السلام فى خطبة له قدر ما خلق فاحسن تقديره ودبره
فالطف تدبيره ووجهه لجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء
الى غايته ولم يستصعب اذ امر بالمضى على ارادته وكيف وانما صدرت الامور
عن مشيته **فهى بمشيتك دون قولك مؤتمرة وبارادتك دون نهيك**
منزجرة ائتمر امره فائتمر اى امتثل الامر وزجره فانزجر اى نهيته فانتهى والمراد
بمشيته ارادته تعا هنا علمه بما فى وجود الاشياء من الحكمة والمصلحة ودون
هنا اما بمعنى قبل اى هى بمجرد مشيتك وارادتك لا يتمارها وانزجارها قبل
قولك ونهيك مؤتمرة ومنزجرة فيكون المراد بقوله ونهيه كلامه المحدث
الذى هو عبارة عن خلق اصوات مخصوصة فى جسم يجعلها دليلا على انه
تعا مريد لشئ او كاره له واما بمعنى عند اى هى بمشيتك عند قولك مؤتمرة
وبارادتك عند نهيك منزجرة فيكون القول والنهى عبارة عن حكم قدرته
الالهية على الاشياء بما يريد منها من ايتمار وانزجار كما فى قوله تعم انما امره اذا
اراد شيئا ان يقول له كن فيكون اذ المراد بقوله كن حكم قدرته الازلية عليه
بالكون ووجوب الصدور عن تمام مؤثريته من غير لفظ ولا نطق كما ورد فى
الحديث وعليه عامة المفسرين وحاصل المعنى ان طاعة كل شئ له سبحانه ليس متوقفا

كالاعلى تعلق الارادة بها وربوب المشية هنا بالهمزة و بدو نها والاصل الهمزة وحذفها للتخفيف كما مر بيانه في الروضة الاولى انت المدعو للمهمات وانت المفزع في الملمات لا يندفع منها الا ما دفعت ولا ينكشف منها الا ما كشفت فزع اليه لجاء والمفزع الملجاء والمستغاث به وتعريف المسند هنا بلام الجنس لافادة القصر تحقيقا باعتبار تقييده بالظرف اذ ليس غيره تعالى مدعو للمهمات ولا مفزعا في الملمات وان دعى غيره لها وفزع اليه فيها فهو جهل محض او شرك خفي وصيغ على ان دعاه سبحانه عند نزول الملمات والفزع اليه حين حلول المهمات دون غيره امر فطري كما قال تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقال تعالى قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون وفي احاديث اهل البيت عليهم السلام ان معنى الله هو الذي يتاله اليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه وتقطع الاسباب من جميع ما سواه وقال رجل للصادق عليه السلام يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو فقد اكثر علي المجادلون وحيروني فقال له يا عبد الله هل ركبت سفينة قط قال نعم قال فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك قال نعم قال فهل تعلق قلبك هنالك ان شيئا من الاشياء قادر على ان يخلصك من ورطتك قال نعم قال الصادق عليه السلام فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لا منجي وعلى الاغاثة حيث لا مغيث ودفعت الشيء دفعا من باب منع نحيته فاندفع هو وكشفه كشفا من باب ضرب فانكشف والمعنى ان اندفاع شيء من المضار لا يكون الا بقدرته تعالى لا بما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره كما قال سبحانه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير

بي ساقد ينتظر حمله م

وقد نزل بي يا رب ما قد تكأدني ثقله والم بي ما قد بهظني حمله تكأده الامر تكاؤدا على تفاعل وتفعل صعب عليه وشق ومنه عقبة كؤود والثقل كعنب ضد الخفة ويسكن للتخفيف ثقل ككرم ثقلا وثقالة فهو ثقيل والم الرجل بالقوم الماما اتاهم فنزل بهم وبهظه الحمل بهظه من باب منع اثقله وعجز عنه وهذا امر باهظ اي شاق استعار الثقل والحمل اللذين هما حقيقة في الاجسام لشدة ما حل به تحقيقا لمعنى المشقة التي نالته منه والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة وانما تعرض عليه السلام لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال لتحريك سلسلة الاجابة باظهار ان ما نزل به من الشدائد الذي بلغ به حد الاضطرار ربما قطعه قبل بلوغ غاية الكمال او المعنى بامر رباني بالعلم والولاية وسائر الكمالات فظهر صار كانما فعل عند نزول هذه المنازل والمام هذا الملم وهو تمهيد لاستكشافه واستدعاء الرحمة واستجلاب المرافقة مع اظهاره لتمام الاضطرار وشدة الافتقار وبقدرتك اوردته علي وبسلطانك وجهته الي السلطان قدرة الملك فهو اخص من مطلق القدرة ولما كانت الامور كلها مربوطة باسبابها تحت تصريف قدرته تعالى واسبابها القريبة منتهية اليه سبحانه صرح عليه السلام بان ما نزل به من المكروه انما هو بايراده وتوجيهه تعالى اليه بقدرته وسلطانه قطعا

للتطوعين منه في جميع احواله وتوجهها الى قبلة الحقيقة فلا مصدر
لما اوردت ولا صارف لما وجهت ولا فاتح لما اغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا
ميسر لما عسرت ولا ناصر لمن خذلت الاصدار خلاف الايراد تقول اصدرت
القوم اذا صرفتهم والابل صرفتها بعد الايراد والفاء للسببية كما
هو ظاهر اى فلا احد يصدر ما اوردت على طريق نفي الجنس لينفي جميع
افراد المصدر ذاتا وصفة ولو قيل فلا يصدر احد لدل على نفي
الصفة فقط وحاصل هذه الفقرات الامر كله لك فلا راد لقضائك
ولا دافع لبلائك لكنه عليه السلم بسط الكلام حيث الاصغاء مطلوب
وفي هذا المعنى من القرآن المجيد ان ينصركم الله فلا غالب لكم
وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل
المؤمنون ثم لما اعد نفسه عليه السلم بهذه الاقرارات لقبول
الوحي شرع في المطلب فقال فصل على محمد وآله وافتح لي يا رب باب الفرج
بطولك واكسر عني سلطان الهم بحولك بدأ بسؤال الصلوة
على النبي وآله عليهم السلام لان الله تعالى اكرم ان يسأل حاجتين فيقضي
احديهما ويمنع الاخرى كما ورد عن امير المؤمنين عليه السلم وقد ذكرنا
الحديث بلفظه فيما تقدم والتعرض لوصف الربوبية المبنية
على رعاية ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلم مع
لباب الاجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يجاب
فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه الحسنى والامثال العليا واستعار
لفظ الباب لسبب الفرج ورشحه بذكر الفتح وهي استعارة مكنية تخييلية
وكذلك استعار لفظ السلطان لغلبة الهم ورشحه بذكر الكسر وذكر

القوم

القوم بمعنى عزمتهم والطول بالفتح الفضل والمنة والمعنى والسعة و
الحول القدرة على التصرف وانلني حسن النظر فيما شكوت واذقني حلاوة
الصنع فيما سألت انا له اى اعطاه والاسم النوال بالفتح وحسن
النظر كناية عن كمال الاعتناء ومزيد الاحسان في حق من يجوز عليه
النظر لان من اعتنى بانسان التفت اليه واعاد نظر عينيه ثم
كثر حتى صار عبارة عن الاعتناء والاحسان وان لم يكن ثمة
نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما
وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وانما لم يجعل كناية فيه ايضا
لان الكناية يعتبر فيها صلوح ارادة الحقيقة وان لم ترد كما قرر في
محله من العلم البيان واستعار لفظ الحلاوة التي هي حقيقة في كيفية
المخصوصة للاجسام لما يوجد من انبساط النفس بسبب صنعه تعالى
اى معروفه والجامع اللذة ورشحه بذكر الاذاقة التي هي من خواص
المشبه به تخييلا لان الذوق هو ادراك طعم الشيء بواسطة الرطوبة
المنبثة بالعصب المفروش على عضل اللسان وهو من خواص الاجسام
ومفعولا شكوت وسألت محذوفان اى شكوته وسألته وكثيرا حذف
المفعول اذا كان ضميرا عائدا على الموصول نحو هذا الذي بعث الله
رسولا وهب لي من لدنك رحمة وفرجا وهنيئا واجعل لي من عندك مخرجا
وحيا كلا الجارين في كل من الفقرتين متعلقان بالفعل قبلهما
ويجوز تعلق الثاني منهما بالمحذوف هو حال من المفعول اى رحمة كائنة
من لدنك ومخرجا كائنا من عندك ومن لابتداء الغاية المجازية ولذلك
صح تعاقب لدن وعند كما في قوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من

لدنا علمنا فلو جعل معبد فيهما او بلدن لصح ولكن ترك دفعا للتكرار وتفارق
لدن عند بانها لا تقع في غير محل ابتداء فلا تقول كنت لدنه كما تقول كنت عنده
وبانها لا تقع الا فضلة بخلاف عند بدليل وعندنا كتاب حفيظ وبانها مبنية وعند
معربة وتنكير رحمة للتعظيم اى رحمة واسعة عظيمة تغنى بها عن جميع المهمات
والملمات وتاخير المفعول الصريح في الفقرتين عن الجارين للاعتناء بالمقدم
وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده
لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع فاذا اوردها تتمكن عندها فضل تمكن
واذا وقع مثل ذلك في الدعاء كانت نفس الداعي اكثر توجها الى الطلب و
اشد اقبالا على المطلب في الوجه روح العبادة وهيئا فعيل من هنؤ الشئ
بالضم مع الهمزة هناءة بالفتح والمد اى تيسر من غير مشقة ولا عناء ويجوز
الابدال والادغام والوحى كالسريع وزنا ومعنى فعيل بمعنى فاعل من الوحا
بالقصر والمد وهو السرعة **ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك واستعمال**
سننك الاهتمام هنا من همه الامر فاهتم اى حزنه واقلقه فعلى
لا من اهتم بالشئ بمعنى امر به وتعاهد الشئ وتعهده اى حفظه وتفقده
وحقيقته تجديد العهد به اى لا تشغلني بالهم والحزن عن المحافظة على وظائف
الفرائض والاتيان فيها على الوجه الاكمل وعن القيام بالنوافل والاتيان بالسنن
والاداب في الذكرى وقد تترك النافلة لعذر ومنه الهم والغم لرواية
علي بن اسباط ان عدة ان الكاظم عليه السلام سئله اذا اغتم وقد يفرق بينهما بان
الغم لما مضى والهم لما ياتى انتهى وعن امير المؤمنين عليه السلام ان للقلوب اقبالا
وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض
قال شارحوا كلامه عليه السلام اراد بالاقبال الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه

فقد ضقت لما نزل بي يا رب ذرعا وامتلات بحمل ما حدث علي هما
ذرعا وهما منصوبان على التمييز وكل منهما رافع لاجمال النسبة قال الجوهري
ضقت بالامر ذرعا اذا لم تطقه ولم تقو عليه واصل الذرع انما هو بسط اليد
فكانك تريد مددت يدي اليه فلم تنله انتهى وقال الازهري الذرع يوضع
موضع الطاقة واصله ان البعير يذرع بيده اى يمدها في سيره على قدر
سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع
عبارة عن قلة الوسع والطاقة وقال الزمخشري في الفائق الذراع الخارج
من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قولهم ضاق به ذرعا
قصرها كما ان سعتها وبسطها طولها الا ترى الى قولهم هو قصير الذراع والباع
والبد ومديدها وطويلها في موضع قولهم ضيقها وواسعها ووجه التمثيل
بذلك ان القصير الذراع اذا مدها ليتناول الشئ الذي يتناوله
طالب ذراعه تقاصر عنه وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذي
سقطت طاقته دون بلوغ الامر والاقتدار عليه انتهى وقال ابن
الانباري ان اصله من ذرع فلانا القئ اذا غلبه وسبقه فمعنى ضاق
ذرعه اى ضاق عن حبس المكروه في نفسه وقال بعضهم هو من الذرع
بمعنى المساحة وكانه قدر البدن مجازا اى ان بدنه ضاق قدره عن احتمال
ما وقع فيه وقيل يحتمل ان يكون ضيق الذرع عبارة عن انقباض
الروح فعند ذلك تجتمع اعضاء الانسان وتقل مساحتها قال الجوهري
لم اجد احدا ذكر في اصل الذرع احسن مما ذكره الازهري وعدى حدث
بعلى دون اللام ايذانا بما في الحادث من المشقة حتى كانه علاه فخضع هو له
قال ابن جني قد تستعمل على في الافعال الشاقة المستثقلة تقول قرات

القرآن و بقيت على منه سورتان و قد صمنا عشرين من الشهر و بقيت
علينا عشرة و سرنا عشرا و بقيت علينا ليلتان وانما اطردت على في هذه
الافعال من حيث كانت هذه الاحوال كلفا و مشاق تخفض الانسان و تضعه
و تعلوه و تفزعه حتى تخضع لها و تخنع لما يبتداه منها فكان ذلك من
مواضع على الا ترى انهم يقولون هذا لك و هذا عليك فتستعمل اللام
فيما يوثره و على فيما يكره **وانت القادر على كشف ما منيت به و دفع ما وقعت**
فيه المعرف لافادة القصر تخفيفا اى انت القادر لا غيرك على كشف
ما ابتليت به يقال منوته و منيته اذا ابتليته و منى بكذا بالبناء للمفعول
ابتلى به و وقعت فيه اى سقطت من وقع الشئ بمعنى سقط او حصلت
فيه من وقع الصيد فى الشرك اذا حصل فيه و الظرفية مجازية **فافعل بى ذلك**
وان لم استوجبه منك يا ذا العرش العظيم ذلك اشارة الى كشف ما منى له و دفع
ما وقع فيه و استوجب الشئ استحقه وان هذه هى التى يسميها اكثر المتأخرين
وصلية و قد استوفينا الكلام عليها فى اوايل الروضة الثانية فلا وجه
لاعادة و العرش يطلق على معنيين احدهما المحيط و ثانيهما الجسم المحيط
لجميع الاجسام سمى به لارتفاعه ولا جسم ثمة و لذلك وصف بالعظم
و فى الحديث عن ابى عبد الله عليه السلام كل شئ خلق الله فى جوف الكرسى ما خلا
عرشه فانه اعظم من ان يحيط به الكرسى و عنه عليه السلام الكرسى عند
العرش كحلقة فى فلاة و فى و عن ابى الحسن عليه السلام العرش اسم علم و قدرة
و عرش فيه كل شئ اى العرش اسم علم محيط بجميع الاشياء و اسم قدرة نافذة
فيها و اسم جسم فيه كل شئ و هو الفلك الاعظم و عن ابى عبد الله عليه السلام عن
ابيه عن جده عليهم السلام قال ان بين القائمة من قوائم العرش و القائمة الاخرى

خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام و ورد عنه عليه السلام فى تفسير قوله
عليه السلام و هو رب العرش العظيم انه الملك العظيم و وجه حسن الخاتم لهذا
الدعاء بهذا الوصف انه لما قال عليه السلام وانت القادر على كشف ما منيت به
مع ما تقدم من الاقرار بان الامر كله له ختم الدعاء
بما يشعر و يقرر بان جميع الاشياء تحت حيطة
قدرته و علمه اذ هو ذو العرش العظيم المحيط بكل
شئ فيحيط بكل ما تراه و يعلم صدق شكايته
و حاله اضطراره و هو قادر على
كشف ما به فيكشفه لانه الذى
يجيب المضطر اذا دعاه و
يكشف السوء عنه
رجاه والله
اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستعاذ به من مكاره الخصال وسيء الاخلاق ومذام الافعال و
الصلوة والسلام على نبيه المنزه عن كل مذمة في المقال والفعال وعلى
اهل بيته المقتدين به والمقتدى بهم في جميع الاحوال وبعد فهذه
الروضة الثامنة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الثامن من
ادعية صحيفة سيد العابدين املاء العبد الفقير الى ربه الغني علي صدر
الدين بن احمد نظام الدين الحسيني الحسني وفقه الله للعمل في يومه لغده قبل
خروج الامر من يده وكان من دعائه عليه السلام في الاستعاذة من المكاره وسيء الاخلاق
ومذام الافعال استعذت بالله استعاذة واستعواذا على استفعال
نقلت حركة العين الى الفاء الساكنة قبلها وقلبت العين الفا وحذفت
لالتقاء الساكنين وعوضت تاء التانيث عنها وقس على ذلك كل مصدر لاستفعل
معتل العين وجاء تنبيها على الاصل استحوذ الشيطان استحواذا بالتصحيح والمراد
بالمكاره ما يكرهه الانسان وقد تقدم الكلام على هذا اللفظ في اول الروضة
التي قبل هذه وعطف سيء الاخلاق ومذام الافعال عليه من عطف الخاص على
العام والاخلاق جمع خلق بالضم قال الراغب الخلق بالضم يقال في القوى
المدركة بالبصيرة والخلق بالفتح في الهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر
وعرف الخلق بالضم بانه هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة
فان كان الصادر عنها الافعال القبيحة سميت الهيئة خلقا سيئا وانما قيل انه هيئة
راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء
ما لم يثبت ذلك في نفسه وكذلك من تكلف السكوت عند الغضب بجهد او روية
لا يقال خلقه الحلم وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما

لفقد المال

٢٤٤

لفقد المال او لمانع وآخر خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رياء وربما اطلقوا
الخلق على اسماء انواعه نحو العفة والعدالة والشجاعة فان ذلك يقال للهيئة
والفعل جميعا والافعال جمع فعل وهو الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب
التأثير كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعا فان احتاج الفاعل الى تحريك
عضو سمي الفعل علاجيا كالضرب والشتم والا فغير علاجي كالعلم والظن
هداية الافعال تنقسم الى قسمين ما يستحق به فاعله الذم واللوم وما لا يستحق به
ذلك وبيانه ان الافعال ضربان ارادي وغير ارادي فالارادي ضربان ضرب
عن روية وضرب لا عن روية اما الذي عن روية فبالنفس الناطقة وهي لا تختار ابدا الا
الافضل والاصلح وما هو خير وهذا يستحق به الحمد ابدا واما الذي بالقوة
الغضبية وهو دفع ما يضر او القوة الشهوية وكل منهما اذا كان بقدر ما
ما يوجبه العقل يستحق به الحمد واذا كان زائدا او ناقصا يستحق به الذم والذي
عن غير روية ضربان احدهما ما يفعله في نفسه والثاني ما يفعله
بغيره وكل واحد منهما ضربان نفع وضر فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق
به الحمد والشكر معا وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم وما قصد
به ضر غيره فقد يستحق به الذم واللوم وغير الارادي ثلاثة اضرب الاول
ان يكون قسريا وهو ما يكون مبداه من خارج ولا يكون من فاعله معونة نحو
من دفعته ريح فسقط على انية فكسرها فلا ذم ولا لوم في هذا بوجه
والثاني ان يكون الجائيا كمن اكرهه السلطان على ان يفعل فعلا ما وهذا
متى كان الملجأ اليه ليس بجد قبيح والسبب الملجئ اليه عظيما لا يستحق من يكبه
الذم كمن يوضع على رقبته السيف فيهدد بالقتل ان لم يتكلم بكلام قبيح و
كلاهما يقال له الاكراه والثالث الخطأ وهو ما يكون مبدؤه من صاحبه وهو

نوعان احدهما ما تولد من فعل وقع منه وله ان يفعله كمن يرى هدفا فاصاب
انسانا وهذا لا يلحق به ملامة ما لم يقع من صاحبه تقصير في الاحتراز والثاني
ما يتولد من فعل ليس له ان يفعله كمن شرب فسكر فحمله السكر على كسر اناء او
ضرب انسانا فهذا ارتكب محظورا ادى به الى وقوع ذلك منه وهذا يستحق
الذم واللوم معا فالضرب الاول يقال فيه اخطا فهو مخطئ والثاني يقال فيه
خطئ فهو خاطئ ولهذا قال اهل اللغة خطئ اذا تعمد ما نهي عنه واخطا اذا
اراد الصواب فصار الى غيره من غير عمد قال صلوات الله عليه **اللهم اني
اعوذ بك من هيجان الحرص** الباء للالصاق اي الصق اعتصامي بقوتك
او تحصني بمنعك او التجائي بحفظك وذلك تبديل اصله وهاج الشي هيجا وهيجانا
وهياجا بالكسر ثار والحرص بالكسر اسم من حرص على الشي من باب ضرب اذا رغب
فيه رغبة مذمومة قال ابن جني وهو من معنى الحارصة وهي التي تقشر وجه
الارض بمطرها وشجه حارصة وهي التي تقشر جلد الراس فكذلك الحرص كان صاحبه
ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما حرص عليه وقيل الحرص هو طلب الشي المشتهى باقصى
ما يمكن من الاجتهاد وقيل هو حالة نفسانية تنشا من الجهل بالتوكل او من ضعف
القلب لاستيلاء مرض الوهم عليه فان الوهم كثيرا ما يعارض اليقين كمن
تراه لا يبيت وحده مع ميت وهو يبيت مع علمه بان الميت ايضا جماد فتبعث
تلك الحالة على السعي التام في الاكتساب وشدة الاهتمام بجميع الاسباب وصرف
العمر والفكر في جمع المال في جميع الاوان ولا شبهة في ان ذلك لقوة
الاعتماد على الكسب والطلب وعدم الاعتماد على الله سبحانه وقيل هو فرط
الافراط في القوة الشهوية الطالبة للشهوات الدنيا واذا وقع الافراط فيها
طلب ما يضر بالدين وهذه العبارات ترجع الى معنى واحد عند التحقيق

ان بعض

ان بعض المحققين جعل الحرص عبارة عن طرف الافراط في الشهوة عقلية كانت ام
بدنية فيشتمل ما كان من امور الدنيا او من امور الدين قال فالحرص قد يكون
محمودا ولذلك قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال بعضهم
بل الحرص مطلقا مذموم لان الحرص على الدنيا يورث سخط الله والحرص [illegible]
في الدين يطيش العقل ويقطع العرض كما قال صلى الله عليه وآله ان هذا الدين
متين فاوغلوا فيه برفق ولا تكرهوا عبادة الله الى عباد الله فتكونوا كالراكب
المنبت الذي لا سفرا قطع ولا ظهرا ابقى وعلى هذا ما ورد من الامر بالاقتصاد
في العبادة في اخبار كثيرة عن صاحب الشريعة واهل بيته الطاهرين كما روى ثقة
الاسلام في الكافي بسند صحيح او حسن عن ابي عبد الله عليه السلام قال اجتهدت
في العبادة وانا شاب فقال لي ابي يا بني دون ما اراك تصنع فان الله
عز وجل اذا احب عبدا رضي منه باليسير فاذا كان الحرص في الدين مرغوبا
عنه فما ظنك به في الدنيا وهو سبب التعب والاصل الضعيف داعية الحاجة
ولقاح البخل ونتاج الجهل ومزيد الذل وملاك الهلاك روى ثقة الاسلام
في الكافي بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال ابو جعفر صلوات الله عليه مثل
الحريص في الدنيا مثل دودة القز كلما ازدادت من القز على نفسها لفا كان
ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وقد عقد هذا ابو الفتح البستي هذا المعنى فقال
المرء ان المرء طول حياته حريص على ما لا يزال يعالجه كدود كدود القز ينسج دائما
فيهلك غما وسط ما هو ناسجه وفي كلام بعض الاكابر اعلم انك ان جاوزت
الغاية في العبادة صرت الى التقصير وان جاوزتها في حمل العلم لحقت بالجهال
وان جاوزتها في رضا الناس كنت المحسور المنقطع وان جاوزتها في طلب
الدنيا كنت الخاسر المغبون والشقي المخدوع ثم الحرص في الدنيا ان كان على

القنيات قيل له الشره سواء كان مالاً او نكاحاً او طعاماً ومتى كان على النكاح
قيل له الشبق ومتى كان على الطعام قيل له النهم والجميع مذموم **فان قلت** اذا كان
الحرص من اصله مذموماً فما معنى استعاذته عليكم من هيجانه وهلا استعاذ
منه رأساً **قلت** هذا اما بناء على ان من الحرص ما يكون محموداً كما قال لعم حريص
عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فاستعاذ من غلبة المذمومة واما من باب نفي الشيء
بنفي لازمه او ما يجري مجراه قصداً الى نفيه ونفي ملزومه معاً اذ معنى الاستعاذة
بالله من شيء الالتجاء به في دفع ذلك الشيء المستعاذ منه فيعود الى طلب نفيه عن
المستعيذ فيكون الغرض من طلب نفي هيجان الحرص طلب نفيه فلا يكون له عرض فيكون
له هيجان ومن شواهده قول الشاعر ، من اناس ليس في اخلاقهم ، عاجل الفحش
ولا سوء الجزع اي لا فحش ولا جزع اصلاً فلا عاجله ولا سوء **وسورة الغضب**
سورة الشيء بالفتح حدته وتأتي بمعنى البطش ايضاً قال الزبيدي السورة الحدة
والسورة البطش وارادة هذا المعنى هنا ايضاً صحيح والغضب قيل تغير يحصل
عند غليان دم القلب لشهوة الانتقام وقيل هو هيجان النفس لارادة الانتقام و
قال الراغب قوة الغضب متى تحركت تحرك دم القلب فتولد منه ثلث احوال
وذلك انها اما ان تتحرك على من فوقه او على من دونه او على نظيره فان كان
ذلك على من فوقه ممن يظن انه لا سبيل له الى الانتقام منه تولد منه انقباض
الدم وذلك هو الحزن وان كان على من دونه او على نظيره فان كان ذلك على من
فوقه ممن يظن انه لا سبيل له الى الانتقام منه تولد منه انقباض الدم وذلك
هو الحزن وان كان على من دونه ممن يظن ان سبيلاً الى الانتقام منه تولد منه
ثوران دم القلب ارادة للانتقام وذلك هو الغضب وان كان على نظيره
ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد تردد الدم بين انقباض وانبساط

وذلك

وذلك هو الحقد ولكون الحزن والغضب بالذات واحداً واختلافهما بالاضافة
قال ابن عباس وقد سئل عنهما مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى
عليه اظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه كتمه حزناً وقال بعض العلماء ان الله
تعالى خلق الغضب من النار وقرره في الانسان وعجنه في طينته فاذا تحركت قوة
اشتعلت نار الغضب في باطنه وثارت ثوراناً يغلي به دم القلب كغلي الحميم وينتشر
في العروق ويرتفع الى اعالي البدن والوجه كما يرتفع الماء الذي في القدر فلذلك
يحمر الوجه والبشرة وفي الحديث ان الغضب جمرة في قلب ابن آدم الا ترون
الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه ومهما اشتدت نار الغضب وقوي اضطرامها
اعمى صاحبه واصمه عن كل موعظة ويطفئ نور عقله فلا يؤثر فيه
نصح ولا وعظ وربما قويت نار الغضب فافنت الرطوبة التي بها الحياة فيموت
صاحبه غيظاً او يفسد مزاج دماغه لغلبة الحرارة الصاعدة اليه فيموت
هذه ثمرة الغضب المفرط ولذلك ورد في ذمه من الاخبار والآثار ما لا
يكاد يحصى غير انه ينبغي ان يعلم ان الغضب لا يجب ابطاله من الاصل
بل ربما يحسن تحصيله وتهييجه لمكانه من حفظ الذمار وجهاد الكفار وانكار
المنكرات والاخذ على يد الشهوات وهو بمنزلة كلب الصيد يراض ويعلم
ويؤدب ويقوم ليهيج باشارة المكلب واشلائه الى القنيص الحلال فكذلك
الغضب انما رياضته في تأديبه حتى ينقاد للعقل ولا يستعصي على الشرع
بل يهيج باشارتهما ويسكن على ارادتهما فالواجب في الغضب هو كسر سورته
واطفاء جمرته **وغلبة الحسد** الغلب والغلبة بفتحتين منهما اسم الغصب
من غلب من باب ضرب غلباً اي قهر واضافتهما الى الحسد من باب الاضافة الى
الفاعل اي واعوذ بك من ان يغلبني الحسد فاكون مغلوباً ومقهوراً له والمراد

تغلبه كثرته كما قد يتوهم والحسد كراهية نعمة الغير وتمني زوالها عنه
بل هو عبارة عن فرط حرصها على استيثاره في جميع المقتنيات من ابناء جنسه
وشدة اهتمامه على ازالتها عنه وجذبها الى نفسه وقال الراغب الذي
ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره اذا كان على سبيل التمني ان يكون له مثله
فهو غبطة واذا كان مع ذلك سعى في ازالتها فهو حسد وهو الحرام المذموم والحاسد
التام هو الخبيث النفس الساعي في ازالة نعمة مستحقه من غير ان يكون طالبا
ذلك لنفسه ولذلك قيل الحاسد من يرى زوال نعمتك نعمة عليه وعنه صلى الله
عليه وآله المؤمن يغبط والمنافق يحسد فهما الغبطة وقال تعالى وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون فحثنا على التنافس اذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن وذلك كقوله
سبحانه سارعوا الى مغفرة من ربكم وعنه صلى الله عليه وآله ثلث لا
ينجو منها احد الظن والطيرة والحسد وسأخبركم بالمخرج من ذلك فاذا ظننت
فلا تحقق واذا تطيرت فامض ولا تثن واذا حسدت فلا تبغ اي اذا اصابك
غم بخير يناله غيرك فلا تبغ ازالته عنه انتهى كلام الراغب وقال بعض
العلماء الحسد يكون من اجتماع البخل والحرص والحسد شر من البخل كما ان الحقد
شر من الغضب لان البخيل انما لا يحب ان يبذل احدا شيئا مما يملكه والحسود
لا يحب ان ينال احد خيرا البتة فالحسد هو كراهيته لما وقع خيرا لمن يعتريه
ولم يسئ به وهذا هو الشر المحض والشرير مستحق للمقت من الخالق لانه معانده
في ارادته الخير ومن المخلوق لانه مبغض ظالم لهم والحسد مما لا لذة فيه ان
كان في الهوى والغضب لذة وتشف وهو مع ذلك مضر بالدين والدنيا
اما بالدين فلانه يبطل حسناته ويعرضه لسخط خالقه من قبل تسخط قضائه
وتدبيره وتجهيره ما وسع من نعمته على خلقه واما بالدنيا فلانه يسئ قوله

في الناس وخلقه في معاشهم فيكثر اعداؤه والساعون في الاضرار به
لاساءة اليه ويضر بالروح والجسد اما بالروح فلانه يذهله ويعزب
فكره ويؤديه الى طول الحزن والفكر واما بالجسد فلانه يعرض له عند
هذه الاعراض طول السهر وسوء الاغتذاء ويتبعه رداءة اللون وكمود البشرة
وفساد المزاج فكان الحسد كلا آفة ومضرة وشرا وفسادا وكان نعم العون
المستغنى المحسود من الحاسد بدوام همه وغمه ويذهل عقله ويذيب جسده
ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام الحسد آفة الجسد وقال الشاعر اصبر
على مضض الحسود فان صبرك قاتله يكفيه داء انه حتى تذوب
مفاصله كالنار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله وقد ورد في ذمه
من الاخبار ما لا مزيد عليه فعن ابي عبد الله عليه السلام ان الحسد ياكل الايمان
كما تاكل النار الحطب وعنه عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه و
آله قال الله تعالى لموسى بن عمران يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم
من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط
لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه
وليس مني والى هذا المعنى اشار من قال شعر الا قل لمن كان لي حاسدا
اتدري على من اساءت الادب اساءت على الله في حكمه لانك لم ترض
لما وهب تنبيهات الاول قال بعضهم ان الحسد مما يقتضيه الطبع وتهواه
النفس الامارة بالسوء لكن انما يؤاخذ المرء وعليه اذا عمل بمقتضاه و
الى ذلك اشار عليه السلام بقوله ان غلب الحسد فاجتهد ان لا تظهر الحسد بلسانك
وجوارحك واعمالك الاختيارية لتنجوا من الاثم وايضا جاهد نفسك و
اكره لها حبها زوال نعمة الله عن عباده فاذا اقترنت هذه الكراهة بالنا

عن باعث الدين لجبن و ال نعمة الدنی اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم
اذ لم تواخذ عما حصلت علیه طبقا انما تواخذ بما فعلته کسبا وعلامة
هذه الکراهة ان یکون بحیث لو قدرت علی معونته فی ادامة نعمته
او فی زیادتها لم تقعد عنها مع کراهتك لها فاذا کنت علی هذا لم یکن
علیك حرج مما یتقاضاه طبعك وتهواه نفسك الامارة **الثانی** قال
بعض الافاضل اذا کان لظالم او فاسق مال یصرفه فی غیر وجهه و یجعله
آلة للظلم والفسق جاز حسده وتمنی زوال ماله وهو فی الحقیقة تمنی زوال
الظلم والفسق ویشهد قرائن یزول لاجل ذلك التمنی بتوبتهما والله اعلم **وضعف**
الصبر اتفقت النسخ علی ضبط الضعف هنا بالفتح وهو یؤید قول من قال
ان الضعف بالضم فیما کان فی البدن وبالفتح فیما کان بالعقل وقد تقدم
نقل الخلاف فی ذلك والصبر قوة ثابتة وملکة راسخة بها یقتدر علی حبس
النفس علی الامور الشاقة والوقوف معها بحسن الادب وعدم الاعتراض
علی المقدر باظهار الشکوی فان الانسان مادام فی هذه النشأة کان بدنه
للمصائب والافات ومحلا للنوائب والعاهات ومکلفا بفعل الطاعات
وترك المنهمات والمشتهیات وکل ذلك ثقیل علی النفس تسع فی مذاقها
وهی تنفر منه نفارا وتتباعد عنه فرارا ولا یرکضها علیه ویثنی جماحها عنه
الا الصبر وفی الحدیث عن امیر المؤمنین علیه السلم قال قال رسول الله صلی الله
علیه وآله الصبر ثلثة صبر عند المصیبة وصبر عن المعصیة فمن صبر علی المصیبة حتی
یردها بحسن عزائها کتب الله له ثلثمائة درجة ما بین الدرجة الی الدرجة کما
بین تخوم الارض الی العرش ومن صبر عن المعصیة کتب الله له تسعمائة درجة
ما بین الدرجة الی الدرجة کما بین تخوم الارض الی منتهی العرش قال بعض العلماء

وبناؤه

بناؤه علی اربع قواعد الزهد والاشفاق والشوق وترقب الموت فمن زهد
فی الدنیا استخف بالمصیبات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن اشتاق
الی الجنة سلا عن الشهوات وطیب نفسه عن ترك المشتهیات ومن ارتقب الموت
سارع فی الخیرات وواظب علی الطاعات والایات والروایات فی مدحه
کثیرة جدا ویکفی فی معرفة سمو قدره قوله تعالی والله مع الصابرین وقوله تعالی
انما یوفی الصابرون اجرهم بغیر حساب **تنبیه** المراد بترك الشکوی
فی حد الصبر الشکوی الی غیر الله تعالی واما الشکوی الیه سبحانه فلا تقدح فی
الصبر لان الله تعالی اثنی علی ایوب علیه السلم بالصبر بقوله انا وجدناه صابرا مع
دعائه فی رفع الضر عنه بقوله انی مسنی الضر وانت ارحم الراحمین فعلمنا
ان العبد اذا دعا الله فی کشف الضر عنه لا یقدح فی صبره بل یجب الدعاء والاستکانة
له والتضرع الیه سبحانه لئلا یکون کالمقاومة مع الله ودعوی التحمل لشدائده
قال تعالی ولقد اخذناهم بالعذاب فما استکانوا لربهم وما یتضرعون والله
اعلم **وقلة القناعة** قد یعبر بالقلة عن العدم کما یقال قلیل الخیر ای لا
یکاد یفعله والقناعة اسم من قنع بالشیء قنعا من باب تعب ای رضی به وهو
قنع وقنوع واما القانع فهو السائل من قنع یقنع بفتحتین قنوعا اذا سال ومنه
قوله تعالی اطعموا القانع والمعتر فالقانع السائل من قنع یقنع والمعتر الذی یطوف
ولا یسال والی المعنیین المذکورین اشار من قال العبد حر ان قنع والحر عبد
ان قنع فاقنع ولا تطمع فما شیء یشین سوی الطمع قنع الاول بالکسر بمعنی رضی و
الثانی بالفتح بمعنی سال وعرفت القناعة فانها الرضا بالقسمة وقیل هی الرضا
بما دون الکفایة وفسرها المحقق الطوسی بعد ما عدها من الانواع المندرجة تحت
العفة الحاصلة من الاعتدال فی القوة الشهویة بانها رضا النفس فی الماکل و

والمشارب والملابس وغيرها بما يسد الخلل من اي جنس اتفق وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله قال قلت يا جبرئيل ما تفسير القناعة قال تقنع بما تصيب من
الدنيا تقنع بالقليل وتشكر على اليسير وقد ورد في شان القناعة ما لا تفي بعده
الالسن من الكتاب والسنة ما لا يحصى ويكفي في ذلك قوله تعالى ولا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم وقوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا وبالقناعة فسر الرزق الحسن في قوله تعالى ليرزقنهم الله رزقا حسنا
وبها فسرت الحيوة الطيبة في قوله عز وجل فلنحيينه حيوة طيبة وعن امير المؤمنين
عليه السلام القناعة مال لا ينفد ولا يفنى يعني ان الانفاق منها لا ينقطع كلما تعذر عليه
شيء من امور الدنيا قنع بما دونه وعن الباقر والصادق عليهما السلام من قنع بما رزقه الله
فهو اغنى الناس وبيان ذلك ان حاجات الناس كثيرة فاغناهم اقلهم حاجة لان
الغنى هو عدم الحاجة ولذلك كان الله سبحانه اغنى الاغنياء لانه لا حاجة به الى
شيء راى رجل من حاشية السلطان حكيما ياكل ما تناثر من البقل على راس ماء
فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا
لم تحتج الى خدمة السلطان وقال خالد بن صفوان بت ليلتي استمتع بالمنى فلم اجد
تقلبي على حواشي الغنى فكبست البحر الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت ما بين
كوفان الى اسيان عمارة فاخرة للناس وسارحة النعم فاذا الذي يكفيني من ذلك
رغيفان وطمران وقال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا و
شكاسة الخلق الشكاسة بالفتح اسم من شكس خلقه من باب تعب اي صعب فهو شكس
بالتسكين قال الفارابي في ديوان الادب رجل شكس الخلق اي صعب الخلق والمراد بشكاسة
وصعوبته سوءه وقد يعبر عنه بالشراسة ايضا قال في المصباح شكس شكسا فهو
شكس مثل شرس شرسا فهو شرس وزنا ومعنى قال والاسم الشراسة بالفتح وهو

سوء الخلق

سوء الخلق ايضا قال بعض العلماء شكاسة الخلق وسوءه وصف للنفس
يوجب فسادها وانقباضها وتغيرها على اهل الخلطة والمعاشرة وايذاءهم
بسبب ضعيف او بلا سبب ورفض حقوق المعاشرة وعدم احتمال ما يوافق
طبعه منهم وقيل هو كما يكون مع الخلق يكون مع الخالق ايضا بعدم تحمل ما لا يوافق
طبعه من النوائب والاعتراض عليه في قضائه واحكامه ومفاسده وآفاته في الدنيا
والدين كثيرة كما ورد عن ابي عبد الله عليه السلام من ساء خلقه عذب نفسه و
ذلك لان نفسه منه في تعب كما ان الناس منه في تعب كما يحكى ان سقراط راى
رجلا يضرب غلاما له وهو يتعدى غضبا فقال ما الذي بلغ بك هذا الذي ارى
قال اساءة هذا الغلام فقال الآن كلما جنى عليك جناية سلطته على نفسك
تفعل بها ما ارى فما اسرع ما تذهب نفسك مبددة من هذا الفعل وكان المأمون
يقول الآن كلما اساء غلام من غلماننا فعلا فسدت بها اخلاقنا ويوشك ذلك
في اخلاقنا حتى لا يبقى لنا حسنة كما لا يبقى لهم سيئة وعن الصادق عليه السلام ايضا
ان سوء الخلق ليفسد العمل وفي رواية ليفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وعنه
ايضا عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله ابى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة
قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال لانه اذا تاب من ذنب وقع في ذنب اعظم منه و
بيان ذلك ان سوء خلقه يحمله على نقض التوبة فيصير ذلك ذنبا مقرونا بذنب
آخر وهما اعظم من الاول ولجاج الشهوة لج سحاب لجاجا دام مطره ومنه
لج الرجل دام على الشيء اذا اقبل عليه مواظبا وبالغ فيه اي مبالغة الشهوة واولها
دائما والشهوة حركة النفس طلبا للملائم قيل واصعب القوى مداواة قمع الشهوة
لانها اقدم القوى وجودا في الانسان واشدها به تشبثا واكثرها منه تمكنا
فانها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان الذي هو جنسه ثم توجد فيه قوة الحمية

ثم يوجد فيه آخراً قوة الفكر والنطق والتميز ولا يصير الانسان خارجاً عن
جملة البهائم ما سر الهوى الا باماتة الشهوات البهيمية او بقهرها وقمعها ان لم
يمكنه اماتته اياها فهي التي تضره وتغره وتصرفه عن طريق الآخرة وتثبطه
ومتى اماتها او قمعها صار الانسان حراً نقياً بل يصير الهياً ربانياً فيقل حاجته
ويصير غنياً عما في ايدي الناس سخياً بما في يده محسناً في معاملاته فان قيل فاذا
كانت الشهوة بهذه المثابة في الاضرار فاي حكمة اقتضت ان يبتلي الانسان بها
قيل الشهوة انما تكون مذمومة اذا كانت مفرطة واهملها صاحبها حتى ملكت القوى
والحت عليها فاما اذا ادبت فهي المبلغة الى السعادة وجوار رب العزة حتى
لو تصورت رفعه لما امكن الوصول الى الآخرة وذلك ان الوصول الى الآخرة
وذلك ان الوصول الى الآخرة انما هو بالعبادة ولا سبيل الى العبادة الا بالحيوة
الدنيوية ولا سبيل الى الحيوة الدنيوية الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظه الا باعادة
ما يتحلل منه بتناول الاغذية ولا يمكن تناول الاغذية الا بالشهوة وايضاً فلولا
الشهوة لانقطع بقاء النوع الانساني لان بقاءه انما يكون بشهوة المناكحة فاذا
الشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها وتقتضي الحكمة الالهية ايجادها وترتيبها
كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين الآية لكن مثلها مثل
عدو تجتنى مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته لا يستغنى عن
الاستعانة به فحق العاقل ان ياخذ نفعه منه ولا يركن اليه ولا يعتمد عليه الا بقدر
ما ينتفع به وما اصدق في ذلك قول المتنبي اذا تصوره في وصف الشهوة ومن نكد الدنيا
على الحر ان يرى عدواً له ما من صداقته بدٌّ وايضاً فهذه الشهوة هي المشوقة لعامة
الناس الى لذات الجنة من الماكل والمشرب والمنكح اذ ليس كل الناس يعرف اللذات
المعقولة ولو توهمنا هامس بفقد لما نشوقوا الى ما عدوا به من قول النبي صلى الله عليه وآله

فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومنها الحمية
الملكة بفتحتين اسم من ملكت الشيء ملكاً من باب ضرب يقال هو ملكه بالكسر
وله عليه ملكة بفتحتين والحمية بتشديد الياء المثناة من تحت الانفة كانها
فعيلة بمعنى مفعولة من الحماية اسم اقيم مقام المصدر كالسكينة بمعنى السكون
وهي ضربان حمية محمودة وهي المستعملة في صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته
كل ما يلزم الانسان صيانته من دين او اهل او بلد وتسمى الغيرة ولذلك قيل
ليست الغيرة ان يغار الرجل على امراته ولكن ذبه عن كل ما يختص به وهذه الحمية
من مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال التي يتفاضل فيها اهل المجد والشرف
وحمية مذمومة وهي المستعملة في الاستكبار عن الحق والتطاول على الخلق
وتسمى العصبية وحمية الجاهلية وهي من لوازم الغضب مع الفخر والعجب
والكبر لانها تنشاء من تصور المؤذي مع الترفع على فاعله واعتقاد الشرف
عليه وهو من طغيان النفس الامارة ونفثات الشيطان فيها بان التواضع
لحق من العار فيقدم صاحبها على ما يوجب خروجه من الايمان وخلع ربقته
ربقته نعوذ بالله من ذلك وفي الحديث عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله
تعالى يوم القيمة مع اعراب الجاهلية وعنه عليه السلام من تعصب عصبه الله
بعصابة من نار وعنه عليه السلام قال ان الملائكة كانوا يحسبون ان ابليس منهم
وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب فقال خلقتني
من نار وخلقته من طين وعن الزهري قال سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن
العصبية ان يحب الرجل قومه ولكن من العصبية ان يعين قومه على الظلم
والاخبار في ذم هذا النوع من الحمية كثيرة ومتابعة الهوى تابعة على

على كل متابعة وسماعا وفيه علية الهوى بالقصر ميل النفس الامارة بالسوء الى مقتضى طباعها من اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشرعية وهو اشد جاذب للانسان عن قصد الحق واتباع دليله واقوى صارف عن الاهتداء بمناره وسلوك سبيله ولذلك جعل سبحانه متابعة والانقياد اليه عبادة له فقال افرايت من اتخذ الهه هواه كما جعل موافقة الشيطان عبادة له فقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان وقد ورد في التحذير منه ومن اتباعه ما صمه الظهور ولو لم يرد في ذلك الا قوله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله لكفى واما الاخبار فعنه صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وعن امير المومنين عم ان اخوف ما اخاف عليكم اثنتان اتباع الهوى وطول الامل فينسي الاخرة وعن ابي عبد الله عليه السلام احذروا اهواءكم كما تحذرون اعداءكم فليس شيء اعدى للرجال من اتباع اهوائهم وعنه عليه السلام لا تدع النفس وهواها فان هواها في رداها وترك النفس وما تهوى داؤها وكف النفس عما تهوى دواؤها وعن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى وعزتي وجلالي وكبريائي ونور عظمتي وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه الا استحفظته ملائكتي وكفلت السموات والارضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة

هداية قوة الفكر بين العقل والهوى يحثها فمتى ارتفعت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن واذا اتضعت ومالت نحو الهوى صارت وضيعة فولدت المقابح ومن شان العقل ان يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس في المبدا منه مؤنة

ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت وان كان يعقب مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس على اكل الهليلج والحجامة ولهذا قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وايضا فالعقل يرى صاحبه ماله وعليه والهوى يريه ماله دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم فعلى العاقل ان يتهم رايه ابدا في الاشياء التي هي لا عليه ويظن انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصي النظر فيه قبل امضاء العزيمة حتى قيل اذا عرض لك امران فلم تدر ايهما اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير في الكراهة قال تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقال تعالى فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولهذا قال الاحنف بن قيس يكفي بالرجل رايا اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايهما الصواب ان ينظر اعجبهما اليه واغلبهما عليه فيحذره

تذييل للانسان مع هواه ثلث احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيستعبده كما قال تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا والثانية ان يغالبه فيقهره مرة ويقهر مرة واياه قصد بالمجاهدين ومناه صلى الله عليه وآله بقوله وقد سئل اي الجهاد افضل فقال جهاد هواك وقال عليه السلام جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون اعداءكم والثالثة ان يغلب هواه كالانبياء والاوصياء وكثير من صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد النبي صلى الله عليه وآله بقوله ما من احد الا وله شيطان فقيل يا رسول الله ولا انت فقال ولا انا الا ان الله تعالى قد اعانني على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى والله اعلم ومخالفة الهوى هو مصدر من هداه كالسرى والبكى وقد اسلفنا الكلام على الهدى

ومما تهما في الروضة الخامسة ثم المراد بالهدى هنا الهدى العام الذي هو
تعريف طرق الخير والشر ومخالفته هو الضلال وهو اما لعقله كايثار
اللذات الحسية على الروحانية ايثار الصبي اللعب على السلطنة او
لعزو سكون النفس الى ما تهواه لشبهة ككون النقد خيرا من النسية
والدنيا نقد وهو غلط فان العشرة النسية خير من الواحد النقد عند التيقن
والآخرة بعين هذه البصراء من الانبياء والاولياء والعلماء وعلى القاصرين
تقليدهم كما على المريض تقليد الطبيب او لغلبة هوى عليه لضيق صدره
وعن الخير وشحه للشر فان استمر عليه اورثه رينا ثم غشاوة ثم طبعا ثم
ختما ثم قفلا ثم موت القلب فلا تنفعه الآيات والنذر كما قال تعالى انما يستجيب
الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله نعوذ بالله من ذلك **وسنة الغفلة** السنة
ما يتقدم النوم من الفتور والغفلة غيبة الشيء عن بال الانسان وعدم
تذكره له وقد يستعمل فيمن تركه اهمالا واعراضا كما في قوله تعالى وهم في غفلة
معرضون وقد تقدم الكلام على الفرق بينها وبين السهو في الروضة الثانية
وفي الكلام استعارة اما مطلقة بان شبه تبلد الفكر الناشي من الغفلة بالفتور
الذي يتقدم النوم او مكنية تخييلية بان شبه الغفلة بالنوم وطوى ذكر
المشبه به ودل عليه بلازمه وهو السنة اذ كثيرا ما يقال للغافل هو نائم وللذاكر
هو مستيقظ وفي التعبير بالسنة ايذان بان القليل من الغفلة مما ينبغي الاستعاذة
منه والمراد بالغفلة الغفلة عن كل ما يقرب الى الله تعالى ويوجب الوصول
اليه سبحانه وقيل الغفلة متابعة النفس على ما تشتهيه وقال سهل الغفلة
ابطال الوقت بالبطالة وقيل هي صفة القلب توجب ترك الحق وعدم ذكر
الموت وما بعده والميل الى الباطل وحب الدنيا وقد نهى الله تعالى رسوله ان يكون

من الغافلين قيل فيه اشارة الى انه يجب على الانسان ان يستحضر دائما جلال الله
سبحانه وعظيم كبريائه بحسب الطاقة البشرية ليتنور جوهر نفسه ويستعد
لقبول الاشراقات القدسية فيضاهي سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم
الله بقوله بعد هذه الآية ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وله يسجدون وفي اجوبة الحسن بن علي عليهما السلام حين ساله
ابوه عن اشياء من المروة فقال له ما الغفلة قال تركك المسجد وطاعتك المفسد
ومن سوانح شيخنا البهائي قدس سره غفلة القلب عن الحق من اعظم العيوب وهي
اكبر الذنوب ولو كانت آنا من الآنات او لمحة من اللمحات حتى ان اهل القلوب
عدوا الغافل في آن الغفلة من الكفار **وتعاطي الكلفة** تعاطى الشيء اقدم
عليه وفعله وفي القاموس التعاطي التناول وتناول ما لا يحق والتنازع
في الاخذ والقيام على اطراف اصابع الرجلين مع رفع اليدين الى الشيء ومنه
فتعاطى فعقر وركوب الامر والكلفة بالضم ما تكلفته على المشقة والكلفة
المشقة ايضا والمراد بتعاطي الكلفة ارتكاب الامور الشاقة التي يورثه
النفس كلالا وملالا فانه منهي عن الاقدام عليها في الامور الدينية فضلا
عن الدنيوية كما ورد عن ابي عبد الله عم لا تكرهوا الى انفسكم العبادة وعنه
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي ان هذا الدين
متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة ربك فان المنبت
يعني المفرط لا ظهرا ابقى ولا ارضا قطع فاعمل عمل من يرجو ان يموت هرما واحذر
حذر من يتخوف ان يموت هذا وفي وصية امير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني
وخادع نفسك في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها
الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه لا بد من قضائها وتعاهدها

عند تحملها فاذا كان تعاطى الكلفة في الامور الدينية محذورا فكيف به
في امور الدنيوية التى يجب الاكتفا منها بما دون الكفاية والله المستعان و
يحتمل ان يكون المراد بتعاطى الكلفة التكليف وهو تعرض الانسان لما لا يعنيه
وعن الحسن بن على عليهما السلام الكلفة كلامك فيما لا يعنيك وقيل هى تحمله
ما ليس عنده كما قال تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ويحتمل
ان يراد به ان يتكلف لاحد او يكلف احدا كما ورد عن ابى عبد الله عليه السلام
انه قال المومن لا يحتشم من اخيه ولا يدرى ايهما اعجب الذى يكلف اخاه اذا دخل
ان يتكلف له او يتكلف لاخيه وعنه عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه واله
قال من تكرمة الرجل لاخيه ان يقبل تحفته ويتحفه بما عنده ولا يتكلف له
شيئا وقال رسول الله صلى الله عليه واله انى لا احب المتكلفين **وايثار الباطل
على الحق** ايثار الشىء بالشىء اختياره وتفضيله وتقديمه والمراد بالباطل
الالتفات الى غير الله سبحانه مما لا يجدى نفعا فى الاخرة وبالحق لزوم الطاعة
عز وجل بامتثال اوامره والاقبال عليه بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد
الصحيحة وبالجملة اعتقاد المكلف وعمله ان كان يطابقا لاوامر الله تعالى
اولا والاول هو الحق والثانى هو الباطل **والاصرار على المأثم** الاصرار
اصله من الصر وهو الشد والربط ومنه سميت الصرة ثم اطلق على لزوم
الشىء ومداومته يقال اصر عليه اذا لزمه وداومه كانه ارتبط به ثم
استعمل فى عرف الشرع فى الاقامة على الذنب من دون استغفار كذا قيل و
قد قسم شيخنا الشهيد قدس الله سره فى قواعده الاصرار الى فعلى وحكمى
قال الفعلى هو الدوام على نوع واحد من الصغائر بلا توبة او الاكثار من جنس
الصغائر بلا توبة والحكمى هو العزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها اما

لو فعل

لو فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها فالظاهر انه
غير مصر انتهى كلامه قال شيخنا البهائى قدس سره فى الاربعين ولا يخفى
ان تخصيصه الاصرار الحكمى بالعزم على تلك الصغيرة بعد الفراغ منها يعطى انه
لو كان عازما على صغيرة اخرى بعد الفراغ مما هو فيه لا يكون مصرا ايضا
والظاهر انه مصر ايضا وتقييده ببعدية الفراغ منها يقتضى بظاهره ان من كان
عازما مدة سنة على لبس الحرير مثلا لكنه لم يلبسه اصلا لعدم تمكنه لا يكون
فى تلك المدة مصرا وهو محل نظر انتهى وقال بعض العامة الاصرار هو ادامة
الفعل والعزم على ادامته ادامة يحصل معها اطلاق وصف المعزم عليه
٦ قال بعضهم حد الاصرار ان تتكرر الصغيرة بحيث يشعر بقلة مبالاته بذنبه
كاشعار الكبيرة وكذا اذا اجتمع صغائر مختلفة الانواع بحيث يشعر مجموعها
بما يشعر به اصغر الكبائر والمأثم مصدر ميمى بمعنى الاثم والمراد به ما يأثم به
المرء وصفا للمصدر موضع الاسم وروى ثقة الاسلام فى الكافى بسند ضعيف عن
ابى جعفر عليه السلام فى قول الله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال
الاصرار ان يذنب المذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار
وقيل هو يدل على ان الاصرار يتحقق بالذنب مع عدم الاستغفار والتوبة سواء
اذنب ذنبا اخر من نوع ذلك الذنب او من غير نوعه او عزم على ذنب اخر ام
لا انما تحققه فى غير الاخير فظاهر واما فى الاخير فلان التوبة واجبة فى كل ان
فتركها ذنب منضاف الى الذنب الاول فيتحقق الاصرار وعن ابى عبد الله عليه السلام
لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وعن ابى بصير قال سمعت
ابا عبد الله عليه السلام يقول لا والله لا يقبل الله شيئا من طاعته على الاصرار على شىء
من معاصيه **واستصغار المعصية** استصغارها عده صغيرة والمعصية

مخالفة الامر قصده وانما استعار عليه السلام من استصغارها لاستلزامه عدم
الخوف من ارتكابها فالواجب استشعار الخوف عنه وان كانت المعصية صغيرة
في نفسها لانها عظيمة في مخالفة الرب العظيم تبارك وتعالى وقال الباقر
عليه السلام لمحمد بن مسلم يا محمد لا تستصغرن سيئة تعمل بها فانك تراها
حيث تسوءك وقال بعض العارفين متى عظمت المعصية في قلبك لعاصيه
صغرت عند الله تعالى ومتى صغرت في قلبك عظمت عنده تعالى **واستكبار
الطاعة** اى استعظامها لاعتقاد خروجه عن التقصير فيها وهو مما يجب
الاستعاذة منه لاستلزامه العجب الا دلال نعوذ بالله من ذلك بل الواجب
على الانسان ان يعد طاعته ناقصة ويعتقد تقصير نفسه فيها فان
طاعة جميع الخلق في جنب عظمته تعالى حقيرة نزرة وقد اعترف خاتم
الانبياء وسيد الاوصياء بالتقصير ومن الظاهر المعلوم ان ما من
احد وان اشتد في طلب رضا الله تعالى حرصه وطال في العمل اجتهاده يبلغ
ما الله سبحانه اهله من الطاعة له وكمال الاخلاص ودوام الذكر وتوجه
القلب اليه واداء حق شكر نعمه اذ هو كل نعمة يستحق الطاعة والشكر
ونعمه غير محصورة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فاذا قوبلت
الطاعة بالنعمة بقي اكثر نعمه غير مشكور لا مقابل له من الطاعة فكيف
تستكبر طاعته في جنب عظمته واحسانه واستحقاقه لما هو اهله
فقد قال سبحانه وما قدروا الله حق قدره وروى ثقة الاسلام في الكافي
عن سعد بن ابي خلف عن ابي الحسن موسى عليه السلام قال قال لبعض ولده
يا بني عليك بالجد لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته
فان الله تعالى لا يعبد حق عبادته وعن ابي عبد الله عليه السلام كل عمل تريد

به الله تعالى فكن فيه مقصرا عند نفسك فان الناس كلهم في اعمالهم
فيما بينهم وبين الله مقصرون الا من عصمه الله تعالى وسئل العباس عن عطفاء
اى الاعمال افضل فقال ملاحظة الحق على دوام الاوقات فقيل اى الاداب
اكمل قال استشعار التقصير في عامة الاعمال ويحتمل ان يراد باستكبار الطاعة
استثقالها كما قال تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ولكن مقابلته
استصغار المعصية ترجح المعنى الاول والله اعلم **ومباهاة المكثرين**
المباهاة مفاعلة من البهاء وهو الحسن يقال باهيته فبهوته اى
غلبته في الحسن ثم استعمل في مطلق المفاخرة والمكثر اسم فاعل من اكثر
الرجل بالالف اذا كثر ماله قال بعض العلماء المباهات بالاشياء الخارجة
عن الانسان نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه قناع جهله
فاعراض الدنيا عارية مستردة لا يؤمن في كل ساعة ان تسترجع والمباهي
بها مساء بما لا يبقى له متبجح بما ليس له في لبعض الحكماء لمن تبجح بثراه
ان افتخرت بثيابك فالالتك فالجمال لها دونك وان افتخرت بآبائك
فالفضل فيهم لا فيك ولو تكلمت هذه الاشياء لقالت هذه محاسننا
فما لك من الحسن وانما المباهات والمفاخرة بالاعمال الصالحة وايضا
فالاعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع وظل زائل عن قريب
يضمحل بل هي كما قال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار
نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد
والازراء بالمقلين ادرى بالشيء ازدراء تهاون به وفي الاساس ازريت
به قصرت به وحقرته والمقل من اقل الرجل بالالف صار الى القلة بالكسر

والفقر بالهمزة للصيرورة والازدراء بهم اما بقول يكرهونه او بالاستهزاء
بهم او بفعل يستلزم اهانتهم او بترك قول او ترك فعل يستلزمها وانما
ذلك وهو قبيح عقلا ونقلا اما قبحه عقلا فلدلالة العقل على ان الشرف لا
يحصل للانسان بان يكون كثير الحطام ولا الدناءة بان يكون قليله وانما يوجب
ازدراء من حرمه واستخفافا لمن لم يعطه بل المواساة له والبر به واما النقل
الوارد في ذمه فكثير من ذلك ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسند حسن
او صحيح عن ابي عبد الله ثم قال من استذل مؤمنا او احتقره لقلة ذات يده و
لفقره شهره الله يوم القيمة على رؤس الخلائق وعن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه واله من اهان فقيرا مسلما من اجل فقره واستخف به فقد استخف بحق الله
ولم يزل في مقت الله عز وجل حتى يرضيه **وسوء الولاية لمن تحت**
ايدينا اي تحت قدرتنا وسلطاننا وملكنا فتدخل فيه الرعية بالسلطان
والرعية بالعلم والرعية بالعول فتدخل الزوجة والمملوك والعيال و
سوء الولاية لكل هؤلاء عبارة عن عدم القيام بحقوقهم التي من جملتها الدعاء
لهم فقد روى عن سيد العابدين وهو صاحب الدعاء صلوات الله عليه في
بيان الحقوق ان حق رعيتك بالسلطان ان تعلم انهم صاروا رعيتك لضعفهم
وقوتك فيجب ان تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم وتغفر لهم جهلهم
ولا تعاجلهم بالعقوبة وتشكر الله عز وجل على ما اتاك من القوة عليهم واما
حق رعيتك بالعلم فان تعلم ان الله عز وجل انما جعلك قيما لهم فيما
اتاك من العلم وفتح لك من خزائنه فان احسنت في تعليم الناس ولم تخرق
بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله وان انت منعت الناس علمك
او خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقا على الله ان يسلبك العلم

ويهابه ويسقط من القلوب محلك واما حق الزوجة فان تعلم ان الله
عز وجل جعلها لك سكنا وامنا فتعلم ان ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها
وترفق بها وان كان حقك عليها اوجب فان لها عليك ان ترحمها لانها
اسيرك وتطعمها وتكسوها واذا جهلت عفوت عنها واما حق مملوكك فان تعلم
انه خلق ربك وابن ابيك وامك ولحمك ودمك لم تملكه لانك صنعته دون الله
عز وجل ولا خلقت شيئا من جوارحه ولا اخرجت له رزقا ولكن الله عز وجل كفاك
ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك اياه ليحفظ لك ما تاتيه من خير
اليه فاحسن اليه كما احسن الله اليك وان كرهته استبدلت ولم تعذب خلق الله
عز وجل واما حق ولدك فان تعلم انه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا
بخيره وشره وانك مسئول عما وليته به من حسن الادب والدلالة على ربه عز
وجل والمعونة له على طاعته فاعمل في امره عمل من يعلم انه مثاب على الاحسان
اليه معاقب على الاساءة اليه والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة فمن ضيع
لانسان شيئا من هذه الحقوق فقد اساء الولاية والله المستعان **وترك الشكر**
لمن اصطنع العارفة عندنا العارفة المعروف وهو اسم ما تبذله
وتعطيه وقد اسلفنا الكلام على معنى الشكر غير مرة وهو باعتبار الشاكر و
المشكور ثلثة اضرب شكر الانسان لمن فوقه وهو بالخدمة والثناء والدعاء
وشكره لنظيره وهو بالمكافاة وشكره لمن هو دونه وهو بالثواب وقد
وصف الله تعالى نفسه بالشكر ايضا لحق عباده وقد علمت ان شكر المنعم واجب
بالعقل كما هو واجب بالشرع واوجبه شكر الباري جل ثناؤه ثم شكر من جعله
عز وجل سببا لوصول خير اليك على يده وقد وردت بالحث عليه والنهي عن تركه
اخبار كثيرة منها ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسنده الى عمار الذهبي

قال سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول ان الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد
شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيمة اشكرت فلانا فيقول
بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره ثم قال اشكركم لله اشكركم
للناس وبسنده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اتى
اليه معروف فليكاف به فان عجز فليثن عليه فان لم يفعل فقد كفر النعمة وعنه
عليه السلام انه قال لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل وما قاطعوا سبيل المعروف
قيل وما قاطعوا قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمتنع صاحبه من ان يصنع
ذلك الى غيره وعنه عليه السلام ما اقل من شكر المعروف لاسيما في الدعاء وهذه الاخبار
ما روي من قوله امير المؤمنين عليه السلام لا يحمد حامد الا ربه حيث قصر الحمد والثناء على
تعالى لان المراد انه مبدأ كل نعمة يستحق بها الحمد وان كل حمد يرجع اليه في الحقيقة كما
صرح به جماعة من المحققين وقد يجاب بان الغير يتحمل المشقة بحمل رزق الله
اليك فالنهي عن الحمد لغير الله على اصل الرزق لان الرزاق هو الله والترغيب في
الحمد على ما تكلف من حمل الرزق وكلفه ايصاله باذن الله تعالى ليعطيه اجر مشقة
الحمل والايصال وبالجملة هناك شكران شكر على الرزق وهو لله وشكر على الحمل وهو
للغير ويؤيده ما روي عن طرق العامة ولا تحمدن احدا على رزق الله وقيل النهي
مختص بالخواص من اهل اليقين الذين شاهدوه دائما وشغلوا عن رؤية الوسائط
فنهاهم عن الاقبال عليها لانه تعالى يتولى جزاء الوسائط عنهم بنفسه والامر بالشكر
مختص بغيرهم ممن لاحظ الاسباب والوسائط كالاكثر لان فيه نقضا عن السبب ايضا
وليس بشيء لاستعادة سيد العابدين عليه السلام وهو من اخص الخواص من ترك الشكر
للواسطة ولان الله سبحانه شكر عباده الصالحين مع كمال غناه عنهم والله تعالى
اعلم فان تمحضت ظالما او هنا لمطلق الجمع كما قالوا وعند من اثبت

لها هذا المعنى

لها هذا المعنى والحق انها لاحد الشيئين او الاشياء والجمع انما استفيد من
قرينة الكلام اذ لا يجوز ان يراد اني اعوذ بك من واحد من هذه
الاشياء فقط فهي كقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ لا يجوز ان يراد
الا تطع واحدا منهما واطع الآخر لقرينة الاثم والكفر وعضدت
الرجل عضدا من باب قتل اعنته فصرت له عضدا اي معينا وناصرا و
الظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به وفي المثل من استرعى الذئب
فقد ظلم فالمشرك ظالم لانه جعل غير الله تعالى شريكا له ووضع العبادة في غير
موضعها والعاصي ظالم لانه وضع المعصية موضع الطاعة والتصرف في
حق الغير ظالم لانه وضع التصرف في غير محله واعانة الظالم من الموبقات بل
ادنى الميل اليهم وجد منه ظلما حرام موجب لدخول النار لقوله تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال في الكشاف النهي متناول
للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم
ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى
زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وعن ابي عبد الله عليه السلام قال العامل
بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم ستعين كه المستفاد من
احاديث اهل البيت عليهم السلام ان اعانة الظالم حرام ولو كانت بما هو
مباح في نفسه كما رواه الشيخ في الحسن عن ابن يعفور قال كنت عند ابي عبد الله
اذ دخل عليه رجل من اصحابه فقال له اصلحك الله انه ربما اصاب الرجل منا
الضيق والشدة فيدعى الى البناء يبنيه او النهر يكريه او المسناة يصلحها
فما تقول في ذلك فقال ابو عبد الله عليه السلام ما احب ان عقدت لهم عقدة
او وكيت لهم وكاء وان لي ما بين لابتيها لا ولا مدة بقلم ان اعوان الظلمة

ذكر النهر كه ... المسناة ... الوادي

يوم القيمة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد وفي الصحيح عن يونس
ابن يعقوب قال قال لي ابو عبد الله عليه السلام لا تعنهم على بناء مسجد وروى
ابن بابويه عن الحسن بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله الا ومن علق سوطا سلطه الله عليه في نار
جهنم وبئس المصير وامثال هذه الاخبار كثيرة وهي كما ترى عامة في الاعانة
بالمحرم والمباح بل المندوب وروى ايضا السكوني عن ابي عبد الله
عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيمة
نادى مناد اين الظلمة واعوانهم ومن لاق لهم دواة او ربط لهم كيسا او مد لهم
مدة قلم فاحشروهم معهم قال شيخنا البهائي قدس سره بعد نقله
الاحاديث المذكورة تاييدا لعموم الاعانة وربما يستانس له بقوله تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار ويظهر من كلام بعض فقهائنا في
مبحث المكاسب ان معونة الظالمين انما تحرم اذا كانت بما هو محرم في
نفسه واما اعانتهم على تحصيل اموالهم وخياطة ثيابهم وبناء منازلهم مثلا
فليس بمحرم وهذا التفصيل ان كان قد انعقد عليه الاجماع فلا كلام فيه
والا فللنظر فيه مجال فان النصوص على ما تلوناه متظافرة وايضا فعلى هذا
لا معنى حينئذ لتخصيص الاعانة بالظالمين فان اعانة كل احد بالمحرم محرم
بل فعل المحرم في نفسه حرام سواء كانت اعانة او غير اعانة وقد نوقش في التخصيص
بان اعانة الظالمين بالمحرم اشد تحريما من اعانة غيرهم فللاهتمام ببيانها نشد
فصرح بها فان السكوت عنها يستلزم دخولها بالطريق الاولى قال والعجب
من العلامة في التذكرة حيث خص تحريم اعانتهم بالمحرم ثم استدل على ذلك
بالروايات السالفة وهي كما عرفت صريحة في خلاف ما ادعاه فتامل هذا

والظاهر

والظاهر ان مرجع الاعانة الى العرف فما سمي اعانة عرفا حرم واما ما ينقل عن بعض
الاكابر ان خياطا قال له اني اخيط للسلطان ثيابه هل تراني داخلا بهذا
في اعوان الظلمة فقال له الداخل في اعوان الظلمة من يبيعك الابر والخيوط
اما انت فمن الظلمة انفسهم فالظاهر انه محمول على نهاية المبالغة في الاحتراز
عنهم والاجتناب عن تعاطي امورهم والا فالامر مشكل جدا نسأل الله العصمة والتوفيق
او خذل ملهوفا هذا من باب قتل ترك نصرة واعانته والاستغاثة
بالكرب والملهوف المظلوم المضطر روى رئيس المحدثين بسنده عن ابي عبد الله
عليه السلام قال ما من مؤمن يخذل اخاه وهو يقدر على نصرته الا خذله الله في الدنيا
والآخرة وروى شيخ الطائفة بسنده عن الباقر عن آبائه عليهم السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم
او زعم ان ليس له حق رمت الشئ ارق منه روما ومن ما طلبته والحق
الواجب الثابت الذي يطالبه صاحبه وغيره ويزعم الانسان ما ليس له حق
هو الادعاء الباطل وقد قال امير المؤمنين عليه السلام هلك من ادعى وخاب
من افترى وذلك ان الدعوى الباطلة تصدر عن ملكة الكذب تارة و
عن الجهل المركب اخرى كالجاهل بالامر المدعي لحصوله عن شبهة دخلت في
ذهنه وكلاهما من اكبر الرذائل واعظم المهلكات في الآخرة او يقول في
العلم بغير علم اي في العلم بالمعارف الالهية والاحكام النبوية فيشمل
اصول الدين وفروعه او في الحكم على شئ بنفي او اثبات فان العلم كما يطلق
على الاعتقاد الجازم المطابق للواقع او حصول صورة الشئ في العقل يطلق
على حكم النفس على الشئ بوجود شئ له هو موجود له او نفي شئ عنه هو غير
موجود له كالحكم على زيد بانه خارج اي ليس هو طائرا وقوله بغير علم اي بغير

اعتقاد جازم مطابق للواقع والقول بغير علم منشاؤه اما الكذب او الجهل
المركب وكلاهما من الموبقات كما تقدم وقد قال الله تعالى للبنية ولا تقف ما ليس لك
به علم وعن مفضل بن يزيد عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال انهاك عن خصلتين
فيهما هلك الرجال ان تدين الله بالباطل وتفتي الناس بغير علم وعن ابي
جعفر عليه السلام من افتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه وعن زرارة ابن اعين قال سالت ابا جعفر
عليه السلام ما حق الله على العباد قال ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون
والاخبار في هذا المعنى كثيرة **تنبيه** قال بعض المحققين من اصحابنا المتاخرين
اعلم ان لفظ العلم يطلق في اللغة على الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع
وهذا يسمى اليقين وعلوم الانبياء والائمة عليهم السلام من هذا القبيل ويطلق
ايضا على ما تسكن اليه النفس وتقتضي العادة بصدقه وهذا يسمى العلم العادي
ويحصل بخبر الثقة الضابط المتحرز عن الكذب بل وغير الثقة اذا علم من حاله
انه لا يكذب او دلت القرائن على صدقه كما اذا اخبر الانسان خادم له عرفه بالصدق
عن شيء من احوال منزله فانه يحصل عنده من خبره حالة توجب الجزم بما اخبره به
بحيث لا يشك في ذلك وليس له ضابط مخصوص بل مداره على ما يحصل به التصديق
والجزم ومراتبه متفاوتة وربما افاد اليقين عند قوم ما تسكن اليه النفس
عند آخرين بحسب القرائن والاحوال وهذا هو الذي اعتبره الشارع واكتفى
به في ثبوت الاحكام عند الرعية واوجب عليهم العمل بها عند حصوله
لهم كما يرشد اليه موضوع الشريعة السمحة السهلة وقد عمل الصحابة واصحاب الائمة
عليهم السلام بخبر العدل الواحد بل وبخبر غير العدل اذا دلت القرائن على صدقه
ولا ينافي هذا الجزم تجويز العقل خلافه نظرا الى امكانه كما لا ينافي جزمنا بحياة

زيد الذي غاب عن لحظة تجويز موته فجأة ولو اعتبرنا في العلم عدم تجويز
النقيض عقلا لم يتحقق لنا علم قط بوجود شيء مما غاب عنا او حضر عندنا او
يلزمنا الشك فيمن رأيناه الآن اهو الذي رأيناه قبل ام عدم ذلك واوجد
غيره واوجده الله على شكله بناء على تجويز ما تطرق الشك الى الضروريات كما تزعمه
الاشاعرة وهو سفسطة ظاهرة ومن تتبع كلام العرب ومواقع لفظ العلم
في المحاورات جزم بان اطلاق لفظ العلم على ما يحصل به الجزم عندهم حقيقة
وانه كلي مقول على افراده بالتشكيك وان تخصيصه باليقين فقط اصطلاح
حادث لاهل المنطق دون اهل اللغة لبناء اللغة على الظواهر دون
هذه التدقيقات ويقوي ان الظن لغة هو الاعتقاد الراجح الذي لا جزم معه
اصلا واهل اللغة هم الاصل في تعيين الالفاظ للمعاني وليس هذا
خاصا بلغة العرب بل كل اللغات كذلك ومن عرف الفارسية وتامل
مواقع لفظ سيدانم الدال على معنى الظن في لغة الفرس ظهر له صحة ما قلناه
والعلم بهذا المعنى قد اعتبره الاصوليون والمتكلمون في اثبات كثير من قواعدهم
كحجية الاجماع ونحوه وان داخلك شك فراجع الشرح العضدي وشرح المواقف
ليظهر لك ذلك وهذا الذي عناه القدماء بقولهم لا يجوز العمل في الشريعة
الا بما يوجب العلم يدل على ذلك تعريف السيد المرتضى في الذريعة
للعلم بانه ما اقتضى سكون النفس وهذا التعريف يشمل نوعي العلم اعني اليقيني
والعادي فهذا هو العلم الشرعي فان شئت سمه ظنا فلا مشاحة في
الاصطلاح بعد ان تعلم انه كاف في ثبوت الاحكام الشرعية وقد كتب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم الى الملوك نحو كسرى وقيصر مع الشخص الواحد يدعوهم
الى الاسلام وكان ذلك حجة عليهم حيث علموا صدق الرسول من قرائن الاحوال

فان قلت غاية ما يدل عليه كلامك ثبوت اطلاق لفظ العلم على ما ذكرت في اللغة
لكن من اين لك ان حقيقته فيما يشمل العلم العادي ولم لا يكون فيه مجازا فان اطلاق
لفظ العلم على الظن وبالعكس بطريق المجاز شايع قلت نحن لا ننكر ذلك مع
قيام القرينة وكلامنا فيما اذا كان بدونها وهذه شبهة نشأت من الف
الذهن بكلام اهل المنطق ولو سلمنا ها على طريق الجدل لم يضرنا لانا بينا
ان حصول التصديق الموجب للجزم عادة كيف كان يكفي وجوب العمل بالاحكام
المتلقاة من الشارع بواسطة او وسايط فان قلت على تقدير التنزل في وجوب
العمل بالاحكام يكون داخلا في الظن كيف تصنع بالايات والاخبار الدالة
على النهي عن العمل بالظن قلت هذا تشكيك وجوابه انا نفرق بين اثبات الاحكام
الشرعية بمعنى وضعها والتعبد بها وبين ثبوتها بمعنى الحكم بصدق
رواتها ووجوب العمل بها فان اثبات نفس الحكم والفتوى بان حلال او حرام
مثلا خاص بمن لا ينطق عن الهوى ولا يكون الا عن يقين بوحي من الله او الهام
وتلك الايات والاحاديث واردة في ذم من يقول بعقله ورايه في الدين
من دون وحي الهي او الهام رباني او نص محكم صريح الدلالة او برهان قاطع
لا يحتمل النقيض وهذا ظاهر لمن تتبع موارد الاخبار واسباب النزول
واما ثبوت الاحكام الواردة عن الشارع عندنا ووجوب العمل بها
علينا فيكفي فيها النقل الذي تطمئن النفوس الى صدقه وثبوته ولسنا مكلفين
فيه باكثر من حصول العلم العادي كما بيناه من عمل الصحابة واصحاب الائمة
عليهم السلام انتهى كلامه اذا عرفت ذلك فتفسيرنا العلم في قوله عليه السلام بغير
علم بالاعتقاد الجازم المطابق للواقع هو العلم اليقيني وهو علم الانبياء
والاوصياء عليهم السلام في جميع العلوم وهو حال صاحب الدعاء صلوات الله

وسلام

وسلامه عليه واما اذا كان الداعي غير معصوم فينبغي ان يراد بالعلم
قوله بغير علم ما يشمل العلم اليقيني كما في القول في اصول الدين والعلم
العادي كما في القول في فروعه فاعلم ذلك والله اعلم ونعوذ بك
ان نطوي على غش احد كرها الغل لقصد الاهتمام والمبالغة وانطوى
على الشيء ستره في باطنه والغش بالكسر اسم من غشه غشا من باب قتل لم يمحضه
وزين له غير المصلحة وهو يشتمل على رذيلتي الغدر والخيانة روى ابن
عباس عن رسول الله صلعم انه قال من بات وفي قلبه غش لاخيه المؤمن
بات في سخط الله واصبح وكذلك وان مات كذلك مات على غير دين الاسلام
وعنه ايضا قال قال صلى الله عليه وآله من غش اخاه المسلم نزع الله منه
بركة رزقه وافسد عليه معيشته ووكله الى نفسه وعنه صلعم من غش مسلما
في بيع او شراء فليس منا ويحشر مع اليهود يوم القيمة لانه من غش الناس
فليس بمسلم وعن ابي عبد الله عليه السلام ليس منا من غشنا وعنه عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل يبيع التمر يا فلان اما علمت
انه ليس من المسلمين من غشهم والاخبار في هذا المعنى كثيرة وعن ابي جميلة
قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول من مشى في حاجة اخيه ثم لم يناصحه فيها
كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه وعن عمر بن يزيد عن ابيه عن
ابي عبد الله عم قال من استشار اخاه فلم يمحضه محض الراي سلبه الله عز وجل
رايه قال بعض الحكماء واياك ان تلتفت الى من قال لا اذا نصحت الرجل
فلم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه فذلك قول القاه الشيطان على لسانه
اللهم الا ان يريد بغشه الموجب لسكوت عنه فقد قيل كثرة النصيحة تورث
الظنة ومعرفة الغاش المستنصح من الناصح صعب جدا فالانسان لمكره

يصعب الاطلاع على شره اذ هو قد يسري خلاف ما يخفى وليس كالحيوانات
التي يمكن ان يطلع على طبايعها وان نعجب باعمالنا اعجب زيد بنفسه
بالبناء للمفعول اذا ترفع وتكبر والاسم منه العجب بالضم والاعمال جمع
عمل محركة وهو فعل يصدر عن قصد وعلم وهو ثلثة اضرب نفساني
فقط وهو الافكار والعلوم وما ينسب الى افعال القلوب وبدني وهو
الحركات التي يفعلها الانسان في بدنه كالمشي والقيام والقعود وجسماني
وهو ما يفعله الانسان بمشاركة البدن والنفس كالكتابة والقراءة وسائر
الحرف والصناعات وحقيقة العجب بالاعمال استعظام العمل الصالح واستكثاره
والابتهاج له والادلال به وان يرى نفسه خارجا عن حد التقصير و
اما السرور به مع التواضع لله تعالى والشكر له على التوفيق لذلك وطلب
الاستزادة منه فهو حسن ممدوح وتوضيحه ما ذكره شيخنا البهائي قدس
سره في شرح الاربعين بقوله لا ريب ان من عمل صالحا من صيام الايام
وقيام الليالي وامثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج فان كان من حيث كونها
عطية من الله له ونعمة منه تعالى عليه وكان مع ذلك خائفا من نقصها شفقا
من زوالها طالبا من الله الازدياد منها لم يكن ذلك الابتهاج عجبا وان كان
من حيث كونها صفته قائمة به ومضافة اليه فاستعظمها وركن اليها
ورأى نفسه خارجا عن حد التقصير وصار كأنه يمن على الله سبحانه بسببها
فذلك هو العجب المهلك وهو من اعظم الذنوب حتى روي عن النبي صلى الله
عليه وآله انه قال لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب
وعن امير المؤمنين عليه السلام سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك انتهى واعلم
ان العجب مطلقا سواء كان بالعمل او غيره من اكبر الرذائل واعظم المهلكات

فاختلفت

فاختلفت عباراتهم في حقيقته فقيل العجب ظن الانسان بنفسه استحقاق
منزلة هو غير مستحق لها وقيل هو هيئة نفسانية تنشأ من تصور
الكمال في النفس والفرح به والركون اليه من حيث انه فائم به وصفة
له مع الغفلة عن قياس النفس الى الغير بكونها افضل منه وبهذا
القيد ينفصل عن الكبر اذ لا بد في الكبر ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره
مرتبة وهي يرى مرتبته فوق مرتبة الغير وقيل هو استعظام
الانسان نفسه عما يتصور انه فضيلة له ومنشأ ذلك الحكم هو
النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له من
استحقاق ويجب له بقاؤه وكذا مع قطع النظر عن واهب النعم و
مفيضها وقيل هو ان يرى الانسان نفسه بعين الاستحسان لافعالها
وما يصدر عنها من عبادة او غيادة او كثرة وزيادة في امر وذلك مذموم
لانه حجاب للقلب عن ربه ومنية فان عجب بنفسه في صورة
عبادة اثار كبرا وان كان في عبادة نفسه عمي عن رؤية توفيق الله
واصل ذلك من الشرك الخفي والشرك الجلي لا يغفر والخفي منه
لا يهمل بل يؤاخذ الله به صاحبه ولولا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنب
ابدا لجعل الذنب له فداء عن عجبه بنفسه لتبقى له فضيلة الانسان
وثواب الاعمال مستحقا والاحسان ولو لم يذنب لدخله العجب و
افسد قلبه وحجبه عن ربه ومنته ومنعه عن رؤية توفيقه
ومعونته وصده عن الوصول الى حقيقة توحيده واحبط عمله
الذي صدر منه في مدة طويلة بخلاف الذنب فانه لا يبطل العبادات
السالفة وفيه متابعة للهوى وفي العجب شركة بالمولى ولذلك قال

الصادق عليه السلام ان الله علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي
مؤمن بذنب ابدا وعنه عم من دخله العجب هلك وعن احدهما عليهما السلام قال دخل
رجلان المسجد احدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق
والعابد فاسق وذلك انه يدخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون
فكرته في ذلك وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله تعالى
مما ذكر من الذنوب والاخبار في ذم العجب كثيرة جدا وسيجيء في زيادة على
ذلك في بعض الرياض الاتية ان شاء الله تعالى **ومد في امالنا ه**
المد البسط والتطويل يقال مد الله في عمرك اي بسط وطول ومد يتعدى
بنفسه تقول مد الاديم اي بسط ومد الحبل اي طوله فعلى هذا تكون في امالنا
كقوله تعالى وقال اركبوا فيها اي اركبوها او للظرفية مجازا وعدم المفعول
له لانه ربما يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد ايقاع الفاعل الفعل فيقتصر
عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوي ولا يسمى محذوفا لان الفعل ينزل لهذا القصد
منزلة ما لا مفعول له نحو قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا اي اوقعوا الاكل والشرب
وذروا الاسراف فيكون معنى ومد في امالنا والامال جمع امل محركة وهو الرجاء
وحقيقته ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها وهو حالة لها تصدر عن علم و
تقتضي عملا وقال بعضهم اكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله فان من عزم على
سفر الى بلد بعيد يقول املت الوصول اليه ولا يقول طمعت الا اذا قرب منه فان
الطمع لا يكون الا فيما قرب حصوله وقد يكون الامل بمعنى الطمع والرجاء بين الامل
والطمع فان الراجي قد يخاف ان لا يحصل ماموله ولهذا يستعمل بمعنى الخوف
فان قوي الخوف استعمل استعمال الامل وعليه قول زهير ارجو واامل ان تدنو
مودتها فالمراد بالامل هنا الامل لما لا ينبغي ان يمد الامل فيه من القنيات الفانية

ومنشاءه الحرص على الاسباب الدنيوية وثمرته الاعراض عن الامور الاخروية
الموجب لاشق الشقاء ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام ان اخوف ما اخاف عليكم
اثنان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل
فينسي الاخرة وبيان ذلك ان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها
ودوام ملاحظتها يستلزم دوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال الاخرة وهو
مستعقب لانمحاء ما تصور في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون
الهلاك الابدي والشقاء السرمدي **ونعوذ بك من سوء السريرة** هي فعيلة
بمعنى مفعوله وهي عبارة عما اسر واخفي في القلوب من العقائد والنيات
وغيرها وربما اطلقت على ما اخفي من الاعمال ايضا فسوء السريرة عبارة عن
كل قبيح يخفيه الانسان ويسره روى ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن ابي
عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول من اسر سريرة
رداه الله رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر وعنه عليه السلام قال ما
يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس
كذلك والله عز وجل يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت
قويت العلانية وعنه عم ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله
له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت الايام حتى يظهر الله له شرا **تنبيه**
اعلم ان الناس مختلفون في الخير والشر على اربع فرق فمنهم من يطوي باطنه
وظاهره على الخير وهذه حال الانبياء والاوصياء عليهم السلام واولياء الله
وحال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذين انزل الله في شانهم فعلم ما في
قلوبهم فانزل السكينة عليهم ومنهم من يطوي باطنه وظاهره على الشر وهذه
كانت صفة طائفة من اهل الكتاب كما حكى الله عنهم بقوله فلما جاءهم ما

عرفوا من الحق كفروا به فلعنة الله على الكافرين ومنهم من يشاكل ظاهره ظاهر الشرير
في الحدة والاستطالة ويرجع باطنه الى قلب سليم منطو على الخير وذلك من غلبة الصفراء
على مزاجه وفي الحديث اشارة على مثله قال عم خيار امتي احداؤها وقال عليه السلام
الحدة تعتري خيار امتي ومنهم من ابدى ظاهره الخير واضمر باطنه الشر فيكون صاحبه
مجمع فرق الشرور ومنتهى طرق العناد وهذه كانت حال المنافقين وهو انما
يكون من متابعة الدخلة الخبيثة الصادرة عن الدعاء المذموم المصاحب للعقب
المفرط والحسد المفرط وذلك هو سوء السريرة والله اعلم **واحتقار**
الصغيرة هذا آخر قوله عم فيما تقدم واستصغار المعصية لان المعصية اعم
من الصغيرة واحقرت الشيء احتقارا استهنت به فلم اعبا به والصغيرة من [illegible]
الغالبة وهي الفعلة القبيحة من الذنوب التي لم توجب حدا او لم يوعد الشارع
عليها مخصوصها او تقابلها الكبيرة وقد سبق منا الكلام على ذلك في الروضة
السادسة والاحتقار للصغيرة موجب لعدم المبالات بها والاعتناء بشانها
والولوع بها والاتيان بها مرة بعد اخرى حتى تصير ملكة فيجتمع عليه بسبب ذلك
ذنوب كثيرة وتبلغ حد الكبيرة فالواجب على الانسان ان يعد نفسه في العمل
الصالح مقصرا في الكم والكيف منه وان كان كثيرا بالنسبة الى وسعه لان ذلك
ادخل في تعظيم الرب وابعد من العجب والاعتماد على عمله واقرب الى البقاء
عليه والسعي فيه وانسب بمقام العبودية المبنية على التذلل والاعتراف بالتقصير
وان يرى ذنبه كبيرا عظيما وان كان قليلا حقيرا في نفسه لانه بالنظر الى مخالفة
الرب عظيم كبير والى ذلك اشار امير المؤمنين عليه السلام حيث قال اذا عظمت الذنب
فقد عظمت حق الله واذا صغرته فقد صغرت حق الله وما من ذنب عظمته
الا صغر عند الله وما من ذنب صغرته الا عظم عند الله وقال رسول الله صلى الله عليه

الدخلة بالكسر السريرة
من انه الخبيث الدخلة
وعفيف الدخلة وهو
ما اخفي ... مستتر

وآله لابي ذر

وآله لابي ذر لا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى من عصيت وقال ابو الحسن عليه السلام
لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا
وعن زيد الشحام قال قال ابو عبد الله عليه السلام اتقوا المحقرات من الذنوب
فانها لا تغفر قلت وما المحقرات قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى
لي لو لم يكن لي غير ذلك وعنه عم قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله نزل
بارض قرعاء فقال لاصحابه ائتوا بحطب فقالوا يا رسول الله نحن بارض قرعاء
ما بها من حطب قال فليات كل انسان بما قدر عليه فجاؤا به حتى رموه بين يديه
بعضه على بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا تجتمع الذنوب ثم
قال اياكم والمحقرات من الذنوب فان لكل شيء طالبا فان طالبها يكتب ما
قدموا وآثارهم وكل شيء احصيناه في امام مبين وعن امير المؤمنين عليه السلام
اشد الذنوب ما استهان به صاحبه **وان يستحوذ علينا الشيطان** استحوذ
عليه الشيطان غلب واستماله الى ما يريده منه وهذا مما جاء بالواو تنبيها
على اصله ومنه استصوب واستروح واستقوس واستنوق الى الفاظ
اخر روي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله بينما
موسى جالسا اذ اقبل ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنى من موسى خلع
البرنس وقام الى موسى فسلم عليه فقال له موسى من انت قال انا ابليس قال
انت فلا قرب الله دارك قال اني انما جئت لاسلم عليك لمكانك من الله
قال فقال له موسى فاخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن آدم استحوذت
عليه قال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه **او ينكبنا**
الزمان نكبه الدهر ينكبه نكبا من باب قتل اصابه بنكبة اي مصيبة واسناد
النكب الى الزمان مجاز عقلي لكونه من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل

في هذا العالم من الا متزاجات وما يتبعها مما بعد خيراً و شراً و سال بعض الغو انما يقال نكبه الدهر اذ أبلغ منه كل مبلغ في اصابته بالحوادث والمصايب و من عظيم ما يحكى من نكبات الزمان وتصاريف الحدثان ما كان العقيلي منها اكثر من ان يحصى ما ذكره عبد الله بن عبد الرحمن صاحب الصلوة بالكوفة قال دخلت الحايك في يوم اضحى فرايت عندها عجوزا في اطمار رثة و ذلك في سنة تسعين و مائتين فاذا لها لسان وبيان فقلت لها من هذه فقالت هذه خالتك عتابة ام جعفر بن يحيى البرمكي فسلمت عليها و تحيت بها و قلت اصارك الدهر الى ما ارى فقالت نعم يا بنى انا كنا في عوارى ارتجعها الدهر منا قلت فحدثني ببعض شانك فقالت خذه جملة لقد مضى علي اضحى و على راسي اربعمائة وصيفة وانا ازعم ان ابني عاق وقد جئتك اليوم اطلب جلدي شاتين اجعل احدهما شعارا والاخرى دثارا قال فرققت لحالها ووهبت لها دراهم فخرجت فرحة وان يتهضمنا السلطان هضمه واهتضمه وتهضمه اذا ظلمه ولما كان السلطان اقدر من غيره على الظلم وكان من لوازمه الانفة و الجراءة والبطر والعبث بسبب سكر السلطنة الذي هو اشد من سكر الشراب و الشباب فيرسل يده بالفعل و لسانه بالقول استعاذ من تهضمه على الخصوص ونعوذ بك من تناول الاسراف التناول في الاصل بمعنى الاخذ باليد يقال ناولت الشيء فتناوله اي اخذه ثم توسع فيه فاستعمل بمعنى التعاطي وهو الاقدام على الشيء وفعله وهذا المعنى هو المقصود هنا اي نعوذ بك من فعل الاسراف والاقدام عليه ولما خفي هذا المعنى على بعض طلبة العجم المترجمين للصحيفة الكاملة قال المعنى نعوذ بك من وجدان ما نسرف فيه فاضافة التناول الى الاسراف ليس من اضافة المصدر الى المفعول

بل هي

بل هي اضافة بادني ملابسة ولا خفاء في ان هذا المعنى غير مراد هنا بل المراد الاستعاذة من تعاطي الاسراف على ان جعله التناول بمعنى الوجدان لم يسمع لامنه ولا اسراف مجاوزة القصد وقيل هو صرف المال زائدا على القدر الجائز شرعا او عقلا وقيل هو انفاق المال الكثير في الغرض الخسيس وقيل انفاق المال من غير منفعة والحق انه يراعى فيه الكمية فهو من جهة الكمية ان يعطي اكثر مما يحتمله حاله قال بعضهم السرف لا بقاء معه لكثير ولا تثمير معه لقليل ولا يصلح معه دين ولا دنيا فدوام ما تلك وبقاء النعمة عليك بتقدير امورك على قدر الزمان وبقدر الامكان واما من حيث الكيفية فبان يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية اكثر منه بالكمية فرب منفق درهما من الوف وهو في انفاقه مسرف و ببذله مفسد و ذلك كمن اعطى فاجرة درهما او اشترى به خمرا و رب منفق الوفا لا يملك غيرها هو فيه مقتصد قيل لحكيم متى يكون بذل القليل اسرافا والكثير اقتصادا فقال اذا كان بذل القليل في باطل و بذل الكثير في حق حكى الراغب في المحاضرات ان الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام فرق بخراسان امواله كلها في يوم عرفة فقال له الفضل بن سهل ما هذا المغرم فقال بل هو المغنم و للاسراف مذام كثيرة منها انه لا اسراف الا ويجنبه حق مضيع ومنها انه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس و الجهل بمقدار ذلك السؤال و الجهل راس كل شر و منها انه يؤدي الى الفقر المستلزم لطلب ما في يد الغير ومنها انه داعية بعضا ان يظلم غيره و لكثرة مذام الاسراف ومضاره ذمه الله تعالى باعظم مما ذم البخل فقال ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان

الشياطين لربه كفورا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا اى تقعد ملوما من جهة مالك
فلم تجد ما تعطيه محسورا منقطعا بك عن بلوغ مرادك وقال تعالى كلوا
واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وكل مكلف لا يحبه الله تعالى فانه
من اهل النار لان محبته تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه وقال في سورة
الانعام وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وعن ابي
عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اقتصد في
معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله وعن امير المؤمنين عليه السلام القصد
مثراة والسرف متواة اى مهلكة وعن سليمان بن صالح قال قلت
لابي عبد الله عم ادنى ما يجيء حد السرف قال ابتذالك ثوب صونك واهراقك
فضل انائك واكلك التمر ورميك بالنوى هٰهنا وهٰهنا وعنه عم قال ان القصد
امر يحبه الله وان السرف امر يبغضه الله حتى طرحك النواة فانها تصلح
لشيء وحتى صبك فضل شرابك **تذنيب** الاسراف لا يتعلق بالمال
فقط بل بكل شيء وضع في غير المحل فقال انكم لتاتون الرجال شهوة
من دون النساء بل انتم قوم مسرفون ووصف فرعون بقوله عز وجل
انه كان عاليا من المسرفين وقوله وان فرعون لعال في الارض انه لمن المسرفين
وقال بعض العلماء كل اسراف جهل وكل جهل اسراف **ومن فقدان الكفاف**
فقد فقدا من باب ضرب وفقدانا بالضم علمته والكفاف بالفتح
ما كان بقدر الحاجة من غير زيادة ولا نقص سمي بذلك لانه يكف عن
سؤال الناس ويغني عنهم والمراد بفقدانه ما دونه وهو الفقر المستعاذ
منه قال امير المؤمنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية يا بني اني اخاف عليك

الفقر

الفقر فاستعذ بالله منه فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية
للمقت قيل اما كونه منقصة للدين فللاشتغال بهم وتحصيل قوام البدن
عن العبادة واما كونه مدهشة العقل وحيرته وضيق الصدر به واما كونه
داعية للمقت فلمقت الخلق لصاحبه اى بغضهم له في قوت القلوب عن النبي
عليه السلام ان الله تعالى في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر
اذا كان مثوبة يحسن عليه خلقه ويطيع ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى
على فقره ومن علامة الفقر اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي فيه
ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا النوع من الفقر هو الذي
استعاذ منه النبي صلى الله عليه وآله **ونعوذ بك من شماتة**
الاعداء شمت به يشمت بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل اذا فرح
بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة بالفتح والاعداء جمع عدو فعول بمعنى
فاعل وهو خلاف الصديق الموالي قال في مختصر العين يقع بلفظ واحد
على الواحد المذكر والمؤنث والمجموع وقال ابو زيد سمعت بعض بني
عقيل يقولون هن وليات الله وعدوات الله واولياؤه واعداؤه قال
الازهري اذا اريد الصفة قيل عدوه وقال البارع اذا كان فعول بمعنى
فاعل استوى فيه المذكر والمؤنث فلا يؤنث بالهاء سوى عدو فقالوا
فيه عدوة قال الراغب العدو هو الذي يتحرى اغتيال الآخر ويضاده
فيما يؤدي الى مصالحه واعلم ان العدو ضربان باطن لا تدرك ذاته
بالحاسة وظاهر يدرك بالحاسة فالباطن اثنان احدهما الشيطان لع
عدو يعادي معاداة جوهرية وقد حذرنا الله منه غاية التحذير فقال
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الى غير ذلك من الآيات والثاني

العدو

النفس الامارة المشار اليها بقوله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم
ربي وقول النبي صلى الله عليه وآله اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك
واما الظاهر من العدو فالانسان وهو ضربان ضرب هو مضطغن بالعداوة
قاصد الى الاضرار اما مجاهرة واما مساترة وذلك اثنان واحد يعادي
كل احد وهو كل انسان سبعي الطبع خبيث الطينة مبغض لكل من لا
يحتاج اليه في العاجل يغيضك كل نفس يباديك كل من لا يخافه ومثله هو
الذي عنى تعالى بقوله شياطين الانس والثاني عدو خاص العداوة و
ذلك اما بسبب الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل للعاقل واما
بسبب تجاذب نفع دنيوي كالتجاذب في رياسة ومال وجاه واما
بسبب لحمة او مجاورة مورثة للحسد كمعاداة بني الاعمام بعضهم لبعض
وذلك في كثير من الناس كالطبيعي وقال رجل لشبيب ابن شيبة انا والله
احبك يا ابا معمر قال اشهد على صدقك قال وكيف ذلك قال لانك لست
بجار قريب ولا بذي رحم نسيب ولا مشاكل في صناعة واكثر العداوة
بين الناس تتولد من هذه وضرب عدو مضطغن للعداوة لكن
يؤدي حاله بالانسان الى ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد عدوه فيسمى
عدوا لذلك كالاولاد والازواج وعلى ذلك قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم وقال صلى الله عليه وآله ليس عدوك الذي ان قتلته
اجرك الله في قتله وان قتلك ادخلك الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك
التي بين جنبيك وامرأتك التي تضاجعك واولادك الذين من صلبك
فجعل عليه السلام هؤلاء اعداء الانسان لما كانوا سببا لهلاكه الاخروي لما
يرتكبه من المعاصي لاجلهم فيؤدي به الى هلاك الابد الذي هو شر من هلاك

المعادي المناسب اياه اذا عرفت ذلك فينبغي ان يقصد الى بالاعداء ما
عدا الضرب الاخير فان الشيطان يشمت بالانسان اذا وقع في معصية
وفرح النفس الامارة باتباعها شماتة منها وشماتة العدو الظاهر ظاهر
قال بعضهم سح العقارب ونزح البحار واحصاء القطار اهون من شماتة الاعداء
وفي الاثر قيل لايوب عليه السلام اي شيء كان عليك اشد في بلائك فقال
شماتة الاعداء وقال الجاحظ ما رايت سنانا هو انفذ من شماتة الاعداء و
قال ابن عيينة المهلبي ؞ كل المصائب قد تمر على الفتى ؞ فتهون غير شماتة
الاعداء ؞ شماتتكم في نوفسا قدم اصابني ؞ وما في دخول النار في طنز ما لك ؞
جمع كفوء بالضم مهموزا وهو النظير والمساوي والظاهر ان المراد بالاكفاء الامثال
والاشباه في النسب او الحسب اعاظمهم بالذكر لان الفقر اليهم اشد مضاضة
على الانسان ومن هنا قال امير المؤمنين عليه السلام احتج الى من شئت تكن
اسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحسن الى من شئت تكن اميره
فاذا احتاج الانسان الى نظيره كان اميره وصار هو اسيره فيراه بعين الوبال
بعدما كان يراه بعين الكفاءة و تجرع الصاب والعلقم اليه نش التجاح الارقم
اهون من ذلك بمراتب بخلاف الفقر الى من هو اعظم منه رتبة واجل قدرا
فقد يهون على الانسان سماحته كما كتب بعض اهل النعمة وقد اساء اليه زمانه
الى بعض الامراء هذا كتاب فتى له همم ؞ الفت اليك رجاءه همه ؞ قل الزمان
يدي عزيمته ؞ وطواه عن اكفائه عدم ؞ افضى اليك بسره قلم ؞ لو كان يعقله
بكى قلم ؞ وحكى ابو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر قال بلغني ان الصاحب
اسمعيل بن عباد كان يتمنى الحياة الى اسحق ابراهيم بن هلال الصابي الى حضرته
وقدومه على حضرته ويضمن له الرغائب على ذلك اما شوقا او نسرا وكان ابو

ومن الفقر الى الاكفاء

استحاق هيمتمل نقل الخلة وسوء اثار العطلة ولا يتواضع للاتصال بحملة الغناء
بعد كونه من عظمائه وتخليصه بالرياسة في ايامه ويحتمل ان يكون المراد بالاكفاء
ساير الناس كما قال الناس من جهة الاباء اكفاء ابوهم آدم والام حواء
قال بعض العارفين الفقر على ثلثة اصناف فقر الى الله دون غيره وفقر
الى الله مع غيره وفقر الى الغير دون الله والى الاول اشار النبي صلى الله عليه و
آله بقوله الفقر فخري والى الثاني بقوله كاد الفقر ان يكون كفرا والى الثالث
بقوله الفقر سواد الوجه في الدارين وعن ابي عبد الله عليه السلام اياكم وسوال
الناس فانه ذل في الدنيا وفقر تعجلونه وحساب طويل يوم القيمة وروى
عن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني ذقت الصبر واكلت لحاء الشجر فلم اجد شيئا
امر من الفقر فان بليت به يوما فلا تظهر الناس عليه فيستهينوك ولا ينفعوك
بشيء ارجع الى الذي ابتلاك به هو اقدر على فرجك وسله من ذا الذي
ساله فلم يعطه او وثق به فلم ينجه ومن معيشة في شدة المعيشة تكون
اما بمعنى العيش وهو الحيوة وبمعنى ما يعاش به من المطعم والمشرب وما
يكون به الحيوة فهي مفعلة من العيش ولذلك لم تقلب ياؤها همزة في الجمع
عند الاكثر والشدة بالكسر اسم من الاشتداد والمراد بها العسر والمشقة و
ميتة على غير عدة الميتة بالكسر حالة الموت والعدة بالضم ما اعددته
وهيأته ليوم الحاجة وحادث الدهر والمراد بها هنا التقوى والعمل الصالح الذي يعد
للتوصل به الى السعادة الابدية والتخلص من الشقاوة الاخروية ومن كلامهم من مات
على غيرة شوقه موت فجاءة وان كان صاحب فراش سنة ومن كلام امير المؤمنين
عليه السلام احذروا عباد الله الموت وقربه واعدوا له عدته فانه ياتي بامر عظيم
وخطب جليل بخير لا يكون بعده شر ابدا او شر لا يكون معه خير ابدا ومن

ص

الحسرة

٢٦٦

من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى الحسرة التلهف والتاسف وهي اسم من
حسر على الشيء حسرا من باب تعب والمصيبة الشدة النازلة والعظمى والكبرى مونثا
اعظم واكبر والمراد بالحسرة العظمى هنا التاسف الذي يلحق الانسان في الدار الآخرة
على التفريط في اكتساب الاعمال الصالحة في دار الدنيا عند مشاهدته للثواب والعقاب
وهي التي اشار اليها بقوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وبالمصيبة الكبرى
كما قال امير المؤمنين عليه السلام وقد سئل اي المصائب اشد فقال المصيبة بالدين واشقى
الشقاء اي اشد الشقاء واعظمه المتناهي في حده والمراد به دخول النار اعاذنا الله
منها كما قال تعالى واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها
ما دامت السموات والارض وسئل امير المؤمنين عليه السلام اي الخلق اشقى قال
من باع دينه بدنيا غيره فان قلت افعل التفضيل قياسه ان يكون للتفضيل
الفاعل على غيره في الفعل نحو اعلم الناس اي عالم اكثر علما من ساير الناس
وكذا اشد العذاب اي عذاب اكثر شدة من ساير العذاب وهذا المعنى غير
متصور في اشقى الشقاء لان الشقاء لا يتصف بالشقاء فيكون منه شقي
واشقى قلت هذا من الاسناد المجازي المسمى بالمجاز العقلي عن جد جده
وشعر شاعر وداهية دهيا والقصد من ذلك المبالغة والتنبيه على تناهيه
حيث جعل للشقاء شقاء حتى صار اشقى كما جعل للشعر شعر حتى صار شاعرا
وللداهية دهاء حتى صارت دهياء وسوء المآب وحرمان الثواب و
حلول العقاب آب يؤب أوبا ومآبا اي رجع فالمآب بمعنى الرجوع
الى الله سبحانه بعد انقطاع حياته من هذه الدار فيكون المراد بسوءه اقترانه
بالعذاب سواء كان في القبر او بعد الحشر كما ورد في دعاء آخر اعوذ بك من
كرب الموت ومن السوء في القبور ومن الندامة يوم القيمة ويحتمل ان يكون

المراد بسوء المآب جهنم اعاذنا الله منها كما قال تعالى وان للطاغين لشر مآب
جهنم يصلونها فبئس المهاد فجعل جهنم عطف بيان لشر مآب جنات عدن
مفتحة لهم الابواب وحرمته الشيء من باب ضرب حرمانا بالكسر منعه ولحق
بالالف لغة فيه والثواب اسم من اثبته على الشيء اذا جازيته فهو بمعنى
الجزاء ويستعمل في الخير والشر لكنه في الخير اكثر كما وقع هنا والمراد بحرمانه
عدم الاعداد له والافلاح لحرمانه بعد وقوع مقتضيه لقوله تعالى ومن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره وحلول العقاب لزومه من حل الدين من باب
ضرب حلولا اذا وجب اداؤه ويمكن ان يراد به نزول العقاب من حل
بالبلد حلولا من باب قعد والاول اولى والعقاب العقوبة من عاقبه بذنبه
اذا اخذه به وقد تقدم الكلام على الثواب والعقاب مستوفى في الروضة الاولى
فليرجع اليه اللهم صل على محمد وآله واعذني من كل ذلك كرر طلب الاعاذة
بعبارة اخرى الحاحا والالحاح في الدعاء فانه مندوب اليه فعن ابي جعفر
عليه السلام والله لا يلح عبد مؤمن على الله عز وجل في حاجته الا قضاها وعن
ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله رحم الله عبدا
طلب من الله عز وجل حاجة فالح في الدعاء استجيب له او لم يستجب له ثم
تلا هذه الآية وادعوا ربي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا وعن ابي عبد الله
عليه السلام قال ان الله عز وجل كره الحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة
واحب ذلك لنفسه ان الله عز وجل يحب ان يسأل ويطلب ما عنده برحمتك
الباء للاستعطاف او للسببية اي اعذني بسبب رحمتك التي وسعت كل شيء
لا باستحقاق مني وجميع المؤمنين والمؤمنات بنصب جميع عطفا على مفعول
اعذني وهو ياء المتكلم عمم في الدعاء قصدا للاجابة فعن ابي عبد الله عليه السلام

اذا دعا

اذا دعا احدكم فليعم فانه اوجب للدعاء يا ارحم الراحمين ختم الدعاء
بهذا الوصف للاستعطاف وتوقع حصول المطلب كما تقدم
في ختام الروضة الخامسة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من الى طلب مغفرته يشتاق المذنبون ويا من الى غيث رحمته
يتاق المجدبون نحمدك على ان دعوتنا الى محبوبك من التوبة ونشكرك على
ان نهيتنا عن مكروهك من الاصرار على الحوبة ونصلي على نبيك الصادق
الامين الذي ارسلته رحمة للعالمين وعلى آله ائمة الدين وعترته
الهداة المهتدين وبعد فهذه الروضة التاسعة من رياض السالكين
تتضمن شرح الدعاء التاسع من ادعية صحيفة سيد العابدين املاه
العبد الفقير الى ربه الغني علي صدر الدين بن احمد الحسيني الحسني

كتبه الله في صحيفة ثوابه وجعله نوراً بين يديه يوم حسابه وكان من
دعائه عليه السلام في الاشتياق الى طلب المغفرة من الله جل جلاله الاشتياق احتياج القلب
الى لقاء المحبوب والمغفرة اسم من غفر الله له غفراً من باب ضرب وغفراناً
والاصل الغفر الستر ولذلك قيل المغفرة هي ان يستر القادر القبيح الصادر
ممن هو تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه
لا يقال غفر له وجل الشيء يجل بالكسر عظم فهو جليل وجلال الله تعالى عظمته
وفي نسخة بدل هذا العنوان وكان من دعائه عليه السلام في الاعتراف وطلب التوبة
الى الله عز وجل صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين اللهم صل على محمد
وآله وصيرنا الى محبوبك من التوبة افتتح الدعاء بالصلوة على محمد وآله
عليهم السلام ايجاباً للاجابة كما مر مراراً وصار زيد غنياً انتقل الى حالة الغنى
بعد ان لم يكن عليها وصار الى كذا رجع اليه واليه مصيره اي مرجعه
وماله ويتعدى في المعنيين بالتثقيل فيقال صيرته تصييراً فصيرنا الى محبوبك
من التوبة اي انقلنا اليه او اجعل مصيرنا ومآلنا اليه والمحبوب مفعول من حبه
يحبه من باب ضرب والاكثر احبه بالالف وان لم يقل منه محب الا قليلاً
وكما ذكرناه في اوائل شرح السند ومعنى محبته تعالى للتوبة ارادة الثواب عليها
والاكرام لفاعلها والتوبة لغة الرجوع وتنسب الى العبد والى الرب سبحانه و
معناها على الاول الرجوع عن المعصية الى الطاعة وعلى الثاني الرجوع عن
العقوبة الى اللطف والتفضل وفي الاصطلاح الندم على الذنب لكونه ذنباً
فخرج الندم على شرب الخمر مثلاً لمضرته بالجسم وقيل هي عبارة عن ارتحال
النفوس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء الجاذب الهي اطلعت معه
على قبح ما كانت عليه من اتباع شياطينها وقيل التوبة ترك الذنب لقبحه و

منعه

ومنعه من الوصول الى الحق والندم على ما فرط والعزم على ترك المعاودة
وتدارك ما امكن تداركه من الاعمال ورد المظلمة الى صاحبها او تحصيل
البراءة منه فمتى اجتمعت هذه الامور تحققت حقيقة التوبة وكملت
شرائطها وتاب الى الله تعالى وهي من اهم قواعد الاسلام واول مقامات
سالكي الآخرة وقد اتفق علماء الاسلام على وجوبها وتوبة ولها فوائد
كثيرة منها انها شفاء من مرض الذنب ومنها انها تخلع ثوب الدنس وتقطع
عرق النجس ومنها انها تورث محبة الرب ورضوانه والمصير الى جنابه قال تعالى
ان الله يحب التوابين ويكفي بذلك شرفاً وفضلاً فان محبة الحق اعلى مقاصد السالكين
وعن الباقر عليه السلام ان الله اشد فرحاً بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده
في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته والى
هذا المعنى اشار سيد العابدين عليه السلام في الدعاء بقوله محبوبك من التوبة فلو لم
يرد في فضل التوبة غير هذا الحديث الشريف لكفى كيف والآيات والاخبار فيه اكثر من ان
تحصى وسيأتي تمام الكلام على التوبة في الروضة الحادية والثلثين ان شاء الله تعالى
وازلنا عن مكروهك من الاصرار زال عن مكانه يزول زوالاً تحول وانتقل و
يتعدى بالهمزة كثيراً فيقال ازلته وبالتضعيف قليلاً فيقال زولته وكراهته
تعالى للاصرار يعود الى علمه بعدم استحقاق الثواب عليه ويلزمها ارادة اهانة
فاعله وتعذيبه والاصرار الاقامة على الذنب من غير استغفار وقد سبق الكلام
عليه مبسوطاً في شرح الدعاء الذي قبل هذا فليرجع اليه اللهم ومتى وقفنا بين
نقصين في دين او دنيا النقص الخسران في الحظ وهنا للتفصيل كقوله
قالوا لنا ثنتان لا بد منهما صدور رماح اشرعت او سلاسل اي نقص في دين او
نقص في دنيا فهو تفصيل لاجمال الشيء والدنيا تأنيث الادنى وقد وردت على هذا

القياس لانسلاخها عن معنى الوصفية واجرائها مجرى الاسماء وهى ممنوعة الصرف لالف
التانيث وقال صاحب القاموس الدنيا نقيض الاخرة وقد تنون انتهى قال الدمامينى
فى شرح التسهيل حكى ابن الاعرابى صرف دنيا على وجه الشذوذ ولا يمكن ان تكون الالف
للتانيث مع الصرف فيجعل اذ ذاك للالحاق انتهى والمعنى انه متى وقع منا تقصير
تستوجب به الوقوف بين حزنين فى الدين وخسران فى الدنيا **فاوقع النقص فى
اسرعهما فناء** اى فاجعل ذلك الخسران فى الدنيا المشار اليها بالاسرع فناء لان
النقص فى الفانى السريع الفناء لا نسبة له الى النقص فى الباقى الطويل البقاء
وافعل التفضيل هنا مجرد عن معنى التفضيل اى بالسريع منهما فناء لان الدنيا والدين
لا يشتركان فى سرعة الفناء حتى يصح التفضيل فهو كقولهم الناقص والاشج اعدلا بنى
مروان اى عادلاهم **واجعل التوبة فى اطولهما بقاء** المراد بالتوبة التوبة المنسوبة الى
الرب وهى رجوعه تعالى عن العقوبة الى اللطف والتفضل اى اجعل رجوعك عن العقوبة
لنا بالخسران الى اللطف بنا والتفضل علينا فى الدين المشار اليه بالاطول بقاء والحاصل
انه لما كان من الذنوب والمعاصى ما يستلزم امتحاننا فى الدنيا كما قال تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وكما روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال وايم الله ما
كان قوم قط فى خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها او خسراننا فى الدين
كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ان العبد ليذنب الذنب فينسى به
العلم الذى كان قد علمه وان العبد ليذنب الذنب فيمتنع به من قيام الليل وعن ابى
عبد الله عليه السلام ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلوة الليل سال عليه السلام ربه ان
يوقع الخسران فى الدنيا ويتوب عليه من الخسران فى الدين وفى رواية بين تقصير فى
دين ودنيا او على ما مر والمعنى متى وقفنا بين تقصير فى دين وتقصير فى دنيا
نستوجب به النقص فى احدهما فوقع النقص فى اسرعهما فناء الى آخره وقال بعض العلماء

معنى هذه العبارة اذا وقفنا بين تقصير فى دين يكون باعثا على عدم التقصير فى
الدنيا وسببه او تقصير فى دنيا يكون باعثا على عدم التقصير فى الدين او سببه
فاوقع النقص باسرعهما فناء وهو الدنيا لكون تقصيرنا فيها لا فى الدين وفى
اثباته عليه السلام باو تنبيه على عدم امكان الجمع بين الرغبة فى الدين والدنيا كما قرر
امير المؤمنين عليه السلام مثلا للدنيا والاخرة بالضرتين وانه لا يمكن ان ترضى احديهما
الا باسخاط الاخرى وبكفتى الميزان فان لاحديهما لا ترتفع الا بوضع الاخرى و
بالمشرق والمغرب فانه كلما ازداد بعدا من الاخرى وقوله عليه السلام واجعل
التوبة فى اطولهما بقاء معناه والله اعلم اجعل التوبة فى الدين لا فى
الدنيا بمعنى ان التوبة تكون ثمرتها وفائدتها بالدين لا بالدنيا فان التوبة
فيما يتعلق بالدنيا فان التوبة فيما يتعلق بالدنيا فائدتها فيها قال ويحتمل
وجها آخر لعله اقرب من الاول وهو ان يكون المراد وقوع النقص فى التقصير
فى الدين لا فى التقصير فى الدنيا والمراد بالنقص رفعه بالكلية فان الناقص
ياتى بمعنى الساقط والزائل ونحو ذلك واذا استعمل فيما نقص منه شىء
فباعتبار نقصه من التقصيرين وفى قوله عليه السلام باسرعهما بالبقاء دون فى اقامة
نقصه كله وفناء التقصير فى الدنيا باعتبار عدمه فى الدنيا ولا يلزم من كونه
سريع الفناء ثبوت فناء بعينه والتفضيل فى اطولهما ظاهر واسرعهما
بمعنى سريعهما كما فى قوله تعالى وهو اهون عليه ويمكن فى اطولهما ايضا لبقائها
ويحتمل اعتبار التفضيل فيما فتدبر انتهى كلامه ولا يخفى ما فيه من التمحل و
التكلف وقال بعضهم معنى هذا الكلام انه متى توجه الينا نقصان فى دين
او فى دنيا فاجعل النقصان دنيويا لا اخرويا ووفقنا للتوبة قبل ان
يصل الينا النقصان الاخروى انتهى وهو اقرب من الوجهين المذكورين

قبله ولبعض المتعجبين في حل هذه الفقرات كلام يضحك الثكلى اضربنا
عن ذكره لسخافته واذا هممنا بهمّين يرضيك احدهما عنّا ويسخطك
الآخر علينا همّ بالامر اذا قصده وعزم عليه وقيل هو اول العزم وقد
يطلق على العزم القوي قال امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان الهمّ في اللغة
على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى اذ همّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم
اي ارادوا ذلك وعزموا عليه ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم
عليه كقوله تعالى اذ همّت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما يعني ان الفشل
خطر ببالهما ولو كان الهمّ هنا عزما لما كان الله وليّهما لان العزم على المعصية
معصية ولا يجوز ان يكون الله سبحانه وليّ من عزم على الفرار عن نصرة
نبيّه ومنها ان يكون بمعنى المقاربة قالوا همّ فلان ان يفعل كذا اي كاد
يفعله ومنها الشهوة وميل الطبع يقول القائل فيما يشتهيه ويميل اليه
طبعه هذا اهمّ الاشياء اليّ وفي ضدّه ليس هذا من همّي انتهى ملخصا وقال
غيره الهمّ على ثلثة انواع احدها العزم وهو التصميم والثاني الخطرة التي
لا تقصد ولا تستقر الثالث حديث النفس اختيارا ان تفعل ما يوافقها او يخالفها
او ان لا تفعل فان قلت ما المراد بالهمّ هنا واي معنى من هذه المعاني ينبغي
حمل الهمّ عليه في الدعاء قلت ينبغي ان يحمل على المعنى الاول وهو القصد
والعزم وتوطين النفس على الفعل والترك لانه الذي يترتب عليه رضى الله
تعالى في الطاعة وسخطه في المعصية واما بمعنى الخطرة او حديث النفس فان
كان طاعة فلا مانع من ان يترتب عليه رضاه تعالى كما جرت عليه عادته في
عموم الفضل والاحسان وان كان معصية فقد انعقد اجماع
الائمة على انه لا مؤاخذة به وعلى هذا المعنى حمل جماعة من العلماء ما ورد

في الكافي

في الكافي عن زرارة عن احدهما عليهما السلام قال ان الله تعالى جعل لآدم في ذريته
من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له
عشرا ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ومن عمل بها كتبت عليه سيئة
وعن ابي بصير قال عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان المؤمن ليهمّ بالحسنة ولا
يعمل بها فتكتب له حسنة فان هو عملها كتبت له عشر حسنات وان المؤمن ليهمّ
بالسيئة ان يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس
رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يروي عن ربه تبارك
وتعالى قال ان الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيّن ذلك فمن همّ بحسنة فلم
يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان همّ بها فعملها كتبها الله عنده
عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة وان همّ بالسيئة فلم
يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة
فالهمّ في هذه الاخبار محمول على معنى الخطرة وحديث النفس الذي لا استقرار
معه واما العزم والتصميم على المعصية فهو في نفسه معصية فان عملها كانت
معصية ثانية هذا ما ذهب اليه اكثر المحدثين والمتكلمين وجمهور العامة
وجماعة من اصحابنا منهم امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان والشريف
المرتضى قدس سره قال في تنزيه الانبياء ارادة المعصية والعزم عليها
معصية وقد تجاوز ذلك قوم حتى قالوا ان العزم على الكبيرة كبيرة و
على الكفر كفر انتهى واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم وقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
وبالاخبار المستفيضة الدالة على حرمة الحسد واحتقار الناس وارادة المكروه
بهم ويؤيد ما ذهبوا اليه ظاهر عبارة الدعاء وقال كثير من الاصحاب انه

عيز مواخذ به لظاهر الاحاديث المتقدمة واجابوا عن الآيتين بانهما مخصصتان
باظهار الفاحشة فالمظنون كما هو الظاهر من سياقهما ومن الثالث النوع المختلف
فيه ماله صورة في الخارج كالزنا وشرب الخمر واما ما لا صورة له في الخارج كالاعتقادات
وخبائث النفس مثل الحسد وغيره فليس من صور محل الخلاف فلا وجه فيه على
ما هو فيه واما احتقار الناس وارادة المكروه بهم فاظهارهما حرام مؤاخذ به
ولا نزاع فيه وبدونه اول المسئلة قال بعض المحققين والحق ان المسئلة
محل الاشكال **مِلْ بِنَا إِلَى مَا يُرْضِيكَ عَنَّا وَهِنْ قُوَّتَنَا عَمَّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنَا** مال به
الى كذا صرفه اليه والباء للتعدية اي جعل الفعل متعديا وعبر بها باحداث
معنى التصيير في مفهومه من اللزوم الى التعدي وهذا المعنى مما انفردت به
الباء عن سائر حروف الجر واما التعدية بمعنى ايصال معنى الفعل الى الشيء بواسطة
حرف الجر فهو جار في حروف الجر كلها والمعنى ايدنا منك بعناية نستعد بها
لقصرهم على ما يرضيك ووهن يهن وهنا من باب وعد ضعف واوهنه اضعفه
وعداه بعن لتضمينه معنى المنع والمراد بالقوة هنا المعنى الذي يتمكن به
الحيوان من مزاولة الافعال الشاقة من باب الحركات وهي التي تقابلها
الوهن والضعف وقد تطلق على جنس القدرة وهي الصفة المؤثرة في الغير
وعلى القدرة نفسها ويحتمل ان يراد بالقوة هنا القوة الباعثة وهي قوة
تحمل القوة الفاعلة على تحريك الاعضاء عند ارتسام صورة امر مطلوب
او مهروب عنه في الخيال فهي ان حملتنا على التحريك طلبا لتحصيل الشيء الملائم
عند المدرك سواء كان ذلك الشيء نافعا بالنسبة اليه في نفس الامر او
ضارا تسمى قوة شهوانية وان حملتنا على التحريك طلبا لدفع الشيء المنافي
عند المدرك ضارا كان في نفس الامر او نافعا تسمى قوة غضبية والمراد

بايهان القوة عما يسخطه تعالى عدم الامداد بالمعاصي الموجبة لسخطه سبحانه
وسخطه تعالى على العبد يعود الى علمه بمخالفة اوامره وعدم طاعته
له ويلزمه كراهيته لثوابه وكراهته تعود الى علمه بعدم استحقاقه
للثواب وانه لا مصلحة في ثوابه ويلزمهما ارادة اهانته وتعذيبه
وَلَا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا وَاخْتِيَارِهَا فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَفَّقْتَ أَمَّارَةٌ
٢٧٦ ١ **بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ** خليت بين زيد وعمرو تخلية اي تركته واياه قال الزمخشري في
الاساس خليته وخليت عنه ارسلته وخليت فلانا وصاحبه وخليت
بينهما انتهى فقوله لا تخل يجب ضبطه بضم التاء وكسر اللام المشددة وما
ضبطه بفتح التاء وكسر اللام المشددة واما ضبطه بفتح التاء وفتح اللام
جعله من تخيلية بمعنى خليته فالا نقف عليه في شيء من كتب اللغة وان
حكاه بعض المحشين فالعهدة عليه واعلم ان المحققين على ان النفس
الانسانية اعني النفس الناطقة شيء واحد فاذا مالت وهذا في اغلب
احوالها الى الهيا بالعالم الحسي وقارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها
انجذبت الى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء وان
كانت منجذبة تارة الى العالم العلوي وتارة الى العالم السفلي سميت
لوامة ومنهم من ذهب الى ان النفس المطمئنة هي الناطقة بالعلوم والنفس
امارة منطبعة في البدن تحمله على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق
الرذيلة والفاء من قوله فانها السببية تعليل لسؤال عدم التخلية بينها
وبين اختيارها وقوله مختارة للباطل امارة بالسوء اي مائلة الى
القبائح رغبة في المعاصي الا ما وفقت وما رحمت اي الا البعض الذي
وفقته ورحمته بالعصمة كالملائكة والانبياء عليهم السلام كما في

الموضعين موصولة او المراد انها مختارة للباطل اشارة بالسوء في كل وقت
واوان الا وقت دفا يتك من رحمتك فما المصدرية زمانية ويحتمل ان يكون
الاستثناء منقطعا اي ولكن دفايتك من رحمتك فما مصدرية زمانية
ويحتمل ان يكون الاستثناء هنا للتأكيد فان الباطل ذا سوء وهو محمول
على نفي الالطاف منه تعالى فلا دليل فيه على ان صرف النفوس عن الباطل ذلك
بخلق الله وتكوينه كما هو مذهب الاشاعرة **اللهم وانك من الضعف خلقتنا**
وعلى الوهن بنيتنا ومن ماء مهين ابتدأتنا فيه اشارة الى قوله تعالى
الله الذي خلقكم من ضعف اي جعل الضعف اساس امر الانسان اما في الخلقة
والبنية فلانه خلقه من اصل ضعيف هو النطفة واما في الاخلاق فلانه
خلق ضعيفا عن مخالفة هواه ومقاتلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع
الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات كما قال سبحانه وخلق الانسان
ضعيفا فان المراد بالضعف فيه الضعف عن مخالفة الهوى لانها جملة وقعت
اعتراضا تذييليا سوقا لتعليل ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الاماء وليس
اضعف البنية مدخل في ذلك وان ذهب اليه بعض المفسرين فان المقام يأباه
والوهن الضعف جعله اساسا لما طبع عليه الانسان من الاخلاق وما طبع منه من
الاركان فاستعار له البناء ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه وذلك تخصيص
الضعف بالاخلاق والوهن بالخلقة او بالعكس تفاديا من التأكيد وذهابا
الى التأسيس الذي هو خير منه وفي قوله عليه السلام ومن ماء مهين ابتدأتنا
اشارة الى قوله تعالى في سورة السجدة وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين وقوله تعالى في المرسلات الم نخلقكم من ماء مهين
والمهين الحقير الذي لا يعبأ به وهو فعيل من مهن بضم العين مهانة حقر

فهو مهين

فهو مهين والمراد بالماء النطفة قال بعض الحكماء وفي خلق الانسان ضعيفا
حكمة بالغة وذلك ان الخلقة الانسية لو لم تكن ذات وهن وفتور في
البنية لما انتبه الانسان في احتياجه في الحالات كلها الى خالقه ولو لم
ينتبه في احتياجه اليه لما اخشيه ولما استعان به ولا استعاذ به
والتجاء اليه ولهاربت ابواب المخافات واحجم المواساة منقطعة بين
الخليقة ولما تدرج الانسان بدواعيه الحميدة الى اكتساب الفضائل ولما
استحق بها المحمدة فسبحان من جعل الانسان بقصور بنيته قابلا لما وفي عظمته
فلا حول لنا الا بقوتك ولا قوة لنا الا بعونك الحول هنا
بمعنى الحركة اي لا حركة لنا في تحصيل خير الا بقوتك ويجوز ان يكون بمعنى الا
من حال حولا بمعنى احتال اذا قدر على التصرف اي لا قدرة لنا على التصرف الا بقوتك
والقوة تطلق على كمال القدرة ويقابلها الضعف ولما ثبت انه تعالى
مستند جميع الموجودات والمفيض على كل قابل ما يستعد له وبحكمته فهو المعطي
لكل ضعيف عادم القوة من نفسه كمالها وقوتها لم يكن للانسان قدرة على الحركة
او التصرف الا بقوته سبحانه ولا قوة له الا باضافة قوة استعداد بقوى
عقله على القيام باوامره تعالى والاجتناب عن نواهيه وهو معنى قوله الا
بعونك **فايدنا بتوفيقك وسددنا بتسديدك** التأييد التقوية
من الايد بمعنى القوة وتأييده تعالى للعبد تقويته امره من داخل بالبصيرة
ومن خارج بقوة الاعضاء والجوارح على العمل بطاعته سبحانه وقد مر معنى
التوفيق وهو جعل ارادة الانسان وفعله موافقا لقضائه تعالى وقدره
وهو وان كان في الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة والشقاوة
فقد صار متعارفا في السعادة فقط وهو مما لا يستغني الانسان عنه في كل

٢٧٢

حال كما قيل الحكيم بالشئ الذي لا يستغني عنه في كل حال فقال التوفيق
تسديده تسديدا قويمه ووفقه للسداد اي الصواب من القول
والعمل وقيل توفيق الله تعالى للعبد عبارة عن تقويم ارادته وحركاته نحو الوجه
المطلوب له ليبلغ اليه في اسرع مدة قال بعض العلماء واعلم ان توفيقه
وتاييده وتسديده تعالى للعبد يكون بما يحصل له من الفهم الثاقب والسمع الواعي
والقلب المرعي وتقييض المعلم الناصح والرفيق الموافق والكاد من المال عما لا
يقعده عن بغراه قلته ولا يشغله عنه كثرته ومن العشيرة والحرمان
يصونه عن سفه السفهاء وعن الغضب منه من جهة الاغنياء وان يجول
من كبر الهمة وقوة العزيمة بما يحفظه عن التسفف للدنية والتأخر عن
بلوغ المنزلة السنية **واعم ابصار قلوبنا عما خالف محبتك ولا تجعل لشئ من
جوارحنا نفوذا في معصيتك** العمى كما يطلق على ذهاب بصر العين يطلق على ذهاب
بصر القلب قال في المحكم عمي ذهب بصره كله والعمى ايضا ذهاب بصر القلب انتهى
وقال غيره هو للقلب مستعار من عمى العين والابصار جمع بصر محركة وهو من
العين النور الذي تدرك به المبصرات ومن القلب النور الذي يرى به
حقايق الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للجارحة ترى به صور الاشياء وظواهرها
قال في القاموس البصر محركة حس العين ومن القلب نظره وخاطره والمراد بعماها
ابصارها المطلوب عما خالف محبته تعالى منعها عن الالتفات الى الشهوات والمعلولة بعدم
اهتدائها والجوارح جمع جارحة وهي الاعضاء كاليد والرجل ونفذ في الامر
والقول نفوذا ونفاذا مضى والغرض سوال حفظه تعالى وعصمته عن اكتساب
معصيته لشئ من الجوارح والاعضاء وما فعل من باب القلب الجزاء اللياس كل
لاتجعل لمعصيتك نفوذا في شئ من جوارحنا فظاهر الفساد لان المعصية لا فعل لها

والجوارح

في الجوارح حتى تكون هي النافذة فيها وانما الفعل للجارحة لاكتسابها المعصية
فهي النافذة في المعصية باكتسابها لها وما ادري ما الحامل لهذا القائل على
جعله من باب القلب مع تصريحهم بانه من الضروريات التي لا ينبغي حمل الكلام
الفصيح عليها **اللهم صل على محمد واله واجعل همسات قلوبنا وحركات اعضائنا
ولمحات اعيننا ولهجات السنتنا في موجبات ثوابك** همس الكلام من باب ضرب اخفاه
اي ما تخفيه قلوبنا والاعضاء جمع عضو بكسر العين وضمها وهو الاشعر وهو
كل عظم وافر بلحمه كذا في المحكم وفي مختصر العين العضو كل عظم وافر من الجسد
ولمح البصر امتد الى الشئ ولمح اليه لمحا من باب نفع نظر اليه باختلاس البصر
واللهجات جمع لهجة بفتح الهاء وسكونها لغة قال اصحاب اللغة هي اللسان
وقيل طرفه ولا خفاء بان ارادة هذا المعنى غير صحيحة هنا بل المراد ما ينطق
به اللسان قال الزمخشري في الفايق وقيل لهجة اللسان ما ينطق به من الكلام
وانها من لهج بالشئ ونظيرها قول بعضهم في اللغة انها من لغي بالشئ اذا
غري لغته وعن الازهري فلان فصيح اللهجة اي اللغة ولا مانع من ارادة هذا
المعنى هنا وفي للظرفية المجازية وموجبات الثواب ما يوجبه من الاعمال
الصالحة **حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها جزاءك ولا تبقى لنا سيئة نستوجب
بها عقابك** حتى هنا للتعليل بمعنى كي اي كيلا تفوتنا حسنة وفاته
الامر فوتا وفواتا ذهب عنه والحسنة ما ندب اليه الشارع وتقابلها
السيئة وهي ما نهى عنه واستحق الشئ استوجبه والجزاء المكافاة على الشئ
ولا تبقى لنا سيئة اي لا تفضل من قولهم بقي من الدين كذا اي فضل وتاخر
والغرض سوال التوفيق للاتيان بجميع الطاعات والتوقي عن جميع
المعاصي وذلك انما يكون عن فيض الهي وعناية الهية يقوى بهما الانسان على

٢٧٧

تحري الحق وتجنب الشر جعلنا الله من المخصوصين بعين عنايته والمهتدين
بنور هدايته

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من اليه ملجأ المضطرون وبكرمه يلوذ المعترون نحمدك ان جعلت لنا الى الطلب عفوك سبيلا وسقيتنا من حياض رحمتك ومغفرتك سلسبيلا ونصلي على نبيك الذي شرعت بشرعه النهج القويم واهل بيته الذين هديت بهم الى الصراط المستقيم وبعد هذه الروضة العاشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين املاء العبد الراجي عفو ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني اصلح الله اعماله وبلغه في الدارين اماله وكان من دعائه عليه السلام في اللجاء الى الله تعالى لجأت اليه بالهمزة لجأ بالتحريك من باب نفع وتعب وملجأ والتجأت اليه اعتصمت به واستندت اليه وهو لجاء محركة ايضا وملجأ لي واما اللجاء بالمد كما حكاه بعض المحشين فلم اقف عليه فيما حضرني من كتب اللغة فليحرر اللهم ان تشأ تعف عنا فبفضلك وان

ان تشا تعفو عنا
مفعول

٢٧٦

ان تشا تعف عنا فبفضلك مفعول تشا في الفقرتين محذوف لغرض البيان بعد الابهام والتقدير ان تشاء العفو عنا تعف عنا وان تشاء عذابنا تعذبنا وحذف المفعول بعد فعل المشيئة والارادة كثير مطرد لدلالة الجواب عليه وبيانه له ومنه قوله تعالى فلو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء هدايتكم لهداكم اجمعين فانه متى قيل لو شاء وان تشاء علم السامع ان هناك شيئا تعلقت المشيئة عليه لكنه مبهم عنده فاذا جيء بجواب الشرط صار مبينا وهذا اوقع في النفس ويستثنى من ذلك فعل المشيئة الذي يكون تعلقه بمفعوله غريبا نحو ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب فلا بد من ذكر المفعول ليتقرر في نفس السامع ويأنس به وتعف وتعذب مجزومان جزاء للشرط والفاء من قوله فبفضلك فصيحة اي ان عفوت فانما تعفو بفضلك وكذا قوله فبعدلك ولا يصح كون تعف وتعذب بدلي اشتمال من تشاء في الفقرتين والفاء رابطة للجواب لعدم فهم معناهما لو جد فان بدل الاشتمال شرط صحته فهم معناه عند حذفه كما نص عليه ابن مالك في شرح الكافية والتسهيل فمن توهم انهما من باب بدل الفعل من الفعل بدل اشتمال نحو ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب وقول الشاعر متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا فقد اخطأ الا ترى انك لو حذفت تعف وتعذب فقلت ان تشاء فبفضلك وان تشا فبعدلك لم يصح خلاف الاية والبيت فانه لو حذفت منهما البدلين فقلت ومن يفعل ذلك يلق ومتى تأتنا في ديارنا تجد حطبا الخ لصح الاستغناء عن البدل بالمبدل عنه وحسن الكلام وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته غضبه ولانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح

في نفي وجوب التعذيب والتعقيد بالتوبة وعدمها كالمنافي لرفع رواية
ابن ادريس نعذبنا بالرفع قال بعضهم وجه غير ظاهر قلت بل هو ظاهر وهو
مثل قوله تعالى افغير الله تأمروني اعبد وقول الشاعر الا ايهذا الزاجري احضر
الوغا برفع اعبد واحضر ووجهه ان الاصل ان نشأ ان تعذبنا وتأمروني ان
اعبد والزاجري ان احضر فحذفت ان الناصبة وارتفع المضارع على الآل
لان العامل اذا نسخ عاملا وحذف رجع الاول لان لفظه هو الناسخ وعلى هذه
الرواية تكون الفاء من قوله فبعدلك رابطة للجواب في المعنى وان نشأ تعذيبنا
فذلك بعدلك فالفضل والاحسان والعدل الانصاف ولا شك ان مشيته
سبحانه للعفو تفضل منه واحسان لا باستحقاق من العبد ومشيته للعذاب
والعقاب انما هو جزاء للمعاقب بما عمله لا بظلم منه له وجور عليه كما قال تعالى
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون فسهل لنا عفوك بمنك واجرنا
من عذابك بتجاوزك سهل الله الشيء تسهيلا ويسره وتسهيل العفو عبارة
عن التكرم به على العبد من غير مداقة ومناقشة في الحساب او مخالطة بشيء
من العذاب والعقاب والمن مصدر من عليه بالعفو وغيره منا من باب قتل ثم
عليه فيه والاسم المنة بالكسر واجاره من السوء حفظه منه واجاره مما
يخاف منه وتجاوز عنه عفا وصفح فانه لا طاقة لنا بعدلك ولا نجاة
لاحد منا دون عفوك الطاقة اسم من اطقت الشيء اطاقة وقدرت عليه فانا
مطيق مثل الطاعة اسم من اطاع والنجاة مصدر نجا من الهلاك ينجو اي خلص والاسم
النجاء بالمد وقد يقصر ودون بالضم نقيض فوق واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
امر الى امر كقوله يا نفس ما لك دون الله من واق • اي اذا تجاوزت وقاية
الله ولم تنالها لم يقيك غيره وهو هنا بهذا المعنى اي لا نجاة لاحد منا اذا تجاوزنا

عفوك

عفوك ويجوز ان يكون المعنى قبل الوصول الى عفوك ومنه ان دون غد
لليلة اي قبله وفي معنى هذا الدعاء قول امير المؤمنين عليه السلام اللهم احملني
على عفوك ولا تحملني على عدلك سأل عليه السلام ان يحمله على عفوه فيما عسا
صدر منه من ذنب ولا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل جزاء وعقوبة قال بعضهم
وهو من لطيف ما تعد النفس لاستنزال الرحمة الالهية يا غني الاغنياء ها
نحن عبادك بين يديك وانا افقر الفقراء كونه تعالى غنيا يعود الى
عدم حاجته في شيء ما الى شيء ما فغناه عبارة عن سلب مطلق الحاجة
واضافته الى الاغنياء على معنى كبيرهم ومربيهم كما يقال ملك الملوك وسيد
السادات وعظيم العظماء ومولى الموالي وها للتنبيه وفيه شاهد
لدخوله على الجملة الاسمية الخالية من اسم الاشارة وقال الرضي لم اعثر
لذلك على شاهد وكفى بكلام المعصوم شاهدا وقد حكى الزمخشري في المفصل
دخوله على الاسمية والفعلية الخاليتين من اسم الاشارة فقال يقال ها
ان زيدا منطلق وها افعل كذا ونحن مبتدا وعبادك خبره وبين يديك
اما في محل نصب على الحال اي ماثلين بين يديك والعامل فيها حرف التنبيه او
في محل رفع على انه خبر بعد خبر فان قلت قد قرروا ان معنى التنبيه ايقاظ
السامع وتنبيهه من سنة الغفلة لتتمكن الجملة في ذهنه ويتفطن لما يقال
له ويلقى اليه فلا يغفل عنه وهذا المعنى مستحيل في خطاب الله تعالى فكيف جاز
حرف التنبيه في خطابه تعالى قلت لما كان التنبيه يستلزم اهتمام المتكلم
بالمقصود كان الغرض من المجيء بحرفه في خطابه سبحانه اظهار الاهتمام بالمقصود
فهو من قبيل التضرع والالحاح المطلوب في الدعاء لا تنبيه المخاطب وايقاظه
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبين اليدين عبارة عن الامام لان ما بين يدي

الانسان امامه وقال الزمخشري في الكشاف حقيقة قولهم جلست بين يدي
فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه حتى تنظر
اليه من غير تقليب حدقه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب
منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع انتهى وقد
جرت هذه العبارة ههنا على سنن التمثيل الذي يسميه اهل البيان تمثيلا
تخييليا فانه مثل حضور عباده تعالى في محله سبحانه بحال حضور قوم ماثلين لمن
يكون له جهتان مسامتتان ليمينه وشماله قريبا منه من غير ان يذهب بهما
الى جهة حقيقة بالنسبة الى الله تعالى كما يذهب اليه المجسمة او مجاز بان يراد
باليد القدرة وانما المراد بالمفردات في مثل ذلك حقايقها في نفسها كما في
قولهم اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى على ما سبق بيانه مبسوطا في الروضة السادسة
في شرح دعاء الصباح عند قوله عليه السلام اصبحنا في قبضتك فليرجع اليه قوله و
انا افقر الفقراء اليك يجب ان يحمل الفقر على ما هو اعم من الفقر المتعارف
وهو مطلق الحاجة ليعم التجيد فَاجْبُرْ فَاقَتَنَا بِوُسْعِكَ وَلَا تَقْطَعْ رَجَاءَنَا
بِمَنْعِكَ جبر الله مصيبته من باب قتل اي رد عليه ما ذهب منه او عوضه
عنه وجبر الفقير احسن اليه او اغناه بعد فقره وجبرت فلانا نعشته واصله
من جبر العظم الكسير وهو اصلاحه والفاقة الحاجة والفقر والوسع بالضم الغنى والجدة
وفي الاسماء الحسنى الواسع الكثير العطاء الذي يسع لما يسأل والذي وسع غناه
كل فقير ورحمته كل شيء وقطع رجاءه ابطله واياسه والمنع الحرمان وفي الدعاء
اللهم من منعته فهو ممنوع اي من حرمته فهو محروم لا يعطيه احد غيرك وفي
اسمائه تعالى المانع قيل معناه يمنع من يريد من خلقه ما يريد ويعطيه ما يريد وقيل
يمنع عن اهل طاعته ويحوطهم وينصرهم فلا يكون مما نحن فيه فَتَكُونَ قَدْ أَشْقَيْتَ

من
الغار

مَنِ اسْتَسْعَدَ بِكَ وَحَرَمْتَ مَنِ اسْتَرْفَدَ فَضْلَكَ الفاء للسببية
والمضارع منصوب بعدها بان مضمرة لسبقها بالطلب وهو قوله لا تقطع
واستسعد طلب السعادة والباء في بك للاستعانة او السببية وحرمت زيدا
كذا احرمه حرمانا من باب ضرب يتعدى الى مفعولين وانما حذف احدهما
لان الغرض الاخبار بوقوع الحرمان لا الحرمان شيء مخصوص وقد تقدم بيان
نحو ذلك واسترفد طلب الرفد وهو العطاء والصلة والفضل الخير والاحسان
فَإِلَى مَنْ حِينَئِذٍ مُنْقَلَبُنَا عَنْكَ وَإِلَى أَيْنَ مَذْهَبُنَا عَنْ بَابِكَ اي حين
اذ اشقيت من استسعد بك وحرمت من استرفد فضلك حذفت الجملة كلها
للعلم بها وعوض منها التنوين ومثله قوله تعالى وانتم حينئذ تنظرون اي حين
اذ بلغت الروح الحلقوم قال ابو حيان والذي يظهر من قواعد العربية ان هذا
الحذف جائز لا واجب ويكسر ذالها لالتقاء الساكنين على الاصل ومن العرب من
يفتحها تخفيفا فيقولون يومئذ وحينئذ والمنقلب بفتح اللام مصدر ميمي
بمعنى الانقلاب وهو الرجوع مطلقا اي مرجعنا عنك وذهب ذهابا
وذهوبا ومذهبا مضى يعني الى اين مضينا عن بابك والاستفهام في ذلك
للانكار الابطالي والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي كقوله تعالى فمن يهدي من
اضل الله اي لا يهدي والمعنى لا منقلب لنا عنك ولا مذهب لنا عن بابك
سُبْحَانَكَ نَحْنُ الْمُضْطَرُّونَ الَّذِينَ أَوْجَبْتَ إِجَابَتَهُمْ وَأَهْلُ السُّوءِ الَّذِينَ وَعَدْتَ الْكَشْفَ عَنْهُمْ
نزهه سبحانه عما لا يليق بفضله وكرمه وسعة رحمته اي انزهك عما لا
يليق بشانك الاقدس من الامور التي من جملتها اشقاء من استسعد بك وحرمان
من استرفد فضلك ثم قال نحن المضطرون الى اخره اشارة الى قوله تعالى
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء والاضطرار افتعال من الضرر

والمضطر الذي احوجه مرض او فقر ونازلة من نوازل الايام الى التضرع الى الله تعالى
اضطر والى كذا والفاعل والمفعول مضطر وعن ابن عباس المضطر هو المجهود ى
الذي من لا حول له ولا قوة وقيل هو المذنب ودعائه استغفاره والسوء ما
يعتري الانسان مما يسوءه قال بعضهم اما عبر عليه السلام في الاول بالاجابة وفي الثاني
بالوعد من حيث ان الله تعالى اخبر باجابة دعاء المضطر وكشف السوء ونفع الوعد
بعد ذلك فناسب الاول الاجابة والثاني الوعد فليتوهم انتهى قال بعض المفسرين
قوله تعالى ويكشف السوء كالبيان لقوله يجيب المضطر حكي ان امرأة جاءت الى
الجنيد فقالت ادع الله لي فان ابني ضاع فقال اذهبي واصبري فعلت ذلك مرارا
والجنيد يقول اصبري فقالت عيل صبري ولم يبق لي طاقة فادع لي فقال الجنيد
اذهبي فقد رجع ابنك فعادت فكان كما قال فسئل الجنيد بم عرفت ذلك فقال
بقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء **واشبه الاشياء بمشيئتك**
واولى الامور بك في عظمتك رحمتك من استرحمك وغوثك
من استغاث بك اشبه هنا افعل تفضيل من قولهم اشبه الولد اباه اذا ماثله
في صفة من صفاته وبناؤه من باب افعل قياس عند سيبويه مع كونه ذا زيادة
قال الرضي ويؤيده كثرة السماع كقولهم هو اعطاهم للدينار واولاهم للمعروف
وانت اكرم لي من فلان وهو كثير مجوزة فلة التغيير لانك تحذف منه الهمزة
وترده الى الثلاثي ثم تبني منه افعل التفضيل فتخلف همزة التفضيل همزة
الافعال وهو عند غيره سماعي مع كثرته وقد علمت ان للمشيئة معنيين احدهما
كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير والصلاح في نفس علمه الحق بالمصالح و
الخيرات وهي ذاتية احدية وهي بهذا المعنى من صفات الذات والثاني ايجاد
الاشياء واحداثه لها بحسب اختياره وهي بهذا المعنى من صفات الفعل اذا عرفت

ذلك فقوله ع واشبه الاشياء بمشيتك لا يجوز ان يراد بالمشيئة المعنى
الاول الا على حذف مضاف تقديره واشبه الاشياء بمقتضى مشيتك اي ما يقتضيه
علمك بالمصالح والخيرات وحذف المضاف كثير واقع في فصيح الكلام ومنه
قوله تعالى وجاء ربك والملك اي امر ربك واسأل القرية اي اهلها ويجوز
ان يراد بها المعنى الثاني على معنى ان اشبه الاشياء باحداثك الافعال وايجادك
اياها احداثك رحمتك من استرحمك وانما قال ذلك لما ثبت من ان مشيته تعم
تتعلق بالخير ومصلحة ونظام في العالم واما ما يرى فيه من الشرور فهي شرور
قليلة لازمة لبعض الخيرات لو لم توجد لاجلها كان يلزم شرور كثيرة فهذه
الشرور والآفات التي في عالمنا هذا داخلة في مشيته الله الازلية بالعرض
وعلى سبيل التبع لا بالذات وعلى سبيل القصد الاول واولى اي احرى واخلق
وفي عظمتك حال من ضمير المخاطب في بك وفي للظرفية المجازية اي متمكنا
في عظمتك تمكن الحال في المحل وهو على سبيل الاستعارة التبعية وعظمته
تعالى تجاوز قدره حدود العقول حتى لا يتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته وانما
كان اولى الامور به تعالى رحمته من استرحمه لان الرحمة من مقتضيات ذاته المقدسة
بخلاف الغضب والسخط ونحوهما فانه من مقتضيات الذنوب والمعاصي كما تقدم
فالى من نتضرع الا اليك وانت اذ طرحنا انفسنا بين يديك ضرع له يضرع
بفتحتين ضراعة ذل وخضع وتضرع الى الله ابتهل اي تذلل وبالغ في السؤال
وللغاثه اذا اغاثه واغاثهم الله برحمته كشف شدتهم وطرح طرحا من
باب نفع رمى به والقاه وطرح الانفس بين يديه تعالى عبارة عن غاية الاخبات
له اعني الخضوع والخشوع والتواضع بجميع الاعضاء له سبحانه فهو من باب التمثيل
التخييلي كما مر بيانه واذ في اذ طرحنا للتعليل اي لاجل طرحنا وهل هي حرف بمنزلة

٢٧٧

لام التعليل وظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ فانه اذا قيل
ضربته اذا ساء او ريد الوقت اقتضى ظاهر الحال ان الاساءة سبب الضرب قولان
والجمهور على الثانى اللهم ان الشيطان قد شمت بنا اذ تابعناه على معصيتك
الشماتة فرح العدو بمصيبة تنزل بمن يعاديه شمت به شمت من باب علم و
شايعته على الامر وشايعته مثل تابعته متابعة وزناً ومعنى ولما كان الشيطان
ظاهر العداوة لادم وذريته كما قال سبحانه ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه
لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم فمتى تابعه الانسان على معصية الله
تعالى علم انه قد نفذ فيه كيده وعملت فيه حيلته ونزلت به مصيبة العصيان
من فساد اعتقاده او عمله ففرح لذلك لما يترتب عليه من غضب الله تعالى وسخطه
وعذابه وعقابه كما هو شان العدو مع من يعاديه اعاذنا الله بحوله وقوته من عداوة
الشيطان وكيده فصل على محمد واله ولا تشمته بنا بعد تركنا اياه ورغبتنا
اليك اشمته الله بعدوه انزل به مصيبة يشمت لها به وترك بعد
مفارقتنا اياه وعدم ارادتنا له منيبين اليك فالمصيبة هي اما عدم النجاة
والعفو وقبول التوبة والانابة واما عدم حسم اسباب المعاصي الموجبة لتعاقبها
والرجوع الى شايعته مرة اخرى فيكون المعنى اما طلب
حسن التجاوز والمغفرة لما سلف والتوفيق للثبات
على الطاعة وعدم نقض التوبة والله
اعلم ه

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى بيده سوابق الخير وخواتمه وبجوده استهلت سحايب الفضل
وغمايمه والصلوة والسلام على نبيه الذى شيدت به معاهد الدين ومعالمه
وعلى آله الذين هم اساطين الهدى ودعايمه وبعد فهذه الروضة الحادية
عشرة من رياض السالكين فى شرح الدعاء الحادى عشر من صحيفة سيد العابدين
املاء راجى فضل ربه السنى على الصدر الحسنى الحسينى ختم الله له باحسن الاعمال و
بلغه بفضله منتهى الامال وكان من دعائه عليه السلام بخواتم الخير الخواتم
جمع خاتمة بمعنى العاقبة اى عواقب الاعمال واواخرها واضافتها الى الخير
اما بمعنى من البيانية كما نص عليه بعضهم كالاضافة بالمضاف اليه من المضاف
كقولك خاتمتك خير واما بمعنى اللام الدالة على الاختصاص اى خواتم الاعمال
المختصة بالخير واعلم انه لما كان الخوف من سوء الخاتمة من اعظم المخاوف
عند ارباب العقول وقع التضرع والابتهال منهم فى طلب حسن العاقبة وتنفاد
الخاتمة قال بعض العلماء ان الخوف من سوء الخاتمة هو الذى قرح قلوب العارفين
ودفع من نفوسهم ساحات كثيرة ودل فيها اقدام جماعة من اهل العرفان ولذلك
كان اهل الخوف والسعادة يطلبون حسن الخاتمة بالدعاء والرغبة الى الله تعالى
وقال الشيخ كمال الدين ميثم البحرانى فى شرح النهج اغلب المخاوف على قلوب
المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيها خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة
خوف السابقة لكون الخاتمة تبعا لها ومظهرة لما سبق فى اللوح المحفوظ وقد
مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة برجلين وقع لهما سلطان
بتوقيع يحتمل ان يكون لهما فيه غنى او هلاك فيعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع
وما يظهر فيه من خير او شر وتعلق قلب الاخر بما خطر للملك حالة التوقيع من

دخيرا وعضب وهذا التفات الى السبب فكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى به قلم الالهى فى اللوح المحفوظ اعلى من الالتفات الى الابد ولى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه و آله حيث كان على المنبر فبض كفه اليمنى ثم هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعمل اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم منهم بلهم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعمل اهل الشقاوة لعمل اهل السعادة بعمل اهل السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم انتهى **قلت** ومثل هذا الحديث ما رواه ثقة الاسلام فى الكافى بسنده عن ابى عبد الله عليه السلام قال ان الرجل يسلك بالسعيد فى طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم تتداركه السعادة وقد يسلك بالشقى طريق السعداء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة انتهى ولما كان من القضاء ما هو معلق بشرط كان الدعاء بجوامع الخير وطلبها من اعظم المطالب واهمها ولذلك ورد فى الدعاء ايضا ان كنت عندك فى ام الكتاب شقيا فاكتبنى سعيدا فانك تمحو ما تشاء و تثبت وعندك ام الكتاب **باب ذكره شرف للذاكرين**

الذكر يشمل الثناء والدعاء والصلوة وقراءة القرآن والحديث وذكر الحلال والحرام واخبار الانبياء والاوصياء والصالحين وهو اعم من ان يكون باللسان او بالجنان او بالاركان اما الذكر باللسان فهو ان يحمده ويسبحه ويمجده ويقرأ كتابه ونحو ذلك واما بالجنان فهو ان يتفكر فى الدلايل على ذاته وصفاته

وفى الاجوبة ووعده ووعيده ليعمل بمقتضاها ثم يتفكر فى اسرار المخلوقات حتى يكون كل ذرة الى موجدها واما بالاركان فهو ان تكون مستغرقة فى الاعمال المامور بها فارغة عن الاشتغال بالمنهى عنها وبهذا الوجه سمى الصلوة ذكرا فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وقال بعضهم الذكر ثلثة ذكر باللسان وذكر بالقلب وهذا نوعان احدهما الفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وملكوته وآيات ارضه وسمائه والثانى ذكره عند امره ونهيه فيمتثل الامر ويجتنب النهى ويقف عند ما اشكل والثالث الفكر لكن الاحاديث الواردة على فضل ذكر الخفى واصعبها الذكر باللسان ولكن له فضل كثير على ما جاء فى الاثار وقيل الخلاف انما هو فى الذكر بالقلب بالتهليل والتسبيح ونحوهما وفى الذكر باللسان فان الفكر لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضل معه ثم هذا الخلاف اذا كان القلب فى ذكر اللسان حاضرا واما اذا كان لاهيا فذكر اللسان لغو ولا ذكر فمن رجح ذكر القلب قال لان عمل السر افضل ومن فضل ذكر اللسان قال لان فيه زيادة عمل الجوارح على عمل ذكر القلب وزيادة العمل تقتضى زيادة الاجر قال بعض علمائنا المتاخرين وما ذكر من انه لا بد من حضور القلب كانه اراد به النية فان خلا الذكر عن النية فهو لغو ثم ان صحبته النية من الشروع وعزبت فى الاثناء والظاهر انه اذا كان اصل العمل لله تعالى وعلى ذلك عقد فلا يضر ما يعرض من الخطرات التى تقع فى القلب ولا تملك ولذلك اعتبروا النية الحكمية فى الوضوء والصلوة ونحوهما دون الفعلية انتهى والشرف على المنزلة والمجد ولما كان كل ذكر بالثناء ونحوه على غنى الله سبحانه شرفا للذاكر اشار عليه السلام الى ان ذكره تعالى شرف للذاكر وفائدته عايدة اليه لاستغنائه جل وعز عمن سواه ولعل فيه تلميحا الى قوله تعالى اذكرونى اذكركم فان ذكر السيد للعبد شرف واعلا منزلة وفى الحديث

القدسي من ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير من ملائه ومن ذكرني في سر ذكرته
علانية قيل المراد بذكره سبحانه للذاكر اظهار حاله وشرفه في المخلوقين من الملائكة
والناس اجمعين وفي مناجاة الذاكرين لزين العابدين عليه السلام وامرتنا بذكرك
ووعدتنا عليه ان تذكرنا تشريفا واكراما وتعظيما واعظاما **ويا من شكره فوز**
للشاكرين الفوز النجاة والظفر بالخير ولا خفاء في صحة حمله هنا على
كل من المعنيين اما كونه نجاة فلان النفوس مرتهنة بالنعمة وانما يفكها الشكر وقد
فسروا قوله عليه السلام لربه تعالى وتقدس فك رهاني وثقل ميزاني ان ذلك هو التوفيق
للشكر اذ لا يفك النفوس المرتهنة بنعمه غير شكره ولما كان العباد لا يبلغون
كنه شكره تعالى فزع صلى الله عليه وآله الى الله تعالى ان يتولى فك رهانه وتخليصه
ذكره وقد قال تعالى وان كفرتم ان عذابي لشديد فبعدم الشكر النجاة من العذاب
وبعدمه لا انفكاك من الرهان ولعموم التقصير في الشكر ما قال العدو اللعين
ولا تجد اكثرهم شاكرين وقد جاء في تفسير قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم
طريق الشكر وجاء في الخبر ان الله تعالى قال لبني اسرائيل اني ابتدي عبادي بنعمتي
فان قبلوا اتممت وان شكروا زدت وان غيروا بدلت وقد بين الله تعالى
لنا انه لم يكن مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم فكان الشكر
نوع اي نجاة من عذاب الارتهان ونجاة من حبائل الشيطان ونجاة من تغيير نعمة
المنان واما كونه ظفرا بالخير فلقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم فالظفر بالزيادة
النعم ظفر بالخير وفي بعض الخطب الشكر شجرة تروى التوفيق اثمارها في
الزيادة في النعمة من ثمارها تسقيها سماء الهداية بسحابها وتغذوها
الرعاية بسائل شعابها وتحييها يد البركة ببنانها وتحرزها حراس السعادة في
مكانها وقد جمع هذين المعنيين للفوز المخبر به عن الشكر قوله تعالى ولئن شكرتم

لازيدنكم

لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فهو ظفر بالمزيد ونجاة من العذاب
الشديد **ويا من طاعته نجاة للمطيعين** الطاعة الانقياد للامر
ونهيه ولا ارتياب ان طاعته تعالى نجاة للمتصف بها من مهالك الدنيا والآخرة اما
الدنيا فلانها تعصم صاحبها من التردي في الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف
واما مهالك الآخرة فلانها تنجي من مخاوفها واهوالها وحر نيرانها قال الله تعالى ومن
يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقال تعالى ومن يعص الله
ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ومن خطبة
لامير المؤمنين عليه السلام اجعلوا طاعة الله جنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون
قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم فان طاعة الله
تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة **صل على محمد وآله واشغل**
قلوبنا بذكرك عن كل ذكر اعلم ان للذكر درجات الاولى ان يكون باللسان
مع غفلة القلب وهذا اضعفها ولكان مندوبا اليه ايضا قال بعض ارباب
القلوب ذكر اللسان مع خلو القلب عنه لا يخلو من فائدة لانه يمنعه
من التكلم باللغو ويجعل لسانه معتادا بالخير وقد يلقي الشيطان اليه ان حركة
اللسان بدون توجه القلب عبث ينبغي تركه فاللائق بحال الذاكر ان يحضر
قلبه حينئذ رغما للشيطان وان لم يحضره فاللائق به ان لا يترك الآخر
فان لكل عضو عبادة الثانية الذكر بالقلب مع عدم استقراره فيه ولا
يتوجه اليه الا بالتكليف والاجتهاد والثالثة ان يكون بالقلب مع استقراره
فيه واستيلائه عليه بحيث لا يشتغل عنه اصلا وهذه مرتبة المحبة و
الذاكر في هذه مرتبة المحبة قد يبلغ مقام الفناء في الله بحيث يغفل

عن نفسه وعن غيرها حتى عن الذكر فلا يجد في نفسه الا المذكور فلذا بعض
العارفين اعلم ان الذكر القلبي من اعظم علامات المحبة لان من احب
احدا ذكره دائما او غالبا وان اصل الذكر عندنا الطاعة والمعصية سبب
لفعل الطاعة وترك المعصية سبب لفعل الطاعة وهما سببان لزيادة
الذكر ورسوخه وهكذا يتبادلان الى ان يستولى المذكور وهو الله سبحانه
على القلب ويتجلى فيه فالذاكر حينئذ يحبه حبا شديدا ويغفل عن جميع
ما سواه حتى نفسه اذ الحب المفرط يمنع من مشاهدة غير المحبوب وهذا
المقام يسمى مقام الفناء في الله فالواصل الى هذا المقام لا يرى في الوجود
الا هو وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى انه تعالى يتحد مع الكل لانه محال فرضه
بل بمعنى ان الموجود في نظر الفاني هو لا غيره لانه تجاوز عن عالم الكثرة
وجعله وراء ظهره وغفل عنه فافهم انتهى اذا عرفت ذلك ظهر لك ان قوله
عليه السلام واشغل في قلوبنا بذكرك عن كل ذكر فانه طلب لاكمل افراده وارفع
مراتبه التي هي مرتبة المحبة ومقام الفناء فاعلم **والسنتنا بشكرك عن**
كل شكر ولما كان الشكر باللسان ادل افراد الشكر على الاعتراف بالنعمة
سال عليه السلام شغل الالسنة به واستغراقها فيه وادمج في ذلك سؤال
الاغناء عن الخلق وعن الافتتان بشكرهم المستلزم للصرف عن الله و
التوجه الى الهياكل الحقيقية وعدم الاستعداد لنفحات الله بالتوجه اليه
واشتغال نفسه بذلك الغير كما قال امير المومنين اللهم صن وجهي باليسار
ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك
وابتلي بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك
ولي الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير **وجوارحنا بطاعتك عن كل**

طاعة

جوارح

طاعة جوارح الانسان اعضاؤه التي يعمل بها ويكتسب و
المراد شغلها بطاعته تعالى عن كل طاعة استغراقها في الاعمال بها فلا تشتغل
بطاعة غيره وفيه ايضا ادماج سؤال الاكرام عن الاحتياج الى التزام
طاعة احد من المخلوقين واما طاعة الرسول واولي الامر والوالدين فمن طاعة الله
سبحانه **فان قدرت لنا فراغا من شغل فاجعله فراغ سلامة لا تدركنا**
فيه تبعة ولا تلحقنا فيه سامة قدرت اي قضيت وحكمت والفراغ
الخلاص عن المهام والشغل بضم الشين وبضم الغين ويسكن للتخفيف اسم
من شغله شغلا من باب نفع والسلامة الخلاص من الآفات وادركته اذا
طلبته فلحقته وهو هنا لحوق معنوي والتبعة على وزن كلمة ما فيه اثم يتبع
به قاله في المحكم وقد يطلق على ما يطلبه الانسان من ظلامة ونحوها وهذا
هو المعنى المشهور حتى ان اكثر اهل اللغة لم يذكر والتبعة بمعنى غيره ولا يخفى
ان المعنى الاول هو الاليق بالمقام هنا وان صح المعنى الثاني على تأويل والسأمة
مصدر سئمته سأمة من باب تعب بمعنى ضجرت منه ومللته ويعدى
بالحرف ايضا سئمت منه وفي التنزيل لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى
فقال ان قضيت لنا فراغا من شغل من الاشغال المذكورة فاجعله فراغا موصوفا
بالسلامة من الآفات الدينية والدنيوية فلا يكون عدم اشتغالنا به
لتهاون في القيام به او لعلة توجب القعود عنه كمرض ونحوه وقوله
لا تدركنا جملة نعتية للفراغ المضاف الى السلامة وفي للسببية في الموضعين
او للظرفية المجازية اي لا يلحقنا بسبب ذلك الفراغ او في اثنائه اثم
نتبع به ولا ملل وضجر من ذلك الشغل فنغتنم الفراغ منه بل يكون فراغا
لجذ معرض انفسنا طلبا للمعاودة للشغل كما قال ويحتمل ان يراد بالتبعة

الثامنة من الفراغ ای لا تکون والضجر اخبار کثیرة روی ثقة الاسلام
فی الکافی بسنده عن بشیر الدهان قال سمعت ابا الحسن موسی علیه السلام
یقول ان الله عز وجل یبغض العبد النوام الفارغ وبسنده عن ابی بصیر
عن ابی عبد الله علیه السلام قال ان الله عز وجل یبغض کثرة النوم وکثرة
الفراغ وبسنده عن سعد بن ابی خلف عن ابی الحسن موسی علیه السلام قال قال
ابی لبعض ولده ایاک والکسل والضجر فانهما یمنعانک من حظک من الدنیا
والآخرة وعنه علیه السلام قال ایاک والکسل والضجر فانک ان کسلت لم
تعمل وان ضجرت لم تعط الحق قال بعض العلماء ان الفراغ یبطل الهیئات
الانسانیة فکل هیئة بل کل عضو ترک استعماله تبطل کالعین اذا غمضت
والید اذا عطلت ولذلک وضعت الریاضة فی کل شیء حتی نصیر من غنا
کتب السیئة بصحیفة خالیة من ذکر سیئاتنا ویتولی کتاب الحسنات منه
بما کتبوا من حسناتنا حتی للتعلیل بمعنی کی وهو تعلیل السؤال لشغل
القلوب بالذکر والالسنة بالشکر والجوارح بالطاعة وطلب سلامة الفراغ
وانصرف ذهب لسبیله وتولی ادبر والمراد بکتاب السیئة وکتاب الحسنات
الملائکة الذین یکتبون علی ابن آدم اعماله من حسنة وسیئة وهم المشار
الیهم بقوله تعالی وان علیکم لحافظین کراما کاتبین یعلمون ما تفعلون وقد
تقدم الکلام علی ذلک مبسوطا فلیرجع الیه واذا انقضت ایام حیاتنا وتصرمت
مدد اعمارنا واستحضرتنا دعوتک التی لا بد منها ومن اجابتها فصل علی
محمد وآله واجعل ختام ما تحصی علینا کتبة اعمالنا توبة
مقبولة انقضی الشیء فنی وتصرم انقطع وذهب وهو من الصرم بمعنی
القطع واستحضرت الشیء طلبت حضوره والدعوة اسم من دعوته اذا

طلبت اقباله والمراد بها الموت ولا بد منها ای لا محید عن وقوعها وحصولها
ولا محید عن اجابتها وختام الشیء آخره والذی یختم به علی الشیء فان جعلته
علی هذا المعنی کان استعارة وقد فسر قوله تعالی ختامه مسک بالمعنیین ای
آخر طعمه کالمسک او الطین الذی یختم به علیه مسک واحضاه عده وحفظه
وعلمه وسأل جعل ختام الاعمال توبة مقبولة لما تقرر من ان کل من مات
علی حالة حکم له بها من خیر او شر تنبیهان الاول المراد باستحضار
الدعوة واجابتها الحالة التی قبل حضور الموت وتیقن الفوت وهو المعبر
عنه بالمعاینة فی حدیث من تاب قبل ان یعاین قبل الله توبته واما
عند المعاینة فقد انعقد الاجماع علی عدم صحتها ونطق بذلک القرآن
العزیز قال تعالی ولیست التوبة للذین یعملون السیئات حتی اذا حضر احدهم
الموت قال انی تبت الآن ولا الذین یموتون وهم کفار اولئک اعتدنا لهم
عذابا الیما وفی الحدیث عن النبی صلی الله علیه وآله ان الله یقبل توبة العبد
ما لم یغرغر والغرغرة تردد الماء وغیره من الاجسام المائعة فی الحلق
والمراد هنا تردد الروح وقت النزع وقد روی محدثو الامامیة عن الائمة
اهل البیت علیهم السلام احادیث متکثرة فی انه لا یقبل التوبة عند حضور
الموت وحضور علاماته ومشاهدة اهواله وربما علل ذلک بان الایمان
برهانی ومشاهدة تلک العلامات والاهوال فی ذلک یصیر الامر عیانا
فیسقط التکلیف عنهم قال بعض المفسرین من لطف الله بالعباد ان امر
قابض الارواح بالابتداء فی نزعها من اصابع الرجلین ثم تصعد شیئا
فشیئا الی ان تصل الی الصدر ثم تنتهی الی الحلق لیتمکن فی هذه المهلة
الاقبال بالقلب علی الله تعالی والوصیة والتوبة ما لم یعاین والاستحلال

ذكر الله سبحانه فيخرج روحه وذكر الله على لسانه فيرجى له حسن الخاتمة
رزقنا الله ذلك بمنه وكرمه قال شيخنا البهائي في شرح الاربعين وتفسير
قوله عليه السلام قبل ان يعاين بمعاينة ملك الموت وهو المروي عن ابن عباس
ويمكن ان يراد بالمعاينة علمه بحلول الموت وقطع الطمع من الحياة
وتيقنه ذلك كانه معاينه وان يراد معاينة النبي والوصي عليهما السلام فقد ورد
انهما يحضران عند كل محتضر ويبشرانه بما يؤول اليه من خير او شر ومعاينة منزلته
في الآخرة كما روي عن النبي صلعم انه قال لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم
مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار والله اعلم قال بعضهم والظاهر ان المراد
المهلك ليس من باب المعاينة لان الموت معه ليس بمتحقق قطعا الثاني قال
الشيخ في الاربعين المراد بقبول التوبة اسقاط العقاب المترتب على الذنب الذي
تاب منه وسقوط العقاب بالتوبة مما اجمع عليه اهل الاسلام وانما الخلاف
في انه هل يجب على الله حتى لو عاقب بعد التوبة كان ظلما او هو تفضل يفعله سبحانه
كرما منه ورحمة بعباده المعتزلة على الاول والاشاعرة على الثاني واليه ذهب
الشيخ ابو جعفر الطوسي قدس الله روحه في كتاب الاقتصاد والعلامة الحلي
وبعض في بعض كتبه الكلامية وتوقف المحقق الطوسي في التجريد ومختار
الشيخين هو الظاهر ودليل الوجوب مدخول ولا توقفنا بعدها على ذنب
اجترحناه ولا معصية اقترفناها توقفنا مضارع اوقف بالالف هكذا في النسخ
المشهورة وفي نسخة تقفنا مضارع وقف متعديا واكثر اهل اللغة على انكار
وقف بهذا المعنى قال الزجاجي في شرح ادب الكاتب قال ابو بكر بن الانباري
قال ثعلب ليس في كلام العرب اوقفت الا في موضعين يقال تكلم الرجل
فاوقف اذا انقطع عن الكلام عيا عن الحجة واوقفت المرأة اذا جعلت لها

سوارا من الوقف وهو الذبل وفي الصحاح للجوهري وقفته على ذنبه
اي اطلعته عليه قال وليس في الكلام اوقفت الا حرف واحد اوقفت
عن الامر الذي كنت فيه اي اقلعت انتهى ووروده في كلام المعصوم
عليه السلام دال على صحته وفصاحته على ان بعض الائمة العربية ذكر لاوقفت
معنى يناسب هذا المقام وهو ما في كتاب الاصلاح لابن السكيت
قال ابو سعيد قال ابو عبيدة اوقفت فلانا على ذنوبه اذا بكته بها
واوقفت الرجل اذا استوقفته ساعة ثم افترقنا فلا يكون الا هكذا انتهى
ولا يخفى ان المعنى الاول له تمام المناسبة هنا فيكون معنى لا توقفنا بعدها
على ذنب لا تبكتنا عليه اي لا تؤنبنا ولا توبخنا ولا تستقبلنا بما نكره بسببه
ويكون معنى لا تقفنا كما في النسخة الاخرى لا تطلعنا بعدها على ذنب والمعنيان
متقاربان وان كان بينهما تفاوت ما في الظاهر الا ان المعنى الثاني يؤول الى
الاول كما لا يخفى واجترح الذنب واقترفه اكتسبه وفعله والفقرة الثانية
عطف تفسير وتأكيد على الاول ولا تكشف عنا ما سترته على رؤوس الاشهاد
الجاران كلاهما متعلقان بتكشف ووهم من زعم ان على متعلق بسترته والاشهاد
قيل جمع شاهد كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف وقيل
جمع شهد وهو جمع شاهد كصحب جمع صاحب قال الجوهري شهد له بكذا
اي ادى ما عنده من الشهادة فهو شاهد والجمع شهد مثل صاحب وصحب وسافر
وسفر وبعضهم ينكره وجمع الشهد شهود واشهاد انتهى يقال فعلت ذلك
على رؤوس الاشهاد اي بمرأى ومنظر من الحاضرين بحيث هو نصب اعينهم في مكان
مرتفع لا يخفى على احد وقد مر الكلام على معنى الاشهاد فليرجع اليه روى ثقة الاسلام
في الكافي بسنده عن ابن وهب قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول اذا تاب العبد

نصوحا احبه الله تعالى فستر عليه فقلت وكيف يستر عليه قال ينسي ملكيه ما كانا يكتبان
عليه ويوحي الله الى جوارحه والى بقاع الارض ان اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله تعالى
حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب يوم تبلو اخبار عبادك
متعلق بينكشف والمراد به يوم القيمة كما قال تعالى يوم تبلى السرائر والابلاء
الاختبار وحقيقته في حقه تعالى يرجع الى الكشف والاظهار وفسرت الاخبار في
قوله تعالى ونبلوا اخباركم بالاخبار التي تحكى عنهم من دعوى الايمان وغيرها وبا
اليهود التي كانوا عاهدوا الله عليها وبالاسرار التي كانوا يضمرونها والكل محتمل
هنا وقد تقدم الكلام على ذلك بابسط من هذا فليرجع اليه انك
رحيم بمن دعاك مستجيب لمن ناداك عدى الرحيم بالباء لتضمينها معنى الرأفة كما قال
تعالى ان الله بكم رحيما روى ثقة الاسلام في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال

من قال يا الله يا الله عشر مرات قيل له لبيك
ما حاجتك تمت الروضة
الحادية عشرة والحمد
لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من اعترف له المذنبون ففازوا بغفرانه واناب اليه التائبون فسعدوا
برضوانه نحمدك على فتحك لنا من ابواب التوبة اليك ونشكرك على ما منحتنا من
الوفود بحسن الظن عليك ونصلي على نبيك الذي هديت به من الزيغ و
الضلال وعلى اهل بيته الذين حليتهم من الهداية باشرف الحلال وبعد
فهذه الروضة الثانية عشرة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الثاني
عشر من ادعية صحيفة سيد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه
وابنائه الطاهرين املاء راجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني
اصلح الله باله ومحض اقباله وكان من دعائه عليه السلام في الاعتراف وطلب التوبة
اعترف بالشيء اقر به على نفسه يقال عرف بذنبه عرفا بالضم واعترافا
بمعنى واعترف القوم سألهم معرفهم واعترف اليه انتسب له ليعرفه واعترف
للامر صبر والاول من هذه المعاني وهو المقصود هنا والثاني محتمل روى ثقة
الاسلام في الكافي بسنده عن ابي جعفر عليه السلام قال لا والله ما اراد الله من الناس
الا خصلتين ان يعترفوا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم وعنه
عليه السلام قال والله ما ينجو من الذنوب الا من اقر بها وعن ابي عبد الله عليه السلام
والله ما خرج عبد من ذنب باصرار وما خرج عبد من ذنب الا باقرار والتوبة
المطلوبة اما بمعنى الرجوع منه تعالى بالعبد من المعصية الى الطاعة فيكون طلبها
بمعنى سؤال ان يتوب عليه فقال عليه السلام اللهم انه يحجبني عن مسألتك خلال
ثلث الضمير في انه للشأن وهو ضمير غائب يأتي صدر الجملة الخبرية
للاعلام قصد المتكلم استعظام السامع حديثه ويسميه البصريون ضمير الشأن
والحديث اذا كان مذكرا وضمير القصة اذا كان مؤنثا وسماه الكوفيون ضمير

ضمير المجهول لانه لا يدري ما يعود وحجبه حجابا من باب قتل منعه اي منعتني و
المسألة هنا مصدر بمعنى السؤال يقال سالت الله العافية سؤالا ومسألة اي طلبتها
والخلال بالكسر جمع خلة كخصلة وزنا ومعنى وهي الحالة **وتحدو بي عليها**
خَلّةٌ واحدةٌ حدوته على كذا بعثته عليه واصله من حدوت الابل اذا حثثتها
على السير بالحداء مثل غراب وهو الغناء ولهذا قال ابن الاثير في النهاية وفي حديث
الدعاء تحدو بي عليها خلة واحدة اي تبعثني وتسوقني عليها خصلة واحدة
من حدو الابل فانه من اكبر الاشياء على سوقها وبعثها **يُجَنِّبُني من امرتَ به فابطأتُ**
عنه و نهيتني عنه فاسرعتُ اليه و نعمةٌ انعمتَ بها عليَّ فقصّرتُ في شكرها
الجملة في محل رفع بدل من الجملة الاولى وهي قوله يحجبني عن مسألتك لكونها
اوفى منها بتادية المعنى المراد لدلالتها على الخلال الحاجبة مفصلة بخلاف الاولى و
الابطاء خلاف الاسراع يقال ابطأ الرجل اي تأخر مجيئه والامر والنهي هنا
اما بمعنيهما المصدرين فيكون معنى ابطأت عنه واسرعت اليه ابطأت عن
امتثاله واسرعت الى خلافه او بمعنى مامور به ومنهي عنه كالخلق بمعنى المخلوق
واللفظ بمعنى الملفوظ فيكون المعنى ابطأت عنه فعله واسرعت الى ارتكابه
والتقصير في الامر التواني فيه وهو ان لا يبادر الى القيام به ولا يهتم بشانه
اي لم اهتم ولم احتفل بشكرها **تبصرة** اعلم ان الامامية رضوان الله عليهم
اتفقوا على عصمة الانبياء والائمة عليهم السلام واطبقوا على انه لا يجوز عليهم شيء من
المعاصي والذنوب صغيرة كانت او كبيرة لا قبل النبوة والامامة ولا بعدهما ثم
استشكلوا مع ذلك ما تضمنته كثير من الادعية الماثورة عن الائمة عليهم السلام
من الاعتراف بالذنوب والمعاصي والاستغفار منها كما وقع في هذا الدعاء وغيره
مما مر ويأتي بل روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يشعر بذلك وهو ما رواه

ثقة الاسلام

ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله
عليه وآله كان يتوب الى الله عز وجل كل يوم سبعين مرة واجابوا عن ذلك بوجوه
احدها حمله على تاديب الناس وتعليمهم كيفية الاقرار والاعتراف بالتقصير
والذنوب والاستغفار والتوبة منها الثاني حمله على التواضع والاعتراف بالعبودية
وان البشر في مظنة التقصير الثالث الاعتراف بالذنوب والاستغفار منها انما
هو على تقدير وقوعها والمعنى ان صدر مني شيء من هذه الامور فاغفره لي لما
تقرر من انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها الرابع انهم
يتكلمون على لسان امتهم ورعيتهم فاعترافهم بالذنوب اعتراف بذنوب امتهم
ورعيتهم واستغفارهم لاجلهم لان كل راع مسئول عن رعيته وانما اضافوا الذنوب
الى انفسهم المقدسة للاتصال والسبب ولا سبب اوكد مما بين الرسول او الامام
عليهم السلام وبين امته ورعيته الا ترى ان رئيس القوم اذا وقع من قومه هفوة
او تقصير قام هو في الاعتذار عنهم ونسب ذلك الى نفسه واذا اريد عتابهم
وتوبيخهم وجه الكلام اليه دون غيره منهم وان لم يفعل هو ذلك بل ولا شهده
وهذا وجه في الاستعمال معروف الخامس ما ذكره الشيخ علي بن عيسى الاربلي
في كتاب كشف الغمة قال رحمه الله ان الانبياء والائمة عليهم السلام تكون
اوقاتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وقلوبهم مشغولة به وخواطرهم متعلقة بالملأ
الاعلى وهم ابدا في المراقبة كما قال عليه السلام اعبد الله كانك تراه فان لم تره فانه
يراك فهم ابدا متوجهون اليه ومقبلون بكليتهم عليه فمتى انحطوا عن تلك
الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة الى الاشتغال بالماكل والمشرب والتفرغ الى النكاح
وغيره من المباحات عدوه ذنبا واعتقدوه خطيئة فاستغفروا منه الا ترى ان
بعض عبيد ابناء الدنيا لو قعد ياكل ويشرب وينكح وهو يعلم انه بمرأى من سيده

وسمع لمكان ملوما عند الناس ومقصرا فيما يجب عليه من خدمة سيده وما
لخاطئك بسيد السادات ومالك الاملاك والى هذا اشار صلى الله عليه وآله بقوله انه
ليران على قلبي واني لاستغفر الله بالنهار سبعين مرة وقولهم حسنات الابرار
سيئات المقربين هذا ملخص كلامه وهو احسن ما تضمحل به الشبهة المذكورة
وقد اقتفى اثره القاضي ناصر الدين البيضاوي في شرح المصابيح عند شرح
قوله صلى الله عليه وآله انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم مائة
مرة قال الغين لغة في الغيم وغان على كذا اي غطى قال ابو عبيدة في معنى
الحديث ان يتغشى قلبي ما يلبسه وقد بلغنا عن الاصمعي انه سئل عن هذا فقال
للسائل عن قلب من تروى هذا فقال عن قلب النبي صلى الله عليه وآله فقال لو
كان عن قلب النبي صلى الله عليه وآله لكنت افسره لك قال القاضي ولله دره
في انتهاج نهج الادب واجلاله القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومنزل تنزيله
ثم قال لما كان قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معنيا مع ذلك بتشريع الملة
وتاسيس السنة ميسرا غير معسر لم يكن له بد من النزول الى الرخص والالتفات
الى حظوظ النفس مع ما كان ممتحنا به من احكام البشرية فكان اذا تعاطى شيئا من ذلك
اسرعت كدورة الى القلب لكمال رقته وفرط نورانيته فان الشيء كلما كان
ارق واصفى كان ورود المكدرات عليه ابين واهدى فكان صلى الله عليه وآله
وسلم اذا احس بشيء من ذلك عده على النفس ذنبا فاستغفر منه انتهى كلامه
ملخصا **ويجيبني في مسألتك تفضلك على من اقبل بوجهه اليك ووفد**
بحسن ظنه عليك التفضل التطول وهو ابتداء الاحسان بلا علة ومعنى
اقبل بوجهه اليك اطاعك وانابه اليك وخلص نيته لك لان من كان
مطيعا لغيره منقادا له مخلصا سريرته له فلذ يقبل بوجهه اليه فجعل الاقبال

بالوجه كناية عن الطاعة والانابة او معناه اقبل بوجه قلبه وروحه في المحبة
والعبادة والتوبة والانابة لك ووفد اليه وعليه وفدا ووفودا ووفادة
قدم وورد وهو كناية عن رجائه وتأميله والقصد لمرضاته ثم بالعمل في
النية فان من رجا احدا واملّه وفد اليه وقدم عليه وقوله عليه السلام بحسن
ظنه قيد يفيد كمال حسن الرجاء له سبحانه ففي الحديث النبوي والذي لا اله الا هو
لا يحسن ظن عبد مؤمن قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا
بالله الظن وارغبوا اليه **حكي** ان رجلا قال لرابعة العدوية اني قد عصيت فلو
افتريته يقبلني ان انا انبت قالت ويحك انه يدعو المدبرين عنه فكيف
لا يقبل المقبلين عليه **اذ جميع احسانك تفضل واذ كل نعمك ابتداء** اذ
للتعليل متعلق بتفضلك كانه قال ان تفضلك من غير استحقاق ثابت متحقق
لان جميع تفضل من غير استحقاق اذ كان ابتداء بما لا يلزم ولان كل نعمك ابتداء
لا مجازاة لحق سابق لديك وهذا لا ينافي كون العمل سببا لدخول الجنة كيف
وقد قال ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ولكن لما كانت الاعمال الموجبة للثواب
متوقفة على الوجود والقدرة والقوة والالات والتوفيق وكان كل ذلك
من الله سبحانه تفضلا وتطولا وابتداء منه بما لا يلزم كان استحقاق العبد
مترتبا عليه ايضا فجعل العبد مستحقا للثواب بعمله تفضل منه تعالى
ولا فلو ناقشنا في الالات التي يتسبب باستعمالها الى ثوابه لذهبت صنوف العبادة
في جميع ما كدح له وجهله ما يسعى فيه ولبقي رهينا بسائر نعمه فمتى كان يستحق شيئا
من ثوابه وقد نص عليه السلام على هذا المعنى بما لا مزيد عليه في دعائه اذا اعترف بالتقصير
عن تادية الشكر كما ستراه واما ما ذهب اليه الاشاعرة من ان العمل ليس سببا للثواب
بناء على اصلهم الفاسد من ان الله تعالى يجوز ان يعذب المؤمن المطيع ويثيب الكافر

نفساده ظاهر وعلى هذا فالتفضل حقيقة واسماكالجاد والهداية والحقوق ونحو ذلك ومنه ما هو تتميم للاجر كما وكيفا كما وعد تعالى من الاضعاف ونحو ذلك

فها انا ذا يا الهي واقف بباب عزك وقوف المستسلم الذليل وسائلك على الحياء مني سؤال البائس المعيل

الفاء للسببية اي فبسبب ما وجدته على مسألتك من تفضلك على من اقبل بوجهه اليك ها انا ذا يا الهي واقف وجملة انا ذا مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه لكمال العناية بمضمونها اي ان المتكلم ذا الموصوف وواقف بيان للوصف وهو خبر ثان لانا او خبر لذا والجملة خبر لانا والوقوف بباب عزه تعالى كناية عن الالتجاء به والانقياد له كما يقف الملتجي والمطيع بباب من يلتجي به وينقاد له واستسلم انقاد ويقال اسلم لله وسلم واستسلم اي انقاد لامره ونهيه كانه سلم انه لا قدرة له على جلب نفع ولا دفع ضر وعلى من قوله على الحياء مني للمصاحبة بمعنى مع كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والحياء ملكة نفسانية توجب انقباض النفس من شيء ملام عليه قال الزمخشري هو تغيير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم قال التفتازاني وهو تفسير للفظ الحياء ونوع تنبيه على معناه الوجداني الخفي عن التعريف وتخوف ما يعاب به ليس يلزم ان يكون بصدور ذلك منه بل بمجرد توهمه كما يستحيي الابرار وضعفاء القلوب في حضور اهل الاحتشام انتهى والى ذلك اشار صاحب الكشف حيث قال لم يرد بالتوقع فقد يكون الاحتشام ممن يستحيى منه لهو اكثر في النفوس الطاهرة قيل واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اشتكى نساه وحشاه فكان الحيي صار منتقص القوة منكسر الحيوة لما اعتراه من الانكسار والبائس من بئس يبأس من باب علم اذا افتقر واشتدت حاجته وهو من البؤس بمعنى الضر وعن الصادق

عليه السلام الفقير الذي لا يسأل الناس والمسكين اجهد منه والبائس اجهدهم والمعيل اسم فاعل من اعال اما بمعنى كثير عياله فان المعيل اذا كثر عياله زاد جهده واشتد اضطراره واما بمعنى افتقر فقد حكى صاحب القاموس اعال بالالف بمعنى افتقر فيكون النوع من التأكيد لان المشهور في المعنى الاول اعال بالالف وورد ثلاثيا ايضا نقل الكسائي عن العرب الفصحاء عال يعول اذا كثر عياله ذكره الازهري ونقله غيره عن الاصمعي ايضا وفي المعنى الثاني بالعكس والمصدر ان كلاهما اعني وقوف المستسلم وسؤال البائس مفعولان مطلقان مبينان لنوعي عامليهما والتقدير وقوفا مثل وقوف المستسلم وسؤالا مثل سؤال البائس كما نقدره في نحو قولك ضربت ضرب الامير اي ضربا مثل ضرب الامير فحذف الموصوف ثم المضاف واقيم المضاف اليه مقامه غير ان المراد بالمستسلم والبائس هنا نفسه على طريقة التجريد بخلاف الامير في المثال فهو كقوله تعالى فاخذناه اخذ عزيز مقتدر فان العزيز المقتدر انما هو الله تعالى وهو الاخذ ولكنه جرد من نفسه عزيزا مقتدرا كما جرد من نفسه خيرا في قوله فلئن سألت به خبيرا لقصد المبالغة كما تقرر في علم البلاغة وبين في نوع التجريد وجعل لحذره بيانا لنوع العامل وهو في الدعاء كذلك وقس على ذلك ما يأتيك من نظائر هذه العبارة في هذا الدعاء وغيره كقوله عليه السلام بل اقول مقال العبد الذليل الظالم لنفسه المستخف بحرمة ربه ونحو ذلك في سائر الادعية ومنه قول الصادق عليه السلام في دعاء العاقبة اللهم اني ادعوك دعاء العليل ادنى العلو ان العليل هو الداعي لان هذا الدعاء موضوع لطلب العاقبة ممن به علة واما ما قيل من ان الوصف مبين قوله عليه السلام واقف بباب عزك وقوف المستسلم الذليل اعتراف بانه واقف بباب عزه وقوفا مثل وقوف المستسلم الذليل المنقاد لا انه مستسلم منقاد نوعهم

منشاؤه قياسه فی المعنی علی نحو ضربت ضرب الامیر فظن ان هذا الترکیب
مطرد فی جمیع نظایر هذا الترکیب ولیت شعری کیف یصنع فی الآیة المذکورة
وهل یسوغ له ان یقول ان اخذه مثل احد عن مقتدر تعالی الله عن ذلک
علوا کبیرا ومن عرف حقیقة التجرید وتأمل المعرف الذی ذکرته له وهو ان
ینتزع من امر متصف صفة امر اخر مثله مبالغة لکمالها فیه حتی کانه بلغ من الاتصاف
بها مبلغا یصح ان ینتزع منه آخر موصوف بتلک الصفة کقولهم مررت بالرجل
الکریم والنسمة المبارکة فانهم جردوا من الرجل الکریم اخر مثله متصفا بصفة
البرکة وعطفوه علیه کانه غیره وهو هو فی نفس الامر تحقق ان ما نحن فیه من ذلک
التعریف المذکور منطبق علیه **فان قلت** من ای اقسام التجرید هو **قلت** هو من قسم
دل علیه السیاق کقول الشاعر ، ولئن بقیت لارحلن بغزوة ، تحوی الغنایم او
یموت کریم فان السیاق دل علی ان المراد بالکریم نفسه ولذلک ما نحن فیه
عبارة الدعاء ونحوها وتقدیر المثل فیها حفظا للقاعدة النحویة لا ینافی ما قررناه من
التجرید بل هو مقتضاه لحصول المغایرة به فاحفظ ذلک فانه عزیز وربما زل فیه
کثیر من الافهام وهو من خصایص هذا الکتاب والله یقول الحق وهو یهدی السبیل
قولک بانی لم استسلم وقت احسانک الا بالاقلاع عن عصیانک
الاقلاع عن الامر الکف عنه واقلعت عنه الحمی ترکته والباء للملابسة والمعنی
انی ما استسلمت وانقدت لامرک وقت احسانک الا متلبسا بالکف عن
عصیانک فقط ولم تقع منی طاعة اخری والغرض من ذلک الاقرار بانه لم یقم بجمیع
ما یقتضیه الاستسلام من امتثال الاوامر واجتناب المناهی کما هو شان المستسلم
المنقاد واما ما قیل من ان المعنی انه مقر بانه غیر منقاد فی وقت الاحسان الا بترک
العصیان ولم یحصل منه الترک فلا تفیده هذه العبارة کما لا یخفی نعم لو کان

مقولک

مقولک بانی لا استسلم وقت احسانک الا بالاقلاع عن عصیانک بان بدال لم بلا کان
المعنی المذکور محتملا **ولم اخل فی الحالات کلها من امتنانک**
خلا الشیء یخلو خلوا وخلا فرغ والحالات جمع حالة بمعنی الحال وهی ما یکون علیه
الانسان من الصفة ولم یجعل الجوهری الحال والحالة بمعنی بل جعله من باب تمر
وتمرة فقال الحالة واحدة حال الانسان وهو غریب والامتنان افتعال من
المنة بمعنی الانعام والاحسان والغرض الاقرار بانه علیه السلام لم یکن فارغا
فی جمیع حالاته لا قبل استسلامه ولا بعده من انعامه واحسانه تعالی **هل ینفعنی
یا الهی اقراری عندک بسوء ما اکتسبت وهل ینجینی منک اعترافی بقبیح
ما ارتکبت** ساء الشیء یسوء سوءا قبح وقیل السوء ما یظهر مکروهه لصاحبه
والقبیح ما لیس للقادر علیه ان یفعله وقیل القبیح ما یکون متعلق الذم
فی العاجل والعقاب فی الآجل وکسب واکتسب واحد قال تعالی ولا تکسب
کل نفس الا علیها وقیل الاکتساب اخص لان الکسب لنفسه ولغیره والاکتساب
ما یکتسب لنفسه خاصة وقیل فی الاکتساب مزید اعتمال وتصرف ولهذا
خص جانب الشر فی قوله تعالی لها ما کسبت وعلیها ما اکتسبت دلالة علی ان العبد
لا یواخذ من السیئات الا بما عقد الهمة علیه وعقد القلب به بخلاف الخیر فانه
یثاب علیه کیفما صدر عنه قال الزمخشری **فان قلت** لم خص الخیر بالکسب والشر
بالاکتساب **قلت** فی الاکتساب اعتمال فلما کان الشر مما تشتهیه النفس وهی
منجذبة الیه وامارة به کانت فی تحصیله اعمل واجد فجعلت لذلک مکتسبة فیه
ولما لم تکن کذلک فی باب الخیر وصفت بما لا دلالة فیه علی الاعتمال انتهی و
الاصل فی الرکوب ان یکون فی الدابة رکبت الدابة وعلیها رکوبا ثم استعیر
فی الذنب والاثم فقیل رکبت الذنب وارتکبته اذا اکثرت من اخذه ورکبت الاثم

الاثم وارتکبته فعلته قال الازهری اصله الرکوب

فارتكبته اذا اكثرت من فعله او تحملته قال في الاساس ومن المجاز ركب ذنبا وارتكبه وهذا الاستفهام من باب تجاهل العارف وسوق المعلوم مساق غيره والا فالاقرار بالذنب الاعتراف بالمعصية في هذه الدار مما وردت النصوص القاطعة بانه ينفع وينجي كما ورد عن ابي جعفر عليه السلام والله ما ينجو من الذنوب الا من اقر بها وفي هذا المعنى احاديث كثيرة تقدم ذكر بعضها في شرح عنوان هذا الدعاء والنكتة فيه الاعتراف باستعظام سوء ما اكتسبه وقبيح ما ارتكبه حتى كانه شك لعظمته هل هو داخل في الذنوب التي ينفع فيها الاقرار وينجي منها الاعتراف ام هو اعظم من ذلك فاستفهم استفهام من لا يعلم **ام اوجبت لي في مقامي هذا سخطك ام لزمني في وقت دعاي مقتك** وجب الشيء يجب وجوبا لزم وثبت واوجبه الزمه واثبته والمقام بالفتح موضع القيام ويحتمل ان يكون المراد بالمقام الحسي والمعنوي وسخط سخطا بالفتح والتحريك من باب تعب غضب والسخط بالضم والسكون اسم منه والمراد بسخطه تعالى عقابه او هو راجع الى ارادة العقوبة ولزم الشيء يلزم لزوما من باب علم ثبت ودام ومقته مقتا من باب قتل ابغضه اشد البغض عن امر قبيح فيكون المراد اشد عقابه تعالى وارادته **سبحانك لا ايس منك وقد فتحت لي باب التوبة اليك** قد تقدم ان سبحان مصدر كغفران بمعنى التنزيه ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله ومعنى سبحانك انزهك تنزيها عما لا يليق بجناب قدسك وعز جلالك وهو مضاف الى المفعول وجوز كونه مضافا الى الفاعل بمعنى التنزه ويئس من الشيء يياس من باب تعب قنط فهو يائس والشيء ميؤس منه على فاعل ومفعول والمصدر الياس مثل فلس ويجوز قلب الفعل دون المصدر فيقال ايس ياسا هكذا قال بعض اهل اللغة وقال الجوهري ايست من الشيء ايس ياسا لغة في يئست منه اياس ياسا ومصدرهما واحد انتهى وفي

العكوبر

٢٨٦

وفي القاموس ايس منه كسمع اياسا قنط فجعل اياسا مصدر ايس لكن قال ابن سيدة في اللغة اما يئس وايس فالاخيرة مقلوبة عن الاولى لانه لا مصدر له ولا يجيء باياس اسم رجل فانه فعال من الاوس وهو العطاء كما سمي الرجل عطية وهبة الله انتهى والرواية في الدعاء وردت بالوجهين لا ايس منك على انه مستقبل ايس والاصل ايس بهمزتين الاولى للمضارعة والثانية فاء الكلمة فلينت وقلبت ياء للاستثقال وهذه الرواية هي المشهورة في سنن النسخ ولا ياس منك على انه مستقبل يئس وهي نسخة ابن ادريس رحمه الله ولما كان في استفهامه السابق عليه السلام ما يشم منه رائحة الياس والقنوط حيث توقف مع الاعتراف والاقرار في العفو والتجاوز مع علمه بسعة رحمة الله تعالى ومنعه من القنوط ووعده بمغفرة الذنوب جميعا نزهه عن ان يياس منه ويقنط من رحمته والحال انه قد فتح له باب التوبة الذي من دخله لحاف بلغ ما رجا فكيف يياس من عفوه وغفرانه ام كيف يقنط من فضله واحسانه فالواو من قوله وقد فتحت للحال وفتح الباب مستعار لاحوال التوبة وجعلها مدخلا الى عفوه ومرضاته تعالى **بل اقول مقال العبد الذليل الظالم لنفسه المستخف بحرمة ربه** بل حرف اضراب فان تلاها جمع كان معنى الاضراب ابطال لما قبلها نحو وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون اي بل هم عباد ونحو ام يقولون به جنة بل جاءهم بالحق والانتقال من غرض الى استيناف غرض اخر نحو قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ونحو عبارة الدعاء اذ ليس الغرض من الاضراب هنا الا الانتقال من الكلام الاول الى معنى آخر وهي في ذلك كله حرف ابتداء لا عاطفة والظالم لنفسه العاصي الذي بخس نفسه الثواب اي نقصها بالمخالفة لاوامر الله وارتكاب مناهيه واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه واستعماله قواه في غير ما خلقت له وهو معنى بنفسه فصح انه ظالم لنفسه والمستخف

جهة اسمائه من كان زعدة خفيفا فلم يعبأ به ومن الحرمة بالضم ما وجب القيام به وحرم
التفريط فيه وقد يحمل تماكم وجميع التكاليف واحكام الله تعالى بهذه الصفات
وللاستخفاف بها عدم مراعاتها والقيام بها وترك العمل بموجبها وقد عبر قوله تعالى
ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه باحكامه وسائر ما لا يحل هتكه وقيل
القول فيه فله عليكم فيما ياتى اتوب اليك فى معانى هذا وسياتى الكلام عليه
الذى عظمت ذنوبه فجلت وادبرت ايامه فولت الفاء للتعقيب فى العطف
بها يدل على ان بين العظم والجلال فرقا لانهما لو كانا مترادفين كما يظهر من كتب اللغة
لما جاز العطف بها لان عطف الشئ على مرادفه مما تختص به الواو ولا يجوز فيه
غيرها من حروف العطف فيمكن ان يعتبر العظم بحسب الكمية كما يقال جيش عظيم حطبها
فصارت جليلة ومن ابى عبد الله عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
نزل بارض قرعاء فقال لاصحابه ائتوا بحطب فقالوا يا رسول الله نحن بارض قرعاء
ما بها من حطب قال فليات كل انسان بما قدر عليه فجاؤوا به حتى رموا بين يديه
بعضه على بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هكذا تجتمع الذنوب وادبر الشئ
خلاف اقبل كانه ولى دبره وولى وتولى اى ذهب فالتولى بعد الادبار فصح العطف
بالفاء التعقيبية واراد بايامه مدة حياته **حتى اذا راى مدة العمل قد انقضت**
وغاية العمر قد انتهت ٥ حتى هذه عند الجمهور هى الابتدائية
التى يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لما قبلها وهو هنا
ما اعترف به من الظلم لنفسه والاستحقاق لجرمه ربه وعظم ذنوبه وادبار
ايامه واستشكل بعضهم مجئ هذه الجملة الشرطية من اذا وجوابها بعد حتى وقال كيف تكون
حتى غاية وبعدها جملة الشرط واجيب بان الغاية فى الحقيقة هو ما ينسبك من الجواب
مرتبا على فعل الشرط فالتقدير الا عراض المعنوى فيما نحن فيه بل اول مقالى من لم يزل

طالما

٢٩٠

لنفسه مستحقا بجرمه ربه الى ان تلقاك بالانابة واخلص اليك التوبة وقت رؤيته
مدة العمل قد انقضت وغاية العمر انتهت الى آخره وقيل هى فى مثل ذلك غاية
الجواب الشرط على معنى انه لما راى مدة العمل قد انقضت وغاية العمر قد انتهت تلقاك
بالانابة ومن زعم الاخفش وابن مالك انها الجارة وان اذا فى موضع جر بها وعلى هذا فيكون
تقدير الغاية لم يزل ظالما لنفسه مستحقا بجرمه ربه الى وقت رؤيته مدة العمل قد
انقضت وهى على هذا لا جواب لها لانها معمولة لما قبلها فيكون قوله تلقاك بالانابة
استينافا وجواب سؤال كانه سئل فما كان منه اذ ذاك فقال تلقاك بالانابة
والعمل فعل الانسان الصادر عن قصد وعلم والمراد به هنا ما يستحق به الثواب
وينجى من العقاب وغاية الشئ مداه والعمر الحياة وقوله انقضت وانتهت من باب التعبير
بالفعل عن مشارفته اى راى مدة العمل قد شارفت الانقضاء وغاية العمر قد
شارفت الانتهاء ومنه قوله تعالى واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن
اى قاربن انقضاء العدة ومثله كثير فى القرآن المجيد **وايقن انه لا**
محيص له منك ولا مهرب له عنك اليقين العلم الذى لا شك فيه وقيل هو العلم
الحاصل عن نظر واستدلال ولذلك لا يسمى علم الله تعالى يقينا ويقن الامر ييقن
يقنا من باب تعب اذا ثبت ووضح هو يقين فعيل بمعنى فاعل ويستعمل ايضا متعديا
بنفسه وبالباء وبالهمزة والباء فيقال يقنته ويقنت به وايقنت به وتيقنته
واستيقنته اذا علمته والاصل وايقن بانه لا محيص فحذفت الباء وحذف حرف الجر
مطرد مع ان وانّ والمحيص الملجأ والمحيد من حاص يحيص حيصا اذا عدل وحاد
وقيل هو من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او
مصدر كالمغيب والمشيب ومثله المهرب وقوله منك وعنك اى من امرك وعن
امرك والمراد به الموت **فان قلت** الم يكن موقنا قبل ذلك بانه لا محيص له

١

له عنه حتى حمل نفاية شرطا حاملا لا تلقيه تعالى بالانابة كما تقتضيه العطف
على الجملة الشرطية فيكون قد حصل له الايقان بعد ان لم يكن **قلت** المراد
انه ايقن بحلول الموت به عند ادبار ايامه و تولّيها كما اى ان سدّ فالعمل
قد انقضت وغاية العمر قد انتهت فتحقق انه لا محيص ولا مهرب له عنه تعالى
فسحة الاجل ورجاء نفس في العمر فان نفسه قد استسلمت لحلوله بها
فلم يكن لها نفرة ولا مهرب عنه كما هو شان المستسلم واما قبل ذلك فانه كان
موقنا بانه سيحل به الموت الا انه كان يؤمل الخلوع ويرجو البقاء بعد ما كان ذلك
كالمحيص والمهرب له عن حلوله او ان نفسه كانت تحيد وتهرب نفرة عنه
بحسب الطبع كما قال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
اى تنفر وتهرب والخطاب في للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من ادم
طبعا والله اعلم **تلقاك بالانابة واخلص لك التوبة** تلقاه استقبله اى
وجد وجهه تلقاءه وقوله والانابة الرجوع الى الله بالتوبة من اناب اذا اقبل
ورجع واخلص لله العمل لم يرائي فيه من خلص الماء من الكدر اذا صفا وخلص النجي
من الملك خلوصا من باب قعد سلم ونجا كانه اصفاه وسلمه من شوب رياء
نفاق واخلاص التوبة ان ياتي بها على طريقها ليصفو ويسلم مما ينافيها وذلك
ان يتوب عن القبائح لقبحها نادما عليها مغتما اشد الاغتمام لارتكابها عازما على ان
لا يعود في شيء من القبائح موطنا نفسه على ذلك بحيث لا يلويه عنه صارف اصلا
فاذا تاب كذلك فقد اخلص التوبة وعن امير المؤمنين عليه السلام ان التوبة يجمعها
ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال
الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في
المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وفرق بعضهم بين الانابة

والتوبة

والتوبة فقال الانابة ان يتوب العبد خوفا من عقوبته والتوبة ان يتوب حياء من
كرمه فالاولى توبة انابة والثانية توبة استجابة **فقام اليك بقلب طاهر نقي ثم**
دعاك بصوت حائل خفي الفاء للسببية اى فبسبب ذلك قام اليك مثلها
في قوله تعالى وكرم موسى فقضى عليه وعدى القيام بالى لتضمنه معنى التوجه اى قام متوجها
اليك والباء للملابسة وطهر الشيء من باب قتل وقرب طهارة والاسم الطهر بالضم
وهو لغة النقاء من الدنس والنجس وخص شرعا بالثاني ونقي الشيء ينقى من باب
تعب نقاوة بالفتح والمد ونقاوة نظف من الوسخ والدنس فهو نقي على فعيل والمراد
بطهارة القلب ونقاوته نقاؤه من الانجاس والادناس المعنوية كالشرك والجهل
وسائر الاعتقادات والاخلاق الذميمة ويندرج في طهارته ونقاوته نقاء
سائر الجوارح لانه رئيسها ودعا الله تعالى يدعوه دعاء ابتهل اليه بالسؤال فيما عنده
فيما عنده من الخير والصوت كيفية قائمة بالهواء يحملها الى الصماخ وحال الشيء
يحول حولا اذا تغير عن طبعه ووصفه ومثله استحال وخفي الشيء من باب تعب خفاء
استتر فهو خفي وصف الصوت بالحئول والخفاء لما اعتراه من الخوف
او الحياء فان الخائف والمستحيي من شانه ان يتغير صوته ويخفى كلامه لضعف نفسه
وانقباضها عن استعمال الالة على جاري عادتها حتى ان بعضهم ينقطع صوته
ويخفى كلامه لضعف نفسه وانقباضها عن استعمال الالة على جاري عادتها حتى
ان بعضهم ينقطع صوته فلا يستطيع الكلام **قد تطاطا لك فانحنى ونكس راسه**
فانثنى التطاطؤ التذلل ونخفض نفسه من طاطا راسه اذا صوبه
وخفضه وفي حديث عثمان تطاطات لكم تطاطؤ الدلاة قال ابن الاثير اى
خفضت لكم نفسي كما يخفضها المستقون بالدلاء وتواضعت لكم والحيث والدلاة
جمع دال وهو الذي يستقي بالدلو كقاض وقضاة انتهى والحنو الانعطاف والحني

العود يحنيه حنيا وحناه يحنوه حنوا عطفه ونكس راسه من باب قتل ونكسه بالتثقيل خفضه وطأطاه وانثنى انعطف والحنى من شأنه يثنيه ثنيا من باب رمى اذا عطفه وكل ذلك كناية عن تواضعه وخشوعه وذله له تعالى والجملة في محل نصب على الحال ويحتمل الاستيناف كانه سئل ثم ما كان منه بعد ذلك فقال قد نظا طالك فانحنى الى اخره **قد ارعشت خشيته من جلده وغرقت دموعه خديه** رعش رعشا ورعشا من باب تعب منع اخذته الرعدة وتعدى بالهمزة فيقال ارعشه الله وارتعش ارتعد والخشية الخوف وقيل الخوف تألم النفس من توقع العقاب والخشية الحالة الحاصلة عند الشعور بعظم الحق وهيبته وسيأتي الكلام على ذلك في الروضة الثالثة والعشرين ان شاء الله تعالى واسناد الارعاش الى الخشية من اسناد الفعل الى السبب فان القوة المحركة اذا ضعفت لاعتراض الخوف او لوصول شيء منقطع هائل كالنظر من موضع عال والمشي على الحائط او مخاطبة محتشم مهيب او غير ذلك مما يقبض القوى النفسانية او غم او حزن او فرح مشوش لنظام حركات القوة عرضت الرعشة والغضب قد يفعل ذلك لانه يحدث اختلافا في حركة الروح وخص الرجلين بالارعاش ابدا ناشيء الخشية وربما لان الرعشة فيهما لا تحدث الا عن سبب قوي جدا ينفعل عنه الروح المحرك في اسافل البدن انفعالا شديدا بخلاف اليدين يدل على ذلك قول الشيخ الرئيس في القانون وقد يكون بالرعشة في اليدين دون الرجلين لان الروح المحرك في اسافل البدن اقوى واشد لحاجة تلك الاعضاء الى مثله فلا ينفعل عن الاسباب التي ليست بقوية جدا انفعالا شديدا او انفعلت الآلة قوي على نشرها والبدن ليست كذلك انتهى فانظر ايها المتامل الى ملاحظته عليه السلام وهذه العبارة لهذه النكتة الدقيقة التي لا تطلع عليها ولا يطلع

الا من اطلع على دقائق علم الطب واسراره وكشف عن خفي مسائله حجب استاره وهو عليه السلام مع ذلك متوجه الى خطاب ربه ومشتغل باعتراف ذنبه وهو المقام الذي تدحض فيه العقول والافهام وترجف عنده القلوب والاقدام لتعلم ان مثل ذلك ليس الا عن فيض رباني وامداد سبحاني وكم في مطاوي كلامه عليه السلام من نكت واسرار لا يدركها الا من نفخ له بصره الهدى وانقشعت عنه سحائب العمى ففي كل معنى منه ودمن من المعنى وفي كل لفظ عقد الدر وفقنا الله تعالى للاطلاع عليها وهدانا بارشاده اليها وغرق الشيء في الماء غرقا من باب تعب فهو غرق وغارق ايضا ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال اغرقه وغرقه ولما كانت كثرة الدموع تغطي وتستر الخدين كما يستر الماء الكثير الغريق عبر عن ذلك بالتغريق ايذانا بكثرتها ودوام ذرفانها والجملة في محل نصب على الحال كالتي قبلها وهي اما حال من فاعل دعاك كالاولى كما هو مذهب الجمهور من جواز تعدد الحال والعامل فيها على الاول دعاك وعلى الثاني تطاطا ويحتمل الاستيناف على قياس ما مر **يدعوك يا ارحم الراحمين** اي يناديك من دعوت زيدا اي ناديته وطلبت اقباله ومدخول الباء محذوف والتقدير يدعوك بقوله يا ارحم الراحمين ويا حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة او حكما وقد ينادى بها القريب توكيدا وقيل هي مشتركة بين البعيد والقريب وقيل بينهما وبين المتوسط قال ابن هشام في المغني وقاله ابن المنير واصله صوت يهتف به لمن كان بعيدا منك ثم استعمل في كل نداء وان قرب المنادى كانك تقدر المخاطب ساهيا عنك وكنى بالغفلة بعدا فتوقظه بذلك الصوت من سنة السهو ثم تودنه بخطابك وان كان مصغيا لك

الامر الذى بعده مهتم عندك وكانك فى غفلة عنه فتزيد نفطته الى يقظة
بالتصويت **فان قلت** فقد استعمل هذا الحرف فى الدعاء وقد علم ان الله
تعالى لا يجوز عليه السهو ولا الغفلة ولا البعد فانه اقرب الى الداعى من حبل
الوريد **قلت** قد استقر انها بالاتساع صارت موذنة باهتمام المتكلم
بالمقصود والذى ياتى بعدها اعم من كون السامع غافلا او حاضرا واظهار
للاهتمام بالحاجة من قبيل الفراغة وللالحاح المطلوب فى الدعاء وقال الزمخشرى
وقول الداعى فى جواره يا رب ويا الله مع كونه اقرب اليه من حبل الوريد
استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وهو اقناعى لان الداعى
يقول فى دعائه يا قريبا غير بعيد وربما قال يا من هو اقرب الى من حبل الوريد
فاين هذا من الانتصاب فى مقام البعد انتهى كلام ابن المنير واجيب من
تعقيبه كلام الزمخشرى بان هذا الكلام من الداعى غير مناف لانتصابه فى
مقام البعد ولا بعيد منه لان المراد استقصار نفسه واستبعادها عما يقربه
الى رضوان الله تعالى انتهى والجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى قوله
فقام الملك كانه قال فقام الملك ثم دعاك مناديا لك بقوله يا ارحم الراحمين
وتقييد النداء بهذا الوصف لانه الاهم بالمقام لاشتماله على صفة الرحمة
التى لا منا وبها رحمة ولا تكون توبة ولا عفو ولا غفران ولا فضل ومن
واحسان الا بعدها وفى الحديث ان الله ملكا موكلا بمن يقول يا ارحم
الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك
فسل ومر رسول الله صلى الله عليه وآله برجل وهو يقول يا ارحم الراحمين
فقال له سل فقد نظر الله اليك **ويا ارحم من انتاب المسترحمون ويا اعظم
من الطاف به المستغفرون** انتاب انتيابا اتاه مرة بعد اخرى او غدا

عليه وراح قال فى الاساس هو ينتابنا وهو منتاب معاد مراوح وقال ابن
الاثير فى النهاية انتاب اذا قصد مرة بعد اخرى ومنه حديث الدعاء يا ارحم
من انتابه المسترحمون انتهى واسترحمه سأله الرحمة وعطف عليه عطفا من باب ضرب
اشفق وتحنن والطاف به الم اى نزل به واطاف بالشئ احاط به
اى استدار بجوانبه والانتياب تمثيل لطلب المسترحمين منه الرحمة مرة بعد
اخرى كما ينتاب المحتاج الغنى ويغاديه ويراوحه فى طلب حاجته والاطافة فرعية
الالمام تمثيل لطلبهم المغفرة منه من كل جهة كما يحيط المحتاجون بمن يقوم
بهم قال الشاعر **شعر** اخو صبية شعث يطيف بشخصه ۔ كوالح امثال اليعاسيب
ضمر ۔ وقال ابو طالب رضى الله عنه فى مدحه عليه وآله ۔ يطيف به
الهلاك من آل هاشم ۔ فهم عنده فى نعمة وفواضل واسناد تعطفه تعالى على عبيده فى
هذه الافعال من الرحمة والعطف ونحوها انما هو بالنظر الى عادة الناس وضعف
عقولهم حيث يثبتون اصل تلك الافعال فى الجملة لغيره ايضا فينبهون
على الوجه اليه ثم بانه الكامل فيها من غيره لان النقص لا الكمل ارغب والا
فلا نسبة بين الخالق والخلق ولا بين فعله وفعلهم حتى يجرى فيه معنى
التفضيل **ويا من عفوه اكثر من نقمته ويا من رضاه اوفر من سخطه**
دفو الشئ يدفو من باب دعر دفوا ودفوة وفاء من باب وعد ايضا تم
والكلمة يتعدى ولا يتعدى والمصدر فارق دفو المال من باب كرم وعد
دفوا دفور اكثر واتسع فهو دفو ويتعدى هذا بالتثقيل فيقال دفره قدم
ذكر العفو والنقمة على الرضا والسخط لاهتمام صفات الافعال ادنى رتبة
فترقى منها الى الاعلى وهذا لا يصح على مذهب الامامية لان الرضا
والسخط عندهم من صفات الافعال ايضا باجماع منهم لانهم قالوا كل شئ

متضادين وصف الله بهما وهما في الوجود بهما من صفات الفعل كالعفو
والانتقام والرضا والسخط فانه يقال عفا عمن تاب وانتقم من اصر ورضي
عمن اطاعه وسخط على من عصاه فالرضا والسخط من صفات الفعل لا من صفات
الفعل لا من صفات الذات لانه لا يجوز وصفه تعالى بصفات الذات وبضدها
فلا يجوز ان يقال مثلا هو عالم وجاهل وقادر وعاجز والحاصل ان كل صفة
توجد منه سبحانه دون نقيضها فهي من الصفات الذاتية وكل صفة توجد منه
مع نقيضها فهي من الصفات الفعلية فلا يصح التوجيه المذكور على مذهبنا نعم قد
يراد بالرضا العلم الازلي بالخيرات وبافاضتها في اوقاتها فيكون من
صفاته الذاتية التي لا تفارق الذات فهي مرتبتها لكن هذا المعنى غير مراد هنا
بل المراد من الرضا نفس الفعل الذي هو الاحسان والاكرام المقابلته
بالسخط الذي هو العقوبة والانتقام فتعين كونه من صفات الفعل والصواب
في توجيه تقديم العفو في الذكر على الرضا وان كان كلاهما من صفات
الفعل ان العفو ادنى رتبة من الرضا يستلزم العفو من غير عكس اذ قد
يعفو السيد عن عبده وليس عنه براض فكان ذكره للعفو ثم الرضا من باب
الترقي من الادنى الى الاعلى قالوا ومعنى كون عفوه اكثر من نقمته ورضاه
اوفر من سخطه ان تعلق ارادته بايصال الرحمة اكثر من تعلقها بايصال العقوبة
فان الاول من مقتضيات صفته والغضب باعتبار المعصية كما قال تعالى
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فالرحمة
ذاتية والغضب عرضي فلولا المعصية والكفر لم يكن غضب ولم
يحل بهم كما دل عليه قوله تعالى ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ويا
من تحبب الى الخلق بحسن الجوار ويا من عودني عبادة بقول الانابة ويا من يتصح

فاسدهم بالتوبة

تحمد هنا بمعنى استحمد يدل على ذلك قول الزمخشري في الاساس استحمد الله
الى خلقه باحسانه اليهم وانعامه عليهم انتهى وتفعل يرد بمعنى استفعل في
معنى الطلب نحو تنجزته اي استنجزته اذا طلبت نجازه فتحمد الى خلقه واستحمد
بمعنى طلب اليهم ان يحمدوه كما قال تعالى وقل الحمد لله واشكروا لي ولا تكفرون
وانما عداه بالى والاصل ان يتعدى بنفسه لتضمينه معنى خطب اي تحمد
خاطبا اليهم حمده واما تفسيره بمعنى امتن كما فعله كثير من المحشين والمترجمين
اخذا من قول الجوهري في الصحاح فلان يتحمد على اي يمتن على يقال من انفق
ماله على نفسه فلا يتحمد به على الناس انتهى فليس بصواب وذلك لوجهين
احدهما ان التحمد بمعنى الامتنان انما يعدى بالى فاختلف المعنى يدل على ذلك
قول الامام ابي الفضل الميداني في مجمع الامثال قولهم من انفق ماله على نفسه
فلا يتحمد به على الناس ويروى الى الناس فمن وصله بعلى اراد فلا يمتن به
على الناس ومن وصله بالى فلا يخطبن اليهم حمده انتهى الثاني انه قد ورد في
دعائهم عليهم السلام تنزيهه تعالى عن الامتنان كما سيأتي في دعاء وداع شهر رمضان
ولم تشب عطاءك بمن فلا يصح حمل التحمد هنا على معنى الامتنان ولا حاجة الى التكلف
في الجواب بان معنى امتنانه كون نعمه جديرة بان يمتن بها والا فهو منزه عن
ذلك فان قلت فقد ورد الامتنان في القرآن المجيد كثيرا كقوله تعالى يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وقوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض الآية الى غير ذلك قلت هذا ونحوه من قبيل التنبيه على شكر النعمة و
النهي عن كفرها وليس الغرض منه اعتداد النعمة كما يفعله المعتد بنعمة والمتطاول
بها على المنعم عليه والمجاورة العفو والصفح والجنب من جانب يجوز اذا تعداه وعبر
كانه لم يقف عنده وحسن المجاورة عبارة عن الصفح الجميل وعن على عليه السلام

ان الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وكذلك روى عن الرضا عليه السلم وقيل هو
العفو بغير تعنيف وتوبيخ وفي بعض الاخبار يدنى العبد في صحيفته يوم القيمة
على خطيئة كان اقترفها يشق على السطر انها فيتدركه رحمة ربه فيستر عليه تلك
العظيمة ويقال له جاوزها لان كان دعاؤه ايام الجلوة يا عظيم العفو يا حسن
التجاوز وعوده كذا فاعتاده وتعوده اي صيره له عادة اي ديدنا يعود اليه
اي جعل لهم قبول الرجوع كلما رجعوا اليه عن ذنوبهم عادة وفيه اشارة الى قوله
تعالى ومن يعمل سوء او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انه قال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام باسط يده لمسيء النهار
ان يتوب بالليل ولمسيء الليل ان يتوب بالنهار وعن ابي جعفر عليه السلم كلما عاد المؤمن
بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وان الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو
عن السيئات والاخبار في هذا المعنى لا يكاد تحصى واستصلح الشيء طلب صلاحه
اي فتح لهم باب التوبة وشرعها لهم ليصلح ما افسدته الذنوب والمعاصي منهم
وذلك ان الذنب بمنزلة المرض العارض في النفس والتوبة بمثابة معالجتها حتى
تصلح وتعود الى صحتها وفي الحديث لكل شيء دواء ودواء الذنوب الاستغفار وعن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لم ار شيئا احسن طلبا ولا اسرع
ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك
ذكرى للذاكرين قال بعض العلماء سيئة العبد ظلمة وتوبته حسنة وهي نور
من انوار ايمانه وادراك النور الظلمة اسرع شيء كالصبح والليل اذا حط الصبح
نقابه نصل من الليل خضابه كالليل يطلبه النهار بصبغته فظلام بقيناه
مطرود ويا من رضي من فعلهم باليسير ويا من كافى قليلهم بالكثير رضي بالشيء
قنع به ولم يطلب معه غيره واليسير القليل من يسر من باب قرب اى

فنى هو

قل فهو يسير ورضاه منهم باليسير من فعل عبادة عبارة عن تكليفهم اقل مما هو
في قدرتهم وطاقتهم الا ترى انه كان من امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر
من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل في الدين
من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته فما كلفهم به قليل بالنسبة الى ما يستطيعون
وتكليفهم بذلك رضى منه به وكافاه مكافاة بالكسر والمد جازاه وهو مهموز
اللام الا ان الرواية في الدعاء وردت بدون الهمزة وهو من باب قلب الهمزة
الفا وهو كثير في كلامهم وفي هذا الفقرة اشارة الى قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله ونحو ذلك مما
ورد به النص القاطع بمضاعفة الثواب وزيادة الاجر على ان اقل قليل منه
من كثير العمل اذ لا نسبة بين المتناهي المنقطع وغير المتناهي الباقي لولا فضل الله
وسعة جوده وكرمه والله غني كريم ويا من ضمن لهم اجابة الدعاء ويا من
وعدهم على نفسه بتفضله حسن الجزاء ضمنت الشيء من باب علم تكفلت به وضمنت المال
ضمانا التزمته واجاب الله دعاءه قبله واستجاب له كذلك اي تكفل والتزم
لهم قبول الدعاء وفيه اشارة الى قوله تعالى والوعد هو الخبر عن ايصال نفع
الى الغير او دفع ضرر عنه في المستقبل سواء كان النفع مستحقا او لا وعدا
بعلى لتضمينه معنى الايجاب اي وعدهم موجبا على ذاته الشريفة بفضله وكرمه
وتفضل وحسن الجزاء هو حسن الثواب على الاعمال كما قال تعالى والله عنده حسن
الثواب قيل هو ما لا يبلغه وصف واصف ولا يدركه نعت ناعت مما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل حسنه في دوامه وسلامته
من كل شوب ومن النقصان الا ترى الى قوله تعالى فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة بالحسن ولم يصف به ثواب الدنيا لامتزاجه بالمضار وكدر صفوه بالانقطاع

والزوال بخلاف ثواب الآخرة قال القفال يحتمل ان يكون الحسنى هو الحسن كقوله تعالى
وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان
غاية في الجود ونهاية في العدل وثواب الله كله حسن فما ظنك بحسنه **تبصرة**
قال بعض ارباب القلوب لا ريب ان اللذة العقلية اتم واعظم من الحسية بما لا
يتناهى والتشوق الى الله سبحانه بالاعمال الحميدة والاخلاق المجيدة ولذة مناجاته
السعيدة من افضل الكمالات واعظم اللذات فمن العجب كيف جعل الله تعالى على طاعاته
وما يقرب اليه جزاء فان الدال على الهدى فضلا عن الموفق والممد على فعله اولى
بان يكون الجزاء له لا عليه لكن بسطة جوده وسعة رحمته اقتضى الامرين معا قال
تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فانظر كيف افاد حسانا وسماه جزاءه
فهو العجب من ذلك واسلك من سلك هذه المسالك **سالانا باعصى من عصاك
فغفرت له وما انا بالوم من اعتذر اليك فقبلت منه وما انا باظلم من باء اليك
فعدت عليه** الجملة الاولى في محل نصب بالقول المقدر المجرور بالباء من قوله فيما
تقدم يدعون بيا ارحم الراحمين اى يقول يا ارحم الراحمين سالانا باعصى من
عصاك وما بعدها معطوف عليها والفاء من فغفرت له عاطفة مفيدة للتعقيب
ووهم من قال انها رابطة لشبه الجواب بشبه الشرط اذ لا يترتب لزوم الغفران على
العصيان كما يترتب لزوم الدرهم على الاتيان في قولك من ياتيني فله درهم
والا لزم الغفران لكل عاص وهو باطل ثم الفاء الرابطة لشبه الجواب بشبه الشرط
مختص بالخبر كالمثال المذكور وهي هنا عاطفة داخلة على المعطوف والرابطة
قسيمة العاطفة لا قسم منها فكيف يدعى انها رابطة سال الله الهداية الى سلوك
جادة الصواب بمنه وكرمه والوم افعل تفضيل من لامه يلومه لوما اى عذله
وهذا مما استعمل فيه اسم التفضيل للتفضيل المفعول على غيره وان كان القياس كونه

للفاعل

للفاعل لكنه قد سمع في المفعول ايضا قال ابن الحاجب وقياسه للفاعل وقد جاء للمفعول
نحو اعذر والوم اى اكثر معذورية وملومية وردي وما انا بالام بالهمزة وهو من اللؤم
بالضم والهمزة وهو ضد الكرم والنجابة واعتذر اليه طلب قبول معذرته وهي الحجة التي يطلب
بها رفع اللوم عنه وجميع المعاذير لا تخلو عن ثلاثة اوجه اما ان يقول المعتذر لم
افعل او يقول فعلت لاجل كذا فيبين ما يخرجه عن كونه ذنبا مطلقا او عن كونه عدوانا
استكبارا او يقول فعلت وارجو العفو اما الاول فلا يجوز مع الله ثم كان لا يخلو من
ان يكون صادقا في انكاره فهو برى الساحة والله سبحانه اكرم من ان يعاقب من يكون
كذلك واما ان يكون كاذبا جاحدا فهو تعالى لا يخفى عليه خافية فلا يصح الانكار والجحود
اما القسمان الآخران فيجوزان اما الثاني فكان يقول فعلت لاجل اعتمادي على حلمك
وكرمك فيخرج ارتكابه للذنب عن كونه تجريا منه على الله واستخفافا بامره ونهيه و
تهاونا بوعيده الا ترى الى قول بعض المحققين من المفسرين في قوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم انه من باب تلقين الحجة قال امين الاسلام الطبرسي في مجمع البيان
انما قال سبحانه الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لانه كانه لقنه الاجابة حتى يقول
غرني كرم الكريم وعن الفضيل ابن عياض اذا قال لي ما غرك بربك الكريم اقول
غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ اذا اقامني الله بين يديه فقال ما غرك
بي اقول غرني بك برك سالفا وآنفا وعن بعضهم اقول غرني حلمك وعن علي عليه السلام انه
دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك
وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه واعتقه واما الثالث فهو الاقرار ومن اقر فقد
استوجب العفو لحسن ظنه وقد تقدم ما ورد فيه وانه لا نجاة من الذنوب الا بها والتوبة
ان يقول فعلت ولا اعود ولها شرائط مقررة عقلا ونقلا وعاد عليه بمعروف فراى فضل
وكاسم العائدة اى فعدت عليه بمعروف من قبول توبته او رضاك عنه واعلم ان العفو

من الله سبحانه اما ان يكون ابتداء منه تعالى وهو العفو مع الاصرار كما قال تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقد سمع رجل حكيما يقول ذنب الاصرار اولى بالاغتفار فقال صدق ليس فضل من يعفو عن السهو القليل لكن عفا عن العمد الجليل والى هذا القسم وقعت الاشارة بالفقرة الاولى وهي قوله عم سالا يا عصوني عصاك فغفرت له واما ان يكون عن اعتذار واقرار والية الاشارة بالفقرة الثانية واما ان يكون عن توبة واستغفار واليه الاشارة بالفقرة الثالثة والله اعلم اتوب اليك في مقامي هذا توبة نادم على ما اقترفته مشفق مما اجتمع عليه خالص الحياء مما وقع فيه الجملة في محل نصب على انها مفعول للقول من قوله عليه السلام فيما سبق بل اقول مقال العبد الذليل ويحتمل ان تكون مفسرة للمقال فلا محل لها من الاعراب وصح وقوعها مفسرة مع كونها انشائية لكون المفسر مفردا مؤديا عن جملة كقوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم فان جملة الاستفهام مفسرة للنجوى لكونه مفردا مؤديا عن جملة والندم تمني الانسان ما وقع منه لم يقع وقيل هو الغم اللازم لصاحبه بسبب ما اطلع عليه في العاقبة من سوء اثره وقرط منه كلام بفرط من باب قتل سبق وتقدم واشفقت اذا حاذرت وانكره اهل اللغة ذلك وقالوا لا يقال لا اشفقت ما لعن واما قوله كما اشفقت على الزاد العيال فمعناه علقت به وقد تقدم تفسير الحياء في اوائل الروضة والمراد بخالص كونه من الله ثم لا يطلع عليه غيره ومن في قوله مما وقع فيه للسببية كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا اي لاجل ما وقع فيه اي سقط شبه الذنوب والغلط والتقصير بالمهاوي التي يسقط فيها فعبر عن ارتكابها بالوقوع فيها على طريق الاستعارة قال بعض العلماء الحياء على وجوه حياء الجناية كحياء آدم لما نودي افرارا منا قال بل حياء منك وحياء التقصير كالملائكة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقيل عند رؤية الالاء والتقصير يتولد بينهما حال للعبد يسمى الحياء وحياء الاجلال

ودلالة

٢٩٧

ودلالة كحياء اسرافيل يتغطى بجناحه حياء حتى يصير من الحياء كالوضع وهو طائر اصغر ما يكون ولهذا يقال الحياء دق بان الحياء لاطلاع المولى وقيل ان الحياء من الحياء كالوضع وهو طائر اصغر ما يكون ولهذا حق من بين اشياء احدها النفس وحياؤها من العصيان اذ كان ذلك يرى من الوعد قال تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقيل اشد الحياء حياء النفس من قلة الحياء يوم كشف الغطاء والثاني الروح وحياؤها من قلة الاحسان قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقيل في تفسير قوله تعالى والمستغفرين بالاسحار ذلك الحياء من عيوب الطاعات وما كان من القيام بالليل والثالث العقل وحياؤه من النسيان كما حكى الله عن قوم موسى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها والرابع السر وحياؤه من الالتفات الى كل من على وجه الارض كما حكى بعضهم قال خرجنا ليلة فمررنا بالجبة فاذا رجل نائم وفرسه عند راسه يرعى فحركناه وقلنا له ما تخاف تنام في مسبعة فرفع راسه وقال انا استحيي منه ان اخاف غيره وربما زاد حياء السر على الالتفات الى الغير ما وجب الحياء من الاقبال على الحبيب والنظر اليه كما قال ٭ تشوق اليك النفس ثم اردها ٭ حياء ومثلي بالحياء حقيق ٭ على كل حال استحيك واتقي ٭ وان طار من قلبي اليك فريق عالما بان العفو عن الذنب العظيم لا يتعاظمك وان التجاوز عن الاثم الجليل لا يستصعبك وان احتمال الجنايات الفاحشة لا يتكاءدك تعاظم الامر عظم عليه واستصعب عليه الامر صعب واستصعب الامر اذا وجده صعبا والمراد هنا المعنى الاول اي لا يستصعب عليك وعداه بنفسه لتضمينه معنى يتكاءدك واما الاصل فيه ان يتعدى بعلى ومثله قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح عدى تعزموا بنفسه واما اصل الوضع ان يتعدى بعلى لتضمينه معنى تنووا اي لا تنووا عقدة النكاح واحملته على افعلته بمعنى حملته ثم استعمل بمعنى

المعنى والاعضاء قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز حملت اذلاله علي واحتملته وحمل
ما كان منه ولا تعاتبه وجنى جناية اذنب ذنبا يؤاخذ عليه ثم عرفوا الجناية بانها كل
فعل محظور يتضمن ضررا على النفس او غيرها وغلبت الجناية في السنة الفقهاء على الجرح
والقطع جنايات والجنايا مثل عطايا قليل والفحش القبح فحش فحشا مثل قبح قبحا وزنا ومعنى
وفي لغة من باب قتل وكل شيء جاوز الحد فهو فاحش ومنه غبن فاحش اذا جاوزت الزيادة
ما يعتاد مثله وكلا المعنيين ههنا محتمل اي الجنايات القبيحة او المتجاوزة الحد وتكاءد
الشيء على ما تفاعله وتكاده على تفعله صعب عليه وشق وقد وردت الرواية في الدعاء
بالوجهين وهذه الفقرات الثلاث بمعنى واحد وانما اورده بعبارات شتى بسطا
للكلام حيث الاصغاء مطلوب واهتماما بالغرض الذي هو وصف عظم عفوه
وغفرانه كقطرة في جنب عفوه وغفرانه كقطرة في جنب بحر بل اقل منهما و
في الحديث المشهور عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله
تعالى يا ابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا
ابالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن
آدم لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها
مغفرة وما احسن قول القائل في هذا المعنى ٭ ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ٭ جعلت
رجائي نحو عفوك سلما ٭ تعاظمني ذنبي فلما قرنته ٭ بعفوك ربي كان عفوك اعظما ٭
وان احب عبادك اليك من ترك الاستكبار عليك وجانب الاصرار ولزم
الاستغفار محبة الله تع للعباد بمعنى رحمته لهم وارادة الجميل بهم ومدحهم والثناء عليهم
وقال شيخنا البهائي في شرح الاربعين معنى محبة الله للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه و
تمكينه من ان يطأ على بساط قربه فان ما يوصف به سبحانه انما يؤخذ باعتبار الغايات
لا باعتبار المبادي انتهى وقد سبق منا في المحبة كلام شاف فليرجع وتكبر واستكبر اعتقد

في نفسه انها كبيرة واستكبر عليه تجبر اي انه اكبر منه قال بعضهم والاستكبار
على الله كناية عن ترك سؤاله والخشوع له ولا يراد به حقيقته اذ لا يستكبر عليه
احد من العاقلين الوجود من حيث حقيقته وعلى هذا المعنى ترك الاستكبار عليه ان يعرف
العبد قدر نفسه بالنسبة الى ربه وخالقه ورازقه ويعترف بنقصها في مقام
طاعته وسعيه ههنا مقام معصيته ويذكره في جميع الحالات بقلب سليم ذليل
منقاد راضيا بجميع ما فعله من البلاء والآلاء فمن فعل ذلك فقد ترك الاستكبار على الله
تعالى وتواضع له فكان احب عباده اليه وعن ابي عبد الله عليه السلام قال فيما اوحى الله
الى داود عليه السلام يا داود كما ان اقرب الناس الى الله المتواضعون كذلك ابعد الناس
من الله المتكبرون وجانب الشيء مجانبة باعده وتركه ومعنى المجانبة كون كل من الشيئين
في جانب واستعملت في الترك لانه اذا ترك الشيء فكانه صار في جانب وذلك الشيء
في جانب آخر والاصرار ملازمة الامر والمداومة عليه واشتهر استعماله في الذنوب
والمعاصي وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا ولازمه وملازمته ولزمه ايضا
تعلق به ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العصيان بفتضح
بها وذلك انما يكون بمحوها عن لوح نفسه فلذلك يجعل استعداده لمحبة الله تعالى
وافاضته رحمته عليه في الدنيا بانواع البركات وفي الآخرة برفع الدرجات و
انا ابرأ اليك من ان استكبر واعوذ بك من ان اصر واستغفرك لما قصرت فيه
واستعين بك على ما عجزت عنه ابرأ اليك اي اتباعد قال الزمخشري
في الفائق بري من المرض وبرأ بهمز بارئ ومعناه مزايلة المرض اي مفارقته
والتباعد منه ومنه بري من كذا براءة انتهى وعداه بالى لتضمينه معنى الالتجاء
اي ابرأ ملتجئا اليك من الاستكبار واعوذ بك اي اعتصم والتقصير في الامر التواني
فيه وعدم الاهتمام به والاستعانة طلب المعونة يقال استعان به واستعانه فاعانه

او صار عونا له اي ظهيرا له وعجز عن الشيء عجزا من باب ضرب ضعف عنه ثم المسؤول
هنا هو المعونة على ما عجز عنه من الطاعات والامور الدينية كما يقتضيه المقام و
يناسب حال التائب المستغفر فان استعانته مسبوقة بملاحظة ما ضعف عنه
من الطاعات فيستعينه على اعداده له بافاضة قوة عليه يستعد بها لايقاعه ويمكن
انه عند استغراقه في هذه الملاحظة لا يكاد يخطر بباله افعاله واحواله الا
الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه فلا يتصور ان يلتفت الى شيء من امور دنياه
فيتناول كل ما عجز عنه من امور دينه او دنياه اللهم صل على محمد وآله وهب لي ما
يجب لي عليك وعافني مما استوجبه منك واجرني مما يخافه اهل
الاساءة وهبه شيئا اعطاه بلا عوض متعد الى الاول باللام والى الثاني بنفسه
كما قال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور قال ابن القوطية والسرقسطي
والمطرزي وجماعة ولا يتعدى الى الاول بنفسه فلا يقال وهبتك مالا وان
سمع فليس في كلام فصيح ثم توسعوا في الهبة فاستعملوها بمعنى المغفرة تقول
اللهم هب لي ذنوبي اي اغفرها لي ووجب الحق يجب وجوبا لزم وثبت واستوجب
الشيء استحقه وعافاه الله محا عنه الاسقام والمراد هنا عدم المؤاخذة
بالحقوق التي تجب لله عليه ومحو ما يستحقه من المؤاخذة على ما فرط منه واجاره
مما يخاف آمنه واهل الاساءة الذين يعملون السيئات ومما يخافونه هي العقوبة
التي هي اسوأ العقوبات واقطعها وهي العقوبة بالنار كما قال ثم كان عاقبة الذين
اساءوا السوأى فان السوأى تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى
وصف بها العقوبة مبالغة كانها نفس السوء والله تعالى اعلم فانك مليء بالعفو
مرجو للمغفرة معروف بالتجاوز ش الفاء للتعليل اي لانك مليء والملي مهموز
على فعيل هو الغني المقتدر ويجوز البدل والادغام وبالوجهين وردت الرواية في

الدعاء و

٢٩٩

الدعاء وملؤ الرجل بالضم ملاءة اي غني واثرى وهو املأ القوم اي اقدرهم
واغناهم والفرق بين العفو والمغفرة ان العفو اسقاط العذاب والمغفرة
ان يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب الخزي والفضيحة فان الخلاص
من عذاب النار انما يستطاب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالعفو
اسقاط العذاب الجسماني والمغفرة اسقاط العذاب الروحاني والتجاوز بمعناهما
قال بعضهم ولعل معنى التجاوز ان الله تعالى يطالب المذنب بالذنب والمذنب يطالبه
بالعفو والمغفرة لكن يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته فاذا غفر الذنب
فقد تجاوز عن المطالبة ففيه معنى المفاعلة فيه ليس لحاجتي مطلب سواك ولا لذنبي
غافر غيرك حاشاك ولا اخاف على نفسي الا اياك المطلب يكون مصدرا
وموضع الطلب وهو المراد هنا وسوى بالكسر والقصر هذا اشهر لغاتها وتفتح
فيها سوى كهدى وسواء كسماء وسواء كبناء لكن قال ابن عصفور لم يثبت
من هذه اللغات الا سوى المكسورة المقصورة وان استثني بها سواها فالقياس
عليها وهي عند الزجاجي وابن مالك كغير معنى وتصرفا في وجوه الاعراب وذهب
سيبويه والبصريون الى انها منصوبة ابدا على الظرفية المكانية ولا تخرج عن ذلك
الا في الشعر فاذا قلت جاءني القوم سوى زيد كان في قوة جاءني القوم
مكان زيد اي بدله فيفيد ان زيدا لم يأتك فخرج عن معنى البدلية لمطلق
الاستثناء فلزم نصبه على كونه ظرفا في الاصل وان لم يكن فيه الآن معنى
الظرفية وقال الرماني والعكبري تستعمل ظرفا غالبا وكغير قليلا قال ابن هشام في
الاوضح والى هذا اذهب وانما قصر عليه السلام موضع طلب حاجته عليه تعالى لانها لم
تكن حاجة في امر دنيوي يمكن المخلوقين قضاؤها فلم يكن لها محل سؤال وطلب غيره
تعالى او لم ير غيره اهلا لها وان كانت دنيوية ثم قصر مغفرة ذنبه عليه سبحانه لصدق

مغفرة الذنوب التي يستحق عليها العقاب من عنده تعالى ومن يغفر الذنوب
الا الله وقوله حاشاك اى سبحانك لحاشا هنا اسم بمعنى التنزيه اى انزهك تنزيهك
اى تنزيها لايليق بك عن ان يكون لى بنى غافر غيرك وليست بفعل ولا حرف خلافا
لمن زعم ذلك ثم قصر الخوف على نفسه عليه سبحانه لغيبته كل مخوف عند مشاهدته
عظمة الله تعالى وجلاله وعزه وقهره فلم يخف سواه ولهذا قال بعضهم الخائف من رب
من ربه الحربه واياك على المختار ضمير بارز منفصل مردف بحرف الخطاب في الكلام
اما على حذف مضاف اى لا اخاف على نفسى الا عذابك لحذف المضاف و
اقام المضاف اليه مقامه كما قالوه في قوله تعالى يخافون ربهم اى عذابه بدليل قوله
ويخافون عذابه وهو من باب الترقى عن مقام مشاهدة الافعال والصفات الى
ملاحظة الذات وهى الاقبال على الله تعالى وتوجيه وجه النفس الى ذاته وقبلة
ذاته المقدسة مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول
للسالك الى حريم حضوره مثل ما وقع في الدعاء النبوى واعوذ بك منك وقد
سيق الكلام على ذلك **انك اهل التقوى واهل المغفرة** تعليل او
تقرير لماسبق من رجاء مغفرته لذنبه والخوف منه على نفسه اى انك حقيق
بان يتقى اى يخشى ويحذر عقابك فيغفر لمن اتى به وتاب اليه وهو اعتراف بكماله وقدرته
بالجامع لصفة القهر الذى بسببه يجب ان يتقى وصفة اللطف الذى بواسطته يجب ان
يرجى وعن ابى عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل هو اهل التقوى واهل المغفرة
قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى ولا يشرك بى عبدى شيئا وانا اهل ان يشرك
بى عبدى شيئا ان ادخله الجنة **صل على محمد وآل محمد واقض حاجتى وانجح طلبتى واغفر
ذنبى وآمن خوفى** لما ذكر ولا ان موضع طلب حاجته ومغفرة ذنبه وخوفه على نفسه
مقصور عليه تعالى اردفه بسؤال قضاء حاجته وغفران ذنبه وامن خوفى وانجح حاجته

لحاجا قضاها له والمطلوب بها والطلبة بفتح الطاء المهملة وكسر اللام على وزن كلمة
ما يطلبه الانسان من غيره وكانت الحاجة اخص من الطلبة لانها من الحوج بالضم بمعنى
الفقر فيكون المراد بها المطلوب الذى لابد له منه ولا غناء به عنه كالفوز
بالجنة والنجاة من النار والطلبة اعم منها كرفع الدرجات واضعاف المثوبات فيكون
قوله وانجح طلبتى تاسيسا لا تاكيدا والامن سكون القلب واطمينانه امن يامن من باب
تعب يتعدى بالهمزة فيقال امنته واعلم ان الامن لا يكون للخوف بل للخائف لكن لما
كان الخوف سببا موجبا لاضطراب الخائف نسب الامن اليه **انك على كل شىء قدير
وذلك عليك يسير** تعليل بطريق التحقيق لاستدعاء قضاء حاجته وانجاح طلبته
وغفران ذنبه وامن خوفه واليها الاشارة بقوله وذلك والتقدير هو الفعال
لكل ما يشاء ولذلك لم يوصف به غير البارى جل جلاله واليسير الشىء اليسير من باب
قرب فهو يسير اى سهل ولم يشق ووجه التعليل ظاهر فكانه قال ان قدرتك التامة
متحققة وشمولها لجميع الاشياء ثابت وما سالتك عليك يسير لعدم الاحتياج فيه
الى استعمال الروية والالات بل هو مترتب على مجرد الارادة والفعل المترتب عليه في
غاية السهولة فلذلك استدعيت منك مطالبى وافضيت اليك بما رجى والواو
من قوله وذلك يحتمل ان تكون للحال والجملة حالية ويحتمل ان تكون للحال والجملة حالية
ويحتمل ان تكون عاطفة لاسم الاشارة على الضمير المتصل المنصوب بان والتقدير
وان ذلك عليك يسير وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على القادر
لذاته الذى عم كرمه ووسعت رحمته كل شىء **امين رب العالمين** امين اسم فعل
مبنى على الفتح لالتقاء الساكنين وبنى عليه لانه اخف الحركات وليكون مستعقبا للفتح
تفالا ولكن فيها بعد في القبل اذ ليس في العربية فاعيل وانما ذلك في الاسماء الاعجمية
كقابيل وهابيل ومن ثم زعم بعضهم انه اعجمى وعلى هذا للعربة قوله وبع الله

قال امينا فيل والوجه فيها ان تكون اشبعت الفتحة فتشاوت الالف فلا يكون خارجا
عن الاوزان العربية قال ابن هشام وفيه نظر لان الاشباع بابه الشعر ونوقش بما قاله
ابن مالك في التوضيح من ان الاشباع في الحركات الثلاث لغة معروفة وجعل منه قولهم بينا
زيد قائم جاء عمرو اي بين اوقات قيام زيد الثانية كالاولى الا ان الالف ممالة
للكسرة بعدها رويت عن حمزة والكسائي الثالثة امين بقصر الالف على وزن قدر
قال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وهذه اللغة افصح في القياس واقل في الاستعمال
حتى ان بعضهم انكرها قال صاحب الاكمال حكى ثعلب القصر وانكره غيره وقال
انما جاء مقصورا في الشعر انتهى وبعكس النقل من ثعلب علي ابن قتيبة فقال انكر
ثعلب القصر الا في الشعر وصححه غيره وقال صاحب
التحرير وقد قال جماعة ان القصر لم يجئ عن العرب وان البيت انما هو فامين
زاد الله ما بيننا بعدا الرابعة امين بالمد وتشديد الميم قال صاحب الاكمال حكى الداودي
تشديد الميم مع المد قال هي لغة شاذة ولم يعرفها غيره انتهى وانكر ثعلب و
الجوهري ان يكون ذلك لغة وقالا لا تعرف الامين الا جمعا بمعنى قاصدين كقوله تعالى
ولا امين البيت الحرام وقال بعضهم القول بان التشديد لغة وهم قديم وذلك ان
ابا العباس احمد بن يحيى ثعلب قال وامين مثل عاصين لغة فتوهم ان المراد صيغة الجمع
لانه قابله بالجمع وهو مردود بقول ابن جني وغيره ان المراد موازنة اللفظ لا غير و
يؤيده قول صاحب التمثيل والتشديد خطأ واختلفوا في معناها فقال الجمهور معناها
استجب وعن ابن عباس قال سألت النبي صلى الله عليه واله وسلم عن معنى امين فقال
افعل وقال ابو حاتم معناه يا امين يكون ذلك وقيل كذلك فافعل وقيل انه اسم من اسماء
الله تعالى بمعنى المؤمن ومعناه يا امين استجب قال صاحب المطالع وهذا لا يصح اذ ليس في
اسماء الله تعالى اسم مبني ولا غير معرب مع ان اسماء الله تعالى لا تثبت الا قرانا او سنة

ومن علوم

وقد تقدم الطريقان في امين انتهى وعن ابي علي الفارسي انزيا ول هذا القول على
ان في امين ضمير الله تعالى وهو حسن لو لم يصرح صاحبه بانه بمعنى المؤمن وقال البغوي
روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه قال تاويله قاصدين نحوك وانت اكرم
ان تخيب قاصدا وهذا يحقق لغة التشديد مع المد وقال الترمذي معناه لا تخيب
رجانا وقال سهل معناه لا يقدر احد على هذا سوالا وقيل هي كلمة عبرانية عربت مبنية
على الفتح والله اعلم قوله رب العالمين اي يا رب العالمين حذف حرف النداء استغناء
عنه لاستشعار كون المنادي مقبلا عليه سامعا لما يقول والرب في الاصل مصدر
بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله تدريجا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل
صفة مشبهة من ربه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به
المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب
الدابة والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات
اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس منها في قولهم
عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق
على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة
والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع والاول هو الاظهر واختار صيغة
الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل جنس
واحد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاد
مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف
يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين
اي كل محسن كذلك العالمين يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق
عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضية هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة

جمع الجمع فكان الاقاويل تتناول كل واحد من احاد الاقوال جنا ولفظ العالمين
كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى وروى ان الله ثمانية عشر الف عالم
والدنيا منها فانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في حكمها
من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم
واعلم ان عدم اطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاجناس ليس الا باعتبار
العلمية والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق
المصداق حتما فانه كما يستدل على الله بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه
يستدل عليه تعالى بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد الاجناس لتحقق
الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فان كل ما يظهر في المظاهر من علم وقدرة وحسن
في المحاسن كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد
وفي الاضافة اشعار بعظمة المضاف بان له الاستيلاء على الكل وتعظيم المضاف اليه
بان لهذا الرب الشامل التربية والكاملها والله اعلم • هذا آخر الروضة الثانية
عشر من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين
وقد وفق الله سبحانه لاتمامها وقطف جنيها وورودها
من اكا مها •

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله قاضي حاجات المحتاجين ومنيل طلبات الراجين والصلوة
والسلام على نبيه الذي ارسله عصمة للناجين وعلى آله اشرف الداعين و
اكرم المناجين وبعد فهذه الروضة الثالثة عشرة من رياض السالكين في شرح
صحيفة سيد العابدين تتضمن شرح الدعاء الثالث عشر وتبين من مطاوي
كنوزه ما اكتتم واستتر املاء راجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني
ختم الله له بالحسنى وختم له بالمقام الاسنى انه ولي الاجابة واليه الانابة
وكان من دعائه عليه السلام في طلب الحوائج الى الله تعالى الحوائج جمع حاجة على
غير قياس حتى انكرها بعضهم قال المبرد في الكامل جمع الحاجة حاج وتقديره
فعلة كما تقول هامة وهام وساعة وساع واما قولهم في جميع حاجة حوائج فليس
من كلام العرب على كثرته على السنة المولدين ولا قياس له انتهى وفي الصحاح كان الاصمعي
ينكر جمع حاجة على حوائج فيوهمون وهو ويقول هو مولد وقال الحريري في درة
الغواص يقولون في جمع حاجة حوائج فيوهمون فيه كما وهم بعض المحدثين في
قوله شعر بنيان بيت العنكبوت وجوسق رفيع اذا لم تقض فيه الحوائج
والصواب ان يجمع في اقل العدد على حاجات وفي اكثره على حاج مثل هامة و
هام انتهى واثبتها اكثر ائمة اللغة كالخليل بن احمد وابي عمرو بن العلاء وابن
دريد وسيبويه وابن السكيت والجوهري وابن خالويه وابن جني وابن بري و
غيرهم وتصدى ابن بري للرد على من انكرها فاورد على ثبوتها من الحديث وشعر
العرب العرباء من الشواهد ما لا مجال للتوقف معه كقوله عليه السلام استعينوا على
نجاح الحوائج بالكتمان وقوله ان لله عبادا خلقهم لحوائج الناس وقوله اطلبوا الحوائج

٣٠٢

١٣٩

بنيان بيت العنكبوت وجوسق ... ٢٥

لاحسان الوجوه و قوله التمسوا الحوائج على الفرس الكميت الاد ثم الحجل الثلاث المطلق اليمنى
قال هذا مما جاء من شواهد النبوة وروية الثقاة من الرواة المرضية على صحة هذه اللفظة
واما ما جاء من ذلك فى اشعار العرب فكثير كقول الاعشى الناس حول قبابه اهل الحوائج
والمسائل وقول الفرزدق ولى ببلاد السند عند اميرها حوائج جمات وعندى ثوابها
وانشد ابو عمرو بن العلاء من عف خف على الوجوه لقاؤه واخو الحوائج وجهه مبذول
وانشد القراء نهار المرء امثل حين يقضى حوائجه من الليل الطويل وانشد غيره لك من
اشعار الشاهدة على ذلك ثم قال فقد وجب بعض هذا سقوط قول المخالف حين وجبت
الحجة عليه ولم يبق له دليل يستند اليه وانا اتبع ذلك باقوال العلماء ليزداد القول
فى ذلك ايضاحا وتبيينا قال الخليل فى كتاب العين وحكى المهلبى عن ابن دريد انه قال حاج
وحائجة وحوجا والجمع حاج وحوائج وحوج وذكر ابن السكيت فى كتابه المعروف بالالفاظ
فى باب اخره باب الحوائج يقال فى جمع حاجة حاجات وحاج وحوج وحوائج وقال ابن سيدة
فى كتابه انه يقال تحوج الحجة واستحوج الحجة وذهب قوم من اهل اللغة الى ان حوائج يجوز
ان يكون جمع حوجا وقياسها حواجى مثل صحارى ثم قدمت الياء على الجيم فصارت
حوائج والمقلوب من كلام العرب كثير وانما غلط الاصمعى فى هذه اللفظة حتى جعلها
مولدة كونها خارجة عن القياس لان ما كان على مثال الحاجة مثل غارة وحارة لا يجمع على
غوائر وحوائر فقطع لذلك على انها مولدة غير فصيحة على انه حكى الرقاشى والسجستانى
عن عبد الرحمن عن الاصمعى انه رجع عن هذا القول وانما هو شئ كان عرض له من غير
بحث ولا نظر وهذا هو الاشبه به لان مثله لا يجهل ذلك اذا كان موجودا فى كلام
النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكلام غيره من العرب الفصحاء وكان من انكرها لا يعرف
الا القول الاول المحكى عن الاصمعى دون القول الثانى ولو انه سلك مسلك النظر
والتدبر واضرب عن مذهب التسليم والتقليد لكان الحق اليه اقرب من حبل الوريد

اللهم يا منتهى مطلب الحاجات ويا من عنده نيل الطلبات منتهى الامر غايته وهو
اقصى ما يمكن ان يبلغه فلا يتجاوزه والمطلب يكون مصدرا واسم موضع كما مر و
كونه تعالى منتهى مطلب الحاجات يمكن تقريره على وجوه احدها ما تقرر عند ارباب المعقول
من ان كل موجود سوى الله عز وجل فهو ناقص من وجه وفيه قوة لما ان له كمالا وفعلية
اذ كل ممكن فهو زوج تركيبى فكل موجود فهو لاجل شعوره بالوجود الناقص طالب للوجود
المطلق الكامل الذى هو مطلوب ومؤثر بالذات اولا وبالذات وكل واسطة بينه وبين
ذلك الوجود مما هو اعلى منه واقرب الى ذلك الوجود ثانيا وبالعرض لان الوصول اليه
لا يمكن الا بوصوله اليها فهو عليها اذ سلوك طريقه منحصر فى ذلك لما دريت ان
الموجودات مترتبة فى الصعود بدءا وعودا اما تقدم متقدم ولا تاخر متاخر الا بالحق
فكل موجود فهو طالب لما فوقه فاذا وصل اليه طلب ما هو اعلى منه وهكذا الى ان يصل الى المطلق
الحقيقى الذى لا اكمل منه وهو الله سبحانه وعند ذلك يطمئن ويسكن شوقه وان عاجه
ويشتد عشقه وابتهاجه فكان سبحانه منتهى مطلب الحاجات ولهذه الجملة تفصيل ليس
هذا محله الثانى ما تقرر عند ارباب العرفان من كونه منتهى مقامات العارفين و
غاية اطوار السالكين وافكار المتفكرين فانهم لا يزالون يترقون من مقام الى مقام ومن
رتبة الى رتبة حتى ينتهوا الى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم وانذكاك جبال هوياتهم فيتلو
لسان حالهم وان الى ربك المنتهى الثالث انه المنتهى اليه فى طلب الحاجات عند الياس من
كل مطلوب اليه سواه فان الطالب اذا ايس من المخلوقين فى قضاء حاجته انتهى اليه تعالى فى طلبها
وعن امير المؤمنين عليه السلام هو الذى يساله اليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند
انقطاع الرجاء من جميع من دونه وتقطع الاسباب من كل من سواه الرابع ان كل مطلوب اليه
حاجة سواه فلا بد ان يكون له حاجة يطلبها من غيره الى ان ينتهى الطلب اليه تعالى وهو الذى
يطلب منه الكل ويفتقر اليه وهو الغنى الحميد وعن امير المؤمنين عليه السلام ان كل من رايت فى
هذه الدنيا ويتعظم فيها وان عظم غناه وطغيانه وكثرت حوائج من دونه اليه فانهم حتى

حوائج لا يقدر عليها فينقطع الى الله عند ضرورته وفاقته والحديث طويل اخذنا منه
موضع الحاجة وبالجملة هو تعالى غاية كل موجود ومنتهى كل غاية ومقصود ومرجع
كل مضطر ومطرود لا مقصد فوقه ولا معقد فوقه ولا مطلوب وراءه ولا ملجأ
الا هو ولا منجى منه الا اليه قوله عليه السلام ويا من عنده نيل الطلبات نال الشيء يناله نيلا
من باب تعب اصابه وادركه والطلبات جمع طلبة بفتح الطاء المهملة وكسر اللام وهي ما
تطلبه من غيرك وتقديم الظرف للحصر والالف واللام في الطلبات للاستغراق والافراد
ونيل بعض الطلبات عند غيره لا يتحقق الا باذنه وتوفيقه واعانته فكان في الحقيقة عنده
وصح الحصر ويا من لا يبيع نعمه بالاثمان ويا من لا يكدر عطاياه بالامتنان
البيع في اللغة مطلق المبادلة والمعاطاة وهو اعطاء كل واحد من المتبايعين صاحبه
من المال عوضا عما ياخذ من الاخر باتفاقهما على ذلك وفي الشرع مبادلة المال المتقوم بالمال
المتقوم بالايجاب والقبول تمليكا وتملكا والمراد به هنا المعنى اللغوي والاثمان جمع
ثمن محركة وهو العوض والباء للمقابلة نحو اشتريته بالف وهذا كناية عن انه سبحانه لا يطلب
على نعمه واحسانه عوضا بوجه من الوجوه بخلاف كل منعم سواه فانه طالب بنعمته عوضا وهو
اما الثواب الاجل والثناء العاجل واما ازالة الرقة الناشئة عن الجنسية لمن راى احدا من
ابناء جنسه في بلية فان قلبه يرق له ويخلصه منها فهو مزيل بالتخليص المذكور ذلك الالم
والانفعال الحاصل له واما ازالة خسة المال ورذيلة البخل الذي هو من اقبح الخصال واشنع
الرذائل لمن يعرف ماله في الناس بخيلا لنفسه وتخليصها من تلك الرذيلة والحاصل ان
نعمة المخلوق وعطاءه واحسانه ليس الا في مقابلة عوض بخلاف نعمه تعالى فانها محض تفضل
وتطول قوله عليه السلام ويا من لا يكدر عطاياه بالامتنان كدر الماء كدرا من باب تعب
فهو كدر وكدر وكدورة وكدرا من باب صعب وقرب زال صفاؤه ويتعدى بالتضعيف
فيقال كدرته تكديرا والعطايا جمع عطية وهي ما تعطيه غيرك والامتنان افتعال من المن

وهو اظهار الاصطناع واعتداد الصنائع كان تقول الم اعطك كذا الم احسن اليك
الم اعتك وهو تقريع وتعيير يكدر المعروف وينغصه فلهذا نهى الشارع عنه
بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ومن هنا قيل سيان من منح النائل ومن
ومن منع السائل وضن والمراد بنفي تكديره تعالى عطاياه بالامتنان نفي الامتنان
عنه راسا فهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه اي لا امتنان فلا تكدير وقد تقدم
بيان المبالغة في هذا النوع من النفي فليرجع اليه ثم لما كان الامتنان بالمعنى
المذكور رذيلة ناشئة عن دناءة النفس وصغر الهمة واستطالة النعمة والاحسان
كان تعالى منزها عن الامتنان لان كل نعمة من نعمه تعالى وان عظمت وكل عطية من عطاياه
وان جلت بالنسبة الى العبد المعطى والمنعم عليه فهي حقيرة بالنسبة الى عظمته
جلت قدرته وشانه تعالى اجل من ان يكون لها عنده موقع فيمن بها ويعتدها
على من اعطاه وانعم عليه وقول بعض العلماء ان المنة بالمعنى المذكور صفة مدح للحق
سبحانه وانكاره صفة ذم للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدعاء تشهد ببطلانه ويا من يستغنى به
ولا يستغنى عنه ويا من يرغب اليه ولا يرغب عنه استغنيت بالشيء عن غيره اكتفيت به ورغب اليه
ابتهل وتضرع وسال ورغب عنه كرهه فلم يرده ولما كانت ازمة الامور كلها
بيده تعالى فلا يقع منها شيء الا بايجاده واذنه وكان كل من سواه مفتقرا اليه صح الاستغناء
به تعالى عن غيره في جميع الامور وكل الاحوال واستحال الاستغناء عنه في شيء منها ولما كان
هو المرغوب اليه دون من عداه اذ كان هو المعطي المانع والضار النافع لاحد لم يكن
من الرغبة اليه بد ولا للرغبة عنه محال ويا من لا تفنى خزائنه المسائل ويا من لا تبدل
حكمته الوسائل فني المال يفنى من باب تعب فناء نفد ويتعدى بالهمزة
فيقال افنيته والمراد بخزائنه تعالى اما خزائن السماوات والارض اذ الكل منه و
بيده او المعقول من سماء جوده وما تحويه قدرته من الخيرات الممكنة واسناد الافناء

الى المسائل من باب اسناد الفعل الى السبب فهو مجاز عقلي وانما لم تغض خزائنه
المسائل لان مقدوراته تعالى غير متناهية وما عنده لا يدخله نقص ولا نفاد بل [illegible]
الفاني المحدود وفي الحديث القدسي يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم
قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئا
الا كما ينقص المخيط اذا دخل البحر اي لا ينقص شيئا وانما ضرب المثل بالمخيط والبحر
لانه وان كان يرجع بشيء قليل محسوس لكن لقلته بالنسبة الى اعظم المرئيات عيانا لا يرى
ولا يعد شيئا فكأنه لم ينقص منه شيء قوله عليه السلام ويا من لا تبدل حكمته تعالى قيل هي
علمه تعالى بالاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي وقيل هي اتقانه واحكامه
في علمه وفعله والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به الى الشيء من وسلت الى الله
بالعمل اسل من باب وعد رغبت وتقربت وتوسل الى ربه بوسيلة تقرب اليه
بعمل والمعنى ان حكمته تعالى اذا اقتضت وقوع امر او لا وقوعه فلا بد من تحقق ما
اقتضته حكمته ولا تغير ذلك الوسائل من الاعمال التي يتوسل بها اليه كالدعاء وغيره
والى هذا المعنى اشار من قال ان العلماء بالله لا يتوسلون الى الله في ان يبدل لهم
جريان احكامه بخلاف ما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيئته مقتضى حكمته
ولا يتحول عنهم سنته التي قد خلت في عباده من الابتلاء والاختبار فان قلت
قد ورد ان الدعاء والصدقة يدفعان البلاء المقدر قلت دفع ذلك البلاء بالدعاء
والصدقة منوط بالحكمة الالهية ايضا وقد كانت الحكمة في وقوعه مشروطة بعدم الدعاء
والصدقة فلا منافاة روى الحميري في قرب الاسناد عن جعفر عن ابيه عليهما السلام
قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله رقى يستشفى بها هل
ترد من قدر الله فقال انها من قدر الله واما ما قاله بعض المعاصرين من ان المعنى انه
لو توسل احد بغيره تعالى في قضاء حاجة او حصول رزق لا يكون ذلك باعثا على تبديل حكمه

نعم بان

نعم بان ينقطع عنه رزقه ويمنعه ما منحه من النعم وما في الدعاء من قوله
عليه السلام فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان لا ينافيه
فان هذا يقتضي حرمانه مما توسل لاجله ولو توسل به تعالى لم يحرم واعطاه على
ان التعرض والاستحقاق قد لا يقتضيان المنع فهو بعيد جدا عن ظاهر العبارة
كما لا يخفى يا من لا تنقطع عنه حوائج المحتاجين ويا من لا يعنيه دعاء الداعين
انقطع الشيء ذهب وقته ان كان وانقطع كلامه وقف وانقطع الغيث
احتبس اي لا تزال حوائج المحتاجين واردة عليه ومسؤولة من لديه لا
تقف ابدا عن سؤاله ولا تحتبس عن طلب نواله وعني يعنى من باب تعب اذا
اصابته مشقة ويتعدى بالتضعيف فيقال عناه يعنيه اذا كلفه ما
يشق عليه والاسم العناء بالفتح بالمد وقد يتعدى بالهمزة ايضا فيقال اعناه
يعنيه نص عليه صاحب القاموس وصاحب المحكم ايضا وانشد عليه قول
امية شعر واني بليلى والديار التي ارى * لكالمبتلى المعنى بشوق موكل *
وقد وردت الرواية في الدعاء بالوجهين وفي رواية اخرى يعييه بالمثناة
التحتية بعد العين المهملة من اعياه الامر اذا اتعبه فاعيا هو يستعمل لازما و
متعديا والمعنى ان دعاء الداعين على كثرتهم وكثرة مطالبهم لا يشق عليه ولا
يتعبه فيضجر من دعائهم ويتبرم من سؤالهم فيوجب ذلك حرمانهم وتخييبهم او
يعسر عليه انجاح مطالبهم واسعاف مآربهم لان المشقة والتعب من لواحق المزاج
والباري تعالى منزه عنه فيتنزه عن لواحقه تمدحت بالغناء عن خلقك وانت
اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر وهم اهل الفقر اليك تمدح على تفعل اظهر مدح
نفسه وقال الزمخشري في الاساس العرب تتمدح بالسخاء وهو يتمدح الى الناس
يطلب مدحهم والغناء بالفتح والمد الكفاية وبالكسر والقصر عدم الحاجة وفيه [illegible]

الى قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ويجب ان
يحمل الغنى هنا على ما هو اعم من الغنى المتعارف فيراد به سلب مطلق الحاجة كما يجب ان
يراد بالفقر مطلق الحاجة اذ حقيقة الغنى هى استقلال الشى بذاته فى كل ماله ومن غير
تعلق له بالغير اصلا وهو بهذا المعنى صفة محال ممكن فثبت انه تعالى غنى عن
خلقه من كل الوجوه وتحقق فقرهم اليه من كل وجه لما تقرر من ان كل فقير بالذات
من وجه ما فهو فقير بالذات من وجه ما فهو فقير بالذات من جميع الوجوه كما برهن
عليه فى محله لمن حاول سد خلته من عندك ولم يصرف الفقر عن نفسه بك
فقد طلب حاجته من مظانها واتى طلبته من وجهها ومن توجه بحاجته الى احد
من خلقك او جعله سبب نجحها دونك فقد تعرض للحرمان واستحق من عندك
فوت الاحسان الفاء للسببية اى فبسبب ذلك من حاول الى اخره وحاول الشى
حولا او محاولة رامه وطلبه وقيل الحاول طلب الشى بحيلة وسد الثلمة
سدا اصلحها و وثقها والخلة بالفتح الفقر والحاجة وهى من الخلل من الشين وهو
الفرجة والثلمة اطلقت على الفقر والحاجة لانه ثلمة فى حال الانسان وفى الدعاء
اللهم ساد الخلة اى جابرها ومصلحها ومظان الشى جمع مظنة بكسر الظاء المعجمة
قال الجوهرى مظنة الشى موضعه ومالفه الذى يظن كونه فيه والجمع المظان و
قال الزمخشرى فى الفائق المظنة المعلم من ظن بمعنى علم واتيته من وجهه اى من
جهته التى يؤتى منها وفى رواية من وجهتها وهى بكسر الواو بمعنى الوجه وتوجه
الى الشى قيل بوجهه عليه وتعرض له تصدى ومنه تعرضوا لنفحات الله والحرمان
بالكسر المنع من حرمته كذا احرمه من باب ضرب حرمة وحرمانا بالكسر فيهما اذا منعته
اياه واعلم انه لما كان له خزائن السموات والارض وكان امرها بيده لا معطى لها
مانع الا هو وقد امر بالدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعونى استجب لكم وحث الخلق على

العباده

٣٠٦

ان يسألوه ليعطيهم فقال واسألوا الله من فضله وكانت له القدرة التامة التى
لا يعجزها شى وكان له الجود الذى لا بخل فيه والغنى الذى لا فقر معه لا ينقصه
عطاء ولا يغيره منع لا جرم كان طلب اصلاح خلته وجبر فاقته من عنده ورام صرف
الفقر عن نفسه به طالبا الحاجة من موضعها الذى يعلم انها فيه وقصد ما طلبه
من جهته التى يقصد منها فكان حريا بالنجح لما سأل وجديرا بالظفر بما طلب واما من
توجه بحاجته الى احد من المخلوقين واناخ مطايا الرجاء والطلب فى ساحة فقير مثله
او جعله سببا لنجاحها والظفر بها معتمدا عليه دون الله تعالى فقد تصدى للمنع
وفوت الاحسان منه تعالى اذ لم يأت حاجته من الوجه الذى ينبغى ان يأتيها منه
ولم يطلبها من محلها الذى هى فيه ومن التمس الشى من غير محله واتاه من غير جهته
لم يظفر الا بالحرمان ولم يحصل الا على خيبة المطلب وانما حكم عليه باستحقاق فوت
الاحسان منه تعالى لعدم استعداده لنفحات بالتوجه الى غيره واشتغال نفسه بذلك
الغير وقد ورد فى الحديث ما يدل على هذا المعنى صريحا فروى ثقة الاسلام فى
الكافى باسناده عن الحسين بن علوان قال كنا فى مجلس يطلب فيه العلم وقد
نفدت نفقتى فى بعض اسفارى فقال لى بعض اصحابنا من تؤمل لما قد نزل
بك فقلت فلانا فقال اذن والله لا يسعف حاجتك ولا يبلغك املك
ولا ينجح طلبتك قلت وما علمت رحمك الله قال ان ابا عبد الله عليه السلام حدثنى انه
قرأ فى بعض الكتب ان الله تعالى يقول وعزتى وجلالى ومجدى وارتفاعى على عرشى
لاقطعن امل كل مؤمل غيرى باليأس ولاكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه
من قربى ولابعدنه من فضلى ايؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى ويرجو غيرى
ويقرع بالفكر باب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة وبابى مفتوح
لمن دعانى فمن ذا الذى املنى لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذى رجانى

لعظيمة فقطعت رجاءه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي
وملأت سمواتي ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين
عبادي فلم يثقوا بقولي الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد
غيري الا من بعد اذني فمالي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي ما لم يسالني ثم انتزعته
منه فلم يسالني رده وسال غيري افتراني ابدأ بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل
فلا اجيب سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي او ليس الجود والكرم لي او ليس العفو
والرحمة بيدي او ليس انا محل الامال فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان
يؤملوا غيري فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت كل واحد
منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا
للقانطين من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني وفي هذا المعنى احاديث اخر من طرق
الخاصة والعامة قال بعضهم لا يقال للعالم عالم الاسباب فكيف يذم من رجع الى
الغير نظرا انه سبب لانا نقول الذم باعتبار ان قلبه تعلق به واعتمد عليه واطمان
له وركن اليه ووثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر انه ليس بمذموم والاولى مع ذلك
ان يرجع الى الله تعالى فان شاء الله ان يكون قضاء حاجته على يد احد جعله وسيلة
شاء او لم يشأ وقال ابو الحسين الفارسي من سكن الى شيء دون الله هلاكه فيه سكن
يوسف عليه السلام الى عناية الذي ظن انه ناج منهما وقال له اذكرني فلبث في السجن
بضع سنين وتوسل موسى بالفقر فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير فقيض الله
له شعيبا حتى دعاه واواه وبلغ امره الى ما بلغ من هناك وحيث طلب الطعام
مع الخضر من غيره سبقا كما حكى الله عنهما فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها
فابوا ان يضيفوهما فكل ما سكنت اليه فهو تارك لك وكل ما تميل نحوه فهو مائل
عنك وكل ما يعتمد عليه فهو ساقط بك فلا تمكن الى شيء دون الله تعالى

اللهم ولي اليك حاجة قد قصر عنها جهدي وتقطعت دونها حيلي وسولت لي
نفسي رفعها الى من يرفع حوائجه اليك ولا يستغني في طلباته عنك وهي زلة من
زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين قصر عن الشيء من باب قعد قصورا وقصر عنه
تقصيرا عجز وعليه الرواية في الدعاء والجهد بالضم في الحجاز وبالفتح في غيرهم الوسع
والطاقة وقيل المضموم الطاقة والمفتوح المشقة والجهد بالفتح لا غير النهاية
والغاية وهو مصدر من جهد في الامر جهدا من باب نفع اذا جد حتى يبلغ
غايته في الطلب وبالوجهين وردت الرواية في الدعاء وهو يرجح القول
الاول والحيل جمع حيلة وهي الحذق في تدبير الامور وهو تقليب الفكر حتى
يهتدي الى المطلوب وتروى حيلتي بالافراد والتسويل تحسين الشيء وتزيينه
وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع
في تمامه والرفع في الاجسام حقيقة في الحركة والانتقال وفي المعاني محمول على ما
يقتضيه المقام فرفع حاجته الى فلان ذكرها له ليقضيها فرفع اليه الحديث اخبره
وقس على ذلك والزلة الخطيئة من زلت قدمه من بابي ضرب وتعب زللا
اذا زلقت ودحضت في طين ونحوه والعثرة السيئة والخطيئة من عثر يعثر
من باب قتل عثارا بالكسر اذا كبا وسقط لانها سقوط في الاثم فان قلت كيف يجوز
عليه صلوات الله وسلامه عليه وهو امام معصوم ان تسول له نفسه رفع حاجته
الى غير الله تعالى حتى اعترف بان ذلك زلة من زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين
قلت يمكن ان يكون قوله عليه السلام وسولت لي نفسي من باب تعبيرهم بالفعل عن
مشارفته اي شارفت ان تسول الى الانسان التسويل وقع فهو كقوله تعالى وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم اي لو شارفوا ان يتركوا [illegible] وقيل خافوا
لانتفاء الخوف بعد الموت ومنه قول الشاعر شعر الى ملك كاد الجبال لفقده

تزول وزالت الراسيات من الضجر . فان المراد شارفت الزوال كان زوالها وقع و
الفصل على هذا فلا يبعد ان يقال انه عليه السلام لما عجز عن حاجته جهده وتقطعت
دونها حيلته شارفت نفسه ان تسوّل له التوصل فيها الى من يظن انه يساعده
ويقوم معه في نجاحها فيضم الى دعاء الله ورغبته اليه والاعتماد عليه الاستعانة
عن يظن انه يكون سببا لحصولها وليس في ذلك شيء منافٍ للعصمة هذا بالنظر الى
مقامه عليه السلام والا فلو وقع من نفسه التسويل بل وقع منه رفع الحاجة الى غير الله
تعالى على الوجه المذكور لم يكن شيء منها منافيا للعصمة بل يكون كقول يوسف الصديق
بل يكون كقول يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانه
لو لم يكن من هذا القبيل لما جاز ان يقع منه هذا القول لانه نبي مرسل معصوم
فان قلت كيف اعترف بانه زلة من زلل الخاطئين وعثرة من عثرات المذنبين قلت
هذا من باب عدّهم للاشتغال بالمباحات ذنبا واعتقادهم كونه خطيئة اذ كان غير الجد
مما ينافي صدق الانقطاع اليه تعالى مع ما في ذلك من كمال الخضوع والخشوع له تعالى والاعتراف
بالتقصير في صدق التوكل عليه سبحانه اذ كانوا عليهم السلام لا يخرجون انفسهم عن حد
التقصير ابدا في جميع الطاعات والعبادات كما روي عن ابي الحسن موسى عليه السلام انه
قال لبعض ولده يا بني عليك بالجد لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته
فان الله لا يعبد حق عبادته ومما يناسب ايراده هنا من الحكايات لمناسبة الفقرات
المذكورة من الدعاء ما رواه جابر الجعفي قال قال الحسن بن علي بن ابي طالب عليهما السلام ضقت
ضيقا شديدا وكان عطائي من معوية في كل سنة مائة الف درهم فحبسها عني احدى
السنتين فدعوت بدواة وقرطاس لاكتب الى معوية ثم امسكت فرأيت النبي صلى الله
عليه وآله في منامي فقال لي كيف انت يا حسن فقلت بخير واخبرته بما حبس من المال عني
فقال دعوت بدواة لتكتب الى مخلوق مثلك تذكره حاجتك فقلت يا ابة كيف

قل اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا ارجو احدا غيرك
اللهم ما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته اليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي
ولم يجر على لساني مما اعطيت الاولين والآخرين من اليقين فاخصصني به يا رب العالمين
قال الحسن عليه السلام ما الححت به اسبوعا حتى بعث الى معوية بالف الف درهم وخمسمائة
الف درهم فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه ولا يقطع رجاء
من رجاه فرأيت النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك في منامي فقال كيف انت يا حسن فقلت
بخير يا ابة وحدثته حديثي فقال يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوقين وحكى
ابو حمزة الخراساني عن نفسه قال بينا انا امشي في طريق الحج اذ وقعت في بئر فنا
زعتني نفسي ان استغيث فقلت لا والله فما استتممت هذا الخاطر حتى مر برأس البئر
رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نطم هذه البئر لئلا يقع فيها احد فطما رأس
البئر فهممت ان اصيح فقلت الى من هو اقرب منهما فما مضت الا ساعة حتى رأيت
شيئا كشف عن رأس البئر وادلى رجله وجعل يهمهم فتعلقت به فاخرجني فاذا هو
سبع وهاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجاك من التلف بالتلف وحكي انه حمل
الى ابي جعفر المنصور عدة من الشيعة وفيهم رجل من الاندلس واتفق ان الحاجب
غاب عنهم ليلة لعارض عرض لهم من كانت له حاجة فليكتبها رقعة الى اهله فان الباب
يغلق غدا فعمد كل منهم الى حاجته فكتب بها وعمد الاندلسي الى قطعة رق فكتب فيها بسم الله
الرحمن الرحيم الى الله تبارك وتعالى من عبده وابن عبده فلان ابن فلان اللهم
اذكرني حيث شئت وعلى من حيث بليت وصلني كما جفيت قال فما انتصف
الليل حتى قرع رسول المنصور الباب فاخرج الرجل وادخل على المنصور فقال
لما سهرت من ليلة نزل على التنور وعليك التعيير حبستني فان احببت
ثوبا بهم جلست هذا المجلس والا اذهب الى اي بلاد الله شئت انتهى

الى غفلتي و نهضت بتوفيقك من زلتي و نكصت بتسديدك عن عثرتي
الانتباه القيام من النوم و لما كانت الغفلة وهي غيبة الشيء عن بال الانسان و عدم
تذكيره له حالة شبيهة بالنوم في عدم تعقل الشيء بالفعل عبر عن الخروج منها
بالانتباه والتذكير اعادة ما قد استثبته القلب فانمحى عنه بنسيان او غفلة و نهض
من سقطته استوى قائما والتوفيق جعل الله فعل عبده موافقا لما يحبه و يرضاه و النكوص
الاحجام عن الشيء نكص على عقبيه من باب قعد و ضرب نكصا و نكوصا قال الفيروز آبادي
في القاموس فهو خاص بالرجوع عن الخير و وهم الجوهري في اطلاقه او في الشر نادر
انتهى قلت و عبارة الدعاء تشهد للجوهري بصحة اطلاقه والتسديد تقويم ارادة الانسان
و حركاته نحو الغرض المطلوب ليهجم اليه في اسرع مدة ماخوذ من تسديد السهم نحو
الغرض و هو توجيهه اليه والمراد بتذكيره تعالى و توفيقه و تسديده لطفه به و الهامه
القيام بما اتاه من اداب الاوصياء و اخلاق الاوصياء من صدق الانقطاع اليه و التوكل عليه
و قوة اليقين به و اطمينان القلب بفضله فلم يلتفت الى غيره و لا الى نفسه و هكذا كان
دائما المراقبة لربه مدققا المحاسبة على نفسه قد قام منها على ساق سقام الخضم
الالد عند الشقاق كان مستوجبا للعصمة من ربه مطهرا لا شعة انوار لطفه و
حبه **و قلت سبحان ربي كيف يسال محتاج محتاجا و انى يرغب معدم الى معدم**
سبحان ربي تعجب من سؤال المحتاج المحتاج و رغبة المعدم الى المعدم و الاصل في ذلك
ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صانعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه لله تعالى
عن جميع النقايص ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى ان
يترك المحتاج و المعدم سؤاله و الرغبة اليه مع علمه بغناه المطلق و يسال محتاجا
و معدما مثله و كيف للاستفهام الا انكاري لا بمعنى الانكار الواقع كما في قوله تعالى كيف
تكفرون بالله و كنتم امواتا الاية بل بمعنى الانكار الوقوع و التعجب منه كما في قوله تعالى

كيف يكون

كيف يكون للمشركين عهد عند الله و عند رسوله الاية و في توجيه الانكار الى كيفية
سؤال المحتاج المحتاج من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفس السؤال بان يقال
ايسال محتاج محتاجا لان كل موجود يجب ان يكون على حال من الاحوال قطعا فاذا
انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى جميع احوال وجوده نفي انتفى وجوده
على الطريق البرهاني و هي اعني كيف في محل نصب على التشبيه بالحال او الظرف
اي على اي حال و في اي حال يسال محتاجا و انى مثلها في جميع ما ذكر اذ هي بمعناها
و رغب اليه ساله و المعدم اسم فاعل من اعدم اي افتقر فهو معدم و عديم
قصدتك يا الهي بالرغبة اليك و اوفدت عليك رجائي بالثقة بك
قصدت الشيء و له و اليه قصدا من باب ضرب طلبته بعينه و وفد على الملك
و نحوه وفدا من باب وعد قصده زائرا للاسترفاد و للاستنجاح و يتعدى بالالف
فيقال اوفدته و وثق به يثق بكسرهما ثقة و وثوقا اعتمد عليه و فاز و الباء في
الموضعين للملابسة والمعنى اني طلبتك بذاتك المقدسة من غير التفات الى
شيء من الوسايط بيني و بينك متلبسا بالابتهال والتضرع و السؤال لك و
اوردت رجائي عليك مسترفدا و منتجعا فضلك حال كوني متلبسا بالاعتماد
على وفائك بما وعدت الراجين لك من انجاح مطالبهم و اسعاف ماربهم
فالواجب على من عرف الله بجوده و كرمه و غناه قصده و رجاه و علامة رجائه رغبته
في عبادته و حبه لطاعته و الاعتماد على فضله و جوده و عدم الالتفات
الى غيره **و علمت ان كثير ما اسالك يسير في وجدك و ان خطير ما استوهبك
حقير في وسعك** يسر الشيء من باب قرب قربا قل فهو يسير اي قليل و الوجد
بالضم و الكسر لغة بمعنى الجدة و هي السعة في المال و الغنى و القدرة و انا واجد للشيء
قادر عليه و خطر الشيء خطرا على وزن شرف شرفا عظم قدره و ارتفع فهو خطير

وحقر الشي بالضم حقارة هان وقدره فلا يعبأ به فهو حقير والوسع بالضم الطاقة والقوة ومنه قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها والفتح لغة وقرء به ابن ابي عبلة والكسر لغة ايضا وبه قرء عكرمة وقد يطلق على الثروة والغنى يقال اوسع الرجل اذا صار ذا سعة من المال والمكانة معنى ذرانه من غير متناهية وقدرته غير قاصرة عن شئ لاجرم كان كثيرا ما يسال قبلا في وجره وحقيرا ما يستوهب حقيرا في وسعه وليس قوله وقد علمت لافادة لازم الحكم كما يتبادر بل اشارة الى كمال الرجاء لحصول المطلوب وان كرمك لا يضيق عن سؤال احد وان يدك بالعطايا اعلى من كل يد

سو الكرم يطلق على الجود وهو المراد هنا قال ابن الاثير من اسمائه تعالى الكريم وهو الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه ولما كان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته لم يكن يضيق عن سؤال احد وان عظم خطره وجل قدره اذ لا اثر للنقصان في خزائن ملكه وعموم جوده بل جوده غير متناه وكرمه غير محدود حكى ابو القاسم الدمشقي قال كنت واقفا على حلقة الشبلي في جامع المدينة فوقف سائل على حلقته وجعل يقول يا الله يا جواد فتاوه الشبلي وصاح فقال كيف يمكنني ان اصف الحق بالجود ومخلوق يقول في مثله تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ، تراه اذا ما جئته متهللا ، كانك تعطيه الذي انت سائله ولو لم يكن في كفه غير روحه ، لجاد بها فليتق الله سائله ، هو البحر من اي النواحي اتيته ، فلجته المعروف والبر ساحله ، ثم بكى وقال يا جواد انت الجواد وانك اي حدث تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم منت بعد ذلك على قوم بالاستغناء عنهم واما في ايديهم فانت الجواد كل الجواد فانهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له ويفتقرون اذا اعطوا ولا تفتقر من العطاء ولا تعجز عن الجود يا جواد ايعلو كل جواد وبه جاد كل من جاد وان قلت مقتضى قوله عليه السلم

لا يضيق عن سؤال احد انه ينجح سائل كل سائل ويعطي مطالب كل طالب وكم من داع دعا فلم يجب وكم من آمل امل شيئا فلم ينل ما احب قلت اما الجود الالهي فحاشا ان يلم بساحته بخل او منع لضيق او نقص ولكنه مضبوط بنظام العدل والحكمة فقد يكون المنع من جهة السائل وعدم استعداده لعدم قيامه بشرائط الدعاء فان للدعاء اركانا واجنحة واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه قوى وان وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه اخلاص النية وحضور القلب والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الاسباب واجنحته الصدق والالحاح وحسن الظن بالله ومواقيته الاسحار وليلة الجمعة ويومها وعند نزول القطر واسبابه الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلم سو ولا بد من شرط هو الاصل بحيث ، تناول حل قلما يتيسر ، وقد يكون لمصلحة تقتضي ذلك كما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلم في وصيته لابنه الحسن عليه السلم حيث قال ولا يقنطك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية وربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذلك اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الآمل وربما سالت الشئ فلا تؤتاه واوتيت خيرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته انتهى فرآه عليه السلام كيف عدل لتاخر الاجابة اسبابا ليلحظها السائل عند تاخرها فلا يقنط من رحمته تعالى وان عليه السلام ويدك بالعطايا اعلى من كل يد ذلك على يكون في المكان من علا يعلو من باب قعد علوا وفي المكارم علي يعلى من باب تعب علاء بالفتح والمد وهو المراد هنا اي يدك بالمواهب ارفع قدرا واكرم من كل يد والمعنى ان جودك يعلو كل جود ويزيد عليه وليس القصد اثبات اليد والعلو لها بل هو من باب التمثيل كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا

عما قالوا بل يداه مبسوطتان فاعلوية اليد مجاز عن اكثرية الجود كما ان غل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود قال الزمخشري ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا
غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان معتقبان
على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته
من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا
ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود
وقد استعملوها حيث لا يصح اليد يقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس
الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن
تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت
به انتهى اللهم صل على محمد وآله واحملني بكرمك على التفضل ولا تحملني بعدلك
على الاستحقاق حملته على الدابة اركبته عليها ثم استعمل في المعاني فقيل
حملته على الفعل اي اغريته به وحملته على الفضل اي عاملته به كانه لم يكن
قادرا على ذلك من نفسه فاقدرته عليه كما يفعل بالمحمول على الدابة فالغرض سؤاله
تعالى ان يحمله بكرمه على ابتدائه بالفضل ولا يحمله بعدله على استحقاقه
بما عساه صدر عنه من ذنب فانه لا يستحق بمقتضى العدل الا الحرمان والمنع وهذا
من لطيف ما تعذبه النفس لاستنزال الرحمة الالهية فانا اول راغب رغب اليك
فاعطيته وهو يستحق المنع ولا انا اول سائل سالك فافضلت عليه وهو
يستوجب الحرمان الفاء للتعليل والمعنى افعل بي ذلك اذ لست باول من
رغب اليك الى آخره ووهم من قال انها لمجرد الترتيب وافضل عليه افضالا
تفضل وتطول وهذا استعطاف بما جرى في العادة ان يستعطف به اهل
العواطف والرحمة من الكلام اي ان اعطاءك الراغب اليك في حال استحقاقه

المنع

المنع وافضالك على سائلك في حال استيجابه الحرمان امر متعارف جرت عادتك
به والفته منك ولست اول من تفعل به ذلك فاكون بدعا سائلا لان تفعل
بي ما لم تفعله باحد قبلي اللهم صل على محمد وآله وكن لدعائي مجيبا ومن ندائي
قريبا ولتضرعي راحما ولصوتي سامعا مجيبا اي مقابلا لدعائي بالقبول والعطاء
وقريبا اي سريع الاجابة لندائي وهو تمثيل لحال من قرب مكانه فاذا نودي اسرع
تلبية مناديه والا فهو تعالى منزه عن القرب المكاني والتضرع التذلل والابتهال
والمبالغة في السؤال وراحما اي كاشفا لبلواي منجزا لحاجتي اذ ليس الرحمة للتضرع
لكن لما كان التضرع سببا موجبا للرحمة المتضرع نسبه الرحمة اليه وقوله لصوتي
سامعا مثل قوله لدعائي مجيبا والا فهو سبحانه سامع كل صوت اي لصوتي تائلا
غير معرض عنه ولا غير ملتفت اليه ومنه الحديث اللهم اني اعوذ بك من دعاء
لا يسمع قال في النهاية اي لا يستجاب ولا يعتد به فكانه غير مسموع وفي دعاء
الصلوة سمع الله لمن حمده اي اجاب حمده وتقبله يقال اسمع دعائي اي اجب
لان غرض السائل الاجابة ومن ذلك قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
اي اجاب ولا تقطع رجائي عنك ولا تبت سببي منك ولا توجهني في حاجتي هذه
وغيرها الى سواك قطعته عن الشيء حبسته ومنعته والرجاء بالفتح والمد حالة
نفسانية موجبة لترجح سبب توقع اي مطلوب مظنون حصوله وقطعه عبارة
عن اليأس من حصول ذلك المطلوب اي لا تؤيسني منك بعدم اجابتي بان
اعتقد جزما او ظنا عدم اجابتك لي فاقنط من حاجتي ولا اتوقع حصولها منك
والبت القطع بت بتا من باب ضرب وقتل ومنه لا افعله بتة فنيا لا رجعة
فيه والسبب الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى الشيء قالوا ولا يسمى الحبل سببا
حتى ينزل ويصعد به والمراد به هنا ما يتوسل به اليه تعالى من الدعاء والرجاء اي لا

تردد دعائي ولا تخيب رجائي وقيل المراد هنا لطفه تعالى واحسانه اي لا تقطع عني نظر عنايتك ولطفك لي واحسانك الي فان ذلك اعظم ما يتوسل به اليه سبحانه كما ورد في الدعاء مكررا والاعم هو الاتم ووجهه الى كذا جعل وجهه اليه اي لا تجعلني متوجها وقاصدا في حاجتي هذه وغيرها الى غيرك وهو دعاء بان عن مسئلة غيره والتعرض لنواله في كل حاجة له لما في ذلك من بذل الوجه والذلة وسيضاف انهما المنتزان اعطى والحرمان ان منع وتولني بنجح طلبتي وقضاء حاجتي ونيل سؤلي قبل زوالي عن موقفي هذا بتيسيرك لي العسير وحسن تقديرك لي في جميع الامور تولاه صار له وليا اي معينا قائما بامره كافلا بمصالحه ومنه تولاك الله بحفظه اي كان لك وليا اي كافلا بحفظه وتولني بنجح طلبتي اي كن لي وليا اي معينا وقائما بامري بنجح ما طلبه منك والسؤل بالضم والسكون العين ما تساله من غيرك فعل بمعنى مفعول وموقفي هذا اشارة الى مقامه بين يديه تعالى بهذا الدعاء والباء من قوله بتيسيرك للملابسة متعلقة بالنجح اي من غير كلفة ومشقة بل بتسهيل ما عسر منه ليكون بلا تعب ولا عناء وحسن التقدير في جميع الامور عبارة عن ايجادها على وفق الحكمة والمصلحة بحيث لو زاد على ذلك المقدار او نقص عنه لاختلت مصلحته ذلك المقدر وتغيرت منفعته كذا قيل والظاهر ان المراد بحسن التقدير هنا ان يكون ما يقدره له حسنا نافعا غير قبح ولا مضرة اذ كان التقدير تحديد كل موجود بحده الذي يوجد فيه من حسن وقبح ونفع وضر وغيرها وصل على محمد وآله صلوة دائمة نامية لا انقطاع لابدها ولا منتهى لامدها واجعل ذلك عونا لي وسببا لنجاح طلبتي انك واسع كريم دام الشيء يدوم دوما ودواما ثبت واستمر ولم ينقطع ونمى ينمى من باب رمى انماء بالفتح والمد كثر وزاد وفي لغة نمى ينمو نموا من باب قعد والابد الدهر وقيل الدهر الطويل الذي ليس بمحدود وقيل هو استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل والامد الغاية اي صلوة

للغاية لها تقف عندها وقد تقدم نحو هذه العبارة في الدعاء الاول مع بسطنا الكلام عليه فليرجع اليه والعون المعين وهو الظهير على الامر والسبب ما يتوصل به الى المقصود وفي ذلك اشارة الى ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلي على محمد وآل محمد وعنه عليه السلام من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على راسه فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع الدعاء وعنه عليه السلام من كانت له الى الله حاجة فليبدأ بالصلوة على محمد وآل محمد ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة على محمد وآل محمد فان الله عز وجل اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط اذا كانت الصلوة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه قوله عليه السلام انك واسع كريم تعليل لادامة صلوته واستمرارها وجعلها عونا له وسببا لنجاح طلبته وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينه بمضمونها والواسع من اسمائه تعالى هو الذي وسع غناه كل فقير ورحمته كل شيء وقال بعضهم الواسع مشتق من السعة والسعة تضاف تارة الى العلم اذا اتسع واحاط بالمعلومات الكثيرة وتضاف اخرى الى الاحسان وبسط النعم وكيفما قدر وعلى اي شيء نزل فالواسع المطلق هو الله تعالى لانه ان نظر الى علمه فلا ساحل لبحره ولا حد لمده وان نظر الى احسانه ونعمه فلا نهاية لها وكل نعمة يكون من غيره وان عظمت فهي متناهية والذي لا يتناهى هو احق باسم السعة ولا اوسع من علم الحق وكرمه ورحمته فهو الواسع المطلق وكرمه تعالى يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقبله ان يقبله بقدر ما يقبله ومن حاجتي يا رب كذا وكذا وتذكر حاجتك من للتبعيض ولما كانت حاجات العبد الى الرب غير محصورة ولا متناهية اتى بمن التبعيضية ايذانا بان حاجته اليه تعالى غير مقصورة على هذه الحاجة بل هي بعض حاجته اليه وكذا كناية عن اسم الحاجة وهي مركبة من كاف التشبيه وذا التي للاشارة الا انه لا يحكم على ذا بانها في موضع جر ولا على الكاف بانها متعلقة بشيء ولا بان فيها معنى التشبيه اذ لا معنى له

هنا فلا وجه لتكلف ادعاء لان التركيب كثيرا ما يزيل معنى المفردين ويحدث للمجموع معنى لم يكن ويحكم على مجموع الكلمتين بانه في موضع رفع او نصب او جر بحسب العوامل الداخلة عليها وهو هنا في محل رفع على انه مبتداء خبره الجار والمجرور قبله والتقدير كذا وكذا من حاجة وقال الفيومي في المصباح المنير كذا تكون كناية عن الاشياء تقول فعلت كذا وقلت كذا والاصل ذا ثم دخل عليه كاف التشبيه بعد زوال معنى الاشارة والتشبيه وجعل كناية عما يراد به وهو معرفة فلا يدخله الالف واللام انتهى والصواب ما ذكرناه اولا من ان معنى الاشارة والتشبيه انما زالا بالتركيب كما نص عليه ابن هشام في فتح السد بمسئلة كذا **قوله** وتذكر حاجتك انما سنها لما ورد في الحديث من انه تعالى يحب ان تبث اليه الحوائج روى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلم قال ان الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد اذا دعاه ولكنه يحب ان تبث اليه الحوائج فاذا دعوت فسم حاجتك وفي حديث آخر قال قال ان الله عز وجل يعلم حاجتك وما تريد ولكنه يحب ان تبث اليه الحوائج **ثم تسجد وتقول في سجودك بفضلك آنستني واحسانك دلني فاسئلك بك وبمحمد وآله صلواتك عليهم ان لا تردني خائبا** ختم الدعاء بالسجود والدعاء فيه لما ورد في الحديث النبوي اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وروى ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه اذا دعا ربه وهو ساجد وعن عبد الله بن هلال قال شكوت الى ابي عبد الله عم تفرق اموالنا وما دخل علينا فقال عليك بالدعاء وانت ساجد فان اقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد والسر في ذلك ان السجود هيئة تشعر بكمال الاتصاف بصفات الافتقار والخضوع والذلة المستلزمة لاستنزال الرحمة فيكون العبد في هذه الحالة اقرب

الى رحمة الله

الى رحمة الله تعالى منه في غيرها من الحالات وايضا فقد جرت العادة من الملوك في حق من يتواضع لهم ويوفيهم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يقربوا منزلته ويرفعوا درجته ويسمعوا القول منه ويجيبوا دعاءه فبالحري ان يكون المتواضع الخاشع للملك المطلق قريب المنزلة منه مسموع القول مستجاب الدعاء مقضي المرام والايناس خلاف الايحاش من الانس بالضم وهو سكون القلب في عدم نفرته وفضله واحسانه تعالى عبارة عن افاضة جوده وكرمه ابتداء من غير استحقاق فاذا عرف العبد سعة رحمة ربه وفضله ولطفه ورأفته واحسانه واجرائه نعمه عليه ظاهرة وباطنة جلية وخفية ضرورية وغير ضرورية منذ كونه جنينا في بطن امه بلا سبق استحقاق ولا تقدم استيهال كان ذلك موجبا لسكون نفسه اليه باعثا على رجائه دليلا له الى توقع قضاء حاجته منه ونجاح مطلوبه واسعافه بما موله فلاجرم ذلك سببا لسؤاله مقسما عليه ومتوسلا اليه بذاته المقدسة وباكرم خلقه عليه ان لا يرده ولا يرجعه خائبا مما سأله من طاعته بما طلب والله اعلم هذا آخر الروضة الثالثة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين وقد وفق الله سبحانه لاجتناء ازهارها واقتطاف باكورة ثمارها عشية يوم الخميس المبارك لست بقين من ذي القعدة الحرام عام ثمان وتسعين والف ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ناصر المظلومين وقاصم الظالمين والصلوة والسلام على من ارسله رحمة للعالمين وعلى آله وعترته الهداة العالمين وبعد فهذه الروضة الرابعة عشرة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الرابع عشر من صحيفة سيد العابدين املاء راجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني احسن الله تعالى اليه وافاض سجال نعمته عليه وكان من دعائه عم اذا اعتدى عليه او راى من الظالمين ما لا يحب

عدا عليه عدوا وعدوا مثل فلس وفلوس وعدوانا بالضم وعدا بالفتح والمد واعتدى اعتداء وتعدى تعديا ظلم وتجاوز الحد وقوله تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم من باب المشاكلة وسمى جزاء الاعتداء اعتداء كما سمى جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها لوقوعه في صحبته والا فجزاء الاعتداء والسيئة لا يكون اعتداء وسيئة وقال ابن سيدة في المحكم سمى مجازاة الاعتداء بمثل اسمه لان صورة الفعلين واحدة وان كان احدهما طاعة والآخر معصية والعرب تقول ظلمني فلان فظلمته اي جازيته بظلمه لا وجه للظلم اكثر وقوله تعالى لا يحب المعتدين اي المجاوزين لما امروا به والظلم قيل هو وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به وقيل هو التصرف

في حق

في حق الغير وقيل هو مجاوزة الحد وعلى كل تفسير فلا بد فيه من تعدي ضرر وهو اما عائد على نفس الظالم كالشرك العائد وباله على المشرك واما على نفسه وغيره كالعدوان على الخلق فان الظالم لغيره لا يكون ظالما له حتى يظلم اولا نفسه فالمراد بقوله او راى من الظالمين ما لا يحب هو الضرر المتعدي منهم عليه او على احد من شيعته عليه السلم واما الضرر العائد منهم على انفسهم وان كان مما لا يحبه ايضا الا ان الظاهر انه ليس بمراد هنا على ما تقتضيه عبارة الدعاء قال صلوات الله وسلامه عليه يا من لا يخفى عليه انباء المتظلمين ويا من لا يحتاج في قصصهم الى شهادات الشاهدين الانباء جمع نبا بالتحريك مهموزا كخبر واخبار وزنا ومعنى قال الراغب في المفردات النبا خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن ولا يقال للخبر نبا حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة وحق الخبر الذي يقال فيه نبا ان يتعرى عن الكذب غالبا وتظلم زيد من عمرو شكا ظلمه وعبر عن علمه تعالى بقوله لا يخفى عليه ايذانا بان انباء المتظلمين وان كان منها ما يخفى فان علمه سبحانه ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان تقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والقصص الخبر من باب قتل حدثته على وجهه والاسم القصص بفتحتين واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه لان من يقص الحديث يتتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا وقيل القصص بفتحتين فعل بمعنى مفعول كالنبا والخبر وقيل مصدر سمي به المفعول وهو بمعنى الخبر المقصوص والشهادة في مجلس الحكم وانما لم يحتج الى الشهادة لشاهدين لانه محيط بظواهر الامور وبواطنها عالم بخفاياها وانما يحتاج الى الشهادة في اثبات الدعوى من يخفى عليه جلية الامر فلا يعلم حقيته من بطلانه ويا من قربت نصرته من المظلومين ويا من بعد عونه عن الظالمين النصرة بالضم اسم من

نصره سيصرخ على عدوه نصرا من باب قتل اذا اعانه وقواه عليه والمراد بقرب
النصر هنا قرب حصوله للمظلومين كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من
المحسنين وبعد العون عدم حصوله للظالمين فانهم قد يعبرون بالبعد
عن العدم فيقال هذا الامر بعيد اى غير حاصل قال الشاعر لى كل شئ لا ينال
بعيد ونظيره تعبيرهم بالقلة عن العدم يقال فلان قليل الخير اى لا يكاد
يفعله ويحتمل ان يكون من باب التمثيل شبه نصرته للمظلومين بمن
قرب مكانه فاذا دعى اجاب واذا نودى اقبل وكذلك مثل عونه للظالمين بمن بعد
مكانه فاذا دعى لم يسمع واذا نودى لم يقبل والالف واللام اذا دخلت على الجمع
افادت الاستغراق فالمراد بالمظلومين كل مظلوم ولو كان كافرا وبالظالمين كل
ظالم ولو كان مؤمنا ففى الحديث عن ابى عبد الله ع قال ان الله عز وجل اوحى الى نبى من
الانبياء فى مملكة جبار ان ائت هذا الجبار فقل له انى لم استعملك على سفك الدماء
واتخاذ الاموال وانما استعملتك لتكف عنى اصوات المظلومين فانى لن ادع ظلامتهم
وان كانوا كفارا وعنه عليه السلام قال كان ابى يقول اتقوا الظلم فان دعوة المظلوم
تصعد الى السماء وعنه عليه السلام من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه من يظلمه وان دعا
لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته والاخبار فى هذا المعنى كثيرة وقد علمت يا الهى
ما نالنى من فلان بن فلان مما حظرت وانتهكه منى مما حجرت عليه بطرا فى
نعمتك عنده واغترارا بنكيرك عليه قد للتحقيق اى قد تحقق علمك ووقع بما نالنى ونال له
نيلا ونالة وفلان بن فلان كناية عن نحو زيد بن عمرو قال الرضى يكنى بفلان
وفلانة عن اعلام الاناسى خاصة فيجريان مجرى المكنى عنه اى يكونان كالعلم فلا
يدخلهما اللام ويمتنع صرف فلانة كما يجرى افعل بمعنى احمق مجرى المكنى عنه فى المنع
من الصرف ولا يجوز تنكير فلان كسائر الاعلام فلا يقال جاءنى فلان وفلان آخر

موضع

موضع الكناية عن العلم واذا كنى عن المكنى قيل ابو فلان وام فلان واذا كنى بفلان
وفلانة عن اعلام البهائم اسماء كانت او كنى ادخل عليهما اللام التعريف فيقال
الفلان والفلانة وابو الفلان وام الفلان الفرق وكان كناية اعلام البهائم
اولى باللام من كناية اعلام الاناسى لان الانسان بجنسه اكثر فهى عنده اشهر من اعلام
البهائم فكان فيها نوع تنكير انتهى وفى عبارة الدعاء دليل على استعمال فلان فى
غير الحكاية خلافا لابن السراج وابن الحاجب حيث قال لم يثبت استعمالهما
الا فى الحكاية تقول قال زيد جاءنى فلان ولا تقول ابتداء جاءنى فلان من غير ان
تحكى ذلك عن احد ويدل على خلاف قولهما ايضا ما رواه الاصمعى من قول من اراد العيب
واذا فلان مات عن اكرومة رقعوا معوز فقده بفلان وقال معن بن اوس
ورد فلان حاجتى وفلان وحظر حظرا من باب قتل منعه وانتهك الرجل الحرمة
تناولها بما لا يحل واصله من النهك وهو المبالغة فى كل شئ والحجر والحجر بالمعجمة
والمهملة كلاهما بمعنى المنع وقد وردت الرواية فى الدعاء بالوجهين وفعلهما
من باب قتل والبطر محركة الطغيان بالنعمة والتجبر وسوء احتمال الغنى والغرة
بالشئ عدم الخوف منه وترك التحفظ منه قال الفيومى فى المصباح اغتررت به
ظننت الامن فلم اتحفظ فمعنى اغترارا بنكيرك وعدم تحفظ منه ويحتمل ان يكون معناه
اجترأ على نكيرك من قولهم ما غرك به قال الجوهرى فى الصحاح والفارابى فى ديوان
الادب والزمخشرى فى الاساس ما غرك بفلان اى كيف اجترأت عليه والنكير
فعيل بمعنى الانكار تقول انكرت عليه فعله اذا نهيته عنه او عاقبته عليه ونصب
بطرا واغترارا يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لاجله والتقدير على الاول يبطر
بطرا ويغتر اغترارا وقيل بطرت بطرا واغتررت اغترارا وابن مالك يمنع الاول لمنع
حذف عامل المصدر المؤكد الا فيما استثنى وابن الحاجب يمنع الثانى لانه يؤدى الى

اخراج الابواب عن حفايظها وعلى الثاني بطرا ومغترا وعلى الثالث لاجل البطر والاغترا
اللهم صل على محمد وآله واكفني خذ ظالمي وعدوي عن ظلمي بقوتك وافلل حده عني بقدرتك
واجعل له شغلا فيما يليه وعجزا عما يناويه خذه عن ظلمي اي احبسه وامنعه يقال اخذته
عنه اي حبسته واصله من اخذ الخطام اي امسكه وفل حد السيف ثلمه اي كسره و
في الكلام استعارة مكنية تخييلية شبه العدو بالسيف في الاضرار فاثبت له
الحد الذي لا يكمل ذلك الا به تحقيقا للمبالغة في التشبيه فتشبيه العدو بالسيف استعارة
بالكناية واثبات الحد له استعارة تخييلية ويحتمل ان شبه حد العدو اي حدة
وسورة غضبه بالسيف فيكون تصريحية بذكر الفل الذي يلايم السيف وعليه بليه بكسر الثاني
وليا كفلس اي قرب منه تقول جلست مما يليه اي يقاربه هذه هي اللغة الفصحى
وفي لغة ولاه يليه من باب عد وهي قليلة الاستعمال اي اجعل له شغلا فيما يقرب
منه ويدانيه ليشتغل به عني فالضمير في يليه راجع الى العدو ويحتمل ان يكون
المعنى فيما يكون له الولاية عليه من ولى الامر بكسرتين ايضا وولى البلد وولاية
اي صار والياعليه فيكون الضمير في يليه عايدا الى ما الموصولة المجرورة بفي والعجز
عدم القدرة عما من شانه ان يقدر فلا يقال للجدار مثلا انه عاجز وناواه مناواة
بالهمز من باب قاتل ويجوز التسهيل فيقال ناواه مناواة وبه وردت الرواية في
الدعاء اي عاداه قال الزمخشري في الاساس ناوات الرجل عاديته ومعناه ناهضته
للعداوة انتهى ويدان اصله من ناء بالحمل اذا نهض به وقال في النهاية اصله
ناء اليك ونؤت اليه اذا نهضتما فان قلت فعلى هذا كان ينبغي ان يقول وعجزا
عمن يناويه بمن التي للعقلاء دون ما التي هي لغيرهم لان المناواة والمناهضة
للعداوة لا يكون الا بين عاقلين قلت هو اما بناء على القول بان ما تستعمل للعقلاء
كما تستعمل لغيرهم نحو ما سمع سبحان ما سخركن وسبحان ما سبح الرعد بحمده والسماء و

ما بناها الايات واما بناء على ما عليه جماعة من المحققين من ان تفرقة بين من وما في خصاص
الاولى بذوي العلم واختصاص الثانية او غلبتها في غيرهم انما هي اذا اريد الذات
اما اذا اريد الوصف كما تقول في الاستفهام ما زيد اي افاضل ام كريم وفي الموصولة
اكرم ما شئت من هؤلاء الرجال اي القايم او القاعد ونحو ذلك فهو بكلمة ما دون
من بحكم الوضع على ما ذكره الزمخشري والسكاكي وغيرهما وان انكره قوم ومن
ثم قال في الكشاف في تفسير قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل ما ذهابا الى
الصفة فاشار بقوله ذهابا الى الصفة الى ان المراد فانكحوا الموفق باي صفة
شئتم من البكر والثيب والشابة والجميلة والنسيبة واضداد ذلك الى غير ذلك
من الاوصاف اذا عرفت ذلك فقوله وعجزا عما يناويه اراد به معنى الوصفية اي عجزا
عن الموصوف باي صفة كانت يريد مناواته وعداوته من صغير وكبير وشريف
ووضيع وبعيد وقريب الى غير ذلك ويحتمل ان يكون بمعنى بناديه عاوله في طلبه
من ونيت الشيء اذا جديت في طلبه منه ما ورد في الحديث من سوال الدنيا تعجزه
قال الزركشي اي من يسعى لها يجيء من نويت الشيء اذا جديت في طلبه انتهى
فيكون يناويه بمعنى يونيه والجاء به من باب المفاعلة للمبالغة قال الرضي سافرت
بمعنى سوفت اي خرجت الى السفر ولا بد في سافرت من المبالغة انتهى وقد اتى فاعل
بمعنى فعل كثيرا منه حاول الشيء بمعنى طلبه وناوله بمعنى اعطاه وعافاه بمعنى شفاه
الى غير ذلك فيكون ما في قوله وعجزا عما يناويه على بابها اللهم صل على محمد وآله ولا
تسوغ له ظلمي واحسن عليه عوني واعصمني من مثل افعاله ولا تجعلني في مثل حاله لا تسوغ
له ظلمي اي لا تسهله ويتيسر عليه من ساغ الشراب والطعام يسوغ سوغا
من باب قال سهل مدخله في الحلق ومن هنا قيل ساغ فعل الشيء بمعنى الاباحة وسوغته
اي اتحته وجوزته قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز لا يسوغ لك ان تفعل

كذا لا تجوز و سوغته ما اصابه جوزته له انتهى وحمل التسويغ هنا بمعنى التجويز
كما فعل بعضهم لا وجه له لان الله تعالى لا تجوز لاحد الظلم حتى طلب منه عدم التجويز
له بل المراد لا تجعل ظلمي له سائغا اى سهلا يسيرا فيتمادى فى ظلمه لى ويصر عليه بل
عجل عليه النكير وخذه بالعقوبة كيما تكف ويتلاحى عن ظلمي واحسن عليه هو العون
هنا اسم بمعنى المعونة اى اوقع معونتى عليه على الوجه الذي تقتضيه مصلحته
من الانتصار عليه وعدم النصرة بظلمه اذ الاحسان فى الفعل ايقاعه على ما ينبغى وعصمه
يعصمه عصما من باب ضرب منعه ووقاه واعتصمت بالله امتنعت به اى امنعنى
وقنى بعدم الاعداد لارتكاب مثل فعاله واحسم عنى الاسباب التى اصير بها فى
مثل حاله من ظلم العباد وتعاطى العدوان والفساد كيلا اكون من المنكرين المنكر الفاعلين
له اللهم صل على محمد وآله واعدنى على عدوى حاضرة تكون من غيظى به شفاء
ومن حنقى عليه وفاء اعداه عليه نصره واعانه والعدوى بالفتح النصرة والمعونة باعتدا
عليك انتهى والمعنى الاول اظهر اى انصرنى عليه نصرة حاضرة اى حاصلة الآن
غير غائبة انتظر حضورها وحصولها وجملة تكون فى محل نصب صفة ثانية العدوى
ومن فى قوله من غيظى متعلقة بشفاء وفى قوله من حنقى متعلقة بوفاء اى تكون شفاء
غيظى به ووفاء من حنقى عليه والغيظ الغضب الشديد وهو مصدر من غاظه الامر من باب
سار وقال بعضهم ولا يكون الغيظ الا بوصول مكروه الى المغتاظ ولما كان الغضب الكامن
من كالداء فاذا زال بما يطلبه الانسان من عدوه وزال غيظه به كان كانه برئ من دائه
فلذلك جعل العدوى شفاء واصله من شفى الله المريض يشفيه من باب رمى شفاء
اى ابراه من مرضه والحنق محركة الغيظ وقيل شدته حنق حنقا من باب تعب والوفاء
مصدر وفاه حقه اذا اعطاه اياه وافيا ووفاه ايضا اى تكون وفاء لحقى من
شدة غيظى عليه اللهم صل على محمد وآله وعوضنى من ظلمه لى عفوك وابدلنى بسوء صنيعه

عوضته تعويضا اذا اعطيته بدل ما ذهب منه وابدلته بكذا ابدلا اذا اتخذت واقال
وجعلت الثانى مكانه اى اعطنى بدل ما ذهب منى بظلمه عفوك عنى واجعل رحمتك
لى مكان سوء صنيعه بى قال فى القاموس صنع اليه معروفا كمنع صنعا بالضم و
صنع به صنيعا قبيحا فعله وقال الجوهرى الصنع بالضم مصدر قولك صنع اليه
معروفا وصنع به صنيعا قبيحا اى فعل انتهى والفاء من قوله فكل مكروه للسببية
اى لان كل مكروه جلل دون سخطك وقد تقدم الكلام والجلل بحركة الامر العظيم
والهين اليسير ضد والمراد به هنا المعنى الثانى ومنه قول العباس الفضل جلل
ما عدا محمدا اى هين يسير وقول الشاعر الا كل شئ سواه جلل اى مكروه هين غير
سخطك او ما لم يتجاوز الى سخطك وقد تقدم الكلام على تحقيق معنى دون فليرجع
اليه والمرزية بفتح الميم وكسر الزاى مهموزة المصيبة وسواء بالفتح والمد على ما فى
النسخ المشهورة اى سهلة من قولهم ارض سواء اى مستوية يسهل سلوكها ومنه من
الكوفة ارض سواء سهلة معروفة او هو على تقدير حذف المعطوف اى كل مرزئة سواء
والعدم مع موجودها يقال مررت برجل سواء والعدم اى وجوده وعدمه سواء و
دليل التقدير فى عبارة الدعاء ان الاستواء لا يكون الا بين شيئين كما قيل فى
قوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اى ومن انفق من بعده فحذف
المعطوف لدلالة الاستواء على تقديره وفى نسخة وكل مرزئة شوى بالشين المعجمة
والقصر اى هين يسير قال الجوهرى والشوى هو الشئ الهين اليسير والموجدة
بفتح الميم وكسر الجيم الغضب وجد عليه وجدا بالفتح وموجدة اى غضب وقيل الموجدة
حال دون الغضب وفوق العتب والعتب دون الغضب ثم هنا لمجرد الاجتماع
غير ملاحظة الزمان والمكان اى كل مصيبة سهل او عدمه ووجوده سواء لا يعبأ به

او هو هيّن حقير حصول غضبك وفي نسخة مغفرتك فالمعنى كل مصيبة هيّنة
عليّ مع حصول مغفرتك لي اي لا ابالي بالمصايب اذا غفرت لي **اللهم كما كرّهت اليّ
ان اظلم فقني من ان اظلم** كرّه الشيء اليه تكريها صيّره كريها اي مكروها
من كرِهَه ضد احبّه ولما كان في التكريه معنى انهاء الكراهة وايصالها اليه استعملها
بكلمة الي والرواية المشهورة مبنيا واظلم الاول للمفعول والثاني للفاعل اي كما بغضت
اليّ ان يظلمني احد فاحفظني من ان اظلم احدا وفي رواية بالعكس والمعنى ظاهر **اللهم
لا اشكو الى احد سواك ولا استعين بحاكم غيرك حاشاك** حصر شكواه اليه تعالى
واستعانته به استنزالا لرحمته سبحانه بالاتصاف بمقام الصبر الذي هو ترك الشكوى الى
الخلق والاستعانة بهم ودفعا لتوهم السامعين منافاة دعائه على ظالمه للصبر المحمود من تسليه
فان الشكوى الى الله تعالى والاستعانة به دون احد من خلقه هو عين الصبر على البلوى
حتى ياذن الله بازالة الشكوى وهذا كما حكى الله تعالى عن يعقوب عليه السلام حين قالوا
له تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثّي
وحزني الى الله فانهم لما قالوا له تعجبا من دعواك الصبر والله لا تزال تذكر يوسف
سرا وعلانية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل او تكون ميتا من الهالكين فاجابهم
الحزن والذكر لا ينافيان الصبر لانه ترك الشكوى الى الخلق وانا لا اشكو الى الخلق
وانما اشكو بثي وحزني الى الله ليزيل عني الشكوى ويرحمني وقوله حاشاك اي
سبحانك اي انزهك تنزيها لائقا بك عن ان استعين بحاكم غيرك وقد مر نظير
ذلك في الدعاء الثاني عشر **فصل على محمد وآله وصل دعائي بالاجابة واقرن شكايتي
بالتغيير** وصل الشيء بالشيء وصلا من باب وعد جعله متصلا به وقرنه
قرنا من باب قتل بمعناه لكن المضبوط في نسخ الصحيفة واقرن بكسر الراء من باب ضرب

ولم احد من نص عليه في كتب اللغة وانما المنصوص عليه من باب قتل الا ان يحمل على ما حكاه
ابن حيان عن بعض اصحابه من ان الفعل المتعدي الصحيح جميع حروفه اذا لم يكن للمبالغة
ولا حلقي عين ولام فانه في مستقبله بالخيار ان شئت قلت يفعل بكسرها سواء سمع
فيه الضم او الكسر او لم يسمعا وحكي عن ابي زيد انه قال طفت في عليا قيس وسفلى
تميم فما رايت احدا منهم يفصل بينهما ولم اجد لذلك حصرا وكل يتكلم به على
ما يريد من ضم المضارع او كسره ثم وقفت في كتاب تهذيب اللغات والاسماء
للنواوي على ما نصه يقال قرنت بين الشيئين اقرن بضم الراء في المضارع
هذه اللغة الفصيحة ويقال بكسرها في لغة قليلة وغيرت الشيء تغييرا ازلته
عما كان عليه فتغير هو والمعنى واجعل دعائي متصلا بالاجابة حتى لا يكون
بينهما فترة واجعل شكايتي مقرونة بازالتها والغرض سؤال تعجيل اجابة
دعائه وسرعة ازالة شكايته **اللهم لا تفتني بالقنوط من انصافك ولا تفتنّي
بالامن من انكارك فيصرّ عليّ ظالمي او يجاوز في حقّي** الفتنة المحنة والابتلاء بخير او شر
قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واصله من فتنت الذهب بالنار اذا
احرقته ليعلم انه خالص او مشوب والقنوط اليأس والانصاف مصدر انصفه
نصفا انصفت الرجل اذا عاملته بالعدل والقسط والاسم النصفة بفتحتين والامن
عدم توقع مكروه هو بمعنى الاطمينان ويحتمل ان يراد به هنا معنى السلامة
من امن زيد الاسد وامن منه بمعنى سلم منه وزنا ومعنى والانكار
هنا مصدر انكرت بمعنى الجهل من نكره بمعنى جهله والجهل كناية عن
تاخير العقوبة انتهى وهو جهل صريح والمعنى لا تمتحني باليأس من
انصافك لي منه ولا تمتحنه بعدم الخوف وبالسلامة من عقوبتك و
انتقامك واستشكل بعضهم ذلك بان عدم انصاف المظلوم من الظالم محال

على الله تعالى فكيف يجوز الياس من انصافه سبحانه واجاب بحمله على الياس منه في الدنيا وقال آخر القنوط من انصافه تعالى عبارة عن طول مدة الظلم وتماديه فكانه عليه السلام سال ان يبتليه باستداد الظلم وتاخير الانتقام من ظالمه ولا يخفى ان الاشكال ساقط راسًا لان القنوط من انصاف الله تعالى كفر ولا مانع ان يدعو الانسان به ان لا يبتليه بالكفر فانما كان الاستشكال بنظر الى منصب الامامة ومقام الداعي عليه السلام المقطوع له بان الله لا يبتليه بذلك ابدًا فغير ممتنع ان يدعو النبي والامام بان لا يفعل الله به ما يعلم انه لا بد من ان يفعله كقوله تعالى وقل رب احكم بالحق وبان لا يفعل به ما يعلم انه واجب ان لا يفعله تعالى كقوله ابراهيم عليه السلام ولا تخزني يوم يبعثون وذلك كله على سبيل الانقطاع اليه تعالى واظهار الفقر الى مسئلته والاستعانة على كل حال فلا اشكال اصلا قوله عليه السلام فيصير على طلبي ويحاصرني بحقي الفاء سببية عاطفة والمضارع بعدها منصوب بان مضمرة وجوبًا لوقوعه بعد فاء السببية مسبوقة بطلب محض وان وصلتها في تاويل مصدر معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق والتقدير لا يكن منك فتنة له بالامن من الكاره فاصراره منه على طلبي ومحاصرته بحقي هذا قول الجمهور واختار الرضي ان تكون الفاء للسببية دون العطف لان فاء العطف لا تفيد السببية الا اذا عطفت جملة على جملة وقال ان ما بعد الفاء من ان وصلتها في تاويل مصدر مبتداء محذوف الخبر وجوبًا والتقدير لا يكن منك فتنة له بالامن فاصراره على طلبي ثابت ورد بانه يلزم عليه حذف الخبر وجوبًا من غير شيء يسد مسده وهو ممتنع واصر على فعله اصرارًا دامه ولازمه اي يدوم على طلبي ويلازمه ويحاصرني يروى بالحاء المهملة والصاد المعجمة من المحاصرة العدو وفي رواية يخاصرني بالخاء والصاد المعجمتين اي يذهب بحقي باطلاً من قولهم

ذهب دمه خضرًا مضرًا بكسرهما وكتفًا اي هدرًا باطلًا لا قود فيه او ياخذه بلا عوض من قولهم اخذه خضرًا مضرًا اي بغير ثمن ويروى يخاصرني بالخاء المعجمة والصاد المهملة من المخاصرة وهو ان ياخذ صاحبك في طريق وتاخذ انت في غيره حتى تلتقيا في مكان اي ياخذ هو في طريق الظلم بحقي واخذ انا في طريق لا تاخذ انت في غيره الا انظلام حتى نلتقي في المحشر او هو من خاصر الرجل صاحبه اذا اخذ بيده في المشي او مشى الى جنبه اي ياخذ بيدي مماشيا لي وهو ملتبس بحقي او يمشي الى جنبي ولا استطيع الانتقام منه فعرفه عما قليل ما اوعدت الظالمين وعرفني ما وعدت في اجابة المضطرين عرفه الامر تعريفا اعلمه اياه ومعنى عرفه ما اوعدت الظالمين اي اذقه اياه وانزله به ليعرفه ويعلمه يقينا وعما قليل اي عن زمان قليل فقصر وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة وقيل هي نكرة موصوفة اي عن شيء قليل وقيل بمعنى زمن قليل بدل منها واوعدت الظالمين اي تهددتهم به من العذاب والعقاب وقد تقدم الكلام على الفرق بين الايعاد والوعد ومن اعظم ما اوعد الله به الظالمين وتهددهم قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فانه تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل قال الزمخشري في الكشاف انها آية ناطقة بما لا شيء اهيب منه واهول ولا انكى لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة ووعدت في اجابة المضطرين اشارة الى قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء فانه تعالى لما انكر كون هذه الصفة والقدرة لغيره كان وعدًا للمضطرين بانه المتفرد باجابتهم

اللهم صل على محمد واله ووفقني لقبول ما قضيت لي وعلي ورضني بما احدثت لي ومني واهدني للتي هي اقوم واستعملني بما هو اسلم ووفقني اي اجعلني موافقا غير
مخالف لقبول ما حكمت وقدرت وقبول الشي الرضا به ومحبته والميل اليه ولي و
على عبارة عما يؤثره ويكرهه يقولون هذا لك وهذا عليك فتستعمل اللام فيما يؤثر
وعلى فيما يكره قال الشاعر فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر وانما استعملت
على في ذلك لان الكلف والمشاق تخفض الانسان وتضعه فكانها تعلوه وتفرعه
اي وفقني للرضا بما قضيته مما احبه واكرهه ورضني اي اجعلني راضيا
بما احدثت لي من غيري واحدثت مني مما لا احب لحذره ومني حتى اكون راضيا
بالقضاء الذي هو راس الطاعة ورافع مقامات السالكين فعن علي بن الحسين
عليهما السلم وهو صاحب الدعاء الصبر والرضا عن الله راس طاعة الله وعن الصادق
عليه السلم راس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما احب العبد او كره وعن علي
ابن الحسين عليهما السلم الزهد عشرة اجزاء اعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع
واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضاء
فاشار عليه السلم الى ان الرضا فوق الجميع ومن ثم كان مقام الرضا فوق جميع مقامات
السالكين **تنبيهان الاول** اعلم ان رضا العبد ومحبته لما يؤثره ويحبه سهل لانه
موافق لطبعه واما رضاه بما يكرهه فصعب لانه مخالف لطبعه وميله الى الشيء وضده
مشكل ومن ثمه ذهب جماعة الى ان الرضاء بما يستنكرها الطبع ويخالف هوى النفس
كالمحن والمصائب غير ممكن وغاية ما يمكن هو الصبر عليه والجواب بان الرضا ثمرة
المحبة الكاملة ومحبة العبد للرب اذا بلغت حد الكمال يمكن ان يرجح ارادته على
ارادة نفسه بل يمكن ان لا يرى لنفسه مرادا غير مراده تعالى لاستغراقه في بحر
المحبة اولان فعل المحبوب مثله محبوبا ولانه لا يجد في نفسه الم ما يكرهه لاستغراقه في

قلبه في محبته تعالى وغفلته عن نفسه فضلا عن الامور الموافقة او المخالفة
لها كما ان المجاهد لشغله في الجهاد قد لا يجد الم الجراح وبالجملة هو امر ممكن الا
اصعبا دل الثاني الرضا بالشي لا ينافي الدعاء لرفعه خلافا لطائفة من المتصوفة
المبتدعة حيث قالوا ان شرط الرضا ترك الدعاء لرفع البلاء وطلب النعماء لان طلب
رفع امر وارادته منه تعالى وحصول غيره ينافي الرضاء بما حكم به وهولاء في طرف الافراط
كما ان الجماعة الاولى في طرف التفريط واجيب عنه اولا بالنقض وهو ان دعاء
الانبياء والاوصياء وحثهم عليه امر مشهور وفي الكتب السماوية وغيرها مسطور في
مذكور لا ينكره احد من الاسلام وثانيا بالمنع لانا لا نسلم ان الطلب المذكور ينافي
الرضا وانما المنافي له استكراه النفس للواردات من عند الله تعالى والطلب لا
يستلزم الاستكراه وثالثا بالحل وهو ان الدعاء عبادة امر الله تعالى بها غير
مرة لتضمنها انكسار القلب وتواضعه وخشوعه ومخالفة امر الله تعالى تنافي الرضا
وسياتي تمام الكلام على الرضا في محله ان شاء الله تعالى **قوله** عليه السلم واهدني للتي
هي اقوم اي الحالة او الخصلة او الطريقة او الحكمة التي هي اقوم الحالات
او الخصال او الطرق او الحكم اي اعدلها واكثرها استقامة من قام الامر
استقام بمعنى اعتدل وفي حذف الموصوف فخامة بلاغة لا توجد مع الاثبات
لما في ابهام الموصوف بحذفه من التعميم وذهاب الوهم كل مذهب وذلك مفقود
مع ايضاحه وهو اقتباس من قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وقوله
واستعملني بالذي هو اسلم اي اجعلني عاملا بالعمل الذي هو اكثر الافعال سلامة
من الافات المبطلة للعمل وحذف الموصوف هنا ليس لقصد التعميم كما في الفقرة السابقة
بل للايذان بالغنى عن التصريح به لغاية ظهوره لا سيما بعد ذكر الاستعمال **اللهم وان
كانت الخيرة لي عندك في تاخير الاخذ لي وترك الانتقام ممن ظلمني الى يوم الفصل ومجمع الخصم**

فصل على محمد وآله وابتدني منك بنية صادقة وصبر دائم

س ر الخيرة بكسر الخاء وسكون الياء المثناة من تحت اسم من الاختيار كالفدية
اسم من الافتداء وبفتح الياء بمعنى الاختيار وقيل هي بالسكون من خار الله لك
اي اعطاك ما هو خير لك وبالفتح اسم من اختاره الله وقيل هما بمعنى واحد اي اكان الخير
لي او الاختيار لي عندك اي في حكمك قال الفيومي في المصباح وتكون عند بمعنى
الحكم يقال هذا عندي افضل من هذا اي في حكمي في تاخير الاحد لي اي استعجل حتى منه
منه او عقابا لاجلي من لحذه الله بذنبه عاقبه عليه وترك الاشتغال اي اسقاط المعاقبة
واصل الترك استعماله في الاعيان يقال تركت المنزل تركا رحلت عنه وتركت
الرجل فارقته ثم استعير للاسقاط في المعاني فقيل ترك حقه اذا اسقطه وترك
ركعة من الصلوة لم يات بها فانه اسقاط لما ثبت شرعا ويوم الفصل يوم القيمة لان الله
تعالى يفصل فيه الحكم بين الخلايق اذ لوقوع الفصل فيه بين الحق والباطل او للفصل
فيه بين اعمال الخير واعمال الشر والمجمع محل الجمع او زمانه والخصم المدعي على غيره
حقا من الحقوق المنازع له فيه ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة
بلفظ واحد لان اصله المصدر فيقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم
وفي لغة يطابق في التثنية والجمع فيقال خصمان وخصوم وقد ورد التنزيل
باللغتين قال تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود
ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض والمراد به في الدعاء
الجماعة اي مجمع الخصوم والتأييد التقوية وتأييد الله تعالى عبده تقوية امره
داخلا بالبصيرة ومن خارج بقوة البطش والاول هو المطلوب هنا ومنه قوله تعالى اذ
ايدتك بروح القدس والنية بالتشديد اسم من نواه ينويه اي قصده و التخفيف
لغة فيها حكاها الازهري واللحياني وهي على حذف اللام وتعويض الهاء

عنها

عنها كما قيل في ثبة وظبة ثم خصت النية في غالب الاستعمال بعزم القلب
على امر من الامور وصادقة اي حسنة جميلة ويعبر عن كل فعل فاضل ظاهرا
او باطنا بالصدق لان الصدق في الحديث مستحسن جيد فصار ما يستعملونه
في مطلق الجودة ومنه رجل صدق ولسان صدق ومقعد صدق اي
قوني منك بعزم حسن على الكف عن طلب حقي منه الى ذلك اليوم فلا تنازعني
نفسي الى طلبي له في الدنيا والصبر حبس النفس عن الجزع والدائم الثابت من دام
يدوم دوما ودواما ثبت اي وايدني بصبر ثابت على ظلمه لي فلا اجزع منه

واعذني من سوء الرغبة وهلع اهل الحرص س ر عاذ بالله اعتصم وامتنع و
اعاذه بالله عصمه ومنعه وساء الشيء يسوء سوءا بالضم قبح والرغبة السؤال
والطلب ومنه كيف انتم اذا مرج الدين وظهرت الرغبة قال ابن الاثير في النهاية
اي قلت العفة وكثر السؤال يقال رغب يرغب اذا حرص على الشيء وطمع فيه
والرغبة السؤال والطلب انتهى وقد تطلق الرغبة على الشره والحرص ومنه
الرغب شؤم اي الشره والحرص على الدنيا وقيل سعة الامل وطلب الكثير والهلع
بالتحريك الحرص وقيل الجزع وقلة الصبر وقيل هو اشد الجزع والضجر والحرص
بالكسر الاجتهاد في الطلب والرغبة المذمومة اي وافض علي منك قوة باطنية
اقوى بها على الامتناع من قبيح الطلب وسيء الرغبة والسؤال وشدة الجزع
والضجر كما يفعله ارباب الحرص المجتهدون في طلب الدنيا وصور في قلبي مثال ما
ادخرت لي من ثوابك واعددت لخصمي من عقابك واجعل ذلك سببا لقناعتي بما قضيت
وثقتي بما تخيرت صورة الشيء مثلثة صورته وشكله والمراد بالقلب هنا العقل لانه
محل التصور وكثيرا ما يطلق عليه لغة وعرفا والمثال بالكسر في الاصل اسم من
ماثله مماثلة اذا شابهه ثم استعمل بمعنى الصورة والشكل فقالوا هذا مثاله

اى صورته وشكله وادخرت الشى على افتعلت اى ذخرته اذا اعددته
لوقت الحاجة اليه واعددته اعدادا هيأته وقنع بالشى من باب تعب
قناعة رضى به ووثق به يثق بكسرهما ثقة ووثوقا اعتمد وعلى وفاته وتخير
الشى والمعنى اجعل صورة ما اعددته لى لوقت الحاجة اليه الا ما اعددته اعدادا اهيأته
من ثوابك وجزائك على الصبر على مظلمتى وهيأته لظالمى من عقابك واشفاك
حاجته فى عقلى وصبرة ذلك سببا لحصول رضاى بالذى قضيته وحكمت به لى و
اعتمادى على ما خولته لى من تلافيه الا حدلى و ترك الانتقام ممن ظلمنى الى يوم
الفصل ومجمع الخصم حكى الزمخشرى فى ربيع الابرار ان عامر بن مهذلة رحل قد
صلبه الحجاج فقال يا رب ان حلمك عن الظالمين قد اضر بالمظلومين فرأى فى
منامه ان القيامة قد قامت وكانه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها فى اعلى عليين
واذا منادى حلمى عن الظالمين احل المظلومين فى اعلى عليين آمين رب
العالمين اى افعل ذلك واستجب واعطنا ما سألناك او كذلك فافعل على الخلاف
فى معناها كما مر يا رب العالمين وحذف حرف النداء استشعارا لاقباله تعالى عليه
او القربة منه اذ كان اقرب من حبل الوريد وقد اسلفنا الكلام مبسوطا
على هذه العبارة فى آخر الروضة الثانية عشر انك ذو الفضل العظيم وانت
على كل شى قدير تعليل للدعاء والسؤال ولاعطاء السؤال ومزيد
استدعاء للاجابة وذو بمعنى صاحب اى صاحب الفضل العظيم لكن ذو يقتضى
تعظيم ما اضيفت اليه والموصوف بها بخلاف صاحب فيهما والفضل الاحسان
ابتداء ولما كان كل خير منه تعالى واحسان فى الدين والدنيا ابتداء منه وتفضلا
من غير استحقاق من المحسن اليه صدق انه ذو الفضل العظيم والمن الجسيم وقوله
انت على كل شى قدير تعليل لاعطاء المسؤل فان اتصافه سبحانه تعالى بالقدرة

الذاتية الجامع المعتد وداثت بحيث لا يشذ من ملكه شى من الاشياء يستدعى
اندراج قدرته على اعطاء هذا المسؤل وابلاغ هذا المأمول فى تلك الجملة
فلا غرو ان اجاب واعطى واثاب والله تعالى اعلم هذا آخر الروضة الرابعة عشرة
من رياض السالكين فى شرح صحيفة سيد العابدين
وفق الله تعالى لاتمامها وانقطاف ورود
اكمامها اكمامها آخر يوم السبت
تسع خلون من محرم الحرام مفتتح
عام تسع وتسعين
والف ولله
الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المحمود في العافية والبلاء المشكور على اللأواء والآلاء والصلوة والسلام على نبيه اشرف الاولاد وعلى آله وعترته السادة الاجلاء وبعد

هذه الروضة الخامسة عشرة من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الخامس عشر من صحيفة سيد العابدين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين املاء راجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني بلغه الله تعالى غايات آماله ووقاه شر نفسه وسيئات اعماله وكان من دعائه عليه السلام اذا مرض او نزل به كرب او بلية مرض الحيوان مرضا من باب تعب والمرض قيل حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل ويعلم من هذا ان الآلام اعراض عن المرض وقيل هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص وقيل هو هيئة بدنية تكون الافعال بها لذاتها مؤفة ولا بد من كون الآفة محسوسة لان الاحساس بضرر الفعل شرط في كون الهيئة مرضا والا كان جميع الناس في مرض دائما بالقياس الى افضل الهيئات والكرب الغم يأخذ بالنفس وكربه الامر يكربه من باب قتل شق عليه واهمه وهو رجل مكروب مهموم والكربة بالضم اسم منه والبلية البلاء وهو الاصابة بالمكروه اللهم لك الحمد على ما لم ازل اتصرف فيه من سلامة بدني ولك الحمد على ما احدثت بي من علة في جسدي قدم الجار والمجرور الذي هو الخبر في قوله لك الحمد في الموضعين للحصر اي لك الحمد وحدك من غير شريك اصلا ولا مدخل فيه لاحد ولم ازل اي لم ابرح يقال ما زال يفعل كذا مثل ما برح قرنا ومعنى والمراد بها ملازمة الشيء والحال الدائم ولذلك قيل هي لثبوت خبرها لاسمها على الاستمرار مذ قبله التصرف اي التقلب قال في القاموس صرفته في الامر تصريفا فتصرف قلبه

فتقلب

فتقلب من في الموضعين بيانية والسلامة تعرّي الحيوان من الآفات وصحّة حا منه يكون بها بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث يصدر عنه الافعال كلها صحيحة فهي بهذا المعنى مرادفة للصحة وحدث الشيء حدوثا من باب قعد تجدد وجوده بعد ان لم يكن فهو حادث وحديث ومنه يقال حدث به عيب اذا تجدد وكان معدوما ويتعدى بالالف فيقال احدثته والعلة عبارة عن معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل ومنه سمي المرض علة لانه بحلوله يتغير حال الشخص من القوة الى الضعف والبدن والجسد قيل هما مترادفان بمعنى الانسان قال الجوهري بدن الانسان جسده وقال صاحب العين وتبعه صاحب القاموس البدن من الجسد ما سوى الشوى والرأس والشوى كالنوى اليدان والرجلان وكل ما ليس مقتلا كالقوائم وقال في البارع لا يقال الجسد الا للحيوان العاقل وهو الانسان والملائكة والجن ولا يقال لغيره جسد فما ادري يا الهي اي الحالين احق بالشكر لك واي الوقتين اولى بالحمد لك الفاء للترتيب الذكري والمراد به كون ما بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها لا ان مضمون ما بعدها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان فان التردد في حالي السلامة والعلة ووقتيهما ايهما احق بالشكر واولى بالحمد يصح بعد جري ذكرهما ودرى دريا من باب رمى في دراية علمه واي اسم استفهام وهو مبتدأ واحق خبره والجملة في محل النصب مفعولا لادري لان وقوعها بعد ادري في ماله صدر الكلام وهو الاستفهام هنا اوجب تعليقه اي ابطال عمله لفظا مع بقائه محلا وقولهم هو احق بكذا واولى بكذا يستعمل بمعنيين احدهما اختصاصه بذلك من غير مشاركة نحو زيد احق واولى بماله اي لا حق لغيره فيه والثاني ان يكون افعل تفضيل فيقتضي اشتراكه مع غيره وترجيح الاول على غيره كقولهم زيد احسن

وجهار فلان ومعناه ثبوت الحسن لهما وترجيحه للاول قاله الازهري وغيره والمعنى الثاني هو المراد هنا وانما ردد عليه السلام في ترجيح احد الحالين على الآخر في الشكر والحمد لاقتضا كل منهما شكره تعالى وحمده لما ترتب عليه من الرغايب والفوايد كما شرحه عليه السلام بقوله او وقت الصحة التي هنأتني فيها طلبات رزقك ونشطتني بها لابتغاء من مرضاتك وفضلك وقويتني معها على ما وفقتني له من طاعتك ام وقت العلة التي محصتني بها والنعم التي اتحفتني بها وقت مرفوع على البدلية من قوله واي الوقتين وهو بدل كل من كل وقرنت بهمزة الاستفهام لتضمن المبدل منه معناها قال ابن مالك في التسهيل ويقرن البدل في الحقيقة هو مجموع المعطوف والمعطوف عليه قوله او وقت الصحة ام وقت العلة لا كل واحد من شقي التفصيل كما توهمه عبارة النحويين من قولهم بدل الكل يطابق متبوعه في الافراد وضده ما لم يقصد التفصيل كمررت برجلين قايم وقاعد مجموعهما هو البدل لا كل منهما فالمطابقة حاصلة مع التفصيل ايضا لكن قال الدماميني في شرح التسهيل وباقي هنا بحث وهو انه اذا كان مجموعهما هو البدل فما هو العامل في كل واحد منهما مع ان مفرده غير بدل وهذا في البدل كقولهم في الخبر الرمان حلو حامض انتهى وهنا في الطعام يهنئني من باب نفع ساغ ولذ وهنأه بالتثقيل سوغه وطيبات الرزق مستلذاته ومنه قوله تعالى كلوا من طيبات ما رزقناكم بالمستلذ اللذيذ وقيل المباح الحلال وقيل المباح الذي يستلذ اكله والضمير المؤنث من قوله فيها يحتمل عوده الى الوقت لاكتسابه التانيث من المضاف اليه كقول الشاعر طول الليالي اسرعت في نقضي وقول الآخر وما حب الديار شغفن قلبي وهو كثير في فصيح الكلام ويحتمل كونه للصحة قال ابن هشام في المغني ويحتمل ان يكون

من ذلك

من ذلك وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها اي من الشفا ويحتمل ان الضمير للنار ونشطا ينشط من باب تعب خف واسرع وطابت نفسه لعمله وتعدى بالتثقيل نشط تنشيطا والباء من بها اما للظرفية او للسببية او الاستعانة وبغيت الشيء ابغيه بغيا وابتغيته ابتغاء طلبته والمرضاة الرضوان كالمغفرة بمعنى الغفران والفضل هنا بمعنى الخير والرزق وفسر قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اي واطلبوا الرزق في الشراء والبيع عن الحسن وابن جبير المراد بقوله وابتغوا من فضل الله طلب العلم وقيل صلوة التطوع وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وروى عمر بن يزيد عن ابي عبد الله عليه السلام قال اني لاركب في الحاجة التي كفاها الله تعالى ما اركب فيها الا التماس ان يراني الله اضحى في طلب الحلال ما تسمع قول الله عز اسمه فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقويتني معها اي مقارنا لوقت الصحة او للصحة وام متصلة لوقوعها بعد همزة الاستفهام والتمحيص التخليص من الذنوب قال الزمخشري في الاساس محص الشيء محصا ومحصه تمحيصا خلصه من كل عيب ومحص الذهب بالنار خلصه مما يشوبه ومن المجاز محص الله التائب من الذنوب ومحص قلبه وتمحصت ذنوبه انتهى ومحص قلبه وتمحصت ذنوبه انتهى وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ما من مسلم عرض له مرض الا حط الله به خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وعن امير المؤمنين عليه السلام ان المرض يحط السيئات ويحتها حت الاوراق وعن ابي عبد الله عليه السلام حمى ليلة كفارة لما قبلها وما بعدها وفي حديث ما يزال الوصب والمصائب بالعبد حتى يتركه كالفضة المصفاة وفي حديث آخر ان المريض يخرج من مرضه نقيا من الذنوب كيوم ولدته

اسود فتساقط عنه خطاياه كما يتساقط الورق من الشجر في الخريف قال بعض الحكماء
العلماء وتمحيص الذنوب بالمرض باعتبار امرين احدهما ان المريض تنكسر شهوته
وغضبه اللذان هما مبدا الذنوب والمعاصي ومادتها والثاني ان من شان المرض
ان يرجع الانسان فيه الى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها
كما قال تعالى واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما الاية فما كان من السيئات
والذنوب حالات غير متمكنة من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما صار ملكة
فربما يزول بطول المرض ودوام الانابة الى الله تعالى انتهى ونعني بالنعمتين اللتين برتني
واكرمتني بهما الى الحفه اذا وصله بتحفه بالضم وهي البر واللطف واراد عليه السلام بالنعم
المثوبات والاجور المترتبة على المرض المنسبة عنه وفي الحديث عن النبي صلعم
ايكم يحب ان يصح فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال اتحبون ان تكونوا كالحمير الصوالة
لا تحبون ان تكونوا اصحاب البلايا واصحاب كفارات والذي بعثني بالحق ان
الرجل ليكون له الدرجة في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمله فيبتليه الله ليبلغ
درجة لا يبلغها بعمله وفي كلام بعض السلف ان في العلل نعما لا ينبغي للعاقل ان
يجحدها منها تمحيص الذنوب والتعرض لثواب الصبر والتيقظ من الغفلة والاذكار
بالنعمة في حال الصحة واستدعاء التوبة وحثها على الصدقة فان قلت قد روي
عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان
من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه يحط السيئات ويحتها
حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام وان الله
يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة فان هذا الكلام
منه عليه السلام نص على انه لا مثوبة ولا اجر في المرض فكيف يترتب عليه المثوبات
ويتسبب عنه الاجور التي عبر عنها بالنعم قلت ترتب المثوبات والاجور عليه

يكون

٣٢٥

يكون باحتساب المشقة فيه لله تعالى بصدق نية العبد مع صلاح سريرته
فان ذلك يكون معدا لافاضة الاجر والثواب عليه فيدخل ذلك في عداد
الملكات المقرونة بنية القربة الى الله تعالى والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله
وان الله يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة وقد
يتسبب ايضا عنه باعتبار الصبر عليه والتضرع الى الله تعالى فيه كما ورد في حديث
اخر وهو ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام عن ابيه عن ابيه عن جده عن مولانا
الحسين بن علي عليهما السلام قال عاد امير المؤمنين عليه السلام سلمان الفارسي
فقال يا ابا عبد الله كيف اصبحت من علتك فقال يا امير المؤمنين احمد الله
كثيرا واشكو اليك كثرة الضجر قال فلا تضجر يا ابا عبد الله فما من احد من
شيعتنا يصيبه وجع الا بذنب قد سبق منه وذلك الوجع تطهير له قال
سلمان فان كان الامر على ما ذكرت وهو كما ذكرت فليس لنا في ذلك شيء غير التطهير
قال بلى يا سلمان لكم الاجر بالصبر عليه والتضرع الى الله عز اسمه والدعاء بهما
تكتب لكم الحسنات وترفع لكم الدرجات اما الوجع خاصة فهو تطهير و
كفارة فقبل سلمان ما بين عينيه وبكى وقال من كان يميز لنا هذه الاشياء الا
لولاك يا امير المؤمنين فهذا الحديث صريح في المطلوب ويحتمل ان يكون المراد
بالنعم الالام التي هي اعراض عن العلة عبر عنها نعما لما يترتب عليها من الفوائد
من تخفيف الذنوب والتطهير من السيئات والتنبيه على الانابة الى غير ذلك
كما اشار اليه عليه السلام بقوله تخفيفا لما ثقل به على ظهري من الخطيئات وتطهيرا
لما انغمست فيه من السيئات وتنبيها لتناول التوبة وتذكيرا لمحو الحوبة بقديم النعمة
اي لاجل التخفيف فهو مفعول له ويحتمل النصب على المصدرية اي تخفف تخفيفا
او الحاق تخفيف لا يقال هذا يعين كون المراد بالنعم الالام والاسقام لا نفسها

التی یحصل بها التخفیف والتطهیر والتنبیه والتذکیر لا المثوبات والاجور لانا نقول
المثوبات والاجور تقتضی التخفیف والتطهیر ایضا کما قال تعالی ان الحسنات یذهبن
السیئات وبها یحصل التنبیه للانابة والتذکیر لمحو الخطیئة ایضا فان من صبر علی
بلواه محتسبا الاجر عند الله فلا بد ان یتنبه للتوبة علی ما فرط منه ویتذکر قدیم
نعم الله علیه من العافیة فیتدارک سیئاته بالندم علیها والرجوع عنها واللام فی
قوله علیه السلام لما ثقل یحتمل ان یکون للتعلیل ای تخفیفا عنی لاجل ما ثقل علی ظهری
وان یکون مقویة للعامل لکونه فرعا فی العمل مثل صرفی لزید حسن وجملة
الصلة من قوله ثقل علی ظهری استعارة تمثیلیة مثل حاله فی تحمل الخطیئات بحال
من حمل علی ظهره احمالا ثقیله فثقلت علیه والتخفیف من ترشیح الاستعارة وفی
قوله لما انغمست محتمله للتعلیل ایضا ای تطهیرا لاجل ما انغمست فیه وان یکون
بمعنی من ای تطهیرا مما انغمست فیه واما التقویة فبعیدة لان التطهیر لا یکون
لما انغمس فیه الا اذا ارید به معنی الازالة واصل الانغماس فی الماء استعارة
لارتکاب الذنوب والسیئات بجامع الوغول فی التلبس وهی استعارة تبعیة
تصریحیة وفی قوله لتناول التوبة وفی قوله لمحو الحوبة للتعلیل والحوبة بالفتح الخطیئة
من حاب حوبا من باب قال اذا اکتسب الاثم والاسم الحوب بالضم وقیل المضموم والمفتوح
لغتان فالضم لغة الحجاز والفتح لغة تمیم والباء فی قوله من تقدیم النعمة متعلقة بالتذکیر
ای تذکیرا بتقدیم النعمة العافیة المتقدمة علی المرض فان الانسان لا یذکر العافیة
ویعرف قدرها الا عند المرض کما ورد فی الحدیث نعمتان مجهولتان الامن والعافیة
وقیل من ذاق السقم وجد حلاوة العافیة ولما کان جهل النعمة خطیئة وکفرانها
وکان ذکرها شکرا لها وازالة الجهل بها کان التذکیر بها سببا لمحو الحوبة
التی هی عبارة عن جهلها قال عمرو بن بحر البصری رضی الله عنه اخبر بتلک دعو

ت الله ان لا یذهب بمادة عزک وقلت اللهم دع فی جسدی ما اذکر به
نعمتک علی قال وما ادرینک وما اطلع علی هذا بشر قال اخبرنا رسول الله صلی الله
علیه وآله وسلم واما ما قیل من ان الباء من قوله بتقدیم النعمة للسببیة وهی متعلقة
بمحو التوبة ای بتقدیم النعمة التی وقفتنی علیها لدفع الشبهات وقیل من قال
ان المراد بتقدیم النعمة العنایات المندرجة فی هذه المحنة لانها نعمة قدیمة مندرجة
من الازل فهی اقوال لا تصیب شاکلة الصواب ولا تکشف لها عن وجه القبول
حجاب وفی خلال ذلک ما تکتب لی الکاتبات من زکی الاعمال ما لا قلب فکر فیه
ولا لسان نطق به ولا جارحة تکلفته بل افضالا منک علی واحسانا من صنیعک الی
الواو للحال والخلال جمع خلل بفتحتین مثل جبل وجبال وهو الفرجة بین الشیئین
ویکون مفردا ایضا بمعنی قال الفارابی فی دیوان الادب فی باب فعال بکسر الفاء
یقال خلال ذلک ای بین ذلک وفی القاموس هو خللهم وخلالهم بکسرهما و
بفتح الثانی بینهم ای وفی اثناء ما ذکر من العلة والنعم التی اتحفتنی بها ما تکتبه
لی الکاتبات من زکی الاعمال ای طاهرها من زکا بمعنی طهر ومنه قوله تعالی
ما زکی منکم من احد ای ما طهر ومنه نفسا زکیة ای طاهرة لم تأت ما یوجب قتلها
او صالح الاعمال من زکا الرجل یزکو اذا صلح ومن زکیته بالتثقیل نسبته الی الزکاء
هو الصلاح فهو زکی وما فی ما لا قلب بدل من ما التی قبلها ولا اما لنفی
الجنس وما بعدها اسم لها فهو مبنی علی الفتح او مرفوع بالابتداء علی انها ملغاة لتکررها ولا الثانیة
والثالثة اما زائدتان او ملغاتان کالاولی وما بعد کل منهما مبتداء
معطوف علی مبتداء او عاملة عمل لیس فی المواضع الثلاثة فما بعد کل
منها مرفوع بها ولک جعل الاولی عاملة عمل لیس والثانیة زائدتان او
مهملتان وبالعکس والتفریق فظهر ان ما حکم به بعضهم من تعین کونها لا

عاملة عمل لبس بشيء وفكر في الشيء من باب ضرب وافكر بالالف وتفكر و
فكر تفكيرا اعمل فيه الفكر بالكسر وهو ترتيب امور معلومة في الذهن لتؤدي
الى مطلوب يكون علما او ظنا وقيل الفكر تصرف القلب في معاني الاشياء
لدرك المطلوب ونطق ينطق من باب ضرب تكلم بصوت وحروف تعرف
بها المعاني ويقال نطق اللسان كما يقال نطق الرجل والجارحة من الانسان ما
يكتسب به من اعضائه كاليد والرجل والجمع جوارح وتكلف الشيء فعله و تحمله
على مشقة وبل حرف اضراب ومعناه هنا الانتقال من غرض الى آخر لا الابطال
وهي حرف ابتداء لا عاطفة على الصحيح لكون متلوها جملة وافضالا منصوب
على المصدرية اي بل فضلت افضالا كما تنا ابدا ومنك علي واحسنت احسانا
كالينا من صنيعك الخ وقيل وفيه شاهد على مجي صنيع مصدرا لصنع المتعدي
بالى كالصنع بالضم فلا يختص بالمتعدي بالباء كما تفهمه عبارة الجوهري في
الصحاح حيث قال الصنع بالضم مصدر قولك صنع اليه معروفا وصنع به صنيعا
قبيحا اي فعل انتهى وتبعه صاحب القاموس فقال صنع اليه معروفا كمنع صنعا
بالضم وصنع به صنيعا قبيحا فعله انتهى ولا شاهد فيه لاحتمال ان يكون الصنيع
هنا بمعنى الصنيعة وهو ما اصطنع من خير قال في القاموس ما احسن صنع الله
بالضم وصنيع الله عندك وقال الزمخشري في الاساس نعم الصنيع صنيعك
وما احسن صنع الله عندك ومن في قوله من صنيعك يحتمل ان يكون ابتدائية
وان تكون تبعيضية وحرف المجاوزة متعلق بالاحسان كما ان حرف الاستعلاء
متعلق بالافضال وقد ورد مضمون هذه العبارة من الدعاء احاديث كثيرة
منها ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال
ان رسول الله صلى الله عليه وآله رفع راسه الى السماء فتبسم فقيل له يا رسول الله

رأيناك رفعت راسك الى السماء فتبسمت قال نعم عجبت لملكين هبطا من السماء
الى الارض يلتمسان عبدا صالحا مومنا في مصلى كان يصلي فيه ليكتبا له عمله
في يومه وليلته فلم يجداه في مصلاه فعرجا الى السماء فقالا ربنا عبدك فلان
المومن التمسناه في مصلاه لنكتب له عمله ليومه وليلته فلم نصبه فوجدناه
في حبالك فقال الله عز وجل اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحته من الخير
في يومه وليلته ما دام في حبالي فان علي ان اكتب له اجر ما كان يعمله اذ حبسته
عنه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز
وجل للملك الموكل بالمومن اذا مرض اكتب له ما كنت تكتب له في صحته فاني
انا الذي صيرته في حبالي وعنه عليه السلام قال اذا صعد ملكا العبد المريض الى
السماء عند كل مساء يقول الرب تبارك وتعالى ما ذا كتبتما لعبدي في مرضه
فيقولان الشكاية فيقول ما انصفت عبدي ان حبسته في حبس من حبسي
ثم امنعه الشكاية اكتبا لعبدي مثل ما كنتما تكتبان له من الخير في صحته ولا تكتبا
عليه سيئة حتى اطلقه من حبسي فانه في حبس من حبسي اللهم فصل على محمد و
آله وحبب الي ما رضيت لي ويسر لي ما احللت بي وطهرني من دنس ما اسلفت
وامح عني شر ما قدمت الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فصل على محمد
وآله وحبب الي اي اجعل ما رضيته لي واخترته لي محبوبا عندي حتى اوثره
على سواه واميل اليه طبعا لما فيه من الفوائد المذكورة وانما سال ذلك عليه السلام
لان المرض على خلاف هوى النفس ومحبة الانسان العافية والسلامة وكراهيته
للمرض والبلاء بحسب الطبع وان حكم العقل بترجيح المرض على الصحة لما فيه
من الفائدة لكن الحب الطبيعي النفساني اشد من الحب العقلي فسال عليه السلام ان يكون
طبعه تابعا لعقله في حبه فلا يكره بالطبع ما رضي الله تعالى واختاره له ويسر له الهني
تيسيرا سهله واحللته به انزلته من حلا بالمكان نزل به وطلب التيسير هنا

يحتمل معنيين احدهما افاضة قوة عليه يستعد بها التحمل ما احله به من المرض بجميل
الصبر وحسن الثبات فلا يضجر من مقدوره تعالى بل يرى ذلك هينا يسيرا في حسبانه
بتصوره من الفوائد المترتبة عليه والثاني افاضة قوة من اجرها لا يتاثر بها من اجله
وبدنه مما احله كثير تاثر بل يقوى عليه ولا يضعف عنه كما يقوى الرجل القوى
على الحمل الثقيل وفي زيادة كلمة لي مع انتظام الكلام بدونها تاكيد لطلب التيسير بابهام
الميسر اولا وتفسيره وثانيا وبيانه انه ابهم اولا بقوله ويسر لي فعلم اولا
بقوله ويسر لي فعلم ان ثمة ميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر الميسر وهو قوله
ما احللت لي فكان او كذالك تكرير للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل
قوله عليه السلام وطهرني من دنس ما اسلفت طهر الشيء تطهيرا نقاه من الدنس و
النجس والدنس محركة الوسخ وهو استعارة للمعاصي والذنوب لان عرضها المعترف
لها يتلوث ويتدنس بها كما يتلوث بدنه بالاوساخ والتطهير ترشيح واسلفته
قدمته من سلف سلوفا من باب قعد اذا مضى وتقدم ومحاه محوا من باب قتل
ازاله واذهب اثره والمراد بالشر هنا القبيح اي قبيح ما قدمته من الاعمال قوله
حلاوة العافية واذقني برد السلامة واجعل مخرجي عن علتي
الى عفوك ومتحولي عن صرعتي الى تجاوزك وخلاصي من
كربي الى روحك وسلامتي من هذه الشدة الى فرجك ادخله الله
مطلوب المغفرة به وحلاوة العافية اي راحتها ولذتها استعار لفظ الحلاوة
التي هي حقيقة في الكيفية المخصوصة بالاجسام للراحة الحاصلة من العافية
بجامع اللذة وهي استعارة مطلقة والعافية اسم من عافاه الله محا عنه الاسقام
وقد توضع موضع المصدر فيقال عافاه الله عافية وهي مصدر جاءت
على فاعله ومثله ناشئة الليل اي نشوء الليل والخاتمة بمعنى الختم والعاقبة

معنى العقب ومنه ليس لوقعتها كاذبة اي ليس لاجل وقوعها وفي حصولها كذب بل
كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق ولا ريب فيه قال النووي العافية
متناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن والدين والدنيا والاخرة
وقال الطيبي هي لفظ جامع لانواع خير الدارين والذوق ادراك طعم الشيء
بواسطة الرطوبة المنبثة بالعصب المفروش على جرم اللسان يقال ذقت الطعام
اذوقه ذوقا وذوقانا ومذاقا اذا عرفته بتلك الواسطة ويتعدى الى ثان بالهمزة
فيقال اذقته الطعام والاصل فيه ان يتعلق بالاجسام ثم استعمل في
المعاني مجازا استعمالا فاشيا برد السلامة استعارة لطيبها وهنا بجامع اللذة
قال الزمخشري في الفائق والاصل في وقوع البرد عبارة عن الطيب ان الهواء
والماء لما كان طيبهما ببردهما خصوصا في بلاد تهامة والحجاز قيل هواء بارد
على سبيل الاستطابة ثم كثر حتى قيل عيش بارد وغنيمة باردة انتهى والمخرج
مصدر ميمي يقال خرج من المكان خروجا ومخرجا ووجدت للامر مخرجا
اي مخلصا شبه الابدال من العلة بالخروج من المكان بجامع الخلاص وانما
قال عن علتي ولم يقل من علتي مع ان المعروف خرج منه لانه قصد الانفصال
قال الرضي اذا قصدت بمن مجرد كون المجرور بها موضعا ينفصل عنه الشيء
وخرج منه لا كونه مبدأ الشيء ممتدا جاز ان يقع موقعه عن لان عن للمجاوزة
تقول انفصلت منه وعنه ونهيت من كذا وعن كذا انتهى والمتحول مصدر ميمي
ايضا من تحول من مكانه بمعنى انتقل عنه والصرعة بالفتح المرة من الصرع
وهو الطرح على الارض وبالكسر النوع منه وقد وردت الرواية في الدعاء
بالوجهين والمراد بها هنا انطراحه وسقوطه على الارض بسبب المرض والخلاص
مصدر خلص الشيء من التلف خلاصا وخلوصا ومخلصا سلم ونجا والكرب

المشقة والغم بالاخذ بالنفس والروح بالفتح الراحة والغم والفرج بفتحتين
اسم من فرج الله الغم بالتشديد كشفه انك المتفضل بالاحسان المتطول
بالامتنان الوهاب الكريم ذو الجلال والاكرام
المتفضل المبتدى مالا يلزمه من تفضل عليه افضل افضالا اذا فعل معه
من الجميل مالا يلزمه ابتداء وكذلك تطول عليه لما كان الله تعالى مبتديا
لا يلزمه كان احسانه وامتنانه تفضلا وتطولا والامتنان افتعال من المنة
وهي النعمة الثقيلة والوهاب من ابنية المبالغة من الهبة وهي العطية الخالية
من الاعراض والاعواض فاذا كثرت العطايا والصلات سمي صاحبها وهابا
ولم تتصور الهبة الخالصة الا من الله تعالى لانه وهب لكل محتاج ما يحتاج من
غير قال بعض ارباب القلوب من تحقق باسمه الوهاب لم يجد في باطنه
حاجة الى مخلوق ولا يخطر بباله سؤال غير الله تعالى ولا يلتفت بباطنه الا الى الله تعالى
والكريم الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه ذو الجلال والاكرام اي ذو العظمة
والتكبير وقيل معناه والاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده
الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وقيل ذو العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح
باحسانه الذي هو في اعلى مراتب الاحسان وانعامه الذي هو اصل كل انعام والمكرم
لانبيائه واوليائه بالطافه مع عظمته وجلاله وقيل معناه انه اهل ان يعظم و
ينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الانسان لغيره انا اجلك عن كذا واكرمك
عنه كقوله تعالى هو اهل التقوى اي اهل ان يتقى وقيل ذو الجلال اي صفات التنزيه
نحو لا جوهر ولا عرض ولا شريك له ولا جهة له والاكرام صفات الوجود مثل العلم
والقدرة وقيل الجلال صفة ذاته والاكرام صفة فعله وبالجملة هذه الصفة من
عظائم صفاته تعالى نعته صلى الله عليه وآله وسلم الظوا بياذا الجلال والاكرام اي

اكثر

اكثروا من قوله وثابروا عليه ومر عليه السلام برجل وهو يصلي ويقول
ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك وقيل انه اسم الله الاعظم والله اعلم
٣٢٩ هذا آخر الروضة الخامسة عشر من رياض السالكين في شرح
صحيفة سيد العابدين صلوات الله وسلامه عليه
وعلى آبائه وابنائه الطاهرين وقدس الله
تعالى لاتمامها واختتامها بحسن ختامها
آخر يوم الاربعاء الثالث
يقين من محرم الحرام
اول شهور سنه
تسع وتسعين والف
والحمد لله

فقد تنبهت له ومن ذكرك شيئاً فقد نبهك عليه وقال الواحدي معنى الذكر
حضور المعنى في النفس ثم يكون تارة بالقلب وتارة بالقول وليس شرطه ان
يكون بعد نسيان انتهى واحسانه تعالى تفضله وتطوله وفزع اليه يفزع من باب
فرح لجأ اليه واعتصم به وقال في المحكم فزع الى القوم استغاثهم وفزع فلان
القوم وافزعهم اغاثهم قال زهير اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم طوال الرماح
لا ضعاف ولا عزل وفزع اليه لجأ والمضطر مفتعل من الضرورة وهو الذي اصابه
ضره وبلغ منه كل مبلغ والمعنى ان كل مضطر لا يفزع ولا يلجأ الا الى ذكر احسانه
تعالى اليه يكشف ضره كما قال سبحانه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون اي تضرعون
والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة والخيفة الخوف اصلها خوفة قلبت
الواو ياء لانكسار ما قبلها والانتحاب اشد البكاء يقال نحب ينحب من باب منع و
انتحب انتحابا والاسم النحيب والخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ من باب علم
اذا تعمد الذنب من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد يقال خطئ
اذا تعمد ما نهي عنه فهو خاطئ واخطأ اذا اراد الصواب فصار الى غيره
فهو مخطئ وقال خطئ في الدين واخطأ في كل شيء عامداً كان او غير
عامد وقال في القاموس خطئ في دينه واخطأ سلك سبيل خطاء عامداً
او غيره والخاطئ متعمد يا انس كل مستوحش غريب ويا فرج كل مكروب كئيب و
يا غوث كل مخذول فريد ويا عضد كل محتاج طريد الانس بالضم انس من باب
علم وفي لغة من باب ضرب اذا سكن قلبه ولم يستوحش والانس بالضم اسم منه و
استوحش وجد الوحشة وهي خلاف الانس والغريب فعيل بمعنى فاعل من
غرب الشخص بالضم غرابة بعد عن وطنه والاسم الغربة بالضم والفرج بفتحتين
انكشاف الكرب والهم وفرج الله الهم كشفه ورجل مكروب محزون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين مقيل عثرات المذنبين وراحم عبرات المنيبين و
غافر ذنوب المستقيلين وساتر عيوب المستغفرين والصلوة والسلام على
النبيين وعلى آله وعترته الهداة المهديين وبعد فهذه الروضة السادسة عشرة من
رياض السالكين في شرح الدعاء السادس عشر من صحيفة سيد العابدين صلوات الله
عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين املاء العبد الراجي فضل ربه السني علي صدر
الدين الحسيني الحسني وفقه الله لرضوانه وهداه سبيل عرفانه وكان من
دعائه عليه السلام اذا استقال من ذنوبه او تضرع في طلب العفو عن عيوبه استقال اي طلب
الاقالة وهي التجاوز عن الذنب واصلها من اقال عثرته اذا رفعه من سقوطه ومنه
الاقالة في البيع لانها رفع العقد واقالة العثرة استعارة للتجاوز عن الذنب
ومنه اقيلوا ذوي المروات عثراتهم والذنوب جمع ذنب وهو الاثم وعرف بانه
ما يحجب العبد عن الله وتضرع تذلل وابتهل وبالغ في السؤال من ضرع له يضرع
بالفتح فيهما ضراعة اي ذل والعفو المحو وعدي بعن لتضمينه معنى التجاوز والعيوب
جمع عيب وهو الوصمة وهو في الاصل مصدر عابه يعيبه لكنه استعمل اسما
فجمع على عيوب اللهم يا من برحمته يستغيث المذنبون ويا من الى ذكر احسانه تفزع
المضطرون ويا من لخيفته ينتحب الخاطئون تقدم الجار والمجرور على الفعل في المواضع
الثلاثة لافادة الحصر واستغاث به طلب اغاثته اي نصره واعانته وكشف
شدته يقال اغاثهم الله برحمته اي كشف شدتهم وخص الرحمة اما لانها بمعنى
ترك عقوبة من يستحقها فناسب استغاثة المذنبين بها واما بمعنى ارادة ايصال
الخير فهي متقدمة على المغفرة والعفو فلا يغفر ولا يعفو حتى يرحم فاستغاثوا
بها لترتب المغفرة عليها والذكر في اللغة التنبه لشيء واذا ذكرت شيئا

فقد

مهموم وكئيب من باب تعب كآبة بمد الهمزة حزن اشد الحزن فهو كئيب والغوث
اسم من اغاثه اذا اعانه ونصره واطلاق لفظ الانس والفرح والغوث عليه تعالى
وان كان ذلك من مجاز من باب اطلاق المسبب وخذله يخذله من باب قتل ترك
نصرته واعانته فهو مخذول والاسم الخذلان بالكسر والفريد المنفرد والعضد
ما بين المرفق الى الكتف ثم استعير للمعين والناصر والجامع الاستعانة وهي
استعارة تبعية وفي التنزيل ما كنت متخذ المضلين عضدا ويقال هو عضدي
وهم عضدي وهم اعضادي والطريد فعيل بمعنى مفعول من طرده طردا من باب
قتل اذا ابعده وهذه الاعتبارات الاربعة راجعة الى معنى واحد وهو كونه
تعالى ملجأ كل مضطر في ضرورته من وحشة وغربة وكآبة وكربة وخذلان
وانفراد واحتياج وابعاد فالمستوحش الغريب اذا ضاق به الامر فزع اليه
في ايناس وحشته وغربته والمكروب الكئيب اذا مسته واغاثته والمحتاج
الطريد اذا تناهى به الحال عول عليه في كفايته واعانته فعلم من كل الجزاء و
كشف بلواه وهذه الاعتبارات تستلزم كمال القدرة لله تعالى لشهادة فطرة
كل ذي ضرورة بنسبة جميع احوال وجوده وتستلزم كمال العلم له سبحانه
لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته وكل مفزع وملجأ غيره فللمضطر مجاز
لا حقيقة واضافي لا حقيقي وقد تفسر هذه الفقرات بمعنى هو من شأن
اهل التوحيد والعرفان وهو ان يقال ان كل ما يتصور ان يانس به كل ذي وحشة
ويفرح به كل ذي كرب ويغاث به كل مخذول ويعضد به كل طريد انما هو لمعة
من نور رحمته ورشحة من بحار لطفه ورافته اذ ليس في الوجود الا ذاته وصفاته
وآثاره فتحقق انه انس كل مستوحش وفرح كل مكروب وغوث كل مخذول وعضد
كل مطرود والله اعلم انت الذي وسعت كل شيء رحمة وعلما وانت الذي جعلت لكل

مخلوق

٣٢١

مخلوق في نعمك سهما ه وسع الاناء المتاع بالكسر يسعه بالفتح اي
اتسع له قال الزمخشري فان قلت تعالى الله عن المكان فكيف صح ان يقال
وسع كل شيء قلت الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شيء رحمتك وعلمك ولكن
ازيل الكلام عن اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين
على التمييز للاغراق في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان
كل شيء انتهى والمعنى انه لا اختصاص لرحمتك بشيء دون شيء بل شملت جميع
الاشياء ولا يختص علمك بمعلوم دون آخر بل انت عالم بكل معلوم وتقديم
الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا كما في آية المؤمن المقتبس منها وهي
قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما قال اكثر المحققين معنى اتساع رحمته
لكل شيء ان رحمته تعالى في الدنيا تعم الكل فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا
عاص بل ما من مكلف وغيره الا وهو متقلب في نعمته واما في الآخرة فهي مختصة
بالمؤمنين وقيل الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا شيء الا وقد خلقه الله تعالى
للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اغراض كثيرة والسهم النصيب
وهو في الاصل واحد السهام التي يضرب بها في الميسر وهي القداح ثم سمي
ما يفوز به الفالج سهما تسمية بالسهم المضروب به ثم كثر حتى سمي كل نصيب
سهما قاله الزمخشري في الفائق قيل ولما كان سوغ نعمه تعالى دائما لا تنفد
قدرته التي استلزمت طبايعها الحاجة اليه توجب لها فيض جوده اذ كل ممكن
مفتقر الى كرمه وجوده في حال وجوده صدق انه تعالى جعل لكل مخلوق في نعم
سهما وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته والظاهر
ان المراد بالفقرة اعني افاضة الوجود على الممكنات وبقوله جعلت لكل
مخلوق في نعمك سهما تخصيص كل ممكن بحصة من تلك الرحمة اعني الوجود الخاص

وما يتبعه من وجود كمالاته كما قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ويكون المراد
برحمته التي وسعت كل شيء ما يعم الكل في الاطوار كلها حينئذ في قوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء ويجعله كل مخلوق في نعمه سيما ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور
الوجود من النعم كما يدل عليه لفظ مخلوق فيبين انه تعالى خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما
يليق بها بطريق التفصيل واتى بلفظ النعم مجموعا ايذانا بتنوعها لان منها ما هو محسوس و
غير محسوس ومعلوم وغير معلوم الى غير ذلك وجملة بالعائد في غنى الموصول مخاطبا
واتيان الاكثر كونه غائبا كما في الفقرات الاتية استلذاذا بالخطاب وانت الذي
عفوه اعلى من عقابه وانت الذي سبقت رحمته امام غضبه على اي اغلب من
علا فلان فلانا بمعنى غلبه وقهره ومنه قوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى اي
انت الغالب عليهم والقاهر لهم ولما كان العفو خيرا وهو مطلوب بالذات والعقاب
شر وهو مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب كان عفوه تعالى اعلى من عقابه
روي ان حبيب بن الحارث قال لرسول الله صلى الله عليه وآله اني رجل مقراف
للذنوب فقال له تب الى الله يا حبيب فقال اني اتوب ثم اعود قال كلما
اذنبت فتب حتى قال عفو الله اكثر من ذنوبك يا حبيب وهو نص في ان الذنوب
والمعاصي المقتضية للعقاب والانتقام لا تغلب العفو وان كثرت لهو غالب عليها
فكان عفوه تعالى اعلى من عقابه وفي التنزيل وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير وفي الحديث ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة
ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه
وسبق يسبق سبقا من باب ضرب في مشيه والامام بالفتح نقيض الوراء وسبق الرحمة
امام الغضب عبارة عن سبقها له كما ورد في دعاء آخر سبقت رحمتك غضبك قال
شارح الفصوص في معنى سبق الرحمة الغضب اعلم ان الغضب في الجناب الالهي ليس الا

افاضة

٢٣٣

افاضة الوجود على حال غير ملائم للمغضوب عليه في المغضوب عليه بحيث يتضرر ويتألم
ولا شك ان تلك الافاضة امر وجودي يطلبها الوجود الذي هو الرحمة فما لم يتعلق الوجود
الذي هو الرحمة لم يتحقق الغضب فهو مسبوق بالرحمة وايضا افاضة الوجود مطلقا هو الرحمة
لكن قد يصير باعتبار متعلقه بصنع الغضب ولا شك ان اصلها يمنع الصنع متأخر
عنها فهذا معنى آخر لسبق الرحمة على الغضب وقد يجعل السبق بمعنى الغلبة فسبق الرحمة
الغضب باعتبار غلبتها عليه انتهى وقيل لما كانت الرحمة مقصودة اولا وبالذات
متقدمة على ما بالتبع كانت الرحمة سابقة للغضب والظاهر ان المراد هناك من كان من
اهل الرحمة والغضب توجهت اليه الرحمة قبل الغضب فسبقته اليه كما يدل على ذلك ايثار
صيغة الاستقبال الدالة على التجدد والاستمرار ومناسبة الجارية على مر الدهور وانت
الذي عطاؤه اكثر من منعه وانت الذي اتسع الخلائق كلهم في وسعه
العطاء بالمد وبقصر اسم من اعطيته الشيء اذا سمحت له به ويطلق على المعطى نفسه
ايضا والمراد هنا المعنى الاول المقابل له بالمنع وهو ضد العطاء ولما كانت نعم الله تعالى
المستفيضة من وجوده وعطاياه على خلقه غير منحصرة ولا معدودة كما قال سبحانه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكان منعه لا عن بخل ولا ضيق بل لحكمة ومصلحة
ظاهرة او خفية لا جرم كان عطاؤه اكثر من منعه وبيان ذلك ان ما من فرد من
افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا باصناف العنا
مبتلى بانواع البلا وهو بحيث لو تامله العبد ملقيا في نعم لا تحد ومنن لا
تحصى ولا تعد كانه قد اعطي كل ساعة فان من انعم ما حواه حيطة الامكان
والتمكن في قريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار العالم ودانت له جميع
الامم واذعنت لطاعته القلوب وخضعت لهيبته الرقاب فاز بكل مرام
ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من عين ونقد من جم

ولا شريك فيما هو بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت فائقة ونفائس
درر ثم قدر انه وقع من هذه مشروبا ومطعوما في حالة بلغت نفسه الحلقوم
فهل كان يشتري وهو في تلك الحال بجميع ماله من الملك والمال لقمة تحييه او شربة
ترويه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يسعى عليه ولا
تقع تلك اليه كلا بل يبذل اذن لك كل ما حوته اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته
شائبة خسران فاذن تلك اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالف رتبة مع
انهما على طرف الثمام ينالهما متى شاء من الليالي والايام او قدر انه احتبس منه
النفس فشاهد الموت وايقن بالفوت اما كان يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد
بل يعطي وهو له اي حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها
برمتها مع انه قد اتيح له في كل آن من غير منع ولا حرمان فهذا الظاهر والجلي
بحيث لا يخفى على احد من العقلاء وكم له سبحانه من نعم جليلة ودقيقة
لا يحيط بها نطاق التعبير ولا يعلمها الا العليم الخبير فاتضح انه تعالى معطي كل
ان عطايا لا تتناهى واما منعه سبحانه وان كان هو في الظاهر منعا فهو لكونه لا عن
بخل ولا ضيق بل لحكمة بالغة عين العطاء والاحسان والفضل والامتنان كما ورد
في الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده ذلك
وفي حديث وان من عبادي المؤمنين لعبادا لا يصلح لهم امر دينهم الا بالفاقة
والمسكنة والسقم في ابدانهم فابلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فيصلح
عليهم امر دينهم وانا اعلم بما يصلح عليه امر دين عبادي المؤمنين فتراه سبحانه كم
بين من حكمة منعه ما يقتضي العقل انه عين الجود ومع ذلك فالاستقراء دل
على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر الى غير ذلك حتى انه ما احله
سبحانه لعباده اكثر مما حرم عليهم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه

يصدق على

يصدق على جميعها اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام وما
ذلك الا لجوده الكامل وعطائه الشامل فسبحان من لا تنفد يده كثرة العطاء ولا
كرما وجودا قوله عليه السلام وانت الذي اتسع الخلائق كلهم في وسعه اتسع مطاوع
وسع الاناء فاتسع هو فيه مثل قولنا كسرت الاناء فانكسر فقولنا انكسر مطاوع لكسرت
ومعناه انه قبل الفعل اي الاثر وهو الكسر ولم يمتنع من قبوله فكانها طاوع الاول
قال في القاموس هذا الاناء يسع عشرين كيلا اي يتسع لعشرين وهذا يسع عشرون
كيلا اي يتسع فيه عشرون والوسع مثلثة الجدة والغنى كالسعة والهاء عوض عن الواو
ومن الاسماء الحسنى الواسع اي الذي وسع رزقه جميع خلقه ورحمته كل شيء وانت الذي
لا يرغب في جزائه من اعطاه وانت الذي لا يفرط في عقاب من عصاه
الجزاء بالمد المكافاة على الشيء ولما كان تعالى هو الغني المطلق في كل شيء عن كل شيء
صدق انه لم يعط من اعطاه رغبة في جزائه بل محض جوده وهو فياض الجود
عنه على كل قابل بقدر ما يقبله من غير بخل ولا منع ولا شائبة غرض ولا
ضميمة علة وبهذا الاعتبار كان كل شيء مربوبا له وهو رب كل شيء وكل عبد
فقير وهو مغنيه ومقنيه وفيه تنزيه له تعالى عن صفة المخلوقين الذين لا ينتج
في الجزاء من لوازم الاحتياج الذي هو من صفات المخلوق لا الخالق واذ لا احتياج
فلا رغبة في الجزاء والافراط في الامر يفرط افراطا اسرف وتجاوز الحد ولما كان
تعالى قائما بالقسط عدلا في الحكم لم يكن ليفرط في عقاب من عصاه ويشتط في
الانتقام منه فعل من يريد التشفي من عدوه بضرب الم الحنق بتعذيبه عليه وذلك
محال في صفة الله تعالى بل عقابه بقدر المعصية حسبما تقتضيه عصيان العاصي
كما قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الا مثلها وهم لا يظلمون وذلك من عظيم فضله تعالى وجزيل انعامه على عباده

حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب
المؤمنين امتنانا منه عليه وتفضلا وان عاقب عاقب على قدر الاستحقاق عدلا منه
وقسطا فان قلت كيف يكون عقابه على قدر الاستحقاق وكفر الكافر منقطع و
عذابه مؤبد قلت ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب الابدي
بناء على ذلك الاعتقاد وايضا الذي جحده الكافر هو ذات القدير سبحانه و
صفاته شئ لا نهاية له فيكون جحده لا نهاية له فكذا عقابه وفي رواية ابن ادريس
لا يفرط في عقاب من عصاه بتشديد الراء من فرط في الامر تفريطا اي قصر فيه و
ضيعه حتى فات والمعنى على هذا انه سبحانه لا يترك عقاب من عصاه اهمالا
وتقصيرا منه بل يجازي العاصي بمعصيته كما قال في محكم كتابه ليس بامانيكم ولا
اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا لا
يقال هذا يدل على ما ذهب اليه المعتزلة من القطع بوعيد الفساق ونفي الشفاعة
في درء العقاب لانا نقول هو مخصوص بالكفار وعلى تسليم عمومه هو مخصوص
بآيات العفو والمغفرة كقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء او يكون
عقابه وجزاؤه الالام والاسقام والهموم والغموم الدنيوية روي انه
لما نزلت الآية المذكورة بكى المسلمون وحزنوا وقالوا يا رسول الله ما ابقت
هذه الاية من شيء فقال صلى الله عليه وآله اما والذي نفسي بيده انها كما نزلت
ولكن ابشروا وقاربوا وسددوا انه لا يصيب احدا منكم مصيبة الا كفر الله بها
حتى الشوكة يشاكها احدكم في قدمه وعن ابي جعفر عليه السلام ان الله اذا كان
من امره ان يكرم عبدا وله ذنب ابتلاه بالسقم فان لم يفعل ذلك به شدد عليه
الموت ليكافيه بذلك وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اخرج عبدا من الدنيا وانا اريد

ان ارحمه

ان ارحمه حتى استوفي منه كل خطيئة عملها اما بسقم في جسده واما بضيق
في رزقه واما بخوف في دنياه فان بقيت عليه بقية شددت عليه عند الموت
والروايات في هذا المعنى كثيرة سلمنا ان العقاب والجزاء فيما يصل اليه في
الاخرة لكنه روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما نزلت الآية شقت على
المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا فكيف الجزاء فقال صلى الله
عليه وآله انه تعالى وعد على الطاعة عشر حسنات وعلى المعصية الواحدة واحدة
فمن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل
لمن غلبت آحاده اعشاره الحديث ونفي الشفاعة فاذا كانت شفاعة
من هو اهل الشفاعة باذن الله تعالى صدق انه لا ولي لاحد ولا نصير الا الله
جل جلاله وفي رواية اخرى يفرط في عقاب من عصاه من فرط في الامر يفرط
فرطا من باب كتب وله معنيان احدهما ان يكون بمعنى فرط في الامر تفريطا
بمعنى قصر فيه وضيعه كما يقال فرط في الامر فرطا وفرط تفريطا بمعنى والثاني
ان يكون بمعنى عجل وبادر منه قوله تعالى انا نخاف ان يفرط علينا اي يبادر
بعقوبتنا ويعجل علينا بها والمعنى على هذا انه سبحانه لا يعجل ولا يبادر في
عقاب من عصاه بل يحلم ويتأنى عليه ليراجع التوبة تفضلا منه او لما في ذلك
من المصلحة التي هو اعلم بها ومن اسمائه الحسنى الحليم اي الذي لا يستخفه شيء من
معاصي العباد ولا يستفزه الغضب عليهم ولكنه جعل لكل شيء امدا فهو
سنة البلوى وفي الحديث ان الله يمهل ولا يهمل قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم
فان الله كان بعباده بصيرا وانا يا الهي عبدك الذي امرته بالدعاء فقال
لبيك وسعديك ها انا ذا يا رب مطروح بين يديك امرته بالدعاء يكون مصدرا

التب بمعنى لب فيكون محذوف الزوايد والوجه الاول لان الاصل عدم الحذف
فالاصل ادوم الب لك لبين اى اقيم على طاعتك لبا كثيرا متتاليا متكررا
وليس المراد خصوص الاثنين وجعلنا التثنية دالة على التكثير لانها اول
تضعيف العدد وزعم يونس ان لبيك مفرد كلديك والاصل لبب كجعفر
قلبت الباء الاخيرة ياء لثقيل التضعيف ثم قلبت الياء الفا لتحركها وانفتاح
ما قبلها ثم صارت باء بالاضافة الى الضمير كلديك وعليك وسعديك
تابعة لبيك اى اسعدك اسعادا بعد اسعاد اى كلما دعوتني جيبتك و
ساعدتك ولا تستعمل بدونها وتستعمل لبيك بدونها وهما منصوبات
بعامل محذوف واجب والحذف لوجود القرينة وهي النصب المشعر بالحذف
وقيام التكرير مقام المحذوف كذا قيل ودفع بان التكرير لا يصلح لذلك لكونه
امرا معنويا فلا ينوب عن اللفظ المحذوف ثم يرد نحو فارجع البصر كرتين
لانه مصدر مثنى بمعنى التكرير ولم يجب حذفه قال الرضي ليس وقوع
المصدر مثنى من المصادر التي يجب بها وجوب حذف فعله سواء كان المراد
بالتثنية التكرير نحو ارجع البصر كرتين اى رجعا كثيرا مكررا او كان لغير التكرير
نحو ضربته ضربتين اى مختلفين بل الضابط لوجوب الحذف في هذا وامثاله اضافته
الى الفاعل او المفعول وبيانه انه لما كان ذكر الفاعل والمفعول بان يجعل فيهما الفعل
وتيضا مير والمستتر حذف الفعل في هذا وامثاله بقي المصدر مبهما لا يدرى
ما تعلق به من فاعل او مفعول فذكر ما هو مقصود المتكلم من احدهما بعد المصدر
ليختص به فلما تبين بعد المصدر بالاضافة قبح اظهار الفعل بل لم يجز وتقدير
عامل لبيك من معناها وعامل سعديك من لفظها والكاف فيهما في موضع المفعول
لان المعنى لزوما وانقيادا لاجابتك ومساعدة لمحبته وزعم الاعلم ان

الكاف

الكاف حرف خطاب لا موضع لها من الاعراب كهي في ذلك وحذفت النون
منها من ذلك فحذفت ورد بان وقوع الاسم الظاهر وضمير الغايب موضع
الكاف في قوله قلبي يدي سودو وقوله لبنيه لمن يدعوني يبطل كونها
حرفا قوله عليه السلام ها انا ذا يا رب مطروح بين يديك هذه الجملة يحتمل
ان تكون محكية بالقول ايضا فيكون في محل نصب ويحتمل ان تكون كلاما
مستانفا فتكون جملة مستانفة منقطعة عما قبلها لا محل لها من الاعراب
وطرحته طرحا من باب نفع رميت به والقيته فهو مطروح وبين اليدين
عبارة عن الامام بمعنى قدام لان ما بين يدي الانسان امامه وقدامه
وهو من باب التمثيل كما مر بيانه انا الذي اوقرت الخطايا ظهره وانا الذي
افنت الذنوب عمره اوقرت اى اثقلت من الوقر بمعنى الثقل يقال اوقر الدين
اذا كثر عليه وتوهم بعضهم انه من الوقر بمعنى الحمل وليس بصحيح اذ يكون المعنى
حينئذ انا الذي حملت الخطايا ظهره وقوله والخطايا هي الوقر هي المحمولة
فكيف تكون هي الحاملة والصحيح ما ذكرناه وهو استعارة مكنية تخييلية
شبه الخطايا في نفسه بالاعباء الثقيلة فيما يترتب عليها من الجهد والمشقة
ثم اثبت لها الايقار اى الاثقال الذي هو مختص بالمشبه به وهذا هو
التخييل وفنى الشئ كرضا فناء بالمد عدم ويعدى بالهمزة فيقال افنيته
واسناد الافناء الى الذنوب مجاز عقلي لتلبس الفاعل بها اذ المعنى انا الذي
صرف واذهب في اكتساب الذنوب عمره بجهله متعلق بعصاك والباء
للسببية اى بسبب جهله وليس المراد بالجهل هنا عدم العلم بل عدم التفكر
في العاقبة كما يفعله الجاهل ويعبر عن هذا المعنى الجهل بالسفه وهو خفة
تعرض للانسان من رغبة او رهبة او غضب ونحوه تحمله على عدم التفكر

وانا الذي بجهله عصاك ولم
تكن اهلا منه لذاك

في العاقبة فيعمل بخلاف طور العقل وموجب الشرع وبهذا المعنى فسر اكثر المفسرين قوله تعالى انما التوبة
على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال العلماء اي ملتبسين بها سفهاً فان
ارتكاب الذنب سفه وتجاهل وقال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه و
آله ان كل شيء عصى به العبد ربه فهو جهالة عمداً كان او خطأ وعن مجاهد
من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته قال العلامة الطبرسي في
مجمع البيان وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام فانه قال كل ذنب عمله
عبد وان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه فقد
حكى الله سبحانه قول يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله
تعالى وقال النيسابوري قال اكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله
جهالة ولهذا قال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي حيث لم
يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكانه لا علم له وبهذا التفسير تكون
المعصية مع العلم بانها معصية جهالة وقيل المراد انه جاهل بعقاب المعصية
انتهى واما حمل الجهل على عدم العلم فذهب اليه الجبائي في الاية وقال معناه
انهم يجهلون انها ذنوب ومعاصي فيفعلونها اما بتأويل يخطئون فيه واما
بان يفرطوا في الاستدلال على قبحها وضعف الرماني ذلك بانه خلاف ما
اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لا يكون لمن علم انها ذنوب توبة لان قوله
تعالى انما التوبة يفيد انها لهؤلاء دون غيرهم وقوله عليه السلام ولم تكن اهلاً
منه لذلك الواو للحال اي والحال انك لم تكن مستوجباً منه للعصيان يقال
هو اهل لكذا اي مستوجب له للواحد والجمع ويقال هو اهل كذا ايضاً بالاضافة
قال تعالى وكانوا احق بها واهلها وفي الحديث اهل الثناء والمجد اي مستحقهما

واصله

٣٤٦

واصله من الاهل بمعنى عشيرة الرجل وذوي قرباه **هل انت يا الهي راحم من دعاك**
فابلغ في الدعاء ام انت غافر لمن بكاك فاسرع في البكاء ه هذا الاستفهام
يمتنع حمله على حقيقته فالمراد منه طلب ايجاب الرحمة وسؤال تحققها سريعاً
قال الزمخشري في قوله تعالى وقيل للناس هل انتم مجتمعون المراد منه استعجالهم
واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه
ويحثه على الانطلاق ومنه قول تأبط شراً هل انت باعث دينار لحاجتنا
يريد ابعثه الينا سريعاً ولا تبطئ به انتهى ملخصاً وقول بعض المترجمين ان
الاستفهام هنا للتقرير ليس بشيء لان معنى التقرير حملك المخاطب على ان
يقر بامر يعرفه نحو هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون اي الم يثوبوا وهذا
المعنى ليس مراداً هنا قطعاً الا ان يراد بالتقرير التحقيق والاثبات نحو هل في
ذلك قسم لذي حجر وابلغ في الشيء اذا فعله بمبالغة قال الزمخشري في الاساس
ابلغت الى فلان اذا فعلت به ما بلغ به الاذى والمكروه البليغ والرواية
المشهورة فابلغ باسناده الى المتكلم وهو فعل مضارع منصوب بان مضمرة
بعد فاء السببية في جواب الاستفهام وفي رواية ابن ادريس فابلغ باسناده
الى ضمير الغائب فهو فعل ماض معطوف بالفاء على دعاك **قوله** عليه السلام
ام انت غافر لمن بكاك ام حرف عطف وهي هنا منقطعة ومعناها الاضراب
كبل وتقتضي مع ذلك استفهاماً والتقدير ام هل انت غافر لمن بكاك وبكى يبكي
بكى وبكاء بالقصر والمد مع ضم الباء فيهما وقيل القصر مع خروج الدموع
والمد على ارادة الصوت وقد جمع الشاعر اللغتين فقال **ش** بكت عيني
وحق لها بكاها **د** وما يغني البكاء ولا العويل **ه** ويقال بكاه وبكى عليه وبكى
له وبكاه بالتشديد بمعنى والمراد من البكاء على الله البكاء على ما فاته من طاعته

اوعلى ما ارتكب من عصيانه ويحتمل ان يكون على حذف الجار توسعا اى تشكو اليك كما
يقال شكاه حاله اى شكا اليه حاله فحذف واوصل وهو كثير واقع فى فصيح
الكلام كقوله تعالى فاستبقوا الصراط اى اليه وسنعيدها سيرتها اى اليها و
القمر قدرناه منازل اى قدرنا له منازل واسرع فى مشيه وغيره اسراعا عجل
قيل الاصل اسرع مشيه وفى زائدة وقيل الاصل اسرع الحركة فى مشيه وقيل
اسرع لازم كسرع نص عليه ابن سيده فيكون الظرف حالا اى اخذا فى البكا
وفى رواية واسرع بالواو العاطفة مسندا الى ضمير الغائب على انه فعل ماض
معطوف على بكاك **ام انت متجاوز عمن عفر لك وجهه تذللا ام انت مغن من
شكا اليك فقره توكلا** ام هذه كالتى قبلها الا انها تحتمل ان تكون
هنا منقطعة مع الاضراب استفهاما كما تقدم ويحتمل ان تكون لمحض الاضراب
والمعنى بل انت متجاوز من غير تقدير هل والتجاوز العفو والصفح وقد تقدم
الكلام عليه وعفر وجهه عفرا من باب ضرب وعفره بالتثقيل للمبالغة مرغه
فى العفر وهو وجه الارض ويطلق على مطلق التراب وتذللا وتوكلا يحتمل نصبهما
ان يكون على المصدرية اى فتذلل تذللا وتوكل توكلا ويحتمل نصبهما ان يكون على
المفعول لاجله اى لاجل التذلل والتوكل ومثل ذلك قوله تعالى يريكم البرق خوفا
وطمعا اوخائفين وطامعين اولاجل الخوف والطمع وعرف التوكل بانه الثقة
بما عند الله والياس عما فى ايدى الناس وقيل هو صدق الانقطاع الى الله وصدق
الانقطاع ان لا يكون لك حاجة الى غير الله تعالى وقيل هو ان لا تطلب لنفسك ناصرا
غير الله ولا لرزقك قاسما غير الله ولا لعملك شاهدا غير الله وقيل هو نفى
الشكوك والتفويض الى مالك الملوك **الهى لا تخيب من لا يجد معطيا غيرك ولا
تخذل من لا يستغنى عنك باحد دونك** خاب يخيب خيبة

لم يظفر بالطلب وخيبه الله بالتشديد اكتفيت به وهذا من قبيل الدعاء بما
يجعله خائبا وخذله من باب قتل ترك نصره واعانته والاسم الخذلان بالكسر
واستغنيت بالشى اكتفيت به وهذا من قبيل الدعاء بما يعلم الانسان انه
حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة
وبالا ظهار الانقطاع اليه وبث الفقر الى مسالته ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا وقل رب احكم بالحق وربنا واتنا ما وعدتنا على
رسلك اذ من العلوم المحقق ان الله سبحانه لا يخيب ولا يخذل المنقطع اليه ومن
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اى كافيه فى جميع اموره لان المعبود الحقيقى
القادر على كل شى الغنى عن كل شى الجواد بكل شى اذا انقطع عبده اليه لا يهمله البتة
وفى رواية لا يخيب ولا يخذل بالياء المثناة من تحت فى اول الفعلين وبناء
الاول للمعلوم والثانى للمجهول على ان لا نافية اى لا يكون خائبا ولا متروك
الاعانة **الهى صل على محمد واله ولا تعرض عنى وقد اقبلت اليك ولا تحرمنى وقد
رغبت ولا تجبهنى بالرد وقد انتصبت بين يديك** اعرض عنه صد عنه وولى
قال الفيومى وحقيقته جعل الهمزة للصيرورة اى اخذ عرضا اى جانبا غير الجانب
الذى هو فيه والاعراض هنا مجاز عن الاستهانة والسخط كما ان الالتفات و
الاقبال مجاز عن الاكرام والاحسان لان الالتفات من لوازم الاكرام فيكون من
لوازم الاهانة واقبل اليه توجه اليه والاقبال اليه تعالى كناية عن الانابة والرجوع
اليه سبحانه وحرمه منعه ورغب اليه سال وقال فى القاموس رغب اليه رغبا
محركة ابتهل او هو الضراعة والمسئلة وجبهه يجبهه جبها من باب منع استقبله
بما يكره واصله من جبهته اذا اصبت جبهته وفى القاموس جبهه كمنعه ضرب
جبهته ورده او لقيه بما يكره وهو هنا مجاز عن السخط والغضب وانتصب اى قام

وهو مطاوع نصب يقال نصبته فانتصب اي اقمته فقام وقد يتكلم بالمطاوع وان لم
يكن معه مطاوع كقولك انكسر الاناء وهو في كلامهم كثير انت الذي وصفت
نفسك بالرحمة فصل على محمد وآله وارحمني وانت الذي سميت نفسك بالعفو
فاعف عني الوصف لغة ذكر ما في الموصوف من الصفة اي المعنى القائم
به وهذا المعنى لا يصح في الواجب تعالى لان صفاته ليست معاني قائمة به خلافا
للاشاعرة باعتبار غاياتها على ما هو المشهور فالمراد بوصف نفسه بالرحمة
اثبات الرحمة لنفسه وسميته زيدا وسميته بزيد جعلته اسما له والعفو كصبور
الكثير العفو فعول لان صيغ المبالغة فان قلت ما الفرق بين اسمائه
تعالى وصفاته قلت الفرق بينهما كالفرق بين المركب والبسيط فانهم صرحوا بان
الذات مع اعتبار صفة من الصفات هو الاسم ولذلك قال عليه السلام وصفت نفسك
بالرحمة وسميت نفسك بالعفو وفي رواية بالعفو مخففا وهو على تضمين سميت
معنى وصفت وانما قال انت الذي وصفت نفسك وسميت نفسك ولم
يقل وصف نفسه وسمى نفسه مع انه الاكثر فيما اذا كان الموصول او
موصوفه خبرا عن مخاطب تلذذا بخطابه تعالى فحمل على المعنى وهو جائز كثير
وان كان كون العائد غائبا اكثر قد ترى يا الهي فيض دمعي من خيفتك و
وجيب قلبي من خشيتك وانتقاض جوارحي قد هنا للتكثير مثلها من هيبتك م
في قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء قال الزمخشري اي ربما نرى ومعناه
كثرة الرؤية كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وفاض السيل يفيض فيضا
كثر حتى سال من شفة الوادي وفاض الماء والدمع فيضا وفاض كل سائل جرى
والخيفة الخوف واصلها خوفة قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ووجب القلب
يجب وجبا ووجيبا رجف وخفق والخشية وان كان ما في اللغة بمعنى واحد الا ان

بين خوف الله

بين خوف الله وخشيته في عرف ارباب القلوب فرقا فان الخوف تألم النفس
من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات وهو
يحصل للاكثر للخلق وان كانت مراتب متفاوتة جدا والمرتبة العليا منه لا يحصل
الا لمن اطلع على جلال الكبرياء وذاق حلاوة القرب ولذلك قال سبحانه انما يخشى الله
من عباده العلماء فالخشية خوف خاص وقد يطلقون عليها الخوف ايضا انتهى كلامه
والانتقاض بالفاء والضاد المعجمة كما في احدى الروايتين التحرك من نقيض النقي
تنفاضا من باب تفعل فانتفض حركة لينزول عنه الغبار اي ارتعاش جوارحي واما
الانتقاض بالقاف والضاد المعجمة كما في الرواية الاخرى فهو بمعنى الانفكاك والانحلال
من نقض الحبل نقضا من باب قتل حل برمه فانتقض هو ومنه نقضت ما ابرمه اذا
ابطلته وانتقضت الطهارة بطلت وانتقض الجرح بعد برئه نكس والامر بعد التئامه
فسد والثغر بعدما امن خيف كل ذلك اصله من نقض الحبل ومعنى انتقاض جوارحي
ضعفها وانحلالها بعد القوة واما قول اكثر المحشين والمترجمين انه بمعنى التصويت
من النقيض وهو صوت الرحال والمحامل والاصابع والاضلاع والمفاصل اي
تصويت جوارحي فليس بصحيح لان هذا المعنى لا يقال في فعله الا انقض انقاضا
او تنقض تنقضا كتعلم كما يشهد به استقراء كتب اللغة واما قوله تعالى الذي انقض
ظهرك فقيل معناه اثقل قال الفارابي في ديوان الادب انقضت الذنوب
ظهره اي اثقلته وقال الزمخشري اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض
والانفكاك انتهى ومن العجيب قول بعض المحشين يحتمل ان يكون انتفاض الجوارح
من انتفضت الارض عن الكماة اي تفطرت والهيبة حالة فوق الخوف مقتضاها
غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق بل من احواله نفسه بما يرد عليه من التجلي
اذا عظم الوارد واستولى عليه سلطان الحقيقة قالوا وهي لا تكون الا في كل قلب منيب:

اوآب ولا شلم الا باسا حتى كل مصلح نوآب كل ذلك حياء منى لسوء عملى ولذلك خفض
صوتى من الجار اليك وكل لسانى عن مناجاتك ذا اسم اشارة واللام عماد
جئ بها للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه ما ذكر من خفض الصوت
وما بعده ويجوز الاشارة الى المتعدد بتاويل ما ذكر فقدم وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه باعتبار المقتضى فانه فى حكم المتباعد وهذا فى
كلام يحدث الرجل بحديث ثم تقول وذلك وقال ذلكما مما علمنى ربى والحياء
انقباض النفس من ان يواخذ بما يلام فيه وهو نوع من انفعالى وهو الذى
خلقه الله فى النفس كلها كالحياء عن كشف العورة والجماع بين الناس لها وهو
الذى خلقه الله فى النفوس كلها كالحياء الذى يمنع المومنين من فعل المعاصى خوفا من الله
تعالى وهو المراد هنا فان قلت كيف اخبر عن خفض معه وما بعده بالحياء وليس
المبتدا عين الخبر قلت هو اسلع على حذف مضاف مقدر مع الخبر والتقدير
كل ذلك مقتضى حياء منى فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى
ذلك افكهم اى اثر افكهم وقوله تعالى الحج اشهر معلومات وانما لم نقدر المحذوف
مع المبتدا كان نقول مثلا باعث كل ذلك حياء منى لان الحذف من آخر الجملة
اولى واما من باب اطلاق المسبب على السبب كاطلاق الضرب على التاديب فى
قولك لمن ضربته تاديبا هذا الضرب تاديب وفى رواية حياء بالنصب على انه
مفعول لاجله فيكون الخبر المبتدا محذوفا اى كل ذلك كائن منى لاجل الحياء
وفى رواية ابن ابى الحديد وخجلا منك لكثرة ذنوبى وهى تعين رواية النصب فى
حياء والمشار اليه بقوله عليه السلام ولذلك الحياء المذكور وخفض صوته من باب تعديه لم
سكن من حدت النار اذا سكن لهبها ولم يطف جمرها وجاء خفوت العين جاء
وجاز بالضم من باب منع رفع صوته بالدعاء والتضرع واستغاث وقال الزمخشرى

جار الداعى الى الله ضج ورفع صوته وفى الحديث كانى انظر الى موسى له جوار
الى ربه بالتلبية وكل السيف كلولا من باب ضرب اذا لم يقطع قال فى الاساس
ومن المجاز كل بصره ولسانه وهو كليل البصر واللسان ونجيه مناجاة سارّه
والاسم النجوى يا الهى فلك الحمد فكم من غائبة سترتها علىّ فلم تفضحنى وكم
من ذنب غطيته علىّ فلم تشهرنى وكم من شائبة الممت بها فلم تهتك عنى سترها
ولم تقلدنى مكروه شنارها ولم تبد سوآتها لمن يلتمس معايبى من جيرتى وحسدة
نعمتك عندى الفاء الاولى للترتيب الذكرى والثانية للسببية انما المعنى لك
الحمد بسبب كثير مما استحق به من ستر معايبى وكم خبرية بمعنى كثير ومن
لبيان الجنس على الصحيح لا زائدة كما زعم بعضهم حتى ذهب الفراء الى انها اذا لم
تكن مذكورة لفظا فخفض التمييز بها تقدير الا بالاضافة وعلى الجار المقدر وتكون
فى غير هذا الموضع لا لازم لانه لاكثر دخول من على مميز الخبرية نحو وكم من قرية
وكم من آية ساغ عمله مقدرا لان الشئ اذا عرف فى موضع جاز تركه لقوة الدلالة
عليه على ان المشهور من مذهب النحويين ما عدا الاخفش ان من لا تزاد فى غير الايجاب
وفى رواية ابن ادريس فكم عائبة من دون من باضافة كم الى غائبة فالجر بلا
اضافة عند الجمهور حملا لكم على ما هى شابهته من العدد والمميز فيه اعنى الخفض
بالاضافة وكم فى موضع رفع على الابتداء كما فى قولك زيد ضربته وجملة
وجملة سترتها هو الخبر ويجوز ان يكون فى موضع نصب بفعل محذوف كما
سترتها مفسريه فيكون من باب الاشتغال والتقدير كم من غائبة سترت
سترتها او سترت كم من غائبة سترتها والتقدير الاول اولى للزوم كم الصدر
والثانى لا مانع لان المقدر معدوم لفظا والصدر اللفظى هو المقصود كما نص
عليه الرضى والوجه الاول اعنى الرفع ارجح لسلامته من التقدير بلا مقتضى

العجيب قول بعض من تعدى لاعراب الصحيفة الشريفة ان كونها جنسية واشتغال
الفعل بعدها اوجب تقدير عامل لها خبيثه وهو غلط فاحش فاحذره والعائبة
مصدر بمعنى العيب جاء على فاعله كعافية وعاقبة وفي رواية ابن ابي الحديد كم
زعيب سترته على فلم تفضحني والفاء في قوله فلم تفضحني عاطفة سببية
كقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه وشهرة شهرة بالضم رفعلب منع اظهره و
اعلنه وقال في القاموس الشهرة بالضم ظهور الشئ في شنعة وفي النهاية
الشهرة الفضيحة والشائبة واحدة الشوائب وهي الاقذار والادناس قاله
الجوهري وفي نسخة فذنبه وكم من شائنة وهي فاعلة من الشين بمعنى العيب
والقبيح قال في الاساس هو فعل شائن وهذه شائنة من الشوائن ووجهك
شين ووجهي زين والمراد الذنب الا ما فعله وهتك الستر من باب ضرب
خرقه وقال الزمخشري هو ان تجذبه حتى تنزعه من مكانه او تشقه حتى يظهر
ما وراءه ومن المجاز هتك الله ستر الفاجر فضحه وقلدت المراة قلادة جعلتها
في عنقها وقلدته السيف القيت حمائله في عنقه قال الزمخشري وقلد فلان قلادة
سوء هجى بما يبقى عليه وسمه وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بسبة
يسب بها ويدوم وهو كناية عن كون السيئة لازمة لزوم الطوق للعنق بحيث
لا ينفك عنه ثم استعمل في الشئ اللازم الظاهر يشهر به صاحبه والمعنى
لم تلزمني مكروه شنارها فاشهر به وان كنت مستحقا لالزام محاباة الزام
القلادة للعنق والشنار بالفتح العيب والعار وقيل عيب فيه عار وقال في القاموس
هو اقبح العيب والعار والامر المشهور بالشنعة ومكروه شنارها من اضافة الصفة
الى الموصوف لحذا الاصل شنارها المكروه فقدم الصفة وجعلها نوعا مضافا
الى الجنس للتبيين اذ المكروه يحتمل ان يكون من الشنار ومن غيره والسوءة جمع

سوءة بالفتح قال في القاموس السوءة الفرج والفاحشة والخلة القبيحة وقال
ابن الاثير في النهاية السوءة في الاصل الفرج ثم نقل الى كل ما يستحيى منه اذا
ظهر من قول او فعل والتمس الشئ طلبه والمعايب بلا همز العيوب جمع معايبة وهي
العيب كمنابر جمع منارة قال في القاموس العيب والعاب الوصمة كالمعاب والمعابة
والجيرة جمع جار هو المجاور في السكن وجمع على جيران ايضا وانما خص الجيرة بالتماس
المعايب لان الحسد فيهم اكثر وقد قيل الحسد في ثلاثة اجناس من الناس الجيران في
المنزل والشركاء في العمل والقرابات في النسب وذلك لما يكون بين هؤلاء من
المناظرة والمباهات وطلب تفوق كل واحد منهم على الاخر والحسدة جمع حاسد
وهو المتمني زوال النعمة عن المحسود اليه وقوله عندي في محل نصب على الحال من
النعمة ثم لم ينهني ذلك عن ان جريت الى سوء ما عهدت مني ثم هنا لاستبعاد
عدم النهي بعد وضوح ما ذكر من حسن صنيعه تعالى اليه من ستر معايبه الكثيرة
وقد كان مقتضاه ان ينتهي ويقف عن كل ما لا يرضاه سبحانه وتعالى
قال الرضي قد تكون ثم في الجمل خاصة لاستبعاد مضمون ما بعدها
عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له كقوله تعالى خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فالاشتراك بخالق
السموات والارض مستبعد غير مناسب هذا المعنى فرع القراحي مجازه
انتهى ونهاه عن الشئ ينهاه نهيا فانتهى كفه عنه وفي نسخة قديمة لم
ينهنهني اي لم يكفني ولم يزجرني يقال نهنهه فتنهنه اي كفه وزجره فكف
وذلك اشارة الى ما ذكر من ستر المعايب وتغطية الذنوب والشوائب وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الاحسان وعلو درجته في الرحمة
وكمال رتبته في التفضل وجريت الى كذا اجرى جريا قصدت واسرعت و

عهدته عرفته واللام كما تعهد اى تعرف وهو قريب العهد بكذا اى قريب العلم
والحال فقوله ما عهدت منى اى ما علمته منى لان المعرفة لا يطلق عليه سبحانه
وايراد المضاف اليه موصولا لمزيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام فى انه
ادل على الاعتراف بسوء الافعال من ان يقول الى سوء فعلى وعملى ومثله قول
المولى اعتاد المسيح خاف صحبى ونحن عبيد من خلق المسيحا فانه ادل على
عدم خوفهم النصارى من ان يقولوا ونحن عبيد الله فمن اجهل منى يا الهى برشده ومن
اغفل منى عن حظه ومن ابعد منى من استصلاح نفسه حين انفق ما
اجريته على من رزقك فيما نهيتنى عنه من معصيتك الفاء فصيحة اى اذا كان هذا حالى
فمن اجهل منى والجهل هنا بمعنى فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل قال الراغب
الجهل على ثلثة اضرب الاول خلو النفس عن العلم هذا هو الاصل والثانى اعتقاد
الشيء بخلاف ما هو عليه والثالث فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل سواء
اعتقد فيه اعتقادا صحيحا او فاسدا كمن ترك الصلوة متعمدا وعلى ذلك
قوله تعالى حكاية عن موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فجعل فعل الهزء
جهلا انتهى والاستفهام للانكار والاستبعاد لان يكون احد اجهل منه
وابعد منه او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة
يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان
او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل و
الرشد بالضم الصلاح وهو خلاف الغى والرشد بفتحتين مثله والغفلة غيبة
الشيء عن بال الانسان وعدم تذكره له وقد تستعمل فيمن تركه اهمالا واعراضا
كقوله تعالى وهم فى غفلة معرضون يقال منه غفلت عن الشيء غفولا من باب قعد
والحظ النصيب قيل مطلقا وقيل خاص بالنصيب من الخير والفضل وهو المراد هنا

واستصلح الشيء

واستصلح الشيء طلب صلاحه فهو خلاف الفساد والانفاق اخراج المال
وهو والانفاد اخوان خلا ان فى الثانى معنى الاذهاب بالكلية دون الاول
واجريت عليه رزقا جعلته جاريا اى دارا متصلا واعلم ان انفاق الرزق
فى معصية الله تعالى من كفران النعمة فان شكر الانسان نعمة الله عليه بان لا يستعين
بها على معصيته حدث الجنيد قال كنت بين يدى السرى العب وانا ابن
سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر
فقلت ان لا يعصى الله بنعمه فقال يوشك ان يكون حظك من الله لسانك
فلا ازال ابكى على هذه الكلمة التى قالها السرى وفى نهج البلاغة من كلام
امير المؤمنين عليه السلام ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمته على معصيته
وذلك ان العدل ان يستعان بنعمته على طاعته فان لم يفعل ذلك
فلا اقل من ان تستعمل فى الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته
فان ذلك مما يعد لسخطه تعالى نعوذ بالله منه ومن ابعد غورا فى الباطل
واشد اقداما على السوء منى حين اقف بين دعوتك ودعوة الشيطان فاتبع
دعوته على غير عمى منى فى معرفة به ولا نسيان من حفظى له وانا حينئذ
موقن بان منتهى دعوتك الى الجنة ومنتهى دعوته الى النار غور كل شيء قعره وعمقه و
غار فى الامر اذا دقق النظر فيه كانه وصل الى غوره يقال فلان بعيد الغور
اذا كان متعمق النظر عارفا بالامور فغورا اى الدعاء يحتمل ان يكون
اسما بمعنى العقر والعمق ويحتمل ان يكون مصدرا بمعنى الوصول الى
الغور وعلى الاول فالظرف متعلق بابعد وعلى الثانى متعلق بغورا
وقال ابن الاثير فى النهاية فى الحديث انه سمع ناسا يذكرون القدر
فقال انكم قد اخذتم فى شعبين بعيدى الغور غور كل شيء عمقه و

نبعده اى بعد ان تدركوا حقيقته علمكالماء الغائر الذى لا يقدر عليه منه حدث
الدعاء ومن ابعد عن ربه الباطل شئ انتهى و اقدم على قربنا اقداما اجتراء عليه وهذا
المعنى هو المراد هنا اى اشد اجتراء على السوء وقال القنوى اقدم على العيب اقداما
كناية عن الرضاء والسوء فى الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا اذا احزنه
يطلق على جميع المعاصى سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراكها
كلها فى انها تسوء صاحبها بعواقبها والمراد بالوقوف بين الدعوتين استعداده
لقبول كل منهما فان الانسان خلق مستعد الهداية والضلال فقول بعضهم ان
المراد بالتحير بينهما لا وجه له بعد قوله تعالى وهديناه النجدين وقد صرح بذلك
الداعى عليه السلام بقوله على غير عمى منى فى معرفة به فكيف يفسر بالتحير والحيرة
عدم الاهتداء لوجه الصواب لعدم العلم به والدعوة اسم من دعاه اذا طلب
اقباله والمراد بدعوته تعالى الادلة العقلية والشرعية التى بينها للمكلفين ليهتدوا
بها الى معرفته وتوحيده وطاعته وبدعوة الشيطان تسويله ووسوسته وتزيينه
ما حرم الله والفاء من قوله فاتبع للعطف والتعقيب فى نعت القوم تبعا بالتحريك
واتبعتهم على افتعلت مشيت خلفهم او مروا بك فمضيت معهم وهو هنا كناية
عن اجابة الدعوة كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لى وحقيقة دعوة الشيطان واتباعها ان الانسان بينا هو ذاهل عن الشئ ذكره
الشيطان ذلك فيحدث له ميل جازم بترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكانت
دعوة الشيطان هو ذلك التذكير واجابتها حصول ذلك الميل الذى هو من شان
النفس وعلى من قوله على غير عمى منى بمعنى مع اى مع غير عمى منى كقوله تعالى
وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد بالعمى هنا الجهل وهو عمى البصيرة
استعارة من عمى البصر لعدمه كذلك عمى البصيرة لا يهتدى لمقاصد المعقول لعدم

عقله

٣٤٢ عقله لوجه رشده وقوله منى صفة لعمى اى كائن منى وفى معرفة صفة اخرى له ويحتمل
ان يكون حالا منه ايضا دون الظرف الاول لتخصيص النكرة بالصفة الاولى والنسيان
هو الغفلة عن الشئ مع انحفاظ صورته اى معناه عن خزانة الخيال او الذكر والحفظ
يقال تارة لقوة النفس التى بها يثبت ما يؤدى اليه الفهم وتارة لضبط الشئ فى النفس
وتارة لاستعمال تلك القوة والمراد به هنا المعنى الاول اعنى القوة الحافظة والظرف
صفة لنسيان اى نسيان كائن من حفظى وله متعلق بنسيان اى نسيان له وهذه
اللام هى المسماة لام التقوية وهى المزيدة لتقوية عامل ضعيف وهو هنا النسيان فانه
مصدر وعمل المصدر ضعيف لكونه فرعا فى العمل عن الفعل فهو كقولك ضربى لزيد
حسن والمعنى ان اتباع دعوته لم يكن جهل منى بمعرفتى به ولا عن نسيان له من حافظتى
بل عن علم وذكر ومن جعل قوله له متعلق بحفظى وجعل الحفظ متعلق النسيان فقد
اغرب واغرب منه من جعل الحفظ بمعنى المحفوظ وفسره بعدم النسيان لمحفوظه
مما ورد فى ذم الشيطان ولم يهتدوا الى ان النسيان لا يتعدى بمن وكل ذلك خبط
عشواء نسأل الله الهداية الى سبيل الرشاد والواو من قوله وانا حينئذ موقن بها
والجملة حال من ضمير اتبع وحينئذ اى حين اتبع دعوته فحذفت الجملة للعلم بها
وعوض عنها التنوين وكسرت الذال لالتقاء الساكنين وقد تقدم الكلام على ذلك
مستوفى وايقن بالشئ علمه علما لا شك معه والمنتهى مصدر ميمى بمعنى النهاية يقال
انتهى الامر اى بلغ النهاية وهو اقصى ما يمكن ان يبلغه والمعنى ان غاية دعوتك
المصير الى الجنة وغاية دعوته المصير الى النار وبيان ذلك انه لما كان الغاية من
وجود الخلق ان يكونوا عباد الله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى جناب عزته والطيران فى حظائر
القدس باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين كان ذلك هو غاية الانسان المطلق

منه والمقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها باتباع دعوة الله
تعالى ادركها وفاز بحلول جنات النعيم وكانت غايته وان قصر في طلبها وانحرف عن سوى
الصراط الموصل اليها باتباع دعوة الشيطان كان في النار من الهاوين وكانت غايته فدخلها
مع الداخلين **سبحانك ما اعجب ما اشهد به على نفسي واعدده من مكتوم امري** سبحانك
تعجب من شدة اجترائه على الله تعالى بما ذكره من نفسه واعترف به سابقا وتنزيه لساحة
كبريائه وجبروته عما لا يليق به من ذلك وقد تقدم بيان استعمال سبحان في مقام التعجب في
الروضة الثالثة عشرة ثم كرر التعجب صريحا لفظاعة ما شهد به على نفسه وعدده من مكتوم
امره مما سبق وعدده تعديدا مبالغة في عده عذا بعين اعضاه وكانه لاحظ كثرة المعدود
واعلم ان السبب في الامر هو عدم اطلاع النفس على اسبابه لغموضها ولذلك قيل اذا ظهر السبب
بطل العجب ومن اجل ذلك وضع اهل اللغة قولهم ما افعله صيغة للتعجب نحو ما احسن زيدا
اذ التقدير فيها السؤال عن اسباب حسنه وكلما كان الامر اغرب في اسبابه اخفى كان
العجب لذلك جاء بصيغة التعجب من العجب فقال ما اعجب ما اشهد به على نفسي اذ اعرف
ذلك لمخالفة في اقتراف الذنوب وعصيان ربه وستر الله عليه عيوبه وذنوبه وشوائبه
ثم كون ذلك لم ينهه عن الاسراع الى المعاصي ثم شدة جهله برشده وغفلته عن حظه
وبعد استصلاح نفسه حين ينفق نعم الله في معصيته وبعده عوده في الباطل و
شدة اقدامه على السوء حين يجيب دعوة الشيطان دون دعوة الله مع معرفته بالشيطان
وذكره له وهو عالم علم يقين بان دعوة الله تعالى تنتهي به الى الجنة ودعوة الشيطان
تنتهي به الى النار من العجب العجائب الذي لا يهتدى لسببه وكل ذلك منه عليه السلام
استنزال لرحمة الله تعالى بالاقرار المستلزم للعفو فقد قيل من اقر فقد استوجب العفو
وقد اسلفنا الكلام مبسوطا في وجه اعتراف المعصومين عليهم السلام بالذنوب والمعاصي
في الروضة الثانية عشرة فلا وجه لاعادته **واعجب من ذلك اناتك عني وابطاؤك عن**

معاجلتي

دلالة

عقوبتي

معاجلتي وليس ذلك من كرمي عليك بل تانيا منك لي وتفضلا منك
علي لان ارتدع عن معصيتك المسخطة واقلع عن سيئاتي المخلقة ولان عفوك عني
احب اليك من عقوبتي ذلك اشارة الى ما شهد به على نفسه وعدده من مكتوم وما فيه من معنى البعد
اشعار بفخامته وفظاعته وبعده في مرتبة العجب والاناة على وزن حصاة اسم من
تانى في الامر اذا تمكث ولم يعجل وعداها بعن لتضمينها معنى الصفح او التجاوز وعاجله
بذنبه عاقبه عليه سريعا ولم يمهله وكرم الشيء كرما عز فهو كريم ومن للتعليل والظرف
في محل نصب خبر ليس وتانيا عطف عليه او نصب على انه خبر لكان مقدرة والتقدير
بل كان ذلك تانيا وعلى انه مفعول مطلق اي بل تانيت تانيا واللام في لان للتعليل وان
مصدرية ناصبة وردعه عن الشيء من باب نفع منعه وزجره فارتدع والمسخطة اسم
فاعل من اسخطه بمعنى اغضبه ويحتمل ان تكون من اسخطته لك وعلى الثاني المسخطة لي و
اقلع عن الامر اقلاعا تركه ومنه اقلعت عنه الحمى والمخلقة اسم فاعل من اخلق الثوب
اذا لبسه حتى ابلاه يقال اخلقت الذنوب وجهه كانها اذهبت نضارته وبهجته كما
يقال للسائل اخلق السؤال وجهه وهو كناية من الاذلال والاهانة وانما كان عفو الله
تعالى احب اليه من عقوبته لان العفو مقتضى الرحمة وهي ذاتية له تعالى والعقوبة مقتضى
الغضب وهو مطلوب بالعرض لانه من تبعات افعال العباد ولوازم سيئاتهم ومعاصيهم
حتى لو لم يكن كفر ولا معصية لم يكن غضب ولم يخلق جحيم فهو سبحانه يمهل عبده
ولا يبادر بعقوبته ليقلع عن سيئاته ويتوب اليه فيستحق بذلك عفوه وغفرانه فلا يعاقبه
لكون العفو احب اليه من العقوبة **فان قلت** كيف جعل الارتداع والاقلاع غاية لاناته
تعالى عليه وجعل كون العفو احب اليه من عقوبته غاية اخرى لها والغاية انما هو الثاني دون
الاول والاول انما هو وسيلة الى الثاني لا غاية لاناته **قلت** لما كان كل من التخلية والتحلية
غرضا صحيحا للشارع ومطلوبا له صح ان يجعل الارتداع والاقلاع غاية براسها وحب العفو

غاية اخرى فان قلت كيف تعجب من آثر سبحانه عليه مع علمه بهما الذي ذكره والتعجب انما
يكون لخفاء السبب قلت ليس تعجبه من ايثاره لخفاء سببهما بل لخفاء سبب سببه سبحانه لها
منه سبحانه مع عظم ذنبه المستلزم لخلافها كما سيصرح به عليه السلام في اثناء هذا الدعا
فهو في الحقيقة تعجب من عظم حلمه تعالى وجليل كرمه وسعة رحمته بل انا يا الهي
اكثر ذنوبا واقبح آثارا واشنع افعالا واشد في الباطل تهورا واضعف عند
طاعتك تيقظا واقل لوعيدك انتباها وارتقابا من ان احصي لك عيوبي او اقدر
على ذكر ذنوبي بل هنا حرف ابتداء لان تاليها جملة العاطفة على الصحيح ومعناها
هنا الانتقال من غرض الى آخر والآثار جمع اثر كسبب واسباب وهو هنا اما اسم من اثر
الحديث اثرا بالسكون من باب قتل نقلته فتكون الآثار بمعنى الاشياء المأثورة عنه
واما بمعنى العلامة والسمة اي اقبح سمات والمراد بها ما اتسم به من الاعمال وقيل
آثاره هي الاعمال التي تبقى بعد علمها سنة يقتدى فيها بحسنة كانت كعلم علمه او
كتاب الفه او مسجد بناه وغير ذلك من وجوه البر او سيئة كما سن في انواع الظلم
العدوان وترتيب الشر والفساد وذلك تفسير قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم واصله من
الاثر الذي هو بقية الشيء وشنع الشيء بالضم شناعة قبح فهو شنيع والباطل هو الذي
لا يكون صحيحا او باصله ولذلك اطلق على كل ما خالف الحق واصله من بطل الشيء
بمعنى فسد وتهور الرجل تهورا وقع في الامر بقلة مبالاة وتيقظ للامر تنبه له و
فطن والوعيد التهديد وارتقبه ارتقابا انتظره وانتصاب ذنوبا وما بعده على
التمييز وان من قوله من ان احصي مصدرية مؤولة هي والفعل بعدها بمصدر
والتقدير من احصائي لك عيوبي فان قلت ما معنى هذا التفضيل فان ظاهره
تفضيل نفسه في كثرة الذنوب وقبح الآثار وشناعة الافعال وشدة التهور
في الباطل وضعف التيقظ عند الطاعة والمبالاة وقلة الانتباه والارتقاب للوعيد

على احصاه

٣٤٤

على احصاؤه لعيوبه وقدرته على ذكر ذنوبه وهذا لا معنى له قلت نظائر هذا التركيب
كثيرة مشهورة الاستعمال كقولهم زيد اعقل من ان يكذب وقول العلماء هذا اظهر من
ان يخفى وقل من يتنبه لاشكالها وقد وجهه جماعة من علماء العربية بوجوه قال محمد بن
مسعود بن الزكي في كتابه البديع وهو كتاب خالف فيه اقوال النحويين في امور كثيرة
ان الذي وان المصدرية يتعاوضان فتقع الذي مصدرية كقوله ... اتفرح
اكباد المحبين كالذي ... ارى كبدي من حب مية تفرح ... وتقع ان بمعنى الذي
كقولك زيد اعقل من ان يكذب اي من الذي يكذب انتهى وتعقبه ابن هشام
فقال اما وقوع الذي مصدرية فقال به يونس والفراء والفارسي وارتضاه ابن
خروف وابن مالك وجعلوا منه وخضتم كالذي خاضوا واما عكسه فلم اعرف
قائلا به والذي جرأه عليه اشكال هذا الكلام قال وظهر لي توجيهان احدهما ان يكون
في الكلام تاويل على تاويل فيؤول ان والفعل بالمصدر ويؤول المصدر بالوصف
فيؤول الى المعنى الذي اراده ولكن بوجه يقبله العلماء الا ترى انه قيل في
قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى ان التقدير ما كان افتراء ومعنى هذا
ما كان مفترى وهذا الوجه عندي ضعيف لان المفضل على الناقص لا فضل فيه
كقوله ... اذا انت فضلت امرءا ذا نباهة ... على ناقص كان المديح من النقص
التوجيه الثاني ان افعل ضمن معنى ابعد فمعنى المثال زيد ابعد الناس من الكذب
لفضله على غيره فمن المذكورة ليست الجارة للمفضول بل متعلقة بافعل لما ضمنته
من معنى البعد لا لما فيه من المعنى الوضعي والمفضل عليه متروك ابدا مع افعل هذا لقصد
التعميم انتهى وقال الرضي اما نحو قولهم انا اكبر من ان اشعر وانت اعظم من ان تقول
كذا فليس المقصود تفضيل المتكلم على الشعر والمخاطب على القول بل المراد بعدهما
عن الشعر والمخاطب عن القول بل المراد والقول وافعل التفضيل يفيد بعد الفاضل

من المفضول ومجاوزه عنه فهي في مثله ليست تفضيلية بل هي مثلها في قولك تجنب
زيد فتعلقت بافعل المستعمل بمعنى متجاوز وبائن بلا تفضيل ومنه قولك انت اعز
علي من ان اضربك انت بائن من ان اضربك من فرط عزتك علي وانما جاز ذلك لان
من التفضيلية متعلقة بافعل التفضيل بقرب من هذا المعنى الا ترى انك اذا قلت زيد
افضل من عمرو فمعناه زيد متجاوز في الفضل عن مرتبة عمرو فمن فيها حتى فيه
كالتفضيلية الا في معنى التفضيل ومنه قوله تع امير المومنين عليه السلام في
وصف الدنيا وهي بما يعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق
واوفى من ان تكذبك او تغرك اي هي متجاوزة من فرط صدقها من الكذب انتهى
اذا عرفت ذلك فمعنى قوله عليه السلام انا اكثر ذنوبا من ان احصي لك عيوبي على توجيه
ابن مسعود انا اكثر ذنوبا من الذي احصي لك عيوبي وهو مشكل لانه لو كان كذلك لوجب
ان يقال من الذي احصيه بالياء لتكون الصلة متحملة لضمير غيبة يعود الى ال التي
هي اسم بمعنى الذي وكذا الكلام في نظايره المشتملة على التكلم والخطاب وعلى
التوجيه الثاني منهما انا ابعد الناس من الاحصاء لعيوبي لكثرة ذنوبي وعلى
توجيه الرضي انا متجاوز وبائن من كثرة ذنوبي عن احصائي لك عيوبي وانما
اوجه بهذا نفسي طمعا في رافتك التي بها صلاح امر المذنبين ورجاء لرحمتك التي
بها فكاك رقاب الخاطئين انما للحصر عند الجمهور لتضمنها معنى ما والا وانكر
قوم افادتها اياه والصحيح الاول وهو هنا اما على توجيهه الى نفس الفعل على
معنى ما اقصد بهذا التوجيه نفسي لا غيره كما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى
يا قوم انما فتنتم به ان القصر متوجه الى نفس الفعل لا الى قيده على معنى انما
فعل بكم الفتنة لا الارشاد لا على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره واما على
توجيهه الى المفعول لاجله اعني طمعا على معنى ما اوجه بهذا نفسي الا طمعا و

اما قصد

واما توجيهه الى قيد الفعل او الى المفعول به فلا يصح اذ ليس الغرض ما اوجه الى نفسي
الا بهذا لا بغيره ولا ما اوجه بهذا الا نفسي لا غيرها قال بعضهم في نظير هذا المقام لو
قيل انما هنا لتاكيد الحكم لا للقصر لم يبعد لان الحصر يقتضي ان يكون للمخاطب حكم مشوب
بصواب وخطاء فيثبت صوابه ويرد خطاءه والمخاطب هنا هو الله سبحانه وهو منزه
عن ذلك لا يقال فلا يحتاج الى التاكيد لانه لدفع الشك ورد الانكار لانا نقول قد نص
الزمخشري وعبد القاهر ان له فوايد اخرى غيرهما منها الاهتمام بمضمون الكلام و
تقريره واظهار كمال العناية به كما في انا فتحنا وانا اعطيناك وكم مثلها انتهى قلت قد
وقع في مواضع من القرآن المجيد خطابه سبحانه بما هو نص في الحصر اجماعا كقوله تعالى
حاكيا عن الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقوله تعالى حاكيا عن موسى [illegible] رب اني
لا املك الا نفسي واخي والحصر فيها لمجرد تاكيد الحكم قطعا واشارة للمبالغة في تاكيده اذ
الحصر ليس الا تاكيد الحكم على تاكيد كما قرر في محله فلا حاجة الى انكار افادة انما للحصر
تفاديا عن المحذور المذكور وارتكاب خلاف الجمهور ونحبه لو نجاملته وعنفته وعتبت
عليه كلها بمعنى وقال الفارابي وبخته عيرته وطمعا نصب على المفعول له والطمع اكثر
ما يستعمل في تعلق النفس بمحبوب يقرب حصوله والرافة اشد الرحمة والصلاح حصول
الشيء على الحالة المستقيمة النافعة وهو نقيض الفساد وهو خروج الشيء عن كونه
منتفعا به والرجاء تعلق النفس بمحبوب في المستقبل وفككت الرهن خلصته والاسم الفكاك
بالفتح والكسر لغة حكاها ابن السكيت واثبتها صاحب القاموس ومنعها الاصمعي و
الفراء وفكاك الرقاب استعارة في خلاصها من العذاب وقد تقدم وجه اطلاق الرقبة على
جميع الذات في الروضة الخامسة فليرجع اليه هداية اعلم ان التوبيخ للنفس ومعاتبتها
باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم
مع انفسهم مقامات خمسة وهي المشارطة في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله

ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة وضربوا لذلك مثلا فقالوا ينبغي ان تكون حال الانسان
مع نفسه كحال التاجر مع شريكه اذا اسلم اليه مالا ليتجر به فالعقل يستعين بالنفس في هذه
التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما
منازعا مجاذبا في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه
او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى هذه المقامات الخمس **الاولى** المشارطة وهي
ان يشارط النفس ولا يوظف عليها الوظايف ويامرها بسلوك طريق الحق ويرشدها
اليه ويحرم عليها سلوك غيره كما يشرط التاجر على شريكه **الثانية** المراقبة وهو ان لا يغفل
عنها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالية فان الانسان ان غفل
عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بمال
سيده **الثالثة** المحاسبة وهي ان يحاسبها بعد الفراغ من العمل ويطالبها بالوفا بما شرط
عليها اولا فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق
في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان يترك مناقشتها في جميع
حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة
لا عوض يمكن ان يشترى به كنز من كنوز الاخرة لا يتناهى نعيمه ولا ينقطع مغنيه **قالوا** و
ينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح ويقول لها اي نفس مالي بضاعة الا العمر
مهما فني راس مالي وقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني
الله فيه ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك توفيت
ثم رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة **الرابعة** المعاتبة والتوبيخ وقد علمت ان لك
نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى
عبادة ربها وطاعة خالقها فسبيل المعاتبة والتوبيخ ان تعدد للنفس عيوبها وتذكر لها
ما هي عليه من الجهل في ارتكاب المعاصي ولحوقها عن سلوك سبيل الله لتزل وتنكسر فتقصعت

صورة

صورة شهوتها وتستعد بذلك الى استنزال رحمة الله تعالى ورافته كما ارشد اليه سيد
العابدين وامام المتقين في هذا الدعاء قال بعض العارفين اعلم ان النفس شرود
جموح فان اهملتها لم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والا تميز كانت
نفسك هي النفس اللوامة **الخامسة** المعاقبة والمجاهدة وذلك اذا راى نفسه قد
قارفت معصية او همت بها فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها في الامور المباحة
ويأخذها بالصبر عنها واذا راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من
الاوراد فينبغي ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات
قال بعض ارباب العرفان ان هذه النفس في غاية الخساسة والدناءة والنهاية
الجهل والغباوة وينبهك على ذلك انها اذا همت بمعصية او انبعثت لشهوة لو تشفعت
اليها بالله سبحانه ثم برسوله وبجميع انبيائه ثم بكتبه والسلف الصالح من عباده وعرضت
عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تكاد تعطي القياد ولا تترك الشهوة
ثم ان منعتها رغيفا سكنت وذلت ولانت بعد الصعوبة والجماح وتركت الشهوة
اللهم وهذه رقبتي قد ارقتها الذنوب فصل على محمد واله واعتقها بعفوك
وهذا ظهري قد اثقلته الخطايا فصل على محمد واله وخفف عنه بمنك
الرق بالكسر العبودية وهو مصدر رق الشخص يرق من باب ضرب فهو رقيق ويتعدى
بالهمزة فيقال ارقه فهو مرق وقد يتعدى بالحركة ايضا فيقال رقه يرقه من باب قتل
فهو مرقوق واعتقه خلصه من الرق فهو معتق ولا يقال عتقه فهو معتوق و
لفظ الارقاق استعارة في تمكن هيئات الذنوب من نفسه والاعتاق استعارة
لمحو تلك الهيئات منها وكذا الكلام فيما بعده ولما كان المعتاد في الانسان حملها على
خصوص الظهر يقال الخطايا له كما قال تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم قال في الكشاف
هو كقوله تعالى فيما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي

الخطايا جمع خطيئة وهي الذنب وقيل الفرق بينهما ان الذنب قد يطلق على ما يقصد
بالذات والخطيئة تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطا واصل خطايا خطائي
كخطايع فابدلت الهمزة ياء فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها
بعد الالف فاجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة
بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر يا
الهي لو بكيت اليك حتى تسقط اشفار عيني وانتحبت حتى ينقطع صوتي
وقمت لك حتى تنتشر قدماي وركعت لك حتى ينخلع صلبي وسجدت لك
حتى تتفقأ حدقتاي واكلت تراب الارض طول عمري وشربت ماء الرماد
آخر دهري وذكرتك خلال ذلك حتى يكل لساني ثم لم ارفع طرفي الى آفاق السماء
استحياء منك ما استوجبت بذلك محو سيئة واحدة من سيئاتي لا
الى من قوله بكيت اليك اما بمعنى اللام كما قيل في قوله تعالى والامر اليك اي بكيت لك
واما على تضمين بكيت اليك معنى الانابة اي بكيت منيبا اليك وقد سبق منا الكلام على
حقيقة التضمين في اوائل الكتاب واشفار العين منابت الهدب جمع شفر بالضم
كقفل واقفال وقد يفتح قال ابن قتيبة والعامة تجعل اشفار العين الشعر وهو غلط
وانما الاشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر والشعر الهدب والنحب والنحيب والانتحاب
البكاء بصوت طويل ومد قاله في النهاية وقال في القاموس النحيب اشد البكاء و
انتحب تنفس شديدا وفي الاساس نحب الباكي ينحب نحيبا وانتحب انتحابا اذا جد في بكائه
وانتشر العصب تنتشر انتفخ وقال في الصحاح الانتشار انتفاخ في عصب الدابة
ويكون ذلك من التعب والخلع تحرك وزوال المفصل من غير بينونة خلعه
فانخلع اي ازاله عن مكانه والصلب بالضم الظهر وفي القاموس هو عظم من لدن الكاهل
الى و فقا عينه من باب منع خسفها فانفقات وتفقات والحدقة سواد العين

تطلق

تطلق على جملة العين وطول عمري منصوب على الظرفية اي مدة امتداد عمري من طال
الشيء بمعنى امتد وماء الرماد اي المشوب بالرماد وماء رمد اي كدر صار على لون
الرماد وانما خص الرماد بالذكر لوجهين احدهما تجفيفه الذي هو خلاف الغرض
المطلوب من شرب الماء وهو الترطيب فلا يكون في شربه غنا للشارب فان الرماد
بانواعه مجفف والثاني تكديره الماء تكديرا لا يكاد يصفو معه ابدا واخر دهري اي
ابدا قال الجوهري قولهم لا افعله اخرى الليالي اي ابدا واخرى المنون اي اخر الدهر و
قال الزمخشري في الاساس لا اكلمه اخر الدهر اي ابدا واتماما فتر والاخر الدهر بمعنى ابدا
وان كان الابد استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل
لانهم لا يريدون بالابد في مثل هذا المقام الا مدة العمر قال الرداني اذا قلت لا اكلمه
ابدا فالابد من لدن تكلمت الى اخر عمرك ونصبه قيل على حذف الى اي الى اخر
دهري وقيل على الظرفية لانه بمعنى ابدا والطرف تطلق العين قال الخليل لا يثنى
ولا يجمع لانه مصدر طرف اذا حرك جفونه في النظر وفي القاموس الطرف العين واسم
جامع للبصر والافاق جمع افق بضمتين وهو الناحية من السماء والارض وعدم
رفع النظر الى آفاق السماء كناية عن غض الطرف والاطراق من الحياء فان الانسان اذا
استحيا كسر طرفه واطرق براسه راميا ببصره الى الارض واما ان السماء موضع عرشه
سبحانه ومسكن ملائكته ومصعد الكلم الطيب والعمل الصالح فهو يستحيي ان ينظر
الى افاقها كما روي ان بعض الصالحين صلى يوما خارج المسجد فقيل له لم لا دخلت المسجد
فصليت فيه فقال استحيي ان ادخل بيته وقد عصيته واستوجب الشيء استحقه
من وجب الحق اذا لزم وثبت والسيئة اصلها سيوئة على فيعلة من ساءه يسوءه سوءا
وساءت قلبت الواو ياء كراهة اجتماعهما لجريانهما مجرى المثلين وادغمت في
الياء قبلها وهي من الصفات الغالبة تتناول جميع المعاصي صغرت او كبرت

وواحدة صفة مفادها التوكيد كنفخة واحدة واعلم ان مفاد هذا الفصل من الدعاء
نفي استيجاب العبد عفوه تعالى على كل حال لانه ذكر انه منفي مع ثبوت الاسباب والوسائل
التي هي فوق الجهد في التبتل والتضرع اليه تعالى فانتفاؤه مع عدمها اولى فلو هنا للدلالة
على ان الجزاء لازم الوجود دائما وان كنت تعفو لي حين استوجب مغفرتك وتعفو عني
حين استحق عفوك فان ذلك غير واجب لي باستحقاق ولا انا اهل له باستيجاب اذ كان
جزائي في اول ما عصيتك النار فان تعذبني فانت غير ظالم كنت هنا تفيد الاستمرار
والدوام فان كان تختص باستمرار خبرها لاسمها واستوجب مغفرتك اي استجاب
تفضل وكرم واحسان وكذلك قوله حين استحق فانه سبحانه اوجب العبد على
نفسه قبول توبته تفضلا منه وكرما كما قال انما التوبة على الله للذين يعملون
السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فان على هنا مفادها الوجوب اي واجبة على الله
وجوب كرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم فالعبد بهذا الاعتبار يستوجب منه تعالى المغفرة
ويستحق العفو لا باعتبار ان ذلك له حق واجب يستوجبه ويستحقه فلا منافاة بين
نفي الاستيجاب اولا واثباته ثانيا والفاء من قوله فان ذلك رابطة للجواب
والتحقيق في مثل ذلك ان الجواب محذوف لا مذكور لان الجواب مسبب عن الشرط
وذلك غير واجب له سواء وجد المغفرة والعفو او لم يوجدهما وانما الاصل فقد
تفضلت فان ذلك غير واجب لي ومثله قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله
لآت لان اجل الله آت سواء اوجد الرجاء ام لم يوجد فلم يكن مسببا عن الشرط ليكون
جوابا فوجب ان يكون الجواب محذوفا واذ للتعليل نفي وجوب ذلك له اي ان ذلك
غير واجب لي باستحقاق لاجل كون جزائي في اول ما عصيتك النار وهل اذ هذه حرف
بمنزلة لام العلة او ظرف والتعليل مستفاد من قوة الكلام لا من اللفظ قولان جنح
ابن مالك الاول ورجح الرضي حيث قال يجيء اذ للتعليل والاولى حرفيتها اذن اذ لا

348

معنى لتاويلها بالوقت حتى تدخل في حد الاسم واختار الشلوبين الثاني وكان هنا على
النقصان والزيادة ورواية ابن ادريس النار بالرفع اما انها اسم كان على النقصان
واما انها خبر المبتدا على الزيادة وما مصدرية زمانية اي في اول زمان عصياني
وفيه اشارة الى قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين وانما كان الجزاء في اول وقت العصيان النار لان الجزاء مسبب
عن العمل فمتى وجد السبب وجب وجود المسبب فكان مقتضى العدل انه متى حصل العصيان
حصل جزاؤه لكنه سبحانه تانى عباده وامهلهم ليستغفروه ويتوبوا اليه فيغفر لهم
بمقتضى رحمته التي وسعت كل شيء والفاء من قوله فان تعذبني فصيحة اي
اذا كان الامر هكذا فان تعذبني فلا لوم عليك فانت غير ظالم لي وانما قدرنا الجواب
محذوفا لما ذكرناه آنفا الهي اذ لم تهتكني بسترك فلم تفضحني وتانيتني بكرمك
فلم تعاجلني وحلمت عني بتفضلك فلم تغير نعمك علي ولم تكدر معروفك
عندي فارحم طول تضرعي وشدة مسكنتي وسوء تكرير النداء مرارا في هذا الدعاء
التضرع واظهار الكمال الخضوع وتعرض للاعتراف بالوهيته مع الايمان به والقاء
من قوله فان تعذبني للترتيب الذكري كالتفصيل بعد الاجمال المفهوم من معاملته
سبحانه له بخلاف مقتضى الجزاء وقت العصيان وقول بعضهم انها للتعقيب
غلط كانه لم يفرق بين الترتيب والتعقيب ولم يعلم ان المراد بالترتيب ان يكون
المعطوف بها متاخرا عن المعطوف عليه وبالتعقيب ان يكون متصلا بالمعطوف
عليه بلا تراخ واذ في مثل هذا المقام قيل حرف للتعليل كاللام وقيل ظرفية وتغمده الله
برحمته ستره بها ماخوذ من غمد السيف وهو غلافه وفي القاموس تغمده الله
برحمته غمره بها وفلانا ستر ما كان منه وتانى في الامر تمكث ولم يعجل وعدي
بنفسه لتضمينه معنى امهلتني وانظرتني وحلم بالضم حلما بالكسر صفح وستر

موقوم

ولذلك يعدى تارة بعن فيقال حلم عنه لانه بمعنى صفح وتارة بعلى فيقال حلم عليه لانه بمعنى ستر وعيرت الشي تغيير الانه عما كان عليه وكدر الماء يكدر مثلثة زال صفاؤه ويتعدى بالتضعيف فيقال كدرته قال في الاساس ومن المجاز كدر عيشه وتكدر وصفا امري فكدره فلان انتهى والمعروف الجود والاحسان وقيل هو اسم ما تبذله وتعطيه اضمر تشبيهه بالماء الصافي واثبت له التكدير الذي هو من لوازم المشبه فالكلام استعارة مكنية والفاء من قوله فارحم زائدة على القول بان اذ من قوله فاذ تغمدتني حرف تعليل او على القول بانها ظرفية فهي رابطة لاجراء الظرف مجرى كلمة الشرط كما ذكره في مغني اللبيب في قوله فانا اكرمه وقال الرضي يجوز ان يكون مما اضمر فيه اما والتقدير بعد هذا فاما اذ تغمدتني فارحم وطول تضرعي اي اشتداده من طال الشي بمعنى امتد والمسكنة قيل مشتقة من لفظ المسكين كما اشتقوا منه الفعل فقال تمسكن وقيل هي مفعلة من السكون كالمبخلة من البخل ومعناها الخضوع والذلة والموقف هنا مصدر ميمي بمعنى الوقوف وانما اضاف السوء اليه لانه موقف عاص خائف من مولاه وهو وقوف يسوء صاحبه اللهم صل على محمد وآله

وقني من المعاصي واستعملني بالطاعة وارزقني حسن الانابة وطهرني بالتوبة وايدني بالعصمة واستصلحني بالعافية واذقني حلاوة المغفرة واجعلني طليق عفوك وعتيق رحمتك واكتب لي امانا من سخطك وبشرني بذلك في العاجل دون الاجل بشرى

وقاه الله سوء بقيه وقاية حفظه منه وعداه الى الثاني بمن لتضمينه معنى الحفظ والصون واستعملني اي وفقني للعمل بالطاعة والانابة الرجوع الى الله تعالى والتوبة قيل بمعناها وقيل هي الندم على فعل المعصية وحل عقده الاصرار عن القلب ثم القيام بجميع حقوق الرب وسياتي في دعائه

في ذكر التوبة وطلبها ان التوبة هي الندم والانابة فانا اول الراجعين وايده تاييدا قواه والعصمة في اللغة اسم من عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب بمعنى حفظه ووقاه وفي العرف فيض الهي يقوى به العبد على تحري الخير وتجنب الشر ذكره الراغب وعند المتكلمين عبارة عن ان لا يخلق الله ذنبا وهذا قريب منه وقال الحكماء هي ملكة تمنع الفجور ويحصل بها العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات وقيل هي ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها واستصلحه طلب صلاحه والمراد هنا ارد صلاحي وقدره لي بالعافية والعافية لفظة متناولة لدفع جميع المكروهات الظاهرة في البدن والباطنة في الدين والمغفرة اسم من غفر الله له غفرا وغفرانا من باب ضرب صفح عنه وفي الكلام استعارة مرشحة فانه استعار الحلاوة لثمرة المغفرة بجامع الذي ترتب عليهما ما يلائم الحلاوة من الاذاقة والطليق فعيل بمعنى مفعول من اطلقت الاسير اذا حللت اساره وخليت عنه فانطلق والعتيق مثله من اعتقت العبد اذا خلصته من الرق واكتب لي اي اوجب لي وحقوق اثبت واصله من الكتابة بالقلم قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز كتب عليه كذا قضى عليه وكتب الله الاجل والرزق وكتب على عباده الطاعة وعلى نفسه الرحمة واثر لفظ الكتابة وقيل واجعل لي اي اوجب لي لان الكتابة اثبت وادوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الازمان والتبشير الاخبار بما يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواه ولهذا قال علماء الجمهور اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو الذي سره بخبره سابقا ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا واشتقاقه قيل من البشر وهو السرور فيختص بالخبر الذي يسر واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فمن باب التهكم والاستهزاء وقيل من البشرة

وهو ظاهر الجلد لتاثيره في تغيير بشرة الوجه فيكون فيما يسر وايغم لان السرور كما
يوجب تغيير البشرة فكذلك الحزن يوجبه فوجبا سيكون لفظ التبشير حقيقة في المعنيين
لكنه عند الاطلاق يختص في الوقت بما يسر وان يريد خلافه قيد كما قال فبشر عبادي
وفي الثاني فبشرهم بعذاب اليم والبشرى بالضم فعلى اسم منه والعاجل والآجل
وصفان لمحذوف في دون بمعنى قبل اي الوقت العاجل قبل الوقت الآجل يريد
في الدنيا قبل الآخرة وعرفه الامر تعريفا اعلمه به وعرفه بينه اعلمه بمكانه والعلامة
الامارة التي يعرف بها الشي وتبين فلان الشي عرفه معرفة واضحة من بان
الامر اذا اتضح وانكشف سا المراد بهذا التبشير فالمتوقع في العاجل قلت يحتمل فان قلت م
ان يريد به ان يرى في منامه ما يتحقق به اجابة دعوته فان الرويا الصالحة بشرى
وقد روي عن ابي جعفر عليه السلام في قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ان البشرى في الدنيا الرويا الصالحة يراها المومن لنفسه
او ترى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما تبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور
وفي القيامة الى ان يدخلوا الجنة يبشرونهم بها حالا بعد حال وعن ابي الدرداء
سالت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله تعالى لهم البشرى في الحيوة الدنيا
قال ما سالني عنها احد قبلك هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال بعض
العلماء وانما كانت الرويا الصالحة توجب المبشارة لانها دليل صفاء القلب وانقطاع
النفس الى العالم القدسي والاطلاع على بعض ما هنالك ويحتمل ان يكون مراده ع
توفيقه سبحانه لاستعداد الى مشاهدة احواله وسعادته التي يوصل اليها في
الآخرة فيراها بعين بصيرة وهو في هذه الدار فيستحق انه سبحانه قد اطلق نفسه
واعتق رقبته واوجب له امانه وبلغه رضوانه وعبر عن هذا المعنى بالتبشير
لما يقتضيه من السرور الذي لا سرور فوقه ومن هنا قالوا ان العارف وان كان

في الدنيا

في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار
وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعموا فيها وكالذين شاهدوا
النار وعذبوا فيها وهذه مرتبة عين اليقين والله اعلم بمطالب اوليائه ان ذلك لا
يضيق عليك في وسعك ولا يتكادك في قدرتك ولا يتصعدك في اناتك
ولا يوودك في جزيل هباتك التي دلت عليها اياتك انك تفعل ما تشاء وتحكم ما
تريد انك على كل شي قدير هذه الجمل تعليل للدعاء واجابة المسؤول وضاق عليه الامر شق عليه
وتعسر والوسع بالضم الطاقة والقوة ومنه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وتكاده الامر
على تفاعل وتفعل وتصعده وتصاعده كذلك اشتد عليه وصعب من قولهم
عقبة كؤود وعقبة صعود اي صعبة لا يجوزها الا المخفف وفي رواية يتصعبك
بالباء من الصعوبة والاناة الحلم واده الشي ثقل عليه وجزل الحطب بالضم اذا عظم
وغلظ فهو جزل وجزيل ثم استعير للعطاء فقيل اجزل له في العطاء اذا اوسعه
وهو جزيل العطاء وسيعه وله عطاء جزل وجزيل والهبة العطية بلا عوض اصلها
وهبة بالكسر استثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم حذفت الواو وكسرت
تاء التانيث كالعوض والايات جمع آية وهي العلامة يحتمل ان يكون المراد بها العلامات
والانباء الدالة على جزيل احسانه وجميل امتنانه وهي اكثر من ان تحصى واوفر من
ان تستقصى وقد مر بيانه في شرح صدر هذا الدعاء عند قوله عليه السلام وانت الذي عطاؤه
اكثر من منعه انك تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد اي تفعل ما تشاء من الافعال وتحكم
ما تريد من الاحكام بحسب ما تقتضيه المشية والارادة والمشيات على الحكم البالغة
لا يمنعك مانع ولا يعوقك عائق فيدخل في ذلك ان ساء ما اراد ابلاغ الداعي ما
سوله واتيانه سؤله وقد تقدم الكلام على المشية والارادة والفرق بينهما
في الروضة الاولى فاغنى عن الاعادة وقوله انك على كل شي قدير تعليل وتنوير

لمضمون الجملة قبله فان القادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل و
التقدير هو الفعال لما يشاء الحاكم بما يريد لان الحكم
بالقضاء يرجع الى القدرة والله اعلم

هذا آخر الروضة السادسة عشر
من رياض السالكين في شرح
صحيفة سيد العابدين
وقد وفق الله سبحانه
لاتمامها قبل الظهر
من يوم الجمعة لاحدى عشرة خلون من
ذي القعدة الحرام عام ما يزو الف
ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم والصلوة والسلام على نبيه الكريم المنزل عليه في الذكر
الحكيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم
وعلى آله الداعين الى الدين القويم الهادين الى الصراط المستقيم **وبعد** فهذه
الروضة السابعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين
املاء العبد الراجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني شرح الله
صدره ووضع عنه وزره الذي انقض ظهره **وكان من دعائه عليه السلام**
في الاستعاذة من الشيطان وكيده الاستعاذة طلب العوذ وهو الالتجاء
والاعتصام او التحصن والشيطان فيعال من الشطن وهو البعد لبعده
عن الله تعالى او عن الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله لكونه ابعد من اجله
او فعلان من الشيط وهو البطلان والهلاك والاحتراق لانه باطل في نفسه
مبطل للصالح ومصالح من ابطل من اجله هالك باللعنة يريد اهلاك من
لعن لاجله محترق غضبا عليه اذا اراده يتقرب الى ربه والمستعاذ منه وسوسته
واغواؤه وجميع شروره بل نفسه لانه بذاته شر يستعاذ منه **وهنا مسائل**
لا بأس بالتعرض لها **الاولى** اختلف في وجود الشياطين فانكره قوم لوجوه الاول
لو كانت موجودة فاما ان تكون اجساما لطيفة او كثيفة وكلاهما باطل
اما الاول فلانه يلزم ان لا تقدر على الاعمال الشاقة التي ينسبها اليهم المثبتون
ولوجب ان تتلاشى وتتمزق بادنى قوة وسبب يصل اليها من خارج كالريح
العاصفة وهو خلاف ما يعتقده المثبتون واما الثاني فلانه يوجب ان نراهم
كل من كان سليم الحس لكنا لا نراهم ولو جوزنا اجساما كثيفة لا نراها لجاز ان
يكون بحضرتنا جبال وتلال لا نراها وبوقات وطبول لا نسمعها وهو سفسطة

محضة والجواب ان لطفها بمعنى الشفافية اعنى عدم اللون فلا يلزم احد الامرين
لجواز ان يقوى الشفاف الذى لا لون له على الاعمال الشاقة ولا ينفعل
بسرعة ومع ذلك فلا نراها الا ترى ان الريح تدحرج الاحجار العظيمة من الشواهد
وتكسر الاشجار الباسقة وتخرب العمارات الهائلة مع كمال لطافتها وبالجملة
فان اردتم باللطافة الشفافية فنختار انها لطيفة ولا يلزم عدم قوتها وان
اردتم بها سرعة الانفعال والانقسام ورقة القوام فنختار انها غير لطيفة
ولا يلزم رؤيتها كالافلاك كيف وقد يفيض عليها القادر المختار مع لطافتها
ورقتها قوة عظيمة فان القوة لا يتعلق بالقوام فى الرقة والغلظ ولا
بالجثة فى الصغر والكبر الا ترى ان قوة الانسان دون قوام الحديد والحجر وترى
بعضهم يفتل الحديد ويكسر الحجر ويصدر منه ما لا يمكن ان يسند الى غلظ القوام
وترى الحيوانات مختلفة فى القوة اختلافا ليست بحسب اختلاف القوام والجثة
كما فى الاسد مع الحمار الثانى لو كان لها وجود فى العالم لخالطوا الناس وشوهد
منهم العداوة والصداقة وليس كذلك واهل التعزيم اذا نا بوا من صنعتهم
يكذبون انفسهم فيما ينسبون اليهم والجواب المنع فى هذا الوجه لا يخفى ضعفه
لثبوت الاختلاط والعداوة منهم بالنسبة الى الكثيرين قال تعالى واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن ومن الجن من يعمل بين يديه وقال عليه السلام ان الشيطان
يجرى من ابن ادم مجرى الدم وقد تواترت الاخبار برؤية جم غفير من الانبياء
صورته وسماعهم صوته وايضا فقد علم من سنة الله انه لا يفعل شيئا الا
بسبب يجنه ولهذا ما استنارت حيطان البيت واسود سقفه علم ان
الاستنارة غير سبب الاسوداد فكذلك اسباب استنارة القلب واسوداده
يقع فيه افكار واذكار يستبصر بها تارة ويتحير اخرى فالمستبصر ملك خلق
ولطمة

٣٥٣ لا فاضة النائم فى العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمتحير شيطان خلق لضد
ذلك الثالث ان وجودهم يخل بالوثوق بالمعجزات اذ يجوز ان يقال كلما اتى به الانبياء فانما
حصل باعانة الجن والشياطين فان الحاير ان حنين الجذع كان بسبب نفوذ جنى او شيطان
فى الجذع وكل فرع ادى الى ابطال الاصل فهو باطل والجواب ان الدليل الدال على صحة
نبوة الانبياء يدل على صدق اخبارهم ومن جملة ما اخبروا به وجود الجن والشياطين
فصح وجودهم الثانية اختلف المثبتون لوجود الشياطين والجن فى حقيقتهم
فقال المتكلمون هى اجسام شفافة تتشكل باى شكل شاءت وتقدر على الولوج فى
بواطن الحيوانات وتنفذ فى منافذها الضيقة نفوذ الهواء المستنشق وظاهر بعض الاخبار
يعضد هذا القول وقال قوم هى النفوس الارضية المدبرة للعناصر وقيل هى
النفوس الناطقة التى فارقت ابدانها فالخيرة منها يتعلق بالنفوس الخيرة المتعلقة
بالابدان نوع من التعلق يعينها ويمدها على الخير والسداد وهى الجن والشريرة
منها تتعلق بالنفوس الشريرة وتعاونها على الشر والفساد وهى الشياطين
وقيل هى نفوس مجردة تتصرف بالتعلق وتدرك بالة هى كرة الاثير والتى
به خلقهم من نار وقال جمهور الفلاسفة ان الشيطان عبارة عن الوهم المعارض للعقل
وجنوده ساير القوى التابعة له فى معارضة العقل فى انحطاطه الكفار والفاسقين
عن اوامر الله سبحانه والوهم رئيس القوى البدنية فهو انك عند معارضتها
للعقل ومتابعتها له جنود ابليس وقبيله قالوا والمراد بكونه خلق وقبيله من
نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط
وهى حارة جدا مائلة الى الافراط والنارية والهوائية عليها اغلب فى تولدها
عنها اسهل وهى احر اجزاء البدن وكذلك القلب الذى هو منبعها فكانت تلك
الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسبوا الى النار الثالثة قد يقال عن

الحكمة في خلق الشيطان وتسليطه على آدم وذريته وهي مسئلة مهمة لا بأس بذكر
ما حضرنا فيها فنقول نقل الشهرستاني في كتاب الملل والنحل ان اول شبهة وقعت
في البرية شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص
واختياره الهوى في معارضة الامر واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي
النار على مادة آدم وهي الطين وانشعبت هذه الشبهة سبع شبهات وسرت في
اذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلال وتلك الشبهات مسطورة
في شرح الاناجيل الاربعة ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين
الملائكة بعد الامر بالسجود والامتناع منه قال كما نقل عنه اني سلمت ان الباري
تعالى الهي واله الخلق عالم قادر وانه مهما اراد شيئا قال له كن فيكون وهو حكيم
في فعله الا انه يتوجه على وجه حكمته اسئلة قالت الملائكة ما هي وكم هي
قال لعنه الله هي سبع الاولى منها انه علم قبل خلقي انه اي شيء يصدر عني و
يحصل مني فلم خلقني اولا وما الحكمة في خلقه اياي الثانية اذ خلقني على مقتضى
ارادته ومشيته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف بعد ان لا
ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية الثالثة اذ خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة
والطاعة فعرفت واطعت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف
على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي الرابعة اذ خلقني وكلفني
على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم اسجد فلم لعنني واخرجني من الجنة
وما الحكمة في ذلك بعد ان لم ارتكب قبيحا الا قولي لا اسجد الا لك الخامسة اذ
خلقني وكلفني مطلقا وخصوصا فلم اطع فلعنني وطردني فلم طرقني الى آدم حتى
دخلت الجنة ثانيا وغررته بوسوستي فاكل من الشجرة المنهي عنها واخرجه
من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد انه لو منعني من دخول الجنة استراح مني آدم

وبقي

وبقي خالدا فيها السادسة اذ خلقني وعموما وخصوصا من حيث لا يرونني ويؤثر فيهم
وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وقدرتهم واستطاعتهم وما الحكمة في ذلك
بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشون طاهرين سامعين مطيعين
كان احرى بهم واليق بالحكمة السابعة سلمت هذا كله خلقني وكلفني مطلقا ومقيدا
فاذا لم اطع لعنني وطردني واذا اردت دخول الجنة مكنني وطرقني واذا عملت
عملي اخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم اذا استمهلته امهلني فقلت انظرني الى
يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وما الحكمة في
ذلك بعد ان لو اهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شر ما في العالم اليس بقاء
العالم على نظام الخير خيرا من امتزاجه بالشر قال فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسئلة
قال شارح الانجيل فاوحى الله الى الملائكة عليهم السلام قولوا له انك في تسليمك الاول
اني الهك واله الخلق غير صادق ولا مخلص اذ لو صدقت اني اله العالمين ما احكمت
علي بلم فانا الله لا اله الا انا لا اسئل عما افعل والخلق مسئولون قال الفخر الرازي
لو اجتمع الاولون والآخرون من الخلائق لم يجدوا عن هذه الشبهات مخلصا الا الجواب
الالهي انتهى وتعقبه بعض المتأخرين من علماء المتبحرين فقال ان غرض الفخر
الرازي اثبات مذهبه من القول بالفاعل المختار ونفي التخصيص في الافعال
وذلك مما يسد به باب اثبات المطالب بالبراهين كاثبات الصانع وصفاته و
افعاله واثبات البعث والرسالة اذ مع تمكين هذه الارادة الجزافية لم يبق اعتماد
على شيء من اليقينيات فيجوز ان يخلق الفاعل المختار بالارادة التي يعتقدها هؤلاء
الجدليون فينا امرا يرينا الاشياء لا على ما هي عليه وقال ان لكل شبهة من هذه الشبهات
التي اوردها اللعين جوابا برهانيا يقنع به من له قلب سليم او القى السمع وهو
شهيد ولا ينفع المريض النفس والجدلي الذي غرضه ليس الا المماراة والمجادلة فلا يمكن

الأمة الا يضرب من الجدل ولهذا اجيب اللعين من قبل الله تعالى بما يسكته وهو بيان
حاله وما عليه من كفره وظلمة جوهره عن ادراك الحق كما هو وان ليس غرضه في ايراد
هذه الشبهات الا الاعتراض واغواء من يتبعه من الجهال الناقصين او الغاوين
الذين هم جنود ابليس اجمعين فقيل له انك لست بصادق في دعواك معرفة الله
تعالى وربوبيته ولو صدقت فيها لم تكن معترضا على فعله واما الاجوبة الحكمية والغا
ذ خلق ابليس فالجواب عنها انه من حيث انه من جملة الموجودات على الاطلاق وصفاته
وغاياته ليس الا ذاته تعالى التي تقتضي وجود كل ما يمكن وجوده ويفيض عنها الوجود على
كل قابل ومنفعل واما حيثية كونه موجودا ظلمانيا وذاتا شريرة وجوهرا خبيثا
فليس ذلك بجعل جاعل بل هو من لوازم هويته النازلة في آخر مراتب النفوس
وهي المتعلقة بما دون الاجرام السماوية وهو الجرم الناري الشديد القوة فلا جرم
غلبت عليه الانانية والاستكبار والافتخار والاباء عن الخضوع والانكسار واما الشبهة
الثانية وهي السؤال عن حكمة التكليف بالمعرفة والطاعة فالجواب عنها ان الغاية في
ذلك تخليص النفوس من اسر الشهوات وبحر الظلمات ونقلها من حدود البهيمية
والسبعية الى حدود الانسانية والملكية وتطهيرها وتنويرها بنور العلم وقوة
العمل عن درن الكفر والمعصية ورجس الجهل والظلمة ولا ينافي عموم التكليف
عدم تأثيره في النفوس الجاسية والقلوب القاسية كما ان الغاية في انزال الغيث
اخراج الحبوب وانبات الثمار والاقوات منها وعدم تأثيره في الصخور القاسية والارض
الخبيثة لا ينافي عموم النزول والله اجل من ان يعود اليه فائدة في هداية الخلق كما في
اعطائه اصل خلقه بل هو الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى من غير غرض او عوض في فضله
وجوده واما الشبهة الثالثة وهي السؤال عن فائدة تكليفه بالسجود لآدم والحكمة فيه
فالجواب عنها اولا ينبغي ان يعلم ان الله سبحانه في كل ما يفعله او يأمر به حكمة بل حكما

كثيرة لانه تعالى منزه عن فعل العبث والاتفاق والجزاف وان خفي علينا وجه
الحكمة في كثير من الامور على التفصيل بعد ان علمنا القانون الكلي في ذلك على الاجمال
وخفاء الشيء علينا لا يوجب انتفاءه وهذا يصلح للجواب عن هذه الشبهة و
نظائرها وثانيا ان التكليف بالسجود كان عاما للملائكة وكان هو معهم في ذلك
الوقت فعمه الامر بها تبعا وبالقصد الثاني لكنه لما تمرد وعصى واستكبر وابى بعدما
اعتقد بنفسه انه من المامورين صار مطرودا ملعونا وثالثا ان الاوامر الالهية والتكاليف
الشرعية مما يمتحن بها جواهر النفوس ويعلن ما في بواطنهم ويبرز ما في مكامن
صدورهم من الخير والشر والسعادة فتتم به الحجة وتظهر المحجة ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة واما الشبهة الرابعة وهي السؤال عن تعذيب
الكفار والمنافقين وايلامهم بالعقوبة وابعادهم عن دار الرحمة والكرامة فالجواب
عنها ان العقوبات الاخروية من الله تعالى ليس باعثها الغضب والانتقام وازالة الغيظ
ونحوها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وانما هي لوازم وتبعات ساق اليها اسباب
داخلية نفسانية واحوال باطنية انتهت الى التعذيب بنتا علمها ان الهوى الى الهاوية
والسقوط في اسفل درك الجحيم ومصاحبة الموذيات من العقارب والحيات و
غيرها من المولمات ومثالها في هذا العالم الامراض الواردة على البدن الموجبة للاوجاع
والالام بواسطة نهمة سابقة فكما ان وجع البدن لازم من لوازم ما ساق اليه الاحوال
الماضية والافعال السابقة من كثرة الاكل وافراط الشهوة ونحوها من غير ان يكون هنا
معذب خارجي فكذلك حال العواقب الاخروية وما يوجب العذاب الدائم لبعض النفوس
الجاهدة للحق المعرضة عن الايات وهي نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة واما التي
دلت عليها الايات والاخبار الواردة في الكتب الالهية والشرائع الحقة من العقوبات
الجسمانية الواردة على بدن المسيء من خارج على ما يوصف في التفاسير فهي ايضا منشاؤها

امور باطنية وهيئات نفسانية يبرزن من الباطن الى الظاهر ويتصور بصورة
النيران والعقارب والحيات والمقامع من حديد وغيرها وهكذا حصول الاجسام
والاشكال والاشخاص في الاخرة كما حقق في مباحث المعاد الجسماني وكيفية تجسم
الاعمال وقد دل عليه كثير من الايات مثل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
وقوله وبرزت الجحيم لمن يرى وقوله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم
ثم لترونها عين اليقين قوله اذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور
ثم اذا سلم معاقب من خارج فان ذلك ايضا مصلحة عظيمة لان التخويف و
الانذار بالعقوبة نافع في اكثر الاشخاص والاخبار بذلك التخويف بتعذيب المجرم
المسلي تاكيد للتخويف ومقتضى لازدياد النفع ثم هذا التعذيب وان كان شرا بالقياس
الى الشخص المعذب لكنه خير بالقياس الى اكثر افراد النوع فيكون من جملة الخير الكثير
الذي يلزمه الشر القليل كما في قطع العضو لاصلاح البدن وساير الاعضاء واما
الشبهة الخامسة وهي السؤال عن فائدة تمكين الشيطان من الدخول الى آدم في الجنة
حتى غره بوسوسته فاكل مما نهي عنه فاخرج به من الجنة فالجواب عنها ان الحكمة
في ذلك والمنفعة عظيمة فانه لو بقي في الجنة ابدا لكان بقي هو وحده في منزلته
التي كان عليها في الاول الفطرة من غير استكمال واكتساب فطرة اخرى في
الاولى واذا هبط الى الارض خرج من صلبه اولاد لا تحصى يعبدون الله ويطيعونه
الى يوم القيمة ويرتقي منهم عدد كثيرة في كل زمان الى درجات الجنان بقوتي
العلم والعبادة واي حكمة وفائدة اعظم واجل وارفع واعلى من وجود الانبياء
والاولياء ومن جملتهم سيد المرسلين واولاده المعصومون صلوات الله و
سلامه عليهم اجمعين وعلى ساير الانبياء والمرسلين ولو لم يكن في هبوطه
الى الارض مع ابليس الا ابتلاؤه بمدة الدنيا واكتسابه درجة الاصطفاء لكانت الحكمة

عظيمة

عظيمة والخير جليلا واما الشبهة السادسة وهي السؤال عن وجه الحكمة في تسليط
وهو العدو المبين على ذرية آدم بالاغواء والوسوسة بحيث يراهم من حيث لا يرونه
فالجواب عنها ان نفوس افراد البشر في اول الفطرة ناقصة بالقوة ومع ذلك بعضها
خيرة نورانية شريفة بالقوة مائلة الى الامور القدسية عظيمة الرغبة الى
الاخرة وبعضها خسيسة الجوهر ظلمانية شريرة بالقوة مائلة الى الجسمانية
عظيمة في اثارة الشهوة والغضب فلو لم يكن الاغواء والاطاعة النفس والهوى لكان
ذلك منافيا للحكمة لبقائهم على طبقة واحدة من نفوس سليمة ساذجة فلا تمشي
عمارة الدنيا بعدم النفوس الخاسية الغلاظ الجمالة الى الارض لاغراض دنية عاجلة
الا ترى الى ما روي من قوله تعالى في الحديث القدسي اني جعلت معصية آدم سببا
لعمارة العالم وما روي ايضا في الخبر لولا انكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم
يذنبون واما الشبهة السابعة وهي السؤال عن الفائدة في امهاله الى يوم الوقت المعلوم
فالجواب عنها مثل ما ذكرناه من ان بقاؤه تابع لبقاء النوع البشري بتعاقب الاولاد وهو مستمر
الى يوم القيامة فكذلك وجب استمراره لاجل اداء الفائدة التي ذكرناها في وجوده
ووجود وسوسته الى يوم الدين وقولنا ان ليس بقاء العالم على الخير خيرا من امتزاجه
بالشر قلنا فاذن لم تكن دنيا فالدنيا ممزوجة بالشر ولو كان كلها خيرا لكان وجودها
خيرا وعدمها لكنها جسر يعبر بها الناس الى الاخرة ووسيلة الى الخير الاخروي الدائم
والعالم الذي لا يتطرق اليه الشر ودر كات عالم آخر اليه رجعى الطاهرات من نفوسنا
وهذا اللعين مع اشتهاره بالعلم في غاية الجهل المركب بالعناد كما يظهر من ايراده
الشبهات وكل من له مرتبة متوسط في الحكمة يعلم دفعها وحلها فضلا عن الراسخ
في الحكمة المشرع الصدر بنور الايمان والمعرفة ومع ذلك ذكر الفخر الرازي امام المشككين فيما
نقلناه عنه انه لو اجتمع الخلائق كلهم لم يجدوا مخلصا من هذه الشبهات الا باستماع الجواب

دفعها

الالهي من القول بابطال الحكمة وانكار الغاية ونفي المرجح والسبب الذاتي لوجود الاشياء شنعا
مذهب اصحابه وترو يجاله من القول بالفاعل والارادة الجزافية فيه وذلك لقصورهم و
قصورهم عن ادراك الحكمة العلية وعجزهم عن دفع الاوهام والشبهات في الامور العقلية
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل **الرابعة** قد قيل ان الشيطان ليس له سلطان على
عباد الله المخلصين لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقول الشيطان الا عبادك
المخلصين فما الفائدة في امره سبحانه سيد انبيائه واخلص اصفيائه بقوله واذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقوله قل اعوذ برب الناس وكيف تعالى
منه سائر الانبياء والمرسلين والائمة المعصومين والجواب ان الكلام في
صحة الاستعاذة كالكلام في سائر الادعية والعبادات التي جعلها الله سببا
وواسطة لحصول الكمالات العاجلة والآجلة للعبد فجعل الاستعاذة سببا لدفع
سلطان الشيطان كما جعل الدعاء والعبادة سببا لجلب رضوان الرحمان **قال**
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين **اللهم انا نعوذ بك**
من نزغات الشيطان الرجيم وكيده ومكايده ومن الثقة بامانيه ومواعيده
وغروره ومصايده آثر عليه السلام صيغة المتكلم مع غيره اشعارا باشتراك سائر الموحدين
له في وجوب الاستعاذة به تعالى او تعليما للسعي في اصلاح حاله وحال جميع اهل ملته
او لملاحظة دخول جميع قواه وحواسه الظاهرة والباطنة وصيغة المضارع للدلالة
على الاستمرار والنزغات جمع نزغة وهي فعلة من النزغ يقال نزغ الشيطان بين
القوم من باب نفع اي افسد وانزغ الشيطان ايضا وسوس اليه وقيل النزغ الدخل
بالاغواء واكثر ما يكون ذلك عند الغضب واصله الانزعاج بالحركة وقال الزجاج
النزغ ادنى حركة يكون ومن الشيطان ادنى وسوسة وقال الزمخشري في
الاساس نزغ فلانا بكلمة نسغة اذا طعنه ونخسه ومن المجاز نزغ الشيطان كانه ينخسه
نجثه

في الاستعاذة

نجثه على المعاصي ونزغ بين الناس افسد بينهم بالحث على الشر والالف واللام في
الشيطان للجنس ليفيد الاستعاذة من هذا الجنس مطلقا من يا او غير مرئي ولذلك
جمع ضميره في قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان فاعاد الضمير
جمعا باعتبار الجنس لان الجنس يدل على الكثرة باعتبار انه مفهوم كلي لا يمنع شركة الكثير
فيه ولا ينافي ذلك افراد ضميره في الكيد ولا وصفه بالمفرد لانه باعتبار اللفظ
هذا ولو جعل الالف واللام للعهد جاز وفيه ما فيه تبعا والرجيم فعيل من الرجم
وهو لغة الرمي بالحجارة ووصف به الشيطان لانه يرمى بالشهب والكيد السعي في
فساد الحال على جهة الاحتيال وقيل هو ارادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به
لكن اكثر ما يستعمل ذلك في الشر والمكايد جمع مكيدة وهي اسم من كاده يكيده
عطفه على كيده للتنصيص على انواعه المختلفة والثقة به بكسرها ثقة ووثوقا
ائتمنه واطمان اليه والاماني بالتشديد وقد يخفف جمع امنية اصله امنوية
على افعولة قلبت الواو ياء وادغمت في الياء وهي اسم من تمنى الشيء اذا طلب حصوله
ممكنا كان او ممتنعا وقد يطلق على حديث النفس بما يكون وما لا يكون واصله من
منى اذا قدر يعني قدره لان المتمني يقدر حصول ما يتمناه والمراد باماني الشيطان
الاهواء الباطلة التي يلقيها في الانسان فيمنيه طول البقاء وانه ينال من الدنيا
مقصوده ويستولي على اعدائه ويتوهم في نفسه ان الدنيا دول فربما تيسرت
له كما تيسرت لغيره ويشوش بذلك فكره في استخراج الحيل الدقيقة والوسائل اللطيفة
في تحصيل مطالبه الشهوية والغضبية فيصده عن الطاعة ويلقيه في المعصية و
تسويف التوبة والمواعيد جمع ميعاد مصدر بمعنى الوعد نص عليه الزمخشري في
الاساس قال قد اخلف وعده وعدته وموعده وموعدته وموعوده وميعاده
وهذا الوقت والمكان ميعادهم انتهى فيكون الميعاد مصدرا واسم زمان

واسم مكان او مصدر بمعنى المواعدة نص عليه الجوهري في الصحاح قال والميعاد المواعدة
والوقت والموضع لا يقال المواعدة انما تكون من الطرفين والمستعاذ منه انما هو
وعد الشيطان لانا نقول الطاعة في القبول من الموعود بمنزلة المواعدة فكانه استعاذ
من وعد الشيطان الطاعة له في قبول وعده فهو كقوله تعالى واذ واعدنا موسى قال ابو اسحق
لما كانت الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة فهو من الله امر وعد ومن موسى قبول
واتباع اجري مجرى المواعدة ويحتمل ان يكون المواعيد جمع موعود او موعودة
مصدرين بمعنى قال ابن سيده في المحكم وهو من المصادر التي جاءت على مفعول
ومفعولة قال ابن جني ومما جاء من المصادر مجموعا معمولا قوله
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب والوعد من الشيطان اما بالهام والخواطر الفاسدة او
بالسنة اوليائه من شياطين الجن والانس فمن مواعيده الباطلة ان يعد العفو
مع ارتكاب الكبائر كما قال تعالى ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا
وربما وعد من لا يتقي له بانه لا قيامة ولا حساب ولا جزاء ولا عقاب فاجتهدوا
في استيفاء اللذات العاجلة واغتنموا فرصة البنية الزائلة ولقد سمعت بعض من
يدعي الظاهر للاسلام يقول انه لم ياتنا ممن مات خبر نتحقق معه امر الحساب و
العقاب وانما هو شي يقال فلا ينبغي للعاقل ان يترك لذاته الدنيوية لامر
غير متحقق وربما اذا مات لم يجد مما خاف شيئا الى ان يكون قد فاته من لذات الدنيا
ما لا يمكنه تلافيه فنهيته عن مثل هذا الكلام فاعرض عني ومن مواعيد الشيطان
الكاذبة ما اخبرنا به الله سبحانه في قوله الشيطان يعدكم الفقر فان وعده بالفقر
من خفي حيله وبيانه انه لما كان البخل صفة مذمومة عند كل احد لم يمكنه ان
يجرئه ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي الوعد بالفقر ليمسك عن انفاق الجيد من ماله
فاذا اطاعه زاد فمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الحال بمنع الحقوق الواجبة

مكايد الشيطان

فلا يؤدي الزكاة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب
من قلبه ويتبع الحرف فيقدم على المعاصي كلها والمعروف انه يما من النفع فيما فيه ضرر
وقيل هو استعمال التصرف اسالتها الى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن حيثية
تحققه وعرفه الشيطان يعود الى ايهام النفع فيما يخالف امر الله تعالى بالوسوسة
كما فعل بادم عليه السلام حيثما حكاه الله سبحانه بقوله فوسوس لهما الشيطان قال يا
ادم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى والمصائد جمع مصيد بكسر الميم و
سكون الصاد وهي آلة الصيد والمراد بها هنا الشهوات واللذات الدنيوية
استعار لها لفظ المصائد لمشابهتها اياها في استلزام الحصول في العذاب وقد وقع
في اكثر النسخ همز المكائد والمصائد وقد علمت فيما سبق ان حرف العلة الواقع
بعد الالف في مثل هذا الجمع اذا كانت اصلية لم تقلب همزة وما سمع من ذلك
مهموزا فضعيف كهمز معائش والصواب ما وقع في نسخة ابن ادريس رحمه الله
من ضبطهما بالياء من غير همز وان يطمع نفسه في اضلالنا عن طاعتك وامتهاننا
بمعصيتك او ان يحسن عندنا ما حسن لنا او ان يثقل علينا اطمع نفسه في الشيء قدر
في نفسه حصوله والغرض اخلاصه سبحانه له بطاعته وتخليصه من دون الاهو
ليكون من عباده المخلصين الذين علم ابليس ان لا كيده لا يؤثر فيهم فلم يحدث نفسه
باضلالهم فاستثناهم من جملة بني آدم حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين والامتهان افتعال من المهن مهنه مهنا من باب قتل ونفع
خدمه غيره وامتهنه استخدمه وحسن الشيء عنده حسنا بالضم فيهما لائم طبعه و
حسنه لم يحببه اليه حتى مال اليه طبعه والثقل في الاصل الحمل يقال ثقل عليه الحمل
بالضم ثقلا كعنب ويسكن ثم توسع فيه فاستعمل في كل ما لا يلائم الطبع
وكره اليه الشيء قبحه له وفي ذلك اشارت الى ما يدعو اليه الشيطان من وجوه

الشر فانه حسن للانسان معاصي الله تعالى ويكره اليه طاعاته فيميل اليه حصول اللذات
في الشهوات والجاه حتى ينفق ماله في المحرمات ويخوفه بالفقر حتى يمنع الزكوة
ويسهل عليه حمل المشاق في طلب الدنيا ويثقل عليه القيام الى الصلوة ويحسن اليه ايضا
الغضب ويزين له ان كظم الغيظ عجز وذلة وله ابواب يطول شرحها اللهم اخسأه
عنا بعبادتك واكبته بدؤوبنا في محبتك واجعل بيننا وبينه سترا لا يهتكه وردما
مصمتا لا يفتقه خسأ الكلب من باب نفع خسأ وخسوءا طرده وكبت الله العدو من
باب ضرب رده بغيظه واهانه وكبته ايضا صرعه واخزاه وصرفه وكسره و
اهلكه ودأب الرجل في العمل من باب نفع دؤوبا اجتهد فيه وهتك الستر من
باب ضرب هتكا هو ان يجذبه حتى ينزعه من مكانه او يشقه حتى يظهر ما وراءه والردم
الحاجز الحصين وقال ابن عباس الردم اشد الحجاب وقيل هو السد الذي تراكم
بعضه فوق بعض يقال ثوب مردم اي فيه رقاع فوق رقاع وشيء مصمت
لا جوف له وباب مصمت مغلق وفتقت الثوب فتقا من باب قتل نقضت
خياطته حتى فصلت بعضه من بعض واعلم انه لما كان العبد لا يستقل بمقاومة
الشيطان لمعارضة الوهم والخيال العقل وجذب سائر القوى الى عالم السفل
لم يكن للعبد بد من ان يفزع الى من سلطه عليه ابتلاء ليبعده منه ويكف دواعيه
وان يطرده عنه ويرده ويحول بينه وبينه ثم لما كان خسأ الشيطان وطرده
لا يمكن الا بقهر الوهم وسائر القوى البدنية عن مقتضيات طباعها وكانت عبادة الله
تعالى اعظم ما يقهر به ذلك لما اشتملت عليه من الاوامر والنواهي الالهية الموجبة لانتهاك
النفس وانقيادها توسل اليه سبحانه في اخساء الشيطان بالتوفيق لعبادته ولما
كانت محبة الشيء موجبة لعدم التفات المحب الى ضده كان من لازم ذلك ضد هو
عدوه الذي يروم صرفه عنه ويستلزم لعداوة عدو المحبوب وكان ذلك موجبا

لكبت العدو

لكبت العدو ساله سبحانه ان يكبته بالتوفيق للاجتهاد في محبته روي في خبر ان
الشيطان قال يا رب ان عبادك يحبونك ويعصونك ويبغضوني ويطيعوني
فاجيب باني قد عفوت عنهم ما اطاعوك بما يعصونك وقبلت منهم ايمانهم
وان لم يطيعوني بما احبوني والمراد بالستر والردم المسؤولين اما تقوى الله
تعالى والاخلاص في طاعته فان دواعي الشيطان تضمحل عندهما فلا ينفذ فيهما
كيده ولا يطيق نقضهما ابدا واما ستر وردم ملكوتيان يحولان بينه وبين الشيطان
فلا يخطر للشيطان معهما اغواء واضلال كما جعل بين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم
وبين اعدائه حجابا مستورا عند قراءة القرآن حيث قال سبحانه واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا اللهم صل على
محمد وآله واشغله عنا ببعض اعدائك واعصمنا منه بحسن رعايتك واكفنا ختره
وولنا ظهره واقطع عنا اثره شغلت زيدا بكذا من باب نفع جعلته له شغلا
وشغلني الامر صار لي شغلا ولما كان الشغل لا يتعلق بالذوات تحتم هنا
تقدير مضاف اي اشغله عنا بملازمة بعض اعدائك وفي هذه الفقرة
من البديع الادماج وهو ان يضمن المتكلم كلاما سيق لمعنى معنى آخر
بشرط ان لا يشعر في كلامه بانه مسوق لاجله كقوله تعالى له الحمد في الاولى و
الآخرة فانه مسوق لتفرده تعالى بوصف الحمد وادمج فيه الاشارة الى البعث والجزاء
وهكذا عبارة الدعاء فانها سيقت لسؤال شغل الشيطان عنه حتى لا يشغل
وادمج فيها الدعاء على اعداء الله سبحانه وعصمة الله من المكروه من باب ضرب حفظه
ووقاه ومنعه والرعاية بالكسر اسم من رعاه يرعاه بمعنى حفظه وكفاه الله السوء
يكفيه دفعه عنه والختر الخديعة وقبح الغدر والتولية جعل الشيء يلي غيره
يقال ولاه ظهره اذا جعله يليه وهو كناية عن الانهزام لان المنهزم يجعل ظهره

٣٥٨

ظهره مما يلي المنهزم ومنه قوله تعالى وان قاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون
وقوله عليه السلام وولنا ظهره اى اهزمه عنا والاثر بالتحريك وبالكسر ساكنا وسم رجل
الماشي في الارض وهو كناية عن سواله منعه عن وصوله اليه لانه اذا لم يصل اليه
انقطع مشيه اليه فانقطع اثره اللهم صل على محمد وآله واستغنام الهدى عن ضلالته
وزودنا من التقوى ضد غوايته واسلك بنا من التقى خلاف سبيله من الردى
استمتعه الله بكذا ومتعه بالتثقيل اطال له الانتفاع به ووجه المشابهة الثبوت والدوام
والكثرة اى استغنام الهدى بهدى ثابت دائم كثير مثل ثبوت ضلالته ودوامها
وكثرتها والزاد طعام المسافر المتخذ لسفره وزودته اعطيته زادا ولما كان التقوى
مما يتقوى به النفس على الوصول الى جناب القدس في السفر الاخروي كما يتقوى الطبيعة
بالزاد على الحركة الحسية في السفر الدنيوي استعار لها لفظ الزاد والضد بالكسر
المثل والمخالف ضد قال ابو عمرو والضد مثل الشيء والضد خلافه وهو هنا محتمل
للمعنيين فان جعلته بمعنى المثل كان وجه الشبه ما ذكرناه في الفقرة الاولى
وان جعلته بمعنى الخلاف كان المعنى وزودنا من التقوى تقوى مخالفة لغوايته
في جميع الاحوال فاذا اوجبت غوايته الهلاك اوجبت تقوانا النجاة واذا اثمرت
غوايته الضلال اثمرت تقوانا الهدى والارشاد والغواية بالفتح اسم من غوى
من باب ضرب انهمك في الجهل وهو خلاف الرشد وغوى ايضا ضل وخاب
وسلكت الطريق سلوكا من باب قعد ذهبت فيه يتعدى بنفسه وبالباء ايضا
فيقال سلكت زيد الطريق وسلكت به الطريق والتقى مصدر وقاه كهدى
بمعنى اتقاه والاسم التقوى والتاء فيهما مبدلة من واو والاصل وقى
ووقوى ابدلت الواو فيهما تاء ولزمت في تصاريف الكلم والتقى والتقوى
في اللغة بمعنى الاتقاء والوقاية ويستعملان بحسب العرف الشرعي بمعنى خشية

الله تعالى

الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم قال بعض المحققين وحقيقتها عرفا شرعيا
يعود الى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات
عنه من متاع الدنيا وزينتها وتجنبه ما دون وجهة القصد اليه وقد تقدم
الكلام على مراتب التقوى في الروضة الرابعة فليرجع اليه والسبيل الطريق
والردى الهلاك والمراد به الهلاك الاخروي وهو استيجاب النار نعوذ بالله منها
ومن في قوله من الردى بيانية وجعل سبيله الردى لتاديتها اليه من اطلاق المسبب
على السبب فان المراد بسبيله ما يجر اليه من مناهي الله سبحانه المودية الى الهلاك
اللهم لا تجعل له في قلوبنا مدخلا ولا توطنن له فيما لدينا منزلا المدخل بفتح الميم
اما مصدر ميمي بمعنى الدخول او اسم لموضع الدخول يقال هذا مدخل البيت
اى موضع الدخول اليه والتوطين التمهيد ومنه وطن نفسه على الامر اذا مهدها
لفعله وذللها وما في قوله فيما لدينا موصولة او نكرة موصوفة اى في
الذي لدينا او في شيء لدينا والمنزل موضع النزول يروى ان عيسى عليه السلام
دعا ربه ان يريه موضع الشيطان من بني آدم فاراه ذلك فاذا رأسه مثل
راس الحية واضع راسه على قلبه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره وضع رأسه
على حبة قلبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم لولا ان الشياطين يحومون على
قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات اللهم وما سول لنا من باطل فعرفناه
واذا عرفتناه فقناه وبصرنا ما نكايده به والهمنا ما نعده له وايقظنا
عن سنة الغفلة بالركون اليه واحسن بتوفيقك عوننا عليه التسويل
تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه الى الانسان ليفعله او يقوله والباطل
ما خالف الحق من عقيدة او عمل او قول وعرفته الامر تعريفا اعلمته اياه و
وقاه الله الشيء حفظه وصانه عنه وبصرته كذا وبصرته به تبصيرا علمته

اياه وهو من بصرت بالشئ بالضم والكسر لغة بفتحتين علمته فانا بصير به يتعدى
بالبا في اللغة الفصحى وقد يتعدى بنفسه فيقال بصرت الشئ كما يقال بصرت
به وهو ذو بصر وبصيرة اى علم وخبرة وكايده خادعه وماكره ويكون بمعنى
كاده ايضا قال في الاساس له كيد ومكيدة وكايدة وكاده وكايده والحمد لله
الحيز الفاه في روعه بطريق الفيض واعدا الشئ اعداد اهيّاده واهبّه وحكي
بعض الصالحين فقال كن الشيطان كالذيب يقصده كلب الراعي فيفزع الى الراعي
فان الشيطان يدفع لك تعتر وتعني يابان الحيز حتى يصطادك فعليك تمام الماتي
تقابله بالاضداد فان دعاك الى الدنيا فقل هي فانيه وان دعاك الى الشهوات
فقل هي ندامه وان دعاك الى الكبر فقابله بمعرفة اصلك وفرعك تراب
صلصال وحما مسنون وماء مهين وان دعاك الى العجب فقل كيف عجب بما
ليس مني انما هو توفيق وعصمه والعجب من عمل ولا يدري بما يختم له هكذا يبصر الله
اولياءه ما يكايدون به الشيطان ويلهمهم ما يعدونه له من العلم والعرفان فانه
ما يتقدم النوم من الفتور والغفلة فتنبه الشئ عن البال شبههما بالنوم وأثبت
لهما السنة والايقاظ تخييلا وركنت الى زيد كعلم وباب قعد في اللغة الفصحى
ملت وسكنت اليه واعتمدت عليه والبا للسببيه متعلقه بالغفله اى الغفلة
بسبب الركون اليه والتوفيق جعل الله فعل العبد موافقا لما يحبه ويرضاه والعون
الظهير على الامر ومنه الصوم عون على العفة والاسم من الاعانة قال ابن سيده
في مجمل اللغة الاسم العون والعانة والمعونة اى احسن معونتنا عليه واعلم ان
الشيطان لعنه الله كثيرا ما يزين الباطل فيبرزه في صورة الحق حتى انه ليدعو
الى الخير لتفويت خير اعظم منه او جر شر لا يفي به وعقل العبد عاجز عن ادراك
ذلك من دون اعانة الله تعالى فوجب الرجوع في جلب كل خير ودفع كل شر وتمييز كل

باطل

باطل من حق الى القادر المطلق الذي لا يعجزه شئ ابدا خلاص العقل من ظلمات الشبهات
ولا نجاة لسفينة الفكر من امواج الضلالات الا باعانة رب الارض والسموات
قال بعض العلماء وربما اشتبه الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة مزخرفة ومعذرة مموهة
كالعاشق اذا سئل عن عشقه والمتناول لطعام ردى اذا سئل عن فعله ثم اذا مال
العقل نحو مولم جميل والهوى نحو ملذ قبيح فتنازعا يجب كل منهما فحاكما الى القوة
المدبرة بادر نور الله الى نصرة العقل ووساوس الشيطان الى نصرة الهوى كما قال الله
تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات فمتى كانت القوة المدبرة من اولياء الشيطان لم تزد الا
الى فعميت عن نفع الآجل واغترت بلذة العاجل فجنحت الى الهوى كما قال افرأيت
من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كانت من حزب الله واوليائه اهتدت
بنوره فاستهانت بلذة العاجل وطلبت سعادة الآجل كما قال تعالى واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان
تذكروا فاذا هم مبصرون اللهم واشرب قلوبنا انكار عمله والطف لنا في نقض حيله
اشرب قلبه حب الشئ خالطه وداخله فقبله وسكن اليه كما يداخل الصبغ الثوب
والشراب اعماق البدن يقال اشرب الثوب الصبغ اذا اشبعه منه واشربه زيدا
اذا سقاه وانكرت عليه عمله عبته وقبحته ولطف الله لنا وصل الينا مراده بلطف
اى رفق والحيل كعنب جمع حيلة وهي اسم من الاحتيال واصلهما الواو وفي
القاموس هو الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف والمراد بنقض حيله
ابطالها حتى لا تؤثر فيه يقال نقضت ما ابرمه اذا ابطلته واصله من نقضت
الحبل نقضا اى حللت برمه اللهم صل على محمد وآله وحول سلطانه عنا واقطع رجاءه
منا وادراه عن الولوع بنا حولته تحويلا نقلته من موضع الى موضع وسلطانه

اى تسلّط وتصرّفه بالاغواء المستتبع للاستجابة والّا فلا سلطان له على احد بالشرو
الالجاء كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الّا ان دعوتكم فاستجبتم لى وا قطع
وجلّده اى ادسه مناجحى لا يطمع على حال فى اغوائنا ودرات الشئ دراء من باب
نفع دفعته وولع بالشئ يولع كوجل يوجل من باب علم يعلم ولعا محركة وولوعا
بفتح الواو علق به واولع به بالبناء للمفعول اغرى به فهو مولع به بفتح اللام اى مغرى و
ان المنصوص عليه فى كتب اللغة ان الولوع سوء كان مصدرا او اسما هو بفتح الواو قال
الجوهرى ولعت به اولع ولعا وولوعا المصدر والاسم جميعا بالفتح وقال فى القاموس ولع
كوجل ولعا محركة وولوعا بالفتح وقال الفيومى اولع به ولوعا بفتح الواو واتفقت نسخ
الصحيفة الشريفة على ضبط الولوع بضم الواو فليحرر اللهم صل على محمد وآله واجعل اباءنا
وامهاتنا واولادنا واهالينا وذوى ارحامنا وقراباتنا وجيراننا من المؤمنين والمؤمنات
فى حرز حارز وحصن حافظ وكهف مانع والبسهم منه جننا واقية واعطهم ماضية ح
عليه الجنة الاباء جمع اب محذوف اللام وهى واو لانه يثنى على ابوين والامهات جمع ام
وهى الوالدة قيل اصلها امّهة ولهذا جمع على امّهات واجيب بزيادة الهاء وان
الاصل امات للفرق بينهما قال الفيومى والوجه ما اورده فى البارع ان فى الام اربع
لغات ام بضم الهمزة وكسرها وامة وامهة فالامهات والامات لغتان ليست
احديهما اصلا للاخرى ولا حاجة الى دعوى حذف ولا زيادة والاولاد جمع ولد
بفتحتين فعل بمعنى مفعول يطلق على الذكر والانثى والمثنى والمجموع والولد
على وزن فعل لغة فيه وقيل جعل المضموم جمع المفتوح مثل اسد جمع اسد
والاهالى جمع اهل قال الجوهرى زادوا فيه الياء على غير قياس كما جمعوا ليلا على الليالى
وقال الزمخشرى هو اسم جمع لاهل كالليالى فى جمع ليلة والاراضى فى جمع ارض
والاصل فى اهل القرابة وقد اطلق على الاتباع وقال فى القاموس اهل الرجل عشيرته

ودوذو قرباه

٣٦١

وذوو قرباه وذوى جمع ذو بمعنى صاحب والارحام جمع رحم بمعنى القرابة
منقول من الرحم الذى هو موضع تكوين الولد قال شيخنا البهائى قدس الله
سره قصر بعض العلماء الرحم على من يحرم نكاحه والظاهر انه كل من عرف بنسبه
وان بعد ويؤيده ما رواه على بن ابراهيم فى تفسير قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان
تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم انها نزلت فى بنى امية وما صدر منهم
بالنسبة الى ائمة اهل البيت عليهم السلام انتهى وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا
فى الروضة الثانية قوله وقراباتنا يحتمل ان يكون معطوفا على ذوى فيكون منصوبا
والكسرة فيه نائبة عن الفتحة وعطفه على ما قبله اما من عطف العام على الخاص ان
قصر الرحم على من يحرم نكاحه او على ما هو اخص من مطلق القرابة والا فهو من عطف
الشئ على مرادفه تاكيدا والجيران جمع جار وهو فى اللغة المجاور فى المسكن اى الملاصق
فيه حكى ثعلب عن ابن الاعرابى ان الجار الذى يجاورك بيت بيت وشرعا قيل من يعيه
الى العرف وقيل الى اربعين دارا من كل جانب وهو المروى فى احاديث من طرق العامة
والخاصة روت عائشة عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال الجار الى اربعين دارا وروى
فى الكافى بسند حسن او صحيح عن ابى جعفر عليه السلام قال حد الجوار اربعون دارا
روى فى الكافى بسند حسن او صحيح عن كل من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن
شماله ومثله عن ابى عبد الله عليه السلام ومن قوله من المؤمنين لبيان الجنس اى
الذين هم المؤمنون والحرز بالكسر والسكون المكان الحصين الذى يحفظ فيه قال
ابن الاثير فى النهاية ومنه حديث الدعاء اللهم اجعلنا فى حرز حارز اى كهف منيع
وهذا كما يقال شعر شاعر فاجرى اسم الفاعل صفة للشعر وهو لقايله والقياس
ان يكون حرز محرز او حرز حريز لان الفعل منه احرز ولكن كذا روى ولعله لغة
انتهى وقال صاحب القاموس حرزه حفظه او هو ابدال والاصل حرسه انتهى

وعبادة الدعاء تدل على انه ليس بابدال وفي القاموس هو كل مكان حصين
لا يوصل الى جوفه والكهف الغار الواسع في الجبل كالبيت المنقور قال في القاموس
هو كل مكان في الاساس ومن المجاز فلان كهف قومه ملجاؤهم والجنن جمع جنة
بالضم قال الجوهري الجنة بالضم ما استترت به من سلاح والجنة السترة والجمع
الجنن يقال استجن بجنة اي استتر بسترة انتهى والاسلحة جمع سلاح وهو ما
يقاتل به في الحرب ويدافع والتذكير فيه اغلب من التانيث فيجمع على التذكير
اسلحة كحمار واحمرة وعلى التانيث سلاحات وماضية اي قاطعة من مضى السيف
في الضريبة مضاء اي قطع واعلم ان المراد بجعلهم في حرز حارز وحصن حافظ
وكهف مانع ان يوفقهم لطاعته وعبادته وتقواه التي لا يستطيع الشيطان
الوصول اليهم معها فاستعار هذه الالفاظ للطاعة والعبادة والتقوى باعتبار
كونها ملجا من كيد الشيطان ووساوسه كان المجعول في حرز وحصن وكهف
محفوظ فيها من غوائل العدو وكذا قوله عليه السلام والبسهم جننا واقية وانه
اشعار الجنن لعناياته سبحانه بهم وحفظهم من حبائل الشيطان واضلاله واغوائه
واثبات الالباس والوقاية ترشيح والمراد بالاسلحة الاذكار والاعمال الصالحة التي
يدفع بها وساوس الشيطان وتسويلاته وهي استعارة مصرحة ايضا ووصفها بالمضاء
هو الترشيح وفيه تشبيه للشيطان ضمنا بالمحارب المبارز والله اعلم اللهم واعمم
بذلك من شهد لك بالربوبية واخلص لك بالوحدانية وعاداه لك بحقيقة العبودية
واستظهر بك عليه في معرفة العلوم الربانية عمهم عموما من باب تعب شملهم واستوعبهم
وعرفوا العموم بانه عبارة عن الاحاطة بالافراد دفعة والاشارة بذلك الى ما تقدم
من الدعاء ومن يستوي فيها المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ومع الخفة وتاويل
الا انثى لنا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى فالتعبير بها دال على

٣٦٢

من لما شهد لك بالربوبية اي اقر لك بانك رب كل شيء ومالكه واخلص لك
بالوحدانية اي لم يعتبر معك غيرك مطلقا وهو التوحيد المطلق الكامل
الذي اشار اليه امير المؤمنين عليه السلام بقوله وكمال توحيده الاخلاص له فان الاخلاص
هو الذي يتم به التوحيد المطلق اذ كان عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن
مستن الاعتبار وبيان ذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا
مع ملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول
جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركا خفيا كما قال بعضهم
من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم انه مريض وانهم ليعتبرون
في تحقق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظة لجلال الله تعالى وان
لحظها فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق فكان اخلاص الواحد
ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وقد تقدم الكلام منا مبسوطا في الاخلاص للواحد وا
مراتبه في الاولى فاغنى عن الاعادة هنا والضمير في عاداه راجع الى الشيطان
والمعاداة تحري كل من الشخصين اغتيال الاخر ومضادته فيما يؤدي الى مصلحته
فالمراد بمعاداة الشيطان مضادته ومخالفته في جميع ما يزينه ويوسوس
به والكون منه على حذر في جميع الاحوال وقد امرنا الله سبحانه بمعاداته فقال
ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا واللام في لك للتعليل اي لاجلك
والباء من قوله بحقيقة العبودية للاستعانة او للمصاحبة والحقيقة فعيلة من حق
الشيء اذا ثبت بمعنى فاعلة اي حقيق والتاء فيها للنقل من الوصفية الى الاسمية
كما في علامة لا للتانيث وحقيقة الشيء ما به الشيء هو هو باعتبار تحققه والمراد
بحقيقة العبودية هنا خالصها ومحضها وهو عبارة عن صيرورة العبد عبدا خالصا
مخلصا لم يبق له جهة انانية او نظر والتفات الى ما سوى المعبود الحق الاول ولما

كان منشأ عداوة ابليس لآدم وذريته انانيته وكبره كما قال انا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين وكانت حقيقة العبودية مضادة للانانية والكبر
لزم ان يكون المتلبس بها مضاداً ومباينا لكل متلبس ومتصف بضدها فكيف
بمن هو امام المتكبرين وسلف المتجبرين الذي وضع اساس الانانية ونازع
الله تعالى رداء الجبرية وادرع لباس التكبير وخلع قناع التذلل فان المضادة والمنافاة
تقتضي المنافرة والمعاندة ولذلك حضه عليه السلام بالذكر فان الشيطان اشد عداوة
له من غيره كما انه اشد من غيره عداوة للشيطان واستظهرت به استعنت وفي
الطرفية المجازية لكون المعرفة شاغلة للمستظهر مستعملة على اشتمال الظرف على
المظروف او للتعليل اي لاجل ومعرفة العلوم الربانية المنسوبة الى الرب بزيادة
الالف والنون اي المتعلقة بمعرفته تعالى ولما كان المقصود للشيطان اولا اضلال العبد
في الاعتقاد واغوائه عن معرفة ربه وصفاته على ما يجب اعتقاده خص عليه السلام
بالذكر الطالب لمعرفة العلوم الربانية المستظهر به تعالى على الشيطان في تحصيلها وتحقيقها
حتى لا يصده عنها او يلحد فيها **اللهم احلل ما عقد وافتق ما رتق وافسخ ما دبر وثبطه
اذا عزم وانقض ما ابرم** حل العقدة حلا من باب قتل نقضها وعقد الحبل عقدا
من باب ضرب شده وفتقه فتقا من باب قتل شقه ورتقه رتقا من باب قتل ضمه ولامه
والجمه اي ابطل ما احكم من المكايد وارفع ما ورثه من المفاسد واستعمال الافعال المذكورة
في هذه المعاني استعارة تبعية قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز فلان حلال العقد
كاف المهمات وفتق الرأي من باب نفع نقضه وفسخ تدبيره افسده واصل الفسخ ازالة الشيء
عن موضعه ومن عجيب ما وقع لبعض المترجمين هنا انه قال اتفقت النسخ على فتح
السين من قوله وافسخ ما دبره وضابطة القاموس تقتضي الضم وهو غلط منه او وقع
فيه غفلة عن قول صاحب القاموس في اول الكتاب حيث قال واذا ذكرت المصدر

مطلقا او الماضي

مطلقا او الماضي بدون الآتي ولا مانع فالفعل على مثال كتب انتهى وقال في مادة فسخ
من باب الفتح الضعف والجهل والطرح وافساد الرأي والنقض فذكر المصدر مطلقا
وهو يقتضي ان يكون الفعل منه على مثال كتب هذا معنى قول المترجم وضابطة
القاموس تقتضي الضم وهو غلط منه او وقع فيه غفلة عن قول صاحب القاموس
ولا مانع فان المانع من كون الفعل هنا على مثال كتب متحقق وهو كون لام الفعل
حرف حلق وهو الخاء فانه كون الفعل حلقي عين ولام مانع من كونه على مثال كتب الا
ما ورد به السماع كدخل يدخل وانما نبهنا على ذلك لئلا يقع الواقف على كلامه في مثل
ما وقع فيه والله الملهم للصواب ودبر الامر تدبيرا وقدره عن فكر وروية كانه نظر في
دبره وهو عاقبته وآخره وثبطه عن الامر تثبيطا عوقه واقعده عنه وهو ضد الحض
وعزم على الشيء عزما من باب ضرب وقد يتعدى بنفسه فيقال عزم الشيء اذا عقد
ضميره على فعله وعزم عزيمة وعزمة اجتهد وجد في امره وقيل العزم والعزيمة
الارادة المؤكدة ونقض الحبل نقضا من باب قتل حل برمه ومنه نقضت ما ابرمه
اذا ابطلته واصل الابرام فتل الحبل من طاقين حتى يصير واحدا ثم استعمل في احكام
الشيء وتدبيره استعارة **اللهم واهزم جنده وابطل كيده واهدم كهفه وارغم انفه**
هزمت الجيش هزما من باب ضرب كسرته فانهزم والاسم الهزيمة والجند الجمع
الانصار والاعوان والمراد بجنده شياطين الانس والجن من كل من خالف الحق وتابعه
واتبع الشيطان ولحقت عنه فصار في قوته ان ابليس الحق صورة الباطل وابطل الشيء
افسده واسقطه حكمه والكيد المكر والخديعة وهدمت البناء هدما من باب ضرب
اسقطته فانهدم والكهف الملجأ ورغم انفه رغما من باب قتل وفي لغة من باب تعب
وهو كناية عن الذل والهوان كانه لصق بالرغام بالفتح وهو التراب ويتعدى بالهمزة
فيقال ارغم الله انفه وفعله على رغم انفه بالفتح والضم اي على كره منه وهذا

٣٦٣

وللامثال التي جرت في كلامهم باسماء الاعضاء ولا يريدون اعيانها بل وضعوها
لمعان غير معاني الاسماء الظاهرة ولاحظ لظاهر الاسماء من طريق الحقيقة
ومنه قولهم كلامه تحت قدمي وحاجته خلف ظهري يريدون الاهمال وعدم
الاحتفاء اللهم اجعلنا في نظم اعدائه واعزلنا عن عداد اوليائه لا نطيع له اذا استهو
انا ولا نستجيب له اذا دعانا نامر بمناواته من اطاع امرنا ونعظ عن متابعته من اتبع زجرنا
النظم الجماعة يقال جاءنا نظم من جراد اي صف منه واصله من نظم اللؤلؤ ونظمه اي
ضم بعضه الى بعض وجعله في سلك اي اجعلنا في صف اعدائه وجماعتهم الذين كانهم نظموا
في سلك واحد ومن فسر النظم بالسلك فقد اخطأ فان السلك لا يقال له نظم
بل نظام وعزلت الشيء عن غيره عزلا نحيته عنه وفلان في عداد الصالحين اي
يعد منهم اي نحنا وجنبنا ان نعد في اوليائه وتعدية نطيع باللام مع انه متعد
بنفسه لتضمينه معنى ينقاد اي لا ننقاد له مطيعين وهو كقولهم سمع الله لمن حمده
وانما اصل سمع ان يتعدى بنفسه لكنهم عدوه باللام لتضمينه معنى
استجاب واستهواه الشيطان استماله وزين له هواه او ذهب بهواه وعقله
واصحابه استجاب له اذا دعاه الى شيء فاطاعه ودعانا اي نادانا وطلب اتياننا اليه
مناواته اي معاداته واصله الهمز كما هو في نسخة اخرى قال الجوهري ناوأت
الرجل مناواة ونواء عاديته يقال اذا ناوات الرجال فاصبر وربما لم يهمز واصله
الهمز لانه من ناء اليك ونؤت اليه اي نهض اليك ونهضت اليه والوعظ النصح و
عداه بعن لتضمينه معنى الزجر قال بعضهم الوعظ تذكير مشتمل على زجر وتخويف
وحمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب والاسم الموعظة وتابعه على كذا متابعة وتبعا
على واتبع زجرنا اي قبله وعمل به ومنه حديث فاتبعوا القرآن اي ائتموا به و
اعملوا بما فيه وزجرته زجرا منعته ونهيته والجملتان من قوله لا نطيع له الى آخر

بمناواته

٣٦٤

بمناواته الخ وعلى هذا فلا محل لهما من الاعراب والمعطوف عليهما في حكمهما اعرابا
وبعدها اللهم صل على محمد وآله خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى اهل بيته الطيبين
الطاهرين واعذنا واهالينا واخواننا وجميع المؤمنين والمؤمنات مما استعذنا منه
واجرنا مما استجرنا خاتم القوم بالفتح والكسر اي آخرهم الذي ختموا به وخاتم النبيين من
اغلق به باب النبوة ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه
خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل انما ينزل
على شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم مصليا الى قبلته كانه بعض امته وساد
فلان قومه يسودهم سودا بالضم وسيادة اذا صار رئيسهم وقال ابن الحاجب السيد
الذي يفوق في الخير قومه وقال بعض اهل اللغة السيد المالك او من في حكمه الذي
تجب طاعته ولهذا يقال سيد الغلام ولا يقال سيد الثوب وقد اسلفنا الكلام
على الفرق بين النبي والرسول في الروضة الاولى واهل بيته عليهم السلام هم اهل العباء
المنزل في شأنهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
قال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وعائشة وام سلمة ان
الآية مختصة برسول الله صلى الله عليه وآله جعل على علي وفاطمة والحسنين كساء وقرأ الآية
وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وفي رواية اللهم
ان هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد وفي رواية
اللهم هؤلاء اهلي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ثلاثا ويدخل في اهل البيت
باقي الائمة المعصومين صلوات الله عليهم اجماعا من الامامية لما صح من حديث
مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك وروى ثقة
الاسلام في الكافي بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا يعني الائمة وولايتهم من دخل فيها دخل في

بعث النبي صلى الله عليه وآله والطيب ما تستلذه الحواس والنفس من طاب الشيء يطيب
طيبا اذا كان لذيذا وحلالا وهو طيب فاذا اطلق على الله تعالى كما في حديث ان الله
تعالى طيب لا يقبل الا طيبا فالمراد به المنزه عن النقايص المقدس عن الآفات والعيوب
المتصف بجميع صفات الكمال واذا اطلق على الانسان فالمراد به من تزكى عن نجاسة
المولد والجهل والفسوق وتحلى بالعلم ومحاسن الاخلاق والافعال والطاهر النقي من
دنس الميلاد والذنوب والاقذار والانجاس واهالينا عطف على الضمير المنصوب
في اعدنا والرواية المشهورة بفتح الياء على القياس وروى في نسخة بسكون الياء على
لغة من يسكنها في الحالات الثلاثة كالالف قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى من اوسط
ما تطعمون اهليكم قراءة جعفر بن محمد عليهما السلام اهاليكم بسكون الياء للتخفيف كما
قالوا رايت معديكرب تشبيها للياء بالالف ومن في قوله من خوفه اما ابتدائية وهي
مخفوضة المحل في موضع نصب على الحال ودون الحال ما المجرور بمن واما تعليلية اي لاجل
خوفه والضمير يحتمل عوده الى المستعاذ والمستجار منه ويحتمل عوده الى الشيطان
قال بعض العارفين ان الشيطان عارض فاسمع ابليس وامك انه لهما لمن الناصحين
وقد رايت ما فعل بهما واما انت فقد اقسم على غوايتك كما قال الله تعالى حاكيا عنه
فبعزتك لاغوينهم اجمعين فماذا ترى تصنع بك فشمر عن الخوف والحذر منه ومن
كيده ومكره وحذيعته واسمع لنا ما دعونا به واعطنا ما اغفلناه واحفظ لنا ما
نسيناه وصيرنا بذلك في درجات الصالحين ومراتب المؤمنين آمين رب العالمين
اسمع لنا اي استجب لنا ومنه قول المصلي سمع الله لمن حمده اي اجاب دعاء من حمده
ودعونا به اي سالناه يقال دعا الله بالعافية والمغفرة اي سالها وفي
نسخة اسمع بقطع الهمزة من الاسماع قيل معناه اجعل لنا ما دعوناك به مسموعا
مستحقا للاجابة واعطنا ما اغفلناه اي غفلنا عنه قال في القاموس غفل عنه غفولا

تركته وسها

٣٦٥

تركته وسها عنه كاغفله وقال الجوهري اغفلت الشيء اذا تركته على ذكر منك
اي اعطنا ما اغفلنا سواله والحفظ ضد السهو والنسيان وهو تعهد الشيء بضبط
الشيء في النفس ومن جهة العلم بحفظه تعالى يعود الى علمه بالاشياء واي فعل بتاك
الحفظ سالما يعزب عن علمك مما نسيناه ان ندعوك به ونرغب اليك في فعله
بنا وصيرنا اي اجعلنا من صار زيد صالحا صيرورة اذا انتقل الى حالة الصلاح
بعد ان لم يكن عليها والدرجات جمع درجة محركة وهي المرقاة واستعيرت
للمنزلة الرفيعة المعنوية وفي القاموس الدرجات محركة الطبقات من المراتب
والصالحون القائمون بحقوق الله وحقوق العباد والصلاح هو الحصول
على الحالة المستقيمة النافعة ويقابله الفساد اي خروج الشيء عن كونه
منتفعا والمراتب المنازل الرفيعة قال في الاساس من المجاز لفلان مرتبة عند السلطان
ومنزلة وهو من اهل المراتب آمين بالمد والقصر بناء اللهم اي استجب وقد
تقدم الكلام عليها مبسوطا في آخر الروضة الثانية عشرة فليرجع اليه واختلفوا
في انها هل هي دعاء ام لا فقيل بالثاني لانها اسم للدعاء وهو اللهم استجب والاسم
مغاير للمسمى وقيل بالاول وهو الحق لانها اسم للمصدر وفعل واسماء الافعال
اسماء لمعاني الافعال لا لالفاظها كما حققه الرضي ومن ادلته ان العربي يقول
منه مثلا ويريد معنى اسكت ولا يخطر بباله لفظ اسكت بل قد لا يكون سمعه
اصلا وقد ورد الحث على قول آمين بعد الدعاء من طرق الخاصة والعامة روى عن
ابي زهير النميري وكان من الصحابة اذا دعا احدنا قال اختمه بآمين فان آمين
مثل الطابع على الصحيفة قال ابو زهير الا اخبركم عن ذلك خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله ذات مرة فاذا رجل قد الح في مسالته فقال النبي صلى الله عليه وآله
الله قد اوجب ان ختمه فقال رجل من القوم باي شيء يختمه فقال بآمين فان

ان ختم بآمين فقد وجب اى اوجبا حاجتها الدعاء وفي النهاية لابن الاثير وبه آمين
خاتم رب العالمين اى انه طابع الله على عباده لان الآفات والبلاء باندفع به فكان
كخاتم الكتاب الذي يصونه ويمنع من فساده واظهاره ما فيه انتهى والظاهر ان معنى
الحديث غير ما ذكره بل المراد يكون آمين خاتم رب العالمين ختم الدعاء به
يوجب اجابته كما مر في الحديث السابق كما ان خاتم
الملك على منشوره يوجب امضاءه وانفاذه

والله اعلم هذا آخر الروضة السابعة
عشرة من رياض الصالحين في شرح صحيفة
سيد العابدين وقد وفق الله
لاتمامها آخر يوم الخميس
لثلاث ان بقين من
ذي القعدة الحرام عام ثمان
والف ولله
الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المشكور على دفع كل محذور والصلوة على نبيه الفائز باسنى المطالب وآله الرافعين
لواء المجد في لوي بن غالب وبعد فهذه الروضة الثامنة عشرة من رياض السالكين في
شرح صحيفة سيد العابدين املاء العبد الراجي فضل ربه السني علي صدر الدين
بن احمد الحسيني الحسني احسن الله اليهما وافاض سجال احسانه عليهما **وكان من دعائه
عليه السلام اذا دفع عنه ما يحذر او عجل له مطلبه** دفع الله عنه السوء دفعا من
باب منع صرفه وحذر الشيء حذرا من باب تعب خافه وعجل له مطلبه قضاه له بسرعة
وانما حذف الفاعل واسند الفعل الى المفعول للعلم بان الفاعل لذلك انما هو الله
سبحانه فتعيينه مغن عن ذكره ولو ذكره لغرض التبرك في الاستلذاذ جاز **اللهم لك
الحمد على حسن قضائك وبما صرفت عني من بلائك** قدم الخبر للتخصيص اى لك الحمد دون غيرك
والمراد بقضائه سبحانه حكمه بوجود ما قدره في الازل وبحسنه كونه على وفق الحكمة
والمصلحة هذا ان حملناه على العموم ويدخل فيه قضاؤه له بتعجيل مطلبه وان
حملناه على خصوص قضائه بالنجاح مسئوله ومطلبه فالمراد بحسنه كونه على وفق ما
اراده من تيسيره وتعجيله مع كونه على وفق المصلحة والحكمة والباء من قوله وبما
صرفت للتعليل وما موصولة اى ولاجل الذي صرفت عني من بلائك ويحتمل ان تكون
بمعنى على ومن بيانية والمراد بالبلاء هنا المكروه من بلاه اذا اصابه بمكروه قال في
القاموس والبلاء يكون منحة ويكون محنة **فلا تجعل حظي من رحمتك ما عجلت لي
من عافيتك فاكون قد شقيت بما احببت وسعد غيري بما كرهت** لما كان الحمد سببا للمزيد كما
قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم جعل طلب عدم الاقتصار على المحمود عليه مترتبا على الحمد كانه
قال اذا حمدتك على حسن قضائك وصرف بلائك فلا تجعل نصيبي من رحمتك ما عجلت
بقضائه لي من عافيتك التي هي تعجيل قضاء هذا المطلب وصرف هذا المكروه محبب فان العجول

مبنى عن دوام اللابية واستمرار الاستقرار والفاء من قوله فاكون للسببية والفعل
منصوب بان المصدرية مضمرة بعدها لكونها مسبوقة بالطلب اى فيتسبب عن ذلك
وهو جعل حظى من رحمتك مجرد هذه العافية المعجلة كونى قد شقيت شقاوة دنيوية
بسبب ما احببته من تعجيلها لا تفصيلية فات عظيم الاجر والجزاء المسبب عن الصبر على
البلاء ويكون قد سعد غيرى ممن لم يجعل حظه من رحمتك مجرد عافيتك المعجلة
سعادة اخروية بسبب البلاء الذى كرهته انا وصبر هو عليه فنال بذلك عظيم الاجر
المومنين لما يترتب عليها من حط الذنوب ورفع الدرجات كما روى عن ابى عبد الله
عليه السلام ما احب الله قوما الا ابتلاهم فخشى عليه السلام ان يكون تعجيل العافية له موجبا
لحرمان الجزاء المترتب على الصبر على البلاء فسال عليه السلام ان لا يجعل حظه من رحمته
مقصورا على هذه العافية المعجلة فيكون قد فاته من السعادة الاخروية ما ادركه
غيره من المبتلين الذين صبروا على البلاء ففازوا بعظيم الجزاء **هداية** ورد فى ابتلاء
المومن فى هذه الدار اخبار كثيرة دلت على ان ابتلاؤه بالمكاره الجسمانية والروحانية
من كرامة الله تعالى له ووجه له لا من هوانه عليه فمن ذلك ما استفاض من طرق الخاصة
والعامة ان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاوصياء ثم الامثل فالامثل **وعن** ابى جعفر
عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاوصياء ثم الاماثل فالاماثل **وعن** ابى
عبد الله عليه السلام ان لله عبادا فى الارض من خالص عباده ما تنزل من السماء تحفة
الى الارض الا صرفها عنهم الى غيرهم ولا تنزل بلية الا صرفها اليهم **وعنه** عليه السلام ان الله
ليتعاهد عبده المومن بالبلاء كما يتعاهد الغائب اهله بالطرف وانه ليحميه الدنيا
كما يحمى الطبيب المريض **وعنه** عليه السلام ان الله اذا احب عبدا غته بالبلاء غتا **وعنه**
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان عظيم البلاء يكافى
به عظيم الجزاء فاذا احب الله عبدا ابتلاه بعظيم البلاء **وعنه** عليه السلام انما المؤ

بمنزلة

٣٦٧

بمنزلة لا يبلغها عبد الا بالابتلاء فى جسده **وعنه** عليه السلام لو يعلم المؤمن ماله فى الاجر فى المصائب
لتمنى انه قرض بالمقاريض الى غير ذلك من الاخبار وقد ذكروا لذلك وجوها من الحكمة منها
انه كفارة للذنوب **و**منها انه لاختبار وتجدد صبره وادراجه فى الصابرين **و**منها انه تنفير
فى الدنيا وتنفيره عنها لئلا يفتتن بها ويطمئن اليها فلا يشق عليه الخروج **و**منها
منها انه لاصفات نفسه عن الصفات البشرية وقطعها عن مواد العلائق الجسمانية لتنقطع
علاقته بدنياه ويرجع بكله الى مولاه وبالالتفات الا اقبال عليه فى السراء ويستديم المثول
بين يديه فى الضراء الى ان يرتقى بذلك الى اعلى درجات المحبين واقصى مراتب المقربين
ومنها اكرامه بالدرجة التى لا يبلغها قط بكسبه كدرجة الشهادة التى لا يبلغها الشهيد
بكسب نفسه وانما يبلغها بالابتلاء بالقتل فى سبيل الله قال بعضهم ما من بلية
الا وفيها خيرة عاجلة ثمرتها وعليها عوض ومثوبة اجلة وهى ذاهبة
فانية والمثوبة عليها دائمة باقية فهى فى الحقيقة نعمة لا نقمة ومنحة لا محنة
ولن يكن بما طلت فى اوت فيزيد هذه العافية بين يدى بلاء لا ينقطع وورد
لا يرتفع فقد قدم لى ما اخرت واخر عنى ما قدمت الطلول الكينونة بالنهار والمبيت
الكينونة بالليل يقال ظل يظل ظلولا من باب تعب وبات يبيت مبيتا ويبوتة و
مباتا وظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا ولا يقال بات
يفعل كذا اذا فعله ليلا ولا يقال بات بمعنى نام ولا يشترط فيه عدم النوم ومنها
فقول الفراء بات الرجل اذا سهر الليل كله فى طاعة او معصية خطاء صريح بل هو
اعم من ان يكون حصل منه نوم او لا الا ترى الى قولهم بات فلان عند امرأة اذا حصل
عندها ليلا سواء وقع منه نوم او لا وقول بعضهم لا يكون المبيت الا مع سهر الليل لقوله
تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقولهم بات يرعى النجوم ليس بشئ لان الشبهة
انما استفيد من الحيز اذ الساجد والقائم ليلا وراعى النجوم لا يكون الا ساهرا وما يبيتون

وبات ولايل الاعلى الكينونة بالليل مطلقا فكما يصح ان يقول بات زيد ساهرا يصح ان
تقول بات زيد نايما وقد جمع المعنيين قول الشريف المرتضى **شعر** ايبيت ملان
الجفون من الكرى ، وابيت منك بليلة الملسوع ، فقوله عليه السلام ظللت فيها
اي كنت فيه نهارا او كنت فيه ليلا من هذه العافية والظرفية مجازية بتشبيه
ملابسته كونه وحصوله للعافية في الاجتماع معها بملابسة المظروف للظرف فتكون
لفظة في استعارة تبعية وذلك ان تشبه العافية بما يكون محلا وظرفا للشي على
طريق الاستعارة بالكناية ويكون ذكر كلمة في قرينة وتخييلا وبين يدي بلاء
اي امامه ماخوذ من بين يدي الانسان وقد تقدم الكلام عليه وجملة لا ينقطع في محل
جر صفة لبلاء والوزر بالكسر الاثم ولا يرتفع اي لا ينتقل ولا يزول والفاء من قوله
فقدم لي رابطة للجواب والمعنى ان كانت هذه العافية التي انا فيها متقدمة
على بلاء اخروي دائم فقدم لي ما اخرته من البلاء ليكون في الدنيا الطاعن سقيما
اخرعني ما قدمت من العافية ليكون في الاخرة الدائم نعيمها **فغير كثير ما عاقبته
الفناء وغير قليل ما عاقبته البقاء وصل على محمد واله** الفاء للسببية معنى لام السببية
لان ما بعدها سبب لما قبلها من طلب تقديم ما اخره تاخير ما قدمه فهو كقولك
اكرم زيدا فانه فاضل ومنه قوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وعاقبة كل شي وعقباه
وعقبه بضمتين وعقبه بالاسكان اخره وخاتمته وتلويه نفي عليه السلام عما
يكون غايته الفناء والزوال وان عد في الدنيا كثيرا استحقاق وصفه بالكثرة تحقيرا
واستهوانا به بما يلزمه من غايته التي هي الفناء وكذا نفي عما يكون غايته البقاء والدوام
وعد في الدنيا قليلا استحقاق وصفه بالقلة تعظيما له واعتدادا به بما
يلزمه من غايته التي هي البقاء والمعنى ما كثير بفني بكثير ولا قليل يبقى
بقليل والله اعلم هذا اخر الروضة الثامنة عشرة من رياض السالكين
والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن

١٧

٣٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته ويرسل الرياح فتثير
سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويبسط نعمته ويجعله كسفا فترى الودق
يخرج من خلاله فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون والصلوة
والسلام على نبيه الذي ارسله غيثا للمجدبين وغوثا للمذنبين وعلى اله ينابيع العلم و
ينابيع الحكم وبعد فهذه الروضة التاسعة عشرة من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد
العابدين املاء العبد الفقير الى ربه الغني علي صدر الدين الحسيني الحسني احيا الله قلبه
بعرفانه واغرقه في بحر فضله واحسانه **وكان من دعائه عليه السلام عند الاستسقاء
بعد الجدب** عند هنا اسم لزمان الحضور لا لمكانه فانها كما تاتي اسما للمكان تاتي
اسما للزمان نحو الصبر عند الصدمة الاولى وجئتك عند طلوع الشمس والاستسقاء
استفعال بمعنى طلب السقي مثل الاستمطار لطلب المطر واستسقيت فلانا اذا طلبت
منه ان يسقيك وقد صار حقيقة شرعية على طلب الدعاء والاستغفار والجدب المحل
وهو انقطاع المطر ويبس الارض اي بعد حصوله والاستسقاء انواع ادناه الدعاء
بلا صلوة ولا خلف صلوة واوسطه الدعاء خلف الصلوة وافضله الاستسقاء
بركعتين وخطبتين وكيفيته ان يامر الخطيب يوم الجمعة الناس بالتوبة ورد المظالم
وتطهير الاخلاق من الرذايل وصوم ثلثة ايام بعد الجمعة ويخرج الناس في اليوم
الثالث وهو يوم الاثنين فان لم يكونوا بمكة اصحروا وان كانوا بها صلوا بالمسجد الحرام
ويستحب لهم الخروج حفاة ونعالهم بايديهم في ثياب بذلة متخشعين مجتنبين مستغفرين
ويخرج الامام حاسرا ماشيا متسكنا مستغفرا متطيبا ويستحب الخروج بذوي الزهد و
الصلاح والشيوخ والاطفال والبهائم والعجائز لا الشواب والفساق واهل الخلاف و
الكفار ولو اهل ذمة ويفرق بين الاطفال والامهات وينادي المؤذنون بدل الاذان

الصلوة ثلاثا او وقتها من طلوع الشمس الى الزوال فيصلى الامام بالناس ركعتين يقرء
فى الاولى بعد الحمد سورة بالجهر ثم يكبر خمسا و يقنت عقيب كل تكبير بالاستغفار
وسؤال الله تعالى طلب الغيث و توفير المياه و انزال الرحمة ومن المأثور ضر اللهم اسق
عبادك واماءك وبهائمك وانشر رحمتك واحي بلادك الميتة ثم يكبر السادسة و
يركع و يسجد السجدتين ثم يقوم الى الركعة الثانية فيقرأ بعد الحمد سورة ثم يكبر اربعا
و يقنت عقيب كل تكبير كما فى الاولى ثم يكبر و يركع و يسجد و يتشهد فاذا
سلم صعد المنبر وحول رداءه فيجعل الذى على يمينه على يساره والذى على يساره
على يمينه ويتركه محولا حتى ينزعه و يخطب خطبتين فاذا فرغ استقبل القبلة
وكبر الله مائة مرة ثم يلتفت عن يمينه ويهلل الله مائة مرة ثم يلتفت عن يساره
ويسبح الله مائة مرة ثم يستدبر القبلة ويستقبل الناس ويحمد الله مائة رافعا بكل
ذلك صوته والناس يتابعونه فى الاذكار دون الالتفات الى الجهات فان سقوا
والا عادوا ثانيا وثالثا حتى يسقوا ويستحب تقديم الصوم ثلاثة ايام والخروج يوم الثالث
والاهتمام بالدعاء والتوبة ... على الصوم الاول ان لم يعطوا بعده
والاقصوم مستانف ويصح من المسافر فى كل وقت ومن الرجل وحده ولو فى بيته
قال عليه السلام اللهم اسقنا الغيث وانشر علينا رحمتك بغيثك المغدق من السحاب
المنساق لنبات ارضك المونق فى جميع الآفاق سقانا الله الغيث واسقانا
والاسم السقيا بالضم وقال الراغب الاسقاء ابلغ من السقى لان الاسقاء ان تجعل
ما يسقى منه ويشرب والسقى ان تعطيه ما يشرب وقال الجوهرى يقال سقيته
لشفته واسقيته لماشيته وارضه وقيل سقيته اذا كان بيدك واسقيته
اذا دللته على الماء وقيل السقى لما لا كلفة فيه ولهذا ذكر فى شراب الجنة وسقاهم
ربهم شرابا طهورا والاسقاء لما فيه كلفة ولهذا ذكر فى ماء الدنيا نحو لاسقيناهم ماء
غدقا والغيث المطر ويسمى النبات الذى ينبت به غيثا تسمية باسم السبب فيقال

رعينا الغيث قال الجوهرى وربما سمى السحاب و النبات بذلك وفى القاموس الغيث
المطر الذى يكون عرضه بريد وانشر علينا رحمتك اى ابسط علينا بركات الغيث
ومنافعه فى كل شئ من السهل والجبل والنبات والحيوان او المراد رحمة الوسعة
المشتملة للمطلوب اسقاطا اولا والباء من بغيثك للسببية او المصاحبة والاولى
انسب بالمعنى الاول والثانية بالثانى وغدق المطر غدقا من باب تعب اعذق
اعذاقا كثر ماؤه وقطره والسحاب بالفتح الغيم سمى بذلك لانسحابه فى الهواء الواحد
سحابة والجمع سحب بضمتين والمنساق منفعل من انساق مطاوع ساقه اصله
منسوق تحركت الواو فقلبت الفا والسوق حث الماشى فى السير حتى يقع الاسراع فيه
وانسياقه باعتبار سوق الله تعالى له بالرياح اى صرفه له الى حيث شاء كما قال سبحانه
حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها والنبات
بالفتح مصدر نبت البقل منبتا ونباتا من باب قتل ثم قيل لما ينبت نبت ونبات وهو
المراد هنا واللام للتعليل اى لاجل انباته او لنفعه والنق الشئ انقا من باب تعب راقه
واعجب ويتعدى بالهمزة فيقال وانقنى فهو مونق كاعجبنى فهو معجب وزنا ومعنى والآفاق
جمع افق بضمتين وهو الناحية اى فى جميع نواحى الارض وفى هاتين القرينتين من
البديع الترصيع فى السجع وهو ان يكون ما فى احدى القرينتين مثل ما يقابله من الاخرى
فى الوزن والتقفية الا ترى ان المغدق والمونق مثلان وزنا وتقفية وكذلك
المنساق والآفاق ومثله قول البديع الهمدانى ان بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا
وامنن على عبادك بإيناع الثمرة واحى بلادك ببلوغ الزهرة واشهد ملائكتك الكرام
السفرة بسقى منك نافع دائم غزره واسع درره وابل سريع عاجل
وامنن اى انعم من المن بمعنى الانعام والاحسان وينعت الثمار ينعا من باب نفع
وضرب ادركت ونضجت والاسم الينع بضم الياء وفتحها وبالفتح قراءة السبعة فهى يانعة

واسغبت بالالف ايناعا مثله وهو اكثر استعمالا من الثلاثي والثمر بفتحتين والثمرة
مثله فالاول مذكر ويجمع على ثمار مثل جبل وجبال والثاني مونث والجمع ثمرات
كقصبة وقصبات والثمر والثمرة الحمل الذي تخرجه الشجرة سواء اكل او لا فيقال
ثمر الاراك وثمر العوسج كما يقال ثمر النخل وثمر العنب وبلغ الثمر بلوغا من باب قعد
اينع وادرك وزهر النبات نوره الواحدة زهرة مثل تمر وتمرة وقد تفتح الهاء
ولا يسمى زهرا حتى يتفتح وقال ابن قتيبة حتى يصفر والمراد ببلوغ الزهرة ادراكها
وانعقادها ثمرة واشهدا اي احضر مثل شهد المجلس اذا حضره ومنه ما اشهدتهم
خلق السموات والارض اي احضرتهم والسفرة الكتبة من الملائكة الذين ينسخون
الكتب من اللوح المحفوظ على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل هم الذين ياتون
بالوحي بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة بكسر السين واصلها
الاصلاح يقال سفرت بين القوم اي اصلحت ثم سمي الرسول سفيرا لانه يسعى في
الاصلاح ويبعث له غالبا فاطلقت السفارة على مطلق الرسالة وفائدة اشهاد
الملائكة واحضارهم توقع مزيد الرحمة والبركة وقبول الدعاء فان لحضور
الملأ الاعلى والارواح المقدسة الذين همهم معرفة الله وطاعته ولذة
ذكره مدخلا عظيما في استنزال البركات واستدرار الخيرات وقبول الدعوات
واذا كان في حضور اهل الطاعة من سكان الارض تاثير في القبول واستنزال
الرحمة فما ظنك بحضور اهل الطاعة والعصمة من سكان السموات واما خص
الكرام السفرة لانهم الوسائط بين الله تعالى والبشر والمراد تعطفهم على المومنين فقد
نقل الكرام من قوله تعالى بايدي سفرة كرام بررة بالمتعطفين على المومنين يكلمونهم
ويستغفرون لهم والباء في قوله بسقي السبب نحو فاخرج به من الثمرات وهي اما
متعلقة بالافعال الثلاثة التي قبلها على طريق التنازع واعمال الاخير منها في

المجرد

المجرود والاولين في ضميره ثم حذف لانه فضلة والاخير والاصل امنن
على عبادك بايناع الثمرة به واحي بلادك ببلوغ الزهرة به لا يقال يلزم
تعلق حرفي جر بمعنى واحد بفعل واحد من غير ابدال وهو غير جائز لانا
نقول حرف الجر هنا ليسا بمعنى واحد بل الباء في قوله بايناع الثمرة للتعدية
وايناع الثمرة واقع موقع المفعول به الا ترى ان من قد يتعدى بنفسه فيقال
من عليه كذا قال القنوي في المصباح من عليه العتق وغيره منا من باب قتل
انعم عليه به والباء في قوله ببلوغ الزهرة للآلة وتسمى باء الاستعانة والباء في
قوله بسقي السببية فاختلف معنى الحرفين فتعلقهما بالاول كقولك من الله
على زيد بخلاصه برحمته وبالثاني كقولك قطعت الشجرة بالسكين بقوتي
وهذا مما لاريب في جوازه واما بالمتعلقة بالمصدرين اعني الايناع والبلوغ
على جهة التنازع ايضا فيكون السقي سببا لايناع الثمرة وبلوغ الزهرة كما قال تعالى
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم قال المفسرون خروج
الثمرات انما هو بقدرته تعالى ومشيته ولكنه جعل الماء سببا في اخراجها ومادة
لها كالنطفة في الحيوان بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة
قابلة يتولد من اجتماعهما اصناف الثمرات او بان اجرى عادته بافاضة
صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة من الماء والتراب وهو سبحانه
قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد
ولكن له عز وجل في انشائها متقلبة في الاحوال ومتبدلة في الاطوار من بدايع حكم
باهرة متجددة لاولي الابصار عبرا وتزيدهم طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف رحمته
ماليس في ابداعها بغتة والنفع ما يتوصل به الانسان الى مطلوبه يقال نفعه
الشيء نفعا فهو نافع ودام الشيء يدوم دواما ثبت واستمر استمرارا لا ينقطع

هذا اصل الدوام فى اللغة ثم اطلق على طول المدة فيقال دام الشئ اذا طال زمانه
ومنه ادام الله تعالى عزك ودام المطر اذا تتابع نزوله ومنه الديمة بالكسر المطر
الذى يدوم اياما خمسة او ستة او سبعة او يوما وليلة والغزر بفتح العين
المعجمة وضمها ثم الزاء ثم الراء المهملة مصدر غزر الماء ككرم اذا كثر والناقة
در وكثر لبنها قال فى الاساس غزر الماء غزرا وغزرت الناقة ثم استعير فقيل
مال وعلم غزير ووسع الشئ مثل كرم اتسع فهو واسع والدرر بكسر الدال المهملة
على وزن عنب جمع درة بالكسر قال الجوهرى للسحاب درة اى صب والجمع درر
وقال فى النهاية فى حديث الاستسقاء ديما دررا هو جمع درة يقال للسحاب درة
اى صب واندفاق وقيل الدرر الدار كقوله تعالى دينا قيما اى قيما انتهى وفى نسخة
واسع درة بالفتح وهو مصدر درت السماء بالمطر اذا اندفقت ومنه يرسل
السماء عليكم مدرارا وما قيل انه بمعنى اللبن استعير المطر لا داعى اليه والوابل
والوابل المطر الشديد الضخم القطر يقال وبلت السماء وبلا من باب وعد اى اشتد
مطرها وكان الاصل وبل مطر السماء فحذف للعلم به ولهذا يقال للمطر وابل
تحيى بما قد مات وترد به ما قد فات وتخرج به ما هو آت وتوسع به فى الاقوات
جملة تحيى فى محل جر صفة لسقى اى تخرج وتعيد به ما قد ذهب من اصناف
النبات وضروب الاعشاب والوان الازهار وانواع الاشجار والثمار وما انقطع
من جارى الجداول والانهار فاستعار الاحياء الذى هو حقيقة افاضة الروح
على الجسد للاخراج والاعادة المذكورين كما استعار الموت الذى هو حقيقة
انقطاع تعلق الروح بالجسد لليبس والذهاب والجامع فى الاولى احداث
القوى النامية فى المواد والمنافع المترتبة على ذلك وفى الثانية استيلاء اليبوسة
وعدم النفع وهما استعارتان تبعيتان لان اللفظ المستعار فى كل منهما فعل

والقرينة فى الاولى المجرور اعنى الضمير فى به العائد الى السقى فانه قرينة على ان الاحياء
استعارة لان الاحياء الحقيقى لا يكون بالسقى وفى الثانية الاسناد الى الفاعل لان الموت
الذى هو المتصف به بالسقى لا يكون حقيقيا وترد به اى ترجع رددت الشئ
اذا رجعته وفات الامر ذهب ومضى قال الفيومى والاصل فات وقت فعله
ومنه فات الصلوة اذا خرج وقتها ولم تفعل والمراد ترد ما قد فات تداركه
بان مضى وقت حصوله من المنافع وجبرات ما نقص منه وتخرج ما هو آت
ايجاد ما لم يوجد بعد من الارزاق المتسببة عن السقى والاقوات جمع قوت
وهو ما يؤكل ليمسك الرمق وفى مزيدة للتوكيد نحو اركبوا فيها اى اركبوا فيها
اى اركبوها او على معنى تجعل التوسعة فيها بان جعل توسع مع كونه متعديا
منزلة اللازم للمبالغة نحو فلان يعطى ويمنع ثم عدى كما يعدى اللازم كقوله
يجرح فى عراقيبها نصلى اى يفعل الجرح فى عراقيبها او على تضمينه معنى تبارك
كقوله تعالى واصلح لى فى ذريتى اى بارك سحابا متراكما هنيئا مريئا طبقا مجللا
مجلجلا غير ملث ودقه ولا خلب برقه نصب سحابا على الحال من سقيا وصح كونه حالا
مع جموده لكونه موصوفا بصفة وكونه عن نكرة لتخصيصها بالنعوت المتقدمة
ويجوز كونه منصوبا بفعل محذوف اى نسالك كما ورد فى دعاء آخر اللهم سحابا
نافعا اى اسقنا والمتراكم السحاب المتراكب بعضه فوق بعض والهنئ السائغ
اللذيذ من هنأ الطعام من بابى علم وكرم ساغ ولذ والمرئ المحمود العاقبة
الذى لا وباء فيه من مرئ الطعام مراءة مثل ضخم ضخامة وقال الهروى الهنئ ما لا تعب فيه
ولا اثم والمرئ ما لا داء فيه قال بعضهم ومعنى كون الغيث هنيئا مريئا خلوه
عن كل ما ينقصه كالهدم والغرق والطبق ما يتحريك العام الشامل الكثير كانه
يطبق الارض ويغطيها بالماء والطيب ما تستلذه الحواس والنفس والمجلجل السحاب

الذي يسمع منصوب الرعد قال في القاموس الجلجلة التحريك وشدة الصوت
وصوت الرعد وسحاب مجلجل وغيث جلجال والرواية المشهورة في الدعاء
مجلجلا على اسم المفعول وفي نسخة قديمة مجلجلا بكسر الجيم الثانية على اسم
الفاعل فعلى الاول معناه ان الملك يجلجله فيصوت وعلى الثاني معناه المصوت
والث السحاب دام فهو ملث واصله من الث فلان بالمكان اذا اقام لا يبرح و
الودق المطر قبله وهذا من قبيل الاحتراس وهو ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه
عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه كقوله تعالى اسلك يدك في جيبك تخرج
بيضاء من غير سوء احترس سبحانه بنفي السوء عن البهق والبرص وكقول طرفة
فسقى ديارك غير مفسدها. صوب الربيع وديمة تهمي • فقوله غير مفسدها
احتراس حلالها مما يفني اثارها ويمحو معالمها وكذا قوله غير ملث احتراس لان
الالثاث يعفو الديار ويمحو معالمها انتهى وفيه ان وصفه عليه السلام بكونه
هنيئا مريئا طبقا مرتبا لتوجه دخل عليه احتماله حتى يحتاج الى الاحتراس منه
فكيف قوله غير ملث وذكر احتراسا وانما على طرفة غير مفسدها احتراسا
لانه طلب للديار سقيا السقيا وهو محتمل لان يكون سببا للفساد ويكفي فاحترس
قوله غير مفسدها الا انه قد تعقبه بعض المحققين بان مجرد احتمال كون المطر
سببا للفساد لا يكفي في ابهام خلاف المقصود بل لا بد من وقوع سبق الى الذهن
ولا يسبق من السقي الا الاصلاح لشيوعه في ذلك اللهم الا ان يقال سبق الذهن
بالفساد من قوله ديمة فان الديمة هي المطر الدائم وبعد لا يخلو من شوب لا
تعلم قوله غير مفسدها على قوله وديمة تهمي يدفع هذا التوجيه انتهى و
الصواب ان قوله عليه السلام غير ملث وذكر ولا خلب برقه من باب التكميل التكميل و
وصفه بذلك تكملة لما قبله ليكون جامعا من صفة النفع التام المرغوب

فيه وصفه

فيه وصفة السلامة من الافساد بالافراط المدلول عليه بقوله غير ملث ودفقه و
التفريط المدلول عليه بقوله ولا خلب برقه والبرق الخلب الذي لا غيث فيه كانه
خادع من الخلابة بالكسر وهي الخديعة بالقول اللطيف قال ابن الاثير في النهاية
وفي حديث الاستسقاء اللهم سقيا غير خلب برقها اي خال عن المطر الخلب السحاب
يومض برقه حتى يرجى مطره ثم يخلف ويتقشع وكانه من الخلابة وهي الخداع بالقول
اللطيف وفي الاساس برق خلب لا غيث معه قال • لم يكن برقك برقا خلبا
ان خير البرق ما الغيث معه اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا مريعا عريضا واسعا
غدقا تردد به النهيض وتجبر به المهيض اغاث الله الخلق برحمته كشف شدتهم
وعنه اغاثهم المطر اي دفع ما كان بهم من القحط وهو من الاسناد المجازي والمغيث
في الحقيقة انما هو الله تعالى وهو من الغوث بالواو ولا من الغيث بالياء فان الفعل منه
غاث بدون الف يقال غاث الله البلاد غيثا من باب ضرب انزل بها الغيث
وغاث الغيث الارض نزل بها وهذا المعنى ليس مرادا هنا والمريع بفتح الميم في
النسخ العامة المخصب الناجع من مرع الوادي مراعة ككرم كرامة اي اخصب بكثرة
الكلاء قال ابن سيدة في محكم اللغة وغيث مريع تمرع عنه الارض اي تخصب و
رجل مريع الجناب كثير الخير على المثل وبضم الميم كما في نسخة ابن ادريس الكثير
النماء من اراع الطعام اذا صارت له زيادة في العجن والخبز واراعت الابل
اذا كثرت اولادها ويروى مربعا بضم الميم والباء الموحدة اي مغنيا عن الارتياد
لعمومه فالناس يربعون حيث كانوا اي يقيمون ولا يطلبون ويرتادون المراعي
في غيرها منهم من اربعوا اذا قاموا في المربع وقال الخطابي اي منبتا للربيع قال بعضهم
والاول هو الاعرف لان الارباع بمعنى انبات الربيع فلما ذكر في كلامهم والمريع بمعنى
المخصب ايضا يقال امرع المكان امراعا كما يقال مرع مراعة اذا اخصب والوصف

الكثير الدائم مستعار ماله عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من
الطويل اذا الطول الطول الامتدادي فاذا كان عرض كذلك فما ظنك بطوله ومنه
قوله تعالى فذو دعاء عريض وبالغين المعجمة الطري ويقال الماء المطر غرض
لطراوته والواسع الذي وسع غيثه كل مكان وخصبه كل جدب والعزيز الكثير الماء
والقطر والمهيض فعيل بمعنى فاعل وهو صفة لموصوف حذف للعلم به اي النبت
المهيض يقال نهض النبت ينهض اي استوى والمراد بوجه اعادتي الماء عليه
الاستواء لانه بعد استوائه انخفض وانجدل على الارض لعدم المطر والسقي واعاده
النبت في سالف السنين المخصبة وجبرت العظم جبرا من باب قتل اصلحته فجبر هو جبرا
ايضا وجبور اصلح يستعمل لازما ومتعديا والمهيض مفعول من هاض العظم يهيضه
هيضا كسره بعد الجبور وهو اشد ما يكون من الكسر شبه النبات المنكسر المنحط بالعظم
المكسور فاستعار له لفظ المهيض تصريحا بالاستعارة وقرنها بذكر الجبر الذي هو من
لوازم المستعار منه ترشيحا اللهم اسقنا سقيا تسيل منه الظراب تملأ منه الجباب
وتفجر به الانهار وتنبت به الاشجار وترخص به الاسعار في جميع الامصار وتنعش به
البهائم والخلق وتكمل لنا به طيبات الرزق وتنبت لنا به الزرع وتدر به الضرع
وتزيدنا به قوة الى قوتنا سال الماء يسيل سيلا من باب باع جرى
واسلته اسالة اجريته والظراب جمع ظرب على وزن كتف وهو الجبل الصغير
والمنبسط على الارض وقيل الظراب الروابي الصغار وقيل هي رؤوس الجبال واسناد
فعل الاسالة على الظراب مجاز عقلي اذ حقه ان يوقع على الماء لانه المسال حقيقة
لكنه اوقع على مكانه للملابسة له كما اسند الفعل اليه في سال النهر وان المجاز العقلي
اعم من ان يكون في النسبة الاسنادية او غيرها فكما ان اسناد الفعل الى غير ما
حقه ان يسند اليه مجاز فكذا ايقاعه على غير ما حقه ان يوقع عليه واضافة

المضاف الى غير ما حقه ان يضاف اليه لان جار موصفة الاصل نص على ذلك
التفتازاني في المطول قال بعض المترجمين وانما خص الظراب بالذكر لظهور سيلان
السيول عليها او يكون المراد بقلع الاسالة عليها حقيقة فيكون الغرض طلب كثرة
المطر حتى تذيب الظراب وتسيلها انتهى ولا يخفى سخافة كل من الوجهين بل انما
خص الظراب بالذكر لانها جملة المراعي التي تصعدها الانعام وترعى ما فيها
من النبات بخلاف الجبال الشواهق لانه لا يمكن رقيها وصعودها كما يدل عليه حديث
عبادة بن الصامت واخيه عبد الله وشك ان يكون خير مال المسلم شاء
بين مكة والمدينة ترعى فوق رؤوس الظراب وتاكل من ورق القتاد والبشام
والجباب جمع جب قال في القاموس الجب بالضم البئر او الكثيرة الماء البعيدة القعر
او الجيدة الموضع من الكلام او التي لم تطو او مما وجد لا مما حفره الناس وتفجرت الماء
تفجيرا من باب قتل وتفجيره تفجيرا فانفجر وتفجر لما تفجر وتفجرا جريته فجرى وقيل هو ان
تفتح له طريقا فيخرج من منبعه ويسيل جاريا والانهار جمع نهر بالتحريك لغة في النهر
بالسكون مثل سبب واسباب والساكن يجمع على نهر بضمتين وانهر وهو المجرى الواسع
من مجاري الماء وايقاع التفجير عليها مجاز عقلي كما تقدم وفي الصحاح للقيومي النهر
الماء الجاري للتسع ثم اطلق على الاخدود مجازا للمجاورة فيقال جرى النهر وجف
النهر كما جرى الميزاب والاصل جرى ماء النهر انتهى وعلى هذا فيجوز ان يكون
تفجير الانهار حقيقة لا مجازا والاشجار جمع شجر وهو ماله ساق صلب من النبات
يقوم به كالنخل وغيره وفي القاموس الشجر من النبات ما قام على ساق او ما سما
بنفسه دق او جل قاوم الشتاء او عجز عنه والرخص بالضم ضد الغلاء رخص
الشيء رخصا من باب قرب فهو رخيص ويتعدى بالهمزة فيقال ارخص الله
السعر وتعديته بالتضعيف غير معروف فلا يقال رخصه الله ترخيصا والاسعار

جمع سعر بالكسر وهو تقدير اثمان الاشياء وارتفاعه غلاء وانحطاطه رخص وقيل هو تقدير ما يباع به الشيء طعاما كان او غيره ويكون غلاء ورخصا باعتبار الزيادة على المعتاد الغالب في ذلك المكان والاوان والنقصان عنه **فائدة** اختلف في المسعر فقيل هو من فعل الله سبحانه وهو ما ذهب اليه الاشاعرة بناء على اصلهم رائه لا فاعل الا الله تعالى ولما ورد في الحديث حين وقع غلاء بالمدينة فاجتمع اهلها الى النبي عليه السلام وقالوا سعر لنا يا رسول الله فقال المسعر هو الله واختلف المعتزلة في هذه المسئلة فقال بعضهم هو فعل يباشره العبيد اذ ليس ذلك الا مواضعة منهم على بيع واشترى بثمن مخصوص وقال آخرون هو متولد من فعل الله تعالى وهو تقليل الاجناس وتكثير الرغبات باسباب هي من فعله تعالى والذي يذهب اليه معظم الامامية ان خروج السعر عن مجرى عادته ترقيا او تنزلا ان استند الى اسباب غير مستندة الى العبد واختياره نسب الى الله تعالى حتى توافق ارادات عامة الناس ورغباتهم والا نسب الى العبد كجبر السلطان الرعية على سعر مخصوص وما ورد في الحديث النبوي المذكور محمول على انه لا ينبغي التسعير بل يفوض الى الله تعالى ليقدره بمقتضى حكمته الكاملة ورحمته الشاملة لا ان كل تسعير وقع منسوب الى الله تعالى اذ لو كان هذا مراده عليه السلام لم يكن اجابته الى سؤالهم منافيا له ولا كان قوله المسعر هو الله تعالى علة لترك التسعير وما ورد في الاخبار عن اهل البيت عليهم السلام في هذا المعنى كما روي عن علي ابن الحسين عليهما السلام انه قال ان الله وكل ملكا بالسعر يدبره بامره وعن ابي عبد الله عليه السلام ان الله وكل بالاسعار ملكا يدبرها بامره فالمراد بالسعر ما لم يكن للعبد في اسبابه مدخل والله اعلم والامصار جمع مصر بالكسر وهو البلد العظيم واصله الحاجز بين الشيئين وقال ابن فارس المصر كل كورة يقسم فيها الفيء والصدقات ونعشه نعشا من باب منع جبره بعد فقر واصله من نعشت العاثر

ادا رفعه

ادا رفعه من عثرته قال في الاساس ومن المجاز نعشه فانتعش اذا تداركته من هلكة وقال ابن سيده في محل اللغة نعشه ينعشه نعشا تداركه من هلكة ونعشه وانعشه سد فقره والربيع ينعش الناس بغيثهم قال النابغة وانت ربيع ينعش الناس سيبه وسيف اعيرته المنية قاطع والبهائم جمع بهيمة وهي كل ذات اربع من دواب البر والبحر وكل حيوان لا يميز فهو بهيمة والمراد بالخلق الناس كما يؤذن به ايراده في مقابلة البهائم وكمل الشيء كمولا من باب قعد والاسم الكمال ويستعمل في الذوات والصفات يقال كمل اذا تمت اجزاؤه وكملت محاسنه ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال اكملته اكمالا وكملته تكميلا والرواية في الدعاء وردت بالوجهين وطيبات الرزق مستلذاته وقيل هي الجامعة للذة والنفع والحل وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا والزرع ما استنبت بالبذر تسمية بالمصدر ومنه يقال حصدت الزرع اي النبات قال بعضهم ولا يسمى زرعا الا وهو غض طري ودر اللبن درا من باب ضرب وقتل كثر وادر الله كثره وصاحبه يستخرجه والضرع لكل ذات ظلف وخف كالثدي للمرأة وادرار الضرع كاجراء النهر مجاز عقلي وقوله عليه السلام وتزيدنا به قوة الى قوتنا تلميح الى قوله تعالى حكاية عن هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم واستعمال كلمة الى لتضمين معنى الاضافة والانضمام اي قوة مضافة ومنضمة الى قوتنا في الدعاء والى قوتكم في الاية وفسرت القوة ههنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الانسان وقال علي بن عيسى يريد عزا الى عزكم بكثرة عددكم واموالكم وقيل قوة في ايمانكم الى قوة في ابدانكم وانما خص القوة لانها اصل الانتفاع بالسقيا واشرف مطالب الرزق اللهم لا تجعل ظله علينا سموما ولا تجعل برده علينا حسوما

ولا تجعل صوبه علينا رجوما ولا ماءه علينا اجاجا

الظل قيل هو الفيء الحاصل من
حاجز بينك وبين الشمس مطلقا وقيل مخصوص بما كان منه الى الزوال وما بعد
هو الفيء وقال ابن قتيبة في اول ادب الكاتب يذهبون بعض العوام الى ان
الظل والفيء بمعنى وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية ومن اول النهار
الى آخره ومعنى الظل الستر ومنه انا في ظلك ومنه ظل الجنة وظل شجرها انما
هو سترها ونواحيها وظل الليل سواده لانه يستر كل شيء وظل الشمس ما ستر
الشخوص من مسقطها واما الفيء فلا يكون الا بعد الزوال ولا يقال لما قبل الزوال فيء
وانما سمي ما بعد الزوال فيئا لانه ظل فاء من جانب الى جانب والفيء الرجوع انتهى وفي
القاموس من الظل من السحاب ما وارى الشمس منه او سواده والسموم بالفتح
الريح الحارة تكون غالبا بالنهار وقيل هو مطلق الريح الحارة التي تدخل في مسام
البدن وفسر غدا بيوم الظلة بانه غيم تحته سموم والحسوم مصدر كالصعود و
الهبوط يقال حسمه حسما وحسوما من باب ضرب بمعنى قطعه ومنه قيل للسيف
حسام لانه قاطع اي لا تجعل برده علينا قطعا اي قاطعا كقوله تعالى قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا والمراد بالقطع الهلاك والاستيصال يقال قطعه الله
اي اهلكه واستاصله او هو بمعنى التتابع والدؤوب ماخوذ من حسم الداء وهو
متابعة الكي واعادته على الداء مرة بعد اخرى حتى يحسم اي لا تجعل برده علينا متتابعا
والبافات البرد اذا تتابع اهلك او هو بمعنى الشؤم والشر الذي يحسم كل خير قال
في القاموس الحسوم بالضم الشؤم والدؤوب في العمل وفسر الحسوم من قوله تعالى
سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي ولاء متتابعة كانه تتابع عليهم الشر حتى استاصلهم
وقيل دائمة وقيل قاطعة قطعتهم قطعا حتى اهلكتهم وقيل مشائيم نكدا قليلة
الخير حسمت الخير عن اهلها والصوب بالفتح نزول المطر وانصبابه وصاب السماء

صوبا من باب قال ومطر صيب وصوب يطلق على المطر نفسه ورجمه رجما من
باب قتل رماه بالحجارة والرجوم بالضم جمع رجم وهو اسم ما يرجم به قال ابن الاثير
في النهاية ويجوز ان يكون مصدرا لا جمعا وكونه جمعا ان حمل الصوب على معنى المطر
نفسه ومصدرا ان حمل على معنى النزول وان حملته على معنى النزول وجعلت الرجوم
جمعا فهو على حذف مضاف اي ذا رجوم اي لا تجعل نزول مطره علينا ذا حجارة اي لا تجعله
مطر نقمة لا مطر رحمة كما عذبت قوما فيما امطرت الحجارة عليهم كما قال تعالى وامطرنا
عليها حجارة من سجيل ولا حاجة الى القول بان المعنى لا تجعل صوبه علينا كالحجارة
في الاضرار بنا وافساد النبات والزرع لان حمل الكلام على ظاهره عند الامكان اولى
من التعسف في التاويل كما هو مقرر عند العلماء والاجاج بالضم الشديد الملوحة
لا يمكن شربه وقيل هو المر الشديد المرارة الغليظ الذي لا يطاق شربه **اللهم صل
على محمد وآل محمد وارزقنا من بركات السموات والارض انك على كل شيء قدير** ي
البركات جمع بركة بالتحريك وهي بمعنى الزيادة والنماء وتطلق على مطلق الخير
وبركات السموات والارض خيرهما النامي بانزال المطر من السماء وباخراج
النبات والثمار من الارض وقيل بركات السماء اجابة الدعاء وبركات الارض
تيسير الحوائج وكل من المعنيين فسر قوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا لفتحنا عليهم
بركات من السماء والارض وقوله عليه السلم انك على كل شيء قدير تعليل للدعاء وزيد
استدعاء للاجابة وتاكيد الجملة لغرض كما فوقه يقينية بمضمونها والقدير هو
الفعال لكل ما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله وقد سلف الكلام
على معنى قدرته تعالى فليرجع اليه والله اعلم هذا آخر الروضة التاسعة عشرة من رياض
السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين وقد وفق الله تعالى للفراغ من تحريرها واتمامها
والوقوف على انهاء نظامها يوم الوقفة من ذي الحجة الحرام من شهور سنة والفين الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال الهادي الى مكارم الاخلاق ومرضي الافعال والصلوة
والسلام على نبيه الكريم المخاطب في الذكر الحكيم بانك على خلق عظيم وعلى اهل بيته
اولي الاخلاق الرضية والشيم المرضية وبعد فهذه الروضة العشرون من رياض السالكين
تتضمن شرح الدعاء العشرين من ادعية صحيفة سيد العابدين املاء العبد الراجي
فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني احسن الله اخلاقه ووفقه لمرضي الافعال
خلاقه وكان من دعائه عليه السلام في مكارم الاخلاق ومرضي الافعال اي في
طلبها والتوفيق للتحلي بها والمكارم جمع مكرمة بضم الراء وهي اسم من الكرم ضد
اللوم فاضافتها الى الاخلاق بمعنى من اي في مكارم من الاخلاق او بفتح الراء بمعنى
كريمة قال في القاموس الكرم محركة ضد اللؤم كرم بضم الراء كرامة وكرما
فهو كريم وكريمة ومكرم فاضافتها الى الاخلاق من اضافة الصفة الى الموصوف
بتاويل جعلها نوعا مضافا الى الجنس ككرام الناس والاخلاق جمع خلق بضمتين
وقد يسكن قال الراغب هو والمفتوح في الاصل بمعنى واحد لكن خص المفتوح
بالهيئات والصور المدركة بالبصر والمضموم بالسجايا والقوى المدركة بالبصيرة
وعرفوه بانه ملكة للنفس يصدر عنها الفعل بسهولة من غير روية وفكر وهو
قريب من الغريزة وهي ملكة تصدر عنها صفات ذاتية الا ان للاعتياد مدخلا
في الخلق دون الغريزة والافعال جمع فعل بالكسر اسم من فعل فعلا بالفتح وهو الاثر
الصادر عن مؤثر عالما او غيره عن قصد او دونه وهو اعم من العمل وهو الاثر الصادر
عن عالم قاصد له فكل عمل فعل دون العكس وقد يطلق كل منهما على الاخر توسعا
كما وقع هنا فان المراد بالافعال الاعمال اعم من ان تكون نفسانية كافعال القلوب
او جسمانية كحركات البدن او ما كان بمشاركة البدن والنفس كالصناعات ونحوها

ما تعلق بها المدح في العاجل والثواب في الآجل **تنبيه** اختلف في الخلق فقيل هو
غريزي من جنس الخلقة لا يستطاع تغييره حيث كان وتمثل كما قال ● ومنها هذه الاخلاق
الاغرائز ● فمنهن محمود ومنها مذمم ● ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه ● لئيم ولا يستطيعه متكرم
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله من اتاه الله وجها حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله
ومحال ان يمكن للمخلوق تغيير فعل الخالق فالتكليف بتهذيب الاخلاق تكليف بما لا
يطاق وقيل بل هو كسبي لقوله عليه السلام حسنوا اخلاقكم فلو لم يكن كسبيا لما
امر به ولانا نرى كثيرا من الناس يتبدلون ويمارسون خلقا من الاخلاق حتى يصير ملكة
وقال بعضهم الحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب وبيانه ان الله تعالى خلق
الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسماء و
الارض والهيئة والثاني بالقوة وهو ما خلقه خلقا وجعل فيه قوة ترشح الانسان
لاكماله وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل فيه قوة النخل
وسهل للانسان سبيلا الى ان يجعله بعون الله نخلا وان يفسده افسادا قال
والخلق من الانسان يجري هذا المجرى في ان لا سبيل للانسان الى تغيير القوة
التي هي السجية والغريزة وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولهذا قال تعالى وقد خاب
من دساها ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة المواعظ والوصايا والوعد والوعيد
والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف يكون
هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم ممكنا فالوحشي قد ينقل
بالعادة الى التانس والجماح الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم
جبل جبلة سريعة القبول وبعضهم بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل لا ينفك
من اثر قبول وان قل ومن هنا ما ورد في الادعية من طلب التوفيق لمكارم الاخلاق
ومحاسن الاعمال وفي الاحاديث من الامر بها والحث عليها قال الراغب وارى ان من صح

وتغيير الخلق فان اعتبر ما بالقوة تغييرها فهذا صحيح فان النوى محال ان ينبت الانسان
منه نخلا ومن اجاز تغييره فاذا اعتبر اظهار ما في القوة الى الوجود فاكان افسده
باهماله نحو النوى فانه يمكن ان يتفقد فيجعل نخلا وان يترك مهملا حتى يفسد
هذا صحيح ايضا فاذا اختلافهما بحسب اختلاف نظريهما **قال** صلوات الله وسلامه
عليه **اللهم صل على محمد وآله وبلغ بايماني اكمل الايمان واجعل يقيني افضل اليقين
وانته بنيتي الى احسن النيات وبعملي الى احسن الاعمال** بدا عليه السلام
دعاءه بالصلوة على النبي وآله عليهم السلام لاستعداده به لقبول الدعاء ولما روي
عن امير المؤمنين عليه السلام اذا كانت لك الى الله سبحانه حاجة فابدا بمسألة
الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله ثم اسأل حاجتك فان الله تعالى اكرم من ان
يسأل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى وبلغ المكان بلوغا من باب قعد
وصله ويتعدى بالباء والهمزة والتضعيف فيقال بلغ به وابلغه ابلاغا
وبلغه تبليغا فالباء في قوله بايماني زائدة للتاكيد وهي كثيرا ما تزاد في
المفعول نحو ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وهزي اليك بجذع النخلة وقوله
تسقي الضجيع ببارد بسّام او ضمن بلغ انته اي انته بايماني مبلغا اياه
اكمل الايمان والايمان افعال من الامن الذي هو خلاف الخوف ثم استعمل بمعنى
التصديق فالهمزة فيه اما للصيرورة كان المصدق صار ذا امن من ان يكون مكذبا
او للتعدية كانه جعل المصدق آمنا من التكذيب والمخالفة ويعدى بالباء لاعتبار
معنى الاقرار والاعتراف نحو يؤمنون بالغيب وباللام لمعنى الاذعان نحو وما
انت بمؤمن لنا هذا معناه اللغوي واما في الشرع فقيل هو المعرفة فقوم بالله
وقوم به وبما جاءت به رسله اجمالا وقيل هو كلمتا الشهادة وقيل هو التصديق
معهما وقيل هو اعمال الجوارح فقوم هو الطاعات باسرها فرضا ونفلا وقوم

هو الطاعات

٢٧٧

هو الطاعات المفترضة دون النوافل وقيل هو مجموع الثلاثة فهو تصديق
بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان وقيل هو التصديق بالله ورسوله وبما
جاء به اجمالا والولاية لاهلها وهو الحق لدلالة الآيات والاخبار عليه نحو قوله
تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وهم الائمة المعصومون ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقلبه مطمئن
بالايمان دلت على انه امر قلبي وقوله تعالى ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم دل اقتران الايمان بالمعاصي بها ان العمل غير داخل في حقيقته وقوله
تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات دل على التغاير وان العمل ليس داخلا فيه لان
الشيء لا يعطف على نفسه ولا الجزء على كله وقول الرسول صلى الله عليه وآله يا
معشر من اسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه ولا تذموا المسلمين وقول الصادق
عليه السلام الايمان ما وقر في القلوب والاسلام ما عليه المناكح وقوله عليه السلام
يبتلى المؤمن على قدر ايمانه وحسن اعماله دلت على محلية القلب للايمان ومغايرته
للعمل على ان كون الايمان عبارة عن التصديق المخصوص المذكور لا يفتقر الى نقله
عن معناه اللغوي الذي هو التصديق المخصوص فهو منه بخلاف ما اذا
كان المراد غيره من المعاني المذكورة فانه يستلزم النقل وهو خلاف الاصل
ولو كان منقولا لنبي للامة نقله بالتوقيف كما بين نقل الصلوة والزكوة
ونحوهما ولاشتهر اشتهار نظائره بل هو كان بذلك اولى واما ما ذهب اليه المحقق
الطوسي من اصحابنا من ان الايمان مركب من الاقرار والتصديق واستدل على ان
الاول وحده وهو الاقرار باللسان ليس بايمان بقوله تعالى قالت الاعراب آمنا
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فقد اثبت لهم الاقرار اللساني ونفى الايمان
فعلم ان الايمان ليس هو الاقرار باللسان وعلى ان الثاني وحده هو التصديق

ليس بايمان بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها اثبت للكفار الاستيقان
النفسي وهو التصديق فلو كان الايمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر
والايمان في شخص واحد في ان واحد ولا شك انهما متقابلان لا يمكن اجتماعهما
كذلك ففيه اولا ان التصديق لما كان مقرونا بالانكار كان غير معتبر لان التصريح
بالنقيض يبطله كان مانعا من القبول والاعتبار ولذلك اشترط فيه عدم الانكار
باللسان وثانيا ان هذه الاية انما تدل على ان التصديق وحده ليس بايمان ولا
تدل على ان الاقرار باللسان جزء من الايمان لجواز ان يكون شرطا له والمشروط
ينتفي بانتفاء الشرط كما ان الكل ينتفي بانتفاء الجزء ومن ثم حمل المتكلمون القائلون
بالايمان نفس التصديق الاخبار الدالة على جزئية اعمال الجوارح للايمان على
انها للكمال بمعنى ان العمل ليس جزءا للايمان بحيث ينعدم الايمان بعدم العمل
بل اضافة العمل اليه اضافة كمال وكذا حملوا الاخبار الدالة على جزئية الاقرار باللسان
على انه شرط في الايمان لا جزء منه وعلى هذا حملوا الاخبار المختلفة الدال بعضها
على ان الايمان نفس التصديق والعمل وبعضها على انه التصديق والاقرار وكون
الاقرار باللسان شرطا لكون التصديق القلبي ايمانا هو مذهب طائفة
من العامة ايضا قال التفتازاني في شرح العقائد فرقة تقول الاقرار شرط
لصحته وقال الدواني في شرح العقائد العضدية والتلفظ بكلمتي الشهادة
مع القدرة عليه شرط فمن اخل به فهو كافر مخلد في النار انتهى وقال بعض اصحابنا انما
يشترط عدم الانكار باللسان واما كون الاقرار باللسان شرطا في قبول الايمان تعليم
فلا تبصرة اختلف في الايمان هل يقبل الزيادة والنقصان ام لا فذهب الى كل طائفة
فقال كثير من المتكلمين هو بحث لفظي لانه فرع تفسير الايمان فان قلنا
هو التصديق فلا يقبلهما لان الواجب هو اليقين وانه لا يقبل التفاوت لا

بحسب

بحسب ذاته ولا بحسب متعلقه اما الاول فلان التفاوت انما هو لاحتمال النقيض
وهو ولو بابعد وجه ينافي اليقين فلا يجامعه واما الثاني فلانه جميع ما علم
بالضرورة مجيء الرسول به والجميع من حيث هو جميع لا يتصور فيه تعدد والا لم يكن
جميعا وان قلنا هو العمل وحده او مع التصديق فيقبلهما وهو ظاهر وما ورد في
الكتاب والسنة مما يدل على قبوله اياهما فباعتبار الاعمال فيزيد بزيادتها وينقص
بنقصانها وقال المحققون من العلماء الحق ان التصديق يقبل الزيادة و
النقصان بحسب ذاته وبحسب متعلقه اما الاول فلان التصديق من الكيفيات
النفسانية المتفاوتة قوة وضعفا فيجوز ان يكون التفاوت فيه بالقوة والضعف
بلا احتمال النقيض وللفرق الظاهر بين ايمان النبي واحاد الامة واما الثاني
فلان التصديق التفصيلي في افرادها علم مجيء الرسول به جزء من الايمان يثاب عليه
ثوابه على تصديقه بالاجمال فكان قابلا للزيادة وقوله ولكن ليطمئن قلبي ناظر
الى الاول لان عين اليقين اقوى من علم اليقين ولهذا قال امير المومنين عليه السلام
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
ناظر الى الثاني اذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام بلغ بما في اكمل الايمان يحتمل ان يكون
المراد به نفس التصديق وهو اصل الايمان الكامل وان يكون المراد به الايمان
الكامل وهو التصديق مع العمل فان لكل منهما درجات ومراتب متكثرة متفاوتة
بعضها فوق بعض وادناها في التصديق اصل المعرفة لان نفيه يوجب الكفر
وفي العمل القيام بالمفروضات واجتناب المنهيات واعلاها فيهما غاية الكمال
للبشر وهي في التصديق مرتبة عين اليقين واعلى منها وهي مرتبة حق اليقين وفي العمل
صرف جميع الجوارح في جميع الاوقات في جميع ما خلقت وقد وردت اخبار كثيرة
في ان الايمان درجات فعن ابي عبد الله عليه السلام ان الايمان عشر درجات بمنزلة

انّ ثمّ يصعد منه مرقاة بعد مرقاة وعن الزبيري عن ابي عبد الله عليه السلام قال
قلت له ان للايمان درجات ومنازل يتفاضل المؤمنون فيها عند الله قال نعم
وعنه عليه السلام ان الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام
المنتهي تمامه ومنه الناقص البيّن نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه قال
بعض الشارحين التام المنتهي تمامه ايمان الانبياء والاوصياء والناقص البيّن
نقصانه هو ادنى المراتب الذي دونه الكفر والراجح الزائد رجحانه على مراتب غير
محصورة باعتبار التفاوت في الكمية والكيفية والله اعلم تكمله لبعض محققي المفسرين
كلام نفيس في الايمان لا باس بايراده هنا لكمال تعلقه بالمقام قال رحمه الله انّ
للايمان وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في العبارة ولا ريب
ان الوجود العيني لكل شيء هو الاصل وباقي الوجودات فرع وتابع فالوجود
العيني للايمان هو النور الحاصل للقلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الحق
جل ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وهذا النور قابل
للقوة والضعف والزيادة والنقصان كساير الانوار واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا كلما ارتفع حجاب ازداد نوره فيتقوّى الايمان ويتكامل الى ان ينبسط
نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقايق الاشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب
ويعرف كل شيء في موضعه فيظهر له صدق الانبياء عليهم السلام ولا سيما محمدا
خاتم النبيين صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين في جميع ما اخبروا عنه اجمالا
او تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره وينبعث من قلبه داعي العمل
بكل مامور والاجتناب لكل محظور فيضاف الى نور معرفته انوار الاخلاق الفاضلة
والملكات الحميدة نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم نور على نور يهدي الله لنوره
من يشاء واما الوجود الذهني فملاحظة المؤمن لهذا النور ومطالعته له ولوازمه

الوجود

الوجود اللفظي فهي الكلمة التي اصطلح عليها الشارع شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله ولا يخفى ان مجرد التلفظ بقولنا شهادة ان لا اله الا الله محمد رسول الله
من غير النور المذكور لا يفيد الا كما يفيد العطشان التلفظ بالماء الزلال الا ان التعبير
في الضمير لما لم يتيسر الا بواسطة النطق المفصح عن كل خفي والمعرب عن كل شبهة
كان التلفظ بكلمة الشهادة وله مدخل عظيم في الحكم بايمان المرء وكفره فتح جعل
ذلك وما ينخرط في سلكه من العلامات كعدم لبس الغيار وشد الزنار دليلا عليهما
وتفويض امر السرائر الى عالم الخفيات المطلع على السرائر والنيات انتهى وكلامه
في الوجود العيني للايمان ماخوذ من قول امير المؤمنين عليه السلام ان الايمان يبدو
لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة قال الشيخ كمال الدين رحمه الله
اراد ان الايمان وهو التصديق بوجود الصانع تعالى اول ما يكون في القلب يكون
حالة ثم لا يزال يتاكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة
ولفظ اللمظة استعارة لما يبدو من نور الايمان في القلب ووجه ملاحظة لشبهه
باللمظة من البياض والنكتة من نور الشمس انتهى قال في القاموس اللمظة بالضم النقطة
من البياض ظاهر معظم الاخبار الواردة عن اهل البيت عليهم السلام ان الاسلام
يصدق على مجرد الاقرار باللسان من غير تصديق سواء كان معه الاقرار بالولاية
او لم يكن وعلى التصديق المجرد عن الولاية وان لم يكن معه الاقرار باللسان و
على كليهما مجردا عن الولاية او معها والايمان يصدق على التصديق بجميع ما جاء
به الرسول الداخل فيه الولاية سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق
او لم يكن وان كان المقرون بالعمل هو الفرد الكامل من الايمان بل هو الايمان
على هذا اخص من الاسلام فهو كالنوع والاسلام كالجنس والله اعلم قوله عليه السلام
واجعل يقيني افضل اليقين اليقين فعيل يكون اسم مصدر ويكون بمعنى

من يقن الامر يقن يقنا من باب تعب اى ثبت فهو يقين ويستعمل ايضا متعديا
بنفسه وبالبناء وبالهمزة والباء فيقال يقنته يقنا به وايقنت وتيقنته
واستيقنته اى علمته علما لا شك فيه فاليقين لغة العلم الذى لا شك معه
واصطلاحا قيل هو العلم الحاصل عن نظر واستدلال ولهذا لا يسمى علم الله تعالى
يقينا وقيل هو غاية الكمال فى القوة النظرية التى لا يحتمل النقيض سواء حصلت
بالبرهان او بالمجاهدات والرياضات النفسانية والهدايات الخاصة بالاولياء
على حسب مراتبه وقال المحقق الطوسى فى بعض رسائله اليقين اعتقاد جازم
مطابق ثابت لا يمكن زواله وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بالمعلوم
والعلم بان خلاف ذلك محال وله مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق
اليقين والقرآن ناطق بذلك قال تعالى لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم
ثم لترونها عين اليقين وقال وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين
وهذه المراتب مترتبة فى الفضل والكمال وهى مثل مراتب معرفة النار
فالعلم بالنار مثلا بتوسط النور والدخان هو علم اليقين وهو العلم الحاصل
لاهل النظر والاستدلال بالبراهين القاطعة والعلم بمعاينة جرم النار
المفيض للنور هو عين اليقين وهو العلم الحاصل بالكشف للخلص من المؤمنين
الذين اطمانت قلوبهم بالله وتيقنوا بمعاينة القلوب ان الله نور السموات
والارض كما وصف به نفسه والعلم بالنار بالوقوع فيها والاحتراق بها ومعرفة
الكيفية بها التى لا تفصح عنها العبارة هو حق اليقين وهو العلم الحاصل بالاتصال
المعنوى لاهل الشهود والفناء فى الله وهذه المرتبة هى الدرجة العليا والمنزلة
الفضلى التى سالها الداعى علمه كثيرا وعبر بعضهم عن هذه المراتب هى الدرجة العليا
والمنزلة الفضلى التى سالها الداعى علمه كثيرا فقال العلم ثلاث مراتب اولاها

علم اليقين

علم اليقين وهى مرتبة البرهان وثانيها عين اليقين وهو ان يرى المعلوم عيانا
فليس الخبر كالعيان وثالثها حق اليقين وهو ان يصير العالم والمعلوم والعلم واحدا
ولعله لا يعرف حق هذه المرتبة الا من وصل اليها كما ان طعم العسل لا يعرف الا من ذاقه
ولعزة هذه المرتبة وقلة الواصلين اليها لم يتعرض لبيانها الا الاكثرون قال
الشيخ بيان الحق ابو القاسم محمود بن ابى الحسن النيسابورى فى كتاب خلق الانسان
قالوا ان اليقين يقينان احدهما ينفى الشك وهذا لا ينفى الشهوة وهو يقين
التوحيد والآخر نور مشرق للصدر غالب للشهوات مبطل للاختيار صارت
لصاحبه امور الدنيا والآخرة واحوال الملكوت معاينة واصبحت الامة خاضعة
طائعة وعلى هذا جاء من الله فى الزبور المنزل على داود عليه السلام لو صدق يقينكم
ثم قلتم لجبل تنقل فتقع فى البحر لوقع وذلك ان القلب اذا وصل الى الله تعالى
وامتلاء من عظمته واشرق بنور جلاله وهيبته فبعد ذلك ايما وقع البصر
دار الفكر حول الى ما استلاء به القلب اذا وصل الى الله وامتلاء من عظمته
من العمل الصرف الصافى الخالص غير الممزوج بالشبهات الكدر بالشائبات مثل
الشمس اذا دنت قربها واستوى حاجبها ومقاديرها واشكالها فكذلك شمس اليقين
اذا اشرقت واستضاءت بنورها النفس اراه ذلك امر الملكوت واحوال الدنيا
والآخرة وبواطن الاشياء والاسرار التى فى الغيوب مما كشفها الله لانبيائه
واطلع عليها قلوب خيرته واصفيائه قلت ومما يؤيد هذا المعنى ما رواه ثقة
الاسلام فى الصحيح باسناده عن اسحق بن عمار قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام
يقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح فنظر الى شاب فى المسجد
وهو يخفق ويهوى براسه مصفرا لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه فى راسه
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كيف اصبحت يا فلان قال اصبحت يا

رسول الله موقنا فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال ان لكل يقين
حقيقة فما حقيقة يقينك فقال ان يقيني يا رسول الله هو الذي احزنني
واسهر ليلي واظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كاني انظر
الى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وانا فيهم وكاني
انظر الى اهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الارائك متكئون
وكاني انظر الى اهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكاني الآن اسمع
زفير النار يدور في مسامعي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله هذا عبد نور الله
قلبه بالايمان ثم قال له الزم ما انت عليه فقال الشاب ادع لي يا رسول الله ان
ارزق الشهادة معك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث ان خرج في
بعض غزوات النبي صلعم فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر وهذا
الشاب هو حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري كما وردت به رواية اخرى ومما
يدل على التفاوت في اليقين حتى في الانبياء عليهم السلام ما روي في كتاب مصباح
الشريعة عن الصادق عليه السلام انه كان اليقين يوصل العبد الى كل حال سني
ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله عن عظم شان اليقين حين
ذكر عنده ان عيسى ابن مريم عليهما السلام كان يمشي على الماء فقال لو ازداد يقينه
لمشى في الهواء فدل بهذا ان الانبياء عليهم السلام مع جلالة محلهم من الله كانت
تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لزيادة اليقين على الابد والمؤمنون
ايضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوي منهم يقينه فعلامته التبري
من الحول والقوة الا بالله والاستقامة على امر الله وعبادته ظاهرا وباطنا
قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم
والعز والذل لانه يرى كلها من عين واحدة ومن ضعف يقينه تعلق بالاسباب

ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في
امور الدنيا وجمعها وامساكها يقر باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا
يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه
قال الله عز وجل يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
انتهى ومن اخبار اهل اليقين ما حكاه ابراهيم الخواص قال لقيت غلاما في التيه
كانه سبيكة فضة فقلت الى اين فقال الى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة فقال
يا ضعيف اليقين الذي يحفظ السموات والارض لا يقدر ان يوصلني الى بيته
بلا علاقة فلما دخلت مكة اذا هو في الطواف يقول يا عين ابكي ابدا يا نفس
موتي كمدا ولا تحبي احدا الا الجليل الصمدا فلما رآني نادى يا شيخ انت بعد على
ذلك الضعف من اليقين ان من وثق بالله في رزقه لم يطلب الرزق قبل وقته
وعن الصادق عليه السلام ان الايمان افضل من الاسلام وان اليقين افضل من
الايمان وما من شيء اعز من اليقين وعن الرضا عليه السلام ان الايمان افضل من
الاسلام بسند صحيح قال الايمان فوق الاسلام بدرجة والتقوى فوق الايمان بدرجة
ولم يقسم بين العباد اقل من اليقين وعن ابي عبد الله عليه السلام ان العمل الدائم
القليل على اليقين افضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين والاخبار في
هذا المعنى كثيرة قوله عليه السلام وانهضه بنيتي الى احسن النيات الباء للتعدية و
تسمى باء النقل وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا تقول في قام زيد
قمت زيدا وقمت به اي صيرته قائما فمعنى انهضه بنيتي اجعلها منتهية الى
احسن النيات اي بالغة اليه والنية بالتشديد اسم من نويت الشيء انويه اي قصدته
والتخفيف لغة حكاها الازهري وكانه حذفت اللام وعوض عنها الهاء على هذه اللغة
كما قيل في شية وظبة وقيل ماخذها من نوى الشيء بمعنى حفظه لان النية محلها

القلب فثبتت بذلك لانها تفعل باى عضو فى الحدا اى احفظ واختلفت عبارات
العلماء فى تعريف النية فقيل هى ارادة تفعل بالقلب فالارادة بمنزلة الجنس و
الوصف بمنزلة الفصل تخرج به ارادة الله تع وقيل هى جمع الهم فى تنفيذ العمل
للمعمول له وانه لا يخطر فى السر ذكر غيره وقيل هى توجه القلب نحو الفعل ابتغاء لوجه
الله تعا وقيل هى الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن معرفة كمال الشئ وقال
بعض فقهائنا انها ارادة ايجاد الفعل على الوجه المامور به شرعا واراد بالارادة
ارادة الفاعل فخرجت ارادة الله تعالى افعالنا وبالفعل ما يعم توطين النفس على الترك
فدخلت نية الصوم والاحرام وامثالهما وبالمامورية ما ترجح فعله شرعا فدخل المندوب
وخرج المباح والظاهر ان المراد بالنية فى الدعاء هو مطلق القصد على ايقاع فعل معين
لعلة غائية ولما كانت النية بهذا المعنى تنقسم باعتبار غايتها الى قبيح وحسن واحسن
سأل الله لكم ان يبلغ بنيته احسن النيات فالقبيح ما كان غايته امرا دنيويا وحطاما حلالا
وليس له فى الاخرة من نصيب كنية اهل الرياء والنفاق ونحوهم والحسن ما كان غايته امرا
اخرويا من رغبة فى ثواب او رهبة من عقاب والاحسن ما كان غايته وجه الله تعالى
لا غير ويعبر عنه بالنية الصادقة قال شيخنا البهائى قدس سره المراد بالنية الصادقة
انبعاث القلب نحو الطاعة غير ملحوظ فيه شئ سوى وجه الله سبحانه قال بعضهم افضل
ما يتقرب به العبد الى الله ان يعلم انه لا يريد العبد من الدنيا والاخرة غيره قال
الله تعا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه
وهو مقام النبيين والصديقين والشهداء تتميم روى فى مصباح الشريعة
عن الصادق عليه السلام انه قال لا بد للعبد من خالص النية فى كل حركة وسكون
لانه اذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال
ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وقال اولئك هم الغافلون وشرح ذلك بعض

العلماء

العلماء فقال يجب ان يكون للعبد فى كل شئ يفعله وعمل يعمله نية واخلاص حتى
فى مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه فان ذلك كله من اعماله التى يسأل عنها
ويجازى عليها فان كانت لله وفى الله كانت فى ميزان حسناته وان كانت فى سبيل الهوى
ولغير الله كانت فى ميزان سيئاته وكان صاحبها فى الدنيا مثال البهائم الراتعة
والانعام المهملة السارحة ولا يكون على الحقيقة انسانا مكلفا موفقا وكان
من الذين ذكرهم الله بقوله اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى وجدناه غافلا كقولك دخلت
بلدة فاعمرتها اى وجدتها عامرة واخربتها اى وجدتها خرابا وهو غافل عما يأتى ويذر
متبع لهواه فيما يورده ويصدره وكان امره فرطا بغير نية فى افعاله ولا صحة فى احواله
قال بعضهم ومن هنا يعلم انه يمكن ان تجعل العادات عبادات كالاكل والشرب اذا
نوى بهما القوة على الطاعة وكالتطيب ان قصد به اقامة السنة لا استيفاء اللذات
والتودد الى النسوان اذ هو معصية ففى الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب
من ريح المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة فاجتهد فى
تصيير ذلك ملكة للنفس قال بعض العارفين قد يسمع الجاهل ما ذكره اصحاب القلوب
من المبالغة والتأكيد فى امر النية وان العمل بدونها لا طائل تحته كما قال سيد البشر صلى الله
عليه واله انما الاعمال بالنيات فيظن ان قوله عند تسبيحه وتدريسه انوى قربة الى الله
مخطرا معنى هذه الالفاظ على خاطره هو النية وهيهات انما ذلك تحريك لسان وحديث
نفس او فكر او انتقال من خاطر الى خاطر والنية عن جميع ذلك بمعزل انما النية
انبعاث النفس وانعطافها وتوجهها وميلها الى فعل ما فيه غرضها وبغيتها اما
عاجلا واما اجلا وهذا الانبعاث للنفس وانعطافها وتوجهها وميلها الى فعل
ما فيه غرضها وبغيتها والميل اذا لم يكن حاصلا لها لم يمكنها اختراعه واكتسابه
بمجرد الارادة المتخيلة والنطق بتلك الالفاظ وما ذلك الا كقول الشبعان اشتهى

الطعام وقول القارئ اعتق فلان مثلا والحاصل انه لا تحصل النية الكاملة المعتد بها في العبادات وغيرها اذا ارديت به القربة من دون ذلك الميل والاقبال ودفع ما يضاده من الصوارف والاشغال وهو لا يتيسر الا بصرف القلب عن الامور الدنيوية وتطهير النفس عن الصفات الذميمة الدنية وقطع النظر عن الحظوظ العاجلة بالكلية وتوجيه القلب الى المولى وقصده دون جميع ما سواه بالنية وذلك لا يتيسر الا لمن نور الله قلبه بالعرفان واليقين وهداه صراط عباده المخلصين ولذلك قال امير المؤمنين وسيد الوصيين تخليص النية من الفساد اشد على العاملين من طول الجهاد ومن هنا يظهر سر قوله صلى الله عليه وآله نية المؤمن خير من عمله فان النية على هذا الوجه اشق من العمل بكثير فتكون افضل منه ويتبين لك ان قوله صلى الله عليه وآله نية المؤمن خير من عمله بهذا المؤكد والمقوله والله ولي التوفيق فائدة

قال بعض المحققين من علمائنا المتاخرين المنطق لا تعلق له بالنية اصلا فان القصد الى فعل من الافعال لا يعقل توقفه على اللفظ بوجه من الوجوه ولا رتب في عدم استحبابه الا بالالفاظ الوظائف الشرعية موقوفة على الشرع ومع فقده فلا توظيف بل كان فعله على وجه العبادة او حالا في الدين ما ليس منه فيكون تشريعا محرما تنبيه عليه السلام ويحمل الى اخر الاعمال العمل كل ما صدر من الحيوان بقصده قلبيا او قالبيا فهو اخص من الفعل وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا واعلم قبح العمل وحسنه واحسنيته متفرع على النية في ذلك كما قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات فالمراد باحسن الاعمال ما كان عن نية صادقة وهو ما تجرد فيه النية عن ملاحظة غير وجه الله تعالى ورضاه روى الصادق عليه السلام في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال ليس يعني اكثركم عملا ولكن اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال العمل الخالص الذي لا

تريد ان يمدحك عليه احد الا الله وهذا هو معنى الاخلاص وللقوم في تعريفه عبارات فقيل هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتى من ملاحظة النفس فلا يشهد غير الله وقيل هو تنزيه العمل عن ان يكون لغير الله فيه نصيب وقيل هو اخراج الخلق عن معاملة الحق وقيل هو ستر العمل عن الخلائق وتصفيته من العلائق وقيل ان لا يريد عامله عليه عوضا في الدارين وهذه درجة رفيعة عزيزة المنال وقد اشار اليها امير المؤمنين وسيد الموحدين صلوات الله عليه بقوله ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك ولعزة هذه المرتبة قال بعض ارباب القلوب طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تبصرة ذهب جم غفير من علماء الاسلام الى بطلان العبادة اذا قصد بفعلها تحصيل الثواب او النجاة من العقاب قائلين ان ذلك ينافي الاخلاص الذي هو ارادة وجه الله تعالى وحده لا غير وان من قصد ذلك فانما قصد جلب نفع او دفع ضرر لا وجه الله سبحانه كما ان من اثنى على احد طمعا في نعمته او خوفا من نقمته لم يعد مخلصا في ثنائه عليه وممن بالغ في ذلك السيد الجليل علي بن طاوس قدس سره بل يستفاد من كلام الشهيد الاول في قواعده انه مذهب اكثر اصحابنا رضوان الله عليهم ونقل الفخر الرازي في التفسير الكبير اتفاق المتكلمين على ان من عبد الله لاجل الخوف من العقاب او الطمع في الثواب لم يصح عبادته وجزم في اوائل تفسير الفاتحة بانه لو قال اصلي لثواب الله او الهرب من عقابه فسدت صلوته وذهب اخرون الى ان القصد المذكور غير مفسد للعبادة ومنعوا خروجها عن درجة الاخلاص ومنافاته له قائلين ان ارادة ثواب الله والنجاة من عقابه ليست امرا مخالفا لارادة وجه الله سبحانه كيف وقد قال تعالى في مقام المدح لاصفيائه كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا اي للرغبة

الى الثواب او الرهبة من العقاب قال سبحانه وادعوه خوفاً وطمعاً واعترض فولهم
بان دعوى عدم المنافاة كلام ظاهري للفرق الظاهر بين طاعة المحبوب لمحض محبته
وبين طاعته لغرض آخر واما الاعتضاد بالآيتين ففيه ان كثيراً من المفسرين ذكروا
ان المعنى راغبين في الاجابة راهبين من الرد والخيبة قال شيخنا البهائي رحمه الله
والاولى ان يستدل على ذلك بما رواه ثقة الاسلام في الكافي بطريق حسن عن
هرون بن خارجة عن الامام ابي عبد الله عليه السلام انه قال العباد ثلاثة قوم
عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى
طلباً للثواب فتلك عبادة الاجراء وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له فتلك عبادة
الاحرار وهي افضل العبادة فان قوله عليه السلام وهي افضل العبادة على الوجهين — يعطي ان العبادة
السابقين لا تخلو من فضل ايضاً فتكون صحيحة وهو المطلوب ثم المفهوم من كلام
القائلين ببطلان العبادة بقصد تحصيل الثواب ودفع العقاب الحكم بفسادها
وان انضم اليه قصد وجه سبحانه اما بقية الضمائم اللازمة للعبادة كالخلاص
من النفقة بعتق العبد في الكفارة والحمية بالصوم والتبرد في الوضوء و
اعلام المأموم الدخول في الصلوة بالتكبير ومما طلبه الغريم بالتشاغل
بالصلوة وملازمته بالطواف والسعي وحفظ المتاع بالقيام لصلوة الليل
وامثال ذلك فالظاهر ان قصدها عندهم مفسد ايضاً بالطريق الاولى واما
القائلون بعدم الفساد بقصد الثواب ودفع العقاب فقد اختلفوا في
الافساد بهذه الضمائم فاكثرهم على عدمه وبه قطع الشيخ في المبسوط والمحقق
في المعتبر والعلامة في التحرير والمنتهى لانها لازمة الحصول قصدت او لم
تقصد فلا يضر قصدها وفيه ان لزوم حصولها لا يستلزم صحة قصد حصولها
والمتأخرون من اصحابنا حكموا بفساد العبادة بقصدها وهو مذهب العلامة

النهاية

في النهاية والقواعد وولده فخر المحققين في الشرح وشيخنا الشهيد في البيان لفوات
الاخلاص قال شيخنا البهائي وهو الاصح واستقرب بعض علمائنا المتأخرين القول بالتفصيل
وهو ان العبادة ان كانت هي المقصودة بالذات والضميمة مقصودة تبعاً صحت
وان انعكس الامر او تساويا بطلت قال شيخنا البهائي واعلم ان الضميمة ان كانت
راجحة ولاحظ القاصد رجحانها وجوباً او ندباً كالحمية في الصوم لوجوب حفظ البدن
والاعلام بالدخول في الصلوة للتعاون على البر فينبغي ان لا تكون مضرة في
حينئذ مؤكدة وانما الكلام في الضمائم الغير الملحوظة الرجحان فصوم من ضم
قصد الحمية مثلاً صحيح مستحباً كان الصوم او واجباً معيناً كان الواجب او غير
معين ولكن في النفس من صحة غير المعين شيء فعدمها محتمل انتهى كلامه واما
ضميمة الرياء فالظاهر انه لا خلاف في بطلان العبادة بها عند اصحابنا قال المحقق
الشيخ علي ضم الرياء الى القربة يبطل العبادة قولاً واحداً الا ما يحكى عن المرتضى
انه يسقط الطلب عن المكلف ولا يستحق بها ثواباً وليس بشيء انتهى اللهم وفق
بلطفك نيتي وصحح بما عندك يقيني واستصلح بقدرتك ما فسد منها وفر الشيء يفر من باب
وعد وفراً اتم وكمل ووفرته وفراً من باب وعد ايضاً اتممته واكملته يتعدى
والمصدر فارق ويتعدى بالتثقيل ايضاً مبالغة قال ابو زيد ووفرت له طعامه
توفيراً اذا اتممته ولم تنقصه والرواية في الدعاء بوجهين احدهما وفر بالتثقيل
فيكون الواو عين الفعل والثاني دفر بالتخفيف من دفرته كوعدته فتكون
الواو عاطفة وعين الفعل محذوفة لانها تحذف حذفاً مطرداً في الامر من باب
وعد حملاً على المضارع ذي الياء منه والمعنى على الوجهين اجعل نيتي تامة
كاملة بكونها خالصة لوجهك الكريم من غير نقص فيها بشوب غرض آخر كما
نقل بعض العارفين ان عون الله للعبد بقدر نية العبد فمن تمت نيته تم عون الله

له يقدرها وتدل له الله عز من قائل ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل التوفيق ارادة الاصلاح ويجوز ان يكون توفيرا اى صنته ووفيته من الثلب والعيب والمعنى صن نيتى وفيها من ان تثلب او تعاب برياء ونحوه وفى رواية بعض النسخ وفره نيتى بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة وكسرها وبعدها هاء ساكنة فعل امر من الفراهة قال ابن الاثير فى النهاية دابة فارهة اى نشيطة جادة قوية وقد فرهت فراهة وفراهية انتهى ثم ما استعارة تبعية بان شبه احداث حالة فى نيته حاملة لها على الخفة فى الانبعاث نحو الخيرات بالمعنى المحكى الحقيقى للتفرية الذى هو تنشيط الدابة للسير بجامع عدم الكلال فى التوجه عن المطلوب فاستعار له لفظ التفرية ثم اشتق منه الفعل على ما قرروه فى معنى الاستعارة التبعية او استعارة مكنية تخييلية بان اضمر فى نفسه تشبيه النية بالدابة فى قيامها بالمنوى وحملها له كما قالوا لا يعجز البدن عما قامت به النية ولم يصرح بغير المشبه ودل عليه بذكر ما يختص بالمشبه به وهو التفرية ومن عجيب ما وقع لبعض المترجمين هنا انه ظن ان الهاء فى هذه الرواية ضميرا متصلا بفعل الامر من التوفير فقال مرجع الضمير النية بتاويل المذكور ونيتى بدل من الضمير فى وفره انتهى وهو خبط او قعه التصحيف المذكور قوله عليه السلام بلطفك يحتمل ان يراد به المعنى العرفى المشهود للطف ما يقرب به العبد من الطاعة ويبعد عن المعصية ويحتمل ان يراد به تصرفه تعالى فى الذوات والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها قوله عليه السلام وصحح بما عندك يقينى اى اجعل يقينى صحيحا ثابتا مستقرا لا يعتريه شك والظرف اما متعلق بما بعده فيكون المعنى صحح ما عندك من القدرة والرحمة واللطف والعناية يقينى فيكون الباء للسببية واما متعلق بما بعده فيكون المعنى صحح يقينى

بما عندك من النفع والضر حتى لا ارجو ولا اخشى غيرك للدنيا والاخرة فيكون البلاء صلة لليقين وعن ابى عبد الله عليه السلام من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضى الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله وعنه عليه السلام حد اليقين ان لا تخاف مع الله شيئا وصورة صحة اليقين بما عنده سبحانه ان تثبت فى نفسك وتتيقن بكشف او اعتقاد جازم ان استناد جميع الاسباب والمسببات اليه سبحانه وانه الفاعل المطلق التام القدرة على ما يريد بحيث لا يكون وراءه قدرة ولا يقع فى نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك وقوتك فانك تجد من نفسك الطمانينة بتسليم امورها بالكلية اليه والبراءة من الاعتماد على احد الا عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك غلبة الوهم على النفس فى معارضته لذلك اليقين قوله عليه السلام واستصلح بقدرتك ما فسد منى الصلاح حصول الشئ على الحالة المستقيمة النافعة ونقيضه الفساد وهو خروجه عن تلك الحالة والاستصلاح هنا ليس معناه طلب الصلاح حقيقة كما تقتضيه صيغة الاستفعال لان طلب الصلاح قد وقع منه تعالى اما من جميع العباد وذلك بالاوامر والنواهى الشرعية قال الزمخشرى فى الاساس امر الله فى استصلاح العباد بل هو من باب استخرجت الوتد من الحائط فانه ليس فيه طلب خروجه بل معناه من باب لم ازل اتلطف واحتال حتى خرج فمعنى استصلح ما فسد منى تلطف فيما فسد منى حتى يصلح ويحتمل ان يكون استصلح بمعنى اصلح كما يجى بمعنى اجاب اللهم صل على محمد واله واكفنى ما يشغلنى الاهتمام به واستعملنى بما تسالنى غدا عنه واستفرغ ايامى فيما خلقتنى له الكفاية قيام شخص مقام اخر فى قضاء حوائجه يقال كفيت زيدا الامر كفاية قمت به مقامه واغنيته عن معاناته واهم بالامر اعتنى به اى تول كفايتى فى كل امر يشغلنى اهتمامى واعتنائى به عن طاعتك وعبادتك

حتى لا يكون لي توجه والتفات الى غير وجهك الكريم واستعملته جعلته عاملا د
الغد اليوم الذي يأتي بعد يومك على اثره ثم توسعوا فيه اطلق على البعيد المترقب
كما وقع هنا فان المراد به يوم الحساب واصله غدو مثل فلس لكن حذفت اللام
وجعلت الدال حرف اعراب والمراد بالمسؤل عنه غدا هو الاعمال التي يثاب او
يعاقب الانسان على فعلها او على تركها كما قال تعالى ولتسألن عما كنتم تعملون والواو
فائدة السؤال مع علمه تعالى بذلك اظهار العدل وقطع المعذرة فيعلم الخلائق
انه سبحانه لا يظلم احدا وليزداد سرور اهل الايمان بالثناء الجميل عليهم بما فعلوه
من افعالهم الصحيحة واستفرغ ايامي اي اجعل ايامي كلها مبذولة فيما خلقتني له
يقال استفرغ مجهوده اي استقصى طاقته وفرس مستفرغ لا يدخر من عدوه شيئا
واصله من الافراغ للاناء وهو قلب ما فيه وصبه حتى لا يبقى فيه شيء وفي خلقتني
له اي في عبادتك كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وفي ظرفيه
مجازية بتشبيه ملابسة استفرغ ايامه لما خلقه له بملابسة المظروف للظرف
فتكون لفظة في استعارة تبعية **واغنني واوسع علي في رزقك ولا تفتني بالنظر**
واعزني ولا تبتليني بالكبر وعبدني لك ولا تفسد عبادتي بالعجب واجر للناس
على يدي الخير ولا تمحقه بالمن وهب لي معالي الاخلاق واعصمني من الفخر
اغنني اي اعطني ما استغني به عن الناس او ارزقني غنى النفس عما في ايدي الخلق
وفي الحديث ومن يستغن بالله واعطاه يغنه الله قيل معناه يخلق في قلبه غنى
او يعطيه ما يغنيه عن الخلق واوسع علي في رزقك اي واسعا وعداه بعلى
لتضمينه معنى بارك كما عدى اصلح بفي من قوله واصلح لي في ذريتي اي بارك
لي فيها وكلا اوسع واصلح كلاهما متعديان بانفسهما وفتنه من باب ضرب وقع
في الفتنة وهي الضلال عن الحق والخروج عن الطاعة وانما يكون ذلك منه تعالى بسلب

اللطف والتوفيق فقصد بنفي اللازم نفي الملزوم من باب الكناية والبطر بالباء
الموحدة والطاء المهملة المفتوحة والراء المهملة الطغيان بالنعمة فهو رذيلة
الافراط من فضيلة الغنى كما قال تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال سبحانه
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وفي نسخة بالنظر بالنون والظاء
المعجمة مفتوحة قيل هو بمعنى الانتظار اي لا تفتني بانتظار حصول الرزق بل عجل
لي بالغنى والسعة وقيل هو بمعنى الابصار اي لا تفتني بالنظر والالتفات الى
ما في ايدي الناس من متاع الدنيا كما قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى نهى سبحانه
نبيه عن النظر بطريق الرغبة والميل الى ما متع به اصناف الكفرة من زهرة
الحيوة الدنيا وزينتها وزخارفها فلتحذر من الميل الى الزخارف الدنيوية ولقد
شدد العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وملابسهم و
مراكبهم لانهم اتخذوها لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون
اغراء لهم على اتخاذها واعزه الله جعله عزيزا اي منيعا لا يغلب ولا يقهر واعزه
ايضا اكرمه واحبه وابتلاه اختبره والابتلاء يكون بالخير لامتحان الشكر و
يكون بالشر لامتحان الصبر ويكون بمعنى الاصابة بالمكروه ايضا والكبر بكسر الكاف
وسكون الباء الموحدة اسم من التكبر وهو العظمة والتجبر وهو رذيلة الافراط
في العزة قال الراغب الكبر ظن الانسان بنفسه انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره
ذلك من نفسه وهو نتيجة جهل الانسان بقدر نفسه وانزالها فوق منزلتها
كما ان العز نتيجة معرفة الانسان بقدر نفسه واكرامها عن الضراعة للاغراض الدنيوية
واعلم انه لما كان حقيقة العز هو ترفع الانسان بنفسه عما يلحقه غضاضة وهي منزلة
شريفة متوسطة بين رذيلة التفريط بطلب الاعزاز وصونه عن رذيلة

٣٨٦

الافراط بعدم الابتلاء بالكبر ليحصل له الحالة المتوسطة التي هي مجمع الفضائل فقد تقرر ان لكل فضيلة حدا معينا اذا جاوزته في طرف التفريط او في طرف الافراط ينتهي الى رذيلة فالفضيلة بمثابة الوسط والرذيلة بمثابة الاطراف ويروى قوله عليه السلم ولا تبتليني بالكبر بوجهين احدهما بالجزم بحذف حرف العلة والنون المخففة الوقاية والثاني باثبات حرف العلة مفتوحا والنون مشددة فهي نون التاكيد للفعل ولا على الوجهين ناهية والواو عاطفة ووقع في بعض التعليقات ان الواو للحال ولا نافية وهذا لا يصح على الروايتين المذكورتين وكان توجيهه لرواية ثالثة وهي ولا تبتليني باثبات حرف العلة ساكنا وتخفيف النون على انها نون الوقاية فيتعين حينئذ ان تكون الواو للحال ولا نافية وهو على تقدير مبتدا على الاصح اي وانت لا تبتليني لان الجملة الفعلية المبدوءة بمضارع منفي بلا اذا وقعت حالا لم يجز ربطها بالضمير وحده وتجردها عن الواو نحو وما لنا لا نؤمن بالله فان وردت بالواو قدر مبتدا على الاصح كقراءة ابن ذكوان فاستقيما ولا تتبعان بتخفيف النون والتقدير فاستقيما وانتما لا تتبعان نص على ذلك ابن مالك في التسهيل وجعل بعضهم ترك الواو اكثر والظاهر عدم التاويل اذا عرفت ذلك فما وقع لبعض المترجمين من قوله ومن العجائب ما قيل ان الواو حالية ولا نافية لا وجه له اذا كان توجيها لهذه الرواية كيف وهو متعين فلا محل للتعجب لكن التعجب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله وعبدني لك اي ذللني وفي قولهم بعير معبد وطريق معبد انه مذلل ومنه العبادة وهي التذلل للغير عن اختيار ولغاية تعظيمه والعبودية ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضي الله والعبودية الرضاء بما فعله الله تعالى وافساد الشئ اخراجه عن ان ينتفع به والعجب بضم العين وسكون الجيم الزهو ورجل معجب مزهو بما يكون منه حسنا او

فيجا

٣٨٧

والعجب في العبادة استعظام العمل الصالح واستكباره والابتهاج له والادلال به وان يرى نفسه خارجا عن حد التقصير وهذا هو العجب المفسد للعبادة لانه حجاب للقلب عن الرب ومانع له عن رؤية منته ونعمته وتوفيقه ومعونته وما دله عن الوصول الى حقيقة توحيده والاخلاص في ربوبيته وقد تقدم الكلام مبسوطا على حقيقة العجب وانواعه في الروضة الثامنة فليرجع اليه روى ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن علي بن سويد عن ابي الحسن عليه السلم قال سالته عن العجب الذي يفسد العمل فقال العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله عز وجل ولله عليه فيه المن وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال الله عز وجل لداود يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين قال كيف ابشر المذنبين وانذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن المذنب وانذر الصديقين الا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد انصبه للحساب الا هلك وعنه عليه السلم ان الرجل ليذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه وعنه عليه السلام اوحى اليه ما يفعل بالعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز حقير ويشهد على نفسه بالعجز لتكون الحجة عليه قوله واجر للناس على يدي الخير اي اجعل خيري دارا متصلا يقال هذه صدقة جارية اي دارة متصلة كالوقوف المرصدة لابواب البر ومنه الارزاق جارية اي دارة متصلة والخير كلي يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة والمراد به الاحسان الى الناس واعطاء فضل المال الى غير ذلك من مكارم الاعمال ومحاسن الافعال التي يتعدى نفعها الى الغير والمراد باجرائها على يديه جعله واسطة وسببا في ايصال الخير الى الغير تحريا للثواب المترتب

علی ذلک وحبًا للمعروف وفعله وعن ابی جعفر علیه السلام ان من احبّ عباد الله
الی الله لمن حبّب الیه المعروف وحبّب الیه فعاله وعن ابی عبد الله علیه السلام
لو جری المعروف علی ثمانین کفًّا لاجروا کلهم فیه من غیر ان ینقص صاحبه من
اجره شیئا والاخبار فی هذا المعنی اکثر من ان تحصی ومحقه محقا من باب نفع نقصه
واذهب منه البرکة وقیل هو اذهاب الشیء کله حتی لا یری له اثر ومنه یمحق الله
الربا والمراد بمحقه محق اجره وابطال ثوابه والمن ان یعتد المحسن علی من احسن
الیه باحسانه ویری انه اوجب علیه بذلک حقا وهو مذموم جدا مبطل للاجر لانه
قال تعالی یا ایها الذین آمنوا لا تبطلوا صدقاتکم بالمن والاذی وذلک لما فیه من
انکسار قلب الفقیر ومن تنفیر ذوی الحاجة عن موقعه ومن عدم الاعتراف بان
النعمة نعمة الله والعباد عباده واذا کان العبد فی هذه الدرجة کان محروما من
مطالعة الاسباب الربانیة الحقة فکان فی درجة البهائم التی لا یترقی نظرها من
المحسوس الی المعقول ومن المؤثر الی المؤثرات واعلم ان المراد بمحق الاحسان وابطاله
بالمن عدم استحقاق الثواب علیه اما لانه یاتی به علی غیر الوجه المامور به ویعلم انه
علی الوجه لا یستحق علیه الثواب او لان الاحسان اوجب اجرا وثوابا ثم ان ذلک المن
ازالهما وابطلهما کما ذهبت الیه المعتزلة جریا علی مذهبهم من الاحباط فان قلت
کیف اضاف افساد العبادة بالعجب ومحق الخیر بالمن الی الله تعالی والمفسد لها
حقا انما هو المعجب والمانّ بعجبه ومنّه قلت هذا باب الدعاء بطلب الامداد
باللطف والتوفیق ای لا تمنعنی لطفک الذی تسلم معه عبادتی من الفساد وخیری
من المحق وهو یجری مجری قولهم اللهم لا تسلط علینا من لا یرحمنا ای لا تخل بیننا وبین
من لا یرحمنا فیتسلط علینا او المعنی احرسنی من الشیطان وشر نفسی الداعیین
الی العجب والمن الذی هو سبب المحق متسببین عن امتحانه وخذلانه تعالی اضاف ذلک

الیه سبحانه

الیه سبحانه وهو کقوله تعالی ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هدیتنا وقد علیه السلام وهب لی معالی
الاخلاق ای افض علیّ قوة واستعدادا لقبول معالی الاخلاق والمعالی جمع معلاة اسم
من العلاء وهو الرفعة والشرف کالمکرمة من الکرم والاضافة بمعنی من ای المعالی من
الاخلاق وهی جمع خلق بالضم وهو ملکة نفسانیة یقتدر بها علی الاتیان بالفعل
بسهولة والمراد بمعالی الاخلاق وهی محاسنها ومکارمها وعبر عنها بالمعالی لان بعلوها
وشرفها ورفعتها واختلف العلماء فی تعریف حسن الخلق فقیل هو بسط الوجه وکف
الاذی وبذل الندی وقیل هو صدق التحمل وترک التجمل وحب الآخرة وبغض الدنیا
وقیل هو ان لا یظلم صاحبه ولا یمنع ولا یجفو احدا وان ظلم عفی وان منع شکر وان ابتلی
صبر والحزان کل ذلک تعریف له بالآثار والافعال التابعة له الدالة علیه انه ملکة
یسهل علی صاحبها فعل الجمیل وتجنب القبیح ویعرف ذلک بمخالطة الناس بالمعروف
والصدق والصلة والتودد واللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة والمراعاة و
المواساة والرفق والحلم والصبر والاحتمال لهم والاشفاق علیهم وهو حسن الصورة
الباطنة التی هی صورة النفس الناطقة کما ان حسن الخلق بالفتح هو حسن الصورة
الظاهرة الا ان حسن هذه الصورة الظاهرة لیس بقدرتنا واختیارنا والاخلاق حسن الصورة
الباطنة فانه من فیض الحق وقد یکون مکتسبا ولهذا تکرر فی الدعاء سؤاله من الله
تعالی وتظافرت الاخبار بالحث علیه وتحصیله والترغیب فیه بمدحه فمن ذلک ما روی
ثقة الاسلام فی الکافی بسنده عن علی بن الحسین علیهما السلام قال قال رسول الله
صلی الله علیه وآله ما یوضع فی میزان امرء یوم القیمة افضل من حسن الخلق وعن
ابی عبد الله علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله ان صاحب الخلق الحسن
له مثل اجر الصائم القائم وعنه علیه السلام قال قال رسول الله صلی الله علیه وآله
اکثر ما تلج به امتی الجنة تقوی الله وحسن الخلق وعنه علیه السلام قال ان الخلق الحسن

يميت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد وعن ابي جعفر عليه السلام قال ان اكمل المؤمنين
ايمانا احسنهم خلقا والروايات في هذا المعنى كثيرة جدا **قوله** عليه السلام واعصمني من
الفخر عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب حفظه ووقاه والاسم العصمة
بالكسر والفخر ادعاء العظمة والكبر والشرف وقيل هو التطاول على الناس بعد
المناقب والمكان الحصول على معالي الاخلاق وربما جمحت به النفس الامارة الى الفخر
المذموم سأل عليه السلام عصمته منه وقد ورد في ذم الفخر اخبار عديدة قال
امير المؤمنين عليه السلام عصمته منه وقد ورد في ذم مال ابن آدم والفخر اوله نطفة
وآخره جيفة لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه ونظم ذلك بعضهم فقال ما بال من
اوله نطفة ، وجيفة آخره تفخر ، اصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وفي رواية اخرى عنه عليه السلام مالابن آدم والفخر وانما اوله نطفة مذرة و
آخره جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ونظم ذلك ابو محمد الباقي
فقال ، عجبت من فاخر بنخوته ، وكان من قبل نطفة مذرة ، وفي غد حين يصير
يصير في القبر جيفة مذرة ، وهو على عجبه ونخوته ، ما بين جنبيه يحمل العذرة ،
وعن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله آفة الحسب الافتخار
اي آفة الافتخار بعدم الحسب وهو شرف الانسان ومكارمه كالشجاعة والسخاوة
وحسن الخلق وبهذا الحديث يظهر حسن سؤال زين العابدين عليه السلام العصمة من الفخر
بعد سؤاله معالي الاخلاق ومن الاحاديث المشهورة قوله صلى الله عليه وآله انا
سيد ولد آدم ولا فخر اي لا افتخر بذلك لاني لم انله من قبل نفسي بل بفضل ربي
اولا اقول تبجحا ولكن شكرا لله وتحدثا بنعمته وتبليغا الى الامة ما يجب معرفته
والايمان به والله اعلم اللهم صل على محمد وآله ولا ترفعني في الناس درجة الا حططتني
عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزا ظاهرا الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها

في الناس

في الناس اي ظاهرا بها هنا المرتبة في الفضل والشرف ونصبها على المصدرية لوقوعها
موقع المرة من الرفع اي لا ترفعني رفعة او على الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجة
او على التمييز والاستثناء مفرغ من حال عامة محذوف فهي المستثنى منه والمستثنى
محله النصب على الحالية والتقدير لا ترفعني درجة في حال من الاحوال الا حال حطك لي
عند نفسي حطا مثل تلك الدرجة في المقدار من الكثرة المعنوية اذا عرفت ذلك فقول
بعضهم ان الاستثناء منقطع والمستثنى ناب عنه الجملة بعده مثله ما زاد الا ما نقص
غلط صريح بل الاستثناء متصل لكونه مفرغا من حال عامة متناولة لهذا الفرع و
غيره فالمستثنى بعض من المستثنى منه كما عرفت فكيف يكون منقطعا وقوله ان
المستثنى ناب عنه الجملة بعده غلط آخر بل الجملة الحالية نفسها هي المستثنى ولا
ملغاة عن العمل على قول وعن المتوسل بها الى العمل على قول آخر وقوله ومثل
ما زاد الا ما نقص غلط ثالث فان المستثنى في عبارة الدعاء مفرغ اتفاقا والمثال
الذي ذكره لا يصح فيه التفريغ قطعا اذ لا يمكن اعمال ما قبل الا فيما بعدها
الا يرى انه لا يستقيم ان يقال ما زاد الا النقص بخلاف عبارة الدعاء فان العامل
في الجملة الحالية الواقعة بعد الا هو العامل قبلها بل المستثنى في المثال من لا بعدها
وصلتها في موضع نصب على الاستثناء والاستثناء منقطع والتقدير فيه ما زاد لكن
نقص وكذا كل استثناء منقطع يقدر بلكن لانه للاستدراك ودفع توهم دخوله في
الحكم السابق ولو قدرت الاستثناء في الدعاء بلكن لم يصح اذ ليس المراد لا ترفعني
في الناس لكن حطني عند نفسي بل المقصود ان رفعتني في الناس فحطني عند نفسي
قال الرضي القصد بمثل هذا النفي والاستثناء لزوم تعقب مضمون ما بعد الا
لمضمون ما قبلها وذلك بمعنى الشرط والجزاء اعني لزوم الثاني للاول فاعتبروه معهما
انتهى بالمعنى وحدث الشيء حدوثا من باب قعد تجدد وجوده بعد ان كان معدوما

ويتعدى بالالف فيقال احدثته اي لا توجد لي عزا ظاهرا في الاحوال الا احدثت
لي ذلة باطنة عند نفسي والبائر من قدره الالافة اي ما يعتبر بمقدارها وقدر
الشي ساكن الدال والفتح لغة مقداره قال الزمخشري اخذ بقدر حقه وبقدره اي
بمقداره وهو ما يساويه وقوله بقدر الفاتحة وبقدرها وبمقدارها واشار الصبور
الى انه مؤنثا وهو مذكر ذهابا الى المعنى ان العز في معنى الدرجة والمنزلة وهو باب
واسع في كلام العرب حكى الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء قال سمعت اعرابيا
يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها فقلت له كيف تقول جاءته كتابي فقال
اليس الكتاب في معنى الصحيفة فقلت ما اللغوب فقال الاحمق وفي نسخة قديمة
عزة ظاهرة بهاء التانيث فلا اشكال واعلم ان الغرض الداعي في هاتين الفقرتين
امور احدها وقايته وحفظه من الكبر والعجب اللذين كثيرا ما ينشان عن
حصول الرفعة والعز الظاهرين فيما بين الناس ولذلك ما روي عنه عليه السلام
ما ارى شيئا اضر بقلوب الرجال من خفق النعال وراء ظهورهم الثاني تحليته
بالتواضع عند حصول الرفعة والعز الظاهرين فيما بين الناس ولذلك ما روي عنه
عليه السلام انه قال كفى بالمرء فتنة ان يشار اليه بالاصابع في دين او دنيا وعن امير
المومنين عليه السلام ما ارى شيئا اضر بقلوب الرجال من خفق النعال وراء ظهورهم
الثاني تحليته بالتواضع عند حصول الرفعة والعزة فان احسن التواضع ما كان
عن رفعة كما ان احسن العفو ما كان عن قدرة ولذلك قال صلى الله عليه وآله طوبى
لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وقال بعض الحكماء احق
من كان للكبر مجانبا وللاعجاب مباينا من جل في الدنيا قدره وعظم فيها خطره لانه
يستقل بعالي همته كل كثير ويستصغر معها كل كبير وقال الراغب التواضع استفعال
من الضعة وهو رضا الانسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته وفضله

لايجاد

لايجاد وتظهر في اقفاء الناس لانحطاط درجتهم ولما ذلك يبتني في الملوك و
اجلاء الناس وعلمائهم وهو من باب التفضل وهو بين الكبر والضعة فالكبر
رفع الانسان نفسه فوق قدره والضعة وضع نفسه مكانا يزري به بتضييع
حقه انتهى ولهذا المعنى مدح الملوك والعظماء بالتواضع قال محمد البستي
في الفضل بن سهل . تواضع لما زاده الله رفعة . وكل رفيع قدره متواضع
وقال ابو عبادة البحتري . دنوت تواضعا وعلوت قدرا . فشاناك انحدار
وارتفاع كذلك الشمس تبعد ان تسامى . ويدنو الضوء منها والشعاع . الثالث
حفظ تلك الدرجة الرفيعة والعز الظاهر من الزوال بل زيادتهما فان التواضع
عند حصول الرفعة كالشكر عند حصول النعمة قال ابو القاسم النيسابوري في
كتاب خلق الانسان واجب على كل ذي منزلة رفيعة ان يشفق عليها حتى لا يسقط منها
وذلك باستعمال التواضع واعتياد الرفق وهذا اجمع على قبوله العقل والشرع
واتفق عليه الاعتبار والاختبار فكم راينا ناسا لهم منازل رفيعة عالية انحطوا عنها
بعدم التواضع وزالت عنهم بسبب الكبر وفي قوله تعالى فاهبط منها فما يكون
لك ان تتكبر فيها دلالة ظاهرة على ان الانحطاط عن رفيع الدرجات انما يكون بالتكبر
انتهى وفي الحديث الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام ان في السماء ملكين موكلين
بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه وعن النبي صلى الله عليه وآله
ان التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وعن عمر بن شيبة قال كنت
بمكة بين الصفا والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم
يعنفون بالناس ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا انا
برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر اليه واتامله فقال لي ما لك تنظر الي
فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل

فعلت ما فعل الله بك فقال انى تواضعت فى موضع تتواضع فيه الناس فرفعنى الله
حيث ترفع الناس الرابع العالم المعرفة بنقصان ذاته وذل نفسه وفاقته و
خضوعه فى فرق الحاجة اليه تعالى ليعلم ان تلك الفضيلة من الرفعة والعز لم يحصل
له باستحقاق وجب له بسعيه وكده او بجنته وجده مع قطع النظر عن واهب
النعم ومفيضها وانما سال عليه السلم ان يكون حطه واذلاله فى نفسه بمقدار تلك الرفعة
والعز ليكون تواضعه مساويا لدرجته ومرتبته فى الناس حتى لا يكون زائدا
عليها فيحمل على التملق والضعة ولا ناقصا عنها فتشوبه شائبة تكبر وتجبر
والله اعلم بمقاصد اوليائه اللهم صل على محمد وآل محمد ومتعنى بهدى صالح لا استبدل
به وطريقة حق لا ازيغ عنها ونية رشد لا اشك فيها متعه
بالشئ تمتيعا نفعه به فتمتع هو وقال فى المجمل متعه الله وامتعه ابقاه
ليستمتع به والهدى بضم الهاء مقصورا كما اتفقت عليه النسخ مصدر من هدى
كالسرى والبكى وهو يطلق على معنيين احدهما ان يكون بمعنى الهداية وهى
الدلالة بلطف على ما يوصل الى المطلوب ويوصف بالايصال وهو المضاف الى الله
تعالى والثانى ان يكون بمعنى التوجه الى ما يوصل الى المطلوب اذ الوصول غير
معتبر فى مطلق الهدى بالمعنيين على الصحيح ويستدل بالشئ المحذور اختاره منه
بدلا والباء للمقابلة والعوض لغو ورايت فى بعض النسخ كان قد ضبط هدى بفتح
الهاء وسكون الدال وبعدها ياء مثناة على وزن على وزن فلس ثم اصلح الى
ما اتفقت عليه النسخ من ضبطه بالضم مقصورا ولو ثبتت هذه الرواية لكانت
ارتباطا بالفقرة التالية لان الهدى على وزن فلس بمعنى السيرة وهى الطريقة
والهيئة ووصفه بالصلاح بهذا المعنى اعرف من وصف الهدى مقصورا به
ومنه الحديث الهدى الصالح والسمت الصالح جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة

وهو

٣٩١ بفتح الهاء وسكون الدال اتفاقا ثم رايته كذلك فى نسخة قديمة فتثبت الرواية
ولله الحمد والطريقة المذهب والحالة قال الجوهرى طريقة الرجل مذهبه يقال ما
زال فلان على طريقة واحدة اى حالة واحدة انتهى والحق لغة نقيض الباطل واصطلاحا
الحكم المطابق للواقع ويقابله الباطل والاضافة لامية وقد يراد بالحق الاقبال
على الله تعالى بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة للواقع وبالباطل
الالتفات عنه الى غيره وذلك مما لا يجدى نفعا فى الآخرة وبه فسر قول امير المؤمنين
عليه السلم من لم ينفعه الحق يضره الباطل والزيغ الميل زاغ عن الطريق يزيغ زيغا
والنية عزم القلب على امر من الامور وتطلق على الوجه الذى ينويه الانسان
ولا يبعد ارادة هذا المعنى هنا والرشد الصواب قال الهروى هو الهدى والاستقامة
وقال فى القاموس هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه والشك لغة خلاف
اليقين وهو التردد بين شيئين سواء استوى طرفاه او رجح احدهما على الآخر واصطلاحا
هو التردد بين شيئين على حد سواء وان رجح احدهما فالراجح ظن والمرجوح
وهم ويقال الشك اضطراب القلب والنفس وهذا المعنى هو المراد هنا اذ
المراد بنية الرشد التى لا شك فيها النية الصائبة الصحيحة المستقيمة التى لا
اضطراب للقلب والنفس فيها لا كنية من يعبد الله على حرف فان اصابه خير
اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو
الخسران المبين واعلم ان مدار هذه الفقرات الثلاث من الدعاء على طلب الاستقامة
فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال وذلك مستلزم لجميع محاسن الاحكام الالهية
والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدتها فى غاية ما يكون
من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله شيبتنى سورة هود يعنى
قوله تعالى فيها فاستقم كما امرت وهى جامعة لجميع انواع التكاليف وقال بعض العلماء

ان الطاعة لا تعد طاعة وفضيلة ما لم تجتمع معاني ادبعة اىيكون صاحبها
عالما بشرايطها وفاعلا لها على سبيل الطوع والاختيار ولا اجبارها الا اعتقادا
حسنها في نفسها اعتقادا راسخا وان يدوم اختياره لذلك فلا يزول فكل من لم يلق
الطاعة ولن يستقيم السعي الا بمجموع هذه الخصال الشاقة حتى قال رسول الله
صلى الله عليه واله استقيموا ولن تحصوا وحتى اخبر عن نفسه فقال شيبتني
سورة هود وحتى قيل الاستقامة لا يطيقها الا الانبياء والاكابر الاولياء
لانها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي
الله على حقيقة الصدق بحيث لا يشوب معاملته مع الله فترة ولا تقصير
البر وقفه يعتبر بما يرى في الدنيا من غير شهوة ويتفكر في المعاد من غير غفلة
يستقل الكثير من طاعته ازدراء على نفسه ويستعظم اليسير من احسان ربه
اجلالا لوجهه وينصف من نفسه ولا ينتصف لها ويمل جوارحه ولا يعمل بهواها
فاذا وجدت فيه هذه الامارات صار صاحب الاستقامة واهل الكرامة وفي
بعض البلاغة من خطبته له عليه السلام واني متكلم بعدة الله وحجته قال الله جل ذكره
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه
وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا
فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة وعمري
ما كان عمري بذلة في طاعتك فاذا كان عمري مرتعا للشيطان فاقبضني اليك
قبل ان يسبق مقتك الي او يستحكم غضبك علي ۞ عمر الله
يعمره من باب قتل وعمره تعميرا ابقاه والعمر بالضم وبضمتين وبالفتح الحياة
وما مصدرية زمانية اي نائبة عن الزمان المفهوم من المقام لا دالة عليه بنفسها

ولا كانت

ولما كانت اسما ولم تكن مصدرية والاصل عمرني مدة كون عمري بذلة فحذف
الظرف وخلفته ما وصلتها كما جاء في المصدر الصريح نحو جئتك صلاة العصر اي وقت
قدوم الحاج والبذلة بالكسر على وزن سدرة ما يمتهن ولا يصان من الثياب في
الخدمة والفتح فيها لغة قيل وهي استعارة للعمر شبه الحيوة المصروفة في طاعة
الله بالثوب المستعمل في الخدمة بجامع الامتهان والابتذال فاستعار لها لفظ البذلة
وهي استعارة مطلقة لكنها في غاية الحسن لغرابة التشبيه فيها والفاء عاطفة بمعنى
ثم واذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط خافض لشرطه اعني الجملة الفعلية
بعده منصوب بجوابه عند الجمهور والرتع الماشية ترتع رتعا من باب نفع ورتوعا
رعت كيف شاءت وجاءت وذهبت في المرعى والمرتع بالفتح موضع الرتوع وهو
مستعار للعمر المصروف في طاعة الشيطان باعتبار كونه مباحا مطلقا له يفعل ويعبث
به كيف شاء كالمرتع المباح للماشية الذي ترعى فيه كيف شاءت وهي استعارة
تبعية قال بعضهم وهذه الاستعارة مثل سابقتها في الحسن واللطافة بل هي احسن
والطف انتهى قلت والذي عليه المحققون ان ليس شيء من البذلة والمرتع في مثل
هذا المقام استعارة بل هو تشبيه بليغ حذفت اداته لقصد المبالغة قال الشيخ في اسرار
البلاغة ما ملخصه اذا كان اسم المشبه به خبرا عن اسم المشبه او في حكم الخبر كخبر
باب كان وان فالاصح ان يسمى تشبيها لا استعارة لان الاسم المشبه به اذا وقع هذا الموقع
كان الكلام موضوعا لاثبات معناه لما اجري عليه او نفيه عنه فاذا قلت زيد اسد
او كان زيد اسدا فموضوع الكلام في الظاهر لاثبات معنى الاسد لزيد وهو ممتنع على
الحقيقة فيحمل على انه لاثبات شبه من الاسد له فيكون الاتيان بالاسد لاثبات التشبيه
فيكون خليقا بان يسمى تشبيها لان المشبه به انما جيء به لافادة التشبيه به ليس لاثبات
معناه لشيء بل موضوع الكلام لاثبات الفعل واقعا على الاسد فلا يكون لاثبات التشبيه

ويكون قصد التشبيه مكنونا في الضمير لا يعرف الا من بعد نظر وتامل واذا فترقت
الصورتان هذا الافتراق ناسب ان يفرق بينهما في الاصطلاح والعبارة بان يسمى
احديهما تشبيها والاخرى استعارة انتهى كلامه قال السعد التفتازاني وعليه جميع المحققين
اذا عرفت ذلك فالحق انه لا يسمى عند ارباب التحقيق استعارة لان اسم المشبه به
في الجملة والمرفوع واقع في حكم الخبر لكونه خبر الكان فهو تشبيه قطعا ناوقع في كثير من التعاليق
ان كلا منهما استعارة جار على غير نهج التحقيق والفاء في قوله فاذا رابطة للجواب فقبضه
الله من باب ضرب اماته وعداه بالى لتضمينه معنى الرجع اي فقبضني راجعا الى اليك
ومقته مقتا من باب قتل ابغضه اشد البغض عن امر قبيح واحكمت الشيء احكاما اتقنته
فاستحكم هو صار كذلك والمراد باستحكام الغضب تحققه وثبوته وفي المغرب احكم
الشيء فاستحكم فهو مستحكم بالكسر لا غير وايراداو للدلالة على ان الامرين متساويان
في طلب الاماتة قبل وقوعهما او لا رادة ان كل واحد منهما كاف في ذلك واعلم
ان قوله فاذا كان عمري مرتعا للشيطان من باب التعبير بالفعل عن مشارفته
والتقدير فاذا شارف عمري ان يكون مرتعا للشيطان فاقبضني ليصح وقوع القبض
قبل سبق المقت واستحكام الغضب جزما لاستلزام القبض بعدهما بعد كون العمر مرتعا
للشيطان قال بعضهم وفي هذا الفصل من الدعاء دلالة على ان العمر قد ينقص و
يزيد بالدعاء وغيره من صلة الرحم وقطيعتها والصدقة ونحو ذلك وفي امالي
الشيخ رحمه الله عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله تعالى لم يعجل الموت من اجل الى
الموت يبقيه ما احب البقاء فاذا علم منه انه سيأتي بما فيه بوار دينه قبضه
مكرما وعلمه تعالى بما تضمنه هذا الحديث وبما يزيد العمر وينقصه يمكن معه اعتبار
الاجل واحد الكن يحصل الفرق بملاحظة ثبوت اختيار العبد وعدم كون العلم علة تامة
اعلم اللهم لا تدع خصلة تعاب مني الا اصلحتها ولا عائبة اؤنب بها الا حسنتها ولا اكرومة

في ناقصة الا اتممتها
ردعه

في ناقصة الا اتممتها ردعته ادعه ودعا تركته واصل
المضارع الكسر ومن ثم حذفت الواو ولمكان حرف الحلق قال بعض المتقدمين وزعمت
النحاة ان العرب اماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل منه وقد قرأ مجاهد و
عروه ومقاتل وابن ابي عبلة ويزيد النحوي ما ودعك ربك بالتخفيف وفي الحديث
لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات اي عن تركهم فقد رويت هذه الكلمة عن افصح
العرب ونقلت من طريق القراء فكيف يكون اماتة وقد جاء الماضي واسم الفاعل
في بعض اشعار وما هذه سبيله فيجوز القول بقلة الاستعمال ولا يجوز القول
بالاماتة والخصلة الخلة والحالة وجملة تعاب في محل نصب صفة لخصلة ومن لابتداء
الغاية او للتبيين اي من خصالي متعلقة بتعاب او بمحذوف وقع صفة ثانية لخصلة
اي كائنة مني او حال منها لان النكرة الموصوفة كالمعرفة وجعلها متعلقة بتدع خلاف
الظاهر واغرب من قال ضمن تعاب معنى الصدور اي تعاب صدورها مني لان عاب متعد
بنفسه انتهى وهو خبط لان عاب متعد بنفسه انتهى وهو خبط واضح وجهل تام
والعائبة بالياء على القياس وهو الواقع في النسخ المعتبرة ولا عبرة بما وقع في بعض
النسخ من الهمز وهي كالخصلة ذات عيب من عاب الشيء لازما اذا صار ذا عيب يقال
عاب المتاع عيبا من باب سار فهو عائب وعابه صاحبه فهو معيب يتعدى ولا
يتعدى واتبه تانيبا عنفه ولامه وقيل هو المبالغة في التعنيف والتوبيخ واؤنب
بها بالبناء للمجهول اي اعنف والام عليها والقياس تحقيق الهمزة الثانية لانها فاء بعض
الا ان المروي ابدالها واوا لاستثقال اجتماع الهمزتين فان قلت ما فائدة تخصيص
بالوصف المذكور وهلا اطلق ليعم ما خفي من الخصال التي لا يطلع عليها من يؤنبه بها
قلت فائدة ذلك تحقق العائبة بنفسه فكانه قال ولا عائبة لا ما اؤنب بها كما خصص
الخصلة بنفسه بقوله تعاب مني ولا اكرومة في الفقرة التالية بقوله في ولعل

لعمت كل عايبه فيه وفي عبرة ومع ذلك فلا يخرج بالوصف المذكور عن الخفر الخصال
التي لا يطلع عليها من يؤتيه بها لان المراد العايبة التي من شانها ان يوتى بها سواء
ظهرت او خفيت ولا اكرومة بضم الهمزة اسم من الكرم كالاعجوبة اسم من العجب و
في القاموس هي فعل الكرم وفي ظرفية مجازية دخلت على يا المتكلم وادغمت اليا
في اليا وهي متعلقة بمحذوف يقع صفة لاكرومة اي اكرومة كاينة في وناقصة
بالنصب صفة اخرى لها ووقع في تعليقة بعض الاكابر الشادة على الصحيفة الشريفة
ان الصواب رواية ودراية في بسكون اليا وهو حرف جر وناقصة بالخفض
مجرور به وهي صفة لموصوف محذوف اي في مرتبة ناقصة غير تامة او في
ملابسة رذيلة ناقصة للاكرومة اي مخرجة لها عن تمام درجتها وكمال مرتبتها
على انها فاعلة من نقص المتعدي فتكون الاكرومة منقوصة بها قال هذا اذا حملنا
ناقصة على اسم الفاعل واما اذا حملناها على المصدر كالفاتحة والعافية والكاذبة
فالمعنى ولا اكرومة في نقصان لا اخت فقصانها ثمت كمالها ثم شنع على من ضبط
في بتشديد اليا ونصب ناقصة فقال ومن القاصرين في هذا الزمان لم يكن يستطيع
الى ادراك الغامضات والتفصية عن مضائق المعضلات سبيلا فحرفها الى في ناقصة
باضافة في الى يا المتكلم والتشديد للادغام ونصب ناقصة على انها صفة اكرومة
المنصوبة على المفعولية فعاد ذلك التحريف في النسخ الحديثة المنتسخة ولم يفطن لما فيه من
الفساد من وجهين الاول ان قضيته العطف على خصلة في الجملة الاولى مقتضاها
ان تقدير الكلام ولا ندع اكرومة في ناقصة فيجتمع مني وفي فيرجع الى هجنة وخيمة
الثاني ان الفصل بين الموصوف والصفة بالجارة ومجرورها مما يعد هجينا فلا يكن
من القاصرين انتهى بنصه قلت وهي قعاقع ليس لها طايل اما كون الصواب في رواية
ما ذكره فغير مسلم اذ قد ثبت في عدة نسخ ما زعم انه تحريف ومنها ما نسخ قبل عصره

بجوار مهام

٣٩٤

بجوار بمائة عام كما في النسخة التي هي بخط ياقوت المستعصمي ونسخة اخرى قد تمت
تاريخ نسخها سنة اثنين وسبعمائة فكيف يدعي ان ذلك تحريف وقع من بعض
القاصرين في عصره واما كونه دراية فغير صحيح وما ذكره من الوجهين باطل اما
الاول وهو اجتماع مني وفي فمدفوع اولا بان العطف هنا من باب عطف الجمل
لا المفردات وذلك باضمار عامل يدل عليه ما قبله والتقدير ولا ندع اكرومة
في ناقصة فلا يلزم اجتماع الظرفين وثانيا على تسليم كونه من عطف المفردات
بانه انما يلزم ذلك اذا جعل الظرف اعني مني متعلقا بلا ندع ضرورة اقتضاء
العطف اشتراك المتعاطفين في النسبة المقيدة ونحن نمنع تعلقه بذلك
بل هو متعلق بمحذوف فهو من تمام الجملة الواقعة صفة لخصلة او بمحذوف
واقع صفة لها او حالا منها والعطف لا يقتضي اثبات ما للمعطوف من
صفة ونحوها للمعطوف عليه كقولك لا تضرب زيدا الفاضل ولا عمرا وان اتفق
في بعض الصور فبالقرينة لا بالوضع فيقدر لدلالة المقام عليه كقولك لا تنفق درهمان
انفا ولا دينارا اي ولا دينارا انفا فان وقع في صريح الكلام ما يغني عن تقديره لم يقدر كما
كقولك لا تنفق درهما انفا ولا دينارا رديا فلا يحتاج الى تقدير انفا هنا حتى
يلزم منه اجتماع انفا ورديا بمعنى وما نحن فيه من هذا القبيل فان
في الواقعة صفة لاكرومة اغنت عن تقدير مني فلا يلزم اجتماعهما واما الوجه
الثاني وهو الفصل بين الموصوف والصفة بالجارة ومجرورها فمردود بانه
لا فصل هنا اصلا بل الجار والمجرور صفة لاكرومة وناقصة صفة اخرى لها كما
تقدم فهو من باب تعدد الصفات فهو كقوله تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اذا
عرفت ذلك ظهر لك بطلان قوله من قال ايضا اي شددت اليا كما في اكثر النسخ
فناقصة صفة لاكرومة ولا باس بالفصل بالظرف لشيوعه ولكن الاولى ان يجعل

منى على هذا التقدير متعلقا بتعاب لانك لو جعلته متعلقا بخصلة اولاتدع لاجتمع هنا منى وفي فلا يكون مستحسنا انتهى فقد علمت استغناء دعوى الفصل بالشاوا قوله لو جعلته متعلقا بخصلة لاجتمع هنا منى وفي فيه ان ان اراد بتعلقه بخصلة التعلق الاصطلاحي فهو غلط لان الظرف بعد النكرة اما صفة لها ان لم موصوفة او محتمل لها وللحال لو كانت موصوفة كما عرفته وعلى التقديرين فهو مما يجب تعلقه بمحذوف اجماعا فكيف يصح جعله متعلقا بخصلة وان اراد التعلق المعنوي اعني كونه صفة او حالا لها فقد عرفت انه لا يلزم منه الاجتماع المذكور والاستثناء في الجمل الثلاث متصل مفرغ من اعم الاحوال فمحله النصب على انه حال من ضمير لا تدع والعامل فيها فعل النهي اي لا تدع خصلة تعاب منها حال من الاحوال الا حالا صالحا كما او كاملا او متنا بها في حال من الاحوال الا حال تحسينك اياها او الا كونها في ناقصة في حال من الاحوال الا حال اتمامك لها والمقصود لزوم تعقب مضمون ما بعد الا لما قبلها فهما كالشرط والجزاء ولذلك وقعت الحال بعد الا ماضيا مجردا عن قد والواو وحاصل الكلام كلما كانت في من خصلة تعاب فاصلحها ومن عائبة او تنبيها فحسنها ومن الكرومة ناقصة فاتممها واما قول بعض القاصرين استثناء الجمل هنا باعتبار تلبسها بالمستثنى منه الخصلة ولو لا تخصيصها بالنعت لكان متصلا فهو الذي اوجب الانقطاع فذكره لزيادة المبالغة فقد سال اصلاح الخصلة المعيبة التي يطلع الناس عليها و تعيبه بها والخفية التي لم يطلع احد عليها وهذا على تقدير يدع بمعنى يترك وان كان بمعنى تصير لكان الاستثناء مفرغا من مفعوله الثاني المقدر ومثله ما بعده انتهى فهو هذيان محموم او هذر ملوم فاياك والالتفات اليه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل اللهم صل على محمد وآله واكفنا بوم ببغضة اهل الشنآن المحبة

حسد اهل البغي المودة ومن ظنة اهل الصلاح الثقة ومن عداوة الادنين الولاية ومن عقوق ذوي الارحام المبرة ومن خذلان الاقربين النصرة ومن حب المداراة تصحيح المقة ومن رد الملابسين كرم العشرة ومن مرارة خوف الظالمين حلاوة الامنة ٥٥

ابدلت كذا بكذا ابدالا ذهبت بالاول وجعلت الثاني مكانه ومن بدلية اي اجعل المحبة بدلا من بغضة اهل الشنآن او ابتدائية على القول بالكار مجي من للبدل لان ابتداء الابدال الحاصل من البغضة واعرب من قال انها لبيان الجنس فان البغضة ضد المحبة لا جنس لها وهل يخفى ذلك على من له ادنى تمييز فسبحان واهب العقول و والبغضة بالكسر شدة البغض والشنآن بالتحريك والتسكين البغض وقرئ بهما قوله تعالى شنآن قوم قال الجوهري وهما شاذان فالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان انما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من المصادر عليه قال ابو عبيدة والشنآن بغير همز مثل الشنآن وانشد للاحوص وما العيش الا ما تلذ وتشتهي وان لام فيه ذو الشنان وفندا والبغي الظلم والتعدي والاستطالة والسعي في الفساد وطلب الشر يقال بغى احد على صاحبه بغيا زيادة بمعنى طلب له شرا ولما كان الحاسدون ظالمين طالبين للمحسود شرا بتمني زوال نعمته جعلهم عليه السلام اهل البغي والظنة بالكسر التهمة وهي زطنة زيادة فلان اتهمته والثقة الائتمان يقال وثق به يثق بكسرهما ثقة ووثوقا اي ائتمنه فان قلت كيف سمي الظنة الى اهل الصلاح وسوء الظن بالمسلمين واتهامهم محظور فعن النبي صلى الله عليه وآله ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن ابي عبد الله عليه السلام اذا اتهم المؤمن اخاه انماث الايمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء قلت مقتضى الصلاح حسن الظن بالمؤمن وعدم اتهامه

كما روى عن امير المومنين عليه السلام ضع امر اخيك على احسنه حتى ياتيك ما يقلبك عنه
ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا ولذلك قال
العلماء افعال المومنين محمولة على الصحة **قلت** ليس المراد بالظن هنا الا عدم الثقة
والطمانينة بكل احد وليس المراد بها الاتهام بما ينافي العدالة فان من شان اهل الرأي
والصلاح ان لا يثقوا بكل احد ولا يركنوا الى كل شخص تفاديا عن الغرر واخذا بفضيلة
الحزم ولذلك قال امير المومنين عليه السلام الطمانينة الى كل احد قبل الاختبار
عجز وفي كلامهم اذا كان القدر طبعا فالثقة بكل احد عجز وعلى هذا المعنى يحمل الخبر المشهور
الحزم سوء الظن بالناس وفي رواية احترسوا من الناس بسوء الظن وروى ثقة الاسلام
في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام الحزم مساءة الظن قال بعض الشارحين يعني
ان جودة الرأي في الاحكام اللازمة والاخذ بالثقة يقتضي سوء الظن بالناس يعني
تجويز السوء منهم والتثبت فيما ياتون به حتى يتبين الحق والباطل والصدق من
الكذب والعلم من الشبهة ولو وجب القبول منهم والثقة بهم من غير حزم ولم
يجز نسبة السوء اليهم لوقع الهرج والمرج وبطل الدين ورجع كما كان قبل البعثة
وبالجملة فالحزم يوجب ان يبنى الحال على تجويز السوء منهم حتى يتبين الحق ويحصل
للاذهان بروقيه تنبيه على ان لا ينبغي متابعة الغير في امر من الامور مع تجويز
كون ذلك الامر خطاء بل لا بد من الاحتياط فيه وانما قلنا على جواز السوء منهم
الذي يقتضيه الحزم والاحتياط فلا ينافي ما ورد من النهي عن مساءة الظن بالخلق
لان ما ذكره من باب التجويز العقلي الذي هو قضية الحزم والاحتياط فلا ينافي ما ورد
من النهي عن مساءة الظن بالخلق لان ما ذكرنا من باب التجويز العقلي الذي هو نصب
الحزم وما ورد النهي عنه من باب الاعتقاد الفاسد والقول بالشيء رجما بالغيب اي
والادنين الاقارب جمع ادنى من الدناوة بمعنى القرابة يقال بينهما دناوة اي قرابة

والعوز

والعوز من جهله من الذف بمعنى الساقط الضعيف وقد تقدم بيان اعلال هذا الجمع
في الروضة الثانية فليرجع اليه والالاية ضد العداوة والعقوق قطيعة الرحم واصل العق
بمعنى القطع قال الازهري واصل العق الشق والقطع وقال صاحب المحكم عق
والده يعقه عقا شق عصى طاعته وقد يعم بلفظ العقوق جميع الرحم فالفعل كالفعل
والمصدر كالمصدر والارحام جمع رحم وهي في الاصل منبت الولد ووعاؤه في
البطن ثم سميت القرابة من جهة الولادة رحما ومنها ذو الرحم خلاف الاجنبي وقد
تقدم الكلام على ذلك والمبرة البر وهو ضد العقوق فيكون بمعنى الصلة قال بعض
العلماء قطيعة الرحم وعقوقها هو ترك الاحسان الى الاقربين والتعطف عليهم والرفق
بهم والرعاية لاحوالهم ودبها وصلتها لها درجات متفاوتات بعضها فوق بعض
وادناها الكلام وترك المهاجرة ويختلف ذلك ايضا باختلاف القدرة عليها
والحاجة اليها فمن الصلة ما يجب ومنها ما يستحب ومن وصل بعض الصلة
ولم يبلغ اقصاها ومن قصر عما ينبغي اي قصر عما يقدر عليه هل هو واصل او
قاطع فيه تامل والاقرب عدم القطع لصدق الصلة وان لم يبلغ اقصاها
في الجملة والخذلان بالكسر اسم من خذله من باب قتل اذا ترك نصره واعانته
وتاخر عنه وانما خص عليه السلام الاقربين هنا بالذكر لان قربهم منه باعث لهم
النصرة له فخذلانهم اياه اعظم في عزجانبه وحفظه وحماية رغبتهم وخذلانهم
له اشد في هضم جانبه ولذلك قال امير المومنين عليه السلام لن يرغب المرء
عشيرته وان كان ذا مال وولد وعن مودتهم وكرامتهم ودفاعهم بايديهم والسنتهم
هم اشد الناس حيطة من ورائه واعطفهم عليه والمهم لشعثه ان اصابته مصيبة
او نزلت به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض عنهم يدا
واحدة ويقبض عنه منهم ايدي كثيرة والمدابرين جمع مدابر اسم فاعل من دابر

بداريه مداراة اى لاطفه ولاينه واحتمل منه كيلا ينفر عنه وقال الجوهرى قد
اراه الناس يهمز ولا يهمز فيقال داراته ودارئته وهى المداجاة والملاينة وقيل المداراة
مجاملة المعاشرين والمعاندين والمتشابهين بالاخوات طمعا فى مودتهم واتقاء من
شرورهم وبالجملة فهى لاتكون الامع عدم الصفا وسقم المودة ولذلك سال
عليه السلام ابدال حب المتصفين بها بمحض المقة وهى المحبة والهاء فيها عوض من الواو
يقال ومقه يمقه بالكسر فيهما ومقا ومقة اى احبه فهو وامق وعلى ذلك ما حكى
عن ابى الطيب المتنبى انه سمع عند انصرافه من صلوة الجمعة اعمى خارجا من باب
الجامع يقول واضيعة الادب المتنبى يقول ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى عدوا له
ما من صداقته بد فقال المتنبى لبعض اصحابه سله عن ذلك وقل له وكيف كان ينبغى
ان يقول فساله فقال كان ينبغى ان يقول ما من مداراته او من مداجاته بد لان الصداقة
لاتكون الامع الصفا والمداراة والمداجاة لاتكون الامع العداوة قوله عليه السلام
ومن ردى الملابسين كرم العشرة الردى يكون اهانة ويكون اكراما فان عدى بنفسه
بمعنى كان اهانة يقال ردأ الشى اذا لم يقبله ورد عليه اذا خطاؤه وان عدى بالى
كان اكراما ومنه رديناه الى الله والمراد به هنا المعنى الاول الملابسين جمع ملابس
من لابست فلانا اى خالطته وعرفت باطنه والعشرة بالكسر اسم من المعاشرة و
التعاشر وهى المخالطة وكرم العشرة عبارة عن حسنها ولطفها فان العرب تستعمل الكرم
فى كل شى حسن ممدوح والمعنى ابدلنى من عدم قبول المخالطين لى او من تخطيتهم
لى حسن معاشرتهم او من ردى لهم حسن معاشرتى اياهم قوله ومن مرارة خوف الظالمين
حلاوة الامنة فيه استعارة مكنية تخييلية لضمير تشبيه الخوف بالشى المر
بجامع الكراهة واثبت له المرارة التى هى من لوازم المستعار منه تخييلا وكذلك
اضمر تشبيه الامنة بالشى الحلو بجامع اللذة واثبت له الحلاوة تخييلا والامنة

بالتجريد

بالتحريك الامن ففى رواية بالتسكين والاولى هى المشهورة وهى الموافقة للتنزيل
قال تعالى اذ يغشيكم النعاس امنة منه وقال تعالى امنة نعاسا تنبيهات الاول
اضافة مدخول من فى هذه الفقرات ما عدا الاخيرة تحتمل ان تكون من باب الاضافة
الى المفعول وتدبيج الثانى مناسبة لعنوان الدعاء من كونه لطلب مكارم الاخلاق
ان يكون الغرض فى الدعاء ابدال ما ساء من اخلاقه بالحسن على ان جعله من الاول لاينا فى
عنوان الدعاء اذا حمل الابدال على معنى طلب الاستعداد للتخلق بما يقتضى ابدال اهل
الشنان بغضهم له محبتهم اياه مثلا وقس على ذلك ساير الفقرات وحمل المبدل
على كونه حاصلا منه لا منهم فيكون من باب مقابلة الاساءة بالاحسان وهو من
معالى الاخلاق الثانى كل من هذه الفقرات يحتمل اربعة معان باعتبار احتمال كون
مدخول من فى كل منهما مضافا الى الفاعل والى المفعول وكون المبدل حاصلا له او منه
او منهم ويختص الفقرة الاولى بزيادة احتمال اربعة معان لخرى لاحتمال كون
المحبة من الله له وكونها منه لله تعالى فتكون معانيها المحتملة ثمانية حاصلة
من ضرب اثنين فى اربعة الثالث مدار هذا الفصل من الدعاء على طلب الالفة
بينه وبين الناس من الاجانب والاقارب وهى من اعز المطالب شرعا وعرفا لاقتضائها
صلاح حال الدنيا والاخرة لان الانسان مدنى بالطبع فلا غنى له فى تعيشه من
التمدن وهو اجتماعه مع بنى نوعه لافتقاره فى تحصيل ملوديه الى معاونتهم
ومشاركتهم اذ لا يمكن الانسان الواحد القيام بجميع ما يحتاج اليه من الضرورى
التى لابقاء له بدونها وتلك المعاونة والمشاركة لا تتم الا بائتلاف واجتماع
ومعاشرة ولا يستقيم ذلك الا بتحقق الروابط بينهم وهى لا تتم الا بنفى الضغاين
والاحقاد والحسد ونحو ذلك وذلك مستلزم لتعاونهم وتصافى البواطن
والاجتماع على الالفة والمحبة وانس بعضهم ببعض فتستقيم امورهم بتعاونهم

ويتراخى مصادمهم بتنافرهم فمن منح الالفة من الناس ثم لم تفعهم اياه وعدم مضرتهم
له وميل قلوبهم اليه وامنهم به ومنافعتهم عنه وفي ذلك صلاح دنياه وآخرته
ولذلك حث الشارع على الالفة والاتحاد حتى قال العلماء ان سلوك سبيل الله
بسائر وجوه الاوامر والنواهي لما يتم الا بها ولذلك عظم الله تعالى المنة بايقاع
الالفة بين اهل الملة فقال لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
ولكن الله الف بينهم وذلك انهم بالالفة يكونون بمنزلة عبد واحد في طاعة
مولاه ولاجلها شرع الله تعالى اجتماع الخلق على الصلوة في المساجد في كل يوم خمس
مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد الاعظم وفي كل سنة مرتين في الاعياد وفي
العمر مرة بمكة لاجتماع اهل البلدان النائية كل ذلك ليتأكد باجتماعهم الالفة
والاتحاد وتقع بسبب المحبة والوداد والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدا
فمن ذلك ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام
انه كان يقول لاصحابه اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين
تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا امرنا واحيوه وبسند صحيح عنه عليه السلام انه قال يحق
على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لاهل الحاجة
وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله عز وجل رحماء بينهم متراحمين
مغتمين لما غاب عنكم من امرهم على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد
رسول الله صلى الله عليه وآله اللهم صل على محمد وآله واجعل لي يدا على من ظلمني
ولسانا على من خاصمني وظفرا بمن عاندني وهب لي مكرا على من كايدني
وقدرة على من اضطهدني وتكذيبا لمن قصبني وسلامة ممن توعدني
ووفقني لطاعة من سددني ومتابعة من ارشدني
اليد منع الظلم والقوة والقدرة والسلطان والغلبة قيل ومنه قوله تعالى

يعطوا الجزية

يعطوا الجزية عن يد اي عن قدرة عليهم وغلبة واللسان هنا مجاز عن الحجة قال
الزمخشري في الاساس فلان ينطق بلسان الله اي بحجته وكلامه والظفر بعدوه
وعليه من باب تعب عليه وعاند فلان عنادا اذا ركب الخلاف والعصيان وفي الاساس
رجل عنيد ومعاند يعرف الحق فيأباه ويكون منه في شق العند وهو الجانب والمكر
الخديعة مكر مكرا من باب قتل فهو ماكر ومكر الله مجازاة على المكر وسمي الجزاء
مكرا كما سمي جزاء السيئة سيئة على سبيل مقابلة اللفظ باللفظ ويسمى من كلام
وعلى هذا المعنى يحمل المكر المطلوب هنا وقال الراغب المكر والخديعة متقاربان
وهما اسمان لكل فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره
وذلك ضربان احدهما مذموم وهو الاشهر عند الناس وذلك ان يقصد فاعله
انزال مكروه بالمخدوع واياه قصد النبي صلى الله عليه وآله بقوله المكر
والخديعة في النار والمعنى يؤديان بقاصدهما الى النار والثاني بعكس ذلك
وهو ان يقصد فاعلهما الى استجرار المخدوع والممكور به الى مصلحة لهما
كما يفعل بالصبي اذا امتنع من فعل خير قال بعض الحكماء المكر والخديعة
يحتاج اليهما في هذا العالم وذلك ان السفيه يميل الى الباطل ولا يقبل الحق
ولا يميل اليه لمنافاته لطبعه فيحتاج ان يخدع عن باطله بزخارف مموهة كخدع
الصبي عن الثدي عند الفطام ولهذا قيل سفسطة فان الدنيا سوفسطائية
وليس هذا حثا على الخبث بل هو حث على جذب الناس الى الخير بالاحتيال وتكون
المكر ضربين سيئا وحسنا قال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا باهله وقال افامن
الذين مكروا السيئات تخصيص السيء من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن ووصف
نفسه بالمكر الحسن فقال ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين انتهى وعلى
هذا فالمكر المطلوب هو المكر الحسن والكيد والمكر في اللغة بمعنى واحد وقال

كاده وكايده اذا مكر به وخدعه وقال الراغب الكيد ارادة متضمنة لاستتار
ما يراد عمن يراد لكن اكثر ما يستعمل ذلك في الشر ومتى قصد به شر فمذموم و
متى قصد به خير فممدوح وعلى الوجه المحمود قال تعالى كذلك كدنا ليوسف انتهى
والمراد هنا الاول والاضطهاد افتعال من الضهد والطاء مبدلة من التاء
يقال ضهده واضطهده اذا قهره فهو مضهود ومضطهد وقصبه قصبا
من باب قتل عابه وشتمه واصله من القصب بمعنى القطع قال في الاساس
قصبه عابه ومعناه قطعه باللوم وقصبه من شتمه والاسم منه القصيبة
فان قلت في هذا الفصل من الدعاء ما ينافي مكارم الاخلاق فانه عليه السلام
سال الاستعداد للقوة على الانتقام ممن اساء اليه وحسن الخلق وكرمه
يقتضي العفو والاعراض بل مقابلة الاساءة بالاحسان كما روي في الخبر المشهور
بين الخاص والعام ان جبرئيل عليه السلام جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فقال
اتيتك يا محمد بمكارم الاخلاق اجمعها قال وما تلك قال خذ العفو وامر
بالعرف واعرض عن الجاهلين يا محمد ان تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك فاحسن صلى الله عليه وآله تقبله وتلقيه حتى
نزل قوله تعالى ثناء عليه وانك لعلى خلق عظيم والاخبار والآثار في هذا المعنى
اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر قلت ليس في الدعاء ما ينافي الخبر وبيان
ذلك ان من الظلم والاساءة ما يحسن العفو عنه ومنه ما لا يحسن الا دفاعه
فالاول ما ليس على الانسان في تحمله والتغاضي عنه ذلة وغضاضة
ولا عار ودناءة فهذا مما يحسن العفو والحلم عليه وهو الذي يقتضيه حسن
الخلق وكرمه والثاني ما ادى الى دنية وعار فهذا مما لا يحسن الا دفاعه
والكف عنه وهو المسمى باباء الضيم وانف العار وحماية الحريم والاخذ

بالثار وعن هذا قال امير المؤمنين عليه السلام لا خير فيمن لا يغضب اذا غضب في قال
تعالى حاكيا عن نبيه لوط عليه السلام في التاسف على عجزه عن دفاعه لو ان لي بكم قوة
او آوي الى ركن شديد وقال الحكماء ان القوة الغضبية اذا تركبت مع العقل
استقام امر الحماية والدفاع والاخذ بالثار وكان صاحبه عدلا في اقتداره محمودا
في انتصاره والى هذا المعنى اشار الجعدي بقوله ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر
تحمي صفوه ان يكدرا ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا
وقال ابو الطيب اذا قيل حلما قال للحلم موضع وحلم الفتى في غير موضعه جهل
ومن هنا قال العلماء يجب التدبر في الاساءة والظلم فان كان مما يسع العفو والتجاوز
كفى فيه العقاب في العدل والعفو احسن واولى وهو اقرب للتقوى وان لم يسمح
السياسة بالتجافي والصفح عنه وجبت العقوبة بقدر الذنب لا بقدر التشفي اذا
عرفت ذلك فما ساله عليه السلام من اليد واللسان والظفر والاقتدار انما اراد به ما يقتضيه
اباء الضيم وانف العار وهو من اعاظم معالي الاخلاق لا مساويها والله اعلم
عليه السلام ووفقني لطاعة من سددني وشايعة من ارشدني سدده تسديدا قومه
واداه للسداد وهو الصواب من القول والعمل وارشده ارشادا اعداه الى سبيل
صلاحه عاجلا وآجلا وفي هذه الفقرة تنبيه على وجوب انقياد المتعلم للعالم واتباع
المستفيد للمفيد فقد قيل من حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا ان يأتمر له
فيما امر عليه ويتابعه ولا يراجعه وكفى تنبيها على ذلك ما حكى الله عن العبد الصالح
انه قال لموسى عليه السلام حيث قال هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا
فقال له لا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فنهاه عن مراجعته في متابعته
فيجب على المتعلم تلقي ما يلقي اليه معلمه بالقبول ويطيعه ويتبعه في جميع ما يقول
كما ان حق المريض ان يكل امره الى الطبيب الناصح الذي وقف على دائه ويسمع له

ويطبع فيما يأمره من رذائله وغذائه فان العلماء اساءة الاعراض الجسمانية اللهم
صل على محمد وآله وسددني لان اعارض من غشني بالنصح واجزي من هجرني
بالبر واثيب من حرمني بالبذل واكافي من قطعني بالصلة واخالف
من اغتابني الى حسن الذكر وان اشكر الحسنة واغضي عن السيئة قال الزمخشري
في الاساس اللهم سددني اي وفقني وعارض الشيء بالشيء معارضة قابله
غشه غشا من باب قتل لم ينصحه وزين له غير المصلحة والاسم الغش بالكسر ونصحت
لزيد انصح من باب منع نصحا بالضم هذه اللغة الفصحى وعليها التنزيل وفي لغة
يتعدى بنفسه والاسم النصيحة وهي كلمة جامعة معناها ارادة الخير للمنصوح له
قولا وفعلا من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع فهو تخليص القول او الفعل
من الغش تخليص العسل من الشمع وجزيته بفعله وعلى فعله اذا فعلت معه ما يقابل
فعله وهجرته هجرا من باب قتل تركته ورفضته فهو مهجور وهجرت الانسان قطعته
وهما يتهاجران ويهتجران يتقاطعان والبر بالكسر الصلة والخير والفضل وضد
القطيعة والعقوق واثابه يثيبه اثابة جازاه على صنيعه والاسم الثواب ويكون
في الخير والشر والاول اكثر وحرمه يحرمه من باب ضرب يتعدى الى مفعولين
حرما وحرمانا بكسرهما منعه اياه ولم يذكر المفعول الثاني لان القصد الاعلام
بمجرد تعلق الفعل والمعنى من حصل منه الحرمان لي فالمفعول غير منوي
وبذل بذلا من باب قتل سمح واعطى عن طيب نفس وكافيته على صنيعه جازيته
يهمز ولا يهمز والقطع والقطيعة ضد الوصل وتقاطع القوم تصارموا وقطع رحمه
اذا ترك برها ولم يصلها ووصل رحمه وصلا وصلة برها وتعطف عليها
واحسن اليها فكانه بالاحسان وصل ما بينه وبينهم من القرابة والهاء في الصلة
عوض عن الواو وخالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولى عنه وخالفته عن كذا اذا

كان الامر

كان الامر على العكس فمعنى اخالف من اغتابني الى حسن الذكر اقصد حسن الذكر اقصد
حسن الذكر بعدما ولى عنه واستدبر دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم واغتابه اغتيابا اذا ذكره بما يكره من العيوب وهو حق والاسم الغيبة
بالكسر فان كان باطلا فهو البهت والبهتان وسياتي الكلام عليهما مستوفى عن قريب في
هذه الروضة انشاء الله تعالى وذكر الشيء بالكسر اجراؤه على اللسان وقال الواحدي
معنى الذكر الثناء على الانسان في غيبته ووصفه بما فيه من تعديد محاسنه
والحسنة من الصفات الجارية مجرى الاسماء وهي كل ما يتعلق به المدح في العاجل
والثواب في الآجل وضدها السيئة واغضى الرجل عينه اغضاء قارب بين جفنيها
ثم استعمل في الحلم فقيل اغضى على الذنب اذا امسك عفوا عنه ومدار هذا الفصل
على طلب الاستعداد لمقابلة الاساءة بالاحسان وابدال الانتقام بالانعام وهو
اشرف مكارم الاخلاق على الاطلاق كما رواه ثقة الاسلام في الصحيح عن ابي
عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته الا اخبركم بخير
خلائق الدنيا والآخرة العفو عمن ظلمك وتصل من قطعك والاحسان الى
من اساء اليك واعطاء من حرمك وروى ثقة الاسلام ايضا بسند صحيح
عن ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال سمعته يقول اذا كان
يوم القيمة جمع الله تبارك وتعالى الاولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد
اين اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما كان
فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا فيقال
لهم صدقتم ادخلوا الجنة والاخبار في هذا المعنى كثيرة جدا قال بعض العارفين
وقد نبه الله تعالى على التنفير من مقابلة السيئة بمثلها بلطيف من المقال فقال
وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى مجازاة المسيء على اساءته اساءة وقال

من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فسمى المجازى على الاعتداء
معتديا تشبيها على انه قد كان اتباعه اللهم صل على محمد وآله وحلني بحلية الصالحين
والبسني زينة المتقين في بسط العدل وكظم الغيظ واطفاء النائرة وضم اهل الفرقة
واصلاح ذات البين وافشاء العارفة وستر العائبة ولين العريكة وخفض
الجناح وحسن السيرة وسكون الريح وطيب المخالقة والسبق الى الفضيلة
وايثار التفضل وترك التعيير والافضال على غير المستحق والقول بالحق وان عز
واستقلال الخير وان كثر من قولي وفعلي واستكثار الشر وان قل من قولي وفعلي
واكمل ذلك لي بدوام الطاعة ولزوم الجماعة ورفض اهل البدع ومستعمل الرأي المخترع
حليت المرأة تحلية البستها الحلي والسيف جعلت له حلية وتعديته بالباء لتضمينه
معنى التزيين والحلي كظبي والحلية بالكسر ما يتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة
والحلية بالكسر السيماء والصفة ايضا تقول عرفته بحليته اى بسيماه وصفته فان
حملت الحلية على معنى الحلي فهي استعارة تصريحية والتحلية ترشيح وان جعلت بمعنى
السيماء والصفة فهي استعارة مكنية اضمر تشبيه صفات الصالحين وسيماهم
واخلاقهم الفاضلة بالحلي الذي يتزين به بجامع الحسن والبهاء واثبت لها التحلية
المختصة بالمشبه به تخييلا واما قوله والبسني زينة المتقين ففي استعارة تبعية
مرشحة لا غير والصالحون هم القائمون بما يلزمهم من حقوق الله تعالى وحقوق الناس
والمتقون جمع متق اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة
والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي مما يضر في الآخرة وقيل هي اجتناب
ما حرم الله واداء ما فرض الله وقيل المتقي من يترك ما لا باس به حذرا مما به
باس وقد تقدم الكلام على مراتب التقوى في الروضة الرابعة فليرجع اليه
في المصاحبة اى مع بسط العدل حتى ادخلوا في امم اي معهم والمعنى حلني بحليتهم

والسبق

والسبق زينتهم مع توفيقي لبسط العدل وبسط الثواب بسطا من باب قتل نشره ثم
استعير للشمول بالعدل وبثه في الخلق ولما كان العدل اساس كل خير وعليه مدار
كل امر وبه قامت السموات والارض وهو ميزان الله القسط في الدنيا والآخرة
قدمه في الطلب على سائر الكلام المطلوبة اهتماما بشأنه وتنبيها على علو مكانه
وهو اما بالقوة فهيئة نفسانية يطلب بها التوسط بين الافراط والتفريط و
اما بالفعل فالامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وباعتبار الاول قيل
هو اصل الفضائل كلها من حيث ان صاحبه يكتسب به جميع الفضائل عنه وبيانه ان
الفضائل كلها ملكات متوسطة بين طرفي افراط وتفريط فالمتوسط منها هو
العدل كالحكمة النظرية المتوسطة بين الجربزة والغباوة والعفة المتوسطة بين
خمود الشهوة والفجور والشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور والسخاوة بين
التبذير والبخل والحلم بين المهانة والبطش والتواضع بين الكبر والذل والاقتصاد
بين الاسراف والتبذير والانصاف بين الظلم والانظلام وقس على ذلك سائر
الاخلاق الفاضلة فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الفضائل ولكل
منها طرفا تفريط وافراط مذمومات والخروج الى احدهما هو الجور الذي هو ضد
العدل والاطراف المتضادة هي الرذائل ومن هنا قيل خير الامور اوسطها ثم
هذا الحكم في العدل جار في باب العقائد ايضا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والشرك والقول بالامر بين الجبر والتفويض وفي باب الاعمال كاداء الواجبات
والسنن المتوسط بين البطالة والترهب وفي باب الاقوال كالبلاغة المتوسطة
بين العي والهذر فتبين انه لا يخرج شيء من الفضائل عنه قولا وعملا واعتقادا ولذلك
قالوا هو ميزان الله المبرأ من كل زلة وصراط المستقيم المؤدي بسالكه الى
مرتبة تمام العالم قال الله تعالى الذي انزل الكتاب بالحق والميزان وقال والسماء

رفعها ووضع الميزان عبر بالميزان عن العدل لانه من اثره ومن اظهر افعاله
لمجانسته اذ كان العدل مراعاة الاستقامة على حاق الوسط في طرفي الافراط
والتفريط اللذين هما كفتي الميزان فمهما رجح احديهما فالنقصان لازم والخسران
قائم وقال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض اذ لو كان شيء من موجودات
العالم واصولها زايدا على الآخر افراطا او ناقصا عنه تفريطا لم يكن منتظما هذا
النظام وبيان ذلك ان مقادير العناصر لو لم يكن متكافئة متعادلة بحسب الكمية
والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب فاستحالت الطبايع كلها الى طبيعة الجرم الغالب
ولو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الآن لاحترق كل ما في هذا العالم ولو كان
اكثر لاستولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب
سرعتها وبطئها فان كلا منها مقدر على ما يليق بنظام العالم وقوامه وقيامه
ولهذا المعنى وصف الله سبحانه بالعدل اذ كان بمعنى عدله وضعه لكل موجود
في موضعه وهبته له ما يستحقه من غير زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة
ثم الصراط المستقيم المؤدي بسالكه الى الله تعالى اما علم او عمل فالعلم طريق القوة
النظرية والعمل طريق القوة العملية وكل منهما متوسط بين رذيلتين هما طرفا
الافراط والتفريط والوسط منهما هو العدل فهو الصراط المستقيم الذي
لا ميل له الى احد الجانبين ولذلك قال العسكري عليه السلام الصراط المستقيم
في الدنيا هو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير فلم يعدل الى شيء من الباطل
وفي الآخرة هو طريق المؤمنين الى الجنة فمن استقام على هذا الصراط مر على صراط
الآخرة مستويا ودخل الجنة امنا ثم ان من فضيلة العدل ان الجور الذي هو
ضده لا يستتب الا به فلو ان لصوصا تشارطوا فيما بينهم شرطا فلم يراعوا العدل
فيه لم ينتظم امرهم ومن فضله ان كل نفس تتلذذ بسماعه وتتألم من ضده ولذا

بحسن

يتحسن الجائر عدله وغيره اذا رآه او سمع به ولحسنه تتسالم النفوس من كل ما
كان مركبا فيها فالعالم ليس له نظام مستقيم ولذلك يكرهوا الهرج والعدوان
تتشائم به والذي يجب على الانسان استعمال العدل معه خمسة الاول
الحق تعالى وتقدس وذلك بمعرفة توحيده واحكامه والقيام بها الثاني قوى
النفس وذلك بان يجعل هواه مستسلما لعقله فقد قيل اعدل الناس من انصف
عقله من هواه الثالث اسلافه الماضون في انفاذ وصاياهم والدعاء لهم
الرابع معاملوه واحباؤه في اداء الحقوق والانصاف في المعاملات
من المبايعات والمعارضات والكرامات الخامس عامة الناس على سبيل
الحكم وذلك اذا تولى الحكم بينهم اما اذا كان الحكم بينه وبين غيره وكان
الحق له فالفضل اشرف من العدل وقد نص الله سبحانه عن الامرين فقال
في الحكم بين الناس ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال فيمن له الحق وان تعفوا اقرب للتقوى
ولا تنسوا الفضل بينكم قوله عليه السلام وكظم الغيظ غيضه كظما من باب ضرب اذا
امسك على ما في نفسه منه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل واصله من كظم
القربة اذا ملأها وشد فاها كانه كتم غيظه على اشتداده ورده في جوفه
وكفه عن الامضاء والفرق بين الغيظ والغضب ان الغضب ضد الرضا وهو
ارادة العقاب المستحق بالمعاصي وليس كذلك الغيظ لانه هيجان الطبع بكره ما يكون
من المكروه ولذلك يقال غضب الله على الكفار ولا يقال اغتاظ منهم وقيل الغيظ
اشد الحنق ولا يكون الا بوصول مكروه الى المغتاظ ولذلك رسم كظم الغيظ بانه
الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها
اليه وهو من معالي الاخلاق ومكارم الخصال التي لم يرد في فضله الا النص قوله تعالى

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين لكفى والاخبار في الحث
عليه كالارشاد اليه اكثر من ان تحصى فمن ذلك ما رواه ثقة الاسلام بسنده الى
على بن الحسين صاحب الدعاء عليهما السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من
احب السبيل الى الله تعالى جرعتان جرعة غيظ تردها بحلم وجرعة مصيبة تردها بصبر
وعنه عليه السلام بسند صحيح انه قال ما احب ان لى بذل نفسى حمر النعم وما تجرعت من جرعة
احب الى من جرعة غيظ لا اكافى بها صاحبها وعن ابى جعفر عليه السلام قال من كظم غيظا
او هو يقدر على امضائه حشا الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وعن ابى عبد الله
عليه السلام من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمة
رضاه وعنه عليه السلام ما من جرعة يتجرعها العبد احب الى الله من جرعة
غيظ يتجرعها عند ترددها فى قلبه اما بصبر او بحلم واعجب قصة تذكر فى كظم
الغيظ واطفاء نائرة الغضب قصة ذى الكفل فان اليسع قال ذات يوم
لقومه انه قد وهن العظم وضعف الجسم وتخاذلت القوى وتقاصرت الخطى
وارتفع السن وتقعقع الشن وها انا واقف على ثنية الوداع من الدنيا ومتوجه
عنها الى الدار الاخرى فلو استخلفت عليكم من ارتضى عمله عمله تحمدونه ايا من وصلى
قوله لجميع اصحابه وقال من يتكفل لى بان يظل نهاره صائما ويبيت ليله قائما ولا
يغضب على الناس اذا الحوا عليه مخاصمين ويكظم غيظه اذا اضجروه محاكمين حتى اوليه
عليهم فقام اليه رجل تنبو عنه البصر ويغض عن النظر فقال انا ذلك ثم
اعاد القول ثانيا وثالثا فقام اليه ثم لا فقال له اتكفل لى ذلك فكفل له
مكان بذاب النهار فى الصيام والليل فى القيام ويقضى بين الناس من مطلع
الفلق الى مغرب الشفق سوى ساعة يقيلها عند قائمة الهواجر والتهاب وقدة
الظهائر فجاءه الشيطان فى صورة شيخ ضعيف فى وقت قائلته وقال ومنه فى ذكر

طلامة

طلامته واطال حتى فاتته المقائلة فقام ذو الكفل وقال اذا مضيت لصلوتى
وعايد الى مجلسى فاحضر خصمك لاعديك عليه واخذ بحقك منه فلم يرع يومه فبات
واجماله ليله فاصبح من غده قاضيا بين الناس حتى انتصف النهار وبلغت الشمس كبد
السماء فعاد الى منزله ليجم باستراحة اعيائه ويريح بغفوة اعضائه اذ دق عليه
الشيطان الباب فى يومه وانقطس من عدم يومه فقال له كنت بالامس وما احرز عن
محضر الناس فقال ان قومى اخبث قوم قالوا نعطيك حقك اليوم ثم اخلفوا على
ومطلونى ولو وادينى وجحدونى فطول القول حتى فاتته القائلة فقام وقت
وجلس للناس ينتظر الشيخ فلم يحضر وانصرف من هذه الى منزله ليعتمل على سنته
فقال لبوابه ثم تلتق اجفانى منذ ثلاثة ايام ولا بد للنعس المكدود من
ملاذ فلا تاذن لاحد على ولا بد من يدخل الى بيتها قبل ساعة ولجد عماه الى استراحة
فجاء الشيطان فحجبه البواب فلم يمتنع ودخل الدار فايقظه لحين هم ان يتخطر
الغيظ ثبته الله فعصمه فصبر عليه كاظما ونكص الشيطان على عقبيه راغما قال الله
قوله عز وجل واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل كل من الاخيار وقوله تعالى واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قوله عليه السلام واطفاء النائرة طفئت النار
تطفأ بالهمزة من باب تعب طفوءا على فعول خمدت واطفأتها اطفاء ومنه
اطفأت الفتنة اذا سكنتها على الاستعارة وثارت الفتنة ثورا اذا هيجت
وانتشرت فهى نائرة وسعيت فى اطفاء النائرة اى فى تسكين الفتنة والنائرة ايضا
العداوة والشحناء وهى مشتقة من النار يقال بينهم نائرة اى عداوة وبغضاء
قوله عليه السلام وضم اهل الفرقة ضممته ضما فانضم جمعته جمعا فاجتمع والفرقة
بالضم من افترق القوم اذا انفصل بعضهم عن بعض بالابدان وقد يستعمل فى
تفرق القلوب والاخراف بعضها عن بعض مجازا وهو المراد هنا فضم اهل الفرقة

عبارة عن التأليف بين ارباب القلوب المتنافرة وايقاع المحبة بين الانفس المتباغضة
بسبب حبل الفتح التي هي من اعظم الاسباب في استعدادهم لسعادتي الدنيا و
الآخرة ولذلك عظم الله تعالى المنة بايقاع التأليف بين اهل الملة فقال لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم عليه السلام واصلاح
ذات البين قال الفيومي في المصباح البين بالفتح من الاضداد يطلق على الوصل
وعلى الفرقة ومنه ذات البين للعداوة والبغضاء وقولهم لاصلاح ذات البين
اي لاصلاح الفساد بين القوم والمراد اسكان الثائرة انتهى وقال الزمخشري في قوله
تعالى واصلحوا ذات بينكم اي احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى يكون احوال الفة
ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة
للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب
انتهى وقال الزجاج البين هنا بمعنى الوصل اي اصلحوا حقيقة وصلكم كقوله لقد
تقطع بينكم في القراءة المرفوع اي وصلكم والمراد كونوا مجتمعين على ما امر الله ورسوله
وكذلك معنى اللهم اصلح ذات البين اي اصلح الحال التي يجتمع بها المسلمون انتهى فذات
على التفسير الاول بمعنى صاحبة وعلى هذا التفسير بمعنى حقيقة الشيء ونفسه والبين
بالمعنى الاول ظرف وبهذا المعنى اسم مرادف للوصل وقول صاحب القاموس ذات
بينكم اي حقيقة وصلكم وذات البين الحال التي يجتمع بها المسلمون لا وجه فيه للترديد
المشعر بالمغايرة لان المعنى الثاني تفسير للاول اذ الحال التي يجتمع بها المسلمون هي
حقيقة الوصل كما هو صريح تفسير الزجاج القائل بان معنى ذات البين حقيقة الوصل
فتأمل وظهر من نقل هذه الاقوال ان قوله عليه السلام واصلاح ذات البين يحتمل
ثلاثة معان احدها اصلاح الفرقة على ان البين بمعنى الفرقة والمراد بالفرقة الخصومة
والمنازعة والعداوة والبغضاء وذات اما بمعنى صاحبة اي الحالة المقتضية لبينهم

او بمعنى

او بمعنى الحقيقة والنفس اي الحالة التي يقع بها الفرقة الثاني اصلاح ما بين الناس
من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومحبة على ان البين ظرف كما ذكره صاحب الكشاف الثالث اصلاح الوصل
كما قال الزجاج فيكون الاصلاح بمعنى السعي في كونهم على ما هم عليه من الالفة وخير هذه
الاحتمالات اوسطها وهو الذي عليه جمهور المفسرين في معنى الآية واصلاح ذات
البين من اشرف معالي الاخلاق وقد نص الله تعالى عليه الجمهور المفسرين بقوله فاتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم انه تعالى جعل
توسط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال
العناية بالاصلاح وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله انه قال اصلاح ذات
البين افضل من عامة الصلوة والصيام وعن ابي عبد الله عليه السلام صدقة يحبها الله
اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم اذا تباعدوا وعنه عليه السلام
في قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس قال اذا دعيت
لصلح بين اثنين فلا تحلف على يمين الا تفعل قوله عليه السلام وافشاء العارفة وستر القبائح
فشا الامر فشوا وفشوا ظهر وانتشر وافشيته افشاء اظهرته ونشرته والعارفة
المعروف وهو الخير والاحسان والجميل وكل ما يحسن في العقل والشرع والقبائح
جمع قبيحة من قبح الشيء ككرم اي صار ذا عيب اي الخصلة ذات العيب والمراد ستر ما
المؤمنين وستر معايبهم وقد يقال ستر المعايب انما يحسن اذا وقعت من ذوي الهيئات
الحسنة وممن لم يعرف بالاذى والفساد في الارض واما المولعون بذلك الذين شروا
عمرهم فلم يكفوا فلا يبعد القول بكشف عيبهم لان الستر عليهم من المعاونة على
المعاصي وستر عيب من يذهب الى شره انما هو في معصية مضت واما معصية
هو متلبس بها فلا يبعد القول بوجوب المبادرة الى انكارها والمنع منها ان امكن فعليه
فان لم تقدر رفع الى اولى الامر ما لم يؤد الى مفسدة اشد مما جرحه الشاهد والراوي

ولامنار على الاوقات الصدقات واسوا الكلا بيتا فيجب الجرح عند الحاجة اليه لانه يترتب
عليه احكام شرعية ولو رفع الى الامام ما يندب الستر فيه لم يأثم اذا كانت يتستر في
معصية الله تعالى لا كشف ستره وجرح الشاهد انما هو طلب لذلك منه او يرى حاكما
يحكم بشهادته وقد علم منه ما يبطلها فلا يبعد القول بوجوبه والله اعلم قوله عليه السلام
ولين العريكة الطبيعة يقال فلان لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل
الخلاف والنفور وفي صفته صلى الله عليه وآله اصدق الناس لهجة والينهم عريكة قال
الزمخشري في الاساس فلان لين العريكة اذا كان سلسا واصله في البعير والعريكة
السنام انتهى وعلى هذا فهو استعارة كخفض الجناح المستعار للتواضع والاظهر
انهما استعارتان تمثيليتان على تشبيه الحالة بالحالة من غير اعتبار استعارة في المفردات
فيكون لين العريكة تمثيلا لسلاسة الطبيعة وانقيادها بلين سنام البعير وخفض
الجناح تمثيلا للتواضع ولانة الجانب بخفض جناح الطائر فالعريكة والجناح مستعملان
في معناهما والمشبه احدى الحالتين بالاخرى ويجوز ان تكون العريكة استعارة
للطبيعة واللين استعارة لسلاستها وانقيادها او ترشيحا لاستعارة العريكة وكذلك
الجناح استعارة للجانب والخفض استعارة للاستئناس والالانة او ترشيحا لاستعارة
الجناح بما يناسبه فيكون الاستعارة في المفردات والاول هو مختار صاحب الكشاف
حيث قال الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض
للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه مثلا في التواضع ولين الجانب انتهى وذكر
القفال في معنى خفض الجناح وجهين احدهما ما ذكره صاحب الكشاف وهو المشهور
الثاني ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار
خفض الجناح كناية عن حسن التدبير انتهى قوله عليه السلام وحسن السيرة وسكون
الريح وطيب المخالقة السيرة بالكسر الطريقة وهي من سار يسير يقال سار الوالي في

الرعية

الرعية سيرة حسنة او قبيحة وسكون الريح كناية عن الوقار قال الزمخشري رجل
ساكن الريح اي وقور انتهى لما كانت الريح معروفة بسرعة الحركة والخفة كان سكونها
كناية عن الوقار الذي هو الرزانة فاستعير لفظ الريح للطيش والعجلة بجامع
الحركة والابلغ ان يكون ذلك تمثيلا كما تقدم في لين العريكة وخفض الجناح
وكثيرا ما يستعمل سكون الريح في الذم مرادا بالريح الدولة والغلبة والنصرة
ومنه قوله تعالى فتذهب ريحكم اي دولتكم وصولتكم استعيرت الريح للدولة
من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة لها في هبوبها وجريانها تقول العرب
هبت ريح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وسكنت ريحه اذا ادبر امره وعليه
قول الشاعر ٭ اذا هبت رياحك فاغتنمها ٭ فعقبى كل خافقة سكون ٭ ولا تحفل
اذا ابصرت يوما ٭ فما تدري السكون متى يكون ٭ والمخالقة مفاعلة من الخلق
بالضم يقال خالقهم اي عاشرهم بخلق حسن ومنه خالص المؤمن وخالق الفاجر
وخالق الناس ولا تخالفهم وفي المثل خالق الفاجر ورافقه في السفر قوله عليه السلام
والسبق الى الفضيلة سبق سبقا من باب ضرب تقدم وخلف غيره قال
الفيومي وقد يكون للسابق لاحق كالسابق من الخيل وقد يكون كمن احرز قصب
السبق فانه سابق اليها ومنفرد بها ولا يكون له لاحق انتهى والفضيلة والفضل
الخير وهما خلاف النقيصة والنقص وقال في القاموس الفضيلة الدرجة الرفيعة
في الفضل وانما سأل عليه السلام السبق الى الفضيلة لفضيلة السبق قال تعالى والسابقون
السابقون اولئك المقربون اي السابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت
محاسنهم كقول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري كانه قيل شعري ما انتهى اليك وسمعت
بفصاحته وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن التعريف
بالجميل ما لا يخفى ومن هنا يظهر ان جعل السابقون تاكيدا واولئك المقربون

خير ليس كذلك والسابقون قيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق
من غير تلعثم وتوان وقيل هم الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل
المسارعون في الخيرات وايا ما كان فهو مندرج تحت السبق الى الفضيلة اذا كانت
الالف واللام فيها للاستغراق افراد الجنس اي كل فضيلة وانما كان السابق الى الخير
افضل لانه تقتدي به في الخير فكان ممن سن سنة حسنة وفي الحديث من سن
سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة **قوله** عليه السلام وترك التعيير
هو تفعيل من العار وهو كل شيء يلزم منه عيب يقال عيرته كذا وعيرته به اذا نسبته
الى العار فيه يتعدى بنفسه وبالباء قال المرزوقي في شرح الحماسة والمختار ان
يتعدى بنفسه وانكر صاحب القاموس تعديته بالباء وقال عيره الامر ولا تقل
بالامر وتبعه بعض الاكابر الشارحة في تعليقه على الصحيفة الشريفة فقال والعامة
يقول عيره بكذا وهو خطاء وانكارهما ليس بشيء فقد ورد في الحديث الصحيح تعديته
بالباء روى ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام على ذم التعيير
المسؤول تركه في الدعاء قال العلماء ولا ينبغي تعيير مؤمن بشيء ولو كان معصيته
مشتملة على رؤس الخلائق ولا ينافي وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان المطلوب
منهما ان يكونا على سبيل النصح لا التعيير واذا علم انه لا ينفعه ينبغي التشديد عليه على النحو
المورود في نسخة وترك التقتير قتر في الانفاق تقتيرا واقتر اقتارا وقتر قترا
او قتورا من باب ضرب وقعد اذا ضيق وخلافه هو ضد الاسراف قال تعالى
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما **قوله** عليه السلام و
الافضال على غير المستحق عطف على التعيير اي وترك الافضال على غير المستحق يقال
افضل عليه افضالا اذا تطول واحسن ابتداء والمستحق لان الامر استوجبه فهو مستحق
والامر مستحق بالفتح اسم مفعول والمراد بغير المستحق هنا من لا يستوجب الافضال عليه

ولم يكن اهلا له وانما سأل عليه السلام ترك الافضال عليه لانه من الخلق المذموم اذ
كان اسرافا وتبذيرا ووضعا للمعروف في غير اهله ومحله وقد تطابق على ذمه دليل
العقل والنقل اما العقل فلانه وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج عن
العقل واما النقل فاحسن ما يؤثر في ذلك ما رواه ثقة الاسلام في الكافي عن
امير المؤمنين عليه السلام انه قال في جملة كلام خاطب به بعض اصحابه ومن كان
له مال فاياكم والفساد فان اعطاء في غير حقه تبذير واسراف وهو يرفع ذكر
صاحبه في الناس ويضعه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير
اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فان بقي معه منهم بقية
ممن يظهر الشكر له ويريه النصح فانما ذلك منه تملق وكذب فان زلت بصاحبهم
النعل ثم احتاج الى معونتهم ومكافاتهم فالام خليل وشر خدين ولم يضع امرؤ
ماله في غير حقه وعند غير اهله لم يكن له من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام
وثناء الاشرار ما دام عليهم منعما مفضلا ومقالة الجاهل ما اجوده وهو عند الله
بخيل فاي حظ ابور واخس من هذا الحظ واي فائدة معروف اقل من هذا المعروف
فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة وليحسن به الضيافة وليفك به العاني
والاسير وابن السبيل فان الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا والاخرة وفي
الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام اذا اردت ان تعلم اشقي الرجل ام سعيد فانظر
سيبه ومعروفه الى من يصنعه فان كان يصنعه الى من هو اهله فاعلم انه
الى خير وان كان يصنعه الى غير اهله فاعلم انه ليس له عند الله خير وفي كلام
الحكماء آفة الجود الخطاء بالمواضع وما احسن قول القائل في هذا المعنى **شعر**
لقد ظلم المعروف مانع اهله • واظلم منه مخطي المواضع • ومن سفه الفتى ان
يبذل الندى • ويجهل في الاقوام اهل صنايع • وقال آخر • وسائل لي

من عثمان قلت له هو الجواد ولكن فاسق الجود غيث الوفاة اذا حلّوا بساحته
وآفة المال بين الرزق والعود قوله عليه السلام والقول بالحق وان عزّ القول الكلام و
المراد بالحق هنا خلاف الباطل وهو الحكم المطابق للواقع والباء للملابسة اى ملتبسا
بالحق او للتعدية بتضمين القول معنى التكلم ويجوز ان يراد بالحق القول الواقع يجب
ما يجب وفي وقت يجب وعزّ اما ماض يعزّ بفتح العين بمعنى شقّ واشتدّ يقال عزّ
على ما اصابك اى شقّ واشتدّ واما ماض يعزّ بكسر العين بمعنى قلّ حتى لا يكاد يوجد والضمير
فيه بالمعنيين اما راجع الى القول او الى الحق والمشقة على المعنى الاول اما بالنسبة
الى القائل باعتبار خوف نفار القلوب عنه واحتمال الاذية له والمعنى على الثاني
وان كان الحق او القول به قليلا لكثرة الباطل واهله ومن كلام امير المؤمنين
عليه السلام حق وباطل ولكل اهل فلئن امر الباطل فقديما فعل ولئن قلّ الحق
فربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل يقال امر الشيء من باب علم امرا وامرة بالتحريك اى
كثر وقوله فربما ولعل وعد بكثرة الحق مع تشكيك فيه وتمرّ له وتمام الكلام
استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة بعد قلته على وجه كلي وان من يجعل وان عزّ
هي المسماة بالوصلية وقد سلف الكلام عليها غير مرة قوله عليه السلام واستقلال
الخير الخ استقلّ الشيء عدّه قليلا وهو سؤال للتوفيق للاعتراف بالتقصير
فيما اتاه وياتيه من الخيرات قولا وفعلا ليخرج من العجب والكسل في كسب الخير
مع ما فيه من الاعتراف بالحاجة والذل والعبودية لان من استقل خيره فقد
كان في مقام الذل والحاجة والانكسار ولا عبودية اشرف منها قوله عليه السلام
واستكثار الشر الخ سؤال للتوفيق من الله تعالى بما يكتسبه او اكتسبه من الشر قولا
وفعلا والظاهر من الكثرة والقلة في الفقرتين بحسب الكم سواء كان الخير
او الشر في نفسه كبيرا او صغيرا ويحتمل ان يراد بهما بحسب الكيف والمقدار

واياما

وايّاما كان ففي الفقرتين تنبيه على ان ما صدر من العبد ان كان خيرا و
طاعة فليعدّ نفسه مقصرة في الكم والكيف وان كان كثيرا بالنسبة الى وسعه لان
ذلك ادخل في تعظيم الرب وابعد من العجب والاعتماد عليه واقرب الى البقاء
عليه والسعي فيه ومقام العبودية المبنية على التذلل والاعتراف بالتقصير وان
كان شرا قليلا ومعصية فليعدّه كثيرا عظيما وان كان قليلا حقيرا في نفسه
لانه بالنظر الى مخالفة الرب العظيم عظيم كثير واستقلاله موجب لعدم
المبالاة به والاعتناء بشانه وسبب للولوع به والاتيان مرة بعد اخرى حتى
تجتمع عليه شرور عديدة وذنوب كثيرة وتبلغ حد الكبيرة وفي الحديث عن
ابي الحسن الرضا عليه السلام لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان
قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيرا واعلم ان الواقع في اكثر النسخ ذكر القول والفعل
معا في جانب الخير والاقتصار على الفعل في جانب الشر فوجهه بعضهم بما نصه يقال
فلان قال خيرا وفعل خيرا وهذا شايع وقد يقال قال شرا وقولهم فعل شرا اكثر
فلعله عليه السلام ذكر شيئا من الشر من الفعل فيما هو كثير بالنسبة اليه بطريق
اولى ويحتمل انه عليه السلام ذكر القول والفعل معا في الخير لتمام رغبته فيه
وارادته بجميع افراده بخلاف الشر انتهى اقول لا يخفى ما في الوجه الاول من الضعف
اما اولا فلدعواه ان قولهم فعل شرا قليل ممنوع بل قولهم فعل خيرا وفعل شرا
سيان في الشيوع وكثرة الاستعمال وكفى شاهدا قول امير المؤمنين عليه السلام
في نهج البلاغة فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وفي الحديث ان لله
ملكا ينادي يا فاعل الخير ابشر ويا فاعل الشر اقصر واما ثانيا فالكثرة والقلة
في الدعاء بالنسبة الى الوقوع وما ادعاه من القلة بالنسبة الى التلفظ وان احدهما
من الاخر واما الوجه الثاني فقد يعارض بان الاهتمام بنفي الشر اولى من الاهتمام

بطلب الخير خصوصاً وهو في مقام السؤال لاستقلال الخير منه ثم الشر من القول اولى
بالذكر لتوهم اكثر الناس انه لا يضر كما في حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله
صلى الله عليه وآله كف عليك هذا واشار الى لسانه قلت يا رسول الله وانا لمواخذون
بما نتكلم به فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم او قال على
مناخرهم الا حصائد السنتهم والاولى ان يوجه ذلك بوجهين احدهما التنبيه على
انه يجب ان يعد القول من الفعل ويجب دخوله في العمل كما روى عن ابي عبد الله
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الى لسانه من لم يحسب كلامه من عمله
كثرت خطاياه وحضر عذابه وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله من راى موضع كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه واثر التنبيه على ذلك في
جانب الشر لمزيد الاهتمام ببيانه فيه حثاً على التوقي منه كما وقع في الحديثين الذين
الثاني لما كان القول اعظم كيفية واكثر كمية من الفعل لبلوغه ما لا يبلغ الفعل
لعمومه من كل وجه لان آلته التي هي اللسان لها تصرف في كل موجود وموهوم ومعدوم
وله يد في العقليات والخياليات والمسموعات والمبصرات والمذوقات والملموسات
بخلاف الفعل فان كل جارحة سوى اللسان يتعلق بفعل مخصوص فهو افضل من القول
ذكر عليه السلام الفعل دون القول لان من استكبر القليل فاستكثار الكثير اولى
ويناسب هذا المعنى ما رواه ثقة الاسلام في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً
من الجوارح فيقول اي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً فيقال خرجت منك
كلمة فبلغت مشارق الارض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال
الحرام وانتهك بها الفرج الحرام وعزتي لاعذبنك بعذاب لا اعذب به شيئاً من
من جوارحك وروى ايضاً بسند نقي عن صاحب الدعاء علي بن الحسين صلوات الله عليهما

قال قال

قال قال ان لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول كيف اصبحتم فيقولون
بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب
بك والله اعلم ومن عجيب ما وقع له في يوسف يعقوب المعروف بابن السكيت وقد
كان من اكابر علماء العربية وعظماء الشعراء وهو من اصحاب الجواد والهادي عليهما السلام
انه قال في التحذير من عثرات اللسان. يصاب الفتى من عثرة بلسانه. وليس يصاب المرء
من عثرة الرجل. فعثرته في القول تذهب راسه. وعثرته في الرجل تبرا على مهل
فاتفق ان المتوكل العباسي الزمه تاديب ولديه المعتز والمؤيد فقال له يوماً ايما احب
اليك ابناي هذان ام الحسن والحسين فقال والله ان قنبر خادم علي خير منك ومن
ابنيك فقال المتوكل لاتراكه سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات رحمه الله وذلك في
خلون من رجب سنة اربع واربعين ومائتين قوله عليه السلام واكمل ذلك لي بدوام
الطاعة كمل الشيء كمولاً من باب قعد والاسم الكمال ويستعمل في الذوات وفي الصفات
يقال كمل اذا تمت اجزاؤه وكملت محاسنه ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال
اكملته وكملته وذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الاخلاق المسؤلة ودام الشيء
يدوم دوماً ودواماً اذا استمر ولم ينقطع والطاعة موافقة الامر وقيل موافقة الارادة
وانما جعل دوامها كمالاً لما ذكر لان خلاف الطاعة وارتكاب المعصية نقض في
جميع المحاسن قوله عليه السلام ولزوم الجماعة لزمته الزمه لزوماً من باب علم تعلقت
به ولم افارقه والجماعة لغة ما اجتمع من الناس وغيرهم والمراد بها هنا المؤمنون
المتفقون على مذهب الحق الذي اجمع عليه ائمة اهل البيت عليهم السلام وشيعتهم
كما رواه البرقي في محاسنه بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وآله عن جماعة امته فقال جماعة امتي اهل الحق وان قلوا وبسنده
عن يحيى بن عبد الله رفعه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله ما جماعة امتك قال

من كان على الحق وان كانوا عشرة وفي كلام امير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة
والزموا السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من
الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب قال الشيخ كمال الدين رحمه الله اي
الزموا طريقة السواد الاعظم اي اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب
في لزوم طريقتهم بان يد الله على الجماعة فيجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحمايته
الجماعة اذ كانوا امنع وابعد من الانفعال للعدو وامن من الغلط لكثرة الآراء
وانتقادها فلا تكاد تتفق على امر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر من
الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد للشيطان
اي يطرقه الشيطان لانفراده وشبه ذلك بالشاذ من الغنم ووجه الشبه
كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء الشيطان له كما ان الشاة المنفردة
في مظنة الهلاك لانفرادها ووجدانها الذئب انتهى وروى البرقي باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلام عن آبائه قال قال امير المؤمنين عليه السلام ثلث موبقات
نكث الصفقة وترك السنة وفراق الجماعة وروى ثقة الاسلام في الكافي عن ابي
عبد الله عليه السلام قال من فارق جماعة المسلمين قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه قال بعض الشارحين المراد بهم الائمة عليهم السلام او الاعم منهم بشرط ان لا
يكونوا من اهل البدعة وبالمفارقة المفارقة على وجه الاستنكاف والاستكبار
والشنآن او المراد بها ترك السنة واتباع البدعة انتهى وروى في الكافي
ايضا بسنده عن الحكم بن مسكين عن رجل من قريش من اهل مكة قال قال سفيان
الثوري اذهب بنا الى جعفر بن محمد قال فذهبت معه اليه فوجدناه قد ركب
دابته فقال له سفيان يا ابا عبد الله حدثنا بحديث خطبة رسول الله صلى الله
عليه وآله في مسجد الخيف قال دعني حتى اذهب في حاجتي فاني قد ركبت فاذا

جئت حدثتك فقال اسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما حدثتني
قال فنزل فقال له سفيان مر لي بدواة وقرطاس حتى اثبته فدعا بهم ثم قال
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم خطبة رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف
نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم تبلغه يا ايها الناس ليبلغ
الشاهد الغائب فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه
منه ثلث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم اخلاص العمل لله والنصيحة لائمة المسلمين
واللزوم لجماعتهم فان دعوتهم محيطة من ورائهم المؤمنون اخوة تتكافأ دماؤهم
وهم يد على من سواهم يسعى بذمتهم ادناهم فكتبه سفيان ثم عرضه عليه وركب
ابو عبد الله وجئت انا وسفيان فلما كنا في بعض الطريق قال لي كما انت
حتى انظر في هذا الحديث فقلت له قد والله الزم ابو عبد الله رقبتك شيئا
لا يذهب من رقبتك ابدا فقال واي شيء ذلك فقلت له ثلث لا يغل عليهن
قلب امرئ مسلم اخلاص العمل لله قد عرفناه والنصيحة لائمة المسلمين من هؤلاء
الائمة الذين يجب علينا نصيحتهم معاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية
ومروان بن الحكم وكل من لا تجوز شهادته عندنا ولا تجوز الصلوة خلفهم وقوله
واللزوم لجماعتهم فاي الجماعة مرجئ يقول من لم يصل ولم يصم ولم يغتسل
من جنابة وهدم الكعبة ونكح امه فهو على ايمان جبرئيل وميكائيل او قدري يقول
لا يكون ما شاء الله عز وجل ويكون ما شاء ابليس او حروري يبرأ من علي
بن ابي طالب وشهد عليه بالكفر او جهمي يقول انما هي معرفة الله وحده ليس
الايمان شيئا غيرها قال ويحك واي شيء يقولون فقلت يقولون ان علي
بن ابي طالب والله الامام الذي يجب علينا نصيحته ولزوم جماعتهم اهل بيته
قال فاخذ الكتاب فخرقه ثم قال لا تخبر بها احدا قوله عليه السلام ورفض اهل البدع

رفضت الشيء رفضا من باب ضرب وفي لغة من باب قتل تركته والبدع جمع بدعة
بالكسر كسدرة وسدر وهي اسم من الابتداع بمعنى الاحداث والاختراع كالرفعة
من الارتفاع ثم غلب استعمالها في محدثات الامور المخالفة للشريعة بعد عهد النبي
صلى الله عليه وآله وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في الروضة السادسة
فليرجع اليه قوله عليه السلام ومستعمل الراي المخترع اتفقت النسخ المعتمدة على كون
مستعمل مفردا وما يوجد في بعض التراجم من روايته مجموعا بالياء وحذف
النون للاضافة لم يثبت رواية ووقع في نسخة قديمة واستعمال الراي المخترع
على كل حال فهو عطف على اهل البدع المضاف اليه الرفض واستعمل رايه وعمل
عمل به والراي لغة العقل والتدبير والاعتقاد وعرفا يطلق تارة على القياس وهو
مساواة فرع لاصل في علة حكمه قال صاحب القاموس واصحاب الراي اصحاب
القياس لانهم يقولون برايهم فيما لم يجدوا فيه حديثا او اثرا وتارة على استحسان
العقل وان عارض النص وخالفه كما قال ابو حنيفة وفسره بانه دليل ينقدح في
نفس المجتهد وربما قصرت عنه عبارته حكى الزمخشري في ربيع الابرار قال
قال يوسف بن اسباط رد ابو حنيفة على النبي صلى الله عليه وآله اربعمائة حديث
او اكثر قيل مثل ماذا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله للفرس سهمان وقال
ابو حنيفة لا اجعل سهم بهيمة اكثر من سهم المؤمن واشعر رسول الله صلى الله عليه
وآله واصحابه البدن وقال ابو حنيفة الاشعار مثلة وقال رسول الله صلى الله
عليه وآله البيعان بالخيار ما لم يتفرقا وقال ابو حنيفة اذا وجب البيع فلا خيار
وكان عليه السلام يقرع بين نسائه اذا اراد سفرا وقال ابو حنيفة القرعة قمار ونحو ذلك
والمخترع اسم مفعول من اخترع الدليل او الحكم وما اشبهه اي ابتدعه وابتكره
ولم يسبق اليه وهذا القول مخترع اي مفتعل لا اصل له فهو هنا نعت جيء به لافادة

الذم كالشيطان

الذم كالشيطان الرجيم لا قصد التوضيح اذ الراي في الاحكام الشرعية لا يكون الا مخترعا
مفتعلا لا اصل له في كتاب ولا سنة روى ثقة الاسلام في الكافي عن ابي عبد الله
عليه السلام قال ان اصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحق الا
بعدا وان دين الله لا يصاب بالمقاييس وعن ابي جعفر عليه السلام من افتى الناس
برايه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث احل
وحرم فيما لا يعلم وعن علي عليه السلام من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في الالتباس
ومن دان الله بالراي لم يزل دهره في ارتماس وعن ابي بصير قال قلت لابي
عبد الله عليه السلام ترد علينا اشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها فقال
لا اما انك ان اصبت لم تؤجر وان اخطات كذبت على الله عز وجل والاخبار
في هذا المعنى كثيرة جدا وبطلان القياس والراي من ضروريات مذهب
اهل البيت عليهم السلام اللهم صل على محمد وآله واجعل اوسع رزقك علي اذا كبرت
واقوى قوتك في اذا نصبت ولا تبتليني بالكسل عن عبادتك ولا العمى عن سبيلك
ولا بالتعرض لخلاف محبتك ولا مجامعة من تفرق عنك ولا مفارقة من اجتمع
اليك الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين وهما هنا المنصوبان بعده
اولهما اوسع والثاني الظرف اعني علي وهو متعلق بمحذوف اي كائنا علي لان مفعولي
التصيير في الاصل مبتدا وخبر والظرف اذا وقع خبرا لا يكون الا مستقرا واذا
ظرف للفعل متضمن معنى الشرط وما قبلها هو الجواب في المعنى كما في قولك اكرمك
اذا جئتني وقول بعض المعاصرين اذا نصبت طرفيه مجردة عن معنى الشرط ثاني
مفعولي اجعل بمعنى صيرني لا يناسب لا وسع على ان الاول خبط صريح وكيف تقع اذا المتضمنة
على الظرفية ثاني مفعولي اجعل ووقوعها مفعولا عند من زعمه يستلزم خروجها عن
الظرفية ايضا على تقدير مضاف لا وسع لئلا يلزم الاخبار باسم الزمان عن اسم العين

فالتقدير اجعل وقت اوسع رزقك وقت كبري فهو بعيد شديد وتكلف ما علم
منه بدو لا داعي اليه اصلا اما الاول فالقول بخروج اذا عن الظرفية خلاف قول
الجمهور قال ابن هشام والجمهور على ان اذا لا تخرج عن الظرفية خلاف قول الجمهور قال ابن
هشام والجمهور وقال الرضي لخروج اذا عن الظرفية قليل والتخريج على الامور البعيدة
والاوجه الضعيفة وترك الوجه القريب والقوي من الجهات التي يجب على المعرب
احترازها واما ثانيا فالقائلون بجواز خروجها عن الظرفية انما قالوا به في مواضع لم
يظهر لهم كونها فيها ظرفا فاحتاجوا الى القول بذلك كوقوعها موقع المبتدأ والخبر او
المفعول به او في موضع جر ولم يذهبوا الى جواز خروجها عن الظرفية في كل موضع البتة حتى
الى التخريج عليه في مثل هذه العبارة للتعيين فيها ظرفيتها فاي داع الى المفعول به فان الله
الهداية والقوة حتى تمكن الحيوان عن الافعال الشاقة واضافتها اليه تعالى بالمعنى
خلقه سبحانه لها ونصب نفسنا من باب تعب تعبا اعيا وانما سأل عليه السلام جعل
اوسع الرزق عليه وقت الكبر ليستغني عن تكلف تحصيله ومشقة تدبيره في الوقت
المقتضي اضعف البنية عن كثير الحركة وسأل جعل اقوى القوة فيه وقت الاعياء
لبقاء ما يوجبه الاعياء من الضعف واختلال القوى وهو ظاهر وقوله ولا تبتليني
يروى بالجزم وبالنون المؤكدة وهي الاشهر والكسل بالتحريك وتوقف الاعضاء و
فتورها عن اعمالها بسبب الروح وضعفه فيرجع الى الاستراحة وفي القاموس
الكسل التثاقل عن الشيء والفتور فيه كسل كسلا من باب تعب فهو كسل وكسلان
قال بعض العارفين الكسل عن العبادة من صفات الجاهل المحجوب بحجب الطبيعة
البشرية والمغلول بالاغلال واحق الهمة التهويرية والمصفود باصفاد عوارض الهيئة
البدنية فهو ثقيل لا تحرك به النشاط الى الدرجات العليا ولا تخرج به اريحية العبادة
عن المرتبة الدنيا والمراد بالعمى هنا الضلال والغواية استعارة من عمى البصر جامع عدم

الاهتداء

عدم الاهتداء الى المطلوب وسبيله تعالى هو الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق و
الهدى الناجي سالكه من التردي في مهاوي الردى وتعرض للشيء وتعرضه
يتعدى بالحرف وبنفسه اي تصدى له وطلبه ذكره الازهري وغيره والمخالفة
المخالفة يقال خالفه خلافا ومخالفة اذا ذهب الى غير ما ذهب اليه والمراد بمحبته
تعالى هنا رضاه وهو افاضة ثوابه ورحمته والمجامعة مصدر جامعه على كذا
اي اجتمع معه وساعده وتابعه عليه وتفرق الناس عن فلان اعرضوا عنه وتركوه لا
يفارق ذلك الامير كان رئيسا في دين او دنيا لان المتفرق عنه فيكون لا بعد
الاجتماع عليه والمراد بالمتفرقين عنه تعالى المتفرقون عن امره وطاعته كما ان المراد
بالمجتمعين اليه المجتمعون الى دينه وطاعته وعدي الاجتماع بالى لتضمينه معنى الركون
وهو السكون الى الشيء والميل اليه والله اعلم اللهم اجعلني اصول بك عند الضرورة
واسألك عند الحاجة واتضرع اليك عند المسكنة ولا تفتني بالاستعانة بغيرك
اذا اضطررت ولا بالخضوع لسؤال غيرك اذا افتقرت ولا بالتضرع الى من دونك
اذا رهبت فاستحق بذلك خذلانك ومنعك واعراضك يا ارحم
الراحمين صال يصول عليه يصول صولا وصولة حمل وسطا قال ابن الاثير في النهاية
في حديث الدعاء وبك اصول اي اسطو واقهر والصولة الحملة والوثبة والضرورة
اسم من الاضطرار وهو الاحتياج والافتقار الى الشيء فالباء للاستعانة وسأل
الله العافية طلبها ولم يذكر المفعول الثاني لان المراد ايقاع سؤاله تعالى
مطلقا والحاجة اسم من الاحتياج وتضرع الى الله خضع وتذلل وتعرض بطلب
الحاجة والمسكنة الذلة والخضوع والفقر ومنه ضربت عليهم الذلة والمسكنة
وهي بهذا المعنى تجامع الغنى والثروة وتطلق على الفقر وقلة المال وسوء الحال
واشتقاقها على المعنيين من السكون لسكون صاحبها الى الناس فان حملها

فى الدعا لم على المعنى الاول لان المراد بالتضرع التذلل والخضوع وان حملتها على المعنى
الثانى كان المراد بها التعرض لطلب الحاجة وفتنه فتونا من باب امتحنه وقال
بعضهم الفتنة هو الضلال عن الحق بمحبته امرها من الامور الباطلة والاشتغال
به عما هو الواجب من سلوك سبيل الله وعلى هذا المعنى لا تفتنى لا تضلنى كما
قال ربنا لا تضلنا ولا شك ان الاستعانة بغير الله سبحانه حال الاضطرار و
الخضوع لسوال غيره عند الافتقار والتضرع الى من دونه وقت الرهبة من الضلال
عن سبيل الحق اذ كان الالتجاء فى جلب النفع ودفع الضرر الى من لا يملك لنفسه
نفعا ولا ضرا وعدولا عمن بيده ازمة الامور والقادر على كل مقدور و
لذلك حكم عليه السلام باستحقاق الخذلان والمنع والاعراض منه تعالى من حيث
عدم استعداده لنفحات الله سبحانه بالتوجه اليه والاعتماد عليه بالتوجه الى
غيره واشتغال قلبه بسواه وقد تقدم الكلام على هذا المعنى خصوصا فى الروضة
الثالثة عشرة وقوله الى من دونك اى هو موضوع من سواك فدون بمعنى سوى
الظرفية التى هى بمعنى مكان الذى يدخله معنى العوض والبدل او بمعنى
غير فهو حينئذ محض وقفا وحالا لا تتخذ مصدرا والتقدير الى الذى ثبت حاله
دونك او بمعنى تحت قال الجوهرى دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية
او بمعنى قدام كانه قدامه تعالى فى المكان وهو سبحانه وراءه تعالى الله عن
ذلك وقوله فاستحق الفاء للسببية والفعل منصوب بعدها بان مضمرة
لوقوعه بعد النهى الصريح نحو ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى والخذلان
بالكسر اسم من خذله من باب قتل اذا اهمله وترك اعانته ومنعه معروفه
ومنه منعا حرمه اياه واعرض عنه اعراضا صد وهو هنا مجاز عن الاستهانة
به والسخط عليه كقوله تعالى ولا ينظر اليهم وقد تقدم الكلام عليه والله اعلم

اجعل

٤١٢

اللهم اجعل ما يلقى الشيطان فى روعى من التمنى والتظنى والحسد ذكرا لعظمتك وتفكرا
فى قدرتك وتدبيرا على عدوك وما اجرى على لسانى من لفظة فحش او هجر او شتم عرض
او شهادة باطل او اغتياب مومن غائب او سب حاضر وما اشبه ذلك نطقا
بالحمد لك واغراقا فى الثناء عليك وذهابا فى تمجيدك وشكرا
لنعمتك واعترافا باحسانك واحصاء لمننك

اجعل من الجعل بمعنى التصيير وهو نقل الشىء من حالة الى اخرى قال صاحب
المحكم جعل الطين خزفا والقبيح حسنا صيره اياه والقى الشىء يلقيه القاه طرحه
ووضعه واصله ان يستعمل فى الاعيان كقوله تعالى والقى الالواح فالقوه
جانبا ثم استعمل فى المعانى اتساعا ومنه قوله تعالى والقيت عليك محبة
منى سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب وهو هنا كذلك والروع
بالضم القلب وقيل سواده ويطلق على الذهن والعقل والتمنى تشهى
حصول الامر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقال ابن السكيت
ومنه تمنى اذا قدر لان الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقوله ومنه
اهذا شىء رويته او شىء تمنيته اى اختلقته وكل من هذه المعانى يحتمل
ان اردتها هنا والتظنى اعمال الظن واصله التظنن ابدل من احدى
النونات ياء ومنه قولهم ليس الامر بالتظنى ولا بالتمنى والحسد تمنى زوال
نعمة المحسود الى الحاسد والذكر حضور المعنى فى النفس ثم يكون تارة بالقلب
وتارة باللسان وليس شرطه ان يكون بعد نسيان وقد تقدم الكلام على سائر
مراتبه فى الروضة الحادية عشرة وعظمته تعالى عبارة عن تجاوز قدره حدود
العقول حتى لا يتصور الاحاطة بكنهه وحقيقته وقال بعض العارفين
اعلم ان عظمته الموصوفة اضافية ثابتة له تعالى بالقياس الى اعتقاد العبيد

وقصوره واثبات لغيره عزوجل وجودا وكذا فليس لما سواه في جنب وجوده تعالى
وجود حتى يتصف بالعظمة بالقياس اليه لكن الانسان يتصور لنفسه نوعا
الوجودية وجودا مستقلا يقيس اليها وجود الحق فيصفه بالعظمة ثم بعد ما
يظهر قصور وجوده وضعفه وقصور الوجودات الامكانية وضعفها يزيد
في نظره عظمة الحق ولهذا قيل ان ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم
فبقدر انكساره وافتقاره يظهر وجود الحق وعظمته كبرياؤه والتفكر لغة
اعمال النظر في الشيء واختلفت عبارة العلماء في تفسيره والمرجع والحاصل
العرفي الى حقيقة التذكر طلب علم غير بديهي عن مقدمات موصلة اليه كما اذا
تفكر ان الاخرة فالتفكر سبب لهذا العلم وهذا العلم يقتضي حالة نفسانية
هي التوجه الى الاخرة وهذه الحالة تقتضي العمل لها وقس على هذا فالتفكر سير
من المبادي الى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرتقي احد من النقص الى الكمال
الا بهذا السير ومباديه الافاق والانفس بان يتفكر في اجزاء العالم وذراته وفي
الاجرام العلوية من الافلاك والكواكب وحركاتها واوضاعها ومقاديرها و
اختلافاتها ومقاراناتها وتاثيراتها وتغييراتها وفي الاجرام السفلية و
ترتيبها وتفاعلها وكيفياتها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها وفي
اخر الانسان واعضائه من العظام والاعصاب والعضلات والعروق
وغيرها مما لا يحصى كثرة ويستدل بما فيها من المصالح والمنافع والحكم
على كمال الصانع وقدرته وحكمته وعلمه وعدم ثبوت ما سواه وبالجملة
التفكر فيما ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح اثره العلم بوجود الصانع
وقدرته ومن حيث تغيره وانقلابه وفنائه بعد وجوده اثره الانقطاع
عنه والتوجه بالكلية الى الخالق الحق انتهى وهو اعظم العبادات قدرا واشرفها

اجزاؤهما

اجزاؤهما رتبة وارفعها درجة ولذلك وقع الامر به في مواضع كثيرة من
اخبار — القرآن المجيد ووردت به اخبار عديدة عن سيد المرسلين واهل بيته
الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين كقوله عليه السلام التفكر يدعو الى البر و
٤١٣ — العمل به وقول الصادق عليه السلام افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي
قدرته وقول الرضا عليه السلام ليس العبادة كثرة الصلوة والصوم انما العبادة
التفكر في امر الله عزوجل الى غير ذلك واعلم انه ليس المراد التفكر في حقيقة ذاته
وحقيقة قدرته وسائر صفاته تعالى فان معرفتها خارج عن طوق البشر لا يصل
اليها عقل ولا فكر والتفكر فيها يؤدي الى الضلال المبين والالحاد في الدين بل المراد التفكر
في صنع الله وآثار قدرته فان التفكر فيها وفي عظمتها يدل على عظمة الصانع الحق وكمال
صلى الله — قدرته ومما يدل على ذلك ما روي عنه عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق
وما روي عن ابي جعفر عليه السلام اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا
الى عظمته فانظروا الى عظيم خلقه وقوله عليه السلام وتفكرا في قدرتك اي في آثار
قدرتك وآياتها حكى الزمخشري في ربيع الابرار قال قرب لعلي بن الحسين عليهما السلام
طهوره في وقت ورده فوضع يده في الاناء ليتوضاء ثم رفع رأسه فنظر الى السماء
والقمر والكواكب فجعل يتفكر في خلقها حتى اصبح واذن المؤذن ويده في الاناء
وحكى ذو النون المصري قال سمعت شخصا قائما وسط البحر وهو يقول سيدي
سيدي انا خلقت البحور والجزائر وانت الملك الفرد بلا حاجب لا اله
الا الذي آنس بك فاستوحش امر الذي نظر الى ايات قدرتك فلم يدهش
اما في نصبك السماء ذات الطرائق ورفعك الفلك فوق رؤس الخلائق
واجرائك الماء بلا سابق وارسالك الريح بلا عائق ما يدل على فردانيتك اما
السموات فتدل على صنعك واما الفلك فيدل على حسن صنعك ودنا

الرياح فتنشر من نسيم بركاتك واما الرعود فتصوت بعظيم آلائك واما الارض
فتدل على عظيم حكمتك واما الانهار فتنفجر بعذوبة كلمتك واما الاشجار فتخبر
بجميل صنايعك واما الشمس فتدل على تمام بدايعك قوله عليه السلام وتدبروا
على عدوك ودبرت الامر تدبيرا نظرت الى ما تؤول عاقبته ماخوذ من الدبر وهو
الآخر من كل شيء لانه نظر في دبر الامور وهو قريب من التفكر لان التفكر تصرف
القلب بالنظر في الدليل والتدبير تصرفه بالنظر في العواقب وعداه بعلى ايذانا
بان التدبير مستعل عليه ولازم له لزوم الراكب لمركوبه كقولهم هذا لك وهذا
عليك والمراد بعدوه تعالى المعرض عن عبادته والمبغض لها ولمن تلبس بها من عباده
وهو من باب اطلاق الشيء على ما هو من لوازمه مجازا قوله عليه السلام وما اجرى على السنتنا
من لفظة فحش في آخره اسناد الاجراء الى الشيطان مجاز عقلي من حيث انه سببه كقولهم
بنى الامير المدينة والفحش القبيح السيء والردي من القول وقال في القاموس الفحش
عدوان الجواب ومنه لا تكوني فاحشة لعايشة انتهى وقال في النهاية قال لعايشة
لا تقولي ذلك فان الله لا يحب الفحش اراد بالفحش التعدي في القول والجواب لا الفحش
الذي هو من قذع الكلام ورديه وقيل الفحش والفحشاء ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم قولا كان او فعلا والهجر يروى بالضم والفتح وهو
بالضم الخنا والقبيح والفحش من القول والاكثار من الكلام والهجر فيما لا ينبغي وبالفتح الهذيان
يقال هجر يهجر من باب قتل هجرا بالفتح اذا خلط في كلامه وهذى وشتمه شتما من
باب ضرب وقيل سبه وقيل الشتم وصف الرجل بما فيه ازراء ونقص سيما اذا
يتعلق بالنسب وعرض الرجل بالكسر حسبه وقيل خليقته المحمودة وقيل ما يمدح به
ويذم وقال ابن الاثير في النهاية العرض موضع المدح والذم من الانسان سواء
كان في نفسه او في سلفه او من يلزمه امره وقيل هو جانبه الذي يصونه من نفسه

جبه بحال

ويحامي عنه ان ينتقص ويثلب وقال ابن قتيبة عرض الرجل نفسه وبدنه لا غير و
قيل هو ما يفتخر به من حسب وشرف وقد يراد به الآباء والاجداد والشهادة الاخبار بما
قد شوهد اي عن عيان وهي اسم من المشاهدة وهي الاطلاع على الشيء عيانا والباطل
ما لا يكون صحيحا باصله واضافة الشهادة الى الباطل اما بمعنى لام الاختصاص عيانا
٤١٢ والباطل ما لا يكون صحيحا باصله واضافة الشهادة الى الباطل اما بمعنى لام الاختصاص او
على حذف الجار والايصال كان الاصل شهادة على الباطل واغتاب فلان فلانا اذا ذكره
بما يسوءه ويكرهه من العيوب وكان فيه فان لم يكن فيه فهو بهت وبهتة وفي العرف
وفي العرف ذكر الانسان المعين او بحكمه في غيبته بما يكرهه نسبته اليه مما هو حاصل فيه
ويعد نقصا في العرف بقصد الانتقاص والذم قولا او اشارة او كناية تعريضا
او تصريحا فلا غيبة في غير معين كواحد مبهم غير محصور كاحد اهل البلد فا
مثلا فانه في حكم العين كما صرح به شيخنا البهائي قدس سره في شرح الاربعين ولا بذكر
عيبه في حضوره وان كان آثما له بذلك الا لقصد الوعظ والنصيحة ولا بذكر ما ليس فيه
فانه بهتان وتهمة ولا بذكر ما يكرهه ولا يعد نقصا ولا بذكر عيبه لا لقصد الانتقاص
كذكره للطبيب لقصد العلاج وللسلطان لقصد الترحم فان قلت ما فائدة وصف
المؤمن بالغايب فان الاغتياب هو ذكر الرجل بما يسوءه في غيبته فلا يكون الا
لغايب قلت هو من باب التصريح بما علم ضمنا وفائدة التنصيص على تعلق
الاغتياب تنبيهات الاول الغيبة حرام بالآيات والروايات واجماع الامة وقد
عدت من الكبائر ولو لم يرد فيها الا قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم
ان ياكل لحم اخيه ميتا فانه مثل الاغتياب باكل الانسان لحم انسان آخر مثله ثم لم
يقتصر على ذلك حتى جعله لحم الاخ ثم لم يقتصر حتى جعله ميتا ثم جعل ما هو في
غاية الكراهة موصولا بالمحبة وقوله نبيه صلى الله عليه وآله اياكم والغيبة فان

فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا
يغفر له حتى يغفر له صاحبه قال بعض علمائنا ان المغتاب اما لم يكن معصوما ينبغي
ان يكون له في عيبه لنفسه شغل عن عيب الناس ولو فرض انه خال من العيوب كلها
فليتنزه نفسه عن الغيبة التي هي اقبح العيوب من اعظم الكبائر قال شيخنا الشهيد
الثاني قدس سره والعجب من علمائنا في زماننا ان كثيرا منهم يجتنب كثيرا من المعاصي
الظاهرة من شرب الخمر والزنا وغصب اموال الناس ونحوها وهم مع ذلك يتعاطون
الغيبة والسبب فيه اما الغفلة عن تحريمها وما ورد من الوعيد عليها وامكان مثل
ذلك من المعاصي لا يخل عرفا بمراتبهم ومناصبهم من الرياسات بخلاف هذا النوع من
المنكر على زعمهم ومن المنزلة عنده من اهل الجهالات ولو رغبوهم في الشرب او
الزنا او غصب مال الغير ما اطاعوه لظهور فحشه عند العامة وسقوطه من اعينهم
ولو استبصروا وعلموا ان لا فرق بين المعصيتين بل لا نسبة بين المعصية المتعلقة
للاخلال بحقه تعالى وبين ما يتعلق مع ذلك بحق العبد خصوصا باعراضهم التي هي
احب واشرف من اموالهم **الثاني** كفارة الغيبة ان يندم المغتاب ويتوب ويتاسف
على فعله ليخرج من حق الله اولا ثم يستحل من اغتابه ليحله فيخرج عن مظلمته وذلك
اذا امكنه الوصول اليه وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله متحري
مما ارتكبه فان المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون تائبا فيكون
قد قارف معصية اخرى يدل على ذلك ما روي عن النبي صلعم من كانت لاخيه قبله مظلمة
في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ
من حسناته فتزاد في حسنات صاحبه فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه
فتزاد على سيئته وان لم يمكنه الوصول اليه بالموت او لغيبته فليستغفر له يدل على
ذلك ما رواه ثقة الاسلام في الكافي عن ابي عبد الله عليه السلام قال سئل النبي صلى الله

عليه وآله

عليه وآله ما كفارة الاغتياب قال تستغفر الله لمن اغتبته كما ذكرته ويستحب العذر
اليه بقول العذر فان لم يقبل كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له وتقابل
سيئة الغيبة في الغيبة ولا فرق بين اغتياب الصغير والكبير والحي والميت
والذكر والانثى ولكن الاستغفار والدعاء له بحسب ما يليق بحاله فيدعو للصغير
بالهداية وللميت بالرحمة والمغفرة ونحو ذلك ولا يسقط الحق باباحة الانسان عرضه
لانه عفو عما لم يجب كما ان لو اباح قذف نفسه لم يسقط حقه من الحد والظاهر
انه يجب في هذه الكفارة النية كما في سائر الكفارات **الثالث** جوز العلماء الغيبة
في عشرة مواضع الشهادة والنهي عن المنكر وشكاية المتظلم ونصح المستشير وجرح
الشاهد والراوي وتفضيل بعض العلماء والصناع على بعض وغيبة المتظاهر
بالفسق الغير المستنكف على قول وقيل مطلقا وقيل بالمنع مطلقا وذكر المشتهر
بوصف يميزه كالاعور والاعرج مع عدم قصد الاحتقار والذم وذكره عند من
يعرفه بذلك بشرط عدم سماع غيره على قول والتنبيه على الخطاء في المسائل العلمية
ونحوها بقصد ان لا يتبعه احد فيها ثم هذه الامور ان امكن التعريض فيها فلا يبعد
القول بتحريم التصريح لانها شرعت للضرورة والضرورة تقدر بقدرها الخاتمة
والله اعلم **قوله** عليه السلام او سب حاضر السب الشتم سبه سبابا باب قتل قيل اصله
من السب بمعنى القطع لان الساب يقطع المسبوب وقيل من السبة بالضم وهي
حلقة الدبر كان الساب كشف بشتمه عورة المسبوب ومنه قيل للاصبع التي
تلي الابهام سبابة لانها يشار بها عند السب قال بعضهم وسب الحاضر ان يقول
له مثلا يا شارب الخمر او يا آكل الربا او يا ملعون او يا خائن او يا حمار او يا كلب
او يا خنزير او يا فاسق او يا فاجر او امثال ذلك وسب الكندي رجلا فقال
له انت والله ثقيل الظل مظلم الهواء جامد النسيم وثاب بوثبان نقال

احدهما الضاجر اراك والله تعطس عن انف ظالما جذع على الهوان فقال له صاحبه
والله لئن لم تكف عني شرة لسانك ولم تسرع في عورة كلمك لاضدعن صفاة تلك
بمعول ولا ينبو عن مضربه ولاحصدن راسك بمنجل لا ينثني عن ماخذه فقال
له الاول لا تسعر نارنا ولا تطلب عارنا فان سفه الجاهل بلسانه وسطوة النبيه بيده
وكاني بك وقد وعيت مني كلاما يمنعك الشراب البارد ويشمت بك الصادر والوارد وقد دعت
حتى كلاما يمنعك الشراب البارد ويشمت بك الصادر والوارد وقيل من تعود
على العافية لا يصبر على البلاء فانقلب عنه صاحبه مغيظا. تتمة روى ثقة
الاسلام في الكافي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله سباب
المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه وعن ابي الحسن
موسى عليه السلام في رجلين يتسابان قال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه
ما لم يعتذر الى المظلوم قوله عليه السلام وما اشبه ذلك اشارة الى المذكورة مما
اجرى الشيطان على لساني يعني مما لا يعني في الجنة والاثم كالبهت والنميمة والسعاية
والاستهزاء والتهمة والرواية على المؤمن والكذب الى غير ذلك فان كل ذلك مباين
لمكارم الاخلاق وحسن الشيم مناف لمقتضى الايمان والتقوى والورع قوله
عليه السلام نطقا بالحمد لك النطق بالضم اسم من نطق ينطق نطقا من باب ضرب اذا
تكلم بصوت وحروف تعرف بها المعاني والمراد بالحمد هنا الحمد اللغوي بدلالة النطق
وهو الوصف بالجميل على جهة التعظيم باللسان وقد يراد به القولي الاصطلاحي
وهو حمد اللسان وثناؤه على الحق تعالى بما اثنى به على نفسه على لسان انبيائه
فتكون اللام فيه للعهد واغرق في الشيء اغراقا بالغ فيه واطنب وهو من اغرق
في الشيء اغراقا بالغ فيه واطنب وهو من اغرق الرامي في القوس اذا استوفى مدها
قال الزمخشري في الاساس اغرق الرامي النزع ومنه الاغراق في القول وغيره وهو

والاطراء

416

والاطراء والثناء بالمد قيل هو وصف الشيء بمدح او ذم وقيل خاص بالمدح وقيل
استعماله في المدح اكثر من الذم والحق انه عند الاطلاق لا ينصرف الا الى المدح لقوله
اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء وفي الحديث لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك وذهب يذهب ذهابا بالفتح وذهوبا سار ومضى ثم استعير
للاستغراق في الشيء والتوغل والامعان كانه سار فيه ومضى ولم يقف ومجده
تمجيدا عظمه واثنى عليه بالشرف والكرم والمنة عبارة عن المعروف المقابل به
النعمة سواء كان باللسان او باليد او بالقلب قيل هو الثناء على المحسن بذكر احسانه
واعترف بالشيء اعترافا اقر به على نفسه والاحسان فعل ما ينبغي من الخير واحصى الشيء
احصاء عده وحفظه والمنة النعمة والمراد باحصائها حفظها عن الكفر بها او الاعتداد
بها
صونا لها عن اهمال شكرها وعدم الالتفات اليها والا فنعم الله تعالى لا تحصى كما قال سبحانه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والله اعلم تنبيه الجعل المطلوب عنى نقل
السيئات المذكورة التي القاها الشيطان في روعه واجراها على لسانه الى الحسنات
المطلوبة اما بمحوها بالتوبة واثبات الحسنات مكانها او بتبديل ملكاتها ودواعيها
في النفس بملكات الحسنات المذكورة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية او بان تثبت
له بدل عقاب كل منها ثواب الحسنة المقابلة لها كما فسر قوله تعالى اولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وقد تقدم الكلام على ذلك في آخر الروضة الثانية اللهم صل على
محمد وآله ولا اظلمن وانت مطيق للدفع عني ولا اظلمن وانت القادر على القبض
مني ولا اضلن وقد امكنتك هدايتي ولا افتقرن ومن عندك وسعي ولا
اطغين ومن عندك وجدي لا الطلبية للدعاء واظلم مبني للمفعول مجزوم بها
مؤكد بها النون الثقيلة مسند الى ضمير المتكلم وقس على ذلك البواقي الا ان الفعل
فيهما مبني للفاعل والجزم بلا الطلبية لفعل المتكلم ثابت في الفصيح وان صرح النحويون

بقلبه ونذوره ومن شواهده قوله صلى الله عليه وآله لا الفين احدكم متكئا
على اريكته يأتيه الامر مما امرت به الحديث كذا ككا لا اكثر ون وقول العرب لا
ارينك ههنا وقول الشاعر، لا اعرفن ربربا حورا مدامعها، مردفات على اعقاب
اكوار، وقول الآخر، اذا ما خرجنا من دمشق فلا نعد، لها ابدا ما دام فيها
الجراضم، والاكثر على ان لا في قوله نذكر الجرم بها العقل المتكلم بين المبني للفاعل
والمبني للمفعول وفصل بعضهم بينهما الحكم بالندور والقلة فيما كان مبنيا
للفاعل وبالكثرة فيما كان مبنيا للمفعول كقولهم لا اخرج لا اطلب وانت
مطيق المدفع معنى لان المطلوب منه غير المتكلم وهو الفاعل المحذوف النائب
عنه ضمير المتكلم والاصل لا يطلبني احد فحذف الفاعل واقيم عنه ضمير المتكلم و
عدل عن الفعل المهدود وياء الغيبة الى المبدو بالهمزة والنون ليتمكن من الاسناد
الى ضمير المتكلم على حد الالتفات من الغيبة الى المتكلم بخلاف ما اذا كان مبنيا
للفاعل فان المطلوب منه هو المتكلم وهو نادر لان المتكلم لا يطلب من نفسه
الا على المجاز تنزيلا لها منزلة الاجنبي قالوا وهذا النوع مما اقيم فيه السبب مقام المسبب
فالاصل في لا ارينك ههنا لا تكن ههنا فاراك وقس على ذلك والجمل بعد الا
المجزومة كلها احوال من زعم ان لا في جميع هذه الفقرات نافية والنون للاخبار
حذرا با النعمة فقد ابعد واطاق الشيء اطاقة قدر عليه فهو مطيق والاسم الطاقة
ودفعت عنه الاذى نحيته عنه وقبضت زيدا عن الامر كففته عنه ومنعته
من فعله وقوله مني ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من القبض اي كائنا
مني وامكنه الامر امكانا سهل وتيسر وافتقر مطاوع افقره يقال فقر يفقر
من باب تعب اذا قل ماله وافقره فافتقر والوسع بالضم الجدة والغنى وطغا
طغوا من باب قعد وطغى يطغى من باب تعب ومن باب نفع لغة ايضا فيقال الطغيان

والاسم الطغيان وهو مجاوزة الحد والاسراف في المعاصي والتكبر قال تعالى
ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى والوجد بالضم والفتح والكسر الجدة وهي
الثروة والاستغناء اي لا تبتليني بالطغيان بالاستغناء فاطغى والحال اني
استغنائي من عندك فان الطغيان بالمال انما يكون بسبب نسيان العبد
فضل ربه وعنايته به فينسب ذلك الى كفاية نفسه لا الى عناية الله تعالى
اما اذا علم ان غناه وجدته من فضله سبحانه فانه لا يزيده الا تواضعا وعبودية
بل اذا تأمل وجد نفسه في حال الغنى اشد افتقارا الى الله لان الفقر لا يتمنى
الا سلامة نفسه والغني يتمنى سلامة نفسه وماله واهله وجاهه
والله اعلم اللهم الى مغفرتك وفدت والى عفوك قصدت والى تجاوزك اشتقت
وبفضلك وثقت وليس عندي ما يوجب لي مغفرتك ولا في عملي ما استحق به عفوك
وما لي بعد ان حكمت على نفسي الا فضلك فصل على محمد وآله وتفضل علي
تقديم الظرف في الفقرات الاربع للتخصيص ومعناه الى مغفرتك وفدت
لا الى غيرها وقس على ذلك ووفد اليه وعليه يفد وفدا من باب وعد وفودا
ذو فادة قدم وورد وغلب استعمال الوفود في قصد الملوك والامراء
ونحوهم للزيارة والاسترفاد والانتجاع والمراد به هنا توجه نفسه الى طلب
مغفرته تعالى استعارة فان بصدد فيه الى تشبيه نفسه بالشخص الوافد
على عظيم في توقع حصول النفع ونيل الاحسان لديه وجعل اثبات الوفود لها
تبعها على ذلك كان من الاستعارة بالكناية وان حمل على ان المشبه به هو
المعنى المصدري الحقيقي للوفود والمشبه توجه نفسه كان طرفا التشبيه حينئذ
مفردين والاستعارة تبعية وان جعل المشبه به فيه صورة منتزعة من نفسه
وتوجهها الى المغفرة وطلبها لها وترجي شمولها له بصورة منتزعة من الوافد

الى ملك او نحوه وقصده له وانتجاعه له واستزفاده اياه وتاميل نيل احسانه
كان طرفا التشبيه حينئذ مركبين منتزعين من عدة امور والاستعارة تمثيلية
والمستعار مجموع الالفاظ الدالة على الصورة المشبهة بها الا انه اقتصر منها على
لفظ الوفود الدال على ما هو العمدة فى هذه الصورة فيدل بمعونة قراين الاحوال
على ان سائر الفاظ الدالة على سائر اجزاء هذه الصورة فيدل بمعونة قراين الاحوال
على ان سائر الفاظ الدالة على سائر اجزاء هذه الصورة منوية فى الارادة فتكون
فى حكم الملفوظة ولا يخفى ان هذا الوجه انسب بالمقام وادخل فى تحصيل
المرام واحد على ذلك ما اشبهه من الالفاظ المستعارة واحتمل من الوجوه
المذكورة ما هو اليق بمدلول العبارة وقصدت الشئ له واليه قصدا من باب ضرب
طلبته بعينه وتجاوزت عن الذنب تجاوزا عفوت عنه وصفحت وقد تقدم
بيانه والشوق نزاع النفس الى الشئ وقيل هو اهتياج النفس الى لقاء المحبوب يقال اشتاق
واشتاق اليه بمعنى والفضل ابتداء الاحسان بلا علة وتوثقت به توثقا ائتمنته و
وثقت به اعتمد عليه **قوله** عليه السلام وليس عندى ما يوجب لى حيث ليس عندى ما يوجب فى ثابت
فالجملة لا محل لها من الاعراب وان يكون الحال فالجملة فى محل نصب اى والحال انه ليس
عندى ما يوجب مغفرتك ووجب الحق يجب وجوبا لزم وثبت واوجبه الزمه
واثبته والمغفرة هى ان يستر القادر القبيح ممن هو تحت قدرته حتى ان العبد اذا
استر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له وامحو الشئ اسوحيه **قوله** عليه السلام
بعد ان حكمت على نفسى ان مصدرية اى بعد حكمى يقال حكم عليه حكما وحكومة اى قضى
ولم يذكر المحكوم به لدلالة الكلام السابق عليه فحذف اختصارا اذ المعنى بعد ان حكمت على
نفسى بعدم ما يوجب لى مغفرتك وما امحو به عفوك والاستثناء مفرغ وهو
فى الحقيقة من عام محذوف وما بعد الا بدل من ذلك المحذوف والتقدير وما لى شئ

الا فضلك والفاء فى قوله فتفضل فصيحة اى اذا لم يكن لى الا فضلك فتفضل على محمد واله
وتفضل على اى احسن الى بلا علة وسبب توجبان الاحسان والله اعلم
اللهم وانطقنى بالهدى والهمنى التقوى ووفقنى للتى هى ازكى واستعملنى بما هو
ارضى اللهم اسلك بى الطريقة المثلى واجعلنى على ملتك اموت واحيا
الهدى هنا بمعنى البيان والحجة بقرينة الانطاق والمراد بالبيان اظهار المقصود
بابلغ لفظ وبالحجة الكلام المستقيم وقيل البيان اخراج الشئ من حيز الاشكال الى
حيز التجلى والحجة البرهان قال الفيومى فى المصباح الهدى البيان وقال الزمخشرى
فى الفايق وابن الاثير فى النهاية فى حديث محمد بن كعب بلغنى ان عبد الله بن
ابى سليط قال لعبد الرحمن بن زيد بن حارثة وقد اخر صلاة الظهر كانوا يصلون
هذه الصلاة الساعة قال لا والله فما هدى مما رجع اى فما بين وما جاء بحجة مما
اجاب انما قال لا والله وسكت والمرجوع الجواب فلم يجى بجواب فيه بيان و
لما فعلها حين الصلاة وهدى بمعنى بين فى لغة اهل الحجاز يقولون هديت
لك بمعنى بينت لك ويقال لغتهم ترلتان او لم يهد لهم انتهى ويصح حمله على
الهدى بمعنى الدلالة على ما يوصل الى المطلوب وسلوك طريق يوصل الى المطلوب
والاول اظهر والالهام ان يلقى الله فى نفس العبد امرا يبعثه على الفعل والترك
بطريق الفيض وهو نوع من الوحى يخص الله به من يشاء من عباده والتقوى
فى اللغة الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية وفى العرف هى الاحتراز بطاعة الله عن
عقوبته وقال بعض العلماء هى بحسب العرف الشرعى تعود الى الخشية الحق
سبحانه المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا
وزينتها وتنحية ما دون وجهه القصد قال بعض العارفين ان خيرات الدنيا
والاخرة جمعت تحت لفظة واحدة وهى التقوى انظر الى ما فى القرآن الكريم

من ذكرها انكم علمتم عليها من خير ووعدتم من ثواب في اضافتها اليها من سعادة
دنيوية واخروية وكرامة اخروية ولنذكر من خصالها وآثارها الواردة فيه
اثنتي عشرة خصلة الاولى المدح والثناء قال تعالى وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور الثانية الحفظ والحراسة قال تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا الثالثة التأييد والنصر قال الله تعالى ان الله مع الذين اتقوا الرابعة
النجاة من الشدائد والرزق الحلال قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب الخامسة صلاح العمل قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم السادسة غفران الذنوب قال
ويغفر لكم ذنوبكم السابعة محبة الله تعالى قال تعالى ان الله يحب المتقين الثامنة
قبول الاعمال قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين التاسعة الاكرام والاعزاز قال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم العاشرة البشارة عند الموت قال تعالى الذين آمنوا
وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الحادية عشرة النجاة من النار
قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا الثانية عشرة الخلود في الجنة قال تعالى اعدت للمتقين
فقد ظهر لك ان سعادة الدارين منطوية فيها مندرجة تحتها وهي كنز عظيم
وغنم جسيم وخير كثير وفوز كبير انتهى قوله عليه السلام وفقني للتي هي ازكى
اى الحالة او الخصلة او السيرة التي هي ازكى الحالات او الخصال او السير اى اطهرها
واكثرها ثوابا او اطهرها او اصلحها من زكا المال يزكو زكا اى نما وزاد ومنه الزكوة
الشرعية لانها سبب يرجى بها الزيادة والبركة او من زكا الرجل يزكو اذا طهر ومنه
نفسا زكية او من زكا اى صلح ومنه خيرا منه زكوة اى صلاحا وانما لم يذكر
الموصوف لما في ابهامه بحذفه من الفخامة التي لا توجد مع ايضاحه فانك ايما
قدرت من الحالة او الخصلة او السيرة لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة التي تجده

مع الحذف

مع الحذف لما فيه من عموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قوله عليه السلام واستعملني
بما هو ارضى اى العمل الذي هو اشد ارضاء لك او اعظم الاعمال المرضية عندك
فان قلت استعمال ارضى في كل من هذين المعنيين غير قياسي اما الاول فلانه
بناء لا فعل التفضيل من غير الثلاثي المزيد فيه وقياسه انما يكون من الثلاثي واما الثاني
فلانه بمعنى المفعول وقياسه للفاعل قلت اما الاول فقد ذهب سيبويه امام
الصناعة الى قياسه من باب افعل مع كونه ذا زيادة قال نجم الائمة ويؤيده
كثرة السماع كقولهم هو اعطاهم للدينار واولاهم للمعروف وانت اكرم لي من فلان
وهو كثير فالاولى تجويزه قلت التغيير لانك تحذف منه الهمزة وترده الى الثلاثي
ثم تبني منه افعل التفضيل فتخلف همزة التفضيل همزة الافعال واما الثاني
فوقوعه في كلامه عليه السلام يكفي في تجويز هذا الاحتمال ولا يحتاج فيه الى السماع
من غيره قطعا فانه عليه السلام افصح العرب في زمانه قوله عليه السلام واسلك بي الطريقة
المثلى اى الفضلى تأنيث الامثل بمعنى الافضل يقال مثل مثالة فهو مثل ككرم
كرامة فهو كريم اى فضل من باب قتل فضلا فهو فاضل وفسر قوله تعالى ويذهبا
بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب ومنه اشد الناس
بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل اى الاشرف فالاشرف والاعلى فالاعلى في الرتبة
والمنزلة والمراد بالطريقة المثلى سبيل الحق الموصلة اليه تعالى التي تطابقت
على الهداية اليها السنة الرسل والاولياء وقيل هي السيرة المختصة بالسالكين
الى الله تعالى من قطع المنازل والترقي في المقامات وروى ثقة الاسلام عن ابي
جعفر عليه السلام في قول الله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا
يقول لاشربنا قلوبهم الايمان والطريقة هي ولاية علي بن ابي طالب والاوصياء عليهم
السلام قوله عليهم السلام واجعلني على ملتك اموت واحيا الملة الدين وقيل هي

معظم الدين وجملته سا جاءت به الرسل وقيل هي ما شرع الله لعباده على السنة الانبياء
عليهم السلام ويستعمل في جملة الشرايع لا في احادها ثم اتسعت فاستعملت في
الملة الباطلة ايضا فقيل ملة الكفر وحرف الاستعلاء مؤذن بالثبات اى
ثابتا على سلك الشاعرين جامع ما فيه من الاهتمام ورعاية السجع وقدم الموت
للاهتمام به لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه مع رعاية
السجع والمراد بالحيوة ما قبل الموت للاهتمام وما بعده والله اعلم اللهم صل على
محمد وآله ومتعني بالاقتصاد واجعلني من اهل السداد ومن ادلة الرشاد ومن صالحي العباد
وارزقني فوز المعاد وسلامة المرصاد ... الاقتصاد افتعال
من القصد بمعنى العدل وهو التوسط في الامور بين الافراط والتفريط قال الجوهري
قصد في معيشته واقتصد وقصد في الامر اذا لم يجاوز فيه الحد ورضي بالتوسط
لانه في ذلك يقصد الاسد وهو على القصد وعلى قصد السبيل اذا كان راشدا ولم
طريق قصد وقاصدة خلاف قولهم طريق جور وجائر انتهى وقد علمت فيما
سبق ان الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد الجانبين من الافراط والتفريط
هو الصراط المستقيم والطريق القصد التي اخذ الله على العباد سلوكها فالمراد
بالاقتصاد سلوك الطريق القصد في العقائد والاقوال والافعال كما تقدم
بيانه وكثيرا ما يستعمل الاقتصاد خاصا في التوسط في الانفاق بين الاسراف
والتقتير ومنه ما عال من اقتصد وهو من الامور التي امر الله سبحانه عليها بقوله
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولو حمل على
هذا المعنى هنا لم يكن بعيدا ان الاعم هو الاتم والسداد بالفتح الصواب من
القول والفعل واسد الرجل بالالف جاء بالسداد وسديد من باب ضرب
سد وذا صاب في قوله وفعله فهو سديد والادلة جمع دليل وهو فعيل من دله

على الطريق

على الطريق اذا هداه اليه وارشده له والرشاد والرشد بالضم والرشد بالتحريك
الهدى والاستقامة والصواب في لما كانت الامور المعقولة لا يهتدى لطريق
الحق فيها الا باسناد مرشد يهدي المسترشد اليها ويعرفه رشادها وكان العارفون
بالله هم ادلة هذه الطريق والمرشدين اليها سال عليه السلام ان يجعله منهم
والصالحون من العباد هم المتصفون بالصلاح وهو الخير والصواب قال
الزجاج الصالح هو الذي يؤدي الى الله ما افترض عليه ويؤدي الى الناس حقوقهم
والفوز النجاة والظفر بالبغية والمعاد الاخرة لعود الخلق اليها والمرجع
المصير فهو بالمعنى الاول ظرف وبالمعنى الثاني مصدر ميمي وكلا المعنيين
محتمل هنا والمرصاد كالمنهاج المكان الذي يرصد فيه من الطريق يقال رصدته
رصدا من باب قتل اذا قعدت له على الطريق تترقبه ومنه ارصدت
له العقوبة اذا اعددتها له وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة له والمراد بالمرصاد
هنا اما جهنم اعاذنا الله منها كما قال تعالى ان جهنم كانت مرصادا للطاغين
مآبا سميت بذلك لان خزنتها يرصدون الكفار فيها للعذاب وهي مآبهم
او لان خزنة الجنة يرصدون المؤمنين ويستقبلونهم عندها لان مجازهم
عليها لقوله تعالى وان منكم الا واردها وهي مآب للطاغين ولهذا
قال الحسن وقتادة يعني طريقا وممرا الى الجنة واما المشار اليه بقوله تعالى
ان ربك لبالمرصاد قيل هو تمثيل لعدم الاهمال وانه لا يفوته تعالى شيء من
اعمال العباد لانه يسمع ويرى جميع اقوالهم وافعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد
قيل للاعرابي اين ربك قال بالمرصاد وليس يريد به المكان قال الزمخشري في
الاساس ومن المجاز انا لك بالمرصد وبالمرصاد اى لا تفوتني ومنه ان ربك
لبالمرصاد وفي نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام ولئن امهل الله

الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع السجان
مسلك دهقه وعن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد قال
قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد وعن ابي جعفر عليه السلام يوضع على جهنم
صراط ادق من الشعر واقطع من السيف عليه ثلث قناطر الاولى عليها الامانة والرحم
والثانية عليها الصلوة والثالثة عليها رب العالمين لا اله غيره وفي رواية عدل
رب العالمين فيكلفون الممر عليها فتحبسهم الامانة والرحم فان نجوا منها حبستهم
الصلوة فان نجوا منها كان المنتهى الى رب العالمين جل ذكره وهو قوله تبارك
وتعالى ان ربك لبالمرصاد والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة **اللهم خذ
لنفسك من نفسي ما يخلصها وابق لنفسي من نفسي ما يصلحها فان نفسي هالكة
او تعصمها** قيل يمكن ان يكون المعنى اجعل حصته من نفسي متعلقة بجنابك
المقدس ليكون ذلك سببا لخلاص نفسي وابق منها ما يكون منه صلاحها فان
الخلاص قد يكون مع عدم الصلاح انتهى وقيل المعنى اصطف من اعمال نفسي ما
يخلصها من سخطك وابق لها من مساعيها ما يكون به صلاحها وقيل معناه خذ
لنفسك ما يوجب نجاة نفسي وخلاصها من نفع او ضر وفقر وغنى او موت او حياة
وان كرهت بعض ذلك وابق لي من الاعمال الصالحة ما يوجب صلاح نفسي وفيه
نظر وقيل يحتمل ان يكون المراد بقوله عليه السلام خذ لنفسك من نفسي ما يخلصها نفي
الاعمال السيئة والاخلاق الذميمة التي يكون نفيها سببا لخلوص النفس من
الشوائب او خلاصها من العذاب فيكون قوله لنفسك اي لاجل القرب
منك ويحتمل ان يكون المراد به اصطفاء الاعمال الصالحة والاخلاق الكريمة
التي يكون سببا لخلوص نفسي او خلاصها فيكون قوله لنفسك اي لاجل رضاك
ولا يخفى بعد الاحتمال الاول هذا ما انتهى الينا من اقوال الاصحاب في حل هذه

العبارة من الدعاء والذي يخطر بالبال على وجه الاحتمال ان لما كانت النفس متعلقة
بالعالم مأمورة باحدهما الله تعالى وهو سبب نجاتها وخلاصها من سخطه وعذابه تعالى والثاني
للبقاء وهو ما لا بد لها منه من امر معاشها سأل عليه السلام ان يجعل نفسه تامة بما هو
لله تعالى وهو سبب خلاصها ولما كان هذا المعنى يوجب استغراق النفس فيه بحيث
لا يمكنها الاشتغال معه لغيره ولا التوجه ولا التفات الى امر آخر سأل ثانيا ان
يبقي لنفسه من نفسه مما لا بد لها منه مقدار ما يكون فيه صلاحها كيلا تتحسر
عن القيام بما هو لله ولا تأسى وتبطر فتشتغل بغير ما هو لله فيكون اشتغالها به في
الحقيقة عائدا الى الامر الاول وفي ذلك صلاحها والله اعلم بمقاصد اوليائه ويؤيد
هذا المعنى الاخير ما في نسخة اخرى وابق لنفسك من نفسي اذ كان ما يصلح النفس على
هذا الوجه عائدا اليه سبحانه والفاء من قوله فان نفسي للسببية بمعنى اللام وهالكة
اي غير ناجية قيل الهلاك في الاصل انتهاء الشيء الى الفساد وقال امين الاسلام
ابو علي الطبرسي اصل الهلاك الضياع وهو مصير الشيء بحيث لا يدرى اين هو ولهذا
يقال للكافر هالك وللميت هالك وللمعذب هالك وفي القاموس الهالكة النفس
الشرهة اي الشديدة الحرص وارادة هذا المعنى هنا صحيح واو بمعنى الا الاستثنائية
وان مضمرة بعدها وهي الناصبة للفعل والمعنى الا ان تعصمها اي تقيها وتحفظها
فلا تكون هالكة وان والفعل مؤول بمصدر معطوف على مصدر متصيد من اسم
الفاعل المتقدم اي ليكون هلاك لنفسي او عصمة منك لها والله اعلم **اللهم
انت عدتي ان حزنت وانت منتجعي ان حرمت وبك استغاثتي ان كرثت وعندك مما فات خلف ولما فسد صلاح وفيما انكرت تغيير فامنن علي قبل
البلاء بالعافية وقبل الطلب بالجدة وقبل الضلال بالرشاد واكفني مؤونة معرة
العباد وامنحني حسن الارشاد وهب لي امن يوم القيامة**

وهب لي امن يوم المعاد

العُدّة بالضم ما اعددته وهيأته لحوادث الدهر من المال والسلاح وحزن حزنا
من باب تعب والاسم الحزن بالضم فهو حزين ويتعدى في لغة قريش بالحركة فيقال
حزنني الامر يحزنني من باب قتل وفي لغة تميم بالالف فيقال احزنني الامر ومنع ابو زيد
استعمال الماضي من الثلاثي متعديا فلا يقال حزنه وانما يستعمل المضارع من الثلاثي فيقال
يحزنه والحزن كيفية نفسانية تحصل لوقوع مكروه او فوات محبوب في الماضي ان
حرف شرط استغني عن جوابه بحذفه لدلالة ما تقدم من الكلام عليه والتقدير ان حزنت
فانت عدتي فحذف الجواب وجي بالمذكور والمنتجع بفتح الجيم اسم مفعول من انتجعت فلانا
اذا طلبت معروفه واصل الانتجاع طلب الكلاء في موضعه وحرمت زيدا المعروف
من باب ضرب يتعدى الى مفعولين حرمانا بالكسر فهو محروم اي منعته اياه واستغاث
به طلب ان يغيثه اي يعينه وينصره فهو مغيث له وكرثه الغم بالثاء المثلثة من باب
قتل اشتد عليه واقلقه وبلغ منه المشقة ويتعدى بالهمزة ايضا فيقال اكرثه
وتقديم الظرف للتخصيص اي بك استغاثتي لا بغيرك وقس عليه [illegible] وفاته الامر
يفوته ذهب عنه والخلف بفتحتين اسم من اخلف الله عليه بالالف اي رد عليه ما ذهب
فهو بمعنى العوض قال الزمخشري في الاساس اخلف الله عليك عوضك مما ذهب
منك خلفا انتهى وفي الحديث اللهم اعط كل منفق خلفا قال الكرماني هو بفتح
اللام اي عوضا عاجلا مالا او دفع سوء او آجلا ثوابا فكم من منفق خلفا قال الكرماني
فلما يقع له الخلف لماله انتهى وفسد الشي من باب قعد خرج عن كونه منتفعا به
ومقابله الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة وانكرت عليه فعله
اعبته وهجنته وغيرت الشي تغييرا ازلته عما كان عليه فتغير هو يعني انك
قادر على تغيير ما لا ترتضيه بما ترتضيه وفي امثالهم من انكر عينا ومن عليه بالعتق
منا من باب قتل ومنن عليه به ايضا انعم عليه به والعافية اي اذا كنت بهذه

الصفات

الصفات فانهم على قبل حصول البلاء بالعافية والبلاء بالبلاء هنا الاصابة بالمكروه
والعافية دفع الله تعالى عن العبد ما يكرهه وكل منهما يكون جسمانيا ونفسانيا وطلبت الشي
من باب قتل طلبا محركة حاولت حصوله لديه والجدة الغنى يقال وجد يجد جدة
اذا استغنى غنى لا فقر بعده والضلال فقدان ما يوصل الى المطلوب وقيل
سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب والرشاد اسم من رشد يرشد رشدا من باب
تعب ورشد يرشد من باب قتل اهتدى وعرف الصواب والمؤنة قيل من مانه
يمونه اذا قام بكفاية امرها واهلها مؤونة بواوين على فعولة قلبت الواو
المضمومة المتوسط تقلب همزة جوازا وقيل الهمزة اصلية
فهو فعولة بمعنى الثقل من مأنت القوم اذا احتملت مؤنتهم وقيل بمعنى العدة من
قولهم انا في هذا الامر وما مأنت له مأنا بالهمزة اذا لم يستعد له وقيل من الاون
بمعنى الثقل لكون المؤونة مستلزمة للثقل والاصل ماونة نقلت حركة الواو
الى الهمزة فصارت مؤونة ووزنها على هذا مفعلة وقيل هي من الاون
بمعنى العدل واحد جانبي الخرج لانه يثقل على الانسان وقال الفراء هي
من الاين وهو التعب والشدة والاصل مائنة نقلت حركة الياء [illegible]
وانضمام ما قبلها فصارت مؤونة ووزنها على هذا مفعلة واستعد بكثرة
التغيير فيه وقد يستعمل بدون همزة فيقال مونة كسورة والمعرة مفعلة
من عر فلان فلانا اذا شانه والحق به عيبا وتطلق على الامر القبيح المكروه
وعلى الفساد والمشقة واضافتها الى العباد من باب الاضافة الى الفاعل والمعنى
ادفع عني مؤونة ما يلحقني من العباد من العيب والمكروه والمشقة والفساد
المعاد اما مصدر او ظرف كما تقدم ومنحه يمنحه منحا من بابي نفع وضرب اعطاه
وحسن الارشاد الهداية والدلالة على الصواب في نسخة حسن الارشاد اي الطلب

الى الهمزة فصارت مائنة ثم قلبت الياء

يقال ارتاد الرجل الشئ ارتيادا اى طلبه وحسن الطلب من مهمات الامور لا تنجح
المطلب والكد فى قضاء الارب والله اعلم اللهم صل على محمد واله وادر اعنى لطفك
ولعن فى نعمتك واصلحنى بكرمك وداونى بصنعك واظلنى فى ذراك وجللنى
رضاك ووفقنى اذا اشكلت على الامور لاهداها واذا تشابهت
الاعمال لازكاها واذا تناقضت الملل لارضاها ٥٥٥
ادرا الشئ ادرارا من باب نفع دفعه وحذف المفعول للتعميم مع الاختصار
اى ادرا عنى كل سوء وهذا التعميم وان امكن ان يستفاد من ذكر المفعول
بصيغة العموم لكنه يفوت الاختصار وانما لم يجعله من قبيل ما نزل منزلة
اللازم لان التامل الذوقى يشهد ان القصد فى هذا المقام الى المفعول فان الحمل
على امثال هذه المعانى مما يتعلق بقصد المتكلم ومناسبة المقام ولذا جعل
صاحب المفتاح فلان يعطى محمولا على التنزيل منزلة اللازم وللقصد الى تعميم
اللطف الرفق والبر وغذوت الصبى باللبن فاغتذى اى ربيته به وفى
غذنيه بالتسبل مبالغة والغذاء ما يغتذى به من الطعام والشراب وفى
هو ما به نماء الجسم وقوامه والنعمة ما قصد به الاحسان والنفع واستعمال الغذاء
فيها استعارة تبعية او هى استعارة مكنية تخييلية او تمثيلية على ما تقدم
بيانه والاصلاح اعادة ما فسد الى الصلاح والكرم افادة ما ينبغى لا لغرض
وداونيه مداواة عالجته بالدواء وهو ما يتداوى به لدفع المرض وحذف
متعلق المداواة للتعميم اى داوه من كل داء جسمانى ونفسانى والصنع بالضم
والصنيعة ما اصطنع من خير واحسان يقال ما احسن صنع الله عندك واظله
ستره عن الشمس والقى عليه ظله والذرى بالفتح كل ما استترت به يقال انا فى ظل فلان
وذراه اى فى كنفه وستره حكاه الجوهرى عن الاصمعى وقال انا دابى فى ذرى فلان

الادب الذرى ما ظل يقال كنا فى ذراه اى فى كنفه والمعنى استرنى فى ستر
كنفك وجللنى رضاك اى البسنى اياه وعظنى به قال ابن فارس فى مجمل
جلل الارض المطر بالتثقيل عمها وطبقها فلم يدع شيئا الا غطى عليه ومنه يقال
جللت الشئ اذا غطيته واشكلت الامور التبست وفى نسخة اشكلت وهو المسموع
واهدى الامور اقربها الى الصواب واعظمها دلالة على الحق وتشابهت الاشياء و
اشتبهت اشبه كل منها الاخر فالتبست وازكاها اطهرها واكثرها نفعا وبركة
فى الثواب وتناقض الكلامان تدافعا كان كل واحد نقض الاخر اى ابطله وفى
كلامه تناقض اذا كان بعضه يقتضى ابطال البعض والملل جمع ملة وهى المذهب
وارضاها اى اعظمها ارضاء لك او اعظم ما ترضاه منها فان قلت افعل التفضيل
انما يضح فى شيئين يشتركان فى معنى ثم يكون للمفضل فضل على الاخر وغير كيف يصح
فى غير هذه الملة رضى الله تعالى حتى يستقيم هذا التفضيل قلت لا شئ من الملل
الا وفيه نوع مما يرضى الله تعالى او يرضاه الله تعالى كالاعتراف بالله سبحانه ومكارم
العادات وقوانين السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل منهدم بانهدام
الجزء فصح التفضيل والله اعلم اللهم صل على محمد واله وتوجنى بالكفاية وسمنى
حسن الولاية وهب لى صدق الهداية ولا تفتنى بالسعة وامنحنى حسن الدعة
ولا تجعل عيشى كدا كدا ولا ترد دعائى على ردا فانى لا اجعل لك ضدا ولا
ادعو معك ندا ٥ توجه البسه التاج وهو ما يصاغ للملوك من الذهب
والجوهر فتضعه على رؤسها والكفاية الاستغناء من كفى الشئ يكفى اذا حصل به استغناء
عن غيره شبه الكفاية فى نفسه بالتاج فى الاجلال والتوقير والعظمة ودل عليه
ذلك بالتتويج فتكون استعارة بالكناية واثبات التتويج تخييل ولك جعلها من باب
الاستعارة التبعية او التمثيلية كما بيناه فيما سبق وسامه الامر سوما اولاه اياه

قال الجوهري سمي حقا اولية الى وسمته الامر ايضا اردته منه قال الزمخشري في الاساس
سمت الا المرأة المعانعاً ردتهما وعرضتها عليها اي اولني حسن الولاية او اردها به
والولاية بالفتح والكسر مصدر وليت الشيء اذا قمت به وقال سيبويه الولاية بالفتح المصدر
والولاية بالكسر الاسم مثل الامارة والنقابة لانه اسم لما توليته وقمت به فاذا ارادوا
المصدر فتحوا وللي دجين الولاية حسن القيام بما يتولاه ويقوم به من الامور والولاء
بالفتح والكسر ايضا النصرة وارادة هذا المعنى محتمل هنا اي اولني حسن نصرتك
لي والصدق في اللغة مطابقة الحكم للواقع وقد يراد به مطلق الجودة وهو المراد هنا
وذلك لما كان الصدق في الحديث مستحبا جيدا عندهم صاروا يستعملونه في مطلق الجودة
حتى قالوا صادق الحموضة وعنب صادق الحلاوة والصدق في اصطلاح اهل التحقيق
قول الحق في مواطن الهلاك وقيل هو ان تصدق في موضع لا ينجيك منه الا الكذب
وقيل الصدق ان لا يكون في احوالك شوب ولا في اعتقادك ريب ولا في اعمالك
عيب وارادة هذا المعنى هنا احسن والمراد بالهداية ما اهتدائه او هدايته اياه
لا هدايته الله هو لغيره فيكون المراد بصدقها على المعنى الاول الثبات عليها
والرسوخ فيها وعلى المعنيين الاخيرين الايصال الى المطلوب اذ كان الصحيح انها
عبارة عن الدلالة على ما من شأنه الايصال الى البغية زعم ان يشترط في مدلولها
الوصول ولذلك كانت الدلالات التكوينية المنصوبة في الآفاق والانفس
والبينات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق بالنسبة
الى البرية كافرها وفاجرها هداية حقيقية فائضة من عند الله جل جلاله
ويحتمل ان يراد بصدق الهداية هنا الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب
المهدي بالوحي والالهام وهي مرتبة صاحب الدعاء عليه السلام ومن هو في
رتبته ولا تفتني بالسعة اي لا تضلني بالغنى وقد تقدم ان الفتنة هي الضلال

من الحق

عن الحق بمحبته ان شاء الامور الباطلة والاشتغال بها عما هو الواجب من سلوك سبيل الله
فالمنح العطاء منحه يمنحه بابي نفع وضرب والرواية في الدعاء وردت بالوجهين ودعة
الراحة وخفض العيش والهاء عوض من الواو تقول منه ودع الرجل من باب
حسن فهو وادع اي مستريح لا كلفة عليه ورجل متدع اي صاحب دعة وراحة
والعيش الحيوة وما يعاش به والكد الشدة والتعب في الكسب كد في عمله كدا
اذا جهد وتعب وكرر الكد للدلالة التكرير على التتابع والتكثير اي كدا متتابعا
كقوله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا دكا اي مرة بعد اخرى وليس الثاني تاكيدا
للاول فيهما كما توهمه كثير من الناس قال ابن هشام في شرح القطر ليس من تأكيد
الاسم قوله تعالى كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا خلافا
لكثير من النحويين لانه جاء في التفسيرات معنى دكا دكا دكا بعد دك وان الدك
كرر عليها حتى صارت هباء منثورا وان معنى صفا صفا انه تنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن وعلى هذا فليس الثاني
منهما تاكيدا للاول بل المراد التكرير كما تقول علمته الحساب بابا بابا انتهى فان قلت
اذا لم يكن الثاني توكيدا للاول فعلام نصب وما العامل فيه قلت المختار فيه
وفي نظائره ان يكون الجزء والثاني معمولا للعامل الاول ايضا لان مجموع الجزئين
هو المعمول في المعنى اذ معنى ولا تحمل ميتي كدا كدا تحمله متتابع الكد ونظيره
في الفاعل تلقيهما رجل رجل وفي المبتدأ الرمان حلو حامض وفي الحال دخلوا رجلا
وفي الخبر الرمان حلو حامض وفي الحال دخلوا رجلا رجلا وحسبته بابا بابا وفي
المضاف اليه كل فرد فرد فالمجموع يستحق اعرابا واحدا الا انه لما تعدد ذلك المستحق
مع صلاحية كل واحد للاعراب اجري عليهما اعراب الجميع دفعا للتحكم وقد استوفينا
الكلام على هذه المسئلة في شرح الصمدية ونقلنا اقوال العلماء فيها وما يرد على كل

٤٢٦

منها بما لا بد منه فليرجع اليه ورد على زيد قوله لم يقبله فردّ الدعاء هنا بمعنى
عدم قبوله وردّا مفعول مطلق موكد لعامله والضد النظير والكفو وقال
ابو عمرو الضد مثل الشئ والضد خلافه وفى القاموس الضد بالكسر المثل والمخالف
ضدّ وقوله لا اجعل اى لا اعتقد من الجعل بمعنى التصيير الذى يكون بالاعتقاد
ومنه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقوله ولا ادعو اى لا
اعبد واستعمال الدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ومنه قل انما ادعو ربى
ولا اشرك به احدا وقوله ان يدعون من دونه الا اناثا اى لا يعبدون والندّ
بالكسر المثل والنظير ولا يقال الا للمثل المنادى من نادّت الرجل اذا خالفته و
نافرته من ندّ ندودا اذا نفر خصّ بالمماثل بالذات المخالف بالافعال كما خصّ المساوى
بالمماثل فى المقدار والظاهر ان المراد بالضد هنا المخالف وبالند المماثل مطلقا
فان استعمال الضد بمعنى المخالف اشهر من استعماله بالكفو والنظير قال الزمخشرى
والنيسابورى معنى قول الموحد ليس لله ندّ ولا ضدّ نفى ما يسدّ مسدّه ونفى ما
ينافيه والله اعلم اللهم صل على محمد وآله وامنعنى من السرف وحصّن رزقى
من التلف ووفّر ملكتى بالبركة فيه واصب بى سبيل الهداية للبر فيما انفق منه
منعه من الامر كفّه عنه والسرف محركة اسم من اسرف اسرافا اذا جاوز الحد فى
النفقة وغيرها والمراد به هنا الاول ويراد فى التبذير وقد تقدم الكلام عليه
مبسوطا فى الروضة الثانية عشر اوائل عليه السلام ونعوذ بك من تناول الاسراف
وحصنه تحصينا حماه ومنعه والرزق ما انعم الله على عبده وامكنه من التصرف فيه
والتلف الفناء والهلاك وفنى بمعنى تلف واتلف ماله افناه ورجل متلف
لماله ومتلاف للمبالغة والمراد بتحصين الرزق من التلف صونه من الضياع والهلاك
اما بالهام صاحبه ادب الانفاق فينفق منه بدون تبذير يأتى عليه او لحفظه

من حوادث

٤٢٥

من حوادث الدهر كالنهب والسرقة ووفر الشئ توفيرا كثّره والملكة محركة هى
القيام بالمماليك وما يملك من ذات اليد قال عليه السلام حسن الملكة نماء وسوء
الملكة شوم والمراد بتوفير الملكة بتوفير متعلقها اعنى ما يملك وهو الرزق
المقدم ذكره فايقاع التوفير عليها مجاز عقلى نحو قوله تعالى ولا تطيعوا امر المسرفين
جعل الامر مطاعا وانما المطاع فى الحقيقة هو الامر ومن لم يهتد لهذا المعنى
مع وضوحه جعل الملكة بمعنى الملك وهو خطاء صريح وفى نسخة ووفر ملكى
فيكون نسبة التوفير اليه حقيقة والبركة الزيادة والنماء والضمير من فيه
راجع الى الرزق وقيل بعضهم انه للملكة وتذكيره لانها بمعنى الملك غلط وجهل
نعم هو على رواية ملكى عائد اليه واصب بى سبيل الهداية اى اقصد بى واجعلنى طريق
الهداية من الاصابة بمعنى القصد والبر الخير والاتساع فى الاحسان والانفاق
صرف المال فى الحاجة وضمير منه للرزق او للملك على الرواية الاخرى واعلم
ان مدار هذا الفصل من الدعاء على سؤال صيانة المال وتوفيره وانفاقه فى
ابواب البر ولما كان المال قوام العباد فى امر المعاش والمعاد ظاهر النفع فى باب
الحسنات بين الجدوى فى اسباب الخيرات وعن هذا سماه الله تعالى خيرا فى مواضع
من كتابه سأل عليه السلام منعه فيه عن السرف وصونه عن التلف وتوفير الملكة
بالبركة ثم لما كان الغرض من المال اقامة اوامر الله تعالى ومرضاته من اداء الحج
واراقة دماء القرابين والشفقة على ضعفاء المسلمين وصلة الرحم وقرى الضيف
وحمالة الديات وكفاية المؤنات الى غير ذلك من ابواب البر سأل عليه السلام
اصابته به سبيل البر فيما ينفق منه وهذا المعنى حمل سليمان عليه السلام على ان سأل ربه
جل جلاله ملكا لا ينبغى لاحد الا انه سأل ذلك لحب المال نفسه وصرفه الى الذات النفس
وشهواتها حاشاه من ذلك حكى الزمخشرى فى ربيع الابرار قال لما فتح يزيد بن معوية

سلم بن عقبة لاستباحة اهل المدينة ضم علي بن الحسين عليهما السلام الى نفسه اربعمائة منافية بحشمهن يعولهن الى ان تقوض جيش مسلم فقالت امرأة منهن ما عشت والله بين ابوي بمثل ذلك الشريف **اللهم صل على محمد وآله واكفني مؤونة الاكتساب وارزقني من غير احتساب فلا اشتغل عن عبادتك بالطلب ولا احتمل اصر تبعات المكسب اللهم فاطلبني بقدرتك ما اطلب واجرني بعزتك مما ارهب** كفاه الامر اذا قام به والمؤونة الثقل والمشقة وكسب من باب ضرب كسبا واكتسب اكتسابا طلب المعيشة وفي الاكتساب مزيد اعتمال اي شيء من اشتراط السعي بتحصيل الغرض وسعيها في طلبه والاحتساب ما افتعال من حسبه من باب علم حسبانا بالكسر ظنه او من حسبه من باب قتل حسابا وحسبانا بالضم اي عده اي من غير ان يكون لي في ظن او في حساب روي عن الصادق في قوله تعالى ويرزقه من حيث لا يحتسب قال يبارك له فيما اتاه وعنه عليه السلام ان الله عز وجل جعل ارزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون وذلك ان العبد اذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه وفي رواية من اتاه الله برزق لم يخط اليه برجله ولم يمد اليه يده ولم يتكلم فيه بلسانه ولم يتكلم فيه بلسانه ولم يشد اليه ثيابه ولم يتعرض له كان ممن ذكره الله في كتابه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب قال بعضهم ويحتمل ان يكون الاحتساب في الدعاء بمعنى الحساب تلميحا الى قوله تعالى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه او من غير ان يكون لاحد عليه حساب ومطالبة او بغير تعب وكد او بغير عتاب عليه في الآخرة والفاء في قوله فلا اشتغل سببية ونصب المضارع بعدها بان مضمرة وجوبا لكونها مسبوقة بالدعاء كقوله رب وفقني فلا اعدل عن سنن الساعين في خير سنن واشتغل مضارع اشتغلت بالبناء للفاعل قال الازهري اشتغل بامره فهو مشتغل بالبناء على الفا[عل]

وقال ابن فارس ولا يكادون يقولون اشتغل وهو جائز يعني بالبناء للفاعل وحكي عن بعضهم اشتغل بالبناء للمفعول ولا يجوز بناؤه للفاعل لان الافتعال ان كان مطاوعا فلازم لا غير وان كان غير مطاوع فلا بد ان يكون فيه معنى التعدي نحو اكتسبت المال واكتحلت واختضبت اي كحلت عيني وخضبت يدي وشغلت ليس بمطاوع لشغل هجر استعماله في فصيح الكلام والاصل اشتغلته بالالف فاشتغل مثل احرقته فاحترق وفيه معنى التعدي فانك تقول اشتغلت بكذا والجار والمجرور في معنى المفعول وقد نص الازهري على استعمال اشتغل ومشتغل وفي نسخة ابن ادريس فلا اشغل بالبناء للمفعول مضارع شغلت به وحكي حسن واحتمل الشيء على افتعله بمعنى حمله والاصر بالكسر الحمل الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه وقيل هو الثقل والشدة والتبعات جمع تبعة على وزن كلمة قال صاحب المحكم التبعة والتباعة ما اتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها والتبعة والتباعة ما فيه اسم يتبع به انتهى وارادة المعنى الثاني هنا انسب واكثر اهل اللغة لم يذكروا للتبعة الا المعنى الاول والكسب مصدر ميمي بمعنى الكسب وفي هذه الفقرة دلالة على عزة الكسب الحلال من الوجه الذي يحل ويجمل وان المكاسب الطيبة الجميلة قليلة عند الحر العاقل ومن هنا كان العالم العاقل في اكثر الاحوال مقلا لانه لا يأخذ المال الا كما يجب من الوجه الذي يجب وفي الوقت الذي يجب والجاهل يسهل عليه الجمع حيث لا يبالي فيما اتى وله بارتكاب محظور واستباحة محذور وتناوله بحذقه واستنزال الناس عما في ايديهم بالمكر ومساعدتهم على ارتكاب الشر طمعا في نفعهم ولهذا ما نوجد الكريم الفاضل والعالم العادل بينهم حدة ويشكو عنه كما قال القائل • لا تشكري الخلان اعسر منكم • ذو المجد ما استغنى لئيم المجيد • ان اللئيم

رؤوسهن عواطل والتاج معقود برأس الهدهد • وقال أبو تمام • لا تنكري عطل الكريم
من الغنى • فالسيل حرب للمكان العالي • وقال آخر • وحكومة الأيام تبعد حظ من
يهوى ويبقى العالم النحرير قوله عليه السلام وأطلبني بقدرتك ما أطلب أطلبه إطلاباً أسعفه
بما طلب قال في الفائق الإطلاب بالحاجة إنجاحها والإسعاف بها يقال طلبته فأطلبني
أي أسعفني كما يقال سألته فأسألني أي أعطاني سؤلي وأجاره إجارة حفظه
وآمنه ورهبا رهباً من باب تعب خاف والاسم الرهبة ومدار هذا الفصل على
سؤاله عليه السلام الإجمال في الكسب والطلب وصونه عن تحمل المشقة وارتكاب
المآثم فيهما روى ثقة الإسلام في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله في حجة الوداع ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى
تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن
تطلبوه بشيء من معصية الله فإن الله تبارك وتعالى قسم الأرزاق بين خلقه
ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله وصبر أتاه الله برزقه من حله ومن هتك حجاب الستر
وعجل فأخذه من غير حله قُصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة وعن
أمير المؤمنين عليه السلام كم من متعب نفسه مقتر عليه ومقتصد في الطلب قد سا
عدته المقادير والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً ولا يتوهم أنه عليه السلام سأل ترك
الاكتساب مطلقاً فإن ذلك لا يجوز فقد تظافرت الأخبار عنهم عليهم السلام أنه لا يستجاب
لرجل جلس في بيته وقال يا رب ارزقني فيقال له ألم آمرك بالطلب وعن علي بن عبد
العزيز قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام ما فعل عمر بن مسلم قلت جعلت فداك أقبل
على العبادة وترك التجارة فقال ويحه أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له إن قوماً
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه
من حيث لا يحتسب أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا قد كفينا فبلغ ذلك

النبي صلى الله

٤٣١

النبي صلى الله عليه وآله فأرسل إليهم فقال ما حملكم على ما صنعتم فقالوا يا رسول الله
تكفل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة فقال إنه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب
والروايات في هذا الباب أكثر من أن تحصى اللهم صل على محمد وآله وصن وجهي باليسار
ولا تبتذل جاهي بالإقتار فأسترزق أهل رزقك وأستعطي شرار خلقك
فأفتتن بحمد من أعطاني وأبتلى بذم من منعني وأنت من دونهم ولي
الإعطاء والمنع • هذا الفصل من الدعاء أورده السيد الرضي في نهج
البلاغة ونسبه إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلا أن بين الألفاظ اختلافاً فإن نص
عبارة النهج من دعاء له عليه السلام اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالإقتار
فأسترزق طالبي رزقك وأستعطف شرار خلقك وأبتلى بحمد من أعطاني
وأفتتن بذم من منعني وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء والمنع إنك على كل شيء
قدير صان الشيء صوناً حفظه ووقاه وصان الرجل عرضه عن الدنس فهو صين وصان
الثوب خلاف ابتذله والوجه هنا بمعنى الجاه ومنه كان لعلي عليه السلام وجه من الناس
حياة فاطمة قال ابن الأثير أي جاه وعز فقدهما بعدها واليسار بالفتح الغنى والثروة
الثروة وابتذله امتهنه ولم يصنه والجاه القدر والمنزلة والحرمة قيل هو مقلوب
من الوجه وقتر على عياله قتراً وقتوراً من بابي ضرب وقعد وأقتر إقتاراً وقتّر
تقتيراً أي ضيّق في النفقة كل ذلك بمعنى واحد والمراد به هنا ضيق الرزق والفقر
سأل عليه السلام صون جاهه ووجهه باليسار وعدم امتهان قدره وحرمته بالإقتار
لاستلزام الغنى احترام صاحبه عند عامة الناس واستلزام الفقر امتهان المبتلى به عندهم
وفي بعض الأخبار أحسنوا تعهد المال فإنه ما افتقر أحد إلا أصابه ثلث خلال رقة
في دينه وضعف في عقله وذهاب من مروته والأولى بعد هي العظمى وهي استخفاف الناس
به وفي وصايا لقمان يا بني أكلت الحنظل وذقت الصبر فلم يكن أمرّ من الفقر فإن

استغنيت فلا تحدث الناس كيلا يستنقصوك وعن ابي عبد الله عليه السلام لا تدعوا التجارة
فتهونوا وكان بعضهم يقول الناس لصاحب المال الزم من الشعاع للشمس ومن الذنب
للمصر وهو الحكم المقر وهو عندهم ارفع من السماء واعذب من الماء واعلى من الشهد
وازكى من الورد خطاؤه صواب وسيئة حسنة وقوله مقبول وحديثه مقبول يعني
عليه ولا يمل مجلسه والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز
لا يسال عنه ان تخلف ولا يسلم عليه ان قدم اذا غاب شتموه وان حضر طردوه وان
وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلوة اثقل من
الامانة وابغض من المبرم الملحف . نزه المعنى اسمع فالحق . رايت الناس
شرهم الفقير وابغضهم واهونهم عليهم . فان امسى لحسب وحنين . ويكرم
الذي وتره ذريته . حليلته فينهره الصغير . ويلقى ذو الغنى له جلال . يكاد
فؤاد صاحبه يطير . قليل ذنبه والذنب جم . ولكن الغنى رب غفور . ومن
كلام امير المومنين عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية يا بني اني اخاف الفقر عليك فاستعذ
بالله منه فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت امره عليه السلام
بالاستعاذة من الفقر لما فيه من المكاره الثلثة اما كونه منقصة للدين فلاشتغال القلب
وبتحصيل ما يرمق مع البدن عن العبادة واما كونه داعية للمقت فلمقت الخلق وبغضهم
لصاحبه كما قيل . الناس اعداء لكل مدفع . صفر اليدين واخوة للمكثر . قال بعضهم
ربما يقدح في عدالة الرجل فقره فلا له شهد بعض العدول المقلين عند قاض بشيء
فتوقف في شهادته مع انه يسمع بحديث فحرها دينه فقال له بعضهم اني لك في العدالة
رجل مثله قال هو كذلك الا انه رجل فقير والشاهد به عظيم فجواب له وفي
هذا المعنى قال بعضهم . فصاحة سحبان وخط ابن مقلة . وحكمة لقمان وزهد ابن
ادهم . اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس . فليس له قدر بمقدار درهم . وقال بعض

الا بالمال

428

المال في هذا الزمان عز للمومن وقال المال سلاح المومن وكان بين يديه دنانير يقلبها
فقيل له انك لتحبها فقال لولا هذه لتمندل القوم باعراضنا تمندلا وترك ابن المبارك
دنانير وقال اللهم انك تعلم اني لم اجمعها الا لاصون بها حسبي وديني وقال الحكماء لم
يرفع صاحبه ما كان وضع النسب فضيل الادب فيضعه ما كان جبانا فيبسط لسانه
وان كان عيابه تعظم المروة وتتم الرياسة بصلاته اذا قطعك الناس ويصلك اذا
جدلك الاقربون ولولاه ما مدح كريم ولا صين حريم وقال الشاعر ولم ار بعد
الدين خيرا من الغنى ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر وقال جار الله الزمخشري . له
تلين اذا وقت لا اذا ما في . ما اللاوي لما وحيى اوافي . وكان بعض المعروفين
بالحرص اذا صار الدرهم في يده خاطبه وناجاه وحياه وفداه وقال بابي انت وامي
كم من ارض قطعت وكيس خرقت وكم من خامل رفعت ورفيع [illegible] فك
اباه احملت لك عندي الا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه في كيسه ويقول اسكن على
بركة الله في مكان لا تزول عنه ولا تزعج قوله انا الغنى المطلوب في الدعاء عليه السلام
هو ما دفع ضرورته الحاجة بحسب الاقتصاد والقناعة وقام باوامر الله تعالى من اصنافه
من الحج والصدقات وصلة الرحم وما اشبه ذلك وهذا هو الغنى المحمود الممدوح بقوله
صلى الله عليه وآله نعما المال الصالح للعبد الصالح لا المفهوم المتعارف بين
ارباب الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع بما فوق الحاجة فانه على هذا الوجه
مذموم بهوى بال على صاحبه قال امير المومنين صلوات الله عليه من اتاه الله منكم
مالا فليحسن فيه الضيافة وليصل به القرابة وليصبر فيه على النائبة وليفك منه العاني
والاسير وليعط ابن السبيل والفقير فهذه تمام المروة وشرف الدنيا والاخرة ثم انما
الغنى له اعتبار ان ما اريد لله والاستعانة به على اداء حقوق الله وطاعته وهو
الجاه المحمود الذي سال الله حفظه عليه باليسار وعدم الافتقار وهو الذي استن

سبحانه به على الانبياء وقوله يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن
مريم وجيها في الدنيا والآخرة وما اريد الفخر والتراوس في الدنيا فهو المذموم وفي
الحديث النبوي اذا كان يوم القيمة دعا الله بعبد من عباده فيوقف بين يديه فيسأله
عن جاهه كما يسأله عن ماله قوله عليه السلام فاسترزق اهل رزقك الفاء للسببية اي
فبسبب ابتذال الجاه بالانظار استرزق اهل رزقك الذين شانهم ان يكونوا مرزوقين
لا ان يطلب منهم الرزق واستعطي شرار خلقك الذين ليسوا باهل للاستعطاء وظاهر
ان الحاجة قد يدعو الى ذلك والفعلان منصوبان اما الاول فبان مضمرة بعد
فاء السببية وجوبا لوقوعه جوابا للدعاء واما الثاني فبالعطف على الاول وفي سائر
عليه السلام لهذا السبب تاكيد للالتجاء بالله تعالى في اعاذته من الفقر وصيانته عنه اذ كان
في استرزاق الخلق الذل والخضوع للمطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها عن
التوجه الى المعبود فيجب ان يستعاذ بالله منه ويتضرع اليه في الوقاية عنه وفي بعض
الاشعار ما يستلذ سمعه ذو المروة طعم العلقم ويستحلي مذاق الصبر وسم الارقم وقد
تواترت الروايات والآثار وتطابقت الاخبار والاشعار على ذم السؤال وكراهية بذل
الوجه في الطلب الى الناس خصوصا ممن لم يكن معروفا بالمعروف فمن ذلك ما رواه ثقة
الاسلام في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله تبارك
وتعالى احب شيئا لنفسه وابغضه لخلقه ابغض لخلقه المسألة واحب لنفسه ان يسأل
وليس شيء احب الى الله عز وجل من ان يسأل فلا يستحي احدكم ان يسأل الله من فضله
ولو بشسع نعله وروي عنه عليه السلام اياكم وسؤال الناس فانه ذل في الدنيا وفقر
تعجلونه وحساب طويل يوم القيمة وعن الحسين بن ابي العلاء قال قال ابو عبد الله
عليه السلام رحم الله عبدا عف وتعفف وكف عن المسألة فانه يتعجل الدنية في الدنيا
ولا يغني الناس عنه شيئا وفي الصحيح عن ابي جعفر عليه السلام لو يعلم السائل ما في المسألة

ما سأل

ما سأل احد احدا ولو يعلم المعطي ما في العطية ما رد احد احدا وفي وصية امير المؤمنين
صلوات الله عليه لابنه الحسن عليه السلام اكرم نفسك عن كل دنية وان ساقتك الى الرغائب
فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا
وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك
وآخذ سهمك فان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم من الكثير من خلقه وان كان
كل منه وحفظ ما في يديك احب الي من طلب ما في يد غيرك ومرارة اليأس خير من
الطلب الى الناس وقال بعض السلف من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق فان
قضاها المسؤول استعبده بها وان رده عنها رجع حرا وهما ذليلان هذا بذل اللؤم
وذلك بذل الرد وفي الديوان المنسوب الى امير المؤمنين عليه السلام

كد كد العبد ان احببت ان تصبح حرا ۞ واقطع الآمال عن مال بني آدم طرا
لا تقل ذا مكسب يزري فقصد الناس ازرى ۞ انت ما استغنيت عن غيرك اعلى الناس قدرا

ومن الشعر المنسوب الى الحسين عليه السلام

اغن عن المخلوق بالخالق ۞ تغن عن الكاذب بالصادق
واسترزق الرحمن من فضله ۞ فليس غير الله من رازق

وانشد ابن الاعرابي

ابا هاني لا تسأل الناس والتمس ۞ بكفيك فضل الله والله واسع
فلو سئل الناس التراب لاوشكوا ۞ اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا

محمود الوراق

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا ۞ من كل طالب حاجة او راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن ۞ يا ذا الضراعة طالبا من طالب

سلم الخاسر

اذا اذن الله فی حاجة ۔ اتاك النجاح على رسله
فلا تسال الناس من فضلهم ۔ ولكن سل الله من فضله

احمد بن سیف الاسباری

لموت الفتی خیر من البخل للفتی ۔ وللبخل خیر من سؤال بخیل
لعمرك ما شی لوجهك قیمة ۔ فلا تلق انسانا بوجه ذلیل

ولبعضهم

اذا اظمأتك اكف اللئام ۔ كفتك القناعة شبعا وریا
فكن رجلا رجله فی الثری ۔ وهامة همته فی الثریاه
ولا تخضعن اذا ما افتقرت ۔ ولا تسال الرزق ما عشت حیاه
فان اراقة ماء الحیوة ۔ دون اراقة ماء المحیاه

وحكی ان ابا تمام حبیب بن اوس الطائی قصد البصرة منتجعا فلما وردها سال عن شاعرها فذكر له عبد الصمد بن المعذل فقال انشدونی شیئا من شعره فانشد
قوله لست تنفك طالبا لوصال ۔ من حبیب او طالبا لنوال
ای ماء لحر وجهك یبقی ۔ بین ذل الهوی وذل السؤال
فحول راحلته عنها ولم یدخلها وقریب من هذا المعنی قول بعضهم فی ابی الطیب المتنبی
ای فضل لشاعر یطلب الفضل ۔ من الناس بكرة وعشیا
عاش حینا یبیع بالكوفة الماء ۔ وحینا یبیع ماء المحیا

عبد الصمد بن المعذل

تكلفنی اذلال نفسی لعزها ۔ وهان علیها ان اهون لتكرما
تقول سل المعروف یحیی بن اكثم ۔ فقلت سلیه رب یحیی ابن اكثما

القاضی عبد العزیز الجرجانی

یقولون لی فیك انقباض وانما ۔ راوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قیل هذا مورد قلت قد اری ۔ ولكن نفس الحر تحتمل الظما

واما سؤال من لیس اهلا للمعروف ومن هو باللوم موصوف فهو ادهی وامر واسوء واصبر وقد روی ان فی زبور داود علیه السلام انكنت تسال عبادی فاسئل معادن الخیر ترجع مغبوطا مسرورا ولا تسئل معادن الشر ترجع ملوما محسورا وفی الاثر ان الله تعالی اوحی الی موسی علیه السلام لان تدخل یدك فی فم التنین الی المرفق خیر من ان تبسطها الی غنی قد نشا فی الفقر ومن كلامهم لا شی اوجع للاحرار من الرجوع الی الاشرار وقیل لاعرابی ما السقم الذی لا یبرء والجرح الذی لا یندمل قال حاجة الكریم الی اللئیم ومن كلام امیر المومنین علیه السلام فوت الحاجة اهون من طلبها الی غیر اهلها وعنه علیه السلام ماء وجهك جامد یقطره السؤال فانظر عند من تقطره واوصی بعضهم ابنه فقال لا تدنس عرضك ولا تبذلن وجهك بالطلب الی من ان ردك كان رده علیك عیبا وان قضی حاجتك جعلها علیك منا واحتمل الفقر بالتنزه عما فی ایدی الناس والزم القناعة بما قد قسم لك وقال رجل لابنه ایاك ان تریق ماء وجهك عند من لا ماء فی وجهه رای الاصمعی كناسا یكنس كنیفا وهو ینشد
واكرم نفسی اننی ان اهنتها ۔ وحقك لم تكرم علی احد بعدی
قال فقلت له یا هذا انك والله لم تترك من الهوان شیئا الا وقد فعلته بنفسك مع هذه الحرفة فقال بلی والله انی صنتها عما هو اعظم من هذا من الهوان قلت وای هو قال سؤال مثلك قال فانصرفت عنه وانا اخزی الناس وفی الصحیح عن ابی عبد الله ع قال ان محمد بن المنكدر كان یقول ما كنت اری ان علی بن الحسین یدع خلفا افضل منه حتی رایت ابنه محمد بن علی علیهما السلام فاردت ان اعظه فوعظنی فقال له اصحابه بای شی وعظك قال خرجت الی بعض نواحی المدینة فی ساعة

جارية فلقيني ابو جعفر محمد بن علي وكان رجلا بادنا ثقيلا وهو متكئ
على غلامين اسودين او موليين فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من اشياخ قريش
في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا اما لاعظنه فدنوت منه فسلمت
عليه فرد علي بنهر وهو يتصاب عرقا فقلت اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في
هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا ارأيت لو جاءك اجلك وانت على
هذه الحال ما كنت تصنع فقال لو جاءني الموت وانا على هذه الحال جاءني وانا في
طاعة من طاعة الله عز وجل اكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وانما كنت اخاف
ان لو جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله فقلت صدقت يرحمك الله
اردت ان اعظك فوعظتني ومما جاء نظما في هذا المعنى ❊ قول عمرو بن
احمد الباهلي ومن يطلب المعروف من غير اهله ❊ يجد مطلب المعروف غير يسير
اذا انت لم تجعل لعرضك جنة ❊ من الذم سار الذم كل مسير
وقال آخر ❊ واذا بليت ببذل وجهك سائلا ❊ فابذله للمتكرم المفضال
ان الجواد اذا حباك بموعد ❊ عطاكه سلسا بغير مطال
ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله ❊ عوضا ولو نال المنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال قرنته ❊ رجح السؤال وخف كل نوال
وقال آخر ❊ تطوي يدي اخف علي من ❊ مدي الى تذل لاخذ من يد
غضب الاله على امرئ رضينا ❊ ليدي بان تمتاح من يده يدا
وقال آخر ❊ اسال العرف ان سألت جوادا ❊ لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فاذا لم تجد من الذل بدا ❊ فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكبير بذل ❊ انما الذل ان تجل الصغارا
ابو شراعة القيسي ❊ ان الغنى عن لئام الناس مكرمة ❊ وعن كرامهم ادنى الى الكرم

منصور الفقيه

منصور الفقيه ❊ الموت اسهل عندي ❊ بين القنا والاسنة ❊ من ان يكون لنذل ❊ علي
تفضل ومنة قوله عليه السلام فانتن بحمد من اعطاني الفاء عاطفة سببية
مفيدة للتعقيب والافتتان هنا بمعنى الابتلاء من قولهم فتن المال الناس من باب
ضرب فتونا فافتتنوا اي استمالهم فمالوا والابتلاء الاصابة بالمكروه يروى
ابتلي بالبناء للمفعول وابتلي بالبناء للفاعل فالاول من ابتلاه ابتلاء والثاني
مطاوع بلاه فابتلي هو وفي بيان هذا السبب تاكيد آخر للاعادة من الفقر الموجب
لاسترزاق الخلق واستعطاء شرارهم اذ كان ذلك مستلزما للصرف عن الله تعالى
والتوجه الى قبلة الحقيقة والواو من قوله وانت للحال اي لا تبتذل جاهي بالاقتار
فيلحقني بسببه ما يلحقني من المكاره والمعدودة والحال انك من دون الخلق ولي
الاعطاء والمنع ودون هنا تفيد التجاوز والتخطي كما تقول لمن وهبته ملكا هذا
لك من دون الناس اي لا يتجاوز منك الى غيرك وتب ابتدائيه والولي فعيل بمعنى فاعل
من ولي الامر اذا قام به اي وانت من دونهم القائم بالاعطاء والمنع قال ابن الحديد
ودولي مرتفع بانه خبر المبتدا ويكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون ولي هو الخبر وبكون
من دونهم جملة مركبة من الجار والمجرور منصوبة الموضع على الحال انتهى وكلت الطاهرات
الوجه الثاني متعين لان فائدة الكلام لا تتم الا به فتامله اللهم صل على محمد وآله وارزقني
صحة في عبادة وفراغا في زهادة وعلما في استعمال وورعا في اجمال الصحة في البدن حالة
طبيعية تجري افعاله معها على المجرى الطبيعي وقد استعيرت للمعاني فقيل صحت الصلاة
اذا اسقطت القضاء وصح العقد اذا ترتب عليه اثره وصح الخبر اذا طابق الواقع و
العبادة اقصى غاية التذلل والخضوع لله تعالى ومنه طريق معبد اي مذلل وفي طرفيته
عبارته بتشبيه ملابسة الصحة للعبادة في الاجتماع معها بملابسة الظرف للمظروف
فتكون كلمة في استعارة تبعية ولك ان تعتبر تشبيه الهيئة المنتزعة من الصحة

والعبادة ومصاحبة احديهما للاخرى بالهيئة المنتزعة من المظروف والظرف ثم حطهما
فيكون الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيها لكنه لم يصرح من الالفاظ التي
بازاء المشبه الا بلفظ في فان مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وما عداه تبع له يلاحظ
معه في ضمن الفاظ منوية فلا تكون كلمة في استعارة بل هي على معناه الحقيقي وذلك
ان تشبه العبادة بما يكون محلا وظرفا للشيء على طريقة الاستعارة بالكناية
ويكون ذكر كلمة في قرينة وتخييلا ومن على ذلك ما بعده سال علما ان تكون
صحته مستعملة في عبادته نعم حذرا ان صرفها فيما ليس لله فيه رضى ففي الحديث صحة
الابدان والابصار يسال الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك والفراغ خلاص
الانسان من المهمات الدنيوية والزهادة الزهد وهو في اللغة ترك الميل الى الشيء بعد
الرغبة فيه وفي الاصطلاح هو بغض الدنيا والاعراض عنها وقيل هو ترك راحة
الدنيا طلبا لراحة الاخرة وسياتي الكلام عليه مبسوطا في الروضة الثانية والعشرين
انشاء الله تع ولما كان الفراغ من دواعي الفساد وبواعث طموح النفس الى لذات
الدنيا كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة • مفسدة اي مفسدة • سال علما
ان يكون فراغه منوطا بالزهادة محاطا بها احاطة الظرف بالمظروف حتى لا يكون
شيء منه خارجا عنها فلا يشتغل بشيء من شهوات النفس الامارة ولا يلتفت
الى ما يصرفه عن قبلته الحقيقية والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بكيفية العمل ويدل
على استعمال فان العلم قسمان علم عقلي كالعلم بذات الله سبحانه وصفاته
وافعاله وهو مراد لنفسه وعلم عملي وهو المتعلق بكيفية اعمال الطاعات
وترك المعاصي والسيئات وهو مطلوب للعمل به فالاول علم مطلق لا تعلق
له بالعمل والثاني نتيجة العمل وثمرته ويسمى علم السلوك ولا يبعد ان يراد بالعلم
المسؤول هنا المتعلق بالعمل وهو وسيلة العمل وسياقه ويسمى بمعرفة الله تع

وما يليق به ومعرفة ما يجب معرفته عقلا وشرعا وهو الذي الذي يدين به فالاعتقاد له
والعكوف عليه والمحافظة له ثم العمل بمقتضاه اذ كان المقصود منه العمل فيصير
بذلك عالما ربانيا كما قال تعالى كونوا ربانيين قال الازهري هم ارباب العلم الذين يعملون
بما يعلمون وبهما يتحقق كمال الدين وتمامه كما قال امير المؤمنين صلوات الله و
سلامه عليه ان كمال الدين طلب العلم والعمل به وسر ذلك ان الانسان بالعلم يعرف
واضع الدين وحدوده واحكامه ولواحقه وشرائطه ومداخله ومخارجه ومصالحه
ومفاسده وبالعمل يحققه ويقيمه ويوجده ويضع كل واحد من اجزائه في موضعه
ويخرجه من حيز البطون الى حيز الظهور ولولا العمل لبطل العلم وصار بلا فائدة
ولهذا وردت الاخبار والاثار مستفيضة بالحث على العمل بالعلم وذم العلم بدون
العمل فمن ذلك ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسنده الى صاحب الدعاء علي بن
الحسين عليه السلام انه قال مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا
بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد به صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا
وعن امير المؤمنين عليه السلام اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون وعنه عليه السلام
من اخذ العلم من اهله وعمل به نجا ومن اراد به الدنيا فهو حظه وعن ابي عبد الله
عليه السلام ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن
الصفا والورع الكف عما لا ينبغي يقال ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعا بفتحتين
ورعة كعدة فهو ورع اي كثير الورع وورعته عن الامر تورعا كففته فتورع وقد
قسموا ورع الانفس على اربع درجات الاولى هي الورع عما يوجب التفسيق وسقوط العدالة
وهذه ادناها الثانية ورع الصالحين وهو التحرج عما تطرق اليه شبهة الحرمة وان ساغ
ذلك في الفتوى وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه واله دع ما يريبك الى
ما لا يريبك والثالثة ورع المتقين وهو ترك المباح خوفا من انجراره الى المحظور مثل ترك

المحدث باحوال الناس حذرا من ان يجر الى الغيبة قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يبلغ
الرجل درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به البأس والرابعة ورع الصديقين
وهو ترك ما لا يراد بتناوله القوة على طاعة الله او يتطرق لصاحبه بعض خواطر المعصية كما حكي
ان ذا النون المصري كان محبوسا فكانت تبعث اليه امرأة صالحة بطعام تشتريه لها بغزلها
فكان يقاسي الجوع ولا يتناول منه ويقول انه جاء على طبق حرام يريد السجان ولم يكن يشرب
الحلال بشرب من الانهار الكبار التي حفرها السلاطين لانها حفرت بغير اجرة او باجرة
دفعت من مال حرام وقوله عم في اجمال اي رفق واقتصاد من اجمل في الطلب اذا رفق
واقتصد ولم يفرط والمراد ورعا غير خارج عن الاقتصاد الى حد الافراط فيخرج عن حقيقة
الورع ولهذا قال بعض اهل التحقيق قد يشتبه الورع بالوسواس وذلك كمن كان له ثوبان
احدهما لم يلحقه نجاسة والاخر لحقته فغسله فيترك الصلوة في المغسول لانه
نجاسة ولكن قبل احديه بغسلها ويقول ان الخروج عن عهدة التكليف يتوقف
على غسلها لان من الجائز ان يكون من سهل الخبا وظاهر ان مثل ذلك من الوسواس وان
عده بعض العامة من باب الورع وروي ان رجلا بعرفات وبيده ربيبة وهو ينادي
الا من ضاعت له ربيبة فقيل له اسكت فان هذا من الورع الذي يمقت الله
عليه والله اعلم **اللهم اختم بعفوك اجلي وحقق في رجاء رحمتك املي وسهل الى
بلوغ رضاك سبلي وحسن في جميع احوالي عملي** ختم الشيء ختمه من باب ضرب اتمه وتممه
وختمته به جعلته خاتمة له وخاتمة كل شيء اخره والمراد بالاجل هنا مدة العمر
ويطلق على وقت انقطاع الحياة كما تقدم في اوايل الروضة الاولى والغرض طلب حسن
الخاتمة وسعادة العاقبة لما تقرر من ان كل من مات على شيء حكم له به من خير وشر
وفي الحديث عن ابي عبد الله عم ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق
ناقة ختم له بالسعادة وحققت حذره واملته من باب قتل واحققته احقاقا

وحققته

423

وحققته تحقيقا اذا فعلت ما كان يحذره ويأمله والرجاء تعلق القلب بحصول امر
محبوب في المستقبل قريب الحصول لحصول اكثر اسبابه والامل ابعد منه ولذلك
تحقيق الامل الذي هو بعيد بالنسبة الى الرجاء وجعل الرجاء هو المأمول في ذلك
لشدة الاشفاق والخوف حتى كان الرحمة التي تعلق قلبه بحصولها لم يحصل لديه
اكثر اسبابها فيرجوها بل يأمل حصولها للتسليم لحصول اكثر اسبابها والسهل
خلاف الحزن وهو ما غلظ من الارض وصعب سلوكه وسهل الطريق تسهيلا جعله سهلا
والسبل بضمتين جمع سبيل وهو الطريق وفرق بينهما بان السبيل اغلب وقوعا في الخير
ولا يكاد اسم الطريق يراد به الخير الا مقترنا بوصف او اضافة تخلصه لذلك
كقوله تعالى يهدي الى الحق والى طريق مستقيم والمراد بالسبل الطاعات والخيرات و
الاسباب التي يكتسب بها العبد الملكات الفاضلة الموصلة الى رضاه تعالى وتسهيلها
توفيقه للقيام بها من غير مشقة وعسر وهي استعارة مرشحة والاحوال جمع حال
والمراد بها هنا المعنى اللغوي وهو الوصف حالا كان او ملكة كنعم الصحة والمرض
والسرور والحزن والحلم والغضب ونحو ذلك من الكيفيات النفسانية وتحسين كانت
او زايلة وتحسين العمل توفيقه لتاديته ما توجبه المعرفة شرعا او فعله على الاكمل
باحسن جهاتها ومقدار تمامها **اللهم صل على محمد وآله ونبهني لذكرك في اوقات
الغفلة واستعملني بطاعتك في ايام المهلة وانهج لي الى محبتك
سبيلا سهلة اكمل لي بها خير الدنيا** نبه للامر نبهانا من باب تعب
فطن له ونبهته له وعليه تنبيها فطنته والذكر عبارة عن وجود المذكور
حضوره في القلب لذلك هو المقصود وهو ثلاثة فالاعلى ذكر اللسان
ثم ذكر القلب تكلفا بحيث يحتاج الى مراقبته حتى يحضر ثم ذكره طبعا بان
يتمكن من القلب بحيث يحتاج الى التكلف في صرفه عنه الى غيره ثم استيلاء المذكور

والمحاد الذكر والذاكر بان يفنى عن نفسه وذكره ولا يلتفت الى قيامه ايضا
ذاهبا الى ربه اولا ثم ذاهبا الى رتبه اولا ثم ذاهبا فيه بالاستغراق به لحيث
اذ لو التفت الى شيء من ذلك لكان معرضا عن الله غير منفك عن الشرك الخفي وهذه
الحالة سماها العارفون بالفناء لانه حجاب للحق فيزهق الباطل والغفلة عن الشيء
عدم حضوره بالبال وقيل متابعة النفس على ما تشتهيه وقيل ابطال الوقت
بالبطالة وقد تقدم الكلام على كل من الذكر والغفلة مبسوطا في الرياض السابقة
والمهلة بالضم التاخير في الانظار يقال امهلته امهالا ومهلته تمهيلا انظرته
والخوف طلب في المراد بايام المهلة مدة العمر وايام حيوته في الدنيا واعلم انه لما كان
غرض العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله اقتضت عنايته سبحانه عدم معاجلة
العباد بالعقاب والانتقام والاخذ بالذنوب والمعاصي في هذه الحيوة الدنيا
ليلا جوا لموته ويرجعوا الى الانابة فكانه سبحانه انظرهم ببقائهم في الدنيا وامهلهم مدة
حيوتهم فيها فلذلك عبر عن مدة العمر بايام المهلة ونهجت الطريق انهجه من باب
منع وانهجته انهاجا اوضحته وابنته ومحبة العبد لله تعالى قيل هي ارادته
لطاعته وامتثال اوامره ونواهيه وقال المحققون هي كيفية روحانية مترتبة
على الصورة الكمال المطلق الذي فيه على الاستمرار ومقتضية للتوجه التام الى حضرة
القدس بلا فتور ولا قرار واما محبته لغيره فكيفية تترتب على تخيل كمال فيه من لذة
او منفعة او مشاكلة تخيلا مستمرا كمحبة العاشق لمعشوقه والمنعم عليه لمنعمه
والوالد لولده والصديق لصديقه وقد سلف الكلام على هذا المطلب في الروضة
السادسة مبسوطا فليرجع اليه والسبيل تؤنث وتذكر قال الاخفش اهل الحجاز يؤنثون
السبيل والطريق والزقاق والسوق وبنو تميم تذكر كل ذلك وقد ورد التنزيل
بلغة الحجاز قال تعالى قل هذه سبيلي ولذلك جاء مدبر حكم نصبها مؤنثة وهي قوله
مهلة نهجت التانيث والكمال التمام واكمال الشيء اتمامه وفرق بعضهم بينهما فقال الاتمام

لازالة

لازالة نقصان الاصل والاكمال لازالة نقصان العوارض بعد تمام الاصل ولهذا
كان قوله تلك عشرة كاملة احسن من تامة فان التام من العدد قد علم وانما
نفى احتمال نقص في صفاتها وقيل تم يشعر بحصول نقص قبله وكمل لا يشعر بذلك
وقال العسكري الكمال اسم لاجتماع ابعاض الموصوف به والتمام اسم للجزء الذي يتم
به الموصوف ولهذا يقال القافية تمام البيت ولا يقال كماله ويقولون البيت
بكماله اي باجتماعه ويؤيد هذا المعنى الرواية الاخرى في الدعاء واجمع لي بها خير الدنيا
والاخرة بدل اكمل لي والضمير من بها راجع اما الى المحبة او السبيل واعلم ان المراد
بخير الدنيا ما يتبادر الى اكثر الاذهان من المعنى المشهور في العرف العام وهو
كثرة المال والقنيات الدنيوية بل المراد به ما كان وسيلة الى خير الاخرة الذي
هو السعادة الاخروية كما قال امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وقد
سئل عن الخير ما هو ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك
وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربك فان احسنت حمدت الله وان
اسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا الا لرجلين رجل اذنب ذنوبا فهو يتداركها
بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى فكيف يقل ما يتقبل
فتراه عليه السلام كيف حصر خير الدنيا في امرين احدهما الاشتغال باكتساب الحسنات
والمسارعة في فعل الخيرات ليفوز بالسعادة الاخروية فلا واسطة والخير
المكتسب بين هذين الامرين ولما كانت محبته تعالى مستلزمة للتوجه التام
الى حضرته المقدسة من غير فتور ولا كلال كانت سببا لكمال خير الدنيا بهذا
المعنى ولكمال خير الاخرة بالطريق الاولى والله اعلم اللهم صل على محمد وآله كافضل
ما صليت على احد من خلقك قبله وانت مصل على احد بعده واتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار الجار والمجرور من كاف التشبيه

وافعل التفضيل في محل نصب على انه صفة لموصوف محذوف وهو مصدر منصوب
بصل والتقدير صل على محمد واله صلوة كائنة كافضل ما صليت فحذف
المصدر ونابت صفته منابه وهي ظرف مستقر متعلق بمحذوف وجوبا
هذا هو المشهور في اعراب نحو ذلك وذهب سيبويه وابن هشام الى نحو ذلك قال
ابن هشام في شرح القطر ليس مما ينوب عن المصدر صفته نحو فكلا منها رغدا
خلافا للمعربين زعموا ان الاصل كلا رغدا وانه حذف الموصوف ونابت صفته
منابه وانتصبت انتصابه ومذهب سيبويه ان ذلك انما هو حال من المصدر
الفعل المفهوم منه والتقدير فكلا حال كون الاكل رغدا ويدل على ذلك انهم
يقولون سير عليه طويلا فيقيمون الجار والمجرور مقام الفاعل ولا يقولون طويل
بالرفع فدل على ان طويلا بالرفع فدل على انه حال لا مصدر ولا لجاز اقامته مقام الفاعل
لان المصدر يقوم مقام الفاعل انتهى وعلى هذا فالجار والمجرور في محل نصب على
الحالية والتقدير فصل على محمد واله حال كون الصلوة كافضل ما صليت وما
موصول اسمي بمعنى التي والعائد محذوف وحذفه مطرد كثير في باب الصلة و
التقدير كافضل الصلوة التي صليتها على احد من خلقك والواو من قوله وانت
مصلٍ عاطفة والجملة معطوفة على الموصول وهي صلة لموصول محذوف اي وما
انت مصل كقوله تعالى آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم لان الذي انزل الينا
ليس هو الذي انزل الى من قبلنا وكذلك ما نحن فيه لان الصلوة التي صليتها على
احد قبله غير الصلوة التي يصليها على احد بعده والعائد محذوف من قوله
مصل والتقدير والصلوة التي انت مصليها على احد بعده ويحتمل ان يكون ما مصدرية
فلا تحتاج الى عائد والتقدير كافضل صلوتك على احد وتكون جملة قوله وانت
مصل معطوفة على المصدر بتقدير ما المصدرية اي وما انت مصل وقد جوز

غير سيبويه كون صلة ما المصدرية جملة اسمية قال الرضي وهو الحق وان
كان قليلا كما في نهج البلاغة بقوا في الدنيا ما الدنيا باقية وقال الشاعر
اعلاقة ام الوليد بعد ما افنان راسك كالثغام المخلس وسوغ حذف
ما المصدرية دلالة ما قبلها عليها على ان بالفتح فاليه في قوله باية تقدمون
الخيل شعثا واعلم ان الغرض من التشبيه في الصلوة هنا ان يختص نبينا
واله صلوات الله عليهم بافضل صلوة مماثلة لافضل الصلوة التي عمت الخلق
فينطبق الكلام على القاعدة المقررة المشهورة من وجوب كون المشبه به اقوى
من المشبه اذ لا ريب ان الصلوة العامة للكل من حيث العموم اقوى من الخاصة
بالبعض وهذا اولى من قول بعضهم ان التشبه باعتبار التحقق والظهور في المشبه
به قوله عليه السلام وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة اقتباس من قوله تعالى
فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من
يقول ربنا آتنا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما
كسبوا والله سريع الحساب قيل المراد بالحسنتين اما في الدنيا فالصحة والامن و
الكفاية والولد الصالح والزوجة الصالحة والنصر على الاعداء واما في الآخرة
فالفوز بالثواب والخلاص من العقاب وعن النبي صلى الله عليه واله من اوتي قلبا
شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على امر دنياه واخرته فقد اوتي
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار وعن امير المؤمنين عليه السلام
الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء
وروى ثقة الاسلام في الصحيح عن ابي عبد الله عليه السلام في هذه الآية رضوان الله
والجنة في الآخرة والمعاش وحسن الخلق في الدنيا وقيل الحسنة في الدنيا العمل
النافع وهو الايمان وفي الآخرة التنعم بذكر الله وبالانس به وبرضوانه وعن قتادة

الحسنات وطلب العافية في الدارين وقيل هي في الدنيا فهم كتاب الله وفي الآخرة الجنة
وقال مقاتل الاولى الرزق الحلال والثانية المغفرة والثواب وقال عطية الاولى
العلم والعمل والثانية الثواب والمساهلة في الحساب وقيل الاولى التوفيق و
العصمة والثانية النجاة والرحمة وقيل الاولى الولد الصالح والثانية صحبة الانبياء
والصالحين وقيل الاولى المال والنعمة والثانية تمام النعمة وهو النجاة من العقاب
والوصول الى دار الثواب وقيل الاولى الاخلاص والثانية الخلاص وقيل الاولى والثانية
كلاهما حسن العاقبة ومنشأ كثرة الاقوال في ذلك مجيء الحسنة منكرة في حيز الاثبات
فكل من المفسرين حمل اللفظ على ما اداه احسن انواع الحسنة عقلا او شرعا وبالجملة
هذه الكلمة جامعة لخيرات الدنيا والآخرة قاله النظام النيسابوري ويمكن ان يجعل
التنوين للتعظيم اي حسنة اي حسنة او يريد حسنة توافق حال الدنيا وحكمة المدعو
وفيه من حسن الطلب ورعاية الادب ما ليس في التصريح به فانه لا يكون الا اذا
اريد حسنة ما وان كانت قليلة فان النظر الى المنعم لا الى الانعام . قليل منك
يكفيني ولكن . قليلك لا يقال له قليل . ولكون دفع الضر اهم من جلب النفع
صرح بذلك في قوله وقنا عذاب النار قيل معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية
الى النار والله اعلم . هذا آخر الروضة العشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة
سيد العابدين وقد وفق الله لاتمامها مع توزع البال
وتوزع البلبال ضحى يوم الجمعة التاسع عشر
من صفر سنة احدى ومائة والف و
لله الحمد باطنا وظاهرا واولا
وآخرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الخطايا وواهب العطايا والصلاة والسلام على نبيه طاهر السجايا وطاهر
المزايا وعلى اهل بيته سادة البرايا وساسة الرعايا وبعد فهذه الروضة الحادية
والعشرون من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى
آبائه وابنائه الطاهرين املاء راجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني
كفاه الله ما اهمه وكشف كربه وغمه وكان من دعائه عليه السلام اذا احزنته امر و
اهمته الخطايا حزنه الامر بالزاي والنون حزنا من باب قتل اهمه هذه لغة
قريش وتميم تعديه بالالف فتقول احزنه قاله ثعلب والازهري وعليهما رواية
احزنته بالالف ومنع ابو زيد استعمال الماضي من الثلاثي فقال لا يقال حزنه وانما
يستعمل المضارع من الثلاثي فيقال يحزنه كيقتله وفي رواية حزبه امر بالزاي والباء
الموحدة يقال حزبه الامر من باب قتل اذا اصابه واشتد عليه ومنه حوازب الخطوب
جمع حازب وهو الامر الشديد وقال الفارابي في ديوان الادب حزبه امر اذا نابه
وغلاه وفي الحديث كان اذا حزبه امر صلى قال ابن الاثير اي اذا نزل به مهم او اصابه
غم وفي القاموس حزبه الامر نابه واشتد عليه او ضغطه والاسم الحزابة بالضم والحزب
ايضا كالمصدر واهمه الامر بالالف اقلقه وهمه هما من باب قتل مثله والخطايا
جمع خطيئة على فعيلة بهمزة اللام اسم من خطئ خطأ من باب علم اذا اثم
واصل الخطايا خطايئ على فعائل فلما اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية ياء لان
قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع ثقيل وهو معتل مع ذلك فقلبت الياء الفا
ثم قلبت الهمزة الاولى ياء لخفائها قاله الجوهري تنبيه في دعائه عليه السلام عند
اصابة الشدائد وتزول الخطايا ايذان بان الدعاء سبب لصرفها وزوالها وقد
نص الله سبحانه على ذلك فقال امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقد

اجابة اجابة المضطر وكشف السوء على الدعاء وفي الصحيح عن علي بن الحسين عليهما السلام
الدعاء يدفع البلاء النازل وما لم ينزل منه ... ان الدعاء والبلاء ليتوافقان
الى يوم القيمة ان الدعاء ليرد البلاء وقد ابرم ابراما وفي الصحيح ايضا عن ابي عبد الله
عليه السلام هل تعرفون طول البلاء من قصره قلنا لا قال اذا الهم احدكم عند البلاء فاعلموا
ان البلاء قصير وفي الصحيح ايضا عن ابي الحسن موسى عليه السلام ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن
فيلهمه الله عز وجل الدعاء الا كان كشف ذلك البلاء وشيكا وما من بلاء ينزل
على عبد مؤمن فيمسك عن الدعاء الا كان ذلك البلاء طويلا فعليكم بالدعاء
والتضرع الى الله عز وجل والاخبار في هذا المعنى اكثر من ان تحصى قال صلوات الله
وسلامه عليه اللهم يا كافي الفرد الضعيف وواقي الامر المخوف افردتني الخطايا فلا
صاحب معي وضعفت عن غضبك فلا مؤيد لي واشرفت على خوف لقائك فلا مسكن
لروعتي ومن يؤمنني منك وانت اخفتني ومن يساعدني وانت افردتني ومن يقويني
وانت اضعفتني كفى يكون بمعنى اجزأ واغنى وبمعنى وقى فالاولى متعدية لواحد
كقوله قليل منك يكفيني والثانية متعدية لاثنين كقوله تعالى وكفى الله المؤمنين
القتال فان جعلت قوله عليه السلام يا كافي الفرد الضعيف من الاولى فالمعنى يا
مجزيه ومغنيه عن كل صاحب ومؤيد وان جعلته من الثانية فمعناه يا واقي الفرد
الضعيف من [illegible] فالمعنى كل مهم فحذف المفعول للتعميم مع الاختصار [illegible]
ان المقام مقام المبالغة والفرد المنفرد عن الاصحاب والانصار فلا صاحب له
ولا ناصر قال تعالى وكلهم اتيه يوم القيمة فردا اي وحيدا منفردا لا مال له ولا
ولد ولا ناصر والضعيف من لا قوة له والضعف بفتح الضاد في لغة قريش
بمعنى خلاف القوة لا خلاف الصحة ووقاه الله السوء صانه وحفظه منه
وهو متعد لاثنين ولم يذكر المفعول الاول في الدعاء للعلم به فحذف واضافة الصفة

الى المفعول

الثاني والتقدير واقي العباد الامر المخوف ويحتمل ان يكون ضمن واقي معنى دافع
فعداه الى مفعول واحد [illegible] فالفاء للسببية اي بسبب
ذلك لا صاحب معي وفي [illegible] قال بعضهم يحتمل ان يكون معناه انه صارت
بسبب الخطايا منفردا عن مصاحبة احد مشتغلا بالتفكر في امرها ولا صاحب
معي مثلي في الخطايا فلم يحكم لغيره بما حكم على نفسه ليكون مصاحبا له والصحاح
الاحياء لان المطلوب الصاحب الصالح لا مطلق الصاحب وقيل الصاحب كناية عن لطف
الله وتوفيقه فكان الخطايا لما كانت سببا لعدم اللطف والتوفيق او ان الاصحاب قطعوا
صحبته وبعدوا عنه واعرضوا عنه بسبب الخطايا وفيه ان الصاحب لا يقطع صاحبه
بسبب الذنب بل يترفق به وينصحه ليعود ويتوب كما يحكى ان اخوين في السلف
انقلب احدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال هو احوج ما كان
الي في هذا الوقت وانا حقيق بان اخذ بيده واتلطف له في المعاتبة وادعو له بالعود
الى ما كان عليه وفي الحديث انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل كيف ينصره ظالما قال
يمنعه من الظلم وقال بعض العارفين لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب بذنبه فانه
يركبه اليوم ويتركه غدا وهو من الحديث اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا
فيئته وعلى هذا فارادة المعنى المذكور تؤذن بذم جميع اصحابه ولا يخفى ما فيه والظاهر
ان المراد ان الخطايا جعلته منفردا بتحملها وخوف عقوباتها لا صاحب له يشاطره
على حمل اوزارها ولا دفع عقابها فهو منفرد تهمه نفسه لا يهمه غيره ما اهمه منها
ونظير ذلك قوله عليه السلام في الدعاء بعد صلاة الليل فاصحبني لغضبك [illegible]
وليس المراد نفي الصاحب نفي المتصف بالصحبة الظاهرية فانه خلاف الظاهر
بل الواقع وضعفت عن الشيء ضعفا مثل قرب قربا عجز عن احتماله فهو ضعيف ومعنى
تاسيا قواه من ادنى سيما اذا قوى [illegible] اشتد اي عجزت عن احتمال غضبك فلا مقوي

لو اشرفت على الشي اشرافا اطلع عليه فاشرف على الموت اشفى والمراد بلقاية تعالى
المصير والمبعث اليه والوقوف بين يديه ويجوز خوف سوته اى خوف سكرة
لقايك وقيل لقاؤه تعالى ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل هو لقاء ثوابه او عقابه
قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله لقاء الله سبحانه مثل للوصول
الى العاقبة من تلقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء مثلت تلك الحال
بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي
ويذر فاما ان يلقاه بجزء وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه
منها وقيل يرجو في الاية بمعنى يخاف وايضا الرجاء بمعنى الخوف لان الراجي يخاف ان
لا يدرك ما يترجاه وسكنت الشي تسكينا جعلته ساكنا بعد حركته والروع
الفزع والخوف راع الشي روعا من باب قال افزعه والروعة الفزعة وتسكين
الروعة عبارة عن ازالة الخوف وايقاع التسكين على الروعة مجاز حكمي والاصل
ايقاعه على نفس المرتاع لاضطرابها من الفزع قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز
سكنت نفسي بعد الاضطراب فاوقعه على الروعة لتلبسها بالمرتاع كما يقال امن الله
خوفه والواو في قوله ولم يؤمني استينافية وفي قوله وانت اخفتني حالية
والاستفهام انكاري والمعنى فيه على النفي وما بعده منفي اي لا يؤمني منك
احد والحال انك انت المخيف لي وقيل اخافته تعالى هو ما تضمنته ايات الوعيد
كما قال سبحانه ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون وهو محتمل غيره من الاعلام
ان اسناد كل من الاخافة والافراد والاصعاف اليه سبحانه من باب الفناء عن ملاحظة
الوسائط ومشاهدة الافعال والترقي عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات
الا ان اسنده الافراد الى الخطايا لكون ارتكابها سببا لانفراده والاصعاف
الى العقب في الاغاثة الى سوء اللقاء فلاحظ الوسائط والافعال والصفات

ثم اعرض

ثم اعرض عن ذلك وقطع النظر عنه واستانف الكلام راقيا الى الذات فقال
ومن يؤمني منك وانت اخفتني ونظير ذلك ما ورد في الدعاء النبوي
واعوذ بك منك وفي الكلام العلوي ففروا الى الله من الله وقد تقدم
الكلام منا على ذلك مبسوطا فليرجع اليه **لا يجير يا الهي الا رب على مربوب ولا**
يجير [?] **الا غالب على مغلوب ولا يعين الا طالب على مطلوب وبيدك يا الهي جميع**
ذلك السبب واليك المفر والمهرب فصل على محمد واله واجر هربي
وانجح مطلبي اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته عنه وكله على تقييد
الاستعلاء والقدرة والتسلط كانه اغاثه ومنعه منه قادرا على كفه عنه
متسلطا عليه في المنع منه والمستثنى في الفقرات الثلث ما بعد الا والظرف
جميعا فان الحصر في كل منهما مقصود اي لا يجير احد على احد الا رب على مربوب
فيرعليه ما بعده وفيه شاهد لمن اجاز استثناء شيئين من شيئين باداة
واحد بلا عطف مطلقا سواء كان المستثنى منهما مذكورين او مقدرين ومثله
في التنزيل وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اذا التقدير
وما نراك اتبعك احد في حالة الا اراذلنا في بادي الراي وعلى هذا فالظرف
في الدعاء متعلق بمحذوف والتقدير لا يجير احد على احد الا رب على مربوب وقال بعضهم
ان الظرف يتسع فيه فيجوز فيه ما لا يجوز في غيره فجاز تعلقه بما قبل الا
لم يجز على ما قبلها اذا ثم فيما بعدها في غير الظرف ومما لا يكاد ينقضي منه العجب
قول بعض الشارحين المترجمين هنا ان قوله على مربوب متعلق بقادر مقدر
نحوه لان تعديته اما بعلى غير مذكور في الكتب اللغة انتهى وكانه لم يسمع قوله
تعالى قل من بيده ملكوت كل شي وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون قال
الهداة الى سواء السبيل قال بعض اكابر السادة معنى قوله عليه السلام لا يجير الا

يا الهي لا رب على مربوب بانه لا معنى لا ينفذ الاجارة رب على مربوب الحديث و
يجير عليهم ادناهم اي اذا اجار ادنى رجل من المسلمين كافرا وامنه جاز ذلك على جميع
المسلمين لا ينقض عليه احد جواره وقوله عليه السلام ولا يومن الا غالب على مغلوبه اي لا
ينفذ الامان الغالب على مغلوبه ان ينقض ويرد امانه وقوله ولا يعين الا طالب
على مطلوب من اعانه على كذا اي سلطه عليه ويحضر المعنى ان الطلب سبب التسلط
على المطلوب لان الدعوات اسباب حصول البغية وسبلها انتهى كلامه قلت لا يخفى
من سياق الكلام ان هذه الفقرات الثلاث كالتعليل لتلوها من الفقرات
الثلاث التي هي قوله عليه السلام ومن يومنني منك وانت اخفتني الى اخرها فان
المانع المومن والمساعد والمقوي له حال كونه سبحانه هو المخيف والمفرد والمضعف
له اراد ان يبين وجه ذلك كالمستدل عليه بقوله لا يجير يا الهي الا رب على مربوب
فهو استيناف تعليلي فيكون تقدير المعنى لانه لا يستطيع ان يمنع زاهد ويقوى
على الاجارة والاعانة منه الا فاد [illegible] مالك له كالرب من المربوب فانه قادر
على ان يمنع ويغيث منه دون العكس اذ لا يستطيع ان يومن الا غالب من مغلوب
لقهره وتسلطه عليه ولا يستطيع ان يعين الا طالب على مطلوب لقدرته عليه فاذا كنت
انت الرب ومن سواك مربوب وانت الغالب ومن سواك مغلوب وانت
الطالب ومن عداك مطلوب فمن يجيرني عليك ومن يومنني منك ومن يعينني
عليك هذا ما يقتضيه سوق العبارة من المعنى وما ذكره السيد الشارح وان
كان في نفسه معنى صحيحا الا انه لا يقتضيه المقام اقتضاء اوليا ولا يناسبه مناسبة
تامة فان قلت ما معنى كونه سبحانه طالبا وكون من عداه مطلوبا قلت يجوز ان يكون
طلبه تعالى لمن سواه عبارة عن حكمه برجوعه اليه وحسابه وجزائه على اعماله تمثيلا
لتلك الحال بحال الطالب للشيء المريد لحصوله لديه ويجوز ان يكون طلبه سبحانه لخلقه

منشؤ

تمثيلا لاقتداره عليهم وانهم في قبضته حكمه متى شاء اخذهم فلا يفوته منهم فائت
ولا يجوز منه [illegible] فان الطالب اذا كان في غاية الاقتدار على المطلوب والمطلوب
تحت قدرته وحكمه كان مستقرا عليه في كل وقت وعلى كل حال لا يتصور ان يعجزه
طلبا او يفوته هربا ونحو كقوله تعالى وهو من ورائهم محيط وفي دعاء الصحيفة المروي
عن النبي صلى الله عليه واله وسبحانه من يا رب ما الطلبه وسبحان من طالب ادركه وفي دعاء
الرهبة وهو الدعاء الخمسون من الصحيفة الكاملة اللهم انك طالبي ان انا هربت
وكثيرا ما نعت الطالب ووصفه تعالى بالغالب اشارة الى هذا المعنى كما وقع في
دعاء الجوشن الكبير يا غالب يا طالب في دعاء السلوك يا طالب يا غالب يا من هو
هارب وما وقع في بعض التراجم الفارسية من ان معنى قوله عليه السلام ولا يعين
الا طالب على مطلوب انه لا يعين على المطلوب الا الطالب ولما كانت العبادة
مطلوبة لله سبحانه لم يكن للمعين عليها غيره فهو رجم بالغيب وتخيل فاسد بلا
ريب عليه السلام وبيدك جميع ذلك السبب اي في قدرتك وتصرفك وذلك
اشارة الى ما تقدم ذكره من الاجارة والامان والاعانة والسبب اسم لما يتوصل به
الى المقصود وهو عطف بيان لذلك ولما كان المشار اليه من الامور المذكورة
اسبابا يتوصل بها الى النجاة من سخطه تعالى بحيث عطف السبب عليه ايضا حاله
كقوله تعالى ذلك الكتاب في بعض الوجوه وقوله والملك المفر والمهرب اي الملك
الفرار والهرب وهما مصدران ميميان بمعنى وعطف الثاني على الاول من
عطف الشيء على مرادفه نحو عوجا ولا امتا وفائدته التاكيد لان ذكر الشيء مرتين
يفيد التاكيد قال بعض العارفين اعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب
فاولها الفرار من بعض اثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال
تعالى حكاية عن المومنين في التضرع اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا

P.77

واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله تعالى وافعاله ففروا من بعضها الى
بعض الثانية ان يفنى العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى فى درجات القرب
والمعرفة الى مصادر الافعال وهى الصفات فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن
زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلنى اسوة من قد انهضته بتجاوزك عن مصارع
المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والسخط والعفو صفتان فاستعاذ
باحديهما من الاخرى الثالثة ان يترقى من مقام الصفات الى ملاحظة الذات
فيفر منها اليها كقوله تعالى لا ملجاء من الله الا اليه وكالوارد فى الدعاء فى القيام الى
الصلوة منك وبك ولك واليك اى منك بدء الوجود وبك قيام ملكك
واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجاء ولا منجى ولا مفر منك الا اليك وقد
جمع الرسول صلى الله عليه وآله هذه المراتب حين امر بالقرب فى قوله تعالى
واسجد واقترب فقال فى سجدته اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك
من سخطك واعوذ بك منك فاستعاذ اولا ببعض افعاله من بعض ثم
ترقى الى مصادرها فاستعاذ ببعض صفاته من بعض ثم ترقى الى ملاحظة
الذات فاستعاذ به منه فهذه ثلث مراتب للفرار الى الله تعالى والمرتبة الثالثة
هى اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة فى لجة الوصول درجات
لا تتناهى والله اعلم قوله عليه السلام واجرنى اى ايقاع الاجارة على الهرب مجاز عقلا
فان الاجارة انما تكون للهارب لا للهرب ولكن جعلها للهرب لتلبسه به نحو
خوفى فانجح مطلبه الحاحا فقضيت حاجته وفى الاساس انجح الله طلبتك فنجحت
فى القاموس النجاح بالفتح والنجح بالضم الظفر بالشىء ونجحت الحاجة كمنع ونجحت
وانجحها الله وانجح زيد صار ذا نجح اللهم انك ان صرفت عنى وجهك الكريم او
منعتنى فضلك الجسيم او حظرت على رزقك او قطعت عنى سببك لم اجد السبيل

سلامی

٤٢٠

الى شىء من سوى عفوك ولم اقدر على ما عندك بمعونة سواك فانى عبدك
وفى قبضتك ناصيتى بيدك لا امر لى مع امرك ماض فى حكمك عدل
فى قضائك ولا قوة لى على الخروج من سلطانك ولا استطيع مجاوزة قدرتك
ولا استميل هواك ولا ابلغ رضاك ولا انال ما عندك الا بطاعتك وبفضل رحمتك
صرفه صرفا من باب ضرب رده وقلبه وصرف الوجه فيمن يجوز عليه ذلك كناية
عن الاستهانة والسخط لان من اكرم انسانا ورضى عنه اقبل بوجهه عليه ومن
استهان به وسخط عليه صرف وجهه عنه ثم كثر واشتهر حتى صار الاقبال عبارة
عن الاكرام والاحسان وصرف الوجه عبارة عن الاستهانة والسخط وان لم
يكن ثمة اقبال ولا صرف ثم جاء فيمن لا يجوز عليه ذلك مجردا لجاوا الاقبال
بمعنى الرضا والاحسان فى نحو واقبل على بوجهك ذى الجلال والاكرام وصرف
الوجه بمعنى الاستهانة والسخط كما فى عبارة الدعاء وكلاهما مجاز عما وقع كناية
عنه فيمن يجوز عليه الاقبال والصرف هكذا حققه الزمخشرى فى نظير هذه
العبارة وهو تصريح منه بان الكناية يعتبر فيها صلوح ارادة الحقيقة وان لم
ترد وان الكنايات قد تشتهر حتى لا تبقى تلك الجهة ملحوظة وحينئذ تلحق بالمجاز
ولا تجعل مجازا الا بعد الشهرة لان جهة الانتقال الى معنى المجازى اولا عرفت
واضحة بخلاف المعنى المكنى عنه واستشكل بما ذكره فى قوله تعالى والسموات مطويات
السموات مطويات بيمينه الرحمن على العرش استوى ونحو ذلك انها كنايات
مع امتناع المعنى الحقيقى قطعا واجاب صاحب الكشف بانه لما كان هذا المجاز
متفرعا عن الكناية جاز ان يسمى مجازا وان يسمى كناية والجسيم فى الاصل العظيم الجسم
ثم استعمل فى المعانى فقيل امر جسيم اى عظيم قال فى الاساس ومن المجاز امر جسيم وهو
من جسامة الخطوب فى حظوة خطار باب فعل نعته ومنه وما كان عطاء ربك

محظورا اى ممنوعا قال في النهاية وكثيرا ما يرد في الحديث ذكر المحظور ويراد به
الحرام وقد حظرت الشيء اذا حرمته وهو راجع الى المنع وفي الاساس حظر عليه
كذا حيل بينه وبينه وهذا محظور غير مباح وقال الجوهري الحظر الحجر وهو خلاف
الاباحة والمحظور المحرم وما وقع في بعض التعاليق من ان الحظر بالتسكين بمعنى
المنع واما الحظر بمعنى ضد الاباحة فبالتحريك لا اصل له بل هو بالمعنيين اصل الاخ
والسبب في اللغة الحبل ثم استعير لكل ما يتوصل به الى المطلوب والمراد بسببه تعالى
هنا رحمته وفضله كما قال عليه السلام في الدعاء بعد صلوة الليل خرجت من
يدي اسباب الوصلات الا ما وصله رحمتك اي فانقطعت الاسباب التي يتوصل بها
الى السعادات الاخروية الا السبب الذي هو رحمتك ويحتمل ان يكون المراد
به جميع ما يتوصل به الى الحق تعالى ونيل لديه ووجد مطلوبه يجده من باب وعد وجودا
ووجدانا بالكسر ادركه وظفر به وفي لغة لبني عامر يجده بضم الجيم ولا نظير له في
باب المثال والمراد بالسبيل هنا الوسيلة عبر عنها بالسبيل لتوجه النفس اليها و
كونها موصلة الى المطلوب والامل بمعنى المأمول من باب اطلاق المصدر على
المفعول كاللفظ بمعنى الملفوظ وغير اداة استثناء او على البدل من المستثنى
منه والسبيل لانها تعرب اعراب الاسم التالي لالا وذهب بعضهم الى ان الفتحة فيها
فتحة بناء لاضافتها الى المبني وقدرت على الشيء اقدر من باب ضرب قويت
عليه وتمكنت منه والمعونة اسم من اعانه اي ساعده ووزنها مفعلة بضم العين
وبعضهم يجعل الميم منها اصلية ويقول وزنها فعولة مأخوذة من الماعون وهو
فاعول من المعن بمعنى العطاء ومنهم من يقول الماعون اصله معونة والالف
عوض من الهاء وسوى بمعنى غير التي هي صفة اي معونة احد غيرك والفاء بمعنى
لام التعليل اي لاني عبدك والعبد المملوك قال سيبويه هو في الاصل صفة

قالوا رجل

٤٤١ قالوا رجل ولكنه يستعمل استعمال الاسماء وفي قبضتك اي في ملكك واصله من
القبض وهو الامساك باليد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا في الروضة السادسة
والناصية الشعر المسترسل في مقدم الرأس قال الطبرسي سمي شعر مقدم الرأس
ناصية لاتصاله بالرأس من قولهم ناصى يناصي مناصاة اذا وصل وفي تفسير
النيسابوري الناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية وقال الازهري
الناصية عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس لا الشعر واما تسميته العامة
باسم منبته انتهى وهو الصحيح يدل على ذلك انهم سموا كل موضع من الرأس باسم
يخصه فقالوا لمقدم الرأس ناصية وللبياضين اللذين يكتنفانها
نزعتان ولمؤخر الرأس قفا وما بين النزعتين والقفا جانبان ولما احاط به
ذلك وسط الرأس لكنهم استعملوا الناصية في شعر مقدم الرأس استعمالا فاشيا
تسمية له باسم محله فقالوا اخذ ناصيته واخذ بناصيته ومعنى ناصيتي بيدك
اي تحت قدرتك وتسخيرك فهو تمثيل لقدرته سبحانه عليه يصرفه كيف يشاء
غير مستعص عليه كما قال تعالى ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر
عليها يصرفها على ما يريد بها قال المفسرون هو تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذلل
وكان العرب اذا اسروا الاسير وارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة
لقهره **قوله** عليه السلام لا امر لي مع امرك قال بعضهم معناه لا امر لي مخالفا لامرك
او موافقا ايضا اذ كنت امتثل الامر او لا امر لي بحيث اكون مستقلا باسبابه
فلا يدل على نفي فعل العبد انتهى ويحتمل ان يراد بالامر المنفي ما يريد من الاحكام
ويأمر بتعاطيه والنهي وهو ظاهر ومضى الامر مضيا نفذ والحكم مصدر حكم
الحاكم عليه بكذا اذا قضى عليه به واصله المنع كانه منعه من خلافه فلم يقدر على
الخروج منه اي نافذ في حكمك لا استطيع رده ولا الخروج منه والقضاء اما

معنى للقضى اذ يقال هذا قضاء الله او مقضيه او بمعنى الامر من قضى بمعنى امر كقوله
تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه او بمعنى سطر ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ
بالعلم الالهي وعلى كل تقدير لما كان العدل عبارة عن التوسط في الافعال والاقوال من
طرفي الافراط والتفريط وكان ما قضاه الله تعالى وحكم به وجعله علينا ولم يبرح
نهله عنه ما سطره من شانه في اللوح المحفوظ جاريا على وفق الحكمة والنظام الاكمل
لا جرم كان قضاؤه فيه باي معنى حملته عليه غير منسوب الى احد طرفي الافراط و
التفريط بل كان حاق الوسط منهما وهو العدل والسلطان قدرة الملك وموضع
تسلطه اي لا استطيع الخروج من قدرتك ومن حيطة ملكك كما قال تعالى يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا
لا تنفذون الا بسلطان اي ان قدرتم على ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من
ملكوتي ومن اقطار سمواتي وارضي فانفذوا وخلصوا انفسكم من عقابي و
انى لكم ذلك فانتم لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان وقوة وقهر وليس لكم
شيء من ذلك وجاوزت الشيء مجاوزة وتجاوزته تعديته اي لا استطيع ان
اتعدى قدرتك واستعصي عليها بل انت قادر على ما تريد مني سواء كان محبوبا
لي او مكروها واستماله استمالة استعطفه اي طلب ميله اليه اي محبته من
مال اليه بمعنى احبه والهوى مقصور مصدر هويته من باب تعب اذا احببته
والمعنى لا اقدر على استعطاف محبتك وجعلها مائلة الي وبلغ مراده بلوغا من باب
قعد ادركه ووصل اليه ومحبته ورضاه تعالى عبارة عن ارادته قال بعض المحققين
ويشبه ان يكون الرضا اعم من الحب لان كل محب راض بما احبه ولا ينعكس ونال مطلوبه
نيلا من باب تعب نيلا ادركه والمراد بما عنده سبحانه خزائن بر رحمته الدنيوية
والاخروية المشار اليها بقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق اي لا نفاد له

الاخروية

٤٤٣ الاخروية فيه ظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها
فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وقوله الا بطاعتك استثناء مفرغ
من محذوف عام اي شيء من الاشياء الا بطاعتك وبفضل رحمتك اي بابتداء
احسانها اليك بلا علة ولما كان السبب في الفوز بمحبة الله سبحانه ورضاه
ونيل ما عنده من السعادات امرين احدهما العمل الذي يترتب عليه الاجر والجزاء
والثاني محض التفضل الذي يكون عن مزيد رحمته حصر عليه السلام اسباب الفوز
بذلك في الطاعة التي يستعد بها المطيع لدرك بغيته من الله تعالى وفي فضل
رحمته الذي يؤتيه من يشاء وقدم الطاعة لانها كما يكون سببا لاستعداد
العبد لنيل الاجر والجزاء تكون سببا لاستعداد العبد لنيل الاجر والجزاء
تكون سببا لاستعداد العبد لنيل الاجر والجزاء وتكون سببا لافاضة الرحمة المقتضية
للتفضل من غير استحقاق كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين والله اعلم
الهي اصبحت وامسيت عبدا داخرا لك لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا بك اشهد
بذلك على نفسي واعترفت بضعف قوتي وقلة حيلتي فانجز لي ما وعدتني و
تمم لي ما اتيتني فاني عبدك المسكين المستكين الضعيف الضرير الذليل
الحقير المهين الفقير الخائف المستجير اصبح وامسى يكونان تامين بمعنى وصلنا
الى الصبح والمساء ودخلنا فيهما ويكونان ناقصين ولهما حينئذ معنيان احدهما
ان يكونا بمعنى صار مطلقا من غير اعتبار الوقتين اللذين يدل عليهما تركيب
الفعل اعني الصبح والمساء بل باعتبار الزمن الذي يدل عليه صيغة الفعل
اعني الماضي منهما والحال او الاستقبال في مضارعهما فيكونان لافادة
الانتقال من حال الى حال مجردا عن ملاحظة الوقت ومنه قوله تعالى فاصبحتم بنعمته
اخوانا والثاني ان يكونا بمعنى كان في الصبح وكان في المساء فيعتبر في هذا المعنى

مضمون الجملة اعنی مصدر الخبر مضافا الی الاسم بزیادة الفعل اعنی الذی یدل علیه ترکیبه
والذی تدل علیه صیغته فمعنی اصبح زید امیرا ان امارة زید مقترنة بالصبح وان ترکت
الملتبس اذا عرفت ذلک فاعلم ان بعض العلماء صرح فی نظیر هذه العبارة من الدعاء
ان اصبح واسی محتملة المعانی الثلثة فقال اصبح واسی اما تامة بمعنی صار وباطل اما کان
فلو قصد هذا المعنی لاکتفی باحد الفعلین عن الآخر اذ هما بمعنی واحد علی هذا المعنی
واما ثانیا فلان المقصود بایراد الفعلین الاسمیة ای کل صباح ومساء وکونهما
بمعنی صار ینتفی معه هذا الغرض فلم یبق الا احتمال معنیین الاخیرین وقد تقدم
فی شرح دعاء الصباح فی الروضة السادسة ان مثل هذا الکلام فی الدعاء انما
فی صورة الخبر فالمقصود به الاقرار له سبحانه بالعبودیة صباح مساء لا الاخبار عن کونه
داخل فی الصباح والمساء حال کونه عبدا اولا ان عبودیته مقترنة بالصبح والمساء فی الزمن
الماضی فتنبه وقوله عبدا اما حال ان جعلت اصبحت وامسیت تامتین او خبران
جعلتهما بمعنی الکون فی الصبح والمساء علی التنازع فیهما واضافته لعبد ای ذلیلا
صاغرا قال فی القاموس دخر کمنع دفرح دخورا صغر وذل وذلک اما صفة لعبد ای ذلیلا
بعد صفة او حال من عبد لتخصیصه بالوصف وجملة لا املک اما خبر ثان لاصبحت
امسیت او حال من فاعلهما او مستانفة واللام من قوله لنفسی اما متعلقة باملک
او بمحذوف وقع حالا من نفعا ای لا اقدر لاجل نفسی علی جلب نفع ما ولا علی دفع ضرر ما
وقوله الا بک استثناء مفرغ ای شیئا الا بک ای بمشیتک او بقدرتک وفیه اقتباس
من قوله تعالی قل لا املک لنفسی نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله قال النیسابوری احتج
الاشاعرة بهذه الآیة فی مسئلة خلق الاعمال قالوا الایمان نفع والکفر ضرر فوجب ان لا
یحصلا الا بمشیة الله تعالی واجابت المعتزلة بان المراد لا املک لنفسی من النفع
والضر الا قدر ما شاء الله ان یقدرنی علیه ویمکننی منه وکلا من الاسلام والکفر

فی هذا

فی هذه الاستثناء دلالة علی فساد مذهب الجبریة لان الاعمال لو کانت مخلوقة لله لما
صح الاستثناء ههنا لان احدا لا یملک عندهم شیئا قوله علیه السلام استشهد بذلک علی
نفسی فصل الجملة لکمال انقطاعها عما قبلها اخبارا لتعلیلها لافادة التجدد و
المضارع لافادة الاستمرار ای اعترف علی نفسی بما ذکرت من کونی لم ازل
عبدا واحدا لا اقدر لنفسی علی نفع ولا ضر واعترفت بالبنی اعترافا اتوبه
علی نفسه والقوة تطلق علی کمال القدرة وعلی شدة الممانعة ویقابلها الضعف
ولما کان کل ذی قوة غیره سبحانه ضعیفا عادم القوة من نفسه هو فی ذل الضعف
واسر العجز وجب الاعتراف له تعالی بضعف القوة وعدمها اذ کانت قوته
انما تحقق فیه بمقتضی ما منه سبحانه والحیلة الحذق فی تدبیر الامور وهو تقلب
الفکر وتغلیبه حتی یهتدی الی المقصود والمراد بالقلة هنا العدم وکثیرا
ما یعبر بها عنه فیقال قلیل الخیر ای لا یکاد یفعله والاعتراف له سبحانه بقلة
الحیلة من حیث استحقاق العبد المعجز لذاته عن جلب منافعه ودفع مضاره فهو
لا یستطیع من نفسه ان یدبر اموره ویعلم من عونه ومحذوره کما قیل شعر اذا لم
یکن عون من الله للفتی ٭ فاول ما یجنی علیه اجتهاده ٭ والنجز له وعده انجازا ادا
وفی له به فان النجز فی الاساس الخبر وعده انجاز والنجز الوعد وهو ناجز اذا
حصل وتمر وشه نجز الکتاب وتنجزت حاجته والمراد بما وعدته ما وقع الوعد
به منه سبحانه من اجابة دعوة الداعی اذا دعاه واجابة المضطر وکشف السوء و
بتمیم ما اتاه ابقاؤه علیه وعدم زواله وتغییره ومنه الدعوة التامة ای
التی لا یدخلها تغییر بل باقیة الی یوم النشور او جعله تاما لا نقص فیه ولا عیب
منه کلمات الله التامة ای التی لیس فی شیء منها نقص ولا عیب والمسکین من المسکنة
وهی الذلة والافتقار وهو مفعیل من السکون والمستکین اسم فاعل من استکان

واختلفوا فيه فقيل من الكون لانه يقال استكان اذا ذل وخضع اي صار له كون حال
كونه كما يقال استحال اذا تغير من حال الى حال الا ان استحال عام في كل حال واستكان
خاص بالتغير والذل وقال اخرون انه افتعل من السكون ومديت الالف لاشباع
الفتحة وقال ابو علي الفارسي في قوله تعالى وما ضعفوا وما استكانوا لا اقول انه افتعلوا
من السكون ومديت الالف لكنه عندي استفعلوا مثل استقاموا والعين
حرف علة ولثباتها في اسم الفاعل نحو مستكين وفي نحو يستكين على انه يجوز ان يكون
من الزيادات اللازمة كما قالوا مكان وهو مفعل من الكون ثم قالوا امكنة واماكن
وتمكن واستمكن على توهم اصالة الميم للزومه وثباته في جميع متصرفاته
والضعيف المتصف بالضعف وضعف الانسان باعتبار خلقته وباعتبار عجزه
عن مخالفة هواه وعدم قدرته على مقابلة دواعيه اما الاول فظاهر بالنسبة
الى كثير من المخلوقات بل الحيوانات ولهذا اشتد احتياجه الى التعاون والتمدن
والاغذية والادوية والمساكن والملابس والمراكب والذخائر والمعاملات الى
غير ذلك من الضرورات واما الثاني فظاهر ولهذا لا يصبر عن الشهوات ولا
يتحمل مشاق الطاعات والضرير فعيل بمعنى مفعول من الضر بالضم وهو الفاقة
والفقر وسوء الحال والشدة قال الازهري كل ما كان من سوء حال وفقر وشدة
في بدن فهو ضر بالضم وما كان ضد النفع فهو بفتحها وقيل هو بالضم اسم وبالفتح
مصدر وذل ذلا من باب ضرب فهو ذليل والاسم الذل بالضم والذلة بالكسر
وحقر الشيء بالضم حقارة هان قدره فلا يعبأ به فهو حقير والمهين فعيل من
المهانة قال في الاساس مهن مهانة حقر فهو مهين وقال الطبرسي المهين الضعيف
الحقير وقيل المهين الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج اليه ليس له من يكفيه
اسم انتهى والفقير فعيل بمعنى فاعل يقال فقر يفقر من باب تعب اذا قل ماله واختلج

قال ابن السراج ولم يقولوا فقر بالضم استغنوا عنه بافتقر وقال بعضهم وقيل الفقر
عند اهل التحقيق الفاقة وقلة المال بل هو الحاجة الى الله ثم والاستغنا وبرز عن غيره
هذا المعنى هو المراد هنا والخائف فاعل من خاف يخاف خوفا وخيفة ومخافة
الخوف انزعاج توقع حلول مكروه او فوات محبوب فمعنى الخائف هنا الخائف من حلول
عقابك وفوات ثوابك واستجاره طلب منه ان يجيره اي يؤمنه مما يخاف فهو
مستجير اي المستجير بك منك اللهم صل على محمد وآله ولا تجعلني ناسيا لذكرك
فيما اوليتني ولا غافلا لاحسانك فيما ابليتني ولا آيسا من اجابتك لي وان ابطأت
عني في سراء كنت او ضراء او شدة او رخاء او عافية او بلاء او بؤس او نعماء
او جدة او لاواء او فقر او غنى النسيان نقيض الذكر وقد يطلق على الترك
اي لا تجعلني غير حافظ او تاركا لذكرك وقوله فيما اوليتني متعلق بقوله ناسيا
او بذكرك وفي ظرفية مجازية وما اسم موصول والعائد محذوف اي فيما اوليتنيه
واوليته معروفا اعطيته اياه والغفلة غيبة الشيء عن البال وقد يستعمل في ترك
الشيء اهمالا واعراضا كما في قوله تعالى وهم في غفلة معرضون وعدى غافلا باللام وحقه
ان يعدى بعن فيقال غفلت عنه لتضمينه معنى النسيان وباب التضمين واسع جدا
ومنه قوله تعالى الرفث ضمن معنى الافضاء فعداه بالى مثل وقد افضى بعضكم الى بعض
واما اصل الرفث ان يتعدى بالباء يقال رفث فلان بامرأته اي ولا تجعلني غافلا
عن شكر احسانك كما في نسخة اخرى والابلاء الانعام والاحسان ومنه حديث من
ابلي فذكر فقد شكر وحديث كعب ما اعرف احدا ابلاه الله احسن مما ابلاني قال
قال القتيبي يقال من الخير ابليته ابلاء ومن الشر بلوته ابلوه بلاء والمعروف
ان الاكثر بان الابلاء يكون في الخير والشر من غير فرق بين فعليهما ومنه ونبلوكم
بالشر والخير فتنة واصل البلاء والابلاء الاختبار والامتحان بلوته وابليته

والتثليث جميعها بمعنى وهو تعالى يبلو بالخير والشر يكون بمعنى المكروه لمقابلة
ذكر الاحسان بعين كونه بمعنى الخير لانا نقول كون معنى المكروه ايضا يستلزم
الاحسان لانه اذا قوبل بصبر جميل استلزم ثوابا جزيلا كما قال تعالى وبشر الصابرين
الاية وظاهر ان سبب الاحسان احسان والآيس اسم فاعل من ايس بايس من باب
علم قال ابن السكيت ايست منه ايس ياسا لغة في يئست منه اياسا ويأسا بمعنى
واحد وقال صاحب المحكم واما ايس واياس فلا حينئذ مقلوبة عن الاولى لانه لا مصدر
لايس ولا يحتج باياس اسم رجل فانه فعال من الاوس وهو العطاء كما يسمى الرجل عطية
ووهبة لكن صاحب القاموس جعل الاياس مصدر الآيس فقال ايس منه كسمع اياسا
قنط انتهى ويشهد له ما وقع في شعر بعضهم وهو شعر مازلت احفظ عهدا
وجاهدا • حتى بلغت القوم بعد اياس • ويروى الحمون بليلى • يقولون عن ليلى
ولست في الصبر وانى لاهواها وانى لايس هوى واياس كيف صممها القصد
وان من قوله وان ابطأت عنى فلا تجعلنى ايسا الجملة معطوفة على اخرى مثلها
اى ان لم تبطئ عنى وان ابطأت عنى وقد المر حذفها للدلالة المذكورة
عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المنافى فلان يتحقق مع عدمه اولى وعلى هذه
النكتة بدور سائر الوصلية ولو الوصلية مما تاكيد وقد مر تحقيقه في الرباعى
السابعة والسراء المسرة والخير والضراء الشدة والنقص في الاموال والانفس وكذا
الطيبي في قوله يحمدون الله في السراء والضراء اى في جميع الاحوال قوبل الضراء بالسراء
لمزيد النعيم والمقابلة الحقيقية السرور والحزن وقال الجوهري السراء الرخاء
وهو نقيض الضراء واعلم ان السراء والضراء والباساء والنعماء كلها اسماء مؤنثة
وعين تذكيرها والظرف من قوله في سراء مستقر متعلق بمحذوف خبر لكنت قدم
عليها جوازا وقال بعضهم احسن ما يستشهد به على جواز تقديم خبر كان عليها

بيت الوجهين

بيت الوجهين • اعلموا انى لكم حافظ • شاهدا ما كنت او غائبا • وجملة
كنت او غائبا • وجملة كنت حال من مفعول لا تجعلنى نحو اضربه قام او قعد و
التقدير كنت في سراء او ضراء اى كائنا على كل حال هذا قول الجمهور وقال الرضي
قيل ان الماضي في نحو قولهم اضربه قام او قعد حال ويجب تجرده من قد ظاهرة
ومقدرة والاولى انه شرط لا حال اى ان قام او قعد ولو كان حالا لسمع معه
قد او الواو كما في غيره من الماضي الواقع حالا والدليل على انه شرط افادة الماضي في
مثل ذلك معنى المستقبل وما ذلك الا لتضمنه معنى الشرط ومفهوم كلامهم ان الجملة
على تقدير الشرط لا يكون حالا وهو خلاف ما نص عليه ابن هشام حيث قال و
يجوز في الجملة الشرطية ان تقع حالا اذا شرط فيها الشيء ونقيضه نحو لاضربنه
ان ذهب وان مكث انتهى على انهم صرحوا بانه انما وجب ترك الواو في جملة
الحال من نحو اضربه قام او قعد لانها في قوة فعل الشرط اى اضربه ان قام
او قعد وما وقع لبعضهم من ان قوله في سراء متعلق بكائن مقدر حال من
لا تجعلنى وكنت مبين وموضح للمحذوف فيه ان متعلق الظرف الواجب
الحذف لا يحتاج الى مبين وموضح وان المفسر يجب ان يكون مثل المحذوف
صورة كما نصوا عليه فجعل كنت مفسرا لا وجه له والشدة بالكسر اسم من
الاشتداد يقال هو في شدة من العيش اى في ضيق وقلة والرخاء بالمد
اتساع العيش والعافية السلامة من جميع المكروهات الظاهرة والباطنة
في الدين والدنيا والبلاء هنا بمعنى المكروه لمقابلته للعافية والبؤس
بالضم الفقر وشدة الحاجة يقال بئس من باب سمع بؤسا بالضم اذا اشتدت
حاجته والنعماء بالفتح والمد والنعمى بالضم والقصر النعمة قال صاحب المحكم
النعيم والنعماء والنعمى والنعمة كله الخفض والدعة والمال وفي الحديث كالعدة

الغنى يقال وجد يجد وجدا بالضم والكسر لغة وجدة اى استغنى والللاواء الشدة
وضيق المعيشة والفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج اليه اما فقد ما لا يحتاج اليه
فلا يسمى فقرا والغنى بالكسر والقصر اليسار وو فور المال وفى رواية وغناه
بالفتح والمد وهو الاكتفاء يقال ليس عنده غناء اى ما يغنيني به اى يكتفى
اللهم صل على محمد واله واجعل ثنائى عليك ومدحى اياك وحمدى لك فى كل حالاتى
حتى لا افرح بما اتيتنى من الدنيا ولا احزن على ما منعتنى فيها واشعر قلبى تقواك و
استعمل بدنى فيما تقبله منى واشغل بطاعتك نفسى من كل ما يرد على حتى لا احب شيئا
من سخطك ولا اسخط شيئا من رضاك الثناء لغة وصف الشئ بخير او شر ومنه الحديث
من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار و
خص عرفا بالخير هو نشر المحامد باللسان وقيل وصف الشئ بما يشعر بتعظيمه
والمدح الوصف بالجميل الاختيارى وغيره اذ لم يكن الموصوف ولا يقول
مدحته على حسنه كما تقول مدحته على احسانه وتقول مدحت هذا الدر الثمين
كما تقول مدحت هذا الحر الاسين والحمد الوصف بالجميل الاختيارى على قصد التعظيم
وقال الزمخشرى الحمد والمدح اخوان فقيل يعنى من جهة الاشتقاق الكبير
وقيل بل بمعنى الترادف لقوله فى الفايق الحمد هو المدح والوصف بالجميل وضعف
بان الاستعمال لا يساعده بل يشهد بخلافه وقد قسموا الحمد الى لغوى وهو ما تقدم
والى عرفى وهو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما اعم من ان يكون فعل
اللسان او الاركان والى قولى وهو حمد اللسان وثناؤه على الحق بما اثنى به على نفسه
على لسان انبيائه والى فعلى وهو الاتيان بالاعمال البدنية ابتغاء لوجه الله
والى حالى وهو الذى يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية
والعملية والتخلق بالاخلاق الالهية والظرف من قوله فى كل حالاتى مستقر فى محل نصب على

انه مفعول

انه مفعول بان لا اجعل لان معنى صير المتعدى الى مفعولين وحتى تعليلية من قبيل
لكى اى اجعلنى شغلى لثنائك ومدحك وحمدك دائما كيلا يداخلنى فرح بما اتيتنى
من الدنيا ولا حزن على ما منعتنى فيها وفى رواية منها وهو الانسب قوله عليه السلام واشعر قلبى
تقواك اى غش قلبى بتقواك والبسه اياها قال الاساس شعرته شعارا غشاه به والاشعار
الباس الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد والدثار فوقه قالوا سمى شعارا لانه يلى شعر الجسد
يقال اشعره الشعار اذا البسه اياه قال صاحب المحكم قال بعض الفصحاء اشعرت نفسى تقبل
تقبل امره وتقبل طاعته فاستعمله فى العرض انتهى ويجوز ان يكون معنى اشعر قلبى
تقواك اخالطه بها من قولهم شعرت شانا اذا خالطه به او الزق بقلبى تقواك من قولهم
اشعر الرجل همّا اذا الزق به كالزق الشعار وكل هذه المعانى دائرة
الى الشعار من حيث اتصاله وملابسته لبدن الانسان وانما خص القلب باشعاره التقوى
لان مركزها القلب اذا ثبتت فيه وتمكنت ظهر اثرها فى سائر الاعضاء فهو الذى عليه
مدارها ومنه مبدأ ظهورها ولا عبرة بما يظهر من اثارها على سائر الجوارح دونه ولذلك
اضافها سبحانه الى القلوب فقال ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب
عليه السلام قوله واستعمل بدنى فيما تقبله منى وفى العمل الذى تقبله منى و
قبول الله تعالى على العبد عبارة عن كون العمل بحيث يرضاه سبحانه ويثيب عليه
والاول للذهب العارفين من الثانى شبه الفعل من العبد بالهدية والثواب من
الله تعالى عليه ورضاه بالقبول ومدار القبول على الاخلاص فى العمل حتى قيل
ان طلب القبول كناية عن جعله مقرونا بالاخلاص قوله عليه السلام واشغل
بطاعتك نفسى الى اخره سال عليه السلام ان يجعل سبحانه نفسه متفرقة فى طاعته
ثم مستوجبة بكليتها عن كل ما يوجب الالتفات عن حضرته المقدسة والاهتمام
بعلائق احوال الدنيا الواردة عليه من حيث هو لتكون هواه وارادته فيما اراد الله

تعالى وقدره وقضائه فلا يحب الا ما احبه الله ولا يسخط الا ما سخط الله وهو مقام
الرضا بالقضاء ومجرد كون شغل النفس بالطاعة عن كل وارد عليها علة وسببا
للرضا والتسليم ان النفس اذا كانت مستغرقة في طاعته سبحانه معرضة عن الالتفات
الى غيره حصل لها الزهد الحقيقي في الدنيا فيقرب من الحق فيحصل له مرتبة اليقين
بالله وبكماله وحسن فعاله واليقين يوجب المحبة فيحصل له الرضا لان الرضا لازم
للمحبة وتابع لها وبالجملة السالك اذا اشتغل بما يعنيه وترك ما لا يعنيه حقيقة
وصل الى مقام المشاهدة الذي هو عين اليقين واذا وصل الى هذا المقام استولت
على قلبه المحبة التامة واذا حصلت له المحبة ثبت في مقام الرضا فيرضى كل ما
صدر ويصدر منه تعالى كما هو شان المحب مع محبوبه فلا يحب شيئا مما احبه بل
يستقبل احكامه بالفرح ولا يكون كنفسه منها منقبض واهل الرضا يرون من الرضا
ان لا يذم شيئا ولا يعيبه ولا يسخط ما اراده وتجري مواده ولا يزري على ما ابدعه
وخلقه وصنعه بل يشاهد الصانع في جميع ما صنعه بل لا ينبغي ان يقول العبد
هذا يوم شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة ولا
العيال هم وتعب ولا الاحتراف كد ونصب ولا يعقل بقلبه من ذلك مثلا يقوله بلسانه
بل يصفي القلب ويسلم اللسان وتطيب الروح وتسكن النفس ويستلم العقل لوجود
حلاوة القضاء والتقدير واستحسان محكم التدبير قال انس بن مالك خدمت النبي
صلى الله عليه واله عشر سنين ما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا
فعلته ولا قال لشيء كان ليته لم يكن ولا لشيء لم يكن ليته كان وكان يقول
لو قضي لكان وقد تقدم في الرياض السابقة كلام في الرضا وسيأتي ان شاء الله
تعالى تمام الكلام عليه اللهم صل على محمد واله وفرغ قلبي لمحبتك واشغله بذكرك
وانعشه بخوفك وبالوجل منك وقوه بالرغبة اليك وامله الى طاعتك وا[جر به]

٤٤٧

في احب السبل اليك وذلله بالرغبة اليك فيما عندك ايام حياتي كلها
قد تقدم الكلام على محبة العبد لله تعالى ومحبته سبحانه للعبد في الروضة الثانية
بما يغني عن اعادته هنا والمراد بتفريغ قلبه لمحبته جعله خاليا عن محبة غيره
بحيث لا يكون لغير محبته مدخل فيه ولا الامر فيه بل تكون محبته مستغرقة
له عن الالتفات والاشتغال بغيرها ولما كانت المحبة الصادقة مستلزمة لمحبة
ذكر المحبوب وملازمته بحيث لا يصبر عنه لمحبته سال عليه السلام ان يشغل قلبه بذكره
الذي هو ملزوم المحبة الصادقة ثم لما كان من لوازم صدق المحبة الرهبة والرغبة
والانقياد والطاعة وسلوك سبيل الرضا سال عليه السلام ان يشغل قلبه بذكره الذي
هو ملزوم المحبة الصادقة ثم لما كان من لوازم صدق المحبة الرهبة والرغبة
والانقياد والطاعة وسلوك سبيل الرضا سال عليه السلام سائر لوازمها ليتم له
صدق محبته وبيان ذلك ان المحبة مع تصور هيبة المحبوب تقتضي الرهبة والخوف
والوجل منه ومع تصور رحمته ورافته تقتضي الرغبة اليه والطمع فيما عنده وتوخي
تحري موافقته والاذعان له تقتضي طاعته والانقياد له والسعي في سبيل مرضاته
ولما كان ثمرة الخوف الجهد في اكتساب الخيرات والمبادرة الى سلوك طريق المبرات
والسعي في تلافي ما فات سال عليه السلام انعاشه تعالى قلبه به اي تداركه به مما تورط
فيه من الذنوب والتقصير قال الزمخشري في الاساس نعشه فانتعش اذا تداركه
من ورطة والوجل بالتحريك الفزع والخوف والرغبة الى الله تعالى الابتهال اليه
والضراعة له والمسالة منه وامله الى طاعتك اي اصرفه اليها واعدل به
نحوها او اجعله مائلا اليها اي محبا لها من مال اليه بمعنى احبه واجر به اي اجعله
جاريا وساعيا في السبيل التي هي احب السبل اليك والمراد بها الطريق الموصلة
اليه تعالى ولما كانت سبيل الهدى متفاوتة بتفاوت العلم به سبحانه والمعرفة له تعالى

سال عليه السلام ان يسلك به اعظم السبيل المحبوبة له المرضية عنده و ذلل الذآ
تذليلا راضها حتى سهلت وانقادت ولما كان القلب جامحا عن الرغبة في
الاجل طامحا الى الرغبة في العاجل شبهه بالدابة الجموح فاستعار له التذليل و
سال ع ان يجعله سهلا منقادا في سلوك طريق الزهد عن المقتنيات الفانية
والغنا فيما عند الله من الرغائب الباقية وقوله ايام حياتي كلها متعلق بجميع الا
المذكورة على طريق التنازع ولما كانت الكمالات البشرية قد تزول بعدم
المحافظة ولذلك قال العارفون الخايفون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا سال
عليه السلام ان يجعل ذلك مستمرا ايام حياته كلها والله اعلم واجعل تقواك من الدنيا
زادي والى رحمتك رحلتي وفي مرضاتك مدخلي واجعل في جنتك مثواي وهب
لي قوة احتمل بها جميع مرضاتك واجعل فراري اليك ورغبتي فيما عندك ٥٥
التقوى في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية من المحذورات وباؤها منقلبة
عن واو وعند اهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وقيل هي وقاية
النفس عما يضر في الآخرة من اعتقاد وعمل وخلق وقد سبق الكلام فيها مبسوطا والزاد
الطعام الذي يتخذ للسفر ولما كان الزاد انما يعد ليقوى به الطبيعة على الحركات
الحسية وكانت تقوى الله تعالى مما تقوى به النفس على الوصول الى جناب المقدس
استعار لها لفظ الزاد لما بين المعنيين من تمام المشابهة الذي يقرب معه
اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون حسن الاستعارة وقد نطق
التنزيل المجيد بهذه الاستعارة حيث قال سبحانه وتزودوا فان خير
الزاد التقوى قال بعض العارفين ليس السفر من الدنيا اهون من السفر الى الدنيا وهذا لا بد له من زاد
فكذلك بل يزداد فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد
الآخرة ينجيك من عذاب ابدي معلوم زاد الدنيا يوصلك الى متاع الغرور

فزاد الآخرة يبلغك دار السرور زاد سبب حظوظ النفس وزاد الآخرة سبب الوصول الى
عتبة الجلال والقدس ٥ اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ٥ وابصرت بعد الموت من
قد تزودا ٥ ندمت على ان لا تكون كمثله ٥ وانك لم ترصد كما كان ارصدا ٥ والرحلة
بالكسر اسم من الارتحال قيل وقد تضم والصواب انها بالكسر الارتحال وبالضم الوجه
الذي تقصده يقال قربت رحلتنا بالكسر اي ارتحالنا وانت رحلتنا بالضم اي المقصد
الذي نقصده وترحل اليه رحل القوم من باب منع وارتحلوا وترحلوا ساروا
استعار عليه السلام لفظ الرحلة للانتقال الى الدار الآخرة والمصير اليها لان الرحلة
عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بقدم الجسم والانتقال الى الآخرة عبارة عن المراحل
المعقولة بقدم العقل فكان بينهما تمام المشابهة والمرضاة الرضا قال تعالى الا ابتغاء
مرضات الله اي رضاه والمدخل مصدر ميمي بمعنى الدخول يقال دخلت الدار ونحوها
دخولا من باب قعد ومدخلا اذا صرت داخلها وفي ظرفية مجازية والمثوى المنزل
من قولهم ثوى بالمكان يثوى ثواء بالمد اذا قام وفي هذه الفقرات الاربع من البديع
مراعاة النظير ويسمى بالتناسب وهو ان يجمع المتكلم بين لفظين او الفاظ متناسبة
المعاني كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره فالشمس والقمر والنجوم
متناسبة بمعنى من حيث اشتراكها في وصف مشهور وهو الانارة والتناسب في الدعاء
جمعه عليه السلام بين الزاد والرحلة والمدخل والمثوى ومن لطيف شواهد هذا النوع قول
بعضهم في آل الرسول عليهم السلام شعر انتم بنو طه ونون والضحى ٥ وبنو تبارك
والكتاب المحكم ٥ وبنو الاباطح والمشاعر والصفا ٥ والركن والبيت العتيق وزمزم ٥
فانظر حسن التناسب في البيت الاول بين اسماء السور وفي الثاني بين الجهات الحجازية والقوة
تعود الى كمال القدرة ويقابلها الضعف والمراد سؤال افاضة قوة على استعداد تقوى
بذلك على قهر النفس الامارة بالسوء ويستعد للقيام بجميع مراضي الحق عز شانه وقد

تقدم الكلام على الضراعة اليه سبحانه والرغبة فيما عنده في اوائل هذه الروضة **والبس قلبي**
الوحشة من شرار خلقك وهب لي الانس بك وباوليائك واهل
طاعتك الوحشة من الناس الانقطاع والنفور وبعد القلوب من
المودات ورجل شراي ذو شر وقوم اشرار وشرار والشر السوء والفساد والظلم
والانس بالضم اسم من انس به وزان سمع اذا سكن اليه ولم ينفر عنه والمراد بشرار خلقه
اعداؤه واهل معصيته كما تقتضيه المقابلة وهم طبقات فمنهم الكافر والمبتدع
ومنهم اهل المعصية التي فيها اضرار الخلق كالظلم وشهادة الزور ومنهم اهل الذنب
التي لا يتعدى ضررها كشرب الخمر وترك الصلوة وكل هؤلاء يجب النفور عنهم و
عدم السكون اليهم لان النفس من طبعها الميل الى الشر وفي تميل الى طبع الصاحب
من غير ان تستشعر بصدوره بما يصدر عنه من المنكرات وبالعكس من ذلك اذا كان
الجليس والانيس وليا لله مطيعا له زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وآله المرء على دين خليله وقرينه وقد عقد الراغب في
كتاب الذريعة بابا للحث على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار فقال حق الانسان
ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة الاخيار فهي قد تجعل الشرير خيرا كما ان مصاحبة
الاشرار فقال حق الانسان ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة الاخيار فهي قد تجعل الشرير
خيرا كما ان مصاحبة الاشرار قد تجعل الخير شريرا قال بعض الحكماء من صحب خيرا
اصابته بركته فجليس اولياء الله لا يشقى وان كان كلبا ككلب اصحاب الكهف
حيث قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولهذا اوصت الحكماء بمنع الاحداث
من مجالسة السفهاء وقال امير المؤمنين صلوات الله عليه وآله لا تصحب الفاجر فيزين
لك فعله ويود لو انك مثله وقيل جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم
من حين نطقه وقالوا اياك ومجالسة الاشرار فان طبعك يسرق من طبعهم وانت

لا تدري

لا تدري بل قد قال النبي صلى الله عليه وآله مثل الجليس الصالح كمثل الداري ان لا يحذيك
من عطره يعلقك من ريحه ومثل الجليس السوء كمثل القين ان لا يحرقك بناره
يؤذك بدخانه وقال عليه الصلوة والسلام المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل
اي يجذبه خليله الى دينه ومن قوة هذا المعنى في النفوس شاع على الالسنة قول
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي وليس اعداء
الجليس جليسه بمقاله وفعاله فقط بل بالنظر اليه فالنظر الى الصور يؤثر في
النفوس اخلاقا مناسبة لخلق المنظور فان من دامت رؤيته لمسرور سر و
للمحزون حزن وليس ذلك في الانسان فقط بل في الحيوانات والنبات فالجمل الصعب
قد يصير ذلولا بمقارنته الجمال الذلل والذلول قد يصعب بمقارنة الصعاب
والريحانة الغضة تذبل بمجاورة الذابلة ولهذا يلتقط اصحاب الفلاحة الرمم
عن الزروع لئلا تفسدها ومعروف ان الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة
اذا قربت منها وذلك مما لا ينكره ذو تجربة واذا كانت هذه الاشياء قد بلغت
من قبول التأثير هذا المبلغ فما الظن بالنفوس البشرية التي موضوعها القبول لصور
الاشياء خيرها وشرها فقد قيل سمي الانسان لا انه يانس بما يراه ان خيرا وان
شرا وهذه جملة كافية في هذا المعنى والاخبار كثيرة جدا من ذلك ما روي
عن عيسى بن مريم عليهما السلام انه قال صاحب الشر يعدي وقرين السوء يردي فانظر
من تقارن وقال تقارب وقال لقمان لابنه يا بني من يقارن الفاجر يتعلم من طرقه
ومن يقارن قرين السوء لا يسلم وعن امير المؤمنين عليه السلام لا ينبغي للمسلم ان
يواخي الفاجر فانه يزين له فعله ويحب ان يكون مثله ولا يعينه على امر دنياه
ولا معاده ومدخله ومخرجه من عنده شين عليه وعنه ع قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله انظروا من تحادثون فانه ليس من احد ينزل به الموت الا مثل له اصحابه الى الله

ان كانوا خيارا وان كانوا شرارا فشرارا وليس احد يموت الا تمثلت له عند موته وعن ابى عبد الله عليه السلم لا تصحبوا اهل البدع ولا تجالسوهم فتصروا عند الناس كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه واله المرء على دين خليله وقرينه ولا تجعل لفاجر ولا كافر على منة ولا له عندى يدا ولا لى اليهم حاجة بل اجعل سكون قلبى وانس نفسى واستغنائى وكفايتى بك وبخيار خلقك اللهم صل على محمد واله واجعلنى لهم قرينا واجعلنى لهم نصيرا فجر العبد فجورا من باب قعد عصى وفسق وكذب وزنا فهو فاجر قال الزمخشرى فى الفائق واصل الفجر الشق وبه سمى الفجر فلقا والعاصى فاجرا لانه شاق لعصا الطاعة وعرّفوا الفجور بانه هيئة حاصلة للنفس بها يباشر امورا على خلاف الشرع والمروة وكفر بالله يكفر من باب قتل كفرا وكفرانا بعضهما جحده واصل الكفر التغطية والستر يقال الليل كافر لانه يستر الاشياء بظلمته وفلان كفر النعمة اذا سترها ولم يشكرها والكفر فى الشرع عبارة عن جحد ما اوجب الله تعالى معرفته من توحيده وعدله ومعرفة نبيه وما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك كان كافرا وقيل هو انكار ما علم بالضرورة مجئ الرسول عليه السلم به والمنة النعمة اسم من منّ عليه بمعنى انعم او من منّ عليه بمعنى عدّد له ما فعله معه من الصنايع مثل ان يقول اعطيتك وفعلت لك وهو تكدير وتعيير تنكسر منه القلوب فلهذا نهى الشارع عنه بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والاذى ومنه قولهم المنة تهدم الصنيعة وكلا المعنيين محتمل هنا واليد النعمة والاحسان سميت باسم الجارحة لان العطا يكون بها قال فى الاساس ومن المجاز لفلان عندى يدٌ والبا من قوله بى للالصاق مثلها فى قولهم به دار والضمير من قوله اليهم عايد الى الفجار والكفار والجمع مفهوم من اقتضا النكرة فى سياق النفى للعموم وقدم الفاجر على الكافر لان الفاجر اكثر لانه يعم الكافر وغيره واقتدا بالقران المجيد حيث قدم الوصف بالفجور على الوصف بالكفر فقال ولا يلدوا

الا فاجرا كفارا هذا ولما كانت النعمة والاحسان مما يستعبد الانسان والحر يصعب عليه ان يستعبد بالرهن عند الفاجر والكافر فكيف بهما سال عليه السلم ان ينزهه عن منة الفاجر والكافر واحسانهما ولا يضطره الى الحاجة اليهما وايضا فان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والميل الى من انعم عليها كما قال ابو الطيب وكل امرء يولى الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب فسال عليه السلم ان لا يجعل لفاجر ولا كافر عليه نعمة واحسانا لئلا يميل قلبه الى واحد منهما وان لا يكون له اليهم حاجة فيضطر الى التواضع لهم واستعطافهم وفى الحديث عن ابى عبد الله عليه السلم قال قال رسول الله صلى الله عليه واله لو اهدى الى كراع لقبلت وكان ذلك من الدين ولو ان كافرا او منافقا اهدى الى ما قبلت وكان ذلك من الدين ابى الله تعالى زبد الكافرين والمنافقين وطعامهم قال بعض العلما الزبد بسكون البا الموحدة الرفد والعطا وانما لم يقبل هديتهم لان للهدية موضعا من القلب كما قال عليه السلم تهادوا تحابوا ولا يجوز ان يميل بقلبه الى كافر او منافق وعنه صلى الله عليه واله لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانا احدثهما او حيث لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الاية وهو صريح فيما ذكر وعن ابى عبد الله عليه السلم انه قال اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقووه بالتقية والاستغناء بالله انه من خضع لصاحب سلطان ولمن يخالفه على دينه طالبا فى يديه من دنياه احمله الله ومقته عليه ووكله اليه فان هو غلب على شئ من دنياه فصار اليه منه شئ نزع الله البركة منه ولم ياجره على شئ ينفقه فى حج ولا عتق ولا بر وهذا الحديث رواه شيخ الطايفة فى اوايل كتاب المكاسب من التهذيب بطريق حسن او صحيح قوله عليه السلم بك وبخيار خلقك طرف مستقر اى كاينا بك وهو مفعول ثان لاجعل ومعنى سكون القلب وانس النفس به تعالى الاطمينان الى كرمه وعطايه والابتهاج بمشاهدة انوار كبريايه ولما كان الانسان مدنيا بالطبع فلم يكن له بد من معاشرة ابناء جنسه ومعاونتهم سال عليه السلم

ان يجعل ذلك بخيار خلقه احترازا عن شرارهم كما ورد في دعاء اخر اللهم انى اسالك الغنى من شرار الناس وفي الحديث ان رجلا قال لابي عبد الله عليه السلم جعلت فداك ادع الله ان يغنيني عن خلقه قال ان الله قسم رزق من شاء على يدي من شاء ولكن سل الله ان يغنيك عن الحاجة التي تضطرك الى لئام خلقه قوله عليه السلم واجعلني لهم قرينا واجعلني لهم نصيرا القرين الصاحب والخليل الذي المقارن يتبع امر صاحبه ويوافقه عليه من قرنت الشي بالشي اذا شددته اليه ووصلته به فهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح والنصير الناصر وهو المؤيد والمقوي فعيل بمعنى فاعل وفي الحديث من حق المومن على المومن النصرة له على من ظلمه والفرق بين القرين والنصير ان القرين قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا غير مقارن وامنن علي بشوق اليك وبالعمل لك بما تحب وترضى انك على كل شيء قدير وذلك عليك يسير الشوق لغة نزاع النفس الى الشي وعرفا قيل هو اهتياج القلب الى لقاء المحبوب وقال النصير الطوسي قدس سره في بعض رسايله الشوق ادراك لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة وهي حال السلوك بعد اشتداد الارادة يكون ضروريا وربما كان حاصلا قبل السلوك وذلك اذا حصل الشعور بكمال المطلوب ولم تنضم اليه القدرة على السير وقل الصبر على المفارقة قال وكلما ترقى السالك في سلوكه كثر الشوق وقل الصبر حتى يصل الى المطلوب فيتخلص حينئذ لذة نيل الكمال من الالم وينتفي الشوق وقد يسمي ارباب الطريقة مشاهدة المحبوب شوقا باعتبار ان المشاهدة طالبة لمرتبة الاتحاد وهو لم يصل اليها بعد واتبع طلب الشوق بطلب العمل لان العمل من لوازم الشوق الصادق فان من صدق شوقه الى محبوبه اجهد نفسه في الاعمال الموصلة اليه وبالغ فيما يحبه ويرضاه ويكون عليه لو عقد نحو شوقه اليه فسال عليه السلام العمل له تعالى بما يحب ويرضى

ليتم صدق شوقه اليه ويصل الى لذة الوصل الخالصة من الم الفراق عليه السلم انك على كل شي قدير وذلك عليك يسير تعليل للدعاء ومزيد استدعاء الاجابة والمراد بالشي هنا الممكن موجودا كان او معدوما ويقتضيه اختصاص تعلق القدرة به كما مر بيانه في اوايل الروضة الثانية والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل والقدير الفعال لكل ما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري تعالى ومعنى قدرته على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شاء الله ابقاه ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في الروضة الاولى في شرح قوله عليه السلم وفتح لنا ابواب العلم بربوبيته وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته تعالى على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشاء لم يوجده وقوله وذلك عليك يسير اي ما ذكر من المسئولات عليك هين لا صعوبة فيه لاستغنائك عن الاسباب وتحقق قدرتك التامة والله اعلم هذا اخر الروضة الحادية والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين صلوات الله عليه وعلى ابائه وابنائه الطاهرين وقد وفق الله

لاتمامها واحتلاد وبدر

تمامها عصر يوم

الخميس لتسع خلون

من شهر ربيع الاول

احد شهور سنة

احدى وماية

الف فقلم مولفها

العبد الضعيف علي

الحسيني كان الله

له وعفا الله

عنه ثم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكافي كل بلاء محذور المدعو عند الشدة والجهد وتعسر الامور والصلوة والسلام على نبيه المبعوث بالكتاب المسطور وعلى اهل بيته اهل البيت المعمور وبعد فهذه الروضة الثانية والعشرون من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الثاني والعشرين من صحيفة سيد العابدين صلوة الله عليه وعلى ابائه وابنائه الطاهرين املاء راجي فضل ربه السني علي صدر الدين الحسني الحسيني افاض الله عليه سجال الكلاء وكفاه كل جهد وبلاء وكان من دعائه عليه السلام عند الشدة والجهد وتعسر الامور اعلم ان الله جل شانه امتحن عباده في هذه الدار بالخير والشر والنفع والضر والغنى والفقر والقوة والعجز والسراء والضراء والشدة والرخاء ليعلم العبد علما يقينا انه عبد مدبر ناقص ضعيف فيتبرأ من حول نفسه وقوتها ويعتصم بحول مولاه وقوته فاذا حصل له الخير حمده وشكره واعترف باحسانه وكرمه واذا المّ به شر واصابه دعاه باضطراره فاجابه ليعلم انه العبد الذي دعا مولاه فلباه وساله فاعطاه ويصير ذلك ذريعة الى توجه نفسه بكليتها اليه والاعتماد في كل حال عليه ولذلك كان الدعاء اوثق ما يستعصم به من الافات وامتن ما يومن به من النكبات واعظم ما يتوسل به اولوا الالباب الى رب الارباب وفي كلامهم بعظائم الدعاء مفتاح الحاجات ومستروح اصحاب الفاقات وملجاء المضطرين متنفس المكروبين وكان من سنن الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين اذا نزل باحدهم كرب وبلاء فزع الى الدعاء وهذا معنى قول امير المومنين صلوة الله وسلامه عليه اذا اشتد الفزع فالى الله المفزع ولاجل هذا كان سيد العابدين واشرف الموحدين سلام الله عليه يدعو بهذا الدعاء عند الجهد والبلاء فيقول اللهم انك كلفتني من نفسي ما انت املك به مني وقدرتك عليه وعلي اغلب

تذرتى فقول

فاعطني من نفسي ما يرضيك عني وخذ لنفسك رضاها من نفسي في عافية كلفه الامر تكليفا حمله اياه على مشقة من الكلفة بالضم وهي المشقة وسمي امر الله تعالى ونهيه تكليفا لما فيه من قهر الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها وفي ذلك كلفة على النفس المتعلقة بالبدن ومن من قوله من نفسي مبينة لما من قوله ما انت املك به مني والتقدير كلفتني ما انت املك به مني من صلاح نفسي قال الرضي انما جاز تقديم من المبينة على المبهم في نحو عندي من المال ما يكفي لان المبهم الذي فسر بمن التبيينية مقدم تقديرا كانك قلت عندي شيء من المال ما يكفي ولما كان التكليف انما يتعلق بالافعال دون الذوات كان قوله من نفسي على تقدير مضاف اي من صلاح نفسي كما ذكرنا وملكت الشيء من باب ضرب احتويته قادرا على الاستبداد به فمعنى املك به مني اقدر على الاستبداد به فمعنى املك به اقدر على الاستبداد به مني وعداه بالباء لتضمينه معنى اولى وفي نسخة له وهو الاصل ولما كان العبد مكلفا باصلاح نفسه وتطهيرها من دنس المعاصي بسلوك سبيل الطاعة وتحري رضوانه وتجنب سخطه ووقايتها من الهلاك السرمدي والعذاب الابدي بالقيام بالطاعات واجتناب الشهوات وكانت قدرته على ذلك مستندة الى قدرته تعالى اذ هي مستند جميع الموجودات وكل قدرة تنتهي الى قدرته التي لا قدرة فوقها كان سبحانه اقدر على صلاح نفس عبده منه وقدرته تعالى على العبد وعلى ما كلفه به اغلب من قدرة العبد كيف وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا به وكل موجود فهو في تصريف ملكه وقدرته والفاء من قوله فاعطني فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاعطني من نفسي ما يرضيك عني اي افض على نفسي قوة استعد بها لما يرضيك عني وخذ لنفسك رضاها من نفسي اي اقهرها بصرفها عن التفاتها الى غيرك حتى ترضا ولما كان هذا المعنى بما وصل الى حد

تشتغل فیه النفس المدبرة للبدن عن النظر فی صلاح البدن وتدبیره فیودی الی
اختلال القوی البدنیة واختلال حرکاتها وعدم ضبطها فیفسد البدن او یختل
الذهن کما وقع لکثیر من المجانین والعارفین سال علیه السلم ان یکون ذلک فی عافیة
ویحتمل ان یکون الغرض من هذا القید انه علیه السلم لما سال اخذه تعالی لنفسه
رضاها من نفسه وکان ذلک عاما لکونه فی عافیة او بلاء خشی ان یکون ذلک
اظهار التجلد وایذانا بطاقة تحمله لجمیع ما یکون فیه رضاه سبحانه من عافیة وبلاء
فاحترز عن البلاء بقوله فی عافیة کما یحکی ان ابن الفارض لما انشد قوله • ربما شئت
فی هواک اختبرنی • فاختیاری ما کان فیه رضاکا • ابتلی بحصر البول فامر ان یحمل
ویطاف به علی مکاتب الاطفال وجعل یقول ادعو العمکم الکذاب وقریب من هذا
المعنی ما روی عن الصادق علیه السلم انه قال لاسحق بن عمار حین امره بالاستخارة
لتکن استخارتک فی عافیة فانه ربما خیر للرجل فی قطع یده وموت ولده وذهاب
عقله وقال بعضهم التقیید بقوله فی عافیة لدفع ان یکون رضاه سبحانه بغیر العافیة
مع الاستحقاق والله اعلم انتهی وشرط الاستحقاق لا حاجة الیه وقال شیخنا
البهائی قدس سره فی المفتاح فی معنی ما ورد فی الدعاء وخذ لنفسک رضاها من
نفسی ای اجعل نفسی راضیة بکل ما یرد علیها منک اللهم لا طاقة لی بالجهد ولا صبر لی
علی البلاء ولا قوة لی علی الفقر فلا تحظر علی رزقی ولا تکلنی الی خلقک بل تفرد
بحاجتی وتول کفایتی وانظر الی وانظر لی فی جمیع اموری الطاقة اسم
من اطقت الشیء اطاقة ای قدرة علیه فانا مطیق مثل الطاعة اسم من اطاع وعینها
واو لانها من الطوق وهو القدرة وحرف الی ویجوز ان یکون بالجهد فیتعلق بمحذوف
والی تبیین او صفة لطاقة والباء للاستعلاء بمعنی علی ای علی الجهد نحو من ان تامنه
بقنطار ای علیه والجهد بالفتح المشقة وجهد الرجل فهو مجهود یقال اصابهم قحوط

من المطر

من المطر فجهدوا جهدا شدیدا وجهد عیشهم بالکسر من باب ضرب ای نکد واشتد
والجهد بالضم فی لغة الحجاز وبالفتح ایضا المبالغة والغایة وهو مصدر من جهد
فی الامر جهدا من باب نفع اذا طلب واستقصی حتی بلغ غایته فی الطلب وارادة هذا ٤٥٣
المعنی محتملة هنا وفی روایة بالجهد مضموما قال بعض المترجمین ومعناه غیر واضح
قلت هی لغة فی الجهد بالفتح بمعنی المشقة حکاها النووی فی شرح مسلم قال
وفیه فاصابهم قحط وجهد بفتح الجیم ای مشقة شدیدة وحکی ضمها انتهی والبلاء
هنا اسم من ابتلاه الله بکذا ای اصابه بما یکرهه ویشق علیه والفقر فقدان الکفاف
وحظره حظرا من باب قتل منعه والمراد به المبالغة فی التضییق والتقلیل ووکلت
فلانا الی فلان من باب وعد الجاته الیه وفوضت امره الیه فجعلته متوکلا ومعتمدا
علیه ومنه لا تکلنی الی نفسی طرفة عین قال بعض العلماء من اعتقد جزما او ظنا بان
نفسه او احدا غیر الله تعالی ممن ینسب الیه التاثیر والقدرة هو التمکن من الفعل
وانه تام القدرة علی تحصیل مراده فان ذلک من اقوی الاسباب المعدة لان یفیض الله
تعالی علی قلبه صورة الاعتماد علی المعتقد فیه والمتوکل علیه وهذا معنی وکله الله الی
نفسه او الی خلقه انتهی وتفرد بالامر تفرد به ولم یشارکه فیه غیره ومعنی تفرده تعالی
بحاجته ان لا یجعل بینه وبینه واسطة فی قضائها بل یقضیها له ابتداء من غیر امداد
واعانة من الخلق وتولی امره قام به دون غیره وکفاه مؤنته کفایة قام مقامه فیها
واغناه عن تجشم القیام بها ونظر الله تعالی الی عبده مجاز عن رحمته له واحسانه
الیه وقلة مبالاته ونظر له رحمه ورثی له واعانه ونظر فی الامر فکر وتدبر فیه قال بعض
ائمة اللغة النظر اذا استعمل بالی یکون بمعنی الرؤیة وباللام بمعنی الرحمة وبفی بمعنی
الفکر وببین بمعنی الحکم کقولک نظرت بین القوم ای حکمت بینهم انتهی فان جعلت
النظر من قوله علیه السلم وانظر لی فی جمیع اموری بمعنی الرحمة والاعانة کان المعنی

وارحمني واعني في جميع اموري وان جعلته بمعنى الفكر والتدبر والمراد به هنا لازمه وهو الاعتناء والاهتمام فان الفكر والتدبر في الامر انما يكون عن اعتناء واهتمام به فالمعنى وانظر لاجلي في جميع اموري وكلا الجارين متعلق بانظر فانك ان وكلتني الى نفسي عجزت عنها ولم اقم بما فيه مصلحتها وان وكلتني الى خلقك تجهموني وان لجأت الى قرابتي حرموني وان اعطوا اعطوا قليلا نكدا ومنوا علي طويلا وذموا كثيرا

الفاء للتعليل وعجزت عنها اي عن القيام بشأنها واقام امر اداه كاملا ومنه اقامة الحدود والمصلحة واحدة المصالح يقال في هذا الامر مصلحة اي خير وتجهمه وجهمه كمنعه استقبله بوجه كريه من كهوله رجل جهم الوجه قال في القاموس الجهم وككتف الوجه الغليظ المجتمع السمج وقال الزمخشري في الاساس وجه جهم غليظ كثير اللحم ضيق الخلقة وهو الباسر المكربد وتجهمت الرجل وجهمته اذا استقبلته بوجه مكفهر وقيل هو ان تغلظ له في القول يقال عهمني بما اكره وجهمني به انتهى والجائه الى كذا الجأ اضطر به اليه وحرمه معروفه من باب ضرب حرما وحرمانا بكسرهما منعني وفلان محروم غير مرزوق وقليلا صفة لموصوف محذوف وهو اما مفعول به او مصدر اي شيئا قليلا او عطاء قليلا والنكد ككتف والنكد بفتحتين مثل بطل العسر الذي لا خير فيه وبالوجهين وردت الرواية في الدعاء وبهما قرئ قوله تعالى والذي خبث لا يخرج الا نكدا يقال نكد عيشهم من باب تعب اذا اشتد ولم يهنأ وعطاء مسكوذا قليل غير مهنأ وطويلا يحتمل ان يكون مفعولا مطلقا وان يكون ظرفا اي منا طويلا وكثيرا اما مفعول مطلق اي ذما كثيرا او حال اي حال كون الذم كثيرا ومدار هذا الفصل من الدعاء على بيان ان الله سبحانه اذا لم يتول امر عبده وكفايته بنفسه لم يقم بامره احد سواه ولم يكفه مؤنته غيره فهو ان وكله الى نفسه وفوض امره اليها كان عاجزا ضعيفا عن القيام بشؤونها ولا يصلحها روى ثقة الاسلام في الكافي

بسنده

٤٥٤

بسنده الى ابن ابي يعفور قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول وهو رافع يده الى السماء رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابدا لا اقل من ذلك ولا اكثر قال فما كان باسرع من ان تحدر الدموع من جوانب لحيته ثم اقبل علي فقال يا ابن ابي يعفور ان يونس بن متى وكله الله عز وجل الى نفسه اقل من طرفة عين فاحدث ذلك الذنب قلت فبلغ به كفرا اصلحك الله قال لا ولكن الموت على تلك الحال هلاك انتهى وان وكله الى غير نفسه من اجنبي استثقله وعبس في وجهه او قريب فاما ان يمنعه معروفه كالاجنبي او تعطفه عليه القرابة فيمنحه قليلا حقيرا ويمن عليه طويلا ويذمه كثيرا وذلك لما جبلت عليه الانفس من الشح والبخل لان الشح غريزة في النفس مقتضية للحرص على المنع وحب المال وبغض الانفاق ولذلك قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون فبفضلك اللهم فاغنني وبعظمتك فانعشني وبسعتك فابسط يدي وبما عندك فاكفني الفاء فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فبفضلك اي باحسانك لا بغيره فاغنني والباء متعلقة باغنني واصل الكلام اغنني بفضلك ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة المعنى السببية فصار فبفضلك فاغنني والمعنى ان اغنائي ينبغي ان يكون مسببا عن فضلك ولازما له وفرق عليه ما بعده وانما جاز عمل ما بعد الفاء فيما قبلها مع ان لها السببية وهو ممتنع في غير هذا الموضع لوقوعها في غير موقعها فهي كالزائدة وقول بعضهم ان بفضلك متعلق بمحذوف اي عاملني بفضلك فاغنني وكذا القول في الباء في بعظمتك وبسعتك وبما عندك متعلقات بكون الافعال بعدها مستبدة عنها ليس بشيء فان هذا التقدير الذي ذكره يفوت معه معنى القصر المقصود من تقديم الظرف على متعلقه ونعشه الله نعشا من باب نفع رفعه ونعشه ايضا تداركه من مهلكة ونعشه الله وانعشه

سد فقره ونعش الربيع الناس اغاثهم وعظمته نعم عبارة عن بلوغ فوق الوهمية
التي هي سعة وجوده الى اللاتناهي بل وراء اللاتناهي وسعته تعالى عبارة عن كثرة
مقدوراته التي لانهاية لها وبسط اليد هنا كناية عن التوسعة في الخير والجود
واما عنده تعالى فعبارة عن خيرات الدنيا والاخرة والكفاية هنا بمعنى الغنى
اي بما عندك فاغنني ومنه وكفى الله المؤمنين القتال اي اغناهم عنه اللهم صل على محمد
واله وخلصني من الحسد واحصرني عن الذنوب وورعني عن المحارم ولا تجرئني على المعاصي
واجعل هواي فيما يرد علي منك وبارك لي فيما رزقتني وفيما خولتني و
فيما انعمت به علي خلص الشيء من
التلف خلوصا من باب قعد وخلاصا ومخلصا سلم ونجا ويتعدى بالتضعيف
فيقال خلصته تخليصا اي سلمته ونجاه والحسد تمني زوال النعمة المحسود الى الحاسد
وحصره حصرا من باب قتل منعه وحبسه والمراد به هنا حسم اسباب الذنوب
بعدم الاعداد لها والورع بالتحريك الكف عن المحارم يقال ورع يرع بكسرتين
ورعا بفتحتين ورعة مثل عدة فهو ورع وورعته عن الامر تورعا كففته فتورع
هو والمحارم جمع محرم كجعفر او محرمة بفتح الراء وضمها بمعنى الحرمة التي لا يحل
انتهاكها وجرا على الشيء جراءة مثل ضخم ضخامة واجترا عليه اسرع بالهجوم عليه
من غير توقف والاسم الجراة على وزن غرفة وجراته عليه بالتشديد فتجرا اي
لا تجعلني مرتكبا للمعاصي من غير مبالاة والغرض طلب التوفيق لتركها والاحتراز
منها والهوى مقصورا ارادة النفس يكون في الخير والشر والرضا سرور القلب
وقوله فيما يرد علي منك اي فيما يتصل بي من حكمك ويجري علي من قضائك
قال اهل العرفان بداية الرضا من جملة المقامات يكتسبها العبد اكتسابا ونهايته
من جملة الاحوال يوجبها الله ايجابا ومن تحلى بالرضا فقد لقي بالترحيب الاوفى

اكرم

اكرم بالتقريب الاعلى ولا يكاد العبد يرضى عن الله حتى يرضى الله عنه كما قال
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فاذا كان العبد راضيا عن الله علم بان الله
راض عنه قال موسى عليه السلام الهي دلني على عمل اذا عملته رضيت قال انك لا تطيق
ذلك يا موسى فخر موسى ساجدا متحنيا فاوحى الله اليه يا ابن عمران ان رضاي
في رضاك بقضائي قال بعضهم الرضا استقبال الاحكام بالفرح وقال اخر الرضا
باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومرح العارفين وروى ثقة الاسلام في الكافي
بسند صحيح عن علي بن الحسين عليهما السلام قال الصبر والرضا عن الله راس طاعة الله
ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما احب او كره لم يقض الله عز وجل له فيما
احب او كره الا ما هو خير له وقد سبق مزيد كلام على الرضا في الروضة السابقة
والبركة النماء والزيادة وبارك الله فيه زاد فيه ونماه فهو مبارك والاصل مبارك
فيه وخوله الله مالا بالتضعيف اعطاه وقال الجوهري خوله الله الشيء اي ملكه
اياه وفي القاموس خوله الله المال اعطاه اياه متفضلا وكانه لاحظ فيه اشتقاقه
من الخول بفتحتين وهو ما اعطاك الله من النعم والعبيد والاماء وغيرهم من
الحاشية وانعم الله عليه افاض عليه نعمة يقال انعمها الله عليه وانعم بها عليه وعرفت
النعمة بانها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى الغير واجعلني في كل حالاتي
محفوظا مكلوءا مستورا ممنوعا معاذا مجارا حفظه حفظا من باب علم منعه
من الضياع والتلف وصانه عن الابتذال وكلاه الله يكلاه مهموز بفتحتين كلاءة
بالمد والكسر حرسه ورعاه والمراد حفظه وحراسته من اسباب وسترت الشيء
سترا بي الهلاك والنقصان في الدين والبدن بالجملة ويفيض عليه من الاسباب
المعدة للحفظ والحراسة وسترت الشيء سترا من باب قتل اخفيته وستر الله عليه
اخفى مساويه عن الخلق فلم يطلع عليها غيره ومنع فلانا جاره حماه من ان يضام

وقد منع فلان صار ممنوعا محميا وعاذ بالله يعوذ عوذا اعتصم واستجار و
اعاذه الله عصمه واجاره يجيره اجارة امنه مما يخاف وحماه منه اللهم صل على محمد وآل
وامض فيّ كل ما الزمتنيه وفرضته علي لك في وجه من وجوه طاعتك او لخلق
من خلقك وان ضعف عن ذلك بدني ووهنت عنه قوتي ولم تنله
مقدرتي ولم يسعه مالي ولا ذات يدي ذكرته او نسيته هو يا رب مما قد
احصيته علي واغفلته انا من نفسي فاده عني من جزيل عطيتك وكثير ما عندك
فانك واسع كريم حتى لا يبقى علي شيء منه تريد ان تقاصني به من حسناتي او تضاعف
به من سيئاتي يوم القاك يا رب قضيت الحج والدين اديته فاذا قضيتم مناسككم
اي اديتموها فالقضاء هنا بمعنى الاداء كما في قوله تعالى فاذا قضيتم الصلوة اي اديتموها
واستعمل الفقهاء في العبادة التي تفعل خارج وقتها المحدود شرعا والاداء اذا فعلت
في وقتها المحدود وهو مخالف للوضع اللغوي لكنه اصطلاح للتمييز بين الوقتين و
القضاء مصدر في الكل والمراد به في الدعاء معناه اللغوي وهو الاداء اي وفقني
لاداء كل ما الزمتنيه وفرضته علي يقال الزمته العمل اي اوجبته عليه فالتزمه هو و
فرض الله الاحكام من باب ضرب اوجبها قيل هو عطف تفسيري لالزمتنيه ولك
ظرف لغو متعلق بفرضته او مستقر حال من مفعول فرضت اي كائنا لك او لخلق
من خلقك والوجه والجهة بمعنى والهاء عوض من الواو اي في جهة من جهات
طاعتك والظرف مستقر حال من المفروض والضعف بالضم والفتح خلاف القوة
والصحة ضعف ضعفا مثل قرب قربا وضعف ضعفا من باب قتل مثله ومنهم
من يجعل المفتوح في الراي والمضموم في البدن وفي ذلك اشارة الى كل ما الزمه وفرضه
عليه اي عن ادائه ووهن يهن من باب وعد ضعف فهو واهن في الامر والعمل و
البدن ووهنته اضعفته يتعدى ولا يتعدى فهو موهون البدن والعظم والاجود ان
يتعدى

يتعدى بالهمزة فيقال اوهنته والوهن بفتحتين لغة في المصدر ووهن يهن
بكسرتين لغة قال ابو زيد سمعت من الاعراب من يقول هما وهنوا بالكسر ونلت
الشيء انا له نيلا بلغته والمقدرة مثلثة الدال القدرة والغنى واليسار وذات
اليد عبارة عما يملك من مال واثاث وقوله ذكرته او نسيته جملتان حاليتان
اي ذاكرا كنت له او ناسيا والكلام في قوة الشرط اي ان ذكرته او نسيته ولذلك وجب
ترك الواو وتجرد الماضي عن قد ظاهرة ومقدرة وقد تقدم الكلام على ذلك
مستوفى في الروضة التي قبل هذه فليرجع اليه وقول بعضهم جملة ذكرته بيان
لما في كل ما الزمتنيه او خبر محذوف تقديره سواء ذكرته او نسيته خبط
صريح والضمير من هو عائد الى المفروض الذي هو بصدد سؤال تاديته
عنه للمقيد بضعف بدنه ووهن قوته عنه وعدم نيل قدرته وسعة
ماله وذات يده له ذاكرا له كان او ناسيا وهو مبتدا خبره الظرف المستقر
من قوله مما قد احصيته اي هو كائن مما قد احصيته والجملة مستقلة لا محل
لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها من العدم الاداء وما قيل من انها
حالية يدفعه بان المبتدا اذا كان ضمير صاحب الحال وجب كون الجملة
بالواو نحو جاء زيد وهو راكب ولا يجوز هو راكب كما نقله الرضي عن
الاندلسي ولم يحك فيه خلافا قال ولعل ذلك لكون هذه الجملة في معنى
المفرد سواء اذ المعنى جاء زيد راكبا فصدرت بالواو ايذانا من اول الامر
بكون الحال جملة وان ادت معنى المفرد انتهى والجملة في الدعاء لم يصدر
بالواو باتفاق النسخ واحصيت الشيء حفظته وعلمته اي احطت به كما وكيفا
وزمانا ومكانا وعداه بعلى لتضمينه معنى اثبت اي حصيته مثبتا علي واغفلت
الشيء اغفالا تركته اهمالا من غير نسيان وقوله من نفسي متعلق باغفلته اي

تركهما الا من قبل التفريط الناشي من نفسي لا موجب له غير ذلك يعني
به اغفاله اياه قبل ان يضعف عنه بدنه ونحو من عذر في تركه الى غير ذلك
من الاسباب التي لا يقدر معها الآن على ادائه وقول بعضهم الفعلان
تنازعا في قوله من نفسي حبط وجه واغفلته حال من مفعول احصيت بالضم
تذا او بدونه على الخلاف المشهور كقوله تعالى احصاه الله ونسوه فقوله
ونسوه حال من مفعول احصى كما صرح به المعربون وقوله عليه السلام
فادة عن جواب الشرط والفاء رابطة للجواب وما قيل من انها للسببية
جهل صريح ولداه نادية اوصله وقضاه وجزل الحطب جزالة مثل ضخم
ثم استعير في العطاء فقيل اجزل له في العطاء اذا اوسعه وعطاء جزيل
اي واسع والظرف لغو متعلق بادّه او مستقر حال من مفعول ادّه اي كاينا
من جزيل عطيتك وكثير ما عندك من الفضل والاحسان والفاء من قوله
فانك للتعليل والواسع الذي وسع غناه كل فقير ورحمته كل شيء والكريم
ذو الجود وقيل المقتدر على الجود وقيل العلي الرتبة ومنه كرائم المواشي و
قيل الغافر للذنوب وحتى بمعنى كي التعليلية متعلقة بادّه اي فادّه كيلا يبقى
وقاصصته مقاصة من باب قاتل اذا كان لك عليه دين مثل ماله عليك
فجعلت الدين في مقابلة الدين والاسم القصاص ماخوذ من اقتصاص
الاثر ويجب ادغام الفعل والمصدر واسم الفاعل فيقال قاصه مقاصة
كما يقال سارّه مسارّة ونحو ذلك وتضاعف اي تزيد من ضاعفت الشيء
وضعفته اذا زدت عليه مثله الى ما زاد لان الضعف زيادة غير محصورة يوم
لقائك تعالى عبارة عن يوم الجزاء قال التفتازاني في شرح الكشاف لا نزاع في
امتناع ملاقاة الله على الحقيقة لكن القائلين بجواز الرؤية يجعلونها مجازا

عنها بحيث لا مانع كما في حق الكفار والمنافقين واما من لا يجوز الرؤية فيفسرها
بما يناسب المقام كلقاء الثواب خاصة والجزاء مطلقا والعلم المحقق المشبه
بالمشاهدة والمعاينة اللهم صل على محمد وآله وارزقني الرغبة في العمل لك لآخرتي حتى
اعرف صدق ذلك من قلبي وحتى يكون الغالب علي الزهد في دنياي وحتى اعمل
الحسنات شوقا وآمن من السيئات فرقا وخوفا
رزق الرغبة في العمل له تعالى عبارة عن جذب القلب بالهداية الى ارادته
ومحبته والمواظبة عليه واللامان من قوله لك ولآخرتي متعلقان با
العمل ولا يلزم منه تعلق حرفي جر بمعنى واحد بمتعلق واحد من غير ابدال
وهو غير جائز لان اللام الاولى متعلقة بالعمل المطلق والثانية للتعليل
فلا اتحاد في معنى الحرفين ويحتمل ان يكون قوله لآخرتي متعلقا بارزقني ويحتمل
ان يكون حالا من العمل اي حال كونه لآخرتي واياما كان فالمقصود به
الاحتراز عن كون العمل لله لاجل الدنيا كما نشاهده من اتخاذ كثير من الناس
شعار الصالحين واعمالهم ذريعة الى اقبال الدنيا عليهم ونيل مطالبهم منها
ونجاح مساعيهم فيها واليه الاشارة بقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة
من نصيب ومثله قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ومن اراد الآخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا روي عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال معنى قوله تعالى من كان يريد العاجلة
الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي افترضه الله عليه لا يريد به
وجه الله والدار الآخرة عجل له ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له

ثواب في الاخرة وذلك ان الله سبحانه يوبخه ذلك ليستعين به على
الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه عليه قال امين الاسلام
الطبرسي في مجمع البيان فان قلت هل يجوز ان يريد المكلف بعمله
العاجل والاجل معًا قلت نعم اذا جعل العاجل تبعا للاجل كالمجاهد في سبيل الله
يقاتل لاعزاز الدين ويجعل الغنيمة تبعا وقال النظام النيسابوري
في تفسيره ذكر الله سبحانه صنفين من الناس قاصد خيرات الدنيا
وقاصد خيرات الاخرة وههنا ثلثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الاخرة
راجحا فقيل انه غير مقبول ايضا لما روي ان النبي صلى الله عليه وآله قال
حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه
غيري تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزايد داعية
خالصة لطلب الاخرة فيقع في حيز القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا
وطلب الاخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على
ان هذين القسمين ايضا لا يقبلان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض انتهى
وحتى بمعنى كي التعليلية اي كي اعرف صدق ذلك من قلبي وذلك اشارة
الى ما ذكر من الرغبة في العمل لله لاجل الاخرة وما فيه من البعد ابعد ان
منزلته وعلو طبقته ومن قلبي متعلق باعرف او بجد وقيل حال من ذلك
اي كاينا من قلبي والغرض ان يجد من نفسه صدق الرغبة في العمل لله لطلب
الاخرة وصدق الرغبة في العمل انما يتحقق بصدق الرغبة في المعمول له فكانه
عليه السلام سال حصول الاعتقاد الجازم واليقين القاطع بالامور الاخروية
لصدق رغبته في العمل لها فان الامور الموعودة من متاع الاخرة وما اعده الله
لعباده العاملين له الراغبين فيما عنده من الخيرات الباهرة امور خفيت حقايقها

عاكر

على اكثر البصاير البشرية فترى كثيرا منهم لا يخطر في باله ان يكون في الاخرة امر
زايد على هذه اللذات البدنية الحاضرة فهو يرغب في العمل لها ويجتهد في
في تحصيلها اذ لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود به والحاضر بحيث يرجح
ذلك التفاوت عند ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر
وتوهم كونه انفع واولى به اغلب عليه فيكون صدق رغبته فيه اتم وان تيقن
بعقله ان الاولى به والانفع والابقى هو متاع الاخرة فتارة يطرأ على ذلك
اليقين غفلة عنه ونسيان له بسبب الاشتغال باللذات الحاضرة والانهماك
فيها وتارة لا تحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم للذكور قويا فيعارض
ذلك اليقين بحيث يوجب في مقابلته شبهة وشكا فلذلك نقص في معه الرغبة
في العمل للاخرة والسعي لها فسال عليه السلام ان يجذب قلبه بالهداية الى الرغبة
في العمل الموجب للفوز الاخروي بحيث لا يعتريه في صدق الرغبة فيه جهل
ولا وهم ولا غفلة ولا شبهة والغلبة القهر والاستيلاء يقال غلبه من باب ضرب
غلبا وغلبا بالتسكين والتحريك فهو غالب له وانما عداه بعلى لتضمينه معنى
الاستيلاء اي حتى يكون المستولي على الزهد في الدنيا فان من صدقت رغبته
في الاخرة والعمل لها غلب عليه الزهد في الدنيا ومتاعها ولذلك قال امير المؤمنين
عليه السلام ان الدنيا والاخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب
الدنيا وتولاها ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش
بينهما كلما قرب من واحد بعد عن الاخر وهما بعد ضرتان ان ارضيت احديهما
اسخطت الاخرى وبيان ذلك ان الطالب لاحدهما بقدر توجهه في طلبها
وامعانه في تحصيلها يكون غفلته عن الاخرى وبعده وانقطاعه عنها والزهد
فضيلة تحت العفة وهو لغة ترك الميل الى الشيء واصطلاحا اعراض النفس

عن الدنيا وطيباتها وقيل هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الاخرة وقيل هو ان
يخلو قلبك مما خلت منه يدك والحسنات ما ندب اليه الشارع والسيئات
ما نهى عنه وقوله شوقا وخوفا يحتمل المصدرية والحالية والمفعول لاجله
اي فاشتاق شوقا واخاف خوفا او مشتاقا وخائفا والحالية
او لاجل الشوق ولاجل الخوف والفرق بالتحريك الخوف يقال فرق
فرقا من باب تعب فهو فرق ككتف وعطف الخوف عليه من باب عطف الشيء
على مرادفه للتاكيد وقيل هو عطف تفسيري والمراد بالشوق الشوق الى ثواب الله
تعالى وبالخوف الخوف من عقابه قال بعض العلماء ان الشوق والخوف اذا بلغا
الى حد الملكة فانهما يستلزمان دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا و
مبداهما تصور عظمة الخالق وبقدر ذلك يكون تصور عظمة وعده ووعيده
وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الشوق والخوف وهما بابان عظيمان
لجنة النعيم والجنان واصحان للوصول الى رضا الرب الكريم فان قلت ما معنى الامن
من السيئات لاجل الخوف قلت معناه عدم ارتكاب السيئات فان من لا يرتكب
السيئات خوفا من العقاب عليها فانه امن من عقابها فهو من باب اطلاق اللازم
على الملزوم وفي نسخة ابن ادريس رحمه الله وافر من السيئات بدل امن
وهو اظهر وهب لي نورا امشي به في الناس واهتدي به في الظلمات واستضيء به
من الشك والشبهات فيه تلميح الى قوله تعالى في سورة الانعام او من كان ميتا
فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج
منها قيل المراد بالنور الايمان وقيل العلم وقيل الحجج البينة والايات وقيل نور القران
والاقوال متقاربة وعن ابي جعفر عليه السلام نورا يمشي به في الناس اماما
ياتم به كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها قال الذي لا يعرف الامام انتهى

وسمي الايمان والعلم والحجة والقران والامام نورا لان الناس يهتدون بذلك
ويبصرون به من ظلمات الكفر والجهل وحيرة الضلالة كما يهتدي سائر الانوار
المحسوسة في الظلمات المحسوسة والمراد بالناس في قوله تعالى يمشي في الناس
وكذلك في الدعاء عامة الناس اي يمشي مستضيئا به فيهم فيميز بعضهم من بعض
اي يميز بين المحق والمبطل والمهتدي والضال منهم وقيل المراد بهم الكمل من الناس
وهم اولو العلم والاخلاق الفاضلة والاعتقادات الصائبة فيمشي مستضيئا
بذلك النور فيهم امنا من جهتهم لا يمكنهم ان يعترضوا عليه وقيل يمشي به ويدلهم
ويهديهم الى سبيل الحق حتى يصلوا في سيرهم الى الله تعالى منتهى منازلهم ٢
ومستقر اقدامهم ودار مقاماتهم وجملة يمشي في الاية وامشي في الدعاء اما
مستانفة لا محل لها من الاعراب والاستيناف مبني على سؤال نشا من الكلام
كانه قيل فماذا يصنع او تصنع بذلك النور فقال يمشي او امشي به في الناس واما
صفة لقوله نورا فهي في محل نصب على الوصفية والمراد بالظلمات الاعتقادات
الزائغة او الجهالات او محدثات البدع سميت ظلمات لان صاحبها لا يهتدي
لطريق الحق فهو كمن يمشي في الظلم المحسوسة فلا يهتدي للطريق ولا يامن من
ان ينال مكروها وانما وحد النور وجمع الظلمات لان الحق واحد والباطل اكثر
من ان يحصى والشك الارتياب وهو خلاف اليقين واصله اضطراب القلب
والنفس والشبهات جمع شبهة وهي ما يتوهم كونه حقا من الامور الباطلة
لتصوير الوهم لها في صورة الحق فتشبه الحق توهما وليست به ولذلك
سميت شبهة وقيل هي عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به ولهذا يسمي
المتكلمون ما يحتج به اهل الحق دليلا وما يحتج به اهل الباطل شبهة وفي
كلام امير المومنين عليه السلام وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما

اولیاء الله فضیا وهم فیها الیقین ودلیلهم سمت الهدی واما اعداء الله
فدعاؤهم الضلال ودلیلهم فیها العمی او من فی قوله من الشك والشبهات
اما بمعنی فی ای فی الشك والشبهات نحو اذا نودی للصلوة من یوم الجمعة
او للبدل ای استضیء به بدل الشك والشبهات او ابتدائیة بتضمین استضیء
معنی امتنع او انخلص ای استضیء به ممتنعا او متخلصا من الشك والشبهات
والله اعلم اللهم صل علی محمد واله وارزقنی خوف غم الوعید وشوق ثواب الموعود حتی
اجد لذة ما ادعوك له وكابة ما استجیر بك منه الغم فی الاصل التغطیة والستر ومنه
الغمام سمی به الكرب والحزن لانه یستر بهجة اللذة ویغطی علی السرور وقیل
لانه یخفی الروح وذلك ان الغم اذا وقع لزمه تكاثف الروح القلبی للبرد
الحادث عند انطفاء الحرارة الغریزیة بشدة انقباض الروح واختفائه فیحس
فی القلب بانفعال شبیه بالعصر واللمس ولذلك فسر بعضهم الغم بانه ما یلحق
الانسان بحیث یغم قلبه كانه یضیق علیه ویقرب ان یعمی علیه وفرق بینه
وبین الهم بان ما یقدر الانسان علی ازالته كالافلاس مثلا والغم ما لا یقدر
علی ازالته كفوت المحبوب وقیل الغم شامل لجمیع المكروهات والهم یختص
ما یقصده والوعید یطلق تارة علی التخویف والتهدید فقیل هو مصدر
وعده بالشر قال الفیومی فی المصباح قالوا فی الخیر وعده وعدا وفی الشر وعده
وعیدا فالمصدر فارق وقیل هو اسم من الایعاد قال الفارابی فی دیوان
الادب الوعید الاسم من اوعده یوعده اذا خوفه وتهدده ویطلق تارة علی العذاب
الموعود ومنه قوله تعالی كل كذب الرسل فحق وعید قال المفسرون ای
فوجب وحل علیهم عقابی وعذابی الموعود به مثل قوله فحق عقاب وكلا
المعنیین محتمل هنا والموعود یحتمل ان یكون اسم مفعول لصفة لمحذوف

ای نوال

٤٦٠

ای نوال الخیر الموعود ویحتمل ان یكون مصدرا بمعنی الوعد قال صاحب المحكم
هو من المصادر التی جاءت علی مفعول كالمحلوف والمرجوع فان حملت الوعید
علی معنی التهدید فالانسب حمل الموعود علی انه مصدر وان حملته علی معنی
العذاب والعقاب فالانسب حمله علی انه اسم مفعول وحتی تعلیلیة واجد
من الوجدان وهو ادراك الشیء بالقوی الباطنة وتسمی مدركاتها وجدانیات
واللذة ادراك ونیل لما هو عند المدرك كمال وخیر من حیث هو كذلك وهی
حسیة وعقلیة فالحسیة ما استند الی احدی الحواس الظاهرة او الباطنة
كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق والنور عند البصر وحضور المرجو عند الوهم
والامور الماضیة عند القوة الحافظة تلتذ بذكرها والعقلیة ما استند الی القوة
العاقلة اذ لا شك ان للقوة العاقلة كمالا وهو ادراكها المجردات الیقینیة وانها
تدرك هذا الكمال وتلتذ به وهو اللذة العقلیة اذا عرفت ذلك فلا شك
ان من جملة ما یدعو له علیه السلم ما یتعلق به اللذة العقلیة بل هو اعظم واهم
مما یتعلق به اللذة الحسیة عند مثله علیه السلم سواء كان فی هذه النشاءة
او فی النشاءة الاخرویة وعلی هذا فینبغی تعمیم الوجدان بادراك ما عدا الحواس
الخمس الظاهرة سواء كان بالحواس الباطنة او بالقوة العاقلة لیشمل الوجدان
اللذة العقلیة التی هی اعظم اللذات فقد صرح ارباب العرفان بان الذ ثمار
الجنة هی المعارف الالهیة والنظر الی وجه الله ذی الجلال والاكرام والكابة
من العقلیات الصرفة والكابة تغیر النفس وانكسارها من شدة الهم
والحزن كئب كآبة من باب علم واكتاب اكتئابا فهو كئب ومكتئب واستجاره
ان یحفظه فاجاره وهذه الحالة التی سالها ع هی التی اشار الیها امیر المؤمنین
علیه السلم فی خطبته التی وصف فیها المتقین بقوله فهم والجنة كمن قد راها

ثم فيهما منعمون وهم والنار كمن قد راها فهم فيها معذبون قال بعض العلماء وهو اشارة الى ان العارف الموقن وان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار وشقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم ونعموا فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين او حق اليقين او مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد والله اعلم

اللهم قد تعلم ما يصلحني من امر دنياي واخرتي فكن بحوائجي حفيا كلمة قد كما ذكر العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الاستجابة كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه قال الزمخشري دخلت قد لتوكيد العلم ويرجع ذلك الى توكيد الوعيد وقيل هي في ذلك للتقليل اي تقليل متعلق الفعل اي ان ما هم عليه هو اقل معلوماته سبحانه وعلى هذا فمعناها في الدعاء ان ما يصلحني اقل معلوماتك والغرض انه عندك حقير وعليك يسير والدنيا اسم لهذه الحيوة لدنوها وبعد الاخرة عنها وروى الصدوق في كتاب العلل عن امير المؤمنين عليه السلام سميت الدنيا لانها ادنى من كل شئ وسميت الاخرة اخرة لتاخرها انتهى قال بعض اكابر السادة في تعليقه ودنيا لا تنون لانها لا تنصرف قال ابن الجوزي في تقويمه والعامة تقول دنيا منونة وفي القاموس الدنيا نقيض الاخرة وقد تنون والجمع دني ولعله عنى بذلك استعمال العامة لها بالتنوين انتهى قلت لم يعن صاحب القاموس بذلك استعمال العامة ولو عناه لنبه على انه عامي وانما عنى ما حكاه ابن الاعرابي من تنوينها على وجه الشذوذ واشار الى الشذوذ بقد المفيد للتقليل وقد تقدم في الروضة التاسعة ان الدماميني قال في شرح التسهيل حكى ابن الاعرابي صرف الدنيا على وجه الشذوذ ولا يمكن ان تكون الالف للتانيث مع الصرف فتجعل اذ ذلك للالحاق وقال السيوطي في مزهر اللغة روى

ابن الاعرابي

ابن الاعرابي دنيا منونا شهوة بعطل انتهى وحفي به من باب علم حفاوة اعتنى به وبالغ في بره واكرامه فهو حفي به ومنه قوله تعالى قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا اي معتنيا بارا او مبالغا في الشفقة علي والاكرام لي ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب اي استيصاله والاحفاء في المسئلة اي الالحاح فيها

469

اللهم صل على محمد وآله وارزقني الحق عند تقصيري في الشكر لك بما انعمت علي في اليسر والعسر والصحة والسقم حتى اتعرف من نفسي روح الرضا وطمانينة النفس مني بما يجب لك فيما يحدث في حال الحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره ويجي في الاصطلاح لمعان لموجد الشئ على الحكمة ولما يوجد عليها او اعتقاد الشئ على ما هو عليه وللفعل او القول الواقع بحسب ما يجب وفي وقت يجب وكل ما يجب لله او لخلقه كما يقال الله حق والايمان به حق وفعله حق وقوله حق وهذا حق الله او حق زيد والمراد به هنا ما يجب لله عليه من التسليم لامره والاذعان لحكمه سبحانه وقصر في الامر تقصيرا توانى فيه اي لم يبادر الى القيام به ولم يهتم بشانه والظرف من قوله عند تقصيري اما لغو متعلق بارزقني او مستقر حال من الحق اي كائنا عند تقصيري والباء للسببية اي بسبب ما انعمت وعلى وفي كلاهما متعلق بانعمت وعطف العسر على اليسر والسقم على الصحة للتعميم باعتبار كل صادر عنه نعم من رخاء وشدة اذ الشدائد اللاحقة من نعمه ايضا فانها تمنى في بلاء بجميل الصبر او جنح جزيل الاجر كما قال سبحانه وبشر الصابرين وظاهر من اسباب النعم نعم والمعنى المهمني الاعتراف بالحق من التسليم لامرك والاذعان لحكمك الجاري على وفق الحكمة حال عدم قيامي بما يجب لك من الشكر على نعمك علي في حال اليسر والعسر والصحة والسقم وتعرفت ما عنده تطلبت حتى عرفت والروح

بالفتح الراحة والرضا سرور القلب بمر القضاء اى جريانه والطمانينة فعليلة بضم
الفاء وتشديد اللام الاولى كما نص عليه بحرق فى شرحه الصغير للامية ابن
مالك قيل هى مصدر وقيل اسم قال الجوهرى اطمان الرجل اطمينانا وطمانينة اى
سكن وقال الفيومى فى المصباح اطمان القلب سكن ولم يقلق والاسم الطمانينة
وقال ابو حيان فى الارتشاف وشذ فى اطمان واقشعر واشرأب طمانينة و
قشعريرة وشرابيبة وقيل هى اسماء وضعت موضع المصدر انتهى قال بعضهم
والاصل فى اطمان الالف مثل احمار واسواد لكنهم همزوا فرارا من الساكنين
على غير قياس وقيل الاصل همزة متقدمة على الميم لكنها اخرت على غير قياس
بدليل قولهم طامن الرجل ظهره بالهمز على فاعل ويجوز تسهيل الهمزة فيقال طامن
ومعناه حناه وخفضه ومن والباء من قوله منى بما يجب لك متعلقان
بالرضا وطمانينة على سبيل التنازع ويحتمل ان يكون منى بيان للنفس وفى
ظرفية مجازية او للسببية متعلقة بيجب وحدث الشئ حدوثا من باب
قعد تجدد وجوده فهو حادث وحديث ومنه يقال احدث به عيبا اذا تجدد
وكان معدوما والمعنى كى اعرف من نفسى راحة الرضا والطمينان نفسى
بالذى يجب من التسليم لامرك والادعان لحسن قضايك فى جميع ما يتجدد
من الشئون فى حال الشدة والرخاء واعلم ان مدار هذا الفصل من الدعاء
على طلب مقام الرضا والتسليم فى جميع الاحوال عند التقصير فى الشكر على جميع
الاحوال فان الشكر على البلاء كالشكر على النعمة فوق الرضا وهو جزء لا ريب
فيه اذ كان الشكر يستلزم الرضى دون العكس فسال عليه السلام الاعتراف بالحق
من التسليم بحسن تدبير الله تعالى له فى جميع احواله والادعان لحكمة احكام
الجارية عليه اذا حصل منه تقصير فى الشكر على ذلك حتى يكون نفسه راضية

مطمئنة بذلك لا ساخطة قلقة وما قيل ان المراد بالحق الشكر والمعنى ارزقنى
الشكر عند التقصير فى الشكر معرفة ان ما يجب الشكر عليه طبا دره عنه سبحانه
لتكون قائمة يراد بالحق عند التقصير فى الشكر معرفة ان ما يجب الشكر عليه
مقام الشكر كما روى ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اشكرك وشكرى لك نعمة
اخرى توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت ان النعم منى رضيت
منك بذلك شكرا فيكون عليه السلام اراد بالحق هذه المعرفة القائمة مقام الشكر
وهذا المعنى قريب من المعنى الجلى الذى ذكرناه ويستلزم له وان كان ذلك
اوفق بالفاظ الدعاء واشد التئاما بعد لولى تمام الفصل اللهم صل على محمد وآله ولا ترد فى
نعمك على احد من خلقك فى دين او دنيا او عافية او تقوى او سعة او رخاء الا رجوت
لنفسى افضل من ذلك بك ومنك وحدك لا شريك
لك ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ سلم سلامة خلص من الآفات
والمراد بالصدر القلب من اطلاق المحل على الحال لان القلب محله الصدر وهو
مجاز مشهور ومنه وليبتلى الله ما فى صدوركم وما تخفى صدورهم اكبر وقوله
عليم بذات الصدور اى اجعل قلبى خالصا من آفة الحسد كيلا احسد احدا
كاينا من كان وهمزة احد قيل اصلية فهو اسم وضع لمن يصلح ان يخاطب يستوى
فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمونث وقيل مبدلة من الواو فهو بمعنى
واحد وعمومه لوقوعه فى حيز النفى ومن خلقك متعلق بمحذوف صفة
لاحد اى كاينا من خلقك ومن البيان الجنس وفائدته توكيد العموم
لدلالته على التعميم بالقياس الى الجنس دون طايفة مخصوصة وقوله الا رجوت
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات محله النصب على الحال من فاعل
ارى باضمار قد او بدونها على الخلاف المشهور اى لا ارى نعمة فى حال من الاحوال

اووقت من الاوقات الاحال كونى راجيا النفسى افضل من ذلك وقول بعضهم
الاستثناء فى الاجوبة منقطع لا اخراج لما دخل فى حكم دلالة المفهوم اذا
لتقدير لا يعرض لى عارض فى وقت روية النعمة الا رجاء افضل ذلك خبط واضح
وجهل بمعرفة النحو والاعراب والله الهادى الى سبيل الصواب
د لى قوله عليه السلم وحتى كان اى نعمة الى اخره ان ترجى ويمنى الانسان مثل
نعمة غيره او افضل منها ليس من الحسد المذموم بل يستحب ذلك وقد صرح
العلماء بهذا المعنى قال بعضهم اعلم انه اذا انعم الله على اخيك بنعمة فان اردت
زوالها فهذا هو الحسد المحرم الذى ذمه الله فى غير موضع من كتابه فقال
ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب
لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم الى غير ذلك من الايات
وان اشتهيت لنفسك مثلها فهذا هو الغبطة والمنافسة المشتقة من
النفاسة وليست بحرام لقوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقد
تكون واجبة اذا كانت النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوة والزكوة وقد
تكون مندوبة فى نحو الانفاق فى سبيل الله وتشهى العلم والتعليم وقال الراغب
فى الذريعة الذى ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره على سبيل التمنى
ان يكون له مثله فهو غبطة واذا كان مع ذلك سعى منه فى ان يبلغ هو مثل
ذلك من الخير او ما هو فوقه فمنافسة وكلاهما محمودان وان كان مع ذلك
سعى فى ازالتها فحسد قال عليه الصلوة والسلم المومن يغبط والمنافق يحسد
فحمد الغبطة وقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فحثنا على التنافس
اذ هو الباعث لنا على طلب المحاسن وذلك كقوله تعالى سابقوا الى مغفرة
من ربكم انتهى كلام الراغب وقال النظام النيسابورى فى غرايب القران

ورغايب

ورغايب الفرقان قد يطلق الحسد على المنافسة ومنه قوله صلى الله عليه واله
لا حسد الا فى اثنين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه فى سبيل الله ورجل اتاه الله علما
فهو يعمل به ويعلم الناس وعلى هذا يكون للحسد مراتب اربع الاولى ان يحب
زوالها عنه اليه كرغبة فى دار حسنة او امراته او ولاية فالمطلوب بالذات
حصولها فاما زوالها فمطلوب بالعرض الثالث ان لا يشتهى زوالها بل يشتهى
لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كيلا يظهر بينهما التفاوت الرابع ان يشتهى
لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه
ان كان فى الدنيا والمندوب اليه ان كان فى الدين والثالثة منها مذموم وغير مذموم
والثانية اخف من الاولى والاولى اخبث قال الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض تمنيه لمثل ذلك غير مذموم وتمنيه لعين ذلك مذموم انتهى عليه السلم
بك ومنك الباء للاستعانة او السببية ومن ابتدائية وكلاهما متعلق بموجوت
او بمحذوف منصوب على الحال من ذلك اى كاينا بك ومنك ووحدك اى
منفردا غير مشفوع بك غيرك واختلف فيه على مذاهب فقال سيبويه هو معرفة
موضوع موضع النكرة وقال ابو على الفارسى هو مصدر منصوب على انه
مفعول مطلق للحال المقدرة والتقدير منفردا وحدك اى انفرادك فهو واقع
مقام الحال منتصب على المصدرية كما ينتصب على الظرفية ما قام مقام خبر
المبتدا من الظروف نحو زيد قدامك ولا يعرب اعراب ما قام مقامه وقال
يونس وهشام انه منصوب انتصاب الظرف فيجرى مجرى عنده والاصل
فى جاء زيد وحده على وحده حذف الجار ونصب على الظرف وبنو تميم يعربونه
باعراب الاسم الاول وقوله لا شريك لك جملة حالية موكدة لما قبلها والله اعلم
اللهم صل على محمد واله لى الرزقنى الحفظ من الخطايا والاحتراس من الزلل فى الدنيا

والآخرة في حال الرضا والغضب حتى اكون بما يرد عليّ منهما مترايا سوياً عاملاً بطاعتك موثراً لرضاك على ما سواهما في الاولياء والاعداء حتى يامن عدوي من ظلمي وجوري وييأس وليي من ميلي وانحطاط هواي التحفظ الاحتراز والتوقي قال الزمخشري في
الاساس عليك بالتحفظ من الناس وهو التوقي والاحتراس منهم والزلل الاصل
في القدم يقال زل يزل من باب ضرب زللا اذا زلقت قدمه ولم يثبت ثم استعمل
في القول والراي قال في الاساس ومن المجاز زل في قوله ورايه فلان وزله الله وازله
الشيطان عن الحق واستزله انتهى وقوله في الدنيا والآخرة اي في امور الدنيا
والآخرة كقوله تعالى لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة اي في الامور المتعلقة بهما
وقوله في حال الرضا والغضب ظرف مستقر حال من مفعول ارزقني اي حال
كوني في حال الرضا وحال كوني في حال الغضب او لغو متعلق بالاحتراس والتحفظ
على سبيل التنازع والبا من قوله بما يرد عليّ للملابسة والظرف مستقر حال من
الضمير في اكون اي حال كوني متلبسا بما يرد علي منهما اي من الرضا والغضب
قبل او من امور الدنيا وامور الآخرة وليس بشيء وقول بعضهم بما يرد متعلق
باكون خبط والبا من قوله بمنزلة للظرفية متعلق بمحذوف وهو خبر اكون اي
كائنا في منزلة سواء اي مستوية وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت
بالمصادر مبالغة ولذلك يستوي فيه المذكر والمونث والمفرد والمثنى والجمع قال
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين وهو من قولهم
استوى القوم في المال اذا لم يفضل احد منهم على الآخر فيه والغرض الانصاف
بالعدل وسلامة النفس من الآفات المقتضية لمراعاة الحق واتباعه في حال
الرضا والغضب وعدم التجاوز عنه الى الباطل كما هو مقتضى الحمية الجاهلية
وقوله عاملا بطاعتك خبر ثان لاكون وموثرا خبر ثالث له وهو اسم فاعل من اثره

بالمدّ

بالمدّ اي فضله واختاره وقدمه قال بعضهم يحتمل ان يكون المعنى موثرا لرضاك
كائنا او الكائن على ما سوى رضاي وغضبي ويحتمل تضمين موثرا معنى
مرجحا فيفيد معنا بها انتهى قلت لا داعي الى هذا التقدير والتضمين فان الايثار
يتعدى بعلى لانه بمعنى التفضيل والتقديم قال تعالى تالله لقد آثرك الله علينا
ويوثرون على انفسهم ثم تقديره الكائن ليس بصحيح فان الجار والمجرور
اذا لم يكن لغوا فهو بعد المعرفة المحضة حال وبعد النكرة المحضة صفة
فلا يقدر ان يجوز في نحو جاءني صاحبك على الفرس الكائن على الفرس
بل كائنا على الفرس وقوله على ما سوى رضاي وغضبي ليس بشيء بل الضمير
من سواهما عائد الى الرضا والطاعة اي موثرا لرضاك وطاعتك على ما
سواهما فهو من باب حذف المعطوف مع العاطف للدليل ودليل التقدير
هنا ضمير المثنى ودليل المقدر قوله عاملا بطاعتك وحذف المعطوف
مع العاطف ليس بعزيز فقد وقع كثيرا في فصيح الكلام ومنه قوله تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اي ومن انفق من بعده
دليل التقدير ان الاستواء انما يكون بين شيئين ودليل المقدر اولئك اعظم
درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وقوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله اي بين احد واحد او بين احد من رسله وبين الله بدليل و
يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ومنه قوله تعالى ايضا لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا اي لا ينفع نفسا ايمانها
وكسبها وهي من قبيل اللف التقديري وبهذا التقدير تندفع شبهة المعتزلة
من تمسكهم بالآية على ان مجرد الايمان بدون ان يكون معه كسب خير ليس
بنافع وحمل على هذا الباب آيات اخرى قال الشريف المرتضى من عادتهم ان

ان يجد قوا ما تكون فوق الدلالة عليه وسوتها اليه معنيان عن النطق و
في القران وفصيح كلام العرب واشعارها امثلة كثيرة لذلك لا تحصى فمنه
قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب والفرقان وقد ذكر في الاية وجوه
اوضحها انه تعالى اراد اتينا موسى الكتاب ومحمد الفرقان لانه لما عطف
الفرقان على الكتاب الذي اوتيه موسى عليه السلام وعلمنا انه يليق به
لان الفرقان ليس مما اوتيه موسى عليه السلام وجب ان يقدر ما يطابق ذلك
انتهى قوله عليه السلام في الاولياء والاعداء متعلق بموثرا اي مقدما لرضاك
وطاعتك وعلى ما سواهما في معاملة الاولياء والاعداء اي لا اعامل احدا
منهم الا بما فيه طاعتك ورضاك فلا ابر لولي ولا احيف على عدو تبعا
لهوى نفسي ومن قال ان قوله في الاولياء خبر رابع لاكون بعد قوله بل
سواي وعاملا وموثرا ويحتمل ان يكون في الاولياء محله نصب على ما
سواهما فقد خبط خبط عشواء والله المستعان قوله عليه السلام حتى يامن
عدوي من ظلمي وجوري الى اخره تعليل الطلب كونه موثر الرضاه تعالى
وطاعته في الاولياء والاعداء اي كي يامن عدوي مما يخاف من ظلمي او
جوري عليه بسبب العداوة وياس وليي مما يطمع فيه من ميلي معه وانحطاط
هواي اليه بسبب الولاية وياس من ايس من باب تعب بتقديم الهمزة و
ياس من باب تعب ايضا بتقديم الياء وهما لغتان وبعضهم يقول الاولى
مقلوبة من الثانية وقد تقدم وانحطاط الهوى عبارة عن سرعة ميله و
انحداره نحو من يهواه من قولهم حطت الناقة في سيرها وانحطت اذا
اسرعت قال الزمخشري في الاساس ناقة حطوط سريعة السير وحطت في سيرها
وانحطت وحط في هواه وانحط ويقال الكلام من حلواهم فانحط في اهوائهم

وقال

وقال الكميت خطوطا في سيرة وموك الى مرضاة خالقه سريعا وقال ابن
الاثير في النهاية في حديث سبيعة الاسلمية فحطت الى الشاب اي مالت اليه
ونزلت بقلبها نحوه انتهى وخفي هذا المعنى على بعضهم فحمل الانحطاط على معنى
القلة والنقص من انحط السعر اذا انتقص وزعم ان المعنى حتى يايس وليي من
قلة هواي ونقصانه في الحق وقال اخر هو من حططت الشي اذا انزلته فانحط
والمعنى حتى يايس وليي من نزول هواي من نزول هواي في الامر الباطل
الذي يوافقه وكل ذلك وان كان في نفسه معنى صحيحا لكنه غير مقصود بهذا
اللفظ عند العرب ولا يريدون به الا المعنى الذي ذكرناه اولا وحمله على
غير ذلك جهل بمصطلحاتهم ومواقع الفاظهم والله اعلم واجعلني ممن يدعوك
مخلصا في الرخاء دعاء المخلصين المضطرين لك في الدعاء انك حميد مجيد
هذا سوال للتوفيق للدعاء في جميع الاوقات لانه مع كونه عبادة ينفع صاحبه
اذا دعا عند نزول البلاء وحال الاضطرار ويوجب كشفه سريعا كما ورد
بذلك اخبار كثيرة وسمي التقدم في الدعاء وقد عقد له ثقة الاسلام في الكافي
بابا وروى فيه بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال من تقدم في الدعاء
استجيب له اذا نزل به البلاء وقالت الملائكة صوت معروف ولم يحجب
عن السماء ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له اذا نزل به البلاء وقالت الملائكة
ان ذا الصوت لا نعرفه وبسند صحيح عنه ايضا عليه السلام قال ان الدعاء في
الرخاء يستخرج الحوائج في البلاء وعنه عليه السلام قال كان جدي يقول
تقدموا في الدعاء فان العبد اذا كان دعاء فنزل به البلاء قيل صوت معروف
واذا لم يكن دعاء فنزل به البلاء فدعا قيل اين كنت قبل اليوم وعن ابي الحسن
الاول قال كان علي ابن الحسين عليه السلام يقول الدعاء بعد ما ينزل البلاء

لا ينتفع به قوله عليه السلام انك حميد مجيد تعليل لدعائه تعالى له واله
اولاستدعاء توفيقه لدعايه في كل حال والحميد فعيل فاعل لما يستوجب الحمد
وقيل هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد يحمد لنفسه ازلا ويحمده عباده
له ابدا ويرجع هذه الى الصفات الجلال والعلو والكمال منسوبا الى ذكر الذاكرين
له فان الحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال والمجيد الجميل افعاله
وقيل الكثير افضاله وقيل الذي لا يشارك فيما له من اوصاف المدح وقال في
المقصد الاقصى هو الشريف ذاته الجميل فعاله الجزيل عطاءه ونواله فكان شرف
الذات اذا قارنه حسن الفعال سمي مجدا وهو الماجد ايضا ولكن المجيد
ادل على المبالغة فكانه يجمع معنى اسم الجليل والوهاب والكريم والله اعلم

هذا اخر الروضة الثانية والعشرين من رياض
السالكين وقد وفق الله تعالى للفراغ من تسويدها ضحى يوم الخميس سلخ
شهر ربيع الثاني من سنة
احدى ومائة والف
والله
الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اذا مرضت فهو يشفين واذا اضطررت فهو يكفين والصلوة
والسلام على رسوله اشرف المرسلين وعلى اهل بيته عصمة المتوسلين وبعد
فهذه الروضة الثالثة والعشرون من رياض السالكين تتضمن شرح
الدعاء الثالث والعشرين من صحيفة زين العابدين وسيد الزاهدين

صلى الله

صلى الله عليه وعلى ابائه وابنائه الطاهرين املاء راجي فضل ربه السني علي
الصدر الحسيني الحسيني شفاه الله وكفاه ومن عليه بالعفو والعافية والمعافاة
وكان من دعائه عليه السلام اذا سأل الله العافية وشكرها العافية
اسم عافاه الله معافاة اي اصحه ومحا عنه الاسقام قال الجوهري وتوضع موضع
المصدر يقال عافاه الله عافية وفي القاموس العافية دفاع الله عن العبد
عافاه الله من المكروه معافاة وعافية وهب له العافية من العلل والبلايا
انتهى وقال الفيومي هي مصدر جاءت على فاعلة ومثلها ناشئة الليل بمعنى
ونشوء الليل والخاتمة بمعنى الختم والعاقبة بمعنى العقب وقال بعضهم اطلاق
العافية ونحوها من المصادر التي جاءت على فاعلة على المصدر من باب
المجاز اللغوي وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له قال بعض العلماء
العافية متناولة لدفع جميع المكروهات في النفس والبدن والظاهر
والباطن وفي الدين والدنيا والاخرة وفي الحديث ما سأل الله شيئا يعني
النبي صلى الله عليه واله احب اليه من ان يسأل الله العافية وذلك
لانه لفظ جامع لانواع خير الدارين وايقاع الشكر على العافية مجاز عقلي
لكونها سببا فيه والاصل وشكره عليها قال صلوات الله وسلامه عليه
اللهم صل على محمد واله والبسني عافيتك وجللني عافيتك وحصني بعافيتك
واكرمني بعافيتك واغنني بعافيتك وتصدق علي بعافيتك وهب لي عافيتك
وافرشني عافيتك واصلح لي عافيتك ولا تفرق بيني وبين عافيتك في الدنيا
والاخرة البسته الثوب فلبسه وجلله غطاه وهو من جلل المطر الارض
اذا عمها وطبقها فلم يدع شيئا الا غطى عليه ويتعدى الى الثاني بنفسه وبالباء
فيقال جلله اياه وجلله به ومن الاول ما روي جللهم الله خزيا وحصن

نفسه وماله تحصينا واحصنه احصانا منعه وحفظه كانه ادخله
الحصن وهو المكان الذي لا يقدر عليه لارتفاعه والاكرام يكون بمعنى الاعزاز
والتعظيم ويكون بمعنى التنزيه قال في القاموس اكرمه وكرمه عظمه ونزهه
ومنه انا اكرمك عن كذا اي انزهك عنه والاغنياء اما من الغنى بالكسر
والقصر بمعنى الثروة والجدة او من الغناء بالفتح والمد بمعنى الكفاية وقيل
هما بمعنى وهو ضد الفقر وتصدق على الفقراء بكذا اعطاهم صدقة وهي العطية
يبتغي بها المثوبة من الله والمراد بالتصدق هنا مطلق العطاء دون قيد
تبعا الثواب من باب اطلاق الخاص على العام والمقيد على المطلق مجازا او ان
التعبير بالتصدق نظرا الى فقره وغناه تعالى من حيث ان الصدقة انما تكون
للفقراء من الغني وفيه شاهد على جواز اطلاق التصدق على عطايه تعالى
خلافا لمن منع ذلك قال النظام النيسابوري في تفسيره منع العلماء ان يقال
متصدق او اللهم تصدق علينا بل يجب ان يقال اللهم اعطني او تفضل علي
او ارحمني لان الصدقة بها المثوبة عند الله وهو مستحيل في حقه جل شانه
واذا ورد ذلك في كلام المعصوم عليه السلم فلا عبرة بكلام غيره ووهبت
لزيد مالا ملكته اياه بلا عوض وافرشت زيدا افراشا وفرشته فرشا
بسطته له والرواية في الدعاء وردت بالوجهين واصلحت الشيء ازلت فساده
وجعلته منتفعا به وفرقت بين الشيئين تفريقا مبالغة في فرقت بينهما من
باب قتل اي فصلت هذا ما عليه الجمهور وقال ابن الاعرابي فرقت بين الكلامين
فافترقا مخفف وفرقت بين العبدين فتفرقا مثقل فجعل المخفف في المعاني و
المثقل في الاعيان والذي حكاه غيره انهما بمعنى والتثقيل مبالغة واعلم ان قوله
عليه السلم البسني عافيتك وجللني عافيتك ونحوه من الافعال التي لا يتعلق

معناها الحقيقي بالعافية من باب الاستعارة وهي اما استعارة تبعية نحو
قتل البخل واحيا السماحا او مكنية نحو شحة ولا يبعد جعلها من باب الاستعارة
التمثيلية كما تقدم التنبيه عليه في نظير ذلك وانما كرر لفظ العافية في سؤالها
بانواع الطلب ووضع الظاهر موضع المضمر فيما سوى الفقرة الاولى لمزيد
العناية والاهتمام بشانها وفرعا لباب الالحاح المندوب اليه في الدعاء وتلذذا
للتلفظ باسمها او بسطا للخطاب حيث الاصغاء مطلوب ويحتمل تخصيص كل لفظ
منها بمعنى لانها لفظ جامع لخيرات الدارين بان يقال والبسني عافيتك من المرض
البدني وجللني عافيتك من الفضيحة بدليل التجليل الذي هو بمعنى التغطية و
الستر وحصني بعافيتك ممن يريد لي سوءا بقرينة التحصين واكرمني بعافيتك
من الذل والمهانة او من المعايب والقبائح بدليل الاكرام بمعنى التعظيم او
التنزيه واغنني بعافيتك من الفقر والحاجة بدليل الاغناء وتصدق علي بعافيتك
من الاضطرار الى صدقة غيرك وهب لي عافيتك من الاحتياج الى هبة غيرك و
افرشني عافيتك اي مهادها من الخوف كما يقال افرشته مهادا امنه واصلح لي عافيتك
الحاصلة عندي التي قد افسدها المرض ونحوه ولا تفرق بيني وبين عافيتك
العامة في امور الدنيا والآخرة **اللهم صل على محمد وآله وعافني عافية كافية شافية**
عالية نامية عافية تولد في بدني العافية عافية الدنيا
والآخرة عافية منصوب على المفعولية المطلقة
مبين لنوع عامله لكونه موصوفا وكافية صفة له وشافية وما بعدها يحتمل
الوصفية والحالية وعافية الثانية بدل من عافية الاولى بدل الكل وفائدتها
التاكيد والتنصيص على ان العافية الموصوفة بالصفات المذكورة هي العافية
التي تولد في بدني العافية وقوله عافية الدنيا والآخرة بدل من العافية بدل

كل ايضا وهو في الموضعين في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
معنى لمتبوعه مزيد تاكيد وتقرير وايضاح وتفسير كما هو شان بدل الكل من
الكل ومعنى كونها كافية اي مغنية عن الاطباء او عن سوال عافية اخرى معها و
شافية اي معدلة للاخلاط فان معنى الشفاء رجوع الاخلاط الى الاعتدال
او مزيلة للامراض من شفا الله المريض اذا صححه وعالية اي رفيعة لا تنالها
الاسقام والعلل او غالبة للمرض قاهرة له من علا فلان فلانا اذا غلبه وقهره
ونامية اي زايدة كثيرة من نما الشيء ينمي من باب رمى نماء بالفتح والمد وفي لغة
ينمو نموا من باب قعد اي زاد وكثر وتولد اي تنشئ عن غيره اي نشاء عنه والالف
واللام في العافية للجنس باعتبار تحققه في ضمن جميع افراده وهو المعبر عنه
بالاستغراق الحقيقي ولهذا ابدل منها قوله عافية الدنيا والاخرة توضيحا وتفسيرا
للشمول المقصود من تعريف العافية والمعنى تولد في بدني كل عافية دنيوية
واخروية او الاستغراق خصايص الافراد اي العافية الكاملة في معناها
نحو الرجل اي الكامل في الرجولية ويكون قوله عافية الدنيا والاخرة لبيان
ان العافية الكاملة هي الدنيوية والاخروية والمراد بالاخروية العافية و
السلامة من مضار الاخرة وافاتها ولا ينافيه قوله في لان الاعمال الحاصلة
للانسان التي تكون سببا للسلامة من احوال الاخرة ومضارها انما تحصل عن
هذا البدن وتستفاد بواسطته والله اعلم وامتن علي بالصحة والامن والسلامة
في بدني وديني والبصيرة في قلبي والنفاذ في اموري والخشية لك
والخوف منك والقوة على ما امرتني به من طاعتك والاجتناب
لما نهيتني عنه من معصيتك الصحة البرء من المرض
والبراءة من كل عيب وقال القنوي الصحة في البدن حالة طبيعية تجري افعاله

معه مجرى الطبيعي وقد استعيرت للمعاني فقيل صحت الصلوة اذا اسقطت
القضاء وصح العقد اذا ترتب عليه اثره وصح اذا طابق الواقع وقال
بعضهم الصحة حالة او ملكة تصدر بها الافعال عن موضعها سليمة وهي عند
الفقهاء عبارة عن كون الفعل مسقطا للقضاء في العبادات او سببا لترتب ثمراته
المطلوبة منه عليه شرعا في العبادات وبازائه البطلان وقيل هي استتباع
الغاية وبازائها البطلان والفساد والامن عدم توقع مكروه في المستقبل والامان
عدم توقع مكروه في المستقبل والسلامة الخلوص من الافات والدين بالاسلام
ديناه بالكسر تعبد به والبدن في اللغة من الجسد ما سوى الراس والاطراف
وقيل هو ما سوى المقاتل والمراد به هنا جميع الجسد والبصيرة قوة القلب المنور
بنور القدس يرى بها حقايق الاشياء وبواطنها وهي بمثابة البصر للنفس ترى به
صور الاشياء وظواهرها وهي التي تسميها الحكماء القوة العاقلة النظرية والقوة
القدسية ونفذ في الامر والقول من باب قعد نفوذا ونفاذا امضى او امرنا فذا اي
ماض مطاع واصله من نفذ السهم اذا خرق الرمية وخرج منها والخشية تالم القلب
بسبب توقع مكروه في المستقبل والخوف بمعناها وهما يكون تارة بكثرة الجناية
من العبد وتارة بمعرفة جلال الله سبحانه وهيبته وخشية الانبياء والايمة
وخوفهم من هذا القبيل وقال بعضهم لا يكاد اللغوي يفرق بين الخوف والخشية
ولا شك ان الخشية اعلى منه وهي اشد الخوف فانها ماخوذة من قولهم شجرة
خشية يابسة فوات بالكلية والخوف من ناقة خوفا او بها داء وهو نقص وليس بفوات
ولذلك خصت الخشية بالله في قوله تعالى يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب
وفرق بينهما ايضا بان الخشية بالله من قوله تعالى تكون من عظم المخشي وان كان
الخاشي قويا والخوف يكون من ضعف الخائف وان كان المخوف امرا يسيرا ويدل لذلك

ان الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة نحو شيخ للسيد الكبير وخيش لما
غلظ من اللباس ولذا وردت الخشية غالبا في حق الله نحو من خشية الله انما
يخشى الله من عباده العلماء انتهى وقد تقدم في الروضة السادسة عشر كلام
للمحقق الطوسي طاب ثراه في الفرق بين الخوف والخشية فليرجع اليه قال بعض العارفين
اذا احترقت جميع الشهوات بنار الخوف ظهر في القلب الذبول والخشوع والانكسار
ويزال عنه الحقد والكبر والحسد وصار كل همة النظر في خطر العاقبة فلا يتفرغ
لغيره ولا يصير له شغل الا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والاحتراز من تضييع الانفاس
والاوقات ومؤاخذة النفس في الخطوات والخطرات واما الخوف الذي لا يترتب
عليه شيء من هذه الاثار فلا يستحق ان يطلق عليه اسم الخوف وانما هو حديث نفس
ولهذا قال بعض ارباب القلوب اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت عن الجواب فانك
اذا قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت والقوة تمكن الحيوان من الافعال الشاقة
ولا يبعد ان يكون المراد بها الجد والعزيمة كما فسر به قوله تعالى خذوا ما اتيناكم بقوة
اي بعزيمة وجد غير متكاسلين ولا متغافلين وعن الصادق عليه السلام ان
المراد بها قوة الابدان والقلوب جميعا والاجتناب مطاوع جنبه الشر جنوبا
من باب قعد ابعده وتجنبه فاجتنب ومنه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام و
جنبته بالتثقيل مبالغة فتجنبه هو ومعنى منته تم عليه بالاجتناب عما نهاه عنه
من المعاصي حسم اسبابها وعدم الاعداد لها والله اعلم اللهم يا من على الحج والعمرة
وزيارة قبر رسولك صلواتك عليه ورحمتك وبركاتك عليه وعلى آله
وآل رسولك عليهم السلام ابدا ما بقيتني في عامي هذا وفي كل عام واجعل ذلك
مقبولا مشكورا مذكورا لديك مدخورا عندك الحج لغة
القصد حج من باب قتل قصد فهو حاج وقيل هو القصد الى الشيء المعظم

ومنها

٤٦٩

وشرعا قصد بيت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص والاسم الحج
بالكسر والعمرة اسم من الاعتمار وهو لغة الزيارة اخذا من العمارة لان الزائر
يعمر المكان بزيارته وشرعا زيارة بيت الله الحرام بعمل مخصوص وهي واجبة عندنا
مثل الحج وبه قال الشافعي في الجديد وتسمى الحج الاصغر روى ثقة الاسلام في
الكافي بسند حسن او صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما افاض ادم من منى
تلقته الملائكة فقالوا يا ادم بر حجك اما انه قد حججنا هذا البيت قبل ان تحجه بالفي
عام وقد ورد في فضل الحج والعمرة وثوابهما من الاخبار ما لا يحصى فعن ابي
عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله الحجة ثوابها
الجنة والعمرة كفارة لكل ذنب وعنه عليه السلام الحاج والمعتمر على الله
ان ابقاه بلغه اهله وان اماته ادخله الجنة وعنه عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما
ينفي الكير خبث الحديد وعنه عليه السلام الحاج والمعتمر وفد الله ان سألوه
اعطاهم وان دعوه اجابهم وان شفعوا شفعهم وان سكتوا ابتدأهم و
يعوضون بالدرهم الف درهم ولما كان من المستحبات المؤكدة ان يختم الحاج
حجه بالورود الى المدينة المشرفة لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وزيارة اهل
بيته سلام الله عليهم اجمعين سأل عليه السلام ذلك بقوله وزيارة قبر رسولك
الى اخره روى ابو حجر الاسلمي عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله من اتى مكة حاجا ولم يزرني الى المدينة جفوته يوم
القيمة ومن اتاني زائرا وجبت له شفاعتي ووجبت له الجنة ومن الاخبار المستفيضة
عنه صلى الله عليه وآله من حج ولم يزرني فقد جفاني وبسند صحيح عن ابي جعفر
عليه السلام قال ابدأوا بمكة واختموا بنا وعن العلى ابي شهاب قال قال الحسين

عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله يا ابتاه ما لمن زارك فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله يا بني من زارني حيا او ميتا او زار اباك او زار اخاك او زارك
كان حقا علي ان ازوره يوم القيمة واخلصه من ذنوبه قال شيخنا الشهيد قدس
سره في كتاب الدروس يستحب للحاج وغيرهم زيارة النبي صلى الله عليه وآله بالمدينة
استحبابا موكدا ويجبر الامام الناس على ذلك لو تركوه لقوله صلى الله عليه وآله
من اتى مكة حاجا او معتمرا ولم يزرني في المدينة جفوته يوم القيمة الحديث قوله عليه السلام
صلواتك عليه ورحمتك وبركاتك عليه وعلى الرجلة دعائية معترضة بين
المعطوف والمعطوف عليه لا محل لها من الاعراب والصلوة من الله قيل المغفرة وقيل الرحمة
وقيل الثناء وقيل الكرامة والمراد برحمته تعالى رحمته التي وسعت كل شيء واستبعت
كل احد وبركاته خيراته النامية الفايضة منه بواسطة رحمته المستبعة لكل
خير الواسعة لكل شيء قال بعضهم اضافة البركات اليه تعالى باعتبار ان البركة سواء
كانت بمعنى الزيادة او بمعنى الكثرة او بمعنى الخصب ناشية من الله تعالى وكاينة
باعطائه واتى بالبركات بصيغة الجمع دون الرحمة اقتفاء لقوله تعالى حاكيا عن ملائكته
الكرام قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد
روي ان امير المومنين عليه السلام مر بقوم فسلم عليهم فقالوا عليك السلام ورحمة الله
وبركاته ومغفرته ورضوانه فقال لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لابينا ابرهيم
عليه السلام رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد واعلم ان في اكثر
النسخ المستفيضة لفظة عليه بعد الصلوة وبعد البركات فهما جملتان متعاطفتان
اي صلواتك مستقرة عليه ورحمتك وبركاتك مستقرة رسولك عليهم السلام عطف
على قبر رسولك اي وزيارة قبر ال رسولك وحذف المضاف للعلم به ولدلالة ما تقدم
عليه فروي عن ابي الحسن الرضا عليه السلام ان لكل امام عهدا في عنق شيعته واوليائه

وان

وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الاداء زيارة قبورهم فمن زارهم عليهم السلام
رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان ايمتهم شفعاءهم يوم القيمة وعن
زيد الشحام قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله
قال كمن زار الله عز وجل فوق عرشه قال قلت فما لمن زار احدا منكم قال كان كمن زار
رسول الله صلى الله عليه وآله قوله عليه السلام ابدا ما ابقيتني في عامي هذا وفي كل عام
الابد الدهر وقيل الدهر الطويل الاحد له ويصير على الظرفية اي دهر الموبد وهو متعلق
بامنن وما قيل من احتمال كونه ظرفا للسلم من قوله عليهم السلام ليس بشيء وما من
ما ابقيتني مصدرية زمانية اي مدة ابقائي والموصول وصلته في موضع نصب على
انه بدل او عطف بيان من قوله ابدا او قوله في عامي هذا متعلق بامنن قبل او بابقيتني
والعام الحول وهو في تقدير فعل فتحتين ولهذا جمع على عوام مثل سبب واسباب وفي
القاموس العام السنة وقد تقدم في الروضة الاولى عن ابن الجواليقي وصاحب
التهذيب ان العام اخص من السنة وان عدم الفرق بينهما غلط فراجعه وقوله
هذا صفة للعام بتاويل الحاضر وقال ابن السراج هو بدل منه وقال السهيلي عطف
بيان والاول هو الذي عليه الجمهور من البصريين ومحقق المتاخرين قوله عليه السلام
واجعل ذلك مقبولا الى آخره ذلك اشارة الى المذكور من الحج والعمرة والزيارة وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو درجته وبعد مرتبته في الفضل والمقبول المرضي لله
او المثاب عليه كما تقدم في معنى القبول ويحتمل ان يكون الطلب متوجها الى جعله
من جملة الاعمال المقرونة بالاخلاص فيكون طلب القبول عن ذلك فلا يرد ان
طلب القبول يدل على ان العمل المقرون بالاخلاص لا يجب ترتب الثواب عليه
والا لم يكن في طلبه فايدة والمشكور العامل معاملة ما يشكر عليه في حسن الجزاء قال
العلماء الشكر عبارة عن مجموع امور ثلثة اعتقاد كون العامل محسنا في تلك الاعمال

والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال تدل على كونه مطيعا عند ذلك الشكر والله تعالى
يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال
وانه يثني عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم مطيعين عند الله
وقيل المشكور من الاعمال المضاعف جزاوه المتجاوز عاقبته من الحلال والنقص و
المذكور الحال محل ما يذكر في تعلق الثواب به واظهار الرضى واستحقاق التنزل
والاكرام وبائر ابه المنسى اى المطرح الذي لا يعبا به ولا يلتفت اليه والمذخور
ما اعد لوقت الحاجة اليه اى جعل ثوابه ذخرا وعدا ليوم فاقتي اليه وهو يوم القيمة
وانطق بحمدك وشكرك وذكرك وحسن الثناء عليك لساني واشرح لمراشد
دينك قلبي اى الهم لساني النطق بذلك وقد يراد بانطاقه نحو اقداره
على النطق كما في قوله قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وهذا المعنى ليس
مرادا هنا لانه واضح فلا فائدة في طلبه وشرح فلان امره اذا اظهره واوضحه
ومنه شرح المسئلة اذا بينها وفسرها واوضح معناها وشرح الله صدره
للاسلام وسعه لقبول الحق ولا شك ان توسع الصدر والقلب غير ممكن
على سبيل الحقيقة ولكنه كناية عن جعل القلب قابلا للحق مهيأ لحلوله فيه مصفى
عما يمنعه وينافيه قال النظام النيسابوري اذا اعتقد الانسان في عمل من
الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله
وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر
وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر
زايد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبو عن قبوله فيقال
لهذه الحالة ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول
فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر

في جانب

٤٧١

في جانب الحق والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر
صدرا قال امين الاسلام الطبرسي قد وردت الرواية الصحيحة انه لما نزل قوله تعالى
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الاية سئل رسول الله صلى الله
عليه وآله عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المومن فينشرح
له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال عليه السلم نعم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت
قال النيسابوري وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود
لابد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة زايد النفع والخير والتجافي عن
دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زايد الضرر والضير والاستعداد
للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة
والمراشد جمع مرشد وهو اما مصدر ميمي بمعنى الرشد كالمقصد بمعنى
القصد وجمع باعتبار الانواع ومنه قول الزمخشري في الاساس هو يهدي
الى المراشد او اسم موضع قال الجوهري المراشد المقاصد من الطرق اي
الطرق المستقيمة فان الطريق هو استقامته والمعنى اشرح قلبي لقبول احكام رشد
دينك اى هداياته والمسلوك مراشده اى طرقه المستقيمة والله اعلم
واعذني وذريتي من الشيطان الرجيم ومن شر السامة والهامة والعامة
واللامة ومن شر كل شيطان مريد ومن شر كل سلطان عنيد ومن شر كل
مترف حفيد ومن شر كل ضعيف وشديد ومن شر كل شريف ووضيع
ومن شر كل صغير وكبير ومن شر كل قريب وبعيد ومن شر كل من نصب لرسولك ولاهل بيته
حربا من الجن والانس ومن شر كل دابة انت اخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم اى اجرني بحفظك واعصمني و
وذريتي عطف على الضمير والرجيم المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة

اولانه يرجم بالكواكب لقوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين او من رجمه
بالقول اذا شتمه ورميه بالفحش لانه يسب ويشتم والمستعاذ منه وسواسه
واغواؤه وجميع شروره بل نفسه لانه بذاته شر يستعاذ منه وفي الدعاء اقتباس
من قول امراة عمران واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم روى
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه
حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة
هذه الاستعاذة قيل معناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر
منه الا مريم وابنها وقد تقدم الكلام على الفقرة مبسوطا في الروضة الثانية عشر
والسامة اذا قرنت بالهامة فالمراد بها ما يسم ولا يبلغ ان يقتل بسمه كالعقرب
والزنبور والهامة كل ذات سم يقتل كالحية واذا قرنت بالعامة او الخاصة فا
لمراد بها الخاصة ومنه من قال حين يمسي او يصبح اعوذ بك من شر السامة
والخاصة ومن شر ما خلق لم يضره دابة قال الزمخشري في الفائق اي الخاصة
والعامة قال العجاج هو الذي انعم نعمى عمت على الذين اسلموا وسمت انتهى
والخاصة كما تطلق على العامة تطلق على خاصة الرجل من اهله وولده لكن
عطفها على السامة عين كون المراد بها المعنى الاول وقد تقع الهامة على ما
يدب من الحشرات وان لم يقتل واللامة كل ما يخاف من فزع وشر والمراد
بها العين اللامة اي المصيبة بسوء ومنه اعوذ بكلمات الله التامة من كل
عين لامة وقيل اي ذات لمم وهو طرف من الجنون ولم يلمه واصله من الم
لمشاكلة سامة والمريد العاتي قال في القاموس مرد كنصر وكرم مرودا ومرادة
فهو مارد ومتمرد اقدم وعتا او هو ان يبلغ الغاية التي يخرج من جملة ما عليه
ذلك الصنف انتهى وقيل هو المتجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التمحض له

كالتشمر

كالتشمر له ماخوذ من تجرد المصارع عند المصارعة وقيل هو بمعنى
الخالي من الخير من قولهم صخرة مرداء اي ملساء ومنه الامرد وقيل هو المتطاول
في الشر والفساد من قولهم بناء ممرد اي متطاول متجاوز والمراد اما ابليس
وجنوده او رؤس اهل الفساد والشر الذين يدعون من دونهم الى الغي
والضلال والعنيد الجائر عن القصد الباغي الذي يرد الحق مع العلم به
فعيل من عند عن القصد عنودا من باب قعد اي جاز وقيل هو من عند
العرق عنودا من باب نزل اذا سال وكثر ما يخرج منه فلم يرقأ والمترف
المنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهواتها الذي قد اترفته وابطرته النعمة
وسعة العيش وقال ابن عرفة المترف المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع منه
وفي القاموس المترف المتنعم لا يمنع من تنعمه والجبار وقال الفارابي في
ديوان الادب ترفته النعمة اي اطغته واترفه اي نعمه وفي الاساس اترفته
النعمة ابطرته واترف فلان وهو مترف واعوذ بالله من الاتراف و
الاسراف واستترفوا تعفرتوا وطغوا ولم ازل معهم في ترفة اي نعمة و
الحفيد فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يخدمه اصحابه ويعظمونه ويسرعون
في خدمته واصله من حفد من باب ضرب اي اسرع قال في الاساس حفد البعير
حفدا وحفودا او حفدانا اسرع في سيره وداراك الخطو ومن المجاز حفد
فلان في الامر واحتفد اذا اسرع فيه وخف في القيام به وحفدت فلانا
خدمته وخففت [illegible] ورجل محفود مخدوم مطاع وضعف عن الشيء
من باب قرب عجز عن احتماله فهو ضعيف وشد الشيء يشد من باب
ضرب قوي فهو شديد والمراد كل ضعيف وشديد جسما ومعنى وقدم
الضعيف على الشديد لرعاية السجع ولمزيد الاهتمام بالاستعاذة من شره

فان الشديد لشدته يكثر الاحتراز والتوقي من شروره بخلاف الضعيف
فانه كثيرا ما يحتقر فلا يعبأ به لضعفه فينفذ شره وهو مغفول عنه
كما قيل ولا تحتقر كيد الضعيف فربما تموت الافاعي من سموم العقارب
وقال ابو عبيدة العرب تقدم الآخر غالبا فيقولون ربيعة ومضر وسليم و
عامر ولم يترك قليلا ولا كثيرا والشريف الماجد الرفيع القدر والوضيع الساقط
لا قدر له والمراد بالصغير والكبير اما باعتبار السن او باعتبار المهانة والقدر
قال العتبي صغرني في عيون الناس في هيبته مهابة فهو صغير ومنه يقال جاء
الناس صغيرهم وكبيرهم اي من لا قدر له ومن له قدر والقريب والبعيد
اما باعتبار المسافة او باعتبار النسب ولك حمل كل من الالفاظ المذكورة
على معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له
ونصبت لي بالحرب والعداوة اقمتها واظهرتها لي ومنه الناصب وهو معلن
العداوة لعلي عليه السلم وشيعته قال في القاموس النواصب والناصبة و
اهل النصب المتدينون ببغضة علي عليه السلم لانهم نصبوا له اي عادوه
والدابة كل حيوان في الارض وخالف بعضهم فاخرج الطير من الدواب
ورد بالسماع وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء قالوا اي خلق كل
حيوان مميزا كان او غير مميز واما تخصيص الفرس والبغل بالدابة عند
الاطلاق فعرف طارئ وتطلق الدابة على الذكر والانثى والجمع الدواب
وقوله انت آخذ بناصيتها اي مالك لها قادر عليها تصرفها كيف تشاء غير
مستعصية عليك فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك وانما خصت الناصية
لحكم الوهم بانه تعالى في جهة فوق فيكون اخذه بالناصية ولانها اشرف
ما في الدابة فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة وقد

تقدم

٤٠٧٣

وحبائله ومصائده ورجله
انك عزيز قدير

تقدم معنى الناصية في الروضة الحادية والعشرين عند قوله عليه السلم وفي
قبضتك ناصيتي والجملة في محل جر صفة للدابة والوصف للتأبيد والتعميم
لا للتقييد والتخصيص وقوله انك على صراط مستقيم تعليل لما بدا له عليه السلم من طلب
اعاذته من شر كل حيوان يدب على وجه الارض حتى لا يكون له قدرة
على اضراره اي انك على طريق الحق والعدل في ملكك فلا تسلط عليَّ شيئا
من ذلك اذ لا يضيع عندك معتصم بك وفيه اقتباس من قوله تعالى
اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي
على صراط مستقيم اللهم صل على محمد وآله ومن ارادني بسوء فاصرفه عني وادحر عني
مكره وادرأ عني شره ورد كيده في نحره واجعل بين يديه سدا حتى تعمي
عني بصره وتصم عن ذكري سمعه وتقفل دون اخطاري قلبه وتخرس عني
لسانه وتقمع راسه وتذل عزه وتكسر جبروته وتذل رقبته وتفسخ كبره وتؤمنني من
ضره وشره وغمزه وهمزه ولمزه وحسده وعداوته الارادة هنا بمعنى القصد اي من
قصدني بسوء وان حملتها على معنى نزوع النفس وميلها الى الفعل كما يجب
حملها عليه فالكلام على حذف مضاف اي من اراد اصابتي بسوء لانها
بهذا المعنى لا تتعلق بالذوات والباري سبحانه منزه عن السوء مبالغة اي
بنى بسوء وكما يقال اراده بسوء يقال اراد به سوءا قال تعالى ان يردن الرحمن
بضر وقال وارادوا به كيدا والباء في هذا للالصاق اي ارادوا الصاق
كيده به وصرفه الشيء صرفا من باب ضرب رده اي فرده عني ودحره
دحرا ودحورا من باب منع طرده وابعده ودفعه والكيد ايصال المكروه الى
الانسان من حيث لا يشعر ودرأت الشيء درءا بالهمز من باب نفع دفعته
والكيد ارادة مضرة الغير خفية والنحر موضع القلادة من الصدر وقد

يطلق على الصدر ورد كيده في نحره كناية عن رجع كيده عليه وحصر فيه وانما
حص النحر لانه اعظم المقاتل وبين يديه اى قدامه والسد بالفتح والضم
الجبل والردم والحاجز بين الشيئين وقيل المضموم ما كان من خلق الله كا
الجبل والمفتوح ما كان من عمل بني ادم وهو تمثيل الطلب منعه عن وصوله
اليه كالمسدود عليه طريقه وحتى تعليلية اى كي نعمي عني بصره والعمى
والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر والصمم افة تمنعه من
السماع واصله الصلابة واكتناز الاشياء ومنه الحجر الاصم والقناة الصماء
سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد
منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والخرس البكم
وهو افة في اللسان تمنع من الكلام وليس المراد ان يجذب هذه الافات
ببصره وسمعه ولسانه بل المراد ان يجعله غافلا عنه فلا يعمل بصره
وسمعه ولسانه في امره بسوء حتى كانه اعماه واصمه واخرسه ولذلك
قيده بقوله عني وهذا عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ
المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول الشاعر ويصعد حتى يظن الجهول
بان له حاجة في السماء لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار
له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة يحمل لدى اسد شاكي السلاح
مقذف له لبد اظفاره لم تقلم واقفلت الباب اقفالا وضعت
عليه القفل بالضم وهو الحديد الذي يغلق به الباب فهو مقفل وخطر
الشيء في باله وعلى باله خطرا وخطورا من باب قعد وضرب مر
بفكره وذلك اذا ذكره بعد نسيان ومنه الخاطر وهو ما يتحرك في القلب
من راى او معنى واخطره هو احضار امره بفكره ودون بمعنى

عن

عن اي عند اخطاري ومنه من قد دون ما لداي عند ما لدا او بمعنى
قدام اى قدام اخطاري ومنه من قتل دون دينه اى قدامه بان
قصد كافر او مبتدع خذلانه في دينه او توهينه فيه وهو يذب
عنه كالحامي له قاله الطيبي في شرح المشكاة وقمعته قمعا من باب
منع ضربته بالمقمعة بكسر الاول وهي خشبة يضرب بها الانسان على راسه
ليذل ويهان قاله الفيومي في المصباح وفي القاموس المقمعة كمكنسة
العمود من حديد او كالمحجن يضرب به راس الفيل وخشبة يضرب بها
الانسان على راسه الجمع مقامع قمعه كمنعه ضربها وقهره وذلله انتهى
وفي المحكم قمع الرجل يقمعه قمعا ضرب اعلى راسه والمقمع والمقمعة
كلاهما ما قمع به انتهى والمراد بقمع الراس هنا القهر والاذلال والاهانة
او الردع والكف من قمعه قمعا ردعه وكفه نص عليه في المحكم وخص
الراس بالذكر لانه مجمع الحواس ورئيس الاعضاء وذل ذلا من باب
ضرب والاسم الذل بالضم والذلة بالكسر والمذلة اذا ضعف وهان
فهو ذليل والعز والعزة بكسرهما الرفعة والامتناع والشدة والغلبة و
الجبروت بفتح الباء الكبر والتعاظم والقهر قيل هو مصدر على زنة المبالغة
لان الواو والتاء تزادان للمبالغة كالرهبوت والملكوت والمراد
بكسره اضعافه واذلاله والرقبة العنق فجعلت كناية عن جميع الذات
وتقدم بيانه فيما سبق وفسخ ثوبه من باب منع فسخا نزعه والبيع
نقضه والكبر بالكسر اسم من التكبر وهو العظمة ومثله الكبرياء وامن
مما يخاف بمد الهمزة جعله امنا لا يخاف غائلته والضر بفتح الضاد مصدر
ضره يضره من باب قتل اذا فعل به مكروها قال ابن القوطية كلما كان

من سوء حال وفقر وشدة في بدن فهو ضر بالضم وما كان ضد النفع فهو بفتحها والشر الفساد والظلم وغمز بالحاجب والعين غمزا من باب ضرب اشار وغمز فيه طعن وبالرجل سعى به شرا وهمزه همزا من باب ضرب اغتابه في غيبة وفي النهاية الهمز الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم ولمزه لمزا من باب ضرب ايضا عابه وقيل الهمز العيب في الغيبة واللمز العيب في الوجه ومنه الحديث اعوذ بك من همز الشيطان ولمزه والحبايل جمع حبالة بالكسر وهي الشرك التي يصاد بها والمصايد بغير همز جمع مصيدة بكسر الميم وسكون الصاد وفتح الياء وهي آلة الصيد وكلاهما استعارة للامور التي يوطيها لايقاعه بها في المكاره ومنه فلان نصب حبائله وبث غوائله ومثله نصب مصايده وبث مكايده والخيل الخيالة وهم الفرسان ومنه قوله صلى الله عليه واله يا خيل الله اركبي والرجل بفتح الراء وسكون الجيم اسم جمع للراجل كالصحب والركب للصاحب والراكب قيل هما كناية عن اعوانه من كل راكب وماش والاقرب ان هذا الكلام اورد مورد التمثيل فقد يقال للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك مثل حاله في جده وجهده لايقاعه به بصاحب جند من خياله ورجالة قال صاحب الكشاف في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك مثلت حال ابليس في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقوله عليه السلام انك عزيز قدير تعليل لاستدعاء القبول وتاكيد الجملة لقوة عرض يقينه

بعضوبنا

بعضوبنا وذكر صفتي العزة والقدرة لاظهار انه العزيز اي الغالب الذي لا يمانعه احد بقيته والقدير الذي لا يعجزه شيء فيدخل في ذلك ما ساله عليه السلام من صرف من اراده بسوء الى آخر ما تضمنه الدعاء دخولا اوليا والله اعلم هذا آخر الروضة الثالثة والعشرين من رياض السالكين وقد وفق الله سبحانه لاتمامها مع مكابدة المصائب ومقاساة النوائب التي تهد الجبال الرواسي وتذيب الصخور

القراسي والله المستعان ضحوة يوم

الجمعة لخمس خلون من جمادي

الاخرة من سنة احدى ومائة

والف والحمد لله على

كل حال

م م م

يا علي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وصى الانسان بوالديه حسنا وبعثه على برهما من لدنه المقام الاسنى والصلوة والسلام على نبيه انجب الخلق ابنا واما وابا وعلى اهل بيته الذين فرض طاعتهم على كل احد شاء وابى وبعد فهذه الروضة الرابعة والعشرون من رياض السالكين تتضمن شرح الدعاء الرابع والعشرين من صحيفة سيد العابدين صلوة الله وسلامه عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين املاء العبد الراجي فضل ربه الغني

على الصدر الحسيني الحسني غفر الله له ولوالديه وجعل خير ايامه يوم الوقوف
بين يديه **وكان يدعو عليه السلام لابويه عليهما السلام** المراد بالابوين
الاب والام وهو من الفاظ التغليب التي غلب فيها احد المتصاحبين او المتشابهين
على الاخر بان جعل الاخر موافقا له في الاسم ثم ثنى ذلك الاسم وقصد اليهما جميعا
فتارة يغلب الاشرف كالابوين وتارة الاخف كالعمرين وتارة المذكر كا
لقمرين وقيل المعتبر هو الاسم الاخف الا ان يكون الاثقل مذكرا كالقمرين
على ان هذا النوع مسموع يحفظ ولا يقاس عليه وقد استوفيت الكلام
عليه في شرح الصمدية فليرجع اليه **واعلم** ان تعظيم الابوين امر معتبر
في جميع الشرايع ومركوز في كل العقول وحسبك ان الله سبحانه نص على
ذلك في غير موضع من كتابه المجيد وورد في الاخبار النبوية ما
يضيق عنه نطاق الحصر ومن تعظيمهما والاحسان اليهما ان يحبهما من
صميم القلب ويراعي دقايق الادب في خدمتهما والشفقة عليهما ويبذل
وسعه في رضاهما ولا يمنع كرايم امواله عنهما ويجتهد في تسهيل وصاياهما
ويذكرهما في صالح دعايه كما ارشد الله تعالى الى جميع ذلك في قوله سبحانه
وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا قال امين الدين
الطبرسي معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما جزاء لتربيتهما اياك
في صباك وهذا اذا كانا مومنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده
الميت مسموع والا لم يكن لامره به معنى وروى ابو اسيد الانصاري قال
بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وآله اذ جاء رجل من بني سلمة فقال

يا رسول الله

يا رسول الله هل بقي من بر والدي شيء ابرهما به بعد موتهما فقال نعم
الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما واكرام
صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما **روى** ثقة الاسلام في الكافي
بسنده عن ابي عبد الله عليه السلام قال ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه
حيين وميتين يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون
الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله عز وجل ببره وصلاته خيرا
كثيرا وعن ابي جعفر عليه السلام قال ان العبد ليكون بارا بوالديه في
حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله
عز وجل عاقا وانه ليكون عاقا لهما في حياتهما غير بار بهما فاذا
ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل بارا **تنبيه** ظاهر
قوله تعالى وقل رب ارحمهما ان الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي في
العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه
في كل يوم مرة ام في كل شهر ام في كل سنة فقال يرجو ان يجزيه اذا دعا
لهما في اخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وكانوا يرون الصلوة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله
في ايام معدودات فهم يكبرون في ادبار الصلوة وقال المتطام النيسابوري
وينبغي ان يدعو لهما كلما ذكرهما او ذكر شيئا من انعامهما **ارشاد**
قال العلماء انما جعل الله سبحانه الاحسان الى الوالدين تالي العبادة
وشكرهما تالي الشكر في قوله تعالى الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
وقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك لوجوه منها انهما سبب وجود الولد
كما انهما سبب التربية وغير الوالدين قد يكون سبب التربية فقط فلا

انعام بعد انعام الله تعالى اعظم من انعام الوالدين ومنها ان انعامهما شبيه
انعام الله تعالى من حيث انهما لا يطلبان بذلك ثناء ولا ثوابا انما نطعمكم
لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ومنها ان المحبة والمناسبة والميل
بين الوالد وولده ذاتية حتى عمت جميع الحيوان كما ان المناسبة بين الواجب
والممكن ذاتية لا عرضية وههنا اسرار فليتامل ومنها انه لا كمال يمكن للولد
الا ويطلبه الوالد لاجله ويريده عليه كما ان الله تعالى خير يمكن للعبد الا يريد
عليه ولهذا ارسل الرسل وانزل الكتب ونصب الادلة وازاح العلة ومن
غاية شفقة الوالدين انهما لا يحسدان ولدهما اذا كان خيرا منهما بل
يتمنيان ذلك بخلاف غيرهما فانه لا يرضى ان يكون غيره خيرا منه اذا
عرفت ذلك فمن عظيم الجهل ما حكي ان بعض المتسمين بالحكمة كان يضرب
اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى
والزمانة وما روي عن ابي العلاء المعري انه امر ان يكتب على قبره هذا
الشعر هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزوج والولد
وتركت فيهم نعمة العدم التي سبقت وصدت عن نعيم العاجل ولو انهم
ولدوا لعانوا شدة ترمي بهم في موبقات الاجل فتح الله لذة قد تولت
ادركتها الامهات والاباء نحن لولا الوجود لم نالم الفقد فايجادنا علينا
بلاء وهذا كله جهل منهم بنعمة الوجود المستتبعة لجميع النعم والمنافع
في الدارين ويحكى ان الاسكندر كان يعظم استاده اكثر من تعظيمه والده
فقيل له في ذلك فقال ان الاستاد اعظم منة لانه تحمل انواع الشدايد و
المحن عند تعليمي حتى اوقعني في نور العلم واما الوالد فانه طلب لذة الوقاع
لنفسه فاخرجني الى افات عالم الكون والفساد قال العلماء هب ان الوالد

في اول

في اول الامر طلب لذة الوقاع الا ان اهتمامه بايصال الخيرات الى الولد ودفع
الافات عنه من اول دخول الولد في الوجود الى اوان كبره بل الى اخر عمره
لا ينكر ولا يكفر والله اعلم امام المتقين وسيد العابدين صلوة الله
وسلامه عليه وعلى ابائه وابنائه الطاهرين اللهم صل على محمد وآله عبدك
ورسولك واصل بيته الطاهرين واخصصهم بافضل صلواتك ورحمتك وبركاتك وسلامك
بداء عليه السلم بالدعاء للنبي صلى الله عليه وآله لوجوه احدها ما مر
غير مرة من انه اعظم اسباب اجابة الدعاء الثاني كونه اشرف ابائه عليهم السلم
من جهة النسب الحقيقي الثالث كونه صلى الله عليه وآله ابا معنوية لامته
فيجب الدعاء له على كل احد من امته من هذه الحيثية قال المفسرون في قوله
تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله ومعنى
هذا الاستدراك هو اثبات الابوة من هذه الجهة لان النبي كالاب لامته
من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه واكد هذا
المعنى بقوله وخاتم النبيين لان النبي اذا علم ان بعده نبيا اخر فقد
يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما اذا علم ان ختم النبوة
عليه وفي الحديث عنه عليه السلم يا علي انا وانت ابوا هذه الامة الرابع ما ثبت
عند ارباب التحقيق والعرفان من انه صلى الله عليه وآله ابو الارواح كما
ان ادم عليه السلم ابو الاجساد قال بعض العارفين من اصحابنا المتاخرين
اعلم ان الارواح كلها مخلوقة من روح واحدة هي روح النبي صلى الله
عليه وآله فروحه اصل الارواح فكما كان ادم ابا البشر وخليفة الله في
الارض كان النبي صلى الله عليه وآله ابا الارواح وخليفة الله في عالم الارواح
فالروح خليفة الله وبجميع صفاته تعالى الذاتية كالعلم والحيوة و

القدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والبقاء والجسد خليفة الروح
وهو مجتمع صفاته الفعلية وذلك ان الله تعالى لما خلق روح النبي صلى الله
عليه وآله كان النبي والله ولم يكن معه اخر حتى تنسب او يضاف اليه الروح
غير الله بل كان روحه اول شي تعلقت به القدرة الازلية ولذلك شرفه
بتشريفه الاضافة الى نفسه فسماه روحي كما سمى اول بيت وضع للناس
وشرفه بالاضافة الى نفسه فقال بيتي ثم حين اراد ان يخلق ادم سواه
ونفخ فيه من روحه اي من الروح المضاف الى نفسه وهو روح النبي
صلى الله عليه واله كما قال واذا سويته ونفخت فيه من روحي ولم يقل
نفخت فيه روحي بدون من لكون فيه دلالة على ان الروح المنفوخ
في آدم هو بعينه روح النبي صلى الله عليه واله بل كان روح آدم متولدا
منه فالنبي صلى الله عليه واله الاب الروحاني لابي البشر وساير الانبياء
وابو البشر الاب الجسماني للنبي وساير البشر كما قيل واني وان كنت ابن
ادم صورة فلي فيه معنى شاهد بابوتي ولذلك ارواح اولاد آدم مخلوقة
من روح النبي صلى الله عليه واله لقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين ونفخ فيه من روحه وكذلك قال في حق روح عليه السلام
ونفخنا فيه من روحنا فكانت النفخة لجبرئيل والروح من روح النبي
صلى الله عليه واله المضاف الى الحضرة الالهية ولاجل كون حقيقة الروح
على هذه المنزلة والشرف قصرت افهام الناس وتلاشت العقول عن
دركها كما تتلاشى انوار الابصار في شعاع الشمس ولهذا قال تعالى وما
اوتيتم من العلم الا قليلا فافهم هذا هذا المقال فانه مدرك عزيز
المنال انتهى كلامه قوله عليكم واخصصهم بافضل صلواتك من حصة

بكذا

٤٧٨

بكذا خصوصا من باب فعدا اذا جعله له دون غيره كاختصه به اختصاصا
وخصصه به بالتثقيل للمبالغة قال كثير من العلماء الاصل في لفظ
الخصوص وما يتفرع منه ان يستعمل بادخال الباء على المقصور عليه فيقال
خص المال بزيد اي جعل المال له دون غيره هذا هو الاستعمال العربي
الذي تسبق الى الفهم لكن شاع في العرف ادخال الباء على المقصور كما وقع
في عبارة الدعاء وذلك اما بناء على جعل الخصوص مجازا عن التمييز مشهورا
في العرف وعلى تضمينه معنى التمييز والافراد فيلاحظ المعنيان معا
وحاصله يرجع الى ملاحظة معنى التمييز لان خصوص شي بشي في
قوة تمييز الاخر به والى بعضهم الا هذا الاستعمال وشدد النكير على من
خالفه والصلوة من الله تعالى الرحمة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها
والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله تعالى رافة ورحمة ورؤف
رحيم وبركات خيراته النامية المتكاثرة والسلام اسم من سلم
عليه تسليما وبمعنى السلامة من المكاره فعلى الاول معنى وسلامك اما بمعنى
تحيتك اي تسليمك عليه او بمعنى سلامتك فالاضافة للفاعل واخصص اللهم
والدي بالكرامة لديك والصلوة منك يا ارحم الراحمين
اي ميزهما وفضلهما وتوسط النداء بين الفعل ومفعوله لابراز مزيد
الضراعة والكرامة اسم من الاكرام قال الجوهري التكريم والاكرام بمعنى و
والاسم منه الكرامة ولديك ومنك متعلقان بمحذوفين حالين من الكرامة
والصلوة اي بالكرامة كائنة لديك والصلوة كائنة منك والغرض كمال
علو رتبة الكرامة والصلوة المطلوبين لهما وتكرير النداء للتضرع
واظهار الخضوع والالحاح في الدعاء والمبالغة في الاستدعاء ولذلك ناداه

اولا بوصفها الالوهية الجامعة لجميع الكمالات وثانيا بوصف الرحمة
الفايقة على كل رحمة **اللهم صل على محمد واله والهمني علم ما يجب علي الهاما**
واجمع لي علم ذلك كله تماما ثم استعملني بما تلهمني منه وفقني للنفوذ
فيما تبصرني من علمه حتى لا يفوتني استعمال شيء علمتنيه ولا ثقل اركاني عن الحفوف
الهمه الله خيرا لقنه اياه والقاه في روعه وقال ابن الاثير الالهام ان
يلقي الله في النفس امرا يبعثه على الفعل او الترك وهو نوع من الوحي
يخص الله به من يشاء من عباده وقوله الهاما مصدر موكد لعامله
اي الهاما تاما والتمام نقيض النقصان قيل هو مصدر قال في القاموس
تم يتم تما وتماما مثلثين وقيل اسم من اتممت الشيء قال الفيومي يقال
اتممته والاسم التمام بالفتح فهو اما مصدر موكد لمحذوف هو حال من
العلم اي يتم تماما او اسم اقيم مقام المصدر موكد لاجمع على غير لفظه
كانه قيل واتم لي علم ذلك كله تماما نحو اغتسل غسلا والاصل اتماما او
اغتسالا او مصدرا بمعنى المفعول منصوب على الحالية اي متمما او مفعول
له اي لاجل التمام وثم للترتيب لان العمل بعد العلم واستعملني اي اجعلني عاملا
ومن في قوله منه للتبيين ومثلها قوله من علمه ومفعول تلهمني وتبصرني
محذوف اي تلهمنيه وتبصرني به وحذفه في ذلك مطرد بكثرة كما مر اما
والنفوذ في الامر المضي فيه وبصرته بالامر تبصيرا فبصر به اذا اعلمته
اياه فعلمه وهو من البصيرة واما بصرت الشيء فابصره فهو بمعنى اريته اياه
فراه وهو من البصر وحتى بمعنى كي التعليلية اي كيلا يفوتني استعمال شيء
والاستعمال هنا بمعنى الاعمال بالشيء يقال استعمله اذا جعله عاملا واستعمله
اذا عمل به وجملة علمتنيه في محل جر صفة لشيء والاركان جمع ركن بالضم

فيما الهمتنيه

وهو جانب

وهو جانب الشيء فالمراد بها هنا الجوارح قال ابن الاثير في النهاية في حديث
الحساب ويقال لاركانه انطقي اي جوارحه واركان كل شيء جوانبه التي يستند
اليها ويقوم بها انتهى وثقل الاركان عبارة عن فتور الجوارح وعدم نهوضها
للعمل وفي القاموس تثاقل عنه ثقل وتثاقلا والحفوف يروى بالحاء المهملة
فيكون بمعنى الخدمة قال في الكنز الحفوف خدمة كردن وبه فسر بعضهم المثل
من حفنا او رفنا فليقتصد قال الميداني في مجمع الامثال يقال من حفنا
اي خدمنا وتعطف علينا ورفنا اي حاطنا ويقال ما لفلان حاف ولا راف
وذهب من كان حفه ورفه اي يخدمه ويحوطه انتهى ويروى بالخاء
المعجمة بمعنى الخفة ومنه حديث قد حان مني خفوف اي عجلة وسرعة
مسير وفي رواية بقافين بعد الحاء المهملة جمع حق ولما كانت حقوق
الوالدين وما يجب لهما على الولد حيثيين ومبتنين اكثر من ان يحيط بها
علم الانسان كان مدار هذا الفصل من الدعاء سؤاله عليه السلام ان يلهمه
سبحانه وتعالى جميع ذلك ثم يوفقه للقيام به روى ثقة الاسلام في الكافي
بسند صحيح عن ابي ولاد الحناط قال سالت ابا عبد الله عليه السلام عن
قول الله عز وجل وبالوالدين احسانا ما هذا الاحسان فقال الاحسان
ان تحسن صحبتهما وان لا تكلفهما ان يسالاك شيئا مما يحتاجان اليه
وان كانا مستغنيين اليس يقول الله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون قال ثم قال ابو عبد الله عليه السلام واما قول الله عز وجل
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما
قال ان اضجراك فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما ان ضرباك قال وقل لهما قولا
كريما قال ان ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك منك قول كريم قال واخفض

لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تملأ عينيك من النظر اليهما الا برحمة
ورقة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما ولا تقدم
قدامهما وعن معاذ بن جبل قال بلغنا ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلاثة
الاف وخمسمائة مرة وكان اخر كلامه يا رب اوصني قال اوصيك بامك
حتى قال سبع مرات ثم قال يا موسى الا ان رضاها رضاي وسخطها سخطي
وعن ابي عبد الله عليه السلام قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال يا رسول الله اني راغب في الجهاد نشط قال فقال له النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فجاهد في سبيل الله فانك ان تقتل تكن حيا عند الله ترزق وان
تمت فقد وقع اجرك على الله وان رجعت رجعت من الذنوب كما ولدت
قال يا رسول الله ان لي والدين كبيرين يزعمان انهما يانسان لي ويكرهان
خروجي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله فقر مع والديك فوالذي
نفسي بيده لانسهما بك يوما وليلة خير من جهاد سنة وقد دلت هذه
الاخبار على ان حقوق الوالدين وبرهما كما يجب مما لا يعلمه الا الله
او من علمه الله والله اعلم تنبيه قال شيخنا الشهيد محمد بن مكي في
قواعد الاصول لا ريب ان كل ما يحرم او يجب للاجانب يحرم او يجب للابوين
وينفردان بامور تحريم السفر المباح بغير اذنهما وكذا السفر المندوب
وقيل يجوز سفر التجارة وطلب العلم اذا لم يمكن استيفاء التجارة والعلم
في بلدهما قال بعضهم يجب طاعتهما في فعل وان كان شبهة فلو امراه
بالاكل معهما من مال يعتقد شبهة اكل لان طاعتهما واجبة وترك
الشبهة مستحبة ولو دعواه الى فعل وقد حضرت الصلوة فليؤخر الصلوة
وليطعهما لما قلناه هل لهما منعه من الصلوة جماعة الاقرب انه ليس لهما منعه

مطلقا

وفي بعض الروايات انه صلى الله عليه وآله قال ان امرأة نادت ابنها وهو في
صومعته قالت يا جريج فقال اللهم امي وصلوتي فقالت يا جريج فقال اللهم امي
وصلوتي فقالت لا يموت حتى ينظر في وجوه المومسات الحديث قال لو كان جريج فقيها
لعلم ان اجابة امه افضل من صلوته وهذا الحديث يدل على قطع النافلة لاجلها
ويدل بطريق الاولى على تحريم السفر لان غيبته الوجه فيه اعظم وهي كانت تريد منه النظر
اليها والاقبال عليها ح كف الاذى عنهما وان كان قليلا بحيث لا يوصله الولد اليهما
ويمنع غيره من ايصاله بحسب طاقته ط ترك الصوم ندبا الا باذن الاب لم اقف على
نص في الام ى ترك اليمين والعهد الا باذنه ايضا ما لم يكن في فعل واجب وترك محرم ولم
نقف في النذر على نص خاص الا ان يقال هو يمين يدخل في النهي عن اليمين الا باذنه
تتمة بر الوالدين لا يتوقف على الاسلام لقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا
وهو نص وفيه دلالة على مخالفتهما في الامر بالمعصية وهو كقوله عليه السلام لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق اللهم صل على محمد وآله كما شرفتنا به وصل على محمد وآله كما اوجبت
لنا الحق على الخلق بسببه الكاف في الموضعين للتعليل عند المثبتين له وما
مصدرية اي لتشريفك ايانا به ولايجابك لنا الحق على الخلق بسببه ومنه عندهم
قوله تعالى واذكروه كما هداكم اي لهدايته اياكم ونفي الاكثرون ورود الكاف للتعليل
قال والاولى في ذلك ونحوه للتشبيه وما اما مصدرية فالكاف ومجرورها في محل نصب
نعت المصدر محذوف والتقدير في قوله كما شرفتنا به صل على محمد وآله صلوة
مماثلة لتشريفك ايانا به اي تكون جزاء التشريفك ايانا به وقس عليها ما بعده
ونحوه واما كافة الصلوة لانها لا محل لها من الاعراب لان الكاف ليست حينئذ جارة بل
لمجرد تشبيه مضمون الجملة بالجملة ولذا لا تطلب فعلا عاملا يفضي معناه الى مدخولها

وان كثرتم

481

ومثوبة الغفران حتى اوثر على هواي هواهما واقدم على رضاي رضاهما واستكثر بِرَّهما بي وان قلّ واستقلّ بِرّي بهما هابه يهابه من باب تعب هيبة حذره وقال ابن فارس الهيبة الاجلال فالفاعل هائب والمفعول مهيوب ومهيب ايضا ويهيبه من باب ضرب لغة وتهيّبته خفته وتهيّبني افزعني كذا في النهاية وفيه لا تبلغ شفاعتي اماما عسوفا اي جائرا ظلوما والعسف في الاصل ان يأخذ المسافر على غير طريق ولا جادة ولا علم وقيل هو ركوب الامر من غير روية فنقل الى الظلم والجور انتهى وقال الفيومي في المصباح عسفه عسفا من باب ضرب اخذه بقوة والفاعل عسوف والاضافة في هيبة السلطان من اضافة المصدر الى المفعول اذ المصدر هنا من المبني للمفعول اي كما يهاب السلطان العسوف وانما استغنى عن ذكر من يهابه لانه ظاهر غير ملتبس ويجوز ان يكون من المبني للفاعل مضافا الى المفعول في اللفظ وهو في التقدير مضاف الى الفاعل وتقديره هيبة الرعية السلطان العسوف كقوله تعالى يحبونهم كحب الله اي كما يحب الله وكحب المؤمنين الله هذا ومقتضى الظاهر ان يقال هيبة الرعية للسلطان العسوف لان المشبه هو المصدر المبني للفاعل اعني هائبيته لا من المبني للمفعول اعني مهيبيته والدتي حتى تشبه بمهيبية السلطان فلعله اراد التشبيه فيهما ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه الهائبية وفي جانب المشبه به المهيبية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر وهذا الاسلوب يسمى الاحتباك في علم البديع وقد بسطت القول فيه في شرح بديعيتي المسمى بانوار الربيع في انواع البديع فليرجع اليه ق

نص عليه الرضي قال ابن هشام في المغني وفيه اخراج الكاف عما ثبت لها من عمل الجر من غير مقتضى وهو في محله وقد تقدم الكلام على هذه الكاف بابسط من هذا في الروضة الثانية عند قوله عليه السلام كما نصب لامرك نفسه فليرجع اليه واعلم ان الضمير في قوله عليه السلام كما شرفتنا به وما وجبت لنا الحق على الخلق بسببه اما ان يكون المراد به مطلق المسلمين فتشريفهم به ما نالوه به من شرف الاسلام وشرف الذكر الى غير ذلك وايجابه لهم الحق على الخلق بسببه ما اوجبه تعالى من حقوق المسلمين بعضهم على بعض روى رئيس المحدثين في الفقيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمؤمن على المؤمن سبع حقوق واجبة من الله تعالى عليه الاجلال في عينه والود له في صدره والمواساة له في ماله وان يحرم غيبته وان يعوده في مرضه وان يشيع جنازته وان لا يقول فيه بعد موته الا خيرا وعن ابي عبد الله عليه السلام ما اعظم حق المسلم على اخيه المسلم وسئل عليه السلام عن حق المسلم على اخيه المسلم وسئل عليه السلام عن حق المسلم على المسلم فقال له سبع حقوق واجبات ما منهن حق الا وهو عليه واجب ان ضيع منها حقا خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه نصيب ثم شرحها عليه السلام والحديث مذكور في الكافي وفي رواية اخرى انه سئل عن ذلك فقال سبعون حقا والاخبار في هذا المعنى كثيرة واما ان يكون المراد به خصوص الائمة عليهم السلام فتشريفهم به وايجابه لهم الحق على الخلق بسببه ظاهر فان جميع الحقوق التي اوجبها الله سبحانه لرسوله على خلقه اوجبها لهم عليهم السلام وكفى شاهدا على ذلك قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وتخصيص بعض المترجمين الحق في الدعاء بمضمون آية القربى من ضيق العطن والله اعلم اللهم اجعلني اهابهما هيبة السلطان العسوف وابرّهما برّ الام الرؤوف واجعل طاعتي لوالديّ وبرّي بهما اقرّ لعيني من رقدة الوسنان واثلج لصدري

منحوية

هابه

برّ الوالدين احسان الطاعة اليهما والرفق بهما وتحرّي محابهما وتوقي
مكارههما يقال فيه ربّ والذى ابره من باب علم برّاً وبروراً والرؤوف
فعول من الرأفة وهي اشد الرحمة وهو مشترك الوزن بين المذكر والمؤنث
قال في البارع اذا كان فعول بمعنى فاعل استوى فيه المذكر والمؤنث
فلا يؤنث بالهاء سوى عدوّ فيقال عدوّة وكل من هيبة السلطان وبرّاً
مفعول مطلق مبيّن للنوع والطاعة اسم من اطاعه اطاعة اى انقاد له
واللام في قوله لوالديّ للتقوية نحو كلامي لزيد حسن وانما قال لوالديّ
ولم يقل لهما فوضع الظاهر موضع المضمر للايذان بفخامة مضمون الجملة
واظهار مزيد البرّ بهما وتعدية البرّ بالباء لتضمينه معنى الرفق والا فهو
متعد بنفسه كما علمت وقرّت العين من باب ضرب وتعب قرّة بالضم و
قروراً بردت سروراً من القرّ بالضم وهو البرد فهو كناية عن السرور وقيل
اى سكنت ببلوغ منيتها من القرار فهو كناية عن الفوز بالمراد ويرجع الاول
قولهم سخنت عينه في نقيض قرّت عينه وقال المفضل في قرة العين ثلثة
اقوال احدها برد دمعها لانه دليل السرور والضحك كما ان حره دليل الغم
والحزن والثاني نومها لانه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب الحزن والثالث
حصول الرضا فلا تطمح لشئ اخر وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطاً في الروضة الاولى
عند قوله عليه السلام حمداً تقرّ به عيوننا اذا برقت الابصار فليرجع اليه والرقدة
فعلة من الرقود وهو النوم ليلاً كان او نهاراً وبعضهم يخصه بنوم الليل والاول
هو الحق ويشهد له المطابقة في قوله تعالى وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود قال المفسرون
اذا رأيتهم حسبتهم ايقاظاً لان اعينهم مفتحة وهم نيام ورجل وسنان وامرأة

وسنى بجامسة وهي النعاس فلوها محذوفة والاصل وسن بالتحريك حذفت
الفاء وعوض عنها الهاء وانما خص رقدة الوسنان لان من ملكته السنة لا يكون
اقرّ لعينه ولا اهتم اليه من النوم وثلوج الصدر برده وبل غلته يقال ثلج صدره
ثلوجاً وثلجاً محركة من باب قعد وتعب هو ماخوذ من الثلج وهو صغار القطر
التي تجمد في حال الغيم وتلتزق بعضها ببعض فينزل بالرفق قال الزمخشري
في الاساس ثلجت نفسه بكذا بردت وسرّت وانا ثلجت صدري بخبرك قال الشاعر
فقرت بهم عيني وافنيت جمعهم ولجت بما ان فتلهم صدري انتهى وقال
صاحب كتاب المجتبى ثلج صدرك اى سررت فجعل كناية عن السرور واصله ما ذكرناه
والشربة المرة الواحدة من الشرب ومن الماء ما يشرب منه مرة قال لغاني في ديوان
الادب يقال هل عندكم شربة ماء اى يشرب منه مرة والظمآن العطشان ظمى ظمأ
مهموز مثل عطش عطشاً وزناً ومعنى فهو ظمآن وهي ظمأى مثل عطشان وعطشى
وقيل الظماء اشد العطش وهو الانسب هنا وفي اقرّ وابلج من عبارة الدعاء شاهد
على جواز بناء اسم التفضيل من افعل مع كونه ذا زيادة وهو قياس عند سيبويه قال
الرضي وغيره ويؤيده كثرة السماع كقولهم هو اعطاهم للمال واولاهم للمعروف واكرمهم
للضيف واثرت هذا على ذلك بالمد ايثاراً فضلته وقدمته والهوى ارادة النفس و
يكون في الخير والشر كما نص عليه المحققون من ائمة اللغة خلافاً لمن خصه بالشر وتقديم
كل من المجرورين على المفعول الصريح في الفقرتين لاظهار الرغبة في المؤخر بتقديم
احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله الرغبة فيه كما يورث شوق
السامع الى وروده بنبئ عن كمال الرغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة واستكثرت
الشئ عددته كثيراً ونقيضه استقللته اى عددته قليلاً وان من قوله وان قل وان كثر
وصليتان وقد استوفينا عليها الكلام في الرياض السابقة والله اعلم والوضوح من اشكال

بتهما وان قل واستقلال بره بهما وان اكثر استعظام برهما به ليزداد رغبته في
محبتهما وطاعتهما ولا ينقص في شكرهما والقيام بحقوقهما وليجهد نفسه في مزيد
بره بهما اذ اراه قليلا فلا يكتفي و يقتصر على ما كان من بره بهما وان كان في نفسه كثيرا.
والله اعلم اللهم خفض لهما صوتي واطب لهما كلامي والن لهما عريكتي واعطف عليهما قلبي
وصيرني بهما رفيقا وعليهما شفيقا خفض الرجل صوته خفضا من باب غضبه ولم يجهر به
وخفضه تخفيضا بالتثقيل للمبالغة اي وفقني لرعاية الادب معهما حتى اذا خاطبتهما
خفضت صوتي لهما كما هو الداب عند مخاطبة المهيب المعظم وحفظا على مراعاة
ابهة الابوة وجلالة مقدارها فان رفع الصوت والجهر به عند الخطاب خارج عن
قانون الادب مبني عن عدم التوقير والاجلال ولا سيما في حق الوالدين وعن الصادق
عليه السلم في قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تملا عينيك من النظر
اليهما الا برحمة ورافة ولا ترفع صوتك فوق اصواتهما ولا يدك فوق ايديهما ولا تقدم
قدامهما واطاب الشيء لغيره اي جعله طيبا والطيب الحسن الجيد من كل شيء وقال الفيومي
والطيبات من الكلام افضله واحسنه اي وفقني لان اطيب لهما كلامي و
فيه اشارة الى قوله تعالى وقل لهما قولا كريما قال امين الاسلام الطبرسي اي خاطبهما
بقول رفيق لطيف حسن جميل بعيد من اللغو والقبيح يكون فيه كرامة لهما ويدل
على كرامة المقول له على القايل وقيل اي جميلا مشتملا على حسن الادب ورعاية دقايق
المروة والحياء والاحتشام وقيل القول الكريم ان يقول لهما يا ابتاه يا اماه دون
ان يسميهما باسمهما رجل لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل الخلاف
والنفور فالعريكة الطبيعة وقيل الخلق وقيل النفس قال في المحكم رجل لين العريكة
اي لين الخلق سلسله والعريكة النفس ويقال انه لصعب العريكة وسهل العريكة
اي النفس انتهى وقال الزمخشري في الاساس فلان لين العريكة اذا كان سلسا واصله

في البعير

في البعير والعريكة السنام قال صاحب المحكم انما سمي السنام عريكة لان المشتري يعرك ذلك
الموضع ليعرف سمنه وقوته انتهى وعلى هذا فلين العريكة استعارة لسلاسة الطبيعة
وانقيادها كما صرح بانه في الروضة العشرين وعطف عليه عطفا اشفق ونحن و
عطفه الله عليه اي جعله شفيقا عليه اي اجعل قلبي عاطفا عليهما شفيقا بتحننا
والرفق اللطف رفق به يرفق من باب قتل فهو رفيق واشفق عليه اشفاقا رق له
ورحمه والاسم الشفقة بالتحريك وفي القاموس الشفقة حرص الناصح على صلاح
المنصوح وقال في الاساس له عليه شفقة وشفق رحمة ورقة وخوف من حلول
المكروه به مع نصح واشفقت على ان يناله مكروه وانا مشفق عليه شفيق وشفق وتقديم
المجرور على المفعول في الفقرات كلها لاظهار الاعتناء به وابراز الرغبة في الوجه وتعدد
احواله كما ترى بانه اللهم اشكر لهما تربيتي واثبهما على تكرمتي واحفظ لهما ما حفظاه
مني في صغري الشكر من الله عز وجل مجازاة على يسير الطاعات
بجليل المثوبات وقيل ثناؤه على من اطاعه وقال في النهاية في اسمائه تعالى الشكور
هو الذي يزكو عنده القليل من اعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء فشكره العباد مغفرته
لهم انتهى قال بعضهم لما كان تعالى مجازيا للمطيع على طاعته بجزيل ثوابه جعل مجازاته
لهم شكرا على طريق المجاز كما سميت المكافاة شكرا والمعنى اجزهما على تربيتي عظيم
الجزاء قالوا والاكثر في الشكر ان يتعدى باللام فيقال شكرت له وربما تعدى بنفسه
فيقال شكرته وانكره الاصمعي في السعة وقال بابه الشعر والتحقيق ان الشكر اذا عدي الى
المنعم عدي باللام فيقال شكرت له كما قال نعم واشكروا لي واذا عدي الى النعمة عدي بنفسه
فيقال شكر النعمة وقد يجمع بينهما في الذكر على هذا الوجه فيقال شكر له نعمته ومثله
عبارة الدعاء وربما عدي الى المنعم بنفسه على تقدير مضاف فيقال شكر فلانا
اي شكر نعمته قال الزمخشري في الاساس شكر لله نعمته واشكروا لي وقد يقال شكرت

فلانا يريدون نعمة فلان وقد جاء زيادة الاعجم بهما في قوله سو وشكر تشكر من صنائعهما وشكر الله لا تشكر . انتهى كلامه . ورجى الصغير ربي من باب تعب وفي لغة ربا يربو من باب علا اذا نشا وبما ويتعدى بالتضعيف فيقال رباه تربية فتربى هو وعرفوا التربية بانها تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا واثابه بتثبيه انابه جازاه على صنيعه وكافاه بر والاسم الثواب ويكون في الخير والشر والاول اكثر والتكرمة بفتح التاء وكسر الراء اسم من كرمه تكريما بمعنى اكرمه اكراما وفي القاموس التكرمة التكريم وحفظت لزيد صنيعه راعيه وشكرته له وكافاته به ولم انسه اي وجازهما على ما اصاناه من امري وقاما به من شاني في وقت صغري وفي هذه الفقرات اشارة الى عجز الولد عن القيام بما يجب عليه من الشكر والمكافاة لهما ومجازاته على احسانهما اليه فتوسل الى القادر على ذلك بان يشكرهما ويجازيهما عليه وفي الحديث ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وآله فقال له يا رسول الله صلى الله ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما ولياني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولا طلقة والله اعلم اللهم وما مسهما مني من اذى او خلص اليهما عني من مكروه او ضاع لهما قبلي من حق فاجعله حطة لذنوبهما وعلوا في درجاتهما وزيادة في حسناتهما يا مبدل السيئات باضعافها من الحسنات مسه يمسه من باب تعب في لغة من باب قتل لمسه بيده وقال الفيومي مسته افضيت اليه بيدي من غير حائل هكذا قيدوه انتهى وقال البيضاوي المس ايصال الشئ بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب ولذلك يقال المسه فلا اجده انتهى ومعنى الخاتمة

اللمس

٤٨٦

ان اللمس يبنى من اعتبار الطلب بحر سواء كان داخلا في مفهومه او لازما له فانه في الاصل المس باليد على ما في الصحاح والقاموس ولعدم الجزم بالدخول اورد الكاف لان معنا مجرد الطلب على ما توهم فاورد عليه قوله تعالى او لامستم النساء ولاعتبار الطلب في مفهومه سواء كان داخلا او خارجا يقال لمسه اي طلب مسه فلا اجده ثم استعير للمس لاذى صابه ومنه قوله تعالى ان تمسسكم حسنة قال الزمخشري في الكشاف المس مستعار لمعنى الاصابة قال في الاساس ومن المجاز مسه الكبر ومسه العذاب من الاولى للابتداء والثانية للتبيين والاذى المكروه اليسير كذا في القاموس وقال بعضهم الاذى مصدر كالاسى قال اذاه يوذيه اذى والاذى نوع من الضرر وهو الضرر اليسير انتهى وقد يقال لما كان الاذى عبارة عن يسير المكروه والضرر ناسب ان يعبر عن الاصابة بالمس المبنى عن ادنى مراتب الاصابة فان الاصابة اقوى من المس وان لم يفرق بينهما صاحب الكشاف لكن المحققون نصوا على ذلك في قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قالوا ذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة للايذان بان مدار ساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة والاناطة فرحهم تمام اصابة السيئة وقال صاحب الكشف تحقيق ان الاصابة اقوى من المس فالمعنى ان الحسنة اي قدر كان ولو مسا فانهم واما الفرح بالسوء فلا يكون الا اذا كان بوصوله وقع لان مقام المبالغة في الحسد والغيظ يقتضي ذلك انتهى قال النظام النيسابوري وعلى هذا فلا يبعد ان يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم انتهى والخلوص الى الشئ الوصول اليه قال في الاساس خلص اليهم وصل وخلص اليه الحزن والسرور والفعل من باب قعد وعن للمجاوزة اي متجاوزا اياه ومنفصلا عنه وهذا الموضع مما يجوز فيه استعمال من وعن قال الرضي اذا قصدت بمن محض كون المجرور بها موضعا انفصل عنه الشئ وخرج منه لا كونه مبدا الشئ جاز ان يقع موقعها عن لانها المجرد التجاوز تقول انفصلت منه وعنه انتهى وحاصل المعنى

سابا لهما منی من مکروه یسیرا وجلیل فیکون التنوین فی مکروه للعظیم وقبلی بکسر القاف
وفتح البا ای عندی قال الفارابی فی دیوان الادب یقال لی قبل فلان حق ای عنده والفاء
فی قوله فاجعله لمربط شبه الجواب بشبه الشرط والحطة وقال ابن الاثیر فی النهایة فیه
ابتلاه الله ببلاء فی جسده فهو له حطة ای یحط عنه خطایاه وذنوبه وهی فعلة من
حط الشیء یحطه اذا انزله والقاه ومنه الحدیث فی ذکر حطة بنی اسرائیل وهو قوله
تعالی وقولوا حطة ای قولوا حط عنا ذنوبنا انتهی ای اجعله سبب لحط ذنوبهما وقد تقدم
توجیه اعتراف المعصومین علیهم السلام بالذنوب والاستغفار منها فی الروضة الثانیة
عشر بما لا مزید علیه فلیرجع الیه ولما کان ابتلاء المؤمن بالمصائب والمکاره فی هذه الدار
اما حطة لاوزاره او رفعة لمقداره کما نطقت مستفیضات الاخبار سال علیه السلام
ان یجعل الله تعالی ما اصاب والدیه قبله من المکاره وما الهمهما التقصیر من جهته سببا للخیر
عاید الیهما وهو حطة لذنوبهما ورفعة فی درجاتهما وزیادة فی حسناتهما فیکون ما وقع
منه من السیئة حسنة له ایضا ولذلک ختم هذا الفصل بقوله علیه السلام یا مبدل السیئات
باضعافها من الحسنات وقد مر شرح هذه الفقرة مبسوطا فی اخر الروضة الثانیة فاغنی
عن الاعادة **اللهم وما تعدیا علی فیه من قول واسرفا علی فیه من فعل او ضیعاه لی من حق او**
قصرا بی عنه من واجب فقد وهبته لهما وجدت به علیهما ورغبت الیک فی وضع تبعته
عنهما فانی لا اتهمهما علی نفسی ولا استبطئهما فی بری ولا اکره ما تولیاه من امری یا رب
فهما اوجب حقا علی واقدم احسانا الی واعظم منة لدی من ان اقاصهما بعدل
او اجازیهما علی مثل این اذا یا الهی طول شغلهما بتربیتی واین شدة تعبهما فی حراستی
واین اقتارهما علی انفسهما للتوسعة علی هیهات ما یستوفیان منی حقهما ولا ادرک
ما یجب علی لهما ولا انا بقاض وظیفة خدمتهما فصل علی محمد واله واعنی یا خیر من
استعین به ووفقنی یا اهدی من رغب الیه ولا تجعلنی فی اهل العقوق للاباء

ولامهات

والامهات یوم تجزی کل نفس بما کسبت وهم لا یظلمون
علا علیه وتعدی واعتدی ظلم وتجاوز الحد وفی للظرفیة المجازیة ومن للبیان
واسرف اسرافا جاوز القصد والاسم السرف بفتحتین قال الازهری وغیره السرف فی الشیء
مجاوزة الحد المعروف لمثله انتهی واکثر ما یستعمل فی مجاوزة الحد فی النفقة ومنه
حینئذ اسرفت کما اسرف فی الخبز قال الراغب ولیس الاسراف متعلقا بالمال بل بکل شیء وضع
فی غیر موضعه اللایق به الا تری ان الله تعالی وصف قوم لوط بالاسراف لوضعهم البذر فی
غیر المحرث فقال انکم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون
ووصف فرعون بقوله عز وجل انه کان عالیا من المسرفین وقوله وان فرعون لعال
فی الارض وانه لمن المسرفین انتهی وحق الانسان ما کان ثابتا لازما له وقصر به
عن الشیء تقصیرا لم یبلغ به الیه یقال قصر به زیاب قوبه وقصر به تقصیرا بالتثقیل
للمبالغة ومنه قصرت بنا النفقة اذ لم تبلغ بنا مقصدنا وفی الحدیث ان قومک قصرت
بهم النفقة روی بتشدید الصاد المفتوحة وبتخفیفها مضمومة نص علیه الکرمانی فی
شرح البخاری فالباء للتعدیة وهی مع المخفف مثل خرجت به ومع المثقل مثل مثلت به تشدید
والمعنی ما لم یبلغانی الیه من واجب لی علیهما والحق والواجب هنا وان کان المعنی الا ان
مفاد الفقرة الاولی ضیاع الحق جملة ومفاد الفقرة الاولی ضیاع الحق جملة ومفاد
الفقرة الثانیة عدم اتمام الواجب بل الوقوف دون ذروة فقول بعضهم ان ظرفیة الباء او
اولی من سببیتها وهم او خبط واو فی الموضعین للتنویع ووهبت لزید مالا اهبه له
هبة اعطیته بلا عوض وجاد علیه یجود من باب قال جودا بالضم تکرم ورغبت الی الله تضرعت
الیه وسألته والتبعة علی وزن کلمة ما تطلبه من ظلامة ونحوها ومدار هذا الفصل علی حمله
علیه السلام عن مؤاخذتهما بما وقع منهما الیه من الاساءة فی قول او فعل او اضاعة حق او تقصیر
فی واجب فقد روی رئیس المحدثین بسنده عن سید العابدین صاحب الدعاء علیه السلام

انه قال في حديث طويل واما حق ولدك فان تعلم انه منك ومضاف اليك في عاجل الدنيا بخيره
وشره وانك مسؤل عما وليته من حسن الادب والدلالة على ربه عز وجل والمعونة له على طاعته
فاعمل في امره عمل من يعلم انه مثاب على الاحسان اليه معاقب على الاساءة اليه وروي
ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن زيد بن علي عن ابيه عن جده عليهم السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما
والفاء من قوله فاني لا اتهمها للسببية بمعنى اللام فهي للدلالة على سببية ما بعدها لما قبلها
واتهمته بكذا ظننت به واتهمته في قوله شككت في صدقه واصله اوتهمت لانه
من الوهم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ثم ابدلت منها التاء فادغمت في
تاء الافتعال واستبطائه اعتقدته ورايته بطيئا وهو استفعال من البطوء بالضم
مهموز الاخر وهو نقيض السرعة وتولي الامر تولية صار عليه واليا وكرر النداء اولا بوصف
الالوهية الجامعة لجميع الكمالات وثانيا بوصف الربوبية المنبئة عما فيه صلاح المربوب
اظهارا لكمال التضرع وكلا بتهاله مبالغة في الاستدعاء والفاء من قوله فهما وجبت
اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها فهي لتعليل جملة عدم اتهامهما على نفسه واستبطائهما
في بره وكراهيته لما تولياه من امره سببا لتجاوزه عنهما والرغبة اليه تعالى في وضع التبعة
عنهما فكانه قال انما جعلت حسن ظني بهما وما بعده سببا لتجاوزي عن مواخذتهما لانهما
اوجب حقا على الى آخره وكذلك جعلها اعني الفاء رابطة للجملة بما قبلها مثلها في
قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم وقول بعضهم استيناف
الفاء في فهما اولى من سببيتها وهم اذ لم يقل احد باقتران الجملة الاستينافية بالفاء
مع ذكر المبتداء فيها بل صريح كلامهم ان الفاء الاستينافية هي التي تقدر ما بعدها
مبنيا على مبتداء محذوف نحو ما تاتينا فتحدثنا بالرفع اي فانت تحدثنا الان بدلا
عن ذلك ومنه قول الشاعر الم تسئل الربع القواء فينطق اي فهو ينطق واوجب اي الزم

قوله الان بدلا عن ذلك توجيه
لوجود الحديث مع عدم الاتيان فيكون المعنى
ما تاتينا في المستقبل فانت تحدثنا الان عوضا عن ذكر
و الا فالحديث لا يجتمع عدم الاتيان منه

وانبت من وجب الشيء اذا لزم وثبت وحقا منصوب على التمييز واصله حقهما فحذف المضاف واقيم المضاف اليه وهو ضمير الغائبين مقامه فارتفع وانفصل
وصار هما اوجب ثم جيء بالمحذوف تمييزا وقس عليه قوله اقدام احسانا واعظم منة
وتوهم بعضهم ان هذا التمييز محول عن الفاعل كاشتعل الراس شيبا فخبط خبط
عشواء واقدام افعل من قدم الشيء بالضم قدما على وزن صب بمعنى سبق اي سبق
احسانا ومن في قوله من احسانهما ليست صلة ولا افعل بل متعلقة بالبعد المفهوم
من التفضيل والمشاركة للمفضل عليه تحقيقا او تقديرا بل اسم التفضيل هنا مخرج
عن معناه التفضيلي الى التجاوز والبعد الذي يلزمه فان التفضيل يستلزم بعد
المفضل عن المفضل عليه فكانه قيل هما بعيدان من جهة الحق من مقاصتي لهما او المعنى
هما ابعد الناس حقا من مقاصتي لهما على تضمين افعل معنى ابعد وقد بسطنا الكلام
على بيان هذه المسئلة واختلاف اقوال العلماء فيها في الروضة السادسة عشر
فليرجع اليه فاوهم لبعض المعربين من ان من لابتداء الغاية جارة للمفضل عليه الموؤل
من ان المصدرية وافاض خبط لا يلتفت اليه وقاصصته مقاصة من باب فاعل فعلت
به مثل ما فعل والاسم القصاص ويجب ادغام الفعل والمصدر من اسم الفاعل تقاص
فاصر مقاصة كما يقال سارة مسارة وحاجه محاجة وما اشبه ذلك والعدل
اما بمعنى ضد الجور فالباء للاستعانة كما في كتبت بالقلم او للسببية متعلقة باقاصهما
جعل العدل كالالة للقصاص او سببا فيه ويجوز ان تكون للملابسة فتكون متعلقة
بمحذوف حال من ضمير المتكلم اي ملتبسا بعدل او صفة لمصدر محذوف اي مقاصة
ملتبسة بعدل واما بمعنى المثل والنظير فالباء للمقابلة نحو كافاته على احسانه بضعف
والمعنى ان اقاصهما بمثل ما فعلاه لي وجازيته بذنبه عاقبته عليه او للتنويع
وعلى ليست صلة لاجازيهما كما هو المتبادر اذ لا معنى للمجازاة على مثل الفعل بل

٤٨٧

في كل موضع وتكلفوا تخريج ما خفي فيه ذلك وقال الفارسي في الاكثر وقد يكون
للجواب حيث هذه لخوان يقال احبك فتقول اذاً اظنك صادقا فلا يتصور هنا الجزاء انتهى و
انما لم يتصور هنا الجزاء انتهى وانما لم لما قال الرضي ان الشرط والجزاء اما في الاستقبال او في
الماضي ولا يأتي شيء منهما في الحال اذا عرفت ذلك فتكون اذا في عبارة الدعاء للجواب كونها
جوابا عن سؤال مقدر كان رسل عليه السلام فقيل له ما عليك لو قاصصتهما بعدل و
جازيتهما على مثل فقال ابن اذا طول شغلهما بتريتي كما قال التبريزي في شرح الحماسة
في قوله شعر لو كنت من مازن لم تستبح ابلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا اذا لقام
بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا قال سيبويه اذا حرف جواب وجزاء
فيجوز ان يكون هذا القايل قدر ان سائلا ساله فقال لو كنت من مازن فما ذا كانوا
يصنعون فقال اذا لقام بنصري البيت فهذا البيت جواب لهذا السائل وجزاء للمستبيح
انتهى واذا هذه هي الناصبة للمضارع اذا دخلت عليه بشرط تصدرها واستقبال
واتصالهما او انفصالهما بالقسم او بلا النافية والصحيح انها هي الناصبة بنفسها
لا بان مضمرة وذهب بعضهم الى انها اسم والاصل في اذا اكرمك اذا جيتني
اكرمك ثم حذفت الجملة وعوض عنها التنوين واضمرت ان وقال الزركشي في
البرهان ذكر بعض المتاخرين ان اذا تكون مركبة من اذا التي هي ظرف زمان مضاف
الى جملة بعدها تحقيقا او تقديرا لكن حذفت الجملة تخفيفا وابدل منها
التنوين كما في قولهم حينئذ وليست هذه الناصبة للمضارع لان تلك تختص به
ولذا عملت فيه وهذه لا تختص بل تدخل على الماضي نحو اذا لاتيناهم اذا لامسكتم
اذا لاذقناك وعلى الاسم نحو انكم اذا لمن المقربين قال وهذا المعنى لم يذكره
النحاة لكنه قياس ما قالوه في اذا انتهى قال بعض المحققين وعدم ذكر النحاة لهذا
المعنى هو الوجه لان اذا هذه هي الناصبة للمضارع جزما والقول بان تلك تختص

المجازاة انما تكون على نفس الفعل فهي متعلقة بمحذوف صفة لمصدر مؤكد محذوف
والتقدير او اجازيهما مجازاة كائنة على مثل اي مماثلة لفعلهما من الاساءة و
الفرق بين المقاصة والمجازاة ان المقاصة تكون بمقابلة الفعل بفعل من جنسه
كمقابلة الضرب بالضرب والجرح بالجرح والمجازاة تكون بمقابلته من غير جنسه
كمقابلة الشتم بالضرب فكان مفاد كل من الفقرتين غير الاخر قال بعضهم ويحتمل ان
يكون المراد بفقرة المجازاة بيان عدم قدرته على مجازاة جرمهما باساءة بمثله ولا
يخفى عدم ملايمته لما قبله وما بعده قوله عليه السلام اين اذا يا الهي طول شغلهما بتربيتي
استيناف لانقطاع تعلق الجملة بما قبلها لفظا وان تعلقت به من جهة المعنى فهي
كجملة الدعاء من قولك مات فلان رحمه الله واين اسم استفهام عن المكان وليس
الاستفهام على حقيقته بل المراد به استعظامه لحقهما واعتداده باحسانهما اليه
واذا عند الجمهور حرف بسيط والنون فيها اصل كنون لن وعن وهي حرف جواب
وجزاء قال البدر الدماميني معنى كونها حرف جواب انها لا تستعمل في كلام مقتضب
ابتداء بحيث لا يكون هناك كلام متقدم يقتضي ان تكون الجملة التي فيها اذا جوابا
له وانما تستعمل حيث يكون ثم سؤال او كلام ملفوظ او مقدر فيكون الجملة التي
وقعت اذا في صحبتها جوابا لذلك الكلام الملفوظ او المقدر والجواب في الحقيقة
انما هو تلك الجملة التي وقعت اذا في صحبتها سواء وقعت في صدرها او حشوها
او اخرها لا اذن وحدها وليس المراد بالجواب ما يراد بجزاء الشرط ولا ما يراد في قولهم
ان مثل نعم ولا حرف جواب كما توهم بعضهم والمراد بكونها للجزاء ان يكون مضمون
الكلام الذي هي فيه جزاء لمضمون كلام اخر قال في المفصل اذا جواب وجزاء يقول
الرجل انا اتيك فتقول اذا اكرمك فقد جعلت كلامك جوابا لكلامه وصيرت اكرامك
جزاء لاتيانه انتهى قال المرادي وغيره قال قوم منهم الشلوبين هي للجواب والجزاء

ذكر

بالمضارع ممنوع فقد صرح النحويون بعدم الاختصاص قال في التصريح حكى
سيبويه عن بعض العرب الغاء اذا مع عمل النصب في المضارع مع استيفاء شروط
العمل وهو القياس لانها لا تختص انتهى وقال الزجاج والفارسي الناصب ان مضمرة
بعدها لانها غير مختصة اذ تدخل على الجمل الابتدائية نحو اذا عبد الله يلقاه ويليها
الاسماء مبنية على غير الفعل وقال الرضي الذي يلوح لي في اذا ويغلب في ظني ان
اصلها اذ حذفت الجملة المضاف اليها وعوض منها التنوين لما قصد جعله صالحا
لجميع الازمنة الثلاثة بعد ما كان مختصا بالماضي وذلك انهم ارادوا الاشارة
الى زمان فعل مذكور فقصدوا الى لفظ اذ الذي هو بمعنى مطلق الوقت لخفة لفظه
وجردوه عن معنى الماضي وجعلوه صالحا للازمنة الثلاثة وحذفوا الجملة المضاف
اليها لانهم لما قصدوا ان يشيروا به الى زمان الفعل المذكور دل ذلك الفعل
السابق على الجملة المضاف اليها كما يقول لك شخص انا ازورك فتقول اذا اكرمك اى اذ
تزورني اكرمك اى وقت زيارتك لي اكرمك وعوض التنوين من المضاف اليه لانه
وضع في الاصل لازم الاضافة فهو ككل وبعض الا انهما معربان اكرمك وللمحال نحو
اذا اظنك كاذبا واذا هي بناء هي اذ في قولك حينئذ ويومئذ الا انه كسر ذلك في نحو
حينئذ لتكون في صورة ما اضيف اليه الظرف المقدم واذا لم يكن قبله ظرف في صورة
المضاف فالوجه فتحه ليكون في صورة ظرف منصوب لان معناه الظرف وقد جاء
كسره نادرا كقوله ٭ نهيتك عن طلابك ام عمرو ٭ بعاقبة وانت اذ صحيح ٭ كما جاء
فتحه في حينئذ نادرا قال وانما ركبت اذا علما اذا زمانية محذوفة الجملة المضاف
اليها لظهور معنى الزمان فيها في جميع استعمالاتها كما في اذ فان معنى ان جئتني اذا
اكرمك في وقت المجيء اكرمك وكذا ان زرتني اذا اكرمتك ولا سيما في قوله تعالى فعلتها
اذا وانا من الضالين وقولهم اذا اظنك كاذبا بالرفع فانها متمحضة للزمان ولا شرطية

فيها وقلب نونها الفا في الوقف يرجح جانب اسميتها انتهى وهذا القول مما
تفرد به الرضي ولم يقل به غيره فيما اعلم وهو من الحسن بمكان وعليه فمعنى
نعمى اذا في اذا في عبارة الدماميني اذا فاصحبهما بعدل ولحاظ تهما
على مثل طول شغلها بتربيتي اى وقت مقاصتي ومجازاتي لهما وانما بسطنا
الكلام على اذا هنا لاني لم ار من استوفى الكلام عليها في مثل هذه العبارة
فاردت ان اكشف عن حقيقتها والله اعلم تنبيه اتفقت نسخ الصحيفة
الشريفة الا ما شذ على رسم اذا بالالف وهو الموافق لرسمها في المصاحف
واختلف النحويون في ذلك فجزم ابن مالك في التسهيل بانها تكتب بالالف
مراعاة للوقف عليها لانها تبدل في الوقف الفا تشبيها لها بتنوين المنصوب
وعزاه ابن هشام في المغني للجمهور وقال ابو حيان في شرح التسهيل وذهب
المازني والاكثرون الى انها تكتب بالنون للفرق بينها وبين اذا الزمانية
واما اذا اعملت فالعمل يميزها عنها وقال ابو حيان فصل الفراء فقال ان
الغيت كتبت بالالف لضعفها وان اعملت كتبت بالنون لقوتها وحكى عن ابي العباس
المبرد انه كان يقول اشتهي ان اكوي يد من يكتب اذن بالالف لانها مثل ان ولن
ولا يدخل التنوين في الحرف وتعقبه ابن هشام في حاشيته على التسهيل بما
لفظه الحق ان كتابتها بالالف وان الوقف عليها بالالف وكذا وقف القراء وقوله
مردود برسم الصحابة بالالف على حسب الوقف ويخشى عليه عاقبة ما قال
ولا يعذب بالنار الا خالقها انتهى والحراسة بكسر الحاء قيل اسم من حرسه قال
الشهاب الفيومي في المصباح حرسه يحرسه من باب قتل حفظه والاسم الحراسة
وقيل مصدر قال في القاموس حرسه حرسا وحراسة فهو حارس وفي الصحاح
حرسه حراسة اي حفظه وفي شرح جامع الاصول للمصنف الحراسة فعل الحراسة

وهو من يحرسك وانت نايم وفي من قوله في حواشي اما الظرفيه مجازيه وسببية
اى لاجل حواشي وقتر على نفسه وعياله قترا وقتورا من بابي ضرب وقعد
ضيق في النفقة واقتر اقتارا وقتر بقتر تقتيرا مثله ففيه ثلاث لغات
كما ان في وسع ثلاث لغات ايضا يقال وسع الله عليه رزقه يوسع بالتصحيح وسعا
من باب نفع اى بسطه وكثره واوسعه ايساعا ووسعه توسيعا وتوسعة مثله وهيهات
اسم فعل بمعنى بعد قال الواحدى هو اسم سمى به الفعل ومعناه بعد وليس له اشتقاق
لانه بمنزلة الاصوات وفيه زيادة معنى ليست في بعد وهو ان المتكلم بهيهات يخبر
عن اعتقاده استبعاد ذلك الذى يخبر عن بعده فكانه بمنزلة قوله بعد جدا او ما
ابعده لا على ان يعلم المخاطب مكان ذلك الشيء في البعد ففي هيهات زيادة على بعد
وان كان يفسر بعيدا انتهى وقال الرضى كل ما هو بمعنى الخبر من اسماء الافعال ففيه
معنى التعجب فمعنى هيهات اى ما ابعده وشتان اى ما اشد الافتراق وسرعان و
بطآن اى ما اسرعه وما ابطاه وفي تاء هيهات الحركات الثلاث فالفتح نظر
الى اصله حين كان مفعولا مطلقا لان اصله المصدر فيه اذ معناه ما ابعده
كما ذكرنا كذا يستفاد من كلام الرضى والمستعمل من هذه اللغات استعمالا غالبا
الفتح بلا تنوين ومنها لغات اخرى وصلها في القاموس الى احدى وخمسين لغة
وفاعل هيهات في عبارة الدعاء ضمير مستتر عائد الى الوفاء بحق الوالدين الذى هو
قوله بعده ما يستوفيان من حقهما كما قيل في قوله نعم هيهات هيهات لما
توعدون ان فاعله ضمير عائد الى التصديق او الصحة او الوقوع او الاخراج
المفهوم من قوله تعالى قبله ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم
مخرجون فان قلت ما قيل في الآية لا محذور فيه لانه كالاضمار بعد الذكر واما ما
ذكرته في الدعاء فهو كالاضمار قبل الذكر وهو محذور قلت هو كقولهم في باب التنازع

۴۸۹

في نحو ضربني واكرمت زيدا ان فاعل ضربني مضمر قبل الذكر لانه قد جاء بعده
ما يفسره على الجملة وان لم يجئ لمحض التفسير كما جاء في نحو ربه رجلا فلا استبعاد فيما
ذكرناه وقد قال المعربون مثل ما قلناه في قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات
ليسجننه والمعنى ان فاعل بدا اما مصدره او الرأى المفهوم من السياق او المصدر
المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او رأى او سجنه قال الاحتمال الثالث
هو نظير ما قلناه في الدعاء ومن اجاز حذف الفاعل قال هو محذوف وليسجننه
قائم مقامه اى بدا لهم سجنه فحذف واقيمت الجملة مقامه وعلى هذا ذلك في عبارة
الدعاء دعوى بحذف فاعل هيهات وقيام الجملة بعده مقامه وهو ظاهر
ومن الغريب ما توهمه بعض المترجمين من جواز كون ما من قوله ما يستوفيان
مصدرية وهى ومسبوكها فاعل هيهات والتقدير هيهات استيفاؤهما منى حقهما
مع ان قوله ولا ادرك ما يجب لهما الا يبقى معه لهذا التوهم مجال الا ان لا معية له لكونه
ما نافية اى لا تقترن واو العطف بلا الا اذا سبقت بنفى قوله عليه السلام ولا انا
نقاض وظيفة خدمتهما الباء زايدة وزيادتها في الخبر الغير الموجب معتبر ولا
تحتاج الى متعلق لزيادتها والوظيفة ما يقدر من عمل ورزق او طعام ونحو
ذلك ووظفت عليه العمل توظيفا قدرته اى لا استطيع قضاء ما وظفته على من
خدمتهما وقالوا الوظيفة بمعنى الشرط كما نص عليه في القاموس وارادة هذا المعنى
ايضا صحيح اى ما شرطته على خدمتهما والجملة اسمية معطوفة على الفعلية
قبلها ومن منع عطف الجملة الاسمية على الفعلية وبالعكس فله ان يقول هى
معطوفة على الفعلية قبلها ومن منع عطف الجملة الاسمية على الفعلية الى على شيء
متوهم لان معنى ما يستوفيان منى حقهما ولا ادرك ما يجب على لهما ما هما مستوفيين
منى حقهما ولا انا بمدرك ما يجب على لهما ونظير ذلك قول زهير شعر تقى نقى

لم يكن تغنيه بهكة ذي قربى ولا الجفلد قال ابن هشام سالني ابو حيان علام عطف الجفلد فقلت حتى اعرف ما الجفلد فنظرنا فاذا هو السخي الخلق فقلت هو معطوف على شيء متوهم اذ المعنى ليس بكثير عنيمة فاستعظم ذلك انتهى ومن دري الجواز وهو الصحيح بجعل ما ذكرناه من المعنى المتوهم في عبارة الدعاء رعاية التناسب فاعرف فانه نفيس والفاء من قوله عليه السلام فصيحه اي اذا كان الامر على ما ذكر فصل على محمد واله واعني فحذف المستعان عليه والموفق له اما لتعميمهما او لارادة التعميم مع الاختصار وفي من قولي في اهل العقوق اما بمعنى مع اي مبهم كما قيل في قوله تعالى ادخلي في عبادي اي مع عبادي وظرفية اي في زمرة اهل العقوق والامهات جمع ام قيل اصلها امهة ولهذا جمعت على امهات واجيب بزيادة الهاء وان الاصل امات قال ابن جني دعوى الزيادة اسهل من دعوى الحذف وقيل كل من ام وامهة لغة براسها فالامات جمع ام والامهات جمع امهة ولا حاجة الى دعوى زيادة ولا حذف وكثر في الناس امهات وفي غير الناس امات للفرق قوله عليه السلام يوم تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون متعلق بقوله لا تجعلني وهو اقتباس من قوله تعالى في سورة الجاثية وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون والتغيير اليسير لا يضر في الاقتباس كما تقدم ذكره في الروضة الاولى ويوم منصوب على انه ظرف لتجعلني والجملة في محل جر باضافة يوم اليها وبما كسبت متعلق بتجزى اي بما كسبت ويجوز ان تكون مصدرية اي بكسبها وهم لا يظلمون في محل نصب على الحال من كل لانها في معنى الجمع وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد انسب بحال الكسب اي لا يظلمون بنقص ما يستحقونه من الثواب ولا بزيادة ما يستحقونه من العقاب وقد تقدم الكلام على اقتباس هذه الاية في اوائل الروضة الاولى بابسط من هذا فليرجع اليه

اللهم

اللهم صل على محمد واله وذريته واخصص ابوي بافضل ما خصصت به اباء عبادك المومنين وامهاتهم يا ارحم الراحمين عطف الذرية على الال من باب عطف الخاص على العام لان ذرية الرجل نسله واله ذووه وقرابته فكل ذرية ال دون العكس واصل ال عند بعض اول تحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت الفا قال وقيل اصله اهل لكن دخل للابدال واستدل عليه بعود الهاء في التصغير فيقال اهيل ومن الغريب ما حكاه البطليوسي في كتاب الاقتضاب من ان الكسائي ذهب الى منع اضافة ال الى المضمر فلا يقال الله بل اهله قال وهو اول من قال ذلك وتبعه النحاس والزبيدي وليس بصحيح اذ لا قياس يعضده ولا سماع يؤيده وقد تقدم الكلام على لفظ الذرية والخلاف في وزنها واشتقاقها في الروضة الرابعة فاغنى عن الاعادة وما اما موصولة اي بافضل الفضل والثواب الذي خصصت به اباء عبادك او نكرة موصوفة اي بافضل شيء خصصت به اباء عبادك والمومنين يجوز كونه صفة للمضاف اليه اعني عبادك كما قالوه في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يجوز فيه كون الاعلى صفة للاسم او صفة للرب لكن قضية قولهم ان الصفة دائما للمضاف لا للمضاف اليه لانه هو المقصود والمضاف اليه جيء به لغرض التخصيص ولم يوت به لذاته ان المومنين صفة للاباء لا غير لا يقال لا دليل هنا عطف الامهات على الاباء من غير وصف ولو كان المومنون صفة للاباء فكان وامهاتهم المومنات لانا نقول المقصود بالذات اباء العباد الموصوفون بالايمان والا فكم من عبد مومن ابوه غير مسلم فضلا عن كونه مومنا وانما لم يصف الامهات بالمومنات اكتفاء بتبعيته عن لفظ لدلالة ما سبق عليه واما جعل المومنين صفة للمتضايفين معا فلا يجوز قطعا لانه يؤدي الى تسلط عاملين مختلفي المعنى والعمل على معمول واحد جهة واحدة بناء على ان العامل في المنعوت هو العامل في النعت وهو الصحيح والله اعلم اللهم لا تنسني ذكرهما

في ادبار صلواتي وفي آناء الليل وفي ساعة من ساعات نهاري
سورة المراد بعدم انسائه تعالى ذكرها اياه حسم اسباب النسيان وعدم سلب التوفيق
لذكرهما والمراد الهامه ذكرهما اي الهمني ذكرهما في ادبار صلواتي والادبار جمع دبر بضم
وبضمتين وهو من كل شيء عقبه اي في اعقاب صلواتي وقد فسر قوله تعالى ومن الليل
فسبحه وادبار السجود باعقاب الصلوة وتخصيصها بالذكر لانها من اوقات الاجابة وقد
روي عن ابي جعفر وابي عبد الله باعقاب الصلوة وتخصيصها بالذكر لانها من اوقات الاجابة
عليهما السلام في تفسير قوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب اي اذا
فرغت من الصلوة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسئلة
يعطك والنصب التعب اي اجتهد في الدعاء وعن الصادق عليه السلم هو الدعاء في
دبر الصلوة وانت جالس ذكره امين الاسلام في مجمع البيان والاناء بالكسر والقصر
وبفتح مع المد الساعة من الليل وقد يقال اناء على وزن ظبي واني بالكسر على وزن
نحي والجمع اناء وقال الجوهري اناء الليل ساعاته قال الاخفش واحدها اني مثل نحي والجمع
اناء انتهى والساعة جزء ما غير مقدر من اجزاء الليل والنهار وتطلق على جزء من
اربعة وعشرين جزءا من يوم بليلته وهو اصطلاح اهل الفلك والعرب لا تعرف ذلك قاله
الشهاب الفيومي في المصباح المنير الساعة الوقت من ليل او نهار والعرب تطلقها
وتريد بها الحين والوقت وان قل وعليه قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
ومنه قوله عليه السلام من راح في الساعة الاولى الحديث ليس المراد بالساعة التي
ينقسم عليها النهار القسمة الزمانية بل المراد مطلق الوقت وهو السبق والا لاقتضى
ان يستوي من جاء في اول الساعة الفلكية ومن جاء في اخرها لانهما جاءا في ساعة واحدة
وليس كذلك بل من جاء في اولها افضل ممن جاء في اخرها والجمع ساعات وساع
وهو منقوص مثل ساع ايضا انتهى والتنكير هنا ظاهر في الاستغراق اي في كل

الحس

آن من اناء ليلي وفي كل ساعة من ساعات نهاري كما ورد في رواية اخرى بذكر كل منهما
الى ان وينبغي على هذه الرواية عطف ساعة على ان بدون في او تقدير كل
مضافا الى ساعة والله اعلم اللهم صل على محمد وآله واغفر لي بدعائي لهما مغفرة
مغفرة حتما وارض عنهما بشفاعتي لهما رضا عزما وابلغهما بالكرامة مواطن السلامة
الباء للسببية اي بسبب دعائي لهما وبسبب برهما في وحتم الله الامر حتما اوجبه جزما
اي مغفرة محتومة وعزما اي معزوما من عزم الله اي اراد او قصد وقطع ذو من
ان يكون ذلك ويحصل ومنه قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور قال الزمخشري في
الكشاف اي ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه
الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله
لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه
وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك
لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه
بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر
واصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها انتهى كلام الزمخشري
قلت ومن ذلك ما ورد في الدعاء اسئلك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك
اي ما اوجبته من رحمتك وعزمت ان يكون ويحصل من مغفرتك ويجوز ان
يكون عزما بمعنى عازم من عزم الامر نفسه اذا عزم عليه على ما قال الزمخشري
في قوله تعالى من عزم الامور يجوز ان يكون مصدرا في معنى الفاعل اصله من
عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال
قال بعضهم ولعل المغفرة التي ليست بحتم والرضا الذي ليس بعزم هما المعلقان
بشرط او صفة او وقت او بنوع من الذنب انتهى فمن زعم ان انتصاب حتما

اوعزنا على التميز فقذا بعد في الباء من قوله بالكرامة للملابسة اى ملتبسين
بالكرامة والمواطن جمع موطن بمعنى الموطن وهو المكان والمقر والمراد بموطن
السلامة الجنة لسلامتها وسلامة اهلها فيها من المكاره والآفات ولذلك سميت
دار السلام وجمعها باعتبار تعددها او باعتبار تعدد اماكنها ومساكنها والله اعلم

اللهم وان سبقت مغفرتك لهما فشفعهما فيّ وان سبقت مغفرتك لي فشفعني
فيهما حتى نجتمع برأفتك في دار كرامتك ومحل مغفرتك ورحمتك انك ذو الفضل
العظيم والمن القديم وانت ارحم الراحمين

سبق يسبق سبقا من باب ضرب تقدم وهذا السبق يحتمل ان يكون ان لا تقدير كقوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وان يكون زمانا ووجودا وشفعه تشفيعا
قبل شفاعته وهي السؤال في التجاوز عن الآثام والمعاصي وحتى بمعنى كي التعليلية
اي كي نجتمع والرأفة اشد الرحمة وارقها ولا تكاد تقع في الكراهة والرحمة قد تقع
فيها للمصلحة والكرامة التعظيم والاحلال عبر عن الجنة بدار الكرامة لاكرام الله
سبحانه اهلها بانواع الكرامة وعبر عنها بمحل المغفرة والرحمة تنبيها على ان
المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى انه لا يدخل الجنة الا بمغفرة الله
ورحمته وقوله انك ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة
الاجابة وادعان بان كل خير نال عباده في دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداءً
منه اليهم وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك عليه فهو ذو الفضل العظيم
والمن القديم اي الانعام السابق على الاستحقاق وقوله عليه السلام وانت ارحم
الراحمين جملة تذييلية جاء بها في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته
فان الابتداء بالنعمة يوجب الاتمام وسعة الرحمة تقتضي عمومها والزيادة منها
فهي لاستدعاء الرحمة من جهته تعالى والله اعلم هذا آخر الروضة الرابعة والعشرين

من رياض

من رياض السالكين وقد وفق الله سبحانه لاتمامها باعانته ومحض عنايته صبيحة يوم
السبت لاثنتي عشرة خلون من شهر الله رجب الاصم احد شهور سنه
احدى ومائة والف بقلم مؤلفها عفا الله
له ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وعاطف قلوب الوالدين بمزيد الرأفة
على ما ولد والصلوة على نبيه اشرف الآباء والبنين وعلى عترته النجباء ائمة
المؤمنين وبعد فهذه الروضة الخامسة والعشرون من رياض السالكين في
شرح الدعاء الخامس والعشرين من صحيفة سيد العابدين املاء العقير الى ربه
الغني علي الصدر الحسيني الحسني غفر الله له ولوالديه وولده ووفقه للعمل
في يومه لغده قبل خروج الامر من يده **وكان من دعائه عليه السلام لولده عليهم السلام**
دعاء الوالدين للولد من برهما به ومحبتهما له واعانتهما على بره بهما ففي
الحديث عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
رحم الله والدين اعانا ولدهما على برهما وعنه عليه السلام قال قال له رجل
من الانصار من ابر قال والديك قال قد مضيا قال بر ولدك وعنه عليه السلام قال
ان الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده ودعاء الوالد لولده من جملة الدعاء الذي
لا يرد ولا يحجب فعن ابي عبد الله ع قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اربعة
لا ترد لهم دعوة حتى تفتح لهم ابواب السماء وتصير الى العرش الوالد لولده
والمظلوم على من ظلمه والمعتمر حتى يرجع والصائم حتى يفطر وعنه عليه السلام

٤٩٢

قال كان ابي يقول خمس دعوات لا يحجبن عن الرب تبارك وتعالى دعوة الامام المقسط ودعوة المظلوم يقول الله عز وجل لانتصرن لك ولو بعد حين ودعوة الولد الصالح لوالديه ودعوة الوالد الصالح لولده ودعوة المومن لاخيه بظهر الغيب فيقول له ولك مثلاه قال صلوات الله وسلامه عليه اللهم ومن علي ببقاء ولدي وباصلاحهم لي وبامتاعي بهم من علي بكذا مثل من باب قتل انعم عليه والبقاء يطلق على استمرار الوجود ولا يكون الا لله سبحانه ومنه سبحان من توحد بالبقاء وعلى طول الوجود وهو المراد هنا ومعنى اصلاحهم له اصلاحهم لبره وطاعته لقوله وفيه تلميح الى قوله تعالى واصلح لي في ذريتي قيل هو دعاء باصلاح ذريته لبره وطاعته لقوله لي وقيل انه دعاء باصلاحهم لطاعة الله عز وجل قال امين الاسلام وهو الاشبه لان طاعتهم لله من بره وعن الزجاج اي اجعل ذريتي صالحين وقال سهل بن عبد الله معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق وهذه المعاني كلها محتملة في عبارة الدعاء وقال الزمخشري فان قلت ما معنى في قوله واصلح لي في ذريتي قلت معناه ان يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كانه قال هب لي الصلاح في ذريتي واوقعه فيهم انتهى وقيل هو على تضمين اصلح معنى بارك واستمتع الله بكذا امتاعا ومتعه به تمتيعا ابقاه له ليستمتع به اي لينتفع به يقال استمتع بالشيء وتمتع به اي انتفع وهو من المتاع وهو في اللغة كل ما ينتفع به الهي امدد لي في اعمارهم وزد لي في اجالهم ورب لي صغيرهم وقو لي ضعيفهم واصح لي ابدانهم واديانهم واخلاقهم وعافهم في انفسهم وفي جوارحهم وفي كل ما عنيت به من امرهم وادرر لي وعلى يدي ارزاقهم واجعلهم ابرارا اتقياء بصراء سامعين مطيعين لك ولاوليائك محبين مناصحين ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين قال الفارابي في ديوان الادب مد الله في عمره اي امهل له وطول له

آمين ح

سهی

٤٩٣

انتهى والاعمار جمع عمر بالضم وبضمتين وبالفتح والسكون وهو الحيوة وقيل مدة بقاء الحيوة والاجال جمع اجل بالتحريك وهو مدة العمر ويطلق على الوقت الذي ينقرض فيه قال بعضهم يحتمل ان تكون الفقرة الثانية تاكيدا للاولى لحرصه عليه السلام على بقائهم ويحتمل ان يراد بالاعمار رفاهية العيش وحسن الحال فان العرب كانت تسمي سنوات الرفاهية طويل العمر وان قصر عمره وليس كذلك قصير العمر وان طال عمره ولهذا قال بعضهم هل رايتم شيخا بلا عمر وكانوا يعدون ايام السرور ويقولون عاش فلان كذا يوما وكذا سنة وان كان عمره اكثر انتهى قلت اذا اريد حمل الفقرة الثانية تاسيسا لا تاكيدا فالاولى ان يراد بالمد في الاعمار البركة فيها بان يبارك فيها بالتوفيق لاعمال الطاعات وعمارة اوقاتهم بالخيرات وقد فسر قوله عليه السلام صلة الرحم منساة في الاجل اي تاخير في مدة العمر وسبب الزيادة فيه بان معنى الزيادة في العمر زيادة البركة فيه بتوفيقه لاعمال الطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه في الآخرة فان هذا المعنى احرى ان يكون منظورا والقوة تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف بالمعنيين وكل من المعنيين في المتقابلين محتمل هنا ولا يجوز ارادة كلا المعنيين فيهما معا فان استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له عند المحققين بل يمكن ان يراد بالقوة به معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين من تكميل القدرة وتشديد الممانعة والدفع فردا حقيقيا له وهو اصلاح حالهم فان كلا المعنيين المذكورين فرد حقيقي له وكذلك يراد بالضعف من الحال فيكون نقص القدرة وقلة الممانعة والدفع فردا حقيقيا له فافهم ذلك فانه قل من تنبه له وصحته في الاصل البدن وهي حالة طبيعية له القضاء وصح العقد اذا ترتب عليه اثره وصح مذهبه اذا وافق الحق فان قلت يلزم على هذا الجمع بين الحقيقة

والمجاز في عبارة الدعاء لان الصحة في الابدان حقيقة وفي الاديان والاخلاق مجاز
وقد صرحوا بان ارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيح **قلت**
المسألة ذات خلاف مشهور عن جواز اجتماع الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة والحق
[illegible] القلم احد للسائلين فله ان يختار استعمالها فيهما ومن لا يرى صحة ذلك
فينبغي ان يراد بالصحة معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المقصودة للصحة
فردا حقيقيا له كما قلناه آنفا في المشترك اي واصلح لي اهلهم وذلك في ابدانهم
بالصحة التي هي الحالة الطبيعية وفي اديانهم بالصحة التي هي موافقة الحق وفي
اخلاقهم بالصحة التي هي الكرم والحسن وقس على ذلك قوله عليه السلام وعافهم في انفسهم
وجوارحهم وفي كل ما عنيت به من امرهم اذا اردت التفادي من لزوم الجمع بين
الحقيقة والمجاز بناء على ان المعافاة في الاصل بمعنى الصحة البدنية ثم استعيرت
لمعان اخر والاظهر انها بمعنى عام متناول لدفع جميع المكروهات في النفس والبدن وفي
الدين والدنيا والاخرة فلا حاجة الى ذلك وعنيت بامر فلان بالبناء للمفعول شغلت
به وردت رواية الدعاء لا غير ودر اللبن وغيره من باب ضرب وقتل ودر الكر صدا
وادر الله الرزق ادرارا اكثره ووسعه وقال شيخنا البهائي في المفتاح المراد
بالرزق الدار الذي يتجدد شيئا فشيئا من قولهم در اللبن اذا زاد وكثر جريانه من الضرع
قال بعضهم وفي تقييده السؤال بقوله عليه السلام لي في جميع الفقرات ما يدل على
ان الدعاء له ولهم وعلى تمام الحنو والشفقة وعلى ان الدعاء له ثم ابلغ في الدعاء
واقرب الى الاجابة وعلى ان كل واحد مما سأل يكون على الوجه الكامل الاتم وقوله عليه السلام
وعلى يدي اي بوساطتي والمراد جعله واسطة في وصول رزقهم اليهم يقال جرى الامر
على يد فلان من اجله فطوبى لمن اجريته على يديه وفائدة هذا السؤال ان من اراد حصول
ان يزداد طاعة له ومحبة وتراه فان من عرف ان الله تعالى اجرى رزقه على يد شخص لا بد

ان يحبه

ان يحبه ويعظمه ويطيعه الثاني اجراء الخير على يده عليه السلام كما تضمنه
الحديث المذكور والابرار جمع بار اي بر كاصحاب جمع صاحب وارباب جمع رب
يقال بر الرجل يبر برا مثل علم يعلم علما فهو بر بالفتح وبار وهو خلاف الفاجر وقيل
هو الصادق وقيل هو الكثير البر اي الخير والاتساع في الاحسان وقال الطيبي هو الذي
بر الله بطاعته اياه حتى ارضاه والظاهر ان المراد بر البار بر الوالدين بقرينة قوله اتقياء
تلميحا الى قوله تعالى وكان تقيا وبرا بوالديه والاتقياء جمع تقي وهو المطيع المتجنب عن
المعاصي وقال الشهاب الفيومي رجل تقي اي زكي وقوم اتقياء وتقي يتقي من
باب تعب تقاة ولغة اتقاه والاسم التقوى واصل التاء واو ولكنهم قلبوها
انتهى والبصراء جمع بصير بمعنى العالم من بصر بالشيء بالضم بصرا بفتحتين بمعنى
علم فهو بصير به والسامعين اي مصغين اصغاء الطاعة يقال فلان سامع مطيع
اي سامع لما يؤمر به كانما سمع سماع طاعة وقبول ومنه قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا
ومطيعين اي مذعنين منقادين لحكمك وقوله عليه السلام ولاوليائك محبين
مناصحين عطف على لي اي معمولي واجعل اي واجعلهم محبين مناصحين لاوليائك
وانما فصل بين العاطف والمعطوف لان الفصل بالظرف كلا فصل ونص عليه قوله
ولجميع اعدائك معاندين ومبغضين وآمين بالقصر في لغة الحجاز والمد
اشباع بدليل انه لا يوجد في العربية كلمة على فاعيل ومعناه اللهم استجب وقد سبق
الكلام عليه مبسوطا فليرجع اليه **اللهم اشدد بهم عضدي واقم بهم اودي وكثر بهم
عددي وزين بهم محضري واحي بهم ذكري واكفني بهم في غيبتي واعني
بهم على حاجتي واجعلهم لي محبين وعلي حدبين مقبلين مستقيمين لي مطيعين
غير عاصين ولا عاقين ولا خاطئين واعني على تربيتهم وتاديبهم وبرهم
وهب لي من لدنك معهم اولادا ذكورا واجعل ذلك خيرا لي واجعلهم لي عونا على ما سالتك**

الشدّ العقوبة شدّه يشدّه شدًّا من باب قتل والعضد ما بين المرفق الى الكتف وفيها
خمس لغات اشهرها وزن رجل وبضمتين في لغة اهل الحجاز ومثل كبد في لغة
بني اسد وكفلس في لغة تميم وبكر والخامسة مثال قفل وحكى ثعلب العضد
بفتح العين والضاد فتكون لغاتها ستة قال ابو زيد اهل تهامة يؤنثون العضد
وبنو تميم يذكرون وقال اللحياني العضد مؤنثة لا غير قال الفارابي في ديوان
الادب شدّ عضده اي قواه وقال الزمخشري في قوله تعالى سنشد عضدك باخيك
العضد قوام اليد وبشدتها تشتد اليد قال طرفة شعر ابني لبيني لستم بيد
الا يدًا ليست لها عضد ❊ ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده
فتّ الله في عضدك ومعنى سنشد عضدك باخيك سنقويك به ونعينك
فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد لشدة العضد والجملة تقوى لشدة اليد
على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد
فجعل كانه مشتد بعضد شديدة انتهى فعلى الاول هو كناية تلويحية عن تقويته
وعلى الثاني استعارة تمثيلية شبه حاله في تقويته باخيه بحال اليد في تقويتها
بعضد شديدة وفي قوله في اشتدادها باشتداد العضد اشارة الى تركيب
التشبيه واقام اوده اي ازال اعوجاجه والاود بفتحتين العوج وهو هنا مستعار
لاختلال الحال وخروجها عن حد الاستقامة اي واصلح لهم حالهم والظاهر
ان طلبه لذلك عليه السلام انما هو على تقدير وقوعه فكانه قال ان وقع في شيء من حاله
اود واعوجاج فاقمه بهم وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل
واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه عليه السلام وقوع الاعوجاج حتى يحتاج
الى اقامته بهم والرواية في اكثر النسخ واقم به اوده بافراد الضمير وهو باعتبار
ارجاعه الى الشد المفهوم من قوله اشدد نحو قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى قيل

اوالى العضد ولو على وجه الاستخدام والعدد الكثير المتالف من الوحدات والمراد
هنا الكثيرة جماعة من اهله وعترته لما في كثرتهم من عزة الجانب وحماية الحوزة قال
الاعشى ❊ ولست بالاكثر منهم حصًى وانما العزة للكاثر ❊ اراد بالحصى هنا العدد
قال الجوهري احصيت الشيء عددته وقولهم نحن اكثر منهم حصًى اي عددًا انتهى
والمحضر مكان الحضور وتزيين محضره بهم كناية عن تحليتهم بالفضائل والكمالات التي
من جليتها كان زينة المحاضر والمشاهد اذا حضرها واحياه جعله حيًّا والمراد
بالذكر هنا الصيت والذكر الجميل في الناس قال في الاساس ومن المجاز له ذكر
في الناس اي صيت وشرف اي ابق بهم ذكري واظهره بين الناس شبه الابقاء
والاظهار بالاحياء في الايجاد ثم استعار لفظ الاحياء في الايجاد ثم استعار لفظ
الاحياء لذلك الابقاء وهي استعارة تبعية والقرينة جعل مفعوله الذكر
وهو لا يحيى حقيقة لان الاحياء في الحقيقة اعطاء الحيوة وهي صفة تقتضي الحس
والحركة الارادية وتفتقر الى البدن والروح ويحتمل ان يكون استعارة بالكناية
بان يكون شبه ذكره الذي ينقطع بعد موته بالانسان الميت واثبت له الاحياء
الذي هو من لوازم المشبه به وحياة الذكر من مشهور الاستعارات قال الشاعر
هو الموت فاختر ما علالك ذكره ❊ فلم يمت الانسان ما حيي الذكر ❊ وهذه الفقرة
تتضمن الدعاء لهم بامرين احدهما ابقائهم بعده ليذكرهم بعد موته والثاني جعلهم
فضلاء كاملين بحيث يشتهر صيته بهم في الناس وكفاه الامر قام مقامه فيه اي اجعلهم
قائمين مقامي في غيبتي واعانه على امره ساعده عليه وحدب عليه حدبًا من باب تعب
تعطف عليه فهو حدب على حذر كتف والاقبال هنا كناية عن الاعتناء والاكرام
لان من اعتنى باحد واكرمه التفت اليه واقبل عليه بوجهه ومستقيمين اي مستوين
لا اعوجاج فيهم وذلك بالتحلي بالاخلاق الفاضلة المعتدلة بين الطرفين المستقيمة

بين المنحرفين او ثابتين على الطاعة والبرد اعين على الانقياد لى ومنه حديث
استقيموا لقريش ما استقاموا لكم اى دوموا لهم فى الطاعة واثبتوا عليها ما داموا
على الدين وثبتوا على الاسلام وقوله غير عاصين اما نعت موكد المعنى قوله طيعين
او حال موكدة من الضمير فى طيعين ولا مزيد لتاكيد ما افاده غير من معنى النفى
كانه قيل لا عاصين ولا عاقين ولا خاطئين اى متعمدين الذنب قال الاموى المخطئ
من اراد شيئا فصار الى غيره والخاطئ من تعمد ما لا ينبغى وقال القتوبى قال ابو عبيدة
خطئ خطا من باب فى اخطاء بمعنى واحد لمن يذنب على غير عمد وقال غيره خطئ فى
الدين واخطا فى كل شئ عامدا او غير عامد وقيل خطئ اذا تعمد ما نهى عنه فهو خاطئ و
اخطا اذا اراد الصواب فصار الى غيره فان اراد غير الصواب فى فعله قيل قصده وتعمده
انتهى وفى الاساس اخطا فى المسئلة وفى الراى وخطئ خطا عظيما اذا تعمد الذنب
قوله عليه السلام وهب لى من لدنك معهم كلا الجارين والظرف متعلق بهب فاللام صلة
له ومن لابتداء الغاية مجازا ومع لزمان الاجتماع ويجوز ان يكون من متعلقا بمحذوف
هو حال من المفعول اى كائنين من لدنك كما يجوز ان يكون الظرف من قوله معهم كذلك
اى حال كونهم معهم وفى قوله من لدنك تنبيه على ان هذا المقصود لا يكون ولا
يحصل الا من عنده تعالى والذكر بالتحريك خلاف الانثى والجمع ذكور وذكران
ولا يجوز جمعه بالواو والنون لان ذلك مختص بالعلم العاقل والوصف الذى يجمع
مؤنثه بالالف والتاء وما شذ من ذلك فمسموع لا يقاس عليه وقوله عليه السلام
واجعل ذلك خيرا لى فيه احتراز عما وجه التلميح الى قوله تعالى ايحسبون ان الذى
نمدهم به من المال والبنين نسارع بهم فى الخيرات بل لا يشعرون لا تفعل ذلك بل هم لا يشعرون
بان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرارهم الى زيادة الاثم وهو شر لهم فسال
عليه السلام ان تكون هبته ما ساله من الاولاد خيرا له حتى لا يكون داخلا فى معنى

هذه الآية

هذه الآية ونحوها وقوله عليه السلام واجعلهم لى عونا على ما سالتك اى على النحو الذى
سالتك اياه فى الاولاد الذين وهبتهم لى سابقا من المنة على بقائهم واصلاحهم
لى وقوله واعنى على تربيتهم وتاديبهم وبرهم وفى نسخة واجعلهم عونا لى على ما
سالتك فيجوز تعلق على بقوله عونا فيكون ما ساله عليه السلام سوالا تقدم منه
لا ذكر له هنا ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف هو صفة لقوله عونا اى كائنا
على النحو الذى سالتك فى الاولاد الموجودين من شد عضدى واقامة اودى
بهم الى غير ذلك مما يستوجب سواله وقول بعض المترجمين ليس فى اكثر النسخ
المصححة قوله عونا لكنه مراد لان اللام للنفع وعلى للضرر لا معنى له بل المعنى
على عدم قوله عونا اوضح والله اعلم واعذنى وذريتى من الشيطان الرجيم فانك
خلقتنا وامرتنا ونهيتنا ورغبتنا فى ثواب ما امرتنا ورهبتنا عقابه و
جعلت لنا عدوا يكيدنا سلطته منا على ما لم تسلطنا عليه منه اسكنته صدورنا
واجريته مجارى دمائنا لا يغفل ان غفلنا ولا ينسى ان نسينا يؤمننا
عقابك ويخوفنا بغيرك ان هممنا بفاحشة شجعنا عليها وان هممنا
بعمل صالح ثبطنا عنه يتعرض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات ان
وعدنا كذبنا وان منانا اخلفنا والا تصرف عنا كيده يضلنا
والا تقنا خباله يستزلنا اللهم فاقهر سلطانه عنا بسلطانك حتى تحبسه
عنا بكثرة الدعاء لك فنصبح من كيده فى المعصومين بك
اعدائى اى جوفى بجمعك وذريتى عطف على الضمير والرجيم اى المطرود واصل
الرجم الرمى بالحجارة والفاء لتعليل طلب الاعاذة فهى للدلالة على سببية
ما بعدها لما قبلها وعائد الموصول من قوله ما امرتنا محذوف اى ما امرتنا
به كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر اى تؤمر به والضمير من عقابه املعائد الى قوله

بامرنا باعتبار مخالفته او الى ما دل عليه سياق الكلام اى عقاب بما نهيتنا
عنه وجعلتنا ما بمعنى خلقت فيكون متعديا الى واحد والجار والمجرور
متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما بمعنى صيرت
فيكون متعديا الى مفعولين اولهما عدوا وثانيهما الظرف المتقدم قدم على الاول
مسارعة الى بيان العداوة وهو متعلق بمحذوف اى عدوا كائنا لنا فان حرف صاد
فى الحقيقة هو الكون المقدر العامل فى الظرف وجملة يكيدنا فى محل نصب صفة لعدو
تنبيه اختلفوا فى سبب عداوة ابليس لادم عليه السلام وذريته فقال بعضهم انه
الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله به ادم من اسجاد الملائكة له وتعليمه
ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وذريته وقال آخرون ان السبب
هو تباين اصليهما وللمنافرة الاصلين اثر قوى فى منافرة الفرعين قالوا
وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك
قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فكانه فى خطابه يقول ان
آدم جسمانى كثيف وانا روحانى لطيف والجسمانى ادون حالا من الروحانى
والادون كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل آدم من صلصال
من حمإ مسنون والصلصال فى غاية الدناءة واصلى من اشرف العناصر واذا
كان اصلى خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه واشرف والاشرف يقبح
ان يؤمر بالسجود للادون قالوا فكان ذلك قياسا فاول من قاس هو ابليس فاجابه
الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح اخرج منها مذؤما مدحورا قال بعض
الفضلاء وتقريره ان الذى قاله تعالى نص بحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية
والذى قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا وانما نسب
حصول عداوة ابليس لنا الى الله تعالى قوله وجعلت لنا عدوا لكونه سبحانه السبب

الاول فى وجوده وان لم يكن تعالى هو الداعى الى العداوة كما يقال اضله الله
من حيث انه تعالى هو السبب الاول فى وجوده ووجود سببه المضل وان
لم يكن هو الداعى الى الضلال وسلطه على الشىء تسليطا مكنه منه كانما
جعل له عليه سلطانا والجملة اما استئناف نحوى لانقطاعها عما قبلها لفظا
واما صفة ثانية لعدوا ولا يمنع منه عدم حرف العطف بين الجملتين كما
توهمه بعضهم فان الصفة تتعدد بغير عاطف وان كانت جملة كما فى الخبر فى
نحو الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان نص عليه ابن هشام فى المغنى
وقوله منا اما ظرف متعلق بسلطة او مستقر حال من النكرة الموصوفة وهى
ما من قوله على ما لم نسلطنا والتقدير سلطه على شىء حال كونه منا لم تسلطنا
عليه حال كونه منه فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى بيانية وجملة قوله اسكنه
صدورنا مستانفة استئنافا بيانيا كانه سئل كيف سلطته منكم على ما لم اسلطكم عليه
منه فقال اسكنته صدورنا وقول بعضهم انها صفة ثالثة ليس بشىء وفيه
اشارة الى قوله تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس وعن ابن عباس ان الله
تعالى جعل صدور بنى آدم مسكنا للشيطان ويحتمل المراد بالصدور هنا القلوب
تسمية للحال باسم محله مجازا كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله ان الشيطان
واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسى التقم قلبه فالخطم من
كل طائر منقاره ومن كل دابة مقدم الانف والفم وعنه صلى الله عليه وآله ان
الشيطان ليجثم على قلب بنى آدم له خرطوم كخرطوم الكلب اذا ذكر العبد الله عز وجل
خنس اى رجع على عقبيه واذا غفل عن ذكر الله تعالى وسوس ولا خفاء فى انه
لا دلالة فى الحديثين على كون المراد بالصدور القلوب قال بعض المفسرين انما
قال سبحانه الذى يوسوس فى صدور الناس ولم يقل فى قلوبهم لان الشيطان لا

الشيطان لا تسلط له على قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن وقال
المحققون ليس للشيطان على القلب سبيل وانما الشيطان يجئ الى الصدر الذي
هو حصن القلب فيثبت فيه هموم الدنيا والحرص على الزخارف فيضيق القلب حينئذ
ولا يجد للطاعة لذة ولا للايمان حلاوة ولا على الاسلام طلاوة فاذا طرد العدو
بذكر الله والاعراض عما يعنيه حصل الامن وانشرح القلب فى تيسر القيام باداء
العبودية والحق انه يجوز ان يراد بالصدر محل القلب باعتبار كونه موضع تعلق النفس
الناطقة بالحيوانية ولذا ينسب اليه الشرح والضيق ويجوز ان يراد به القلب الذى
هو المضغة الصنوبرية المودعة فى التجويف الايسر من الصدر باعتبار انه محل اللطيفة
الانسانية ولذا ينسب اليه الصلاح والفساد وقول المحققين ليس للشيطان على القلب
سبيل فالمراد بالقلب اللطيفة الربانية النورانية العالمة التى هى مهبط الانوار الالهية
وبها يكون الانسان انسانا وهى حقيقة الانسان وبها يستعد لامتثال الاحكام وبها صلاح
البدن وفساده ويعبر عنها بالنفس الناطقة تارة وبنفس وما سواها بالروح اخرى قل
الروح من امر ربى وقد يعبر عنها بالعقل باعتبار تجردها ونسبتها الى عالم القدس
اذ هى بهذا الاعتبار تعقل نفسها وتنبهها عما يقتضيه تعلقها بالبدن من الشرور و
المفاسد المانعة لها من الرجوع الى عالمها القدسى وهى جوهر مجرد عن المادة فى ذاتها
دون فعلها فى الابدان بالتصرف والتدبير قال بعضهم انما خاطب الشارع امر القلب لصدور الافعال
الاختيارية عنه وعما يقوم به من العلوم ورتب الامر فيه على المضغة والمراد بها العقل
الذى هو النفس الناطقة المتعلقة بها فذلك من اطلاق اسم المحل على الحال انتهى ومما
يدل على قال المحققون من عدم تسلط الشيطان على قلب المؤمن ما رواه ثقة الاسلام فى
الكافى عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى يبتلى المؤمن بكل بلية ويميته بكل ميتة ولا
يبتليه بذهاب عقله اما ترى ايوب كيف سلط ابليس على ماله وولده وعلى اهله وعلى

۴۹۸

كل شئ منه ولم يسلط على عقله ترك له يوحد الله له وفى هذا المعنى احاديث اخر
من طرق اهل البيت عليهم السلام قوله عليه السلام واجريته مجارى دمائنا المجارى جمع
مجرى وهو اما مصدر ميمى فيكون نصبها على المصدرية او اسم مكان فيكون نصبها
على المصدرية او اسم مكان فيكون نصبها على الظرفية وفى الحديث من طرق العامة
ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وعن ابن عباس ان الله تعالى جعل
الشيطان يجرى من بنى آدم مجرى الدم قال الطيبى فى شرح المشكاة و
جريانه اما حقيقة فانه لطيف من نار لا يمنع سريانه كالدم او مجازية وعلاجه
سد المجارى بالجوع وقال الكرمانى فى شرح البخارى جريانه يحتمل الحقيقة
بان جعل له قدرة على الجرى فى باطن الانسان والاستعارة لكثرة وسوسته
وقيل انه يلقى الوسوسة فى مسام لطيفة فتصل الى القلب وقال
الازهرى معنى جريانه مجرى الدم انه لا يفارق ابن آدم ما دام حيا
كما لا يفارقه دمه قال وهذا على ضرب المثل والجمهور حملوه على ظاهره
وقالوا ان الشيطان جعل له هذا القدر من التطرق الى باطن الآدمى
بلطافة هيئته فيجرى فى العروق التى هى مجارى الدم الى ان يصل
الى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف ايمان العبد وقلة ذكره وكثرة
غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه وسلوكه الى باطنه بمقدار قوته ويقظته
ودوام ذكره واخلاص توحيده انتهى وعن ثابت ابن البنانى بلغنا ان
ابليس قال يا رب انك خلقت آدم وجعلت بينى وبينه عداوة فسلطنى
عليه فقال سبحانه جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدنى فقال
لا يولد لآدم ولد الا ولد لك عشرة فقال رب زدنى فقال تجرى منهم مجرى
الدم قال رب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال

والاولاد قال فشكى آدم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت
بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا لا اطيقه الا بك فقال الله
تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين يحفظانه من قرناء السوء قال
رب زدني قال الحسنة بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب عن احد من
ولدك والتوبة ما لم يغرغروا والغرغرة تردد الروح في الحلق وقريب من هذا المعنى
ما رواه ثقة الاسلام في الكافي بسند حسن او صحيح عن ابي عبد الله او ابي جعفر
عليهما السلام قال ان آدم ع قال يا رب سلطت علي الشيطان واجريته مني
مجرى الدم فاجعل لي شيئا فقال يا آدم جعلت لك ان من هم من ولدك بسيئة
لم تكتب عليه فان عملها كتبت له سيئة ومن هم منهم بحسنة فان لم يعملها كتبت له
حسنة فان هو عملها كتبت له عشرا قال يا رب زدني قال جعلت لك ان من
عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدني قال جعلت لهم التوبة
وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه قال يا رب حسبي قوله عليه السلام لا
يغفل ان غفلنا ولا ينسى ان نسينا الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء
وعدم عقليته بالعقل سواء بقيت صورته او معناه في الخيال والذكر او بحث
عن احدهما وهي اعم من النسيان لانه عبارة عن الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته
او معناه عن الخيال والذكر بالكلية ولذلك يحتاج الناسي الى تجشم كسب جديد
وكلفة في تحصيله ثانيا ومعنى لا يغفل ولا ينسى اما انه لا يكون منه غفلة
ولا نسيان فيكون المراد سلبهما عنه مطلقا لانهما من لواحق القوى الانسانية و
عوارض هذا البدن فيكونان مسلوبين عن الشياطين واما انه لا يغفل عنا
ان غفلنا عنه ولا ينسانا ان نسيناه فيكون حذف متعلق الفعل لمجرد الاختصار
مع قيام القرينة قوله عليه السلام يؤمننا عقابك ويخوفنا بغيرك من عداوة الشيطان

للانسان الذي يعتده الامان من عذاب الله وعقابه وذلك منه على وجوه فمنهم
من يعده ان لا قيامة ولا جزاء ولا عقاب ومنهم من يحمله على اعتقاد ان الوعيد
على السن الرسل من باب مجرد التخويف ولا عقاب في الآخرة ومنهم من يحمله على
فعل المعاصي ويقول ان الله غفور رحيم فيمنيه المغفرة حتى يخرج من الدنيا
ولا حسنة له ويسول له ان ذلك من حسن الظن بالله وكذب لو احسن الظن
به لاحسن العمل له ومن عداوته انه يخوف بغير الله فمنهم من يخوفه من الدنيا
وعضها في ترك عباداتها ويامرهم بالاخلاص فيها ومنهم من يخوفه باس الاعداء
فيتثبط عن الجهاد في سبيل الله ومنهم من يخوفه الفقر فيمنعه من الصدقات
وايتاء الزكوة الى غير ذلك قال بعضهم ان قيل كيف يؤمننا ويخوفنا ونحن
لا نشاهده ولا نستمع كلامه قلنا ذلك عبارة عن وسوسته بالامان و
الخوف كما تقول نفسي تخوفني بكذا وهو ظاهر قوله عليه السلام ان هممنا بفاحشة
شجعنا عليها وان هممنا بعمل صالح ثبطنا عنه هممت بالشيء هما من باب قتل
اذا اردته ولم تفعله والفاحشة ما اشتد قبحه من الذنوب وشجعه على الامر
تشجيعا جرأه واقدمه عليه واصله في الحرب يقال شجع بالضم شجاعة اذا قوي
قلبه واستهان بالحروب جرأة واقداما وثبطه تثبيطا قعد به عن الامر وشغله
عنه او منعه تخذيلا ونحوه وهذا التشجيع والتثبيط بالقاء الخواطر الفاسدة منه
قوله عليه السلام يتعرض لنا بالشهوات وينصب لنا بالشبهات تعرضه وتعرض له
يتعدى بنفسه وبالحرف اذا تصدى له وطلبه والشهوة اشتياق القلب الى الملائم
وقد تفسر بالميل الى المعاصي في زهرات الدنيا وهو المراد هنا والباء اما للملابسة
على حذف مضاف اي ملتبسا بتهييج الشهوات او للاستعانة نحو كتبت بالقلم و
قطعت بالسكين وقوله وينصب لنا اما من نصبت الشيء من باب ضرب اذا اقمته

فتكون البآء فى المفعول زائدة وهى كثيرا ما تزاد فيه وان لم يكن مقيسا مع
كثرته ومنه فليمدد بسبب الى السمآء وهزى اليك بجذع النخلة ومن يرد فيه
بالحاد واما من نصبت له رايا اذا اشرت عليه بر قال الزمخشرى فى الاساس نصبت
له رايا اذا اشرت عليه براى لا يعدل عنه فتكون البآء صلة لينصب بتضمينه
معنى يشير اى يشير علينا بالشبهات ويمكن ان يقال ان المراد وينصب لنا الاعلام
والاضلال بالشبهات فحذف المفعول كما يقال لا تفسد امرك برايك ويحتمل
ان يكون ينصب مأخوذا من نصب له بمعنى عاداه قال فى الاساس نصبت لفلان
عادته نصبا قال جرير شعر واذا بنوا اسد على تحزبوا نصبت بنوا اسد لمن
رامانى ومنه الناصبة والنواصب اهل النصب الذين ينصبون لعلى
كرم الله وجهه انتهى فتكون البآء البآء فى قوله بالشبهات للملابسة اى يعادينا
ملتبسا بايقاع الشبهات وهى كل باطل اخذه الوهم بصورة الحق وشبهه به
ولذلك سمى به شبهه قوله عليه السلم ان وعدنا كذبنا وان منانا اخلفنا
الوعيد هو الاخبار عما يكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان وكذبنا بالتخفيف
من قولهم كذب اخاه اذا لم يصدق فى قوله له وفى التنزيل وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله وقد يتعدى الى مفعولين فيقال كذبتك الحديث اى لم اصدقك
ومثله صدق ومنه ولقد صدق الله ورسوله الرؤيا بالحق فان حملت عبارة
الدعاء على هذا فالمفعول محذوف لتعينه اى كذبنا وعده واخلف الوعد
لم يفعله قال الفارابى فى ديوان الادب اخلف ما وعده وهو ان يقول شيئا
ولا يفعله على الاستقبال انتهى وهو يتعدى الى مفعولين فيقال اخلفه موعده
والمفعول الثانى ههنا محذوف اى اخلفنا منا وموعودنا وعدنا ومنانا
محذوفان اى المواعيد الباطلة والامانى الفارغة اوهما من باب فلان يعطى

ويمنع اى يفعل لنا الوعد والتمنية وهما اما بالوسوسة والقاء الخواطر الفاسدة
او بالسنة اوليائه وفى هاتين الفقرتين تلميح الى قوله تعالى يعدهم ويمنيهم وما
يعدهم الشيطان الا غرورا وانما جئ بالجمل الخمس المذكورة من غير معاطفة تنبيها
على استقلال كل منها والله اعلم قوله عليه السلم والا تصرف عنا كيده يضلنا والا تقنا
حباله يستزلنا اى وان لم تصرف وان لم تقنا قال ابن هشام فى المغنى قد تقرب
ان الشرطية بلا النافية فيظن من لا معرفة له انها الا الاستثنائية حتى والا
تصرف عنى كيدهن اصب اليهن ولقد بلغنى ان بعض من يدعى الفضل
سال فى الا تفعلوه فقال ما هذا الاستثنآء امتصل هو ام منقطع انتهى و
صرف الله عنه السوء من باب ضرب كفه عنه ووقاه بعينه حفظه والحبال
بالفتح الفساد وفى القاموس وكسحاب النقصان والهلاك والفناء والكل واستزله
طلب منه الزلة ودعاه اليها يقال زله فى منطقه وفعله يزل من باب ضرب اذا
اخطاء والمعنى ان لم تصرف عنا كيد الشيطان ويكفه عنا وتحفظنا من
فساده يحملنا على الضلال ويدعنا الى الزلل فنتبعه ونطيعه على مقتضى النفس
الامارة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى
جريا على سنن الانبيآء والاوصيآء والصالحين فى تحصيل الخيرات والنجاة
من الشرور والمكاره على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم
ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيده وغاية فساده باظهار ان لا
طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركنى والا هلكت تنبيه الرواية
المشهورة فى قوله يضلنا ويستزلنا بفتح اللام المشددة واصلهما يضللنا
ويستزللنا بالجزم على انهما جوابان للشرط فادغمت اللام الاولى فى الثانية
كراهية اجتماع المثلين وحركت لالتقاء الساكنين واوثر الفتح طلبا للخفة

مع نقل التضعيف وثبت في بعض النسخ يضلّلنا ويستزلّنا بضم اللام المشددة وهو
كقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئا بفتح الراء المشددة في القراءة
المشهورة واختلفوا في تخريجه فقيل هو على حذف الفاء اي فلا يضركم وقيل على
حذف الجواب وجعل المرفوع دليلا عليه منويا تقديمه على الشرط والتقدير
لا يضركم كيدهم ان تصبروا ورد المحققون كلا القولين بان حذف الفا مختص
بالشعر والجواب لا يحذف في السعة الا اذا كان فعل الشرط ماضيا واما اذا كان مضارعا
فحذفه ضرورة لا يجوز الا في الشعر وتخريج القراءة المتواترة على شيء لا يجوز الا في
الشعر غير صواب وقال بعضهم هو مجزوم لكنه لما اضطر الى تحريكه حرك بحركة الاعرابية
المستحق لها في الاصل اذا عرفت ذلك فتخريج الرواية المذكورة في عبارة الدعاء على الوجهين
الاولين غير صواب لانه عليه السلام افصح الخلق في زمانه وتخريج كلامه على شيء مختص
بالضرورة لا وجه له واما الوجه الثالث فلا يتمشى هنا فتعين حملها على الوجه الرابع
ووقع في بعض التعاليق على الصحيفة الشريفة ان الجواب محذوف وقوله يضلنا
ويستزلنا جملتان مفسرتان له والحذف ليذهب الوهم كل مذهب في التقدير وان
لا تصرف عنا كيده تصبنا داهية كبيرة وهو انه يضلنا على كل حال ولا نجد عنه
محيصا قال وهذه القاعدة اعني حذف الجواب لدلالة الكلام عليه طريقة مسلوكة
للبلاغة في التنزيل الكريم منها ولو رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الاية ومنها
فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين انتهى وهو كلام عجيب يدل
على قصور قائله في علم العربية جدا اما اولا فدعوى الحذف في مثل ذلك مردود
بنص سيبويه وغيره من علماء العربية انه لا يحذف جواب الشرط الجازم الا وفعل
الشرط ماض كما تقدم فكيف جعل ذلك داخلا في قاعدة حذف الجوازم التي هي
طريقة مسلوكة للبلاغة واما ثانيا فان هذا التقدير الذي قدره جوابا لا يدل

عليه دليل ولا قرينة اذ لا يستدعيه الكلام اصلا بل الجواب هو قوله يضلنا و
يستزلنا قطعا لتوقف مضمونهما على حصول الشرط ومن ارتكب دعوى الحذف
فانما ارتكبها من حيث الصناعة النحوية لبعض القواعد حتمها وان لم يكن المعنى
متوقفا عليه وقد علمت ما فيه واما ثالثا فقد صرحوا بان شرط الدليل اللفظي
ان يكون طبق المحذوف لفظا ومعنى نحو زيدا ضربته ومعنى ان تعذر اللفظ نحو
زيدا مررت به اي جاوزت وما قدره من الجواب اعم مما زعم انه دليل لفظي عليه
فكيف يكون مدلولا له والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قوله عليه السلام اللهم
فاقهر سلطانه عنا بسلطانك الى اخره الفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر وتصدير
الجملة بالنداء مبالغة في التضرع وقهره يقهره من باب منع غلبه وعداه بعن
لتضمنه معنى الدفع والسلطان والتسلط قدرة الملك ومن كل شيء شدته وحدته
بمعنى كي التعليلية وحبسه تحبسه من باب ضرب منعه والباء في قوله بكثرة الدعاء
للسببية او للاستعانة وقوله فنصبح بالنصب عطفا على قوله تحبسه والفاء للسببية
والتعقيب لان السبب التام يتعقبه مسببه من غير تراخ ونصبح بمعنى نصير كقوله
تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله في المعصومين بك اي كائنين في جملة الممنوعين
المحفوظين بسببك او باستعانتك او في جملة ارباب العصمة وهي فيض الهي
يقوى به العبد على تحري الخير وتجنب الشر وقال الحكماء هي ملكة تمنع الفجور و
تحصل من العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات وقيل هي ملكة اجتناب المعاصي
مع التمكن منها والله اعلم اللهم اعطني كل سؤلي واقض لي حوائجي ولا تمنعني
الاجابة وقد ضمنتها لي ولا تحجب دعائي عنك وقد امرتني به وامنن علي بكل ما يصلحني
في دنياي واخرتي ما ذكرت منه وما نسيت او اظهرت او اخفيت او اعلنت او
اسررت واجعلني في جميع ذلك من المصلحين بسؤالي اياك المنجحين بالطلب اليك

غير الممنوعين بالتوكل عليك للمعوذين بالعوذ بك الراجين في التجارة عليك
المجازين بنوالك الموسع عليهم الرزق الحلال من فضلك الواسع بجودك وكرمك المعتقين
من الذل بك والمجارين من الظلم بعدلك والمعافين من البلاء برحمتك والمغنين من الفقر
بغناك والمعصومين من الذنوب والزلل والخطاء بتقواك والموفقين للخير والرشد
والصواب بطاعتك والمحال بينهم وبين الذنوب بقدرتك التاركين لكل معصيتك الساكنين في جوارك
السؤل بالضم والهمز المطلوب الذي يسأل قال الزمخشري في الاساس اصبت منه سولي
طلبتي فعل بمعنى مفعول كعرف ونكر انتهى وفي الحديث كل نبي سأل سولا وقد تترك
منه الهمزة للتخفيف وقضى حاجته انجزها له وبلغه اياها وفي قوله عليه السلام حوائجي هذا
على جميع حاجة على حوائج خلافا انكره ذلك وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في
الروضة الثالثة عشرة ومنعه لمن الامر ومنه منعا ضد اعطاه واجاب الله دعاءه اجابة
قبله واستجاب له كذلك وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصة باعطاء
المسؤل وضمنتها لي اي كفلت لي بها والتزمتها والواو في له وقد في الموضعين
للحال وحجبه حجبا من باب قتل منعه من الدخول وحجب الدعاء عنه تعالى تمثيل
لعدم قبوله لانه يؤذن على الملوك الا للمقبولين عندهم المكرمين لديهم ولا يحجب
عنهم الا المردودون المهانون لديهم وفي الفقرتين اشارة الى قوله تعالى في سورة
المؤمن وقال ربكم ادعوني استجب لكم فان الامر بالدعاء فيه صريح ترتب الاستجابة
على الدعاء فكانه ضمنها وتكفل بها وهو يؤيد ان المراد بالدعاء والاستجابة في الآية
ظاهرهما واكثر المفسرين على ان المراد بالدعاء العبادة وبالاستجابة الوفاء بما ضمن
للمطيعين من الثواب لقوله سبحانه بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين وفيه انه حمل اللفظ على خلاف ظاهره في موضعين فالحمل على الظاهر اولى
واما تتمة الآية فليس فيها الا التعبير عن الدعاء بالعبادة وهو من اعظم انواع

فالتعيين

فالتعيين بهما عنه ظاهر وهو المروي عن اهل البيت عليهم السلام روى ثقة الاسلام
في الكافي بسند حسن او صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل يقول
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين هو الدعاء وافضل
العبادة الدعاء وعنه عليه السلام الدعاء ولا تمنعني الى آخره لا تجعل دعائي بطلب الحوائج
على غير جهة الدعاء الذي ضمنت اجابته وامرت به والا فلا يتصور منعه سبحانه
للاجابة مع تكفله بها ولا حجب للدعاء مع امره به يدل على ذلك ما رواه ثقة الاسلام
في الكافي بسنده عن عثمان بن عيسى عمن حدثه عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت
آيتان في كتاب الله عز وجل اطلبهما فلا اجدهما قال وما هما قلت قول الله عز و
جل ادعوني استجب لكم فندعوه ولا نرى اجابة قال افترى الله عز وجل اخلف وعده قلت لا قال فمم ذلك قلت لا ادري قال لكني اخبرك من
اطاع الله عز وجل فيما امره من دعائه من جهة الدعاء اجابه قلت وما
جهة الدعاء قال تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلي على
النبي صلى الله عليه وآله ثم تذكر ذنوبك فتقر بها ثم تستعيذ منها فهذا جهة الدعاء
ثم قال وما الآية الاخرى قلت قول الله عز وجل وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو
خير الرازقين فاني انفق ولا ارى خلفا قال افترى الله عز وجل اخلف وعده
قلت لا قال فمم ذلك قلت لا ادري قال لو ان احدكم اكتسب المال من حله و
انفقه في حله لم ينفق درهما الا اخلف عليه قوله عليه السلام وامنن علي بكل ما
يصلحني اي انعم بكل خير يكون به صلاحي وهو الحصول على الحالة المستقيمة
النافعة ولك اسناد الاصلاح اليه مجاز عقلي من باب الاسناد الى السبب والمصلح
حقيقة انما هو الله تعالى كما قال سبحانه سيهديهم ويصلح بالهم اي حالهم وقوله
في الدنيا والآخرة اما متعلق او بيصلحني فان قلت هل بين التعلقين فرق في
المعنى قلت نعم فانك اذا جعلته متعلقا بامنن كانت المنة عاجلا بما يكون سببا

لصلاحه في الدنيا والاخرة وقوله ماذكرت منه وما نسبت الا انه من ما
المضاف اليها كل بدل الاشتمال ومنه في موضع الحال من الضمير المحذوف
من ذكرت اي ماذكرته حال كونه منه وقوله او اظهرت او اخفيت اي ما
اظهرته على لساني وتفوهت به او ما اخفيته مخطرا له ببالي من غير ان اتفوه
به اصلا او ما اعلنته وذكرته للناس علانية او اسررته الى غيري في خفاء وا
كل ذلك للتنويع ولا اتحاد اللغوي يفرق بين الاظهار والاعلان والاخفاء والا
الا ان قول المفسرين في قوله تعالى يعلم السر واخفى اي ما اسررته الى غيرك واخفى
من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا يرشد الى ما ذكرناه لا
العطف المغايرة وكون التاسيس خيرا من التاكيد قوله عليه السلام واجعلني
في جميع ذلك من المصلحين يسلي الى بابك في ظرفيه مجازية بتشبيه ملابسة
لجميع ذلك في الاجتماع معه بملابسة المظروف للظروف فهو من باب الاستعارة
التبعية ومتعلقها محذوف وهو حال من مفعول اجعلني والتقدير واجعلني
كائنا في جميع ذلك من المصلحين ويجوز تعلقها بالمصلحين فيكون التقدير
واجعلني من المصلحين في جميع ذلك والتقديم للاعتناء بالمقدم كما مر بيانه مرارا
وتاكيد العموم بجميع لقصد كون كل فرد من افراد ذلك له مدخل في الاصلاح وذلك
اشارة الى المذكور من المسئولات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار
اليه للايذان بعلو شانه وفضله وقوله من المصلحين في محل نصب على انه
المفعول الثاني لاجعلني اي من المصلحين لبيانهم واعمالهم او لما فسدوه من حالهم
او من المتصفين بالاصلاح من باب هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
والباء من قوله بسؤالي بابك للسببية والمنجحين جمع منجح اسم فاعل من انجح الرجل
اذا اصاب طلبته وقضيت له حاجته وفي القاموس النجاح بالفتح والنجح بالضم

الظفر

٥٠٣

الظفر بالشيء نجحت الحاجة كمنع وانجحت وانجحها الله وانجح زيد صار ذا نجح وهو
منجح وطلب الى بطلبا رغب اليا اي ساله والتقدير من المنجحين بطلبي اليك او
بطلبهم اليك ويرجح الاول موافقته لقوله في الفقرة الاولى بسؤالي اليك ومن
عليه ما بعده قوله عليه السلام غير الممنوعين بالتوكل عليك غير بالكسر صفة للمنجحين
وانما وقعت صفة لمعرفة والاصل فيها ان تكون صفة لنكرة لتوغلها في الابهام
بحيث لا تتعرف باضافتها الى المعرفة نحو نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل لان المراد
بالمنجحين طائفة لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة اذ اللام فيه للجنس والمعرف الجنسي
في المعنى كالنكرة وان كان في اللفظ كالمعرفة وذلك ان المقصود به الحقيقة
من حيث الوجود في ضمن الافراد ويدل على القرينة على ان المراد به البعض نحو
ادخل السوق واشتر اللحم فيصير في المعنى كالنكرة فيجوز حينئذ ان يعامل
معاملة النكرة فيوصف بالنكرة ومنه قوله تعالى لا يستوي القاعدون
من المومنين غير اولي الضرر برفع غير وصفا على انه للقاعدين لانهم جنس ورده
بعضهم بانه على خلاف اصلهم من ان المعرفة لا توصف الا بالمعرفة والمراعى في
ذلك اللفظ لا المعنى وعلى هذا فاما ان يوجه بما ذهب اليه بعضهم من ان غير
اذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين تعرفت بالاضافة نحو عليك بالحركة
غير السكون فان المراد بها حينئذ غير معين وكذا الامر هنا لان المنجحين والممنوعين
متضادان واما ان يقال ان غير الممنوعين متضادان واما ان يقال ان غير
الممنوعين بدل من المنجحين لا نعت له ووقع في نسخة ابن ادريس رواية غير
بالنصب اما على الحال او على القطع بتقدير اعني والباء من قوله بالتوكل للسببية
اي بسبب توكلي عليك او بسبب توكل غير الممنوعين عليك والتوكل على الله
تعالى عبارة عن اعتماد القلب عليه والانقطاع اليه بالثقة به عما عنده واليأس عما

ايدي الناس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه كل مؤنة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقد تقدم الكلام على حقيقة
التوكل وصورته في الرياض السابقة فاغنى عن الاعادة قوله عليه السلام المعوذين بالتعوذ
بك اكثر النسخ باهمال الدال من المعوذين وهو اسم مفعول من عوذته كذا اي
صيرته له عادة ونسخة ابن ادريس بالذال المعجمة من عوذه اذا عصمه من كل
سوء ومنه المعوذتان على اسم الفاعل قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب
الناس لانهما عوذتا صاحبهما اي عصمتاه من كل سوء وما اشتهر على السنة
بعض الطلبة من فتح الواو على انهما اسم مفعول غلط واضح والتعوذ بالذال
المعجمة مصدر تعوذ به اي اعتصم يقال عذت بالله عوذا ومعاذا وعياذا واستعذت
به استعاذة وتعوذت به تعوذا كل ذلك بمعنى والباء على الرواية الاولى
للتعدية وعلى الثانية للملابسة او للاستعانة قوله عليه السلام الرابحين في التجارة
عليك ربح فلان في تجارته تجاوز ربحا من باب علم وتعب صادف الربح وهو الفضل
والزيادة على راس المال والتجارة صناعة التاجر وهي التصدي للبيع والشرا
لتحصيل الربح وقد يراد بها ما يتاجر فيه من الامتعة ونحوها على تسمية المفعول
بالمصدر قال بعضهم في مثل هذا المقام استعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة
وامتثال اوامر الله تعالى ووجه الشبه كونهم متعوضين بمتاع الدنيا وحركاتهم
في العبادة متاع الاخرة ورشح بلفظ الرابحين لافضلية متاع الاخرة وزيادته
في النفاسة على ما تركوه من متاع الدنيا انتهى والاحسن والابلغ ان يقال ان المرشح
الذي هو لفظ الرابحين استعارة تمثيلية بان شبه حال المومنين العاملين
في نيلهم المنافع المترتبة على اعمالهم بحال التاجر الرابح في تجارته ولا ينافي ذلك
كون التجارة في نفسها استعارة لمعاملتهم وثباتهم على ما هم عليه من ايثارهم

متاع الدنيا

متاع الدنيا على متاع الاخرة وترتبهم عليه معربة عن كون ذلك متاعة لهم راسخة فيهم
ليس من ضرورة رعايت الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به
الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا وفي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير
الشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى اخر بل قد يكون مستعارا
من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له مع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله
بما رايت النسر عز ابن داية . وعشش في وكريه جاش لصدري . فان لفظ وكرين
مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ للراس
واللحيه او للفودين اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة
لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية وهو الغراب للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع
كونه مستعارا للحلول في النزول المستمر ترشيح لتينك الاستعارتين هكذا ينبغي
ان يورد الاستعارة في هذا المقام كما نص عليه سماسرة البلاغة من علماء البيان
والظرف من قوله عليك لغو متعلق بالرابحين يقال ربح عليه في البيع اذا استفاد
منه الربح واخذه منه وفي الحديث عن الصادق عليه السلام ربح المومن على المومن
ربا الا ان تشتري باكثر من ماية درهم فاربح عليه قوت يومك او تشتريه للتجارة فاربحوا
عليهم وارفقوا بهم والمعنى اجعلني من المستفيدين الربح منك في تجارته او تجاراتهم وما
ما وقع لبعض المترجمين من ان التعدية بعلى لتضمين معنى الاعتماد والمعنى الرابحين في
التجارة في حال الاعتماد عليك بان من قصد جنابك للتجارة بشي حصل له الربح قطعا
ولم يرجع خاسرا ولا خائبا فهو من علامة الاطلاع على مصطلحات العرب في محاوراتهم وحل
متداولات الفاظهم ومتعارفات اقوالهم ويحتمل ان يكون على هنا بمعنى من اي الرابحين
منك في التجارة كقوله تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي من الناس قال الزمخشري لما
كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك

انتهى وهذا المعنى بعينه موجود في الربح اذ كان فيه نوع ضرر على الماخوذ منه و
لذلك كان ربح المؤمن على المؤمن حراما كما وقع في الحديث السابق فلاجرم ابدل
على مكان من كما وقع في الاية فان قلت ضرر الربح لا يتصور في حقه تعالى فكيف ابدله
على من في خطابه سبحانه قلت هو في اصل المعنى كذلك وان لم يكن مقصودا فيما
نحن فيه بذلك على ذلك قول الرضى ومن الاستعلاء مجازا على قضاء الصلوة وعليه القضاء
لان الحقوق كانها راكبة لمن تلزمه وكذا قوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا تعالى الله
عن استعلاء شيء عليه ولكنه اذا صار الشيء مشهورا في الاستعمال في شيء لم يراع اصل
معناه نحو ما اعظم الله ومنه توكلت على فلان كانك تحمل ثقلك عليه ومنه توكلت على الله
انتهى وهو صريح فيما ذكرنا والله اعلم قوله عليه السلام المجاورين بوليائك المحفوظين بعتق
وعظمتك يقال استجرت زيدا فاجارني اي طلبت منه ان يحفظني فحفظني والعز في
اللغة الرفعة والامتناع والشدة والغلبة قوله عليه السلام الموسع عليهم الرزق الحلال
الى آخره يروى بتشديد السين وتخفيفها وكلاهما بمعنى يقال وسع الله عليه رزقه توسعه
بالالف والتشديد اي بسطه وكثره اي الدين وسع عليهم الرزق وهو لغة ما ينتفع
به فيشتمل الحلال والحرام ولذلك قيده بالحلال ومن ذهب الى انه ما صح الانتفاع به وليس
لاحد منعه منه فلا يكون الحرام رزقا فوصفه بالحلال عنده للتاكيد كامس الدابر او
للايضاح والتبيين وقد تقدم الكلام على هذه المسئلة مستوفى في اوائل الروضة
الاولى فليرجع اليه والحلال ما لا يعاقب على استعماله قيل والرزق الحلال شامل للحلال
في ظاهر الشريعة والحلال في نفس الامر وهو قوت النبيين كما روى ان ابا جعفر عليه السلام
نظر الى رجل وهو يقول اللهم ارزقني من رزقك الحلال فقال ابو جعفر عليه السلام سالت قوت
النبيين قل اللهم اني اسئلك رزقا واسعا طيبا من رزقك قال بعض اصحابنا الحلال والطيب وان
كانا متقاربين بل متساويين في اللغة الا ان المستفاد من هذا الحديث ان بينهما فرقا في عرف

كلامهم

٥٠٥

الائمة عليهم السلام وكان الفرق هو ان الطيب ما هو طيب في ظاهر الشرع سواء كان طيبا
في الواقع ام لا والحلال ما هو حلال وطيب في الواقع لم يعرضه النجاسة والخباثة
قطعا ولم يتنجس ولا ادرى المتغلب اصلا في وقت من الاوقات ولا ريب في انه قوت الانبياء
وانه نادر جدا وطريقه ضيق والطالب له طالب لضيق معيشته واما ما وقع في
بعض الادعية من طلبه فالمراد به ما هو على الطيب انتهى ومن في قوله عليه السلام من فضلك
الواسع لابتداء الغاية مجازا وهي اما متعلقة بالموسع فيكون الظرف لغوا او بمحذوف
وقع حالا من الرزق الحلال فيكون ظرفا مستقرا والمعنى انه محض فضلك الواسع
من غير بسط معتاد او من غير استحقاق الى لست باهل له بناء على ان الواسع نعت
موكدا ومادح واما من فضلك المتصف بالسعة مطلقا فان من فضله ما تقتضي
الحكمة ان لا يكون واسعا والغرض المبالغة في طلب التوسعة والجود افادة ما ينبغي
لا لعوض والكرم ايثار الغير بالخير قوله عليه السلام المعزين من الذل بك اعزه عز
اكرمه قال صاحب المحكم عن علي يعز عزا وعزة وعزازة كرم واعززته اكرمته وحببته
ومن معنى عن للبدل الاعزاز من معنى التنزيه عما ينافيه ويحتمل ان تكون للبدل اي بدل
الذل والباء في بك للاستعانة قوله عليه السلام المجادين من الظلم بعدلك يروى
بكسر الراء المهملة جمع مجار اسم مفعول من اجاره اجارة بمعنى اعاذه وحفظه وهو المشهور
وفي نسخة ابن ادريس المجازين بفتح الزاي المعجمة جمع مجازى اسم مفعول من جازاه مجازاة
بمعنى كافاه وعن الشهيد قدس سره المجازين بالمعجمة على صيغة المفعول والفاعل
معا اي الذين تجازيهم على ما اصابهم من الظلم وتنتصف لهم من ظالمهم عدلك والذين
لا يجازون من اعتدى عليهم وظلمهم الا بعدلك انتهى وفي هذا المعنى قول امير المؤمنين
عليه السلام في صفة المؤمن ان بغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له اي ان ظلم لم
ينتقم هو لنفسه من ظالمه بل يكل امره الى عدل الله سبحانه لينتصر له منه قوله عليه السلام

العافين من البلاء وجمتك عافاه الله بعافيته معافاة سلمه من الآفات والبلاء
بالفتح والمد ما يمتحن به ويختبر من خيرا وشر واكثر ما ياتي مطلقا في الشر كما وقع
هنا واذا اريد به الخير ياتي مقيدا كما قال تعالى بلاء حسنا والله تعالى يبلو عبده بما يحب
ليمتحن شكره وبما يكره ليمتحن صبره فسال عليه السلام ان يجعله من الذين عافاهم من الابتلاء
بالمكروه بسبب محبته وفي الحديث ان لله تعالى ضنائن من خلقه يحييهم في عافية ويميتهم
في عافية وهو مروي من طريق العامة والخاصة قال ابن الاثير في النهاية الضنائن
الخصائص واحدهم ضنينة فعيلة بمعنى مفعول من الضن وهو ما تختصه وتضن به اي
تبخل لمكانه منك وموقعه عندك ومنه قولهم فلان ضني من بين اخواني وضنيني
اي اختص به واضن بمودته ورواه الجوهري ان لله ضنا من خلقه يحييهم في عافية
ويميتهم في عافية وفي القاموس هو ضني بالكسر اي خاص بي وضنائن الله خواص
خلقه وروى ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله عز
وجل ضنائن يضن بهم عن البلاء فيحييهم في عافية ويرزقهم في عافية ويميتهم في
عافية ويبعثهم في عافية ويسكنهم الجنة في الجنة وعن ابي عبد الله عليه السلام ان الله
خلق خلقا ضن بهم عن البلاء خلقهم في عافية واحياهم في عافية واماتهم في عافية
وادخلهم الجنة في عافية وعنه صلوات الله وسلامه عليه ان الله عز وجل
ضنائن من خلقه يغذوهم بنعمته ويحييهم في عافية ويدخلهم الجنة برحمته تمر بهم
البلايا والفتن لا تضرهم شيئا قال بعض اصحابنا في معنى هذه الاخبار لما كان كل فعله
تعالى منوطا بالحكمة كان من مقتضى حكمته انه اذا علم ان من عباده من لا يحتاج في صلاحه
الى البلاء رزقهم العافية وقد يبلو بعضهم لزيادة الاجر ورفع المنزلة واذا علم ان بعضهم
يحتاج الى البلاء ابتلاهم به وقال بعضهم معنى الضن هو حبس البلاء اعدادهم لعدم
التادي بالبلاء او وذلك لفرط محبتهم له سبحانه بحيث يلتذون ببلائه كما يلتذون بنعمائه

فيعده نعمة وعافية كما يشير الى ذلك آخر الحديث الثالث وهو قوله عليه السلام تمر بهم البلايا
والفتن لا تضرهم شيئا والله اعلم **قوله** عليه السلام المغنيين من الفقر بغناك قال
بعض اصحابنا اعلم ان الغنى المطلوب لمثله عليه السلام ما هو دفع ضرورة حاجته
بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال
وادخاره والاتساع فوق الحاجة وطلب الغنى على ذلك الوجه محمود وعلى الوجه
الثاني هو المذموم والفقر هو ما احتاج معه الى سؤال الخلق انتهى والظاهر ان
المراد بالفقر هنا التمسك بما سواه تعالى والاستغاثة به لقوله عليه السلام بغناك فان
المعنى بغناه جل شانه هو الذي صرفته العناية عن الالتفات الى ما سواه سبحانه من
الوسائل والاسباب الا فكل مغني يؤول غناه اليه تعالى **قوله** عليه السلام والمعصومين
من الذنوب والخطايا عصمه الله يعصمه من باب ضرب حفظه من موافقة الآثام والمعاصي
وذلك بفيض واعداد منه تعالى يقوى به العبد على اجتناب الشر حتى يصير كما نع
من باطنه وان لم يكن منعا محسوسا والذنب ما يحجبك عن الله تعالى وجمعه باعتبار
تنوعه والزلل اصله في المكان قال الزمخشري هو نوع من انتقال الجسم عن مكان الى مكان
انتهى يقال زل عن مكانه زلا من باب ضرب تنحى عنه وزل يزل زللا من باب تعب لغة
والاسم الزلة بالكسر والمنزلة بالفتح المرة ثم استعير للنزول عن الحق والصواب
قال في الاساس من المجاز زل في قوله وراية زله وزللا وازله الشيطان عن الحق واستزله
والخطاء مهموز بفتحتين ضد الصواب وقال في النهاية هو ضد العمد وهو ان يفعل
شيئا من غير قصده وقيل انه العدول عن الصواب بان يريد غير ما تحسن ارادته فيفعله
وهو الماخوذ به او يريد ما يحسن فعله ولكن يقع له خلاف ما يريد او يريد ما
يحسن فعله منه خلافه فهو مخطئ ارادة مصيب فعلا فهو مذموم بقصده غير محمود
بفعله وقد يطلق على المعصية وان كان فاعلها متعمدا من حيث انها ضد الصواب

وقوله عليه السلام بتقواك من اضافة المصدر الى المفعول اى بتقواهم اياك و
الاصل وقوى من وقيت لكنه ابدلت الواو تاء ولزمت فى تصاريف الكلمة
يقال اتقى الله اذا تورع عن محارمه واجتنب عن كل ما يبعده عنه وقد
تقدم الكلام على ذلك مستوفى فليرجع اليه قوله عليه السلام الموفقين للخير
والرشد والصواب فقد الله للخير جعل ارادته موافقة له والخير ما يصلح به
حال الانسان او يرغب فيه الكل والشر خلافه وكل منهما اما مطلق لم يزل مرغوبا
فيه او عنه او مقيد يكون بالنسبة الى احد خيرا والى الاخر كالمال والرشد
بالضم والسكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة وقال الواحدى
الرشد اصابة الخير وهو نقيض الغى وقال الراغب الرشد عناية الهية تعين
الانسان عند توجهه فى اموره فيقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما
فيه فساده واكثر ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم
رشده من قبل وكنا به عالمين وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية العزم او بفسخه
واليه يتوجه قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه والصواب اصابة
الحق وهو ضد الخطاء قوله عليه السلام المحال بينهم اسم مفعول من احال بمعنى
حال يقال حال الشيء بيننا حيلولة اى حجز ومنع الاتصال ومنه قوله تعالى وحيل
بينهم وبين ما يشتهون وفى القاموس وكل ما حجز بين شيئين فقد حال بينهما
وفى نسخة ابن ادريس المحول بينهم وهو الموافق للمشهور الذى عليه التنزيل قال
تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقال وحال بينهما الموج فكان من المغرقين
واما احال فلم ينص عليه احد من اهل اللغة الا ان الرواية المشهورة وردت هنا
بلفظ المحال بينهم ولا معنى له الا ان يكون بمعنى المحول قوله عليه السلام التاركين لكل
معصيتك ترك الشيء طرحه وخلاه وقال الشهاب الفيومى فى المصباح تركت المنزل

رحلت

٥٠٧

رحلت عنه وتركت الرجل فارقته ثم استعير للاسقاط فى المعانى فقيل
ترك حقه اذا اسقطه وترك ركعة من الصلوة لم يات بها فانه اسقاط لما
ثبت شرعا وتركت البحر ساكنا لم اغيره عن حاله انتهى وقيل الترك الكف
الفعل المبتدء فى محل القدرة عليه فقوله عليه السلام التاركين لكل معصيتك
لا يجوز ان يكون بمعنى الحاذفين منها بعد ارتكابها والمفارقين لها بعد مواصلتها
كما يقتضيه معنى الترك اذ لا يتصور ارتكاب احد كل معصية بل معناه غير الفاعلين
لشيء من المعاصى وهذا المعنى للترك شايع فى الاستعمال ايضا قال امين الدين
الطبرسى الترك ضد الاخذ نافى الفعل المبتدء فى محل القدرة عليه ويستعمل
بمعنى ان لا يفعل كقوله تعالى وتركهم فى ظلمات معناه لم يفعل الله لهم النور
فان قلت قد تقرر فى علم البيان ان كلا اذا وقعت فى حيز النفى كان النفى
موجها الى الشمول خاصة وافاد بمفهومه الثبوت لبعض الافراد كقولك لم اخذ
كل الدراهم فيلزم على هذا ان يكون معنى التاركين لكل معصيتك التاركين مجموعها
مع ارتكابهم لبعض افرادها كما ان قولك لم اخذ كل الدراهم فيلزم على هذا ان يكون معنى
التاركين لكل معصيتك التاركين مجموعها مع ارتكابهم لبعض افرادها كما ان قولك
لم اخذ كل الدراهم يفيد ثبوت الاخذ لبعضها وهذا المعنى غير مراد هنا قطعا بل
المراد ترك كل فرد من المعصية قلت لا شك ان هذا الحكم اكثرى لا كلى كما نص عليه السعد
التفتازانى فى شرح التلخيص قال لانا نجده حيث لا يصلح ان يتعلق الفعل
ببعض كقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور والله لا يحب كل كفار اثيم ولا تطع كل
حلاف مهين واجاب بعضهم بان دلالة المفهوم انما يعول عليها عند عدم المعارض
وهو هنا موجود اذ دل الدليل على تحريم الاختيال والفخر والكفر والحلف وهذا
الجواب صالح هنا ايضا اذ الدليل اوجب ترك كل فرد من المعصية فلا يعول على

دلالة المفهوم قوله عليه السلام الساكنين فی جوارك سكن الدار و فی
الدار سكنا من باب طلب حل بها و الاسم السكنى فانا ساكن و جاوره
مجاورة و جوارا من باب قاتل و الاسم الجوار بالفتح و الضم و قال الجوهری
جاورته مجاورة و جوارا او جوارا و الكسر افصح و قال الفارابی فی
دیوان الادب فی باب فعال بالكسر هو الجوار یقال هو فی جوار الله
و هو مصدر ایضا فی الاصل و فی باب فعال بالضم الجوار لغة فی الجوار
و الكسر افصح و فی باب فعال بالفتح هو الجوار و بالحركات الثلاث
وردت الروایة فی الدعاء و السكنى فی جوار الله تعالی تمثیل السلامة
من كل آفة و نیل الكرامة بكل خیر مثل صورة من و قاه الله سبحانه
و سلمه من كل خوف و شمله بفضله و عنایته بصورة من سكن
فی جوار ملك عظیم و سید كریم هو بعینه و یحفظه من كل سوء
شر رعایة اسكناه فی جواره و بغشاه بكل خیر و بر كرامته لحلوله
فی كنفه و الله اعلم اللهم اعطنا جمیع ذلك بتوفیقك و رحمتك و اعذنا
من عذاب السعیر و اعط جمیع المسلمین و المسلمات و المؤمنین و المؤمنات مثل الذی
سالتك لنفسی و لولدی فی عاجل الدنیا و آجل الآخرة انك قریب مجیب سمیع
علیم عفو غفور رؤف رحیم و آتنا فی الدنیا حسنة و فی الآخرة حسنة
و قنا عذاب النار جاء بضمیر الجماعة لاشتراك ولده علیه و علیهم
السلام فی الدعاء كما یدل علیه قوله فیما سیاتی مثل الذی سالتك لنفسی
و لولدی و جمع بین التوفیق و الرحمة لان بعض المسؤول المشار الیه بذلك
متسبب عن التوفیق عن محض الرحمة كما هو ظاهر و السعیر النار و قیل
لهبها لقولهم خبا سعیرها و عن اللحیانی نار سعیر بغیر هاء ای مسعورة

فقال

٥٠٨ یقال سعر النار سعرا من باب نفع و اسعرها اسعارا و سعرها تسعیرا
ای اوقدها و ختم الدعاء علیه السلام بالسؤال العامة اهل التوحید
من المسلمین و المسلمات و المؤمنین و المؤمنات مثل ما سال لنفسه
و لولده فی الدارین لما ورد فی الحدیث من حق المسلم علی المسلم ان
یحب له ما یحب لنفسه و یكره له ما یكره لنفسه و فی روایة یحب المرء
المسلم لاخیه ما یحب لاعز اهله و یكره المرء المسلم لاخیه ما یكره لاعز
اهله و عن ابی عبد الله ع قال قال رسول الله صلی الله علیه و آله
ما من مؤمن دعا للمؤمنین و المؤمنات الا رد الله عز و جل علیه
مثل الذی دعا لهم به من كل مؤمن و مؤمنة مضی من اول الدهر
او هو آت الی یوم القیمة و تقدیم المسلمین و المسلمات علی المؤمنین
و المؤمنات رعایة لترتیب الوجود فالاسلام قبل الایمان فلا
یكون العبد مؤمنا حتی یكون مسلما و قد تقدم الكلام علی الاسلام
و الایمان مستوفی فلیرجع الیه و قوله فی عاجل الدنیا و آجل الآخرة
یحتمل ان یكون متعلقا بقوله و اعط جمیع المسلمین و یحتمل تعلقه
بقوله سالتك لنفسی و الجملة من قوله انك قریب مجیب الخ تعلیل لشدة الدعاء
للاجابة و تاكیدها لغرض كمال قوة یقینه علیه السلام بمضمونها و
وصفه تعالی بالقرب تمثیل لكمال علمه بافعال عباده و اقوالهم و
اطلاعه علی احوالهم بحال من قرب مكانه و المجیب هو الذی یقابل
دعاء الدعاء الداعین بالاجابة و سؤال السائل بالاسعاف و
ضرورة المضطرین بالكفایة و فیه تلمیح الی قوله تعالی و اذا سالك
عبادی عنی فانی قریب اجیب دعوة الداع اذا دعان و السمیع هو العالم

بالمسموعات وقيل هو الذي لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع
حمد الحامدين فيثيبهم ودعاء الداعين فيجيبهم وقال امين الاسلام الطبرسي
هو من كان على صفة يجب لاجلها ان يدرك المسموعات اذ وجدت وهي
ترجع الى كونه تعالى حيا لا افة به والسامع المدرك ويوصف القديم تعالى
في الازل بانه سامع لانه انما يوصف به اذا وجد المسموعات والعليم
العالم بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها دقيقها وجليلها على اتم ما يمكن
بحيث لا يتصور مشاهدة وكشف اظهر منه وفعيل من ابنية المبالغة
فهو ابلغ من العالم قال بعض العلماء ليس سمعه وعلمه تعالى بجارحة ولا
بكيفية نفسانية انفعالية ليلزم الاشتراك بينه وبين السامعين
والعلماء او بينه وبين اسماعهم وعلومهم بل حقيقة ذاته المقدسة
التي هي محض الوجود الذي لا اتم منه تنكشف له المسموعات او تحصل لديه
المعلومات وليس معنى السماع الا حضور صورة المسموعات عند
قوة ادراكية تسمى بالسمع او السامعة ولا العلم الا حضور صورة
المعلوم عند قوة علمية تسمى بالعقل او العاقلة وليس من شرط
السماع ان يكون مالة ولا لحلول صورة في ذات السامع او في
آلة منه بل معناه انكشاف المسموع وحضوره سواء بنفسه او بصورته
وكذا الكلام في العلم فان ذاته تعالى سميع اذ ينكشف عنده المسموعات
وسميع اذ به يقع ذلك الانكشاف لا بامر آخر وكذا قياس كونه عليما
وعلما انتهى والعفو فعول من العفو وهو التجاوز عن الذنب وترك
العقاب عليه واصله المحو والطمس يقال عفت الريح الاثر اذا محته
وطمسته والغفور بمعنى الغفار ولكنه ينبئ عن نوع مبالغة لا ينبئ

عنه الغفار فان الغفار مبالغة في المغفرة بالاضافة الى مغفرة
متكررة مرة بعد اخرى فالفعال ينبئ عن كثرة الفعل والفعول
ينبئ عن جودته وكماله وشموله فهو غفور بمعنى انه تام الغفران كامله
حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة قال الغزالي وغيره وفي العفو
مبالغة ليست في الغفور فان الغفران ينبئ عن الستر والعفو ينبئ
عن المحو وهو ابلغ من الستر لان ستر الشيء قد يحصل مع بقاء اصله
بخلاف المحو فانه ازالته جملة وراسا وعلى هذا فتقديمه مع كون القياس
تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير
وشجاع باسل وجواد فياض لان ما يدل على ازالة اصل الذنب
اولى بالتقديم مما يدل على ستره مع احتمال بقاء اصله والرؤف
ذو الرافة وهي شدة الرحمة فهو بمعنى الرحيم مع المبالغة فيه وتقديمه
عليه مع كونه ابلغ منه لان تقديم ما يدل على عظم النعمة اولى
من تقديم ما يدل على دقيقها وقيل الرافة اخص والرحمة اعم وقوله
ربنا آتنا في الدنيا حسنة الى آخره قد مر شرحه في اخر الروضة العشرين
فليرجع اليه تم والله الحمد ضحوة يوم الثلثا بعشرات بقين من شعبان
المكرم سنة ١١٠١ه

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ذاكر جيرانه واوليائه والمفيض عليهم سجال نعمائه وآلائه

والصلوة والسلام على اشرف انبيائه وعلى اهل بيته وعترته وابنائه
وبعد فهذه الروضة السادسة والعشرون من رياض السالكين تتضمن
شرح الدعاء السادس والعشرين من صحيفة سيد العابدين سلام الله
عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين املاء العبد الفقير الى ربه الغنى على
صدر الدين الحسينى الحسنى كان الله له جارا ووليا ورفعه فى الدارين
مكانا عليا وكان من دعائه عليه السلام لجيرانه واوليائه اذا ذكرهم
الجيران جمع جار وهو لغة المجاور فى المسكن حكى ثعلب عن ابن الاعرابى
الجار الذى يجاور بيت بيت وقال الفيومى جاوره مجاورة اذا لاصقه
فى السكن وشرعا قيل من يلى الدار الى اربعين ذراعا من كل جانب وهو مذهب
جماعة من اصحابنا منهم الشهيد الاول فى كتاب اللمعة وقيل الى اربعين دارا
من كل جانب وهو مذهب طائفة من اصحابنا وقال الشهيد الثانى فى شرح اللمعة
والاقوى الرجوع فى الجيران الى العرف لان القول الاول وان كان هو المشهور
الا ان مستنده ضعيف والقول الثانى مستند الى رواية عامية روتها عائشة
عن النبى صلى الله عليه وآله انه اوصى بالجار الى اربعين دارا وكان رحمه الله
غفل عما رواه ثقة الاسلام فى الكافى بسند حسن بل صحيح عن ابى جعفر عليه السلام
انه قال حد الجوار اربعون دارا من كل جانب من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه
وعن شماله وعن ابى عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
كل اربعين دارا جيران من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فمستند
القول الثانى هاتان الروايتان لا ما روته عائشة فلا معدل عن القول به و
يطلق الجار على الناصر والحليف وهو المعاهد يقال منه تحالفا اذا تعاهدا
على ان يكون امرهما واحدا فى النصرة والحماية لان كلا منهما حلف لصاحبه على التناصر

وبينهما

وبينهما حلف وحلفة بالكسر اى عهد وارادة هذين المعنيين هنا صحيح
والاولياء جمع ولى فعيل بمعنى فاعل ويطلق على معان كثيرة الذى يقتضيه
المقام منها هو المحب والتابع والمعين والناصر والصديق ذكرا كان او
انثى والعتيق وكل من يتولى الانسان وينضم اليه ويكون من جملة اتباعه ٥١٠
والناصرين له فهو وليه قال صلوات الله وسلامه عليه اللهم صل على محمد
وآله وتولنى فى جيرانى وموالى العارفين بحقنا والمنابذين لاعدائنا بافضل ولايتك
تولاه الله كان له وليا اى محبا وكافلا لمصالحه وقائما باموره ومنه
تولاك الله حفظه قال ابن الاثير فى النهاية وكان الولاية تشعر بالتدبير
والقدرة والفعل وفى طرفية مجازية اى اجعل ولايتك لى سارية
فى جيرانى وموالى وراسخة كقوله واصلح لى فى ذريتى والموالى جمع
مولى والمراد به هنا المحب والتابع والناصر وسائر ما تقدم فى معنى
الولى وقوله العارفين بحقنا صفة مفادها التوضيح وهو رفع الاحتمال
والتبيين والتفسير فيكون صفة كاشفة عن معنى الجيران والموالى
الذين سال عليه السلام ان يتولاه الله فيهم بافضل ولاية ويحتمل ان
يكون للمدح ومعرفة حقهم عليهم السلام عبارة عن اعتقاد امامتهم وافتراض
طاعتهم ووجوب اتباعهم والتسليم اليهم والمنابذة بالذال المعجمة مفاعلة
من النبذ وهو طرح الشئ ورميه يقال نبذ الشئ من يده اذا طرحه ورمى به
قال الزمخشرى فى الاساس نبذ الى العدو رمى اليه بالعهد ونقضه و
نابذه منابذة وتنابذوا وقال الفيومى فى المصباح نابذتهم خالفتهم
ونابذتهم الحرب كاشفتهم اياها وجاهرتهم بها وفى شرح مسلم للنووى
فى حديث فان ابيتم نابذناكم على سواء اى كاشفناكم وقاتلناكم على

طريق مستقيم مستوفى العلم بالمنابذة منابذة منكر والنبذ يكون بالفعل و
القول في الاجسام والمعاني ومنه نبذ العهد اذا نقضه والقاه الى من كان
بينه وبينه انتهى وفي شرح جامع الاصول فلاتنا بذهم اى نحاربهم وفي الفقرتين
المذكورتين اشارة الى ان موالاتهم عليهم السلام لا يكون الا بمعرفة حقهم ومخالفة
اعدائهم ومنابذتهم والباء من قوله بافضل ولايتك اما للاستعانة فيكون
الظرف لغوا متعلقا بتولني او للملابسة فيكون مستقرا متعلقا بمحذوف هو حال
من فاعل تولني اى ملتبسا بافضل ولايتك والولاية بالفتح والكسر لغتان بمعنى
النصرة والاعانة وبالكسر فقط بمعنى السلطان حكاه الجوهري عن ابن السكيت
وقال سيبويه الولاية بالفتح المصدر وبالكسر الاسم مثل الامارة والنقابة
لانه اسم لما توليته فاذا اراد المصدر فتحوا والرواية وردت في الدعا بالوجهين
فيحتمل المصدرية والاسمية ووفقهم لاقامة سنتك والاخذ بمحاسن ادبك
في ارفاق ضعيفهم وسد خلتهم وعيادة مريضهم وهداية مسترشدهم ومناصحة
مستشيرهم وتعهد قادمهم وكتمان اسرارهم وستر عوراتهم
ونصرة مظلومهم وحسن مواساتهم بالماعون والعود عليهم بالجدة والافضال
قال بعضهم لا يخفى ان المناسب للمقام ان يقال ووفقني لكن اتفقت النسخ
على هذا النحو ويمكن ان يكون قوله عليهم السلام في ارفاق ضعيفهم متعلقا بولني
او بتولني وهو وان كان بحسب الظاهر بعيدا لكنه بحسب المعنى احسن انتهى و
قال بعض المترجمين وفي رواية ووفقني وهو اولى والعهدة عليه والذي
اقول ان المناسب لعنوان الدعا هو ما عليه الرواية من لفظ وفقهم فيكون
الغرض الدعاء لهم بالتوفيق باستعمال هذه الاداب في الاخذ بها في معاشرة
بعضهم بعضا والسنة بالضم في الاصل الطريقة وسنة الله تعالى حكمه

ومايتهم

اعطاء ما حوائجهم قبل السؤال لهم

٥١١

ومناشئهم من فرض او ندب واقامتها عبارة عن صيانتها وحفظها من
ان يقع فيها شيء من الزيغ اخذا من اقام العود اذا قومه وعدله او عن
المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها
نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه او عبارة عن
التشمير للعمل بها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد
فيه واجتهد والمحاسن جمع الحسن الذي هو خلاف القبح وهو كون الشيء
ملايما للطبع او موجبا للمدح في العاجل والثواب في الاجل قال الجوهري هو
على خلاف القياس كانه جمع محسن والادب رياضة النفس ومحاسن الاخلاق
قال ابو زيد الانصاري الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان
في فضيلة من الفضايل واضافته اليه تعالى لكونه امر به او ندب اليه والاخذ
في الاصل بمعنى التناول والامساك باليد يقال اخذ الخطام و بالخطام على
الزيادة اى امسكه ثم استعمل بمعنى السيرة يقال اخذ اخذهم ويلخذهم
بفتح الهمزة وكسرها اى سار بسيرتهم ومنه حديث لا تقوم الساعة حتى
تاخذ امتي باخذ القرون اى يسير بسيرتهم وهذا المعنى هو المراد هنا اى
ووفقهم للسيرة بمحاسن ادبك والظرف من قوله في ارفاق ضعيفهم
متعلق به او بادبك ويحتمل ان تكون في بمعنى من البيانية فيكون ماخوذها
بيانا للسنة تعالى ومحاسن ادبه والارفاق افعال من الرفق بالكسر وهو لين الجانب
ولطافة الفعل يقال رفق به من باب قتل رفقا وارفقه ارفاقا اى لطف
به وحكى ابو زيد رفقته وارفقته ورفقت بمعنى وقال الفارابي في ديوان
الادب يقال ارفقه ورفق به بمعنى وقال ابن الاثير في النهاية في ارفاق ضعيفهم
وسد خلتهم اى ايصال الرفق اليهم وياتي الارفاق بمعنى النفع يقال ارفقه

اى نفعه قال فى الاساس استرفقته فارفقنى بكذا نفعنى والخلة بالفتح الحاجة
والفقر والخصاصة وسدّها وجبرها وازالتها قال فى النهاية وفيه اللهم سادّ
الخلة الخلة الحاجة والفقر وسادها اى جابرها ومنه حديث الدعاء للميت اللهم
اسدد خلته واصلها من التخلل بين الشيئين وهى الفرجة والثلمة التى تركها بعده
من الخلل الذى ابقاه فى اموره وعدت المريض عيادة زرته قال الطيبى فى شرح المشكاة
العيادة فى المرض والزيارة فى الصحة وقال ابن الاثير كل من اتاك مرة بعد
اخرى فهو عائد وان اشتهر فى عيادة المريض حتى صار كانه مختص به والمستر
شد طالب الرشد اى الهدى والاصابة الصواب والمناصحة النصح قال الفارابى
فى ديوان الادب ناصحه اى نصح له فهو من باب فاعل بمعنى فعل كسافر وعافى
واستشرته فى كذا بمعنى شاورته اى راجعته لارى رايه فيه فاشار على كذا
اى ماعنده من المصلحة وتعهدت الشيء تفقدته وجددت العهد به اى الالمام
به ومنه عهدى به قريب اى لقائى والقادم الاتى من السفر يقال قدم الرجل
البلد يقدمه قدوما من باب تعب فهو قادم وكتم زيد الحديث كتما من باب قتل
وكتمانا بالكسر لم يطلع عليه احدا والاسرار جمع سر بالكسر وهو ما تخفيه وتكتمه
من غيرك ومنه صدور الاحرار قبور الاسرار والعورات بسكون الواو للتخفيف
والقياس الفتح وهو لغة هذيل جمع عورة وهى كل شيء يستره الانسان انفة
او حياء والنصرة بالضم اسم من نصره على عدوه اى اعانه وقوّاه والمواساة
مصدر اسيته بنفسى بالهمزة والمد اى سويته بها ويجوز ابدال الهمزة واوا
فى لغة اليمن فيقال واسيته وفى النهاية المواساة المشاركة والمساهمة فى
المعاش والرزق واصلها الهمزة وقد تقلب واوا انتهى وقال الجوهرى اسيته بمالى مواساة
جعلته اسوتى فيه واسيته له ضعيفه وفى القاموس اساه بماله مواساه اناله

منه وجعله

منه واجعله فيه اسوة ان لا يكون ذلك الا من كفاف فان كان من فضله فليس مواساة
انتهى واختلف فى معنى الماعون وفى اشتقاقه ثم هو فقيل هو المعروف كله وقيل هو اسم
جامع لما لا يمنع فى العادة ويسأله الفقير والغنى فى اغلب الاحوال ولا ينسب سائله الى
لؤم بل ينسب مانعه الى اللؤم والبخل كالفاس والقصعة والقدر والدلو والغربال و
القدوم ويدخل فيه الماء والملح والنار لما روى ثلثة لا يحل منعها الماء والنار و
الملح ومن ذلك ان تلتمس من جارك الخبز فى تنوره او ان تضع متاعك عنده يوما
او بعض يوم قال العلماء من الفضائل ان يستكثر الرجل فى منزله مما يحتاج اليه الجيران
فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على قدر الضرورة وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا
فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقيل هو كل ما ينتفع به ومطلق المنفعة ويؤيده
ما رواه ابو بصير عن ابى عبد الله ع قال هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع
البيت تعيره ومنه الزكوة قال فقلت له ان لنا جيرانا اذا اعرناهم متاعا كسروه
وافسدوه افعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا
كذلك واما اشتقاقه فهو فاعول فقيل من المعن بمعنى العطاء وقيل من معن
الوادى اذا جرت مياهه قليلا قليلا والمعن القليل لان الماعون ما قلت قيمته
وكثرت منفعته وقيل من المعن بمعنى السهل اليسير فان الماعون باى معنى فسر كان
سهلا يسيرا قال صاحب المحكم الماعون المعروف لتيسره وسهولته لدينا بافتراض
الله تعالى اياه علينا والماعون الزكوة وهو من السهولة والقلة لانها جزء من كل
والماعون اسقاط البيت كالدلو والقدر لانه يكثر معطيه ولا يعنى كاسبه و
الماعون فى الجاهلية المنفعة والعطية وفى الاسلام الطاعة والزكوة والصدقة
وكله من السهولة والتيسر انتهى وعاد يعود فهو يعود عودا عطف وتطول والاسم العائدة
قال الزمخشرى فى الاساس تقول عاد فلان علينا بمعروفه وما اكثر عائدة فلان على قومه

وانه لكثيرا لعوايدعليهم فقوله عليه السلام والعود عليهم بالجدة اى التطول عليهم
والاحسان اليهم والجدة الثروة والغنى من وجد فى المال وجدا بالضم والكسر لغة
وجدة اى استغنى والافضال الزيادة والاكثار ومنه حديث من على فافضل
اى فاكثر لك فى العطاء وهذا المعنى للافضال هو المناسب لعطفه على الجدة دون معنى
الاحسان فانه مستفاد من العود عليهم وقوله عليه السلام واعطائهم ما يجب لهم حذف
المفعول الاول المضاف اليه لدلالة الكلام عليه واضاف المصدر الى المفعول الثانى
ومدار هذا الفصل من الدعاء على سواله عليه السلام لجيرانه ومواليه ان يوفقهم
سبحانه لقيام بعضهم بحقوق بعض والاخذ بما ينبغى ان يكون عليه الشيعة من
الاخلاق الفاضلة والاداب الحميدة فى معاشرة بعضهم لبعض كما رواه ثقة الاسلام
فى الكافى فى باب حق المومن على اخيه واداء حقه بسنده عن ابى اسمعيل
قال قلت لابى جعفر عليه السلام ان الشيعة عندنا كثير فقال هل يعطف الغنى على
الفقير ويتجاوز المحسن عن المسئ ويتواسون فقلت لا فقال ليس هولاء شيعة
الشيعة من يفعل هذا وعن محمد بن عجلان قال كنت عند ابى عبد الله عليه السلام
فدخل رجل فسلم فساله كيف من خلفت من اخوانك قال فاحسن الثناء وزكى
واطرى فقال له كيف عيادة اغنيائهم على فقرائهم فقال قليله فقال كيف مشاهدة
اغنيائهم لفقرائهم قال قليله فقال فكيف صلة اغنيائهم لفقرائهم فى ذات
ايديهم فقال انك لتذكر اخلاقا قل ما هى فيمن عندنا قال فقال فكيف يزعم
هولاء انهم شيعة والاخبار فى هذا المعنى كثيرة جدا اذا عرفت ذلك فمعنى
قوله عليه السلام فى ارفاق ضعيفهم وسد خلتهم الى آخره فى ارفاق قويهم ضعيفهم
وسد غنيهم خلة فقيرهم وعيادة صحيحهم مريضهم وهداية مرشدهم مسترشدهم
ومناصحتهم مستشارهم مستشيرهم وتعهد حاضرهم قادمهم وكتمان اسرارهم فيما

٦١٣

بينهم اسرار انفسهم وستر بعضهم عورات بعض ونصرتهم مظلومهم وحسن مواساة
بعضهم بعضا بالماعون وعود اغنيائهم على فقرائهم بالجدة والافضال و
اعطائهم ما يجب بحاجتهم قبل السوال كما روى عن ابى عبد الله عليه السلام فى
حق المومن واذا علمت ان له حاجة تبادره الى قضائها ولا تلجئه ان
يسالكها ولكن تبادره مبادرة وانما استغنى عن ذكر الفاعل فى جميع
ذلك لانه غير ملتبس والله اعلم ولما بدا عليه السلام بالدعاء لجيرانه ومواليه
بتوفيقهم للاخذ بمحاسن الادب فى معاشرة بعضهم بعضا شفع ذلك بالدعاء
لنفسه بتوفيقه للاخذ بذلك فى معاشرته لهم فقال واجعلنى اللهم اجزى
بالاحسان مسيئهم واعرض بالتجاوز عن ظالمهم واستعمل حسن الظن فى كافتهم
واتولى بالبر عامتهم واغض بصرى عنهم عفة والين جانبى لهم تواضعا و
ارق على اهل البلاء منهم رحمة واسر لهم بالغيب مودة واحب بقاء النعمة عندهم نصحا
واوجب لهم ما اوجبت لحامتى الجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه ضمير المتكلم والثانى جملة
اجزى وتوسط النداء لاظهار مزيد الضراعة والابتهال وجزيته على فعله
اجزيه جزاء اذا فعلت معه ما يقابل فعله واكثر ما يستعمل فى كون الفعلين
من جنس واحد كالاحسان بالاحسان والاساءة بمثلها وعلى ذلك قوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد يستعمل فى مقابلة
السيئة بالحسنة وبالعكس وعلى الاول عبارة الدعاء ومثله قول الشاعر • يجزون
من ظلم اهل الظلم مغفرة • ومن اساءة اهل السوء احسانا • ومن الثانى قول الآخر •
جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا • جزاء سنمار وما كان ذا ذنب وسنمار اسم رجل رومى
بنى الخورنق الذى بظهر الكوفة للنعمان بن امرء القيس فلما فرغ منه القاه من علا
لخرّ ميتا وانما فعل ذلك لئلا يبنى مثله لغيره فضربت العرب به المثل لمن يجزى

وادخلهم ما اوجبت لخاصتهم

بالاساءة الاحسان واعرضت عن الشئ اضربت وولّيت عنه قيل اصله من الانصراف
بالوجه الى جهة العرض قيل حقيقة جعل الهمزة فيه للصيرورة اى اخذت عرضا بالضم
اى جانبا غير الجانب الذى هو فيه والمعنى واترك مقابلة الظالم سهم ومكافاتهم
فيما ياتيه من الظلم والباء من قوله بالتجاوز للملابسة متعلقة بمحذوف هو حال
من الضمير المستكن فى اعراض اى حال كونى ملتبسا بالتجاوز عنه يقال تجاوز عنه تجاوزا
اى عفا وصفح وقدم الكلام عليه وقوله عن ظالمهم متعلق بالفعل والمصدر على
طريق التنازع ثم ما اشتملت عليها الفقرتان من جزاء المسئ بالاحسان والصفح
عن الظالم بالتجاوز من اشرف مكارم الاخلاق كما روى ان جبرئيل عليه السلام نزل على
رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله تعالى خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين
فقال يا محمد جئتك بمكارم اخلاق الاولين والآخرين فصل من قطعك واعط من حرمك
واعف عمن ظلمك واستعمله عليه اى احمل حسن الظن فى جملتهم وجميعهم وكافة قيل هى
فى الاصل صفة من كف بمعنى منع استعملت بمعنى الجملة بعلاقة انها مانعة للاجزاء عن التفرق
والتاء فيها للتانيث وقيل هى فى الاصل اسم لجماعة تكف مخالفيها ثم استعملت فى
معنى جميع الناس فيها النقل من الوصفية الى الاسمية كما فى عامة وخاصة وقاطبة
وقيل للمبالغة كما فى رواية وعلامة ورد بانه خروج عن الاصل من غير ضرورة واكثر
النحويين على انها اعنى كافة من الاسماء اللازمة للنصب على الحالية وانها مختصة بمن يعقل
قال الرضى ويقع كافة فى كلام المتاخرين ومن لا يوثق بعربيته مضافة غير حال
وقد خطئوا فيها انتهى وقال ابن هشام فى المغنى جوّز الزمخشرى الحالية من الفاعل ومن
المفعول فى قوله تعالى ادخلوا فى السلم كافة ووهم لان كافة مختصة بمن يعقل ووهمه فى قوله
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اذ قدر كافة نعتا لمصدر محذوف اى رسالة كافة اشد
لانه اضاف الى استعماله فيما لا يعقل اخراجه عما التزم فيه من الحالية ووهم فى خطبة

المفصل

٥١٤

المفصل اذ قال محيط بكافة الابواب اشد والمشدد لاخراجه اياه عن النصب البتة انتهى
وتعقبه بعض المحققين من المتاخرين بانه ان اراد اختصاص لفظة كافة مطلقا بمن يعقل
ويكون نصبها حالا فقط لقولهم وتلحقها تا الكافة وان اراد اختصاصها بذلك حين استعمالها
اسما بمعنى الجملة او الجميع فالاعتراض الثانى ليس فى محله لانه على تقدير كونها صفة
لمصدر محذوف مستعمله بالمعنى الوضعى وكذا الثالث لجواز ان معناه محيط بقوم على
كافة للابواب عن التفرق على ان الزمخشرى لم ينفرد بذلك بل ذهب الزجاج الى
عدم اختصاصها بمن يعقل ايضا وهما الطودان العظيمان فى اللغة فلا بد فى الرد
عليهما من شاهد فى مجرد شيوع استعمالها كذلك لا يدل على الاختصاص انتهى وقال
السيد عبد الله شارح اللباب قد وقع كافة مضافا فى كلام البلغاء والفصحاء منه
قول عمر قد جعلت لآل بنى كاكلة على كافة بيت مال المسلمين لكل عام مائتى مثقال ذهبا
ابريزا كتبه عمر بن الخطاب ختمه كفى بالموت واعظا يا عمر وهذا الخط موجود فى آل بنى
كاكلة الى الآن فلا وجه للتخطئة انتهى قلت وفى عبارة الدعاء من ضياء الحق ما ينقذ
ظلام الشك فكفى بها شاهدا على وقوع كافة مضافة فى الفصيح فانه عليه السلام افصح العرب
فى زمانه فليتخطأ الزمخشرى من ان خطأه ويحق ما قيل ان عبارته كرواية وما العجب
الا ان الرضى رضى الله عنه حيث لم يقف على عبارة الصحيفة الشريفة بمكانته
فى المذهب زعم ان وقوعها مضافة غير حال انما يقع فى كلام المتاخرين ومن لا يوثق
بعربيته والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ومعنى استعمال حسن الظن فى كافتهم حمل
امورهم جميعا قولا كانت او فعلا على ما يصح ويحسن شرعا وعرفا ما امكن الحمل عليه
عملا بحسن الظن فيهم وقد بين امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ذلك فى
كلام له فقال ضع امر اخيك على احسنه حتى ياتيك ما يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت
من اخيك سوءا وانت تجد لها فى الخير محملا ولبعض علمائنا فى شرح هذا الكلام

اى احمل امر اخيك قولا كان او فعلا على احسنه وان كان مرجوحا وكان خلافه راجحا مظنونا
من غير تجسس حتى ياتيك اليقين على خلافه فان الظن قد يخطئ والتجسس منهى عنه كما قال
تعالى ان بعض الظن اثم وقال ولا تجسسوا ومن ثم قال العلماء ان افعال المؤمنين محمولة على
الصحة ثم نهى بكيتا المامور عن حمل كلامه على الشر ان كان محملا للخير وان كان بعيدا احد بقوله
ولا تظن بكلمة خرجت من اخيك سوءا الى آخره فاذا خرجت منه كلمة ذات وجهين
وجب عليك ان تحملها على الوجه الخير وان كان بمعنى مجاز باذن قرينة او كناية او
تورية ومن هذا القبيل ما سماه علماء العربية اسلوب الحكيم كما قال الحجاج للقبعثرى
متوعدا له لاحملنك على الادهم فقال القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم
والاشهب فابرز وعيده في معرض الوعد ثم قال الحجاج للتصريح بمقصوده انه حديد
فقال القبعثرى لان يكون حديدا خير من ان يكون بليدا وبالجملة كما يحرم على
المؤمن سوء القول في اخيه كذلك يحرم عليه سوء الظن فيه بان يعقد القلب
عليه ويحكم به من غير يقين واما الخاطر وحديث النفس فمعفو عنه وما وقع في قلبه من
غير يقين فهو من الشيطان يلقيه اليه ليغريه بالقبيح على اخيه فيجب ان يكذبه فانه
افسق الفاسقين فلا يجوز تصديقه بل يجب حسن الظن به ومن ثم جاء في الشرع من تكلم
بكلمة ظاهرها الارتداد ولها معنى صحيح لا يحكم بارتداده وان من علمت في فيه رائحة
الخمر لا يجوز ان يحكم عليه بشربها وان يحد عليها لاحتمال ان يكون تمضمض بها او مجها
او وجرت في حلقه جبرا وذلك امر ممكن انتهى وهذه الجملة كافية في بيان هذا المعنى
قوله عليه السلام واتولى بالبر عامتهم البر العطف والصلة والخير والاتساع في الاحسان
اى واجعلني اتولى عامتهم جملتهم ملتبسا بالبر لهم والعطف عليهم والاحسان اليهم
او ان تولى امور عامتهم بالخير والصلة والشفقة والاتساع في الاحسان اليهم وعن الاول
نصره ومن نصره من باب قتل خفض والعفو الكف عن الذنب ولا جل عفى عنه يعفو من باب

ضرب عنه

ضرب عنه بالكسر وعفافا بالفتح اى واجعلني اغض بصري عما لا يحل لي النظر اليه
من عورتهم اى زلاتهم وعثراتهم كما رواه الكافي بسنده عن حذيفة بن منصور
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام شيء يقوله الناس عورة المؤمن حرام فقال ليس
حيث يذهبون انما عنى عورة المؤمن ان يزل زلة او يتكلم بشيء يعاب عليه فيحفظ عليه
ليعيره به يوما ما وعن الشحام عن ابي عبد الله عليه السلام فيما جاء في الحديث
عورة المؤمن على المؤمن حرام قال ما هو ان ينكشف فيرى منه شيئا وانما هو ان
يروى عليه او يعيبه وعلى هذا فغض البصر عنهم كناية عن عدم تتبع عثراتهم
وزلاتهم والاعراض عنها ويحتمل ان يكون كناية عن احتمال المكروه منهم وعدم مؤاخذتهم
بذلك في القاموس غض طرفه خفضه واحتمل المكروه فيكون بمعنى الاغضاء عنهم
وهو استعمال الحلم والامساك عن الانتقام واستصحاب عفة يحتمل ان يكون على المفعول
اى غض عفة او على المفعول لاجله اى للعفة وقس عليه نظائره من المنصوبات
الاتية والانة الجانب لهم كناية عن الرفق والتلطف بهم ومنه قوله تعالى فبما
رحمة من الله لنت لهم يقال لان يلين لينا وليانا بالفتح ويتعدى بالهمزة والتضعيف
فيقال الانه ولينه تليينا ووقع في النسخ المشهورة من الصحيفة والين جانبي
بفتح الهمزة وفي نسخة والين جانبي بضم الهمزة وهو الصواب واما الرواية الاولى
فالظاهر انها على سقوط جانبي وكانه على لفظ جانبي في الهامش على رواية الين بالضم
فجمع الناسخ بين الروايتين والا فلم يسمع لانه متعديا والتواضع التذلل وهو خلاف
الترفع والتكبر اى لانه تواضع او لاجل التواضع ورق له يرق من باب ضرب رقة
بالكسر عطف وتحنن عليه وعداه بعلى لتضمينه معنى العطف والتحنن واهل البلاء
المبتلون بالمكروه والرحمة رقة القلب في التعطف فان حمل نصبها على المصدرية
فالعامل مرادف على حد قعدت جلوسا ومذهب سيبويه ان مقدر والتقدير

ارق وارحم رحمة لانه يذهب الى ان المصدر اذا كان غير ملاق للفعل المذكور
في الاشتقاق كان منصوبا بفعل مقدر فيقدر في تعددت جلوسا تعددت و
جلست جلوسا وهو خروج عن الاصل اعني عدم التقدير بلا ضرورة وان حمل
نصبها على المفعول لاجله فينبغي ان يراد بها غايتها من ايصال الخير ودفع الشر
واسر الحديث اخفاه واظهره ضد قيل والمراد بهما الاظهار اي اظهر لهم في الغيب
مودة ولا داعي اليه مع خلافه للظاهر فالاولى ان يراد به الاخفاء والكتمان و
الغيب مصدر بمعنى الغيبة فالباء للملابسة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل
كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى اني لم اخنه بالغيب اي
اخفي واكتم لهم المودة ملتبسا بالغيب عنهم اي غائبا عنهم لا كالمنافق الذي
اذا لقي اصحابه اظهر لهم المودة واذا غاب عنهم لم يكن في سره شيء منها
ويحتمل ان يكون المراد بالغيب القلب لانه مستور كما فسره بعضهم قوله تعالى يؤمنون
بالغيب اي يؤمنون بقلوبهم والمعنى اسر لهم بقلبي مودة لا كالذين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم ويحتمل ان تكون اللام من قوله لهم بمعنى اليهم لقوله
تعالى بان ربك اوحى لها اي اليها وقوله بالغيب مفعولا لاسر والباء فيه زائدة
للتاكيد مثل اخذت الخطام واخذت به ومنه قوله تعالى تسرون اليهم بالمودة
على القول بان المودة مفعوله ويكون معنى الغيب ما غاب عنهم علمه من احوالهم
وامورهم الدينية والدنيوية التي في اسرارها اليهم صلاحهم ويكون نصب
مودة على المصدرية او المفعول لاجله كما مر في نظائره اي اسرارا مودة او لاجل
المودة ويرجح هذا الاحتمال كون الفقرات كلها على نسق واحد في التركيب
النظم والتكافؤ المعنى الاول لان اظهر بحسب دلالة الالفاظ و... بمقاصد
اوليائه وقد كان امير المومنين صلوات الله عليه فالائمة من ولده عليهم السلام

يشرفون

يشرفون الى ... وخواصهم كثيرا من الامور الغيبية ومن المشهورين بذلك
من خواص امير المومنين عليه السلام جويرية بن مسهر العبدي وميثم التمار وعمرو بن
الحمق ورشيد الهجري وصعصعة صاحب علي عليه السلام ومالك بن ضمرة الرواسي و
غيرهم فقد كان امير المومنين عليه السلام اطلع كلا منهم على علم كثير واسرار خفية
من اسرار الوصية فاستنبطوا منه علما كثيرا من اخبار الملاحم والمغيبات كما يعرف
ذلك من كتب السير ولولا خشية الاطالة لذكرنا جملة مستحسنة من ذلك قوله عليه السلام
واحب بقاء النعمة عندهم نصحا اي واجعلني اود دوام النعمة وثباتها لديهم
حتى يكونوا دائما بنعمة من الله والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد ماخوذ من نصحت
العسل اذا صفيته من الشمع والمعنى واجعلني بقاء النعمة عندهم محبة نصح لهم
لاجل النصح لهم في ارادة الخير لهم وايثار نفعهم من غير شائبة غرض اخر و
اوجبت الشيء ايجابا جعلته واجبا واعتقدته واجبا اي لازما ثابتا من وجب
البيع والحق يجب وجوبا اذا لزم وثبت وخاصة الرجل خاصته من اهله وولده
ومنه قوله صلى الله عليه واله هولاء اهل بيتي وخاصتي اذهب عنهم الرجس و
استحقاقها من حم الشيء يحم حما من باب ضرب قرب ودنا ورعى له حقه وحرمته
رعيا ورعاية حفظ وخاصة الانسان من له به خصوصية من نسب او مودة
يقال هذا خاصتي وهم خاصتي والتاء فيها للمبالغة وقيل للنقل وقوله
بعض المترجمين ان هذه الفقرة تاكيد لما قبلها لاتحاد مضمونهما ليس بصحيح
بل هي تاسيس كما هو ظاهر والله اعلم اللهم صل على محمد واله وارزقني مثل ذلك
منهم واجعل ... في الحظوظ فيما عندهم وزدهم بصيرة في حقي ومعرفة بفضلي
حتى يسعدوا ... بي واسعد بهم امين رب العالمين ارزقني اي اعطني من الرزق بالمعنى اللغوي
وهو العطاء ومثل ذلك اي مثل ما سالتك ان تجعلني عليه في معاشرتهم مما

ذكره فيكونوا لي كما اكون لهم ويعاملوني بمثل ما اعاملهم به والحظوظ جمع حظ بمعنى
النصيب اي تم الحظوظ وفي اشيء نفي اذا تم وفيما عندهم اي من محاسن الاداب
ومكارم الاخلاق وصدق الموالاة وحسن الاعتقاد والطاعة والانقياد الى غير ذلك
مما يرغب فيه سيد الرئيس من مواليه واتباعه والبصيرة اسم من بصرت بالشيء ابصر
بصرا بفتحتين اي علمت فانا بصير به وهو ذو بصر وبصيرة اي علم وخبرة وقال
الفارابي في ديوان الادب البصيرة اسم لما اعتقدته في القلب من الدين وتحقيق
الامر انتهى وقد يراد بالبصيرة قوة القلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق
الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للنفس يرى به صور الاشياء وظواهرها وهي التي
يسميها الحكماء العاقلة النظرية والقوة القدسية وكل من هذه المعاني يصح ارادته
هنا وقوله في حقي اي في الواجب الثابت لي على جميع الخلق والحق في اللغة هو الثابت
الذي لا يسوغ انكاره والمراد بحقه عليه السلام اعتقاد امامته وفرض طاعته
ووجوب موالاته والاقتداء به والرد اليه والتسليم له والعلم بذلك قال الجزري
والنقصان كما مر بيانه في الايمان والمعرفة ادراك الشيء على ما هو عليه والفضل
والفضيلة الدرجة الرفيعة في الشرف والحسب والعلم وحتى بمعنى كي التعليلية
اي كي يحصل لهم السعادة بسببي ويحصل لي السعادة بسببهم وهذا التعليل
متعلق بجملة ما تقدم سؤاله لانهم اذا وفقوا لاقامة سنة الله تعالى والاخذ
بمحاسن ادبه فبسبب دعائه عليه السلام وازدادوا بصيرة في حقه ومعرفة بفضله
فقد استجمعوا الحسنات وفازوا برفيع الدرجات فكانوا من السعداء به عليهم وهو
عليه السلام اذا قضى حقوقهم وعاملهم بكرم الاخلاق المذكورة فقد استحق
من الله تعالى جزيل الثواب فكانت هذه السعادة من الله تعالى حاصلة له عليه السلام
بسببهم وقال بعضهم اما سعادتهم به عليه السلام فظاهرة واما سعادته عليه السلام

بهم فهي

بهم فهي اما سعادة دينية باعتبار انهم متى اعتقدوا امامته قاموا بخدمته ونفعه
في الدنيا واما سعادة اخروية وذلك لانه يهديهم ويدعوهم وينفعهم
ويشفع لهم وكل ذلك سبب لرفع الدرجات في الاخرة انتهى فجعل التعليل متعلقا
بزيادة البصيرة في حقه والمعرفة بفضله دون ما تقدم وهو كما ترى والله اعلم
بمقاصد اوليائه وامين اسم فعل مبني على الفتح ومعناه استجب لي او كذلك
فليكن وقد سبق الكلام عليه مبسوطا في آخر الروضة الثانية عشرة والسابعة
عشرة فليرجع اليه والله اعلم هذا آخر الروضة الثانية عشرة والسابعة عشرة
السادسة والعشرين من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين وقد
وفق الله تعالى لانهائها صبيحة يوم الخميس آخر
يوم من شعبان سنة احدى ومائة
والف ولله الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي حصن ثغور الدين وحمى حوزة الاسلام بمحمد اشرف المرسلين
واهل بيته الاوصياء الاعلام والصلوة والسلام على من الف به جمع المسلمين
وفرق شمل المشركين وعلى آله الذين عضدهم بالنصوص على المعتدين وايد
بهم عباده المهتدين وبعد فهذه الروضة السابعة والعشرون من رياض
السالكين تتضمن شرح الدعاء السابع والعشرين من صحيفة سيد العابدين

صلى الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين املاه راجي فضل ربه السني علي
صدر الدين الحسيني الحسني كتب الله اسمه في العابدين واوجب له ثواب
المجاهدين **وكان من دعائه عليه السلام لاهل الثغور** الثغور جمع ثغر بفتح الثاء المثلثة
واسكان الغين المعجمة وهو طرف الملاصق من بلاد المسلمين بلاد الكفار
وفي النهاية هو موضع يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار وهو
موضع المخافة من اطراف البلاد وقال الشهاب الفيومي في المصباح الثغر من البلاد
الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة في الحائط يخاف هجوم السارق
منها وفي القاموس الثغر ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان انتهى
والمراد باهل الثغور المسلمون المرابطون بها الملازمون لها لحفظها او يدخل منهم
من كان الثغر بلده وكان ساكنا فيه اذا وطن نفسه على المحافظة قال الشهيد الثاني
في شرح اللمعة ولو وطن ساكن الثغر نفسه على المحافظة والاعلام باحوال المشركين
على تقدير هجومهم فهو مرابط انتهى وتسمى الاقامة بالثغر رباطا ومرابطة كما سيأتي
قال في اللمعة وشرحها والرباط مستحب استحبابا مؤكدا دائما مع حضور الامام
وغيبته واقله ثلثه ايام فلا يستحق ثوابه ولا يدخل في النذر والوقف
والوصية للمرابطين باقامة دون ثلاثة ولو نذره واطلق وجب ثلاثة
بليلتين بينهما كالاعتكاف واكثره اربعون يوما فان زاد الحق بالجهاد
في الثواب لا انه يخرج عن وصف الرباط ولو اعان بفرسه او غلامه لينتفع
بهما من يرابط اثيب الاعانة على البر ولو نذر المرابطة او نذر صرف مال الى
اهلها وجب الوفاء بالنذر وان كان الامام غائبا لانها لا تتضمن جهادا فلا
يشترط حضوره وقيل يجوز صرف المنذور للمرابطين في البر حال الغيبة
ان لم يخف الشنعة بتركه لعلم المخالف بالنذر وهو ضعيف انتهى وروى ثقة

الاسلام

الاسلام في الكافي باسناد قوي مقبول عن يونس عن ابي الحسن الرضا عليه السلام
قال قلت له جعلت فداك ان رجلا من مواليك بلغه ان رجلا يعطي السيف
والفرس في سبيل الله فاتاه فاخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل ثم
لقيه اصحابه فاخبروه ان السبيل مع هؤلاء لا يجوز وامروه بردهما
فقال فليفعل قال قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد شخص الرجل قال فليرابط
ولا يقاتل قال ففي مثل قزوين والديلم وعسقلان وما اشبه هذه الثغور
فقال نعم فقال له يجاهد قال لا الا ان يخاف على ذراري المسلمين وان خاف
على بيضة الاسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان
قال قلت وان جاء العدو الى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع قال
يقاتل عن بيضة الاسلام لا عن هؤلاء لان في دروس الاسلام دروس دين محمد صلى الله
عليه وآله قال صلوات الله وسلامه عليه
حصن المكان بالضم حصانة بالفتح فهو حصين اي منيع ويتعدى بالهمزة
والتضعيف فيقال احصنته وحصنته ومنه الحصن للمكان الذي لا
يقدر عليه لارتفاعه وامتناعه والعزة الامتناع والشدة والغلبة ورجل
عزيز منيع لا يغلب ولا يقهر ومنه قوله تعالى وعزني في الخطاب اي غلبني
وقهرني وفي المثل من عز بز اي من غلب سلب وعازني فعززته اي
غالبني فغلبته وايده الله تاييدا قواه من آد يئيد ايدا اي قوي واشتد
فهو ايد مثل سيد وحماة جمع حام من حميت المكان من الناس حميا من باب
رمى وحميته بالكسر منعته عنهم والاسم الحماية ووزن حماة فعلة بضم
اوله وفتح ثانيه وهذا الجمع مطرد في وصف لفاعل مذكر عاقل
معتل اللام بالياء والواو كرام ورماة وغاز وغزاة والاصل فيهن حمية

دَرَبَةٌ وغُرَفَةٌ قلبت الياء والواو والعين لتحركهما وانفتاح ما قبلها وقيل ان فعله
بفتح الفاء وان الفتحة حولت ضمة للفرق بين المعتل اللام وصحيحها والقوة
تطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف واسبغ الله
النعمة افاضها واتمها واصله من سبغ الثوب سبوغا من باب قعد تم وكمل وفي
حديث اسبغوا اليتيم في النفقة اي انفقوا عليه تمام ما يحتاج اليه وسعوا عليه فيها
والعطايا جمع عطية وهي اسم لما تعطيه والجدة الثروة والغنى قال في النهاية
وجد يجد جدة اي استغنى غنى لا فقر بعده انتهى وهي من باب ما سقطت الواو
من اوله وعوض منها هاء في آخره كعدة وصلة وصفة

العدة بالكسر اسم كالعدد وهو مقدار ما يعد كتب وهذا المعنى محتمل هنا اي كثرة
عددهم او جماعتهم وشحذ السكين شحذا من باب منع احدها والاسلحة جمع سلاح
بالكسر وهو ما يقاتل به الحرب ويدافع كالسيوف والرمح والسهام والقسي
والدروع والمغافر والمجان وكان المراد بها هنا ما كان قابلا للشحذ فهو من باب
اطلاق العام على الخاص او السيوف خاصة قال في النهاية والسيف وحده يسمى
سلاحا فيكون تخصيصه بالذكر دون سائر آلات الحرب لشرفه عليها والاستغناء به
عنها دون العكس كما قال ابو الطيب ومن طلب الفتح المبين فانما مفاتحه
البيض الرقاق الصوارم ولعل هذا هو السر في تسمية السيف وحده سلاحا لان كل
الصيد في جوف الفرا ثم المراد بشحذ اسلحتهم اما جعلها قاطعة ماضية بقدرته
سبحانه او هو كناية عن تقويتهم على النكاية في اعدائهم والنيل منهم ضربا وطعنا والحوزة
الجانب والناحية قال ابن الاثير ومنه الحديث فحمى حوزة الاسلام اي حدوده ونواحيه
وحومة القتال معظمه قال في القاموس حومة البحر والرمل والقتال وغيره معظمه

اواشد موضع فيه انتهى ومنه خاض حومة القتال ولم يزل خواضا حومات الحروب
والتأليف ايقاع الالفة والجمع الجماعة وتدبير الامر فعله عن فكر وروية ماخوذ
من لفظ الدبر لانه نظر في عواقب الامور وادبارها واذا اسند الى الله تعالى فالمراد
اجراء الامر على الوجه الذي يليق به ومنه قوله تعالى يدبر الامر قال المفسرون
اي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والمواترة المتابعة يقال تواترت
الخيل اذا جاءت يتبع بعضها بعضا وفي القاموس واتر بين اخباره مواترة ووتارا تابع
قال الجوهري لا تكون المواترة بين الاشياء الا اذا وقعت بينها فترة والا فهي مداركة
ومواصلة لان اصله من الوتر وكذلك واترت الكتب فتواترت اي جاءت بعضها
في اثر بعض وترا وترا من غير ان تنقطع انتهى وكذا قال الفارسي المواترة ان يتبع
الخبر الخبر والكتاب الكتاب ولا يكون بينهما فصل كثير وقال الاصمعي واترت
الخبر اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيهة وقال بعضهم المواترة المتابعة بغير
الفترة يقال تواترت الخيل اي جاء بعضها في اثر بعض وترا وترا من غير ان ينقطع
واعزب من نسب هذه العبارة الى الجوهري في صحاحه والمير جمع ميرة بالكسر قال
الجوهري الميرة الطعام يمتاره الانسان وقد مار اهله يميرهم ميرا وفي المصباح
مارهم ميرا من باب باع اتاهم بالميرة وهي الطعام وقال الطبرسي الميرة الطعام
الذي يحمل من بلد وكذا قال بعض المفسرين مار اهله اذا اتاهم بالطعام من بلد اخر وفي
القاموس الميرة بالكسر جلب الطعام وفي لسان الفارابي في ديوان الادب الميرة الاسم
مارهم يميرهم وعلى هذا فتكون اسما للطعام الممتار واسم مصدر ايضا والتوحد
الانفراد يقال توحده الله بعصمته اي عصمه ولم يكله الى غيره وكفاه الامر كفاية
قام به مقامه والمؤن جمع مؤنة بالضم وسكون الهمزة كغرفة وغرف وهي لغة
في المؤونة على وزن فعولة وجمعها مؤونات على لفظها ومعناها الثقل وقد تقدم

الكلام على الاختلاف فى اشتقاقها وهل هى من الموت او الافت او الابن وعضدت الرجل
عضدا من باب قتل اعنته فصرت له عضدا اى معينا وناصرا وتعاضد القوم تعاونوا
ومنه المؤمن معضود بتوفيق الله ونصره الله نصرا اظهره على عدوه والصبر ضربان
جسمى ونفسى فالجسمى هو تحمل المشاق بقدر القوة البدنية وذلك فى الفعل كالمشى وفى
حمل الثقيل وفى الانفعال كاحتمال الضرب والقطع والنفسى هو حبس النفس عن الجزع عند
ورود المكروه والمراد به هنا الصبر بنوعيه وان كان النوع الثانى هو الذى تتعلق
به الفضيلة لان للنوع الاول مدخلا تاما فى هذا المقام كما لا يخفى وقوله عليه السلام والطف
لهم فى المكر اى اوقع اللطف لهم فى مكرهم بعدوهم حتى لا يفطن عدوهم لمكرهم لدقته
ولطفه عن العقل والفهم فيكون المراد باللطف تدقيق النظر وجودة الاحتيال بان يلهمهم
سبحانه ذلك ويحتمل ان يكون المعنى واوقع اللطف لهم فى مكر عدوهم بهم حتى لا يضرهم
مكره فيكون المراد باللطف لهم سلامتهم من المكر به فوقع والمكر ايصال المكروه الى الانسان من
حيث لا يشعر وقد تقدم الكلام عليه مشبعا عن قريب المرة

عرفهم الامر علما اياه قيل
المعرفة ادراك متعلق بالمفرد والعلم ادراك متعلق بالنسبة التامة الخبرية وقيل المعرفة
قد يقال فيما يدرك اثاره وان لم تدرك ذاته والعلم لا يكاد يقال الا فيما ادرك ذاته
ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله لما كانت معرفته ليست الا بمعرفة اثاره
دون معرفة ذاته وايضا فالمعرفة تقال فيما لا يعرف الا كونه موجودا فقط والعلم اصله
ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسه وعلته وكيفيته ولهذا يقال الله عالم بكذا ولا يقال
عارف لما كان العرفان يستعمل فى العلم القاصر وايضا فالمعرفة يقال فيما يتوصل اليه
بتفكر وتدبر والعلم قد يقال فى ذلك وفى غيره وفرق بينهما بفروق اخر تقدم بعضها
واهل اللغة وبعض اهل الاصول والميزان على انهما مترادفان وقوله عليه السلام ما يجهلون

ما يجهلون محذوف العائد

ما يجهلونه بحذف العائد والمراد به ما كان الجهل به بسيطا وهو عدم العلم عما من شانه
ان يكون معلوما او مركبا وهو الاعتقاد الجازم غير المطابق للواقع وبصرهم الشى
تبصيرا عرفه وعلمه اياه وجعله ذا بصيرة به اى ذا علم وخبرة به وقوله ما لا
يبصرون من بصر القلب ايضا اى ما لا يعلمون خلافا لمن خص الابصار برؤية العين
فقال البصر برؤية العين وبصرت به بالضم بصرا بتحقيق برؤية العين فقال البصر
من القلب فقد فسر الزمخشرى وغيره قوله تعالى اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
ببصر القلب فقال اى تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها هذا ولما كان المرابط
والمجاهد من بين افتقار الى المعرفة بانواع القتال وان يحيط علما خبرا بالمكان الذى
يرابط فيه ويعرف المدارج المخوفة التى يرتادها المغتالون وما يحيط بالثغر
من سهل وجبل وان يكون ذا بصيرة بمكائد العدو ومكامنه ليحذر من بغتته الخ
عليه السلام فى السؤال لهم بتعريفهم ما يجهلون وتعليمهم ما لا يعلمون وتبصيرهم
ما لا يبصرون والله اعلم اللهم صل على محمد وآله وانسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم
الخداعة الغرور وامح عن قلوبهم خطرات الفتنة واجعل الجنة نصب اعينهم ولوح
منها لابصارهم ما اعددت فيها من مساكن الخلد ومنازل الكرامة والحور الحسان و
الانهار المطردة بانواع الاشربة والاشجار المتدلية بصنوف الثمر حتى لا يهم احد منهم
بالادبار ولا يحدث نفسه عن قرنه بفرار انسهم اى اغفل قلوبهم عن ذكر دنياهم حتى يمحى تصورها
عن اذهانهم فلا يرعبوا عن صدق الجهاد عند لقاء العدو ميلا الى زخارف الدنيا
المحبوبة للنفوس الامارة وخدعه خدعا اراد به المكروه من حيث لا يعلم وكل فعل
يقصد به فاعله فى باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره فهو خديعة وغره غرورا
اطمعه بالباطل ووصف الدنيا بالخداعة لانها تخدع الناس ببهجة منظرها ورونق
سرابها الى ان يستانس بها من كان بعقله نافرا عنها ويطمئن اليها من كان

بمقتضى فكرته منكرا لها حتى اذا ما انهمك فى لذاتها وانغمس فى شهواتها فعلت
فعل العدو الخدوع وكذلك وصفها بالغرور لانها تغر الخلق بزخارفها الباطلة
فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتتحول وصدق عليها هذان الوصفان
لكونها سببا لغفلة الخلق عما خلقوا لاجله من الاشتغال بها والانهماك فى مشتهياتها
ولذاتها الفانية وذلك جاذب للانسان عن قصد الحق وصاد له عن سلوك
سبيله وعن الترقى فى الملكوت الاعلى الى حضيض الدرك الاسفل وبذلك يكون
الهلاك الابدى والشقاء السرمدى ومحا الشئ يمحوه محوا من باب قتل ويمحاه
يمحاه محيا بالياء من باب نفع لغة ازاله وانمحى الشئ ذهب اثره وخطرات المال ما
خطر اى عرض فى القلب من تحصيله او تدبيره قال الزمخشرى فى الاساس له خطرات
وخواطر وهى ما يتحرك فى القلب من راى او معنى وقال الازهرى الخاطر ما يخطر فى
القلب من تدبير او امر والمال ما يملك من كل شئ وقيل اصله ما يملك من الذهب والفضة
ثم اطلق على كل ما يقتنى ويملك من الاعيان وعن ثعلب انه ما لم يبلغ حد النصاب لا يسمى
مالا والفتون الكثير الفتنة لان فعولا من صيغ المبالغة يقال فتن المال الناس من
باب ضرب فتونا اى استمالهم واضلهم ولما كانت الفتنة بمعنى الضلال عن الحق
بمحبته امر من الامور الباطلة والاشتغال به عما هو الواجب من سلوك السبيل
وكان المال من اعظم الاسباب لضلال الخلق عن الحق بمحبته صدق عليه وصفه بالفتون
قوله عليه السلام واجعل الجنة نصب اعينهم ليشاهدوها عيانا والمروى فى الدعاء
بفتح النون من النصب وفيه شاهد على ان الفتح لغة صحيحة فصيحة وفى القاموس هذا
نصب عينى بالضم والفتح او الفتح لحن انتهى ولاح الشئ يلوح بدا وظهر ولوح تلويحا
ابداه واظهره واعددت الشئ اعدادا هيأته اى ابدوا واظهر لابصارهم من الجنة ما هيأتهم
فيها والمساكن جمع مسكن بفتح الكاف وكسرها وهو البيت والخلد بالضم والخلود البقاء

والدوام

٥٢١

والدوام من وقت مبتدا ولذلك لا يقال لله تعالى خالد وقيل هو فى الاصل الثبات
داما او لم يدم ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد فى قوله عز قائلا
خالدين فيها ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه فقالوا حبسه حبسا مخلدا
وقال النظام النيسابورى الخلد عند المعتزلة الثبات الدائم والبقاء اللازم
الذى لا ينقطع بدليل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد نفى الخلد عن البشر
مع تعمير بعضهم ومنكم من يرد الى ارذل العمر وعند الاشاعرة الخلد هو الثبات الطويل
داما او لم يدم ولو كان التابيد داخلا فى مفهومه كان قوله تعالى خالدين فيها ابدا
تكرارا انتهى ويتفرع على هذا الخلاف دوام وعيد المرتكب الكبيرة اذا مات
بلا توبة حيث وقع مقيدا بالخلود كما فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم خالدا فيها وعلى كل تقدير فالمراد بالخلد هنا الدوام قطعا لما يشهد له من الكتاب
والسنة اى مساكن البقاء والدوام التى لا يعتريها ولا يعترى سكانها فناء ولا تغير
فاضافة المساكن الى الخلد للمدح لا للتوضيح اذ من المعلوم ان مساكن الجنة لا فناء
فيها واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح
حسبما يقتضيه الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان
جلت اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر سبحانه
عباده المؤمنين بها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى النعيم
والسرور ومنازل الكرامة اى منازل العز والشرف قال بعض العلماء الكرامة تعود الى
الكمالات النفسانية الباقية واللذات بها والحور جمع حوراء وهى المراة البيضاء
من الحور بالتحريك وهو شدة البياض وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين
الشديدة سواد سوادها من حورت العين حورا من باب تعب اذا اشتد بياض بياضها وسواد
سوادها وفى مختصر العين ولا يقال للمراة حوراء الا البيضاء مع حورها وقال

الزمخشري في الفائق الحور هو ان يصفو بياض العين ويشتد خلوص فيصفو سوادها
وفي الدعاء دليل على ان الحور غير نساء الدنيا خلافا لما روي عن الحسن في قوله تعالى
وزوجناهم بحور عين هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا آخر والحسان جمع حسنة
اي جميلة الصورة بهية المنظر والانهار جمع نهر بالتحريك مثل سبب واسباب فاذا
سكن جمع على نهر بضمتين وانهر والنهر الماء الجاري المتسع واطردت الانهار جرت
ومنه اطرد الامر اذا تبع بعضه بعضا تجري مجرى واحدا كجري الانهار وما
وقع لبعض المترجمين ان قوله المطردة من اطردة الماء اي جرى لان اطرد لا
اي يتبع بعضه بعضا اذ لا شيء من الانهار يتبع نهرا آخر جهل صريح وانواع الانهار
اي اصنافها وفي ذلك اشارة الى قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء
غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى
والاشجار المتدليات المسترسلة اغصانها بصنوف الثمر والتدلي الاسترسال
مع تعلق قال العلامة الطبرسي التدلي الامتداد الى جهة اسفل وظاهر ان وصف
الاشجار بالتدلي انما هو باعتبار اغصانها وفروعها التي هي مناط الثمر وفيه اشعار بكثرة
الثمر لان فروع الشجر لا تتدلى ولا تسترسل الا اذا كثر ثمرها وقول بعض المترجمين ان
المتدلية وصف للاشجار بحال متعلقها وهو الثمر والمعنى الاشجار المتدلية اي المتعلقة
بها صنوف الثمر وهم واضح وقع فيه مما رآه في كتب اللغة من قولهم تدلت الثمرة من الشجرة
فتوهم ان التدلي لا يكون وصفا الا للثمر دون الشجر ولم يفطن لكون عبارة الدعاء
ليست من باب الوصف بحال المتعلق بل من باب الوصف بحال الموصوف نعم لو
قال الاشجار المتدلية صنوف ثمرها كان من باب الوصف بحال متعلقه فان قلت جعل المتدلية
وصفا للاشجار باعتبار الاغصان والفروع وصف بحال المتعلق ايضا لان التدلي حال
قائمة بالاغصان التي هي متعلق الاشجار لا بالاشجار فلا يكون وصفا بحال الموصوف

قلت المراد

قلت المراد بحال الموصوف وبحال المتعلق ما جعل حالا للموصوف ولو مجازا
في الاول وما جعل حالا لغير الموصوف بحسب دلالة التركيب وان كان قائما به في
الثاني نحو مررت بزيد الحسن والاشجار المتدلية بصنوف الثمر من قبيل الوصف بحال
٥٢٢ الموصوف وان كان ليس المراد بالحسن الا وجه زيد وبالمتدلية الا اغصان الاشجار وفروعها
ونحو رايت زيدا الحسن نفسه او ذاته من الوصف بحال المتعلق وان كان الحسن قائما بزيد
فاعلم ذلك وقد نبهنا عليه في شرح الصمدية ايضا وفي قوله عليه السلام بصنوف الثمر
اشارة الى قوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات قال المفسرون لهم فيها صنف من كل الثمرات
وحتى بمعنى التعليلية اي كيلا يهم احد منهم بالادبار يقال هم بالشيء هما من باب قتل اذا
اراده ولم يفعله والادبار التولي وحديث النفس ما يخطر بالبال وحدث نفسه
بكذا اخطره بباله وقد يقال حدثته نفسه بكذا اي وسوست اليه به اي ولا يخطر بباله
فرارا عن قرنه والقرن بالكسر نظير الانسان في الشجاعة قال الفارابي يقال فلان قرن
فلان اذا كان مثله في الشجاعة وفي الاساس القرن بالفتح مثلك في السن وبالكسر مثلك
في الشجاعة وقال الفيومي في المصباح القرن من يقاومك في علم او قتال ومال او غير
ذلك والجمع اقران مثل حمل واحمال فجعله مطلقا ولم يخصه بالشجاعة وفي القاموس
القرن بالكسر كفوك بالشجاعة او عام وفي قرن غزوته بقرن بالضرب فرارا بالكسر هرب
تنبيه المتبادر تعلق قوله عليه السلام عن قرنه بقوله بفرار ويأباه اطلاق منعهم من
تقدم معمول المصدر عليه قالوا لانه مع معموله كموصول مع صلته والصلة لا تتقدم
على الموصول ولذلك قال الزمخشري في قوله تعالى فلما بلغ معه السعي لا يتعلق مع ببلغ لاقتضائه
انهما بلغا معا ولا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه وانما هي متعلقة بمحذوف
على ان يكون بيانا كانه قيل فلما بلغ الحد الذي يقدر فيه على السعي فقيل مع من فقيل مع
اعطف الناس عليه وهو ابوه اي انه لم يستحكم قوته بحيث يسعى مع غير مشفق انتهى وعلى

هذا فقوله من قوتهم متعلق بمحذوف ايضا يكون بيانا على قياس ما ذكره الزمخشري
في الآية لكن قال الرضي انا لا ارى منعا من تقدم معمول المصدر عليه اذا كان ظرفا
او شبهه نحو قولك اللهم ارزقني من عدوك البراءة واليك الفرار قال تعالى ولا
تأخذكم بهما رأفة وقال بلغ معه السعي وفي نهج البلاغة قلت عنكم نبوته ومثله في
كلامهم كثير وتقدير الفعل في مثله تكلف انتهى وسبقه الى ذلك السهيلي قال ابن هشام
اجاز السهيلي تقديم الجار والمجرور واستدل بقوله تعالى لا يبغون عنها حولا وقوله اللهم
اجعل لنا من امرنا فرجا ومخرجا انتهى وعلى هذا فقوله من قوتهم متعلق بمزيد وهو الظاهر
والله اعلم اللهم وقلل بذلك عددهم واقلم عنهم اظفارهم وفرق بينهم وبين اسلحتهم
واخلع وثائق افئدتهم وباعد بينهم وبين ازودتهم وحيرهم في سبلهم وضللهم
عن وجههم واقطع عنهم المدد وانقص منهم العدد واملأ افئدتهم الرعب واقبض
ايديهم عن البسط واخزم السنتهم عن النطق وشرد بهم من خلفهم ونكل بهم من ورائهم
واقطع بخزيهم اطماع من بعدهم قلت الجيش قلا من باب قتل
فانقل كثرته فانكسر وفي القاموس فل القوم هزمهم والمراد بالعدد هنا الجمع اي اعداؤهم
لا اعادة ضمير الجمع اليه قال في مختصر العين يقع العدد بلفظ واحد على الواحد المذكر والمؤنث
والمجموع وقلمت الظفر قلما من باب ضرب قطعت ما طال منه وقلمت بالتشديد مبالغة وقلم
الاظفار هنا كناية عن اضعافهم قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز فلان مقلوم الظفر ضعيف
قال النابغة وبنو قعين لا محالة انهم آتوك غير مقلمي الاظفار اي غير ضعفاء ولا
عزل وفي الصحاح يقال للضعيف مقلوم الظفر وكليل الظفر والوجه في ذلك ان الظفر اذا لم يقلم
كان قوي العمل في الخدش والجرح واللقط ونحوه فاذا قلم ضعف عمله وفرق بينهم وبين اسلحتهم
اي اغفلهم عن استصحابها حتى لا يتمكنوا من القتال وتمكن المسلمون من قتلهم او الهمهم بان يلقوها
ويضعوها لينال المسلمون منهم غرة وينتهزوا فرصة فيوقعوا بهم والخلع النزع خلعه يخلعه

من باب نفع والوثائق جمع وثيقة بمعنى الثقة من وثق به ثقة اي اعتمد عليه قال الفارابي
في ديوان الادب الوثيقة واحدة الوثائق يقال اخذ في امره بالوثيقة وقال الجوهري اخذ
بالوثيقة في امره اي بالثقة والمعنى انزع ما وثقت به افئدتهم واعتمدت عليه من البأس والنجدة
والشجاعة التي يجدونها في انفسهم ويحتمل ان يكون من وثق الشيء بالضم وثاقة اي قوي
وثبت فهو وثيق اي ثابت محكم فيكون المعنى انزع قوة قلوبهم وثباتها او يكون الوثائق
جمع وثاق بالفتح والكسر وهو ما يشد به من حبل ونحوه فقد جاء جمع فعال بالفتح والكسر على
فعائل كشمال بالفتح بمعنى الخلق وشمال بالكسر بمعنى ضد اليمين فان كلا منهما جمع على شمائل
فيكون المراد بالوثائق العروق المتصلة بالافئدة التي تنوط بها الى الوتين ويسمى واحدها
نياطا كما يقال قطع الله نياط قلبه قال ارباب التشريح على القلوب غشاء غليظ يحتوي عليه
وهو مربوط برباطات وثيقة وقال ابن الاثير في النهاية وفي الحديث فلي رجلا موثقا
اي ماسورا مشدودا في الوثاق ومنه حديث الدعاء واخلع وثائق افئدتهم جمع وثاق
او وثيقة انتهى فيكون الغرض اضعاف قلوبهم وانزعاجها من شدة الخوف والجبن كما
ورد في الحديث من شر ما اعطي الرجل شح هالع وجبن خالع قال ابن الاثير اي شديد كانه
يخلع فؤاده من شدة خوفه وهو مجاز في الخلع والمراد به ما يعرض من نوازع الافكار وضعف
القلب عند الخوف انتهى والافئدة جمع فؤاد بالضم مهموز العين وهو القلب وفي القاموس
الفؤاد القلب مذكر وهو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب وباعد بين الشيئين جعل
ما بينهما بعيدا عن الآخر والازودة جمع زاد على غير القياس وهو طعام المسافر الذي
يتخذ لسفره وقياس جمعه ازواد وفي الحديث امعكم من ازود لكم شيء قالوا نعم اي اجعل
بينهم وبين ازودتهم حائلا وامدا ومسافة بعيدة حتى لا يتصلوا بها ولا يتمكنوا من
تناولها عند الحاجة اليها فيضعفوا عن القتال وحار في امره يحار حيرة من باب تعب
لم يدر وجه الصواب فيه فهو حيران وهي حيرى والجمع حيارى وحيرته بالتضعيف فتحير

٥٢٢

هو قال الازهرى واصله ان ينظر الانسان الى شئ فيغشاه ضوؤه فيصرف بصره عنه
وفى القاموس حار يحار حيرة وحيرا نظر الى الشئ فغشى ولم يهتد لسبيله
والسبل بالضم وبضمتين جمع سبيل وهو الطريق اى اجعلهم لا يهتدون الى وجه
الصواب فى طرقهم التى يقصدون سلوكها الوصول الى المسلمين وبلادهم او مطلقا
وضل الرجل الطريق وضل عنه يضل من باب ضرب ضلالا وضلالة زل عنه فلم يهتد
اليه وذهب فى غيره فهو ضال واضله غيره اضلالا وضلله تضليلا للمبالغة ومنه
رجل مضلل ضال جدا وفى القاموس ضلله تضليلا صيره الى الضلال والوجه كل
مكان استقبلته وتحذف الواو فيقال جهة مثل عدة ومنه فثم وجه الله اى جهته التى
امركم بالتوجه اليها وفى الحديث ان اصيب فى وجهه اى الجهة التى يريد ان يتوجه اليها
والمعنى اجعلهم ضالين عن الجهة التى يريدون ان يتوجهوا اليها لقصد المسلمين او
مطلقا واقطع عنهم المدد اى احبسه عنهم من قطعت الماء عن الحوض اذا حبسته عنه فلم يصل اليه
او امنعه عنهم من قطعته عن حقه اى منعته ومدد الشئ ما يمد به اى يكثر ويزاد فى
حصن بالجماعة الذين يعان ويقوى بهم الجيش فى القتال يقال امدهم بمدد اذا اعانهم
بجماعة يقاتلون معهم ومنه قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة ونقصت
الشئ نقصا اذهبت منه شيئا فنقص هو كلاهما من باب قتل متعديا ولازما والعدد
مقدار ما يعد اى انقص كثرتهم حتى يقلوا ويعجزوا عن القتال ومقاتلة المسلمين وملأت
الاناء ملأ من باب نفع والرعب بالضم وتضم العين للاتباع الخوف والفزع ومنه
سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب واقبض ايديهم عن البسط اى كفها وامنعها ان
تمد الى المسلمين قال الزمخشرى فى قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان
يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط
اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها

الى البطوش

الى البطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى وقوله فكف ايديهم
عنكم اى منعها ان تمد اليكم انتهى ويحتمل ان يكون قبض ايديهم عن البسط مجازا عن
سلب القدرة منهم على التصرف مطلقا من قولهم فلان مبسوط اليد اى قادر على التصرف
كيف ما يشاء او دعاء عليهم بالبخل المذموم من بسط اليد الذى هو مجاز عن محض الجود
من غير نظر وقصد فى هذين الاحتمالين الى اثبات يد وبسط ومنه قوله تعالى بل يداه
مبسوطتان ينفق كيف يشاء ويكون المراد به الدعاء عليهم بما هو مسبب عن البخل من
لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التى تخزيهم وتمزق اعراضهم وتفرق الخلق
عن اعانتهم ومظاهرتهم واخرم السنتهم عن النطق اى اشددها واوثقها من خرمت
الشراك خرما من باب ضرب اذا ثقبته وشددته قال الزمخشرى فى الاساس
خرمت شراك نعلى ثقبته وشددته وقول بعض المترجمين اخرم بمعنى اقطع
لم يذكره اهل اللغة والغرض منه اسكاتهم عن النطق بما يسوء المسلمين وبما يتدبرون
به امرهم ويتشاورون به فيما بينهم من الكلام لقصد المسلمين وقوله عليه السلام
وشرد بهم من خلفهم اقتباس من قوله تعالى فى سورة الانفال فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم
من خلفهم لعلهم يذكرون التشريد الطرد والتفريق قال الزجاج معناه افعل بهم
فعلا من القتل تفرق به من خلفهم وقال الزمخشرى اى فرق بقتلهم شر قتلة
والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم
واتعاظا بحالهم وقال عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم وقال
العلامة الطبرسى وقيل ان معنى شرد بهم سمع بهم بلغة قريش قال الشاعر ° اطوف
فى الاباطح كل يوم ° مخافة ان يشرد بى حكيم ° انتهى وفى القاموس شرد به
سمع الناس بعيوبه والمعنى على هذا افعل بهم من النكاية والتعذيب
فعلا يسمع به من خلفهم من الاعداء فلا يقدم احد منهم على القتال فى ايامكم

ونكل بهم من ورائهم كالتفسير لما قبله يقال نكل عن الحرب نكولا من باب قعد ای
جبن وتأخر وامتنع ونكل به تنكيلا فعل به ما ينكل غيره عن مثل فعله قال
فی الاساس نكلت به جعلت غيره ينكل ان يفعل مثل فعله وهو النكال انتهی
وقال ابن الاثير فی النهاية نكل به تنكيلا اذا جعله عبرة لغيره والنكال العقوبة
التی ينكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء انتهی والمعنی افعل بهم من القتل والنكال
والتعذيب ما يوجب نكول من وراء ظهورهم من الكفار ويكون عبرة لهم بان ينظروا
بهم فيعتبروا بهم فلا يقدموا علی مثل فعلهم من قصد المسلمين وقوله عليه السلام و
افطع بخزيهم اطماع من بعدهم الخزی بالكسر الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة
خزی خزيا من باب علم ذل وهان مع فضيحة وندم واخزاه الله اذله واهانه و
فضحه والاطماع جمع طمع كالاموال اموال لفظا ومعنی ای افعل بهم من الخزی ما لا
معه لمن بعدهم من الكفرة طمع فی قصد المسلمين مخافة ان يقع بهم من الخزی ما
وقع بهؤلاء والله اعلم اللهم عقم ارحام نسائهم ويبس اصلاب رجالهم واقطع نسل دوابهم
وانعامهم لا تأذن لسمائهم فی قطر ولا لارضهم فی نبات
عقمت الرحم عقما من باب تعب اذا لم تقبل الولد وتتعدی بالحركة والهمزة
فيقال عقمها الله عقما من باب ضرب واعقمها اعقاما وعقمها تعقيما بالتضعيف
للمبالغة والاسم العقم بالضم مثل قفل وقال الجوهری اعقم الله رحمها
فعقمت علی ما لم يسم فاعله اذا لم تقبل الولد قال الكسائی رحم معقومة
ای مسدودة لا تلد ومصدره العقم والعقم بالفتح والضم والارحام جمع
رحم علی وزن كتف موضع تكوين الولد وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء
ومع كسرها ايضا فی لغة بنی كلاب وفی لغة لهم بكسر الحاء اتباعا لكسرة الراء
قال ارباب التشريح هو عضو مؤلف من ليفات عصبية علی طبقتين وهی كالقضيب

ونحله من جوف المرأة وراء المثانة وقدام المعا المستقيم يتصل به فوهات العروق
لدفع فضلة الطمث وتغذية الجنين ويصل منی الرجل الی قعر الرحم فيستقر
فيه ويتولد والنساء اسم لجماعة اناث الاناسی لا واحد له من لفظه وانما الواحدة
امرأة من غير لفظ الجمع ويبس الشیء ييبس من باب تعب اذا جف فهو يابس و
يتعدی بالهمزة والتضعيف فيقال ايبسه ويبسه تيبيسا والاصلاب جمع صلب
بالضم وتضم اللام للاتباع وهو سلسلة فقرات الظهر والمراد بتيبيس اصلابهم
تجفيف منيهم لينقطع نسلهم مجاز المجاورة كما يقال جف النهر جف ماؤه وقد
اشتهر كون المنی من الصلب ای الظهر ولذلك ينسب الولد الی صلب ابيه وظهره و
نطق بذلك القرآن المجيد قال تعالی وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
وقال واذ اخذ ربك من بنی آدم من ظهورهم ذريتهم والوجه فی ذلك علی ما ذكره
البعض ان مبدأ ماء الرجل من الصلب لان مادته من النخاع الآتی من الدماغ
وينحدر فی الفقرات الظهر الی العصعص ولذلك قال سبحانه فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ای صلب الرجل وترائب
المرأة وهی عظام الصدر حيث يكون موضع القلادة لان ماء المرأة يخرج
من ترائبها وطعنت الملحدة خذلهم الله تعالی فی ذلك بان المنی انما يتولد من فضلة
الهضم الرابع وينفصل من جميع اجزاء البدن فيأخذ من كل عضو طبيعة وخاصية
مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء فتخصيص الصلب والترائب لا
وجه له فان كان المراد ان معظم اجزاء المنی يتولد هناك فهو ضعيف لان معظمه
يتولد من الدماغ ولذلك يشبهه ويسرع الافراط فی الجماع بالضعف فيه واجيب بانه
كلام مبنی علی محض الوهم والظن الضعيف والخالق اعلم بما خلق علی انه لو صح
فوجه تخصيص الصلب والترائب بالذكر كون الدماغ اعظم الاعضاء معونة

في توليد المني ومنه النخاع في الصلب شعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما انثيان
الى وعيد المني فلذلك خصّا بالذكر وعلى هذا فلا يختص الترائب بالمرأة في نسل
الولد والدوابّ جمع دابّة وهو في الاصل لما دبّ اي سار من الحيوان وغلب على
ما يركب وهو المراد هنا وتطلق على الذكر والانثى والانعام جمع نعم بالتحريك وقد
يسكّن قال النووي في تحرير النعم الابل والبقر والغنم وهو اسم جنس وجمع
انعام ونقل الواحدي اجماع اهل اللغة على هذا كله وقد بسطنا الكلام عليه
في الروضة الاولى واذنت له في الشيء من باب علم اطلقت له فعله واذنه
مع قبل عبارة عن امره وقيل عن ارادته وقيل عن اجابته والحادة لشيء يتوسط
فاعله المباشر له كما في قوله تعالى لعيسى عليه السلام وتبرئ الاكمه والابرص
باذني واذ تخرج الموتى باذني وكل من هذه المعاني صحيح هنا اي لا تامر سماءهم
بقطر ولا ارضهم بنبات اولا ترد قطر سمائهم ولا نبات ارضهم ولا توجد لهم
قطرا بتوسط سمائهم ولا نباتا بتوسط ارضهم وقال بعضهم المراد باذنه تعالى
في افعاله امره لها بالوجود بقوله كن وفي افعال خلقه عدم احداث المانع
عما اقدرهم عليه واعطى الاذن من الفعل كسلب الاعداد والقدرة وابطال الآلة
وايجاد الضد اعدام الفاعل ونحو ذلك وعلى هذا فيكون المعنى احدث
لسمائهم ما يمنعها عن القطر ولارضهم ما يمنعها عن النبات والمراد بسمائهم الجهة
المحاذية لهم من السماء بناء على ان المطر يبتدئ منها الى السحاب ومنه الى الارض
على ما دلت عليه روايات كثيرة او السحاب المتكون حولهم مجازا فان
كل عالٍ مظلّ سماء والقطر المطر الواحدة قطرة مثل تمر وتمرة والنبات
كل ما ينبت من الارض من نجم او شجر ويحتمل ان يكون القطر والنبات مصدرين
اي لا تاذن لسمائهم بان تقطر ولارضهم بان تنبت يقال نبتت الارض

وانبتت

وانبتت بمعنى نص عليه في القاموس ان قلت كيف فصل جملة قوله لا
تاذن عما قبلها من الجمل المتعاطفة مع وجود الجامع بين الكل من معنى الدعاء
عليهم وتناسبها في الانشاء لفظا ومعنى قلت تعين الفصل لكمال الاتصال لعدم
المغايرة المفتقرة الى الربط بالعاطف اذ كانت هذه الجملة تاكيدا وتقريرا
لما قبلها من الدعاء عليهم بالاستئصال بقطع نسلهم ونسل دوابهم ومواشيهم
او بدل اشتمال لانها اوفى بتادية المراد اذ كان في منع القطر والنبات عنهم هلاكهم
وهلاك ذريتهم وانقطاع نسلهم ونسل دوابهم وانعامهم وهلاكها ففي ذلك
تمام المراد في عدم البقاء عليهم وقطع دابرهم والله اعلم اللهم وقوّ بذلك
على اهل الاسلام وحصّن به ديارهم وثمّر به اموالهم وفرّغهم عن محاربتهم لعبادتك
وعن منابذتهم الخلوة بك حتى لا يُعبد في بقاع الارض غيرك ولا تُعفّر لاحد
جبهة دونك توسط النداء بين المتعاطفين لمزيد الضراعة والاشارة
بذلك الى ما ذكر من قطع حرثهم ونسلهم ومادة حياتهم والمحال على وزن
كتاب الكيد والتدبير والمكر وطلب الامر بالحيلة والقدرة والقوة والشدة
والجلال والمعاداة والاخذ بالعقاب والنقمة والعذاب ومنه قوله تعالى
وهو شديد المحال واختلف عبارات المفسرين في تفسيره فقال علي عليه السلام
شديد الاخذ وقتادة ومجاهد شديد القوة والحسن شديد النقمة
والزجاج شديد القدرة والحسن شديد النقمة والزجاج شديد القدرة والعذاب
والجبائي شديد الكيد للكفار والزمخشري شديد الكيد والمكر لاعدائه
يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وكل من هذه المعاني يصح حمل لفظ الدعاء
عليه كما لا يخفى وتكون المحال جمع محالة ايضا وهي الفقرة من فقر ظهر البعير
قال في الكشاف ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة

والعمدة كما جاء فيما عبدالله اسد وسماه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان
سعوبا لشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرة
العوائق وذلك ان الفقار عمود الظهر انتهى ويجاز زيادة هذه المعنى ظاهر
في عبارة الدعاء ايضا في نسخة ابن ادريس وقيد بذلك محال اهل الاسلام
بفتح الميم وتشديد اللام على انه جمع محلة وهي المكان ينزله ويحله القوم
وحل البلد وبه حلولا من باب قعد اذا نزل به وحصنه جعله حصينا اي منيعا
والديار جمع دار وهي الموضع يجمع البنا وتطلق على البلد ايضا وثمر الله ماله
تثميرا نماه وكثره وفرغهم عن محاربتهم لعبادتك اي خلصهم عن الشغل
بمحاربتهم للتجرد لعبادتك التي لا يشغل اسرارهم وقلوبهم عن غيرها والتبتل
والتوجه اليك بالكلية فيها شاغل والجهاد وان كان عبادة الا انه ليس كالصلوة
التي هي ام العبادات وعمود الدين ومعراج المؤمن ومناجاة رب العالمين
مثلا فانها فضلت على سائر الجوارح فيها جعلت دالة على ما في القلب في الشأن
ضمن ذكرة ايضا وليس كذلك الجهاد فانه انما جعل ذريعة لاقامة الشريعة وغيرها
من عبادات الله تعالى كما قال عز قائلا وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين
كله لله والمنابذة المخالفة والمكاشفة بالحرب قال الشهاب الفيومي
نابذتهم كاشفتهم ونابذتهم الحرب كاشفتهم اياها وجاهرتهم بها
وفي الاساس نبذ الى العدو رمى اليه بالعهد ونقضه ونابذه ومنابذة
وتنابذوا وخلا به يخلو خلوة تفرد به قال ارباب القلوب الخلوة
بالله محادثة السر مع الحق حيث لا احد ولا ملك وقال بعض المحققين
الخلوة عبارة عن تفرد العبد في موضع يخلو فيه عن جميع الشواغل بما
سوى الله من المحسوسات الظاهرة والباطنة ويصرف فيه همته ونيته

الى الاقبال

الى الاقبال على الله والتبتل اليه بكليته فيحصل له الانس به والوحشة من غيره
قيل لبعضهم الى اي شيء افضى بكم الزهد والخلوة فقال الى الانس بالله
وقال بعضهم لا يتمكن انس الله على من سواه من العزلة في ابتدائه توحشا
من غير الله ومن الخلوة في انتهائه انسا بالله وكان الفضيل يقول اذا رايت الليل
مقبلا فرحت به وقلت اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت
كراهية لقاء من يشغلني عن ربي وقيل لبعضهم اما تستوحش في هذه الدار
وحيدا فقال ما كنت اظن ان احدا يستوحش مع الله وقيل لبعض العباد ما اصبرك
على الوحدة فقال ما انا وحدي انا جليس الله عز وجل اذا شئت ان يناجيني
قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقال ذو النون لم ار شيئا
ابعث لطلب الاخلاص من الخلوة لانه اذا خلا لم ير غير الله فاذا لم ير غيره
لم يحركه الا حكمه ومن احب الخلوة فقد تعلق بعمود الاخلاص واستمسك
بركن شديد من اركان النجاة قوله عليه السلام حتى لا يعبد في بقاع الارض
غيرك اي كيلا يعبد والبقاع جمع بقعة بالضم على غير هيئته التي الى جمعها
والجمع بقع وبقاع فبقع جمع بقعة كظلمة وظلم وبقاع جمع بقعة كقصعة
وقصاع وقد يكون بقاع جمع بقعة بالضم كحفرة وحفار انتهى ولما كان بعض
العبادة لا يجوز شرعا وعقلا الا لله تعالى لان العبادة اعلى مراتب الخضوع
والتذلل ولا يستحق ذلك الا من كان موليا لاعلى النعم واعظمها من الوجود
والحيوة وتوابعهما وهو الله سبحانه لا غير جعل عليه السلام غاية دعائه باضعاف
اهل الشرك وتقوية اهل الاسلام تخصيصه تعالى بالعبادة التي لا
يستحقها غيره وعفوه عفوا من باب ضرب وعفره تعفيرا للمبالغة الزق بالعفر
محركا وقد يسكن وهو وجه الارض قال صاحب المحكم العفر والعفر ظاهر التراب

والجمع اعفار وعفره في التراب يعفره عفراً وعفّره فانعفر وتعفّر مرّغه
فيه او دسّه انتهى والجبهة من الانسان قال الخليل هي مستوى ما بين الحاجبين وقال
الاصمعي هو موضع السجود والمراد بتعفير الجبهة السجود على التراب اي وحتى
لا يسجد لاحد منهم دونك لان السجود حرم لغير الله لان وضع اشرف
الاعضاء على اهون الاشياء وهو التراب غاية الخضوع وقد علمت ان غاية
الخضوع واعلى مراتبه لا يجوز الا لله عز وجل والضمير في منهم عائد الى المعبود
دون الله سبحانه المدلول عليه بقوله حتى لا يعبد في بقاع الارض غيرك ودونك
اي سواك ومتجاوزاً اياك وقد مرّ تحقيق ذلك اللهم اغز بكل ناحية من المسلمين
على من بازائهم من المشركين وامددهم بملائكة من عندك مردفين حتى يكشفوهم
الى منقطع التراب قتلاً في ارضك واسراً او يقرّوا بانك انت الله لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك غزا العدو غزواً سار الى قتالهم وانتهابهم قال القنوي
وانما يكون غزو العدو في بلادهم وغزا يتعدى بنفسه وانما عداه هنا بعلى
لتضمينه معنى الاغارة وهي مباغتة العدو للنهب والقتل والاسر اي اغز بكل ناحية
من المسلمين مغيراً على من بازائهم من المشركين والباء في قوله بكل ناحية للتعدية
وهي المعاقبة للهمزة في تعدية الفعل القاصر كما تقول في ذهب زيد ذهبت بزيد
واذهبته اي اغز كل ناحية اي ابعثها للغزو ويقال اغزا الامير الجيش اذا بعثه للغزو
٢ وفي ايثار تعديته هنا بالباء دون الهمزة نكتة لطيفة وهي ملاحظة ما في
الباء من معنى المصاحبة المقصود بها هنا كمال الحفظ والتوفيق والامداد والنصرة
كما كان المقصود بالمعية ذلك في قوله تعالى واذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
فثبتوا الذين آمنوا وقوله تعالى لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا انني معكما
اسمع وارى وقد ذهب المبرد والسهيلي والزمخشري الى ان اذهبه وذهب به

وفا

ذهب به ذا ذهب بان اله يجعله ذاهبا ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به وقال صاحب
المثل السائر كل من ذهب بشيء فقد اذهبه وليس كل من اذهب شيئاً فقد ذهب به
اذ يفهم انه استصحبه وامسكه عن الرجوع الى الحالة الاولى ولا كذلك اذهبه ثم وان
اشتركا في معنى التعدية فلا يعدل بنظر صاحب المعاني الى معنيي الهمزة والباء
٥٢٨ الاصليين اعني الازالة والمصاحبة والالصاق انتهى وهو صريح فيما ذكرناه والناحية
الجانب فاعلة بمعنى مفعولة لانها تنحى اي تقصد من النحو بمعنى القصد والمعنى على
تقدير مضاف محذوف اي اغز باهل كل ناحية فهو من مجاز الحذف في شرح جامع الاصول
لمؤلفه وفي الحديث خفيف على ناحيتها هي المكان المنفرد وناحية الانسان مكانه وقد
يعبر بها عن ذاته خفت على ناحيته اي عليه انتهى وعلى هذا فهي مجاز مرسل من الب
تسمية الشيء باسم محله نحو فليدع ناديه اي مجلسه اراد به اهله مجازاً لحصولهم فيه وفي
نسخة ابن ادريس اعز بقطع الهمزة وكسر العين المهملة وتشديد الزاي من الاعزاز ولا
يظهر له معنى الا على دعوى زيادة الباء في المفعول نحو وهزي اليك بجذع النخلة وزيادتها
فيه كثيرة لكنها مع ذلك غير مقيسة كما نص عليه المرادي في الجنى الداني ويمكن ان يخرج
على ما خرج عليه الزمخشري الاية المذكورة حيث قال والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد
كقوله ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي انتهى يعني
ما لوجه الثاني انه نزل هزي مع كونه متعدياً منزلة اللازم للمبالغة نحو فلان يعطي ويمنع
ثم عدي كما يعدى اللازم كقوله يجرح في عراقيبها وكذا القول في اعز بكل ناحية اي افعل العز
بهم وتعديته بعلى الى المفعول الثاني لما فيه من معنى الرفعة والشرف والازاء بالكسر والمد الحذاء يقال
جلس ازاءه وبازائه اي حذاءه وفي النهاية الازاء المحاذاة والمقابلة وفي الصحاح هو
بازائه اي بحذائه والمعنى على من يحاذيهم ويقابلهم من المشركين وامددت الجيش بالف رجل
اعنته وقويته بهم والاصل في الامداد اعطاء الشيء حالاً بعد حال وفي القاموس الامداد

ان تنصر الاحبار بجماعة عنك وكالاعطاء والاعانة وقال المفضل ما كان منه بطريق التقوية
والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا
ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ونمد له من العذاب مدا
والامداد في الخير كما في قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وقيل المد اعانة الرجل القوم بنفسه
والامداد اعانته اياهم بغيره يقال مد زيد القوم مدا اى صار لهم مددا وامدهم اعانهم
بمدد والى هذا القول جنح صاحب القاموس كما يظهر من تضاعيف كلامه ومن في قوله من
عندك لابتداء الغاية مجازا متعلقة بامددهم فيكون الظرف لغوا او بمحذوف هو صفة
الملائكة فيكون مستقرا واياما كان فالتقييد به لتشريف الملائكة والدلالة على فضلهم
مردفين بكسر الدال اى جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم فيكون المراد بهم رؤساهم
المستتبعون لغيرهم او جاعلين انفسهم رديفا للمسلمين او الملائكة اخرين او جاعلين بعضهم
رديفا لبعض المسلمين او بعضهم لبعض كل ذلك من اردفته اياه اردافا اى اتبعته اياه
وجعلته له رديفا فردفه هو ومعناه تابعين ملائكة اخرين او تابعين المسلمين او
تابعا بعضهم بعضا من اردفته بمعنى ردفته بالكسر اى تبعته وجئت بعده وفي نسخة
مردفين بفتح الدال فان حمل على الارداف بالمعنى الاول فمعناه مجعولين ارداف المسلمين
وتابعين لهم فيكونون على ساقة المسلمين ليكونوا على اعينهم وحفظهم وان حمل على الارداف
بالمعنى الثاني فمعناه مردوفين اى متبوعين للمسلمين فيكونون على مقدمة الجيش فيتبعهم
المسلمون ويجوز ان يكون على الاول بمعنى مردفين ملائكة اخرين وعلى الثاني بمعنى متبوعين
لملائكة اخرين وفيه تلميح الى قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملائكة مردفين قرا ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عمرو عن
قنبل بفتح الدال من مردفين والباقون بكسرها قال الزجاج معناه ياتون فرقة بعد فرقة
وعن ابن عباس وقتادة والسدي معناه مترادفين وكانوا الفا بعضهم في اثر بعض وعن

الجبائي

الجبائي معناه متتبعين الفا اخرى من الملائكة جاؤا على اثار المسلمين ويكشف القوم كشفا
من باب ضرب هزمتهم فانكشفوا ومنه حديث فلما كان يوم احد انكشف المسلمون
قال الكرماني في شرح البخاري اى انهزموا ومنه فلما حملنا عليهم انكشفوا اى انهزموا
واصله من الكشف بمعنى رفع شيء عما يواريه ويغطيه يقال كشف الغطاء اذا رفع
عما تحته ولما كان هزم القوم يستلزم رفعهم عن اماكنهم وعن مواقفهم التي ستروها
وغطوها بجسومهم ووقوفهم فيها يسمى الهزم كشفا وهو اما استعارة بالكناية او
تبعية او تمثيلية وقد تقدم بيان ذلك في نظيره وقول بعض المترجمين يكشفوهم
اى يفضحوهم جهل بمواقع الفاظ العرب والظرف من قوله الى منقطع التراب متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل يكشفوهم وهو الضمير العائد فيه الى المسلمين اى حتى
يكشفوهم متبعين وموصلين لهم الى منقطع التراب او يكشفوهم مضمنا معنى
الايصال او الانهاء ومنقطع الشيء بصيغة اسم المفعول حيث ينتهي اليه طرفه
نحو منقطع الوادي والرمل والطريق والتراب معروف قال الفراء وجماعة هو جنس
لا يثنى ولا يجمع ونقل ابو عمر الزاهد في شرح الفصيح عن المبرد انه قال هو جمع
واحده ترابة وقال الجوهري جمع تراب اتربة وتربان والمراد بمنقطع التراب منتهى العمارة
من الارض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا حيث لا تقع العين بعده على تراب وقوله عليه السلام
قتلا في ارضك قتلا ويأسرونهم اسرا فيكون نصبهما على المصدرية او قاتلين لهم
وآسرين فيكون على الحالية وهو مذهب الجمهور وذهب بعضهم الى ان نحو ذلك على حذف
مضاف والتقدير يكشفونهم كشف قتل واسر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه قال ابن هشام وهذا تقدير حسن سهل والظرف من قوله في ارضك متعلق
بمحذوف وقع وصفا للقتل ان جعل مصدرا وبالقتل نفسه اى جعل حالا او على الاول
مستقرا وعلى الثاني لغو وفائدة التعميم اى قتلا عاما في كل قطر من اقطار ارضك وفي

كل مكان منها يكونون فيه من حيث ان هذا القيد نسبته الى القتل في كل موضع من الارض
على السواء فتأمله فانه نفيس واضافة الارض اليه تعالى لبيان استحقاقهم للقتل والاسر
لان المشرك بالله حقه ان لا يترك ويخلى في ارضه بل يستحق القتل والاسر فيها وقوله
عليه السلام او بقرا عطف على قوله بكشفهم واقرّ بالشئ اقرارا اعترف به انت ضمير موضوع
للمخاطب في مذهب البصريين ان الضمير ان والتاء حرف مبنية للمخاطب في مذهب الفراء
انت بكماله الضمير والتاء من نفس الكلمة وقيل الضمير هو التاء ادعمت بان لتستقل لفظا
وهو هنا ضمير فصل فائدته التوكيد والاختصاص ولا محل له من الاعراب قيل لانه حرف وقيل
لشدة شبهه بالحرف في انه لم يؤت به الا لمعنى في غيره وقيل بل له محل فقال الفراء
محله شارك لما قبله وقال الكسائي شارك لما بعده وقيل هو تاكيد للكاف كما في قولك
مررت بك انت وقيل هو مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان وقوله لا اله مبني مع لا في
موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف اي لهم او في الوجود او مستحق للعبادة الا ويمكن ان يكون الضمير
بعد الا في محل رفع على البدل من محل لا اله ولا يجوز ان يكون في محل نصب على الاستثناء لانه
لو كان كذلك لكان الا اياه وجملة لا اله الا انت في محل رفع على انها خبر ثان لان
او صفة للخبر وهو اسم الجلالة وحدك عند البصريين منصوب على المصدرية او الحال
عند الكوفيين على الظرف وقد استوفينا الكلام عليه فيما سبق وقوله لا شريك لك
خبر ثالث لان او صفة اخرى للخبر وكل من هذه الجمل الثلاث مقررة للوحدانية
ومؤكدة لما قبلها من حيث المعنى ويمكن تخصيص كل منها بمعنى فيكون الاولى لنفي الشرك
في الالوهية ومن جهة المعنى ان يتوهم ان في الوجود الها لكن لا يستحق العبادة والثانية للاشارة
الى انه واحد في ذاته لا تركيب فيه والثالثة للاشارة الى انه لا شريك له في صفات الالوهية
وصفات الكمال والله اعلم اللهم واعمم بذلك اعداءك في اقطار البلاد من الهند والديلم
والترك والخزر والحبشة والزنج والروم والسقلبية والديالمة وسائر امم الشرك

الذين تخفى اسماؤهم وصفاتهم وقد احصيتهم بمعرفتك واشرفت عليهم
بقدرتك ثم الشئ عموما من باب تعدد شمل الجميع يقال عمهم بالاحسان
اي احسن الى جميعهم والاشارة بذلك الى ما تقدم من الدعاء على المشركين والمراد
باعدائه تعالى الخارجون عن طاعته عنادا والمخالفون لامره مكابرة لان العدو لا
ينقاد لامر عدوه ولا يوافقه والمراد بهم اعداء اوليائه وخواصه ومقربيه
اضافهم اليه تعالى تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوته اذ العداوة على الحقيقة
لا تصح الا في البشر لان العدو هو الذي يريد المضار عن عاداه وهذا يستحيل في
حقه تعالى والاقطار جمع قطر بالضم مثل قفل واقفال وهو الجانب والناحية والبلاد
جمع بلدة مثل قلعة وقلاع وهي بمعنى البلد وهو المصر الجامع قال العلامة
الطبرسي البلد والمصر والمدينة نظائر وفي القاموس البلد والبلدة كل قطعة
من الارض مستحيزة عامرة او عامرة وقال الشهاب الفيومي يطلق البلد والبلدة
على كل موضع عامرا كان او خلاء وفي سائمه والهند جيل وامة من الناس معروفة
اكثر الناس اختلافا في الاراء والعقائد فمنهم من يقول بالخالق دون النبي وهم
البراهمة ومنهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد القمر ومنهم من يعبد الانهار الكبار
ومنهم من يعبد الاشجار العظام الى غير ذلك ويطلق لفظ الهند على بلادهم ايضا وهي من
الاقليم الاول احد حديها الصين والاخر السند اكثر ارض الله جبالا وانهارا خصت
بكثير النبات وعجيب الحيوان قال بعضهم الهند بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها
عود وورقها عطر وحيتها داؤدشتاؤها صيف وصيفها ربيع ووصفها ابن القرية
فقال هي ارض شاسعة نائية وبلاد كفرة طاغية والروم قال الواحدي جيل من ولد
آدم من عيص بن اسحق عليه السلام ايسم عليهم فصار كالاسم للقبيلة وقال النووي في التهذيب
والروم هم الذين اهل هذه البلاد الا فيرنج انتهى اكثرهم نصارى وبلادهم بالاقليم السادس

وهي بلاد واسعة انزه النواحي واخصبها واكثرها خيرا واعذبها ماء واصحها هواء واطيبها
تربة وهي في غاية البرودة ولذلك يرى الغالب على الوانهم البياض وعلى شعورهم الشقرة
والابل لا تتولد بها وبمدينة ديارهم تسمى روسية قبل دور سورها اربعة عشر فرسخا
وفي القاموس وميس بلد بالروم سوق الدجاج به فرسخ وسوق البقر ثلاثة فراسخ
وتنفذ المراكب فيه على دكاكين التجار في خليج معمول من النحاس ارتفاع سوره ثمانون
ذراعا وعرض عشرين فيما ذكر ابن خرداذبه فان يك كاذبا فعليه كذبه انتهى
والترك جيل من اولاد يافث بن نوح عليه السلام يمتازون عن جميع الامم بكثرة العدد
ووفور الشجاعة عراض الوجوه فطس الانوف قبل السواعد ضيقو الاخلاق والاعين يغلب
عليهم الغضب والظلم والقهر اقسى خلق الله قلوبا واشدهم بطشا واقلهم رافة واصبرهم
على تحمل المشاق والمحن وبلادهم بالاقليم الثالث الى ما وراء نهر جيحون وهو
كبير يفصل بين بلاد الترك وبين خراسان ويسمى نهر خوارزم ونهر بلخ لان
كلا منهما في طرف منه وتمتد بلادهم الى اقاصي المشرق حدود الصين وفي ربيع
الابرار عن ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة اسري بي الى السماء رأيت
في السماء الرابعة قصرا من خزف وحواليه قناديل من نور فقلت يا جبرئيل ما هذا القصر
قال يا محمد هذا رباط ستفتحه امتك بارض خراسان حول جيحون قلت وما جيحون
قال نهر يكون بارض خراسان من مات ما مات حول ذلك النهر على فراشه قام يوم القيمة
شهيدا من قبره قلت يا جبرئيل ولم ذاك قال يكون عدو لهم يقال لهم الترك شديد كلبهم
قليل سلبهم من وقع في قلبه فزعة منهم قام يوم القيمة شهيدا من قبره مع الشهداء انتهى
والخزر بعضهم قال في الصحاح اسم جيل خزر العيون وقال الزمخشري في الاساس رجل اخزر
ينظر بمؤخر عينه وقيل هو الذي ضاقت عينه وصغرت والاسم الخزر وقوم خزر
ويعبر خزر وبه سمي الخزر جيل من الترك انتهى وقال بعضهم بلاد الخزر حوالي جيلان

ويقال

٥٣١

ويقال بحر جيلان بحر الخزر وفي نسخة ابن ادريس الخزر بالضم والسكون وهو لغة في
الخزر محركة قال في زبدة شرح الشفاء لعياض عند قوله وقتال الروم والخزر هو بضم المعجمة
وسكون الزاي وفتحها قوم جنس من الامم والحبش بفتحتين جنس من السودان جلهم نصارى
ويقال لبلادهم الحبشة وهي ارض واسعة تمتد من طرف بحر اليمن الى الخليج البربري
والنوبة بالضم بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشي قال النووي
وجميع السودان من ولد كوش بن كنعان بن حام وبلاد الزنج شديدة الحر جدا وسبب
سوادهم احتراقهم بالشمس وقيل ان نوحا عليه السلام دعا على ابنه حام فاسود لونه
وبلادهم قليلة المياه والاشجار سقوف بيوتهم من عظام الحوت زعم الحكماء انهم شرار
الناس ولهذا يقال لهم سباع الانس قال جالينوس الزنج خصصوا بامور عشرة سواد
اللون وفلفلة الشعر وفطس الانف وغلظ الشفة وتشقق اليد والعقب ونتن
الرائحة وكثرة الطرب وقلة العقل واكل بعضهم بعضا فانهم في حروبهم ياكلون
لحم العدو ومن ظفر بعدو له اكله واكثرهم عراة لا لباس لهم ولا يرى زنجي مغموما
بل الطرب يشملهم كلهم قال بعض الحكماء سبب ذلك اعتدال دم القلب منهم وقال
اخرون بل سببه طلوع كوكب سهيل عليهم كلهم ليلة فانه يوجب الفرح والزنج
بالفتح والكسر صنف منهم ايضا وارضهم مسيرة شهرين شمالها اليمن وجنوبها
الفيافي وشرقها النوبة وغربها الحبشة والسقالبة وتبدل السين صادا فيقال
صقالبة وهو المذكور في القاموس قال الخليل رحمه الله كل سين وصاد تجيء قبل القاف
فللعرب فيه لغتان منهم من يجعلها سينا ومنهم من يجعلها صادا لا يبالون متصلة
كانت بالقاف او منفصلة بعد ان يكونا في كلمة واحدة انتهى قال في القاموس الصقالبة
جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر بين بلغر وقسطنطينية وقال ابن الكلبي روم وصقلب
وارمن وفرنج كانوا اخوة وهم بنو لنطى بن كسلوخيم بن يونان بن يافث بن نوح

عليه السلام سكن كل واحد منهم بقعة من الارض فسميت باسميهما الصقالبة قوم كثيرو
صهب الشعور حمر الالوان اولو صولة شديدة قال المسعودي الصقالبة اقوام مختلفة
بينهم حروب لولا اختلاف كلمتهم ما قاومتهم امة في الشدة والجراءة ولكل فرقة منهم
ملك لا ينقاد لغيره فمنهم على دين النصرانية اليعقوبية ومنهم على دين النسطورية
ومنهم من لا دين له ويكون معطلا ومنهم عبدة النيران والديالمة جيل من الناس مشهورون
بالظلم والجور حتى تمثلهم اجور من الترك والديلم قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز
فلان من الديلم وهو ديلمي من الديالمة اي عدو من الاعداء لشهرة هذا الجيل بالشرارة والعدو
وبلادهم ارض الجبال بقرب قزوين وهي ثغور ارض الديلم واعلم ان الصقالبة والديالمة
جمعان لسقلبي وديلمي والتاء فيهما للدلالة على ان واحدهما منسوب قال الرضي تدخل
التاء على الجمع الاقصى دلالة على ان واحدها منسوب كالاشاعثة والمشاهدة في جميع
اشعثي ومشهدي وذلك لما ارادوا ان يجمعوا المنسوب جمع تكسير وجب حذف ياء النسب
لان ياء النسب والجمع لا يجتمعان فلا يقال في النسبة الى رجال رجالي بل رجلي فحذفت
ياء النسبة ثم جمع بالتاء لتكون التاء كالعوض من الياء كما عوضت من الياء في نحو جحاجحة
جمع جحجاح لان اصل جمعه جحاجيح فحذفت الياء وعوضت عنها التاء ولذلك لا يثبتان
معا ولا يسقطان معا قوله عليه السلام وسائر امم الشرك الى آخره اي باقيهم والامم جمع امة
والمراد بها هنا الصنف من الناس اي سائر اصناف الخلق المشركين والشرك بالكسر اسم من اشرك
بالله اي كفر وهو مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود والنصارى فان الشرع قد نص على شرك اهل
الكتاب قاطبة والمراد باسمائهم ما دل على ذواتهم وبصفاتهم ما دل على شيء من احوالهم والواو
في قوله وقد احصيتهم للحال اي والحال انك قد احصيتهم اي علمتهم قال الفيومي احصيت الشيء
بالالف علمته وفي النهاية في اسمائه تعالى المحصي هو الذي احصى كل شيء بعلمه واحاط به فلا
يفوته دقيق منه ولا جليل والاحصاء العد والحفظ انتهى والمراد بمعرفته تعالى علمه وهو

وذاهل

٥٢٣

قول اهل اللغة وبعض ارباب الاصول ان الميزان عن ابهما مترادفان واشرف على الشيء اي
اطلع عليه وهو على التمثيل لان اصله النظر من شرف وهو المكان العالي اذا النظر منه
الى الشيء ابلغ في الاحاطة به والله اعلم اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول اطراف
المسلمين وخذهم بالنقص عن تنقصهم وثبطهم بالفرقة
عن الاحتشاد عليهم شغله شغلا من باب نفع والاسم الشغل بالضم
وبضم الغين ولتسكن للتخفيف وهو ضد الفراغ واختلف هل يتناول لفظ المشركين
الكفار من اهل الكتاب ام لا قال الاكثرون نعم لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من
قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن
مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ولقوله تعالى ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك فلو كان كفر اليهود والنصارى غير الشرك لاحتمل
ان يغفر الله لهم في ذلك باطل بالاتفاق وايضا النصارى قائلون بالتثليث وهو شرك
محض وقال الاصم كل من جحد رسالة محمد صلى الله عليه وآله فهو مشرك من حيث ان تلك
المعجزات التي ظهرت على يديه كانت خارجة عن قدرة غير الله تعالى وهم انكروها واضافوها الى
الجن والشياطين فقد اثبتوا شريكا لله سبحانه في خلق هذه الاشياء الخارجة عن قدرة
البشر واعترض عليه بان اليهودي مثلا حيث لا يسلم ان ما ظهر على يد محمد صلى الله عليه و
آله هو من جنس ما لا يقدر العباد عليه لم يلزم ان يكون مشركا بسبب اضافة ذلك الى غير الله
تعالى واجيب بانه لا اعتبار باقراره وانما الاعتبار بالدليل فاذا ثبت بالدليل ان ذلك المعجز
خارج عن قدرة العباد فمن اضاف ذلك الى غير الله كان مشركا كما لو اسند خلق الحيوان
والنبات الى الافلاك والكواكب احتج المخالفون بانه تعالى فصل بين المشركين واهل الكتاب
في الذكر حيث قال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين لم يكن الذين كفروا من

اهل الكتاب في المشركين والعطف يقتضي المغايرة واجيب بان كفر الوثني اغلظ وهذا القدر
يكفي في العطف ولعله خص اولا ثم عمم وقد تواتر النقل عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
من كان كافرا يسمي مشركا فظهر ان وقوع اسم المشرك عليهم ان لم يكن بحسب اللغة كان بحسب الشرع
واذا كان كذلك فلا يبعد بل يجب اندراج كل كافر تحت هذا الاسم والمراد بفعله تعالى بالمشركين
بالمشركين ان يخطر ببال كل امة منهم ما يوجب الوحشة والنفرة عن الاخرى اما بسبب اختلافهم
المختلفة في الدين او بسبب تنازع في امور الدنيا فيهيج العداوة والقتال بينهم فتشتغل
بعضهم ببعض عن تناول اطراف المسلمين والتناول في الاصل ان يمد الانسان يده الى
شيء فيأخذه يقال تناولت الشيء فتناوله ثم استعمل في مطلق الاخذ والاقدام على الشيء و
في الاستيلاء عليه وفي الوصول اليه اذ كان كل ذلك من لوازم معناه الاصلي والاطراف
جمع طرف بفتحتين وهو يكون بمعنى الجانب والناحية ومنه او لم يروا انا نأتي الارض
ننقصها من اطرافها اي نواحيها وجوانبها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها
بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء ويكون بمعنى الطائفة
من الشيء ومنه ليقطع طرفا من الذين كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وكل من المعنيين محتمل
في عبارة الدعاء فان حمل على المعنى الاول فهو على حذف مضاف اي اطراف ارض المسلمين
ويكون المراد بتناولها الاستيلاء عليها او بلوغها او الوصول اليها يقال تناولت بنا
الركاب مكان كذا اي بلغت ووصلت بنا اليه قال ذو الرمة شعر اذا لم تزل رحلي
قريب تناولت ، بنا دار صيدا القلاص الطلائح ، تصابيت واستعبرت حتى تأولت
لحي القوم اطراف الدموع الذوارف ، وقال اي بلغت اطراف الدموع لحى
القوم لانهما لها او تصلها وان حمل على المعنى الثاني فالمراد بتناولها واخذها و
اصابتها بقتل واسر وانما خص الاطراف بالذكر لانه لا يوصل الى الوسط الا بعد
الطرف ولان الطرف قريب اليهم من غيرهم كما قال تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار قوله

عليكم

عليكم وخذهم بالنقص عن تنقصهم اخذه الله اهلكه واخذه بذنبه عاقبه عليه وتعدية
خذ بعن لتضمينه معنى الكف والمنع اي خذهم واصبهم بالنقص ما نعا لهم عن تنقص بهم
المسلمين والنقص اخذ شيء من الجملة يقال نقصته فنقص يتعدى ولا يتعدى اي اذهبت
منه شيئا فذهب منه شيئا والمراد باخذهم بالنقص اهلاكهم بنقصهم شيئا فشيئا حتى
يأتي على جميعهم وهذا هو معنى النقص ايضا قال العلامة الطبرسي التنقص هو ان يؤخذ الاول
فالاول حتى لا يبقى احد وحمل بعضهم التنقص على معنى القلة والوقيعة بمعزل عن المقام
عليكم وشتتهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم شتت عن الامر تشتيتا شغله وقعد به عنه والفرقة
بالضم اسم من افترق القوم افتراقا خلاف اجتمعوا والاحتشاد الاجتماع وفي القاموس
حشد القوم خفوا في التعاون او دعوا فاجابوا مسرعين او اجتمعوا كالاحتشاد
الاجتماع وفي القاموس على الامر واحد كاحتشدوا واحتشدوا وتحاشدوا انتهى وكل
من هذه المعاني صحيح هنا **اللهم اخل قلوبهم من الامنة فابدانهم من القوة واذهل**
قلوبهم من الاحتيال واوهن اركانهم من منازعة الابطال وابعث
عليهم جندا من ملائكتك بباس من باسك كفعلك يوم بدر تقطع
دابرهم وتحصد به شوكتهم وتفرق به عددهم اخليت الاناء اخلاء جعلته خاليا والامنة
محركة الامن وهو عدم توقع مكروه وفي نسخة ابن ادريس من الامنة بسكون الميم
كانها مرة من الامن والقوة تمكن الحيوان من الافعال الشاقة وذهل عن الشيء
يذهل من باب منع ذهولا غفل عنه او نسيه لشغل والاكثر ان يعدى بالالف
فيقال اذهلني فلان عن الشيء وعليه مشهور النسخ من الصحيفة في ضبط اذهل
بقطع الهمزة وكسر الهاء وقد يتعدى بنفسه فيقال ذهلته وعليه نسخة ابن
ادريس في ضبطه بوصل الهمزة وفتح الهاء والاحتيال طلب الحيلة وهي الحذق
في التدبير وهو تقليب الفكر واعماله حتى يهتدي الى المقصود والوهن الضعف

وهو بين من باب وعد اى ضعف ولا جودان يعدى بالهمزة فيقال اوهنه كما وقع فى
الدعاء وربما يعدى بنفسه فيقال وهنه فهو موهون والاركان جمع ركن وهو لغة
الجانب القوى من الشئ وهو الذى يستند اليه ويقوم به والمراد بها هنا الجوارح ومنه
حديث الحساب فيقال لاركانه انطقى اى جوارحه والمقارعة مفاعلة من القرع وهو
الضرب قرعه قرعا من باب نفع ضربه قال صاحب المحكم والمقارعة مضاربة القوم
فى الحرب وفى القاموس المقارعة ان يقرع الابطال بعضهم بعضا والابطال جمع بطل
بفتحتين اى شجاع قال الفيومى سمى بذلك لبطلان الجرأة عنده ملاقاته او لبطلان
العظائم به وقال صاحب القاموس رجل بطل محركة شجاع تبطل جراحته فلا يعبأ بها
او تبطل عنده دماء الاقران والبعث الارسال بعثه يبعثه بعثا من باب منع ارسله قال
الفيومى كل شئ ينبعث من نفسه فان الفعل يتعدى اليه بنفسه فيقال بعثته وكل
شئ لا ينبعث بنفسه كالكتاب والهدية فان الفعل يتعدى اليه بالباء فيقال بعثت به
وكل شئ لا ينبعث الا به انتهى وقال صاحب المحكم بعثه ارسله وحده وبعث به ارسله
مع غيره والجند بالضم العسكر والانصار والاعوان وكل جماعة تصلح للحرب ومن
فى قوله من ملائكتك ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لجندا اى كائنا من ملائكتك
لا ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة واضافة الملائكة اليه تعالى للتشريف والتنوين
والباء من قوله بباس للملابسة متعلقة بمحذوف وقع حالا من جندا اى لتخصصه بالصفة
اى ملتبسا بباس من باسك كقوله تعالى اهبط بسلام والظرف مستقر ويحتمل ان تكون
صلة الفعل من قوله وابعث كقولك بعثت بهديتى او كما فى زيد جاء فيكون الظرف
لغوا والباس الشدة والقوة وباس الله شدة عذابه ونقمته فجاءها باسنا بياتا
او هم قائلون وهو المراد هنا وقوله كفعلك نعت لمصدر مؤكد محذوف اى بعثا
مشبها بفعلك يوم بدر وهو اليوم الذى اعز الله كلمته فيه الاسلام واهله وقمع

فيه الشرك

فيه الشرك وخفض محله وبدر اسم ماء يذكر ولا يؤنث وهو على ثمانية وعشرين فرسخا
من المدينة فى طريق مكة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فنسب اليه ثم غلب اسما وقيل
هى بير حفرها رجل من غفار اسمه بدر بن قريش بن النضر بن كنانة فسميت باسمه وحكى
الواقدى انكار ذلك عن غير واحد من شيوخ بنى غفار قالوا انما هى منازلنا ومياهنا وما
ملكها احد قط يقال له بدر وانما هو علم عليها كغيرها من البلاد وقيل سميت البير بدرا لصفائها
واستدارتها فكان البدر يرى فيها وكانت وقعة بدر فى السابع عشر من شهر رمضان سنة
اثنين من الهجرة التقى رسول الله صلى الله عليه وآله المشركون من قريش وقد اقبلوا من
مكة بخيلهم وخيلائهم يحادون الله ورسوله وهم الف رجل فى سوابغ الحديد
والعدة الكاملة والخيول المسومة وفيهم ابو جهل راس المشركين ورسول الله
صلى الله عليه وآله فى ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من اصحابه عدة اصحاب طالوت
الذين عبروا معه النهر يوم جالوت وكان معهم فرسان وقيل ما كان معهم فرسان الا فرس
واحد فنصر الله رسوله واصحابه وهزم الشرك واحزابه ولذلك قال الله تعالى ممتنا
على المسلمين ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة واتفق اهل السير والتفسير ان
الله تعالى امد نبيه والمسلمين بالملائكة يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس
انه لم يقاتل الملائكة سوى يوم بدر وانهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم يقاتل
الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون
ولعل هذا هو السر فى تخصيصه عليه السلم يوم بدر بالذكر فى الدعاء مع كونه اعظم
غزوات الاسلام وبركات به اذلال المشركين واعزاز المسلمين واما على القول بان
الامداد بالملائكة لم يكن فى سائر الحروب وانما كان فى يوم بدر فتخصيصه بالذكر
ظاهر واختلفوا فى عدد المدد من الملائكة يوم بدر فقيل كانوا الفا لقوله تعالى
فى سورة الانفال فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين وقيل ثلاثة

الالف لقوله تعالى في سورة آل عمران اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم
بثلثة آلاف من الملئكة منزلين وقيل كانوا خمسة الاف لقوله تعالى بعد الآية
المذكورة بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم بخمسة الاف من
الملئكة مسومين وذلك انهم امدوا اولا بالف ثم زيدوا الفان فصاروا ثلثة
ثم زيد الفان فصاروا خمسة وقيل كانوا ثمانية الاف امدوا اولا بثلثة ثم زيدوا
خمسة فصاروا ثمانية وقيل كانوا تسعة الاف باعتبار الالف الاول وقيل ان
الملئكة لم تقاتل لا في بدر ولا في غيره وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون
المسلمين باشعارهم بان النصر لهم ويلقون الرعب في قلوب المشركين والا فلو قاتل
واحد من الملئكة جميع البشر لم يثبتوا ولاستأصلهم باجمعهم ببعض قوته فان جبرئيل
دفع مدائن قوم لوط كما جاء في الخبر على خافقة من جناحه حتى بلغ بها الى السماء ثم
قلبها فجعل عاليها سافلها فما عسى ان يبلغ قوة الف رجل من قريش ليحتاج
في مقاومتها وحربها الى الف من ملائكة السماء او اكثر مضافين الى ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا من بني آدم واما قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل
بنان فامر للمسلمين لا للملائكة ولقائل ان يقول فلكان الله عز وجل قادرا على
تكثير سواد المسلمين في اعين المشركين وان يثبت قلوبهم ويلقي الرعب في قلوب
المشركين من غير حاجة الى انزال الملئكة فان قيل لعل في انزالهم لطفا للمكلفين قلنا
ولعل في قتالهم ومحاربتهم لطفا لهم ايضا فلا وجه لانكار قتالهم وزاد ابو بكر الاصم على
هذا القول فانكر امداد الملئكة مطلقا مع ان نص القرآن المجيد ناطق به واورد في ذلك
شبهة ابليسية ذكرها وهي مما وسوس بها الشيطان الرجيم في صدره ونفث بها على
لسانه نعوذ بالله من الحور بعد الكور هذا وقد ورد في الاخبار ما يقرب من التواتر انزال
الملئكة وقتالهم يوم بدر روى علي بن ابراهيم في تفسيره ان قريشا لما اقبلت يوم بدر

دفع رسول الله

دفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يده الى السماء فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة
لم تعبد وان شئت لا تعبد لا تعبد ثم اصابه الغشي فسري عنه وهو يسلت العرق
عن وجهه وهو يقول هذا جبرئيل قد اتاكم في الف من الملئكة مردفين فنظروا
فاذا بسحابة سوداء فيها برق لائح قد وقعت على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله و
قائل يقول اقدم حيزوم اقدم حيزوم وسمعوا قعقعة السلاح من الجو وروى ثقة الاسلام
بسنده عن ابي جعفر عليه السلام قال كانت على الملائكة العمائم البيض المرسلة يوم بدر
وحكى الواقدي قال كان ابو اسيد الساعدي يحدث عن رجل من بني غفار حدثه
قال اقبلت انا وابن عم لي يوم بدر حتى صعدنا على جبل ونحن يومئذ على الشرك ننظر
الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب اذ رأيت سحابة دنت منا فسمعت
منها حمحمة الخيل وقعقعة الحديد وسمعت قائلا يقول اقدم حيزوم فاما ابن عمي
فانكشف قناع قلبه فمات واما انا فكدت اهلك فتماسكت واتبعت بصري
حيث تذهب السحابة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وآله واصحابه ثم رجعت وليس
فيها شيء مما كنت اسمع قال الواقدي وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن ابيه عن
جده عبيد بن ابي عبيد عن ابي رهم الغفاري عن ابن عم له قال بينا انا وابن عم لي
على ماء فلما راينا قلة من مع محمد وكثرة قريش قلنا اذا التقت الفئتان عمدنا الى عسكر
محمد واصحابه وانتهبنا فانطلقنا نحو المجنبة اليسرى من اصحاب محمد ونحن نقول هؤلاء
ربع قريش فبينا نحن نمشي في الميسرة اذ جاءت سحابة فغشيتنا فرفعنا ابصارنا
فسمعنا اصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه اقدم حيزوم و
سمعناهم يقولون رويدا تتام اخراكم فنزلوا على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله
ثم جاءت اخرى مثل تلك فكانت مع النبي صلى الله عليه وآله فنظرنا الى اصحاب محمد
واذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمي واما انا فتماسكت واخبرت النبي صلى الله عليه و

الله منك واسلت وروى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من احد جعلوا يتحدثون في انديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر
وروى عن سهيل بن عمرو قال لقد رايت يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء
والارض معلمين يقتلون ويأسرون قال الواقدي وكان ابو اسيد الساعدي
يحدث بعدما ذهب بصره ويقول لو كنت معكم الان ببدر وكان معي بصري
لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا اشك فيه ولا امتري وعن ابي رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال كان ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث
مكانه العاص بن هشام فلما قدم ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قال له ابو لهب
هلم الي يا ابن اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي اخبرني
كيف كان امر الناس فقال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلون
ويأسرون وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء
والارض ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فقلت انا تلك الملائكة فرفع
ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة وقال ابن الانباري كانت الملائكة لا تعلم
كيف تقتل الادميين فعلمهم الله بقوله فاضربوا فوق الاعناق اي على الرؤس واضربوا
منهم كل بنان قال ابن عطية هو كل مفصل قال السهيلي جاء في التفسير انه ما وقعت ضربة
الا على راس او مفصل وكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود في الاعناق
والبنان وعن ابي امامة بن سهل بن حنيف قال قال ابي لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا
ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وقال عكرمة
كان يومئذ يندر راس الرجل لا يدرى من ضربه وروى ان رجلا من الانصار اتبع
كافرا ليقتله فقبل ان يصل اليه سمع صوتا يقول اقدم حيزوم فراى الكافر
قدامه وقد صرعا وقد شق صدره وجرح وجهه وانكسر انفه فجاء الانصاري

الى رسول الله

٥٣٦

الى رسول الله صلى الله عليه وآله واخبره بما راه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
صدقت فهو من مدد السماء قال الواقدي وكان عبد الرحمن بن عوف يقول رايت
يوم بدر رجلين احدهما عن يمين النبي صلى الله عليه وآله والاخر عن يساره يقاتلان
اشد القتال وروى ابو بردة بن دينار قال جئت يوم بدر بثلاثة ارؤس فوضعتها
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله اما اثنان فقتلتهما
واما الثالث فاني رايت رجلا طويلا ابيض ضربه فتدهده امامه فاخذت راسه
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذاك فلان من الملائكة قال الواقدي وحدثني
موسى بن محمد عن ابيه قال كان السائب بن ابي حبيش الاسدي يحدث في زمن عمر بن الخطاب
فيقول والله ما اسرني يوم بدر احد من الناس فيقال فمن يقول لما انهزمت
قريش انهزمت معها فيدركني رجل ابيض طويل على فرس ابلق بين السماء والارض
فاوثقني رباطا وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا وكان عبد الرحمن ينادي
في العسكر من اسر هذا فليس احد يزعم انه اسرني حتى انتهى بي الى رسول الله صلى الله
عليه وآله فقال لي رسول الله يا ابن ابي حبيش من اسرك قلت لا اعرفه وكرهت ان
اخبره بالذي رايت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اسرك ملك من الملائكة
كريم اذهب يا ابن عوف باسيرك فذهب بي عبد الرحمن قال السائب وما زالت تلك
الكلمة احفظها وتاخر اسلامي حتى كان منه ما كان والاخبار في هذا المعنى كثيرة
جدا وانكار كل ذلك ضعف في الدين ووهن في اليقين وجملة قوله عليه السلام
تقطع به دابرهم في محل جر على انها صفة اخرى لبأس ويجوز ان تكون في محل نصب
على انها صفة اخرى لجندا والضمير في به على الاول راجع الى الباس وعلى الثاني
عائد الى الجند وقول بعضهم انها في محل نصب على انها مفعول مطلق لابعث
نائب مناب بعثا الذي عاد الضمير في به اليه خبط صريح فان الجملة لا تقع مفعولا

مطلقا الا في باب الحكاية بالقول وهو دائر على راي ابن الحاجب خلافا للجوهري في
نحو قال ابو عبد الله وقد تقدم بيان ذلك في شرح السند ودابر القوم
آخرهم قال الجوهري قطع الله دابرهم اي آخر من بقي منهم وقال الاصمعي
الدابر الاصل يقال قطع الله دابرهم اي اصلهم وقال الزمخشري الدابر الآخر اي
ردوا فاذا دبر د قطع الدابر عبارة عن الاستيصال الجيث لم يترك منهم احد و حصدت
الزرع بالحاء والصاد المهملتين حصدا من باب ضرب وقتل قطعته فهو محصود
وحصيد وحصدهم بالسيف استاصلهم والشوكة شدة البأس والقوة في السلاح
وقال الزمخشري الشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا
لشباها وهو حدها اي تستاصل به حدتهم وشدة باسهم وقوتهم وفي نسخة
تخضد به شوكتهم بالخاء والضاد المعجمتين من خضدت العود رطبا او يابسا خضدا
من باب ضرب اي قطعته وفرقت الشيء تفريقا بدده بددا والمراد بعددهم مقدار
ما يعد منهم ومبلغه والله اعلم اللهم وامزج مياههم بالوباء واطعمهم بالادواء وارم
بلادهم بالخسوف والح عليها بالقذوف وافرعها بالمحول واجعل ميرهم
في احص ارضك وابعدها عنهم وامنع حصونها منهم اصبهم بالجوع
المقيم والسقم الاليم مزجت الشيء بالشيء مزجا من باب قتل خلطته ومزاج
الشراب ما يمزج به والمياه جمع ماء لان اصله ماه وقيل موه تحركت الواو وانفتح ما
قبلها فقلبت الفا وقلبت الهاء همزة لاجتماعها مع الالف وهما حرفان حلقيان
ووقوعهما طرفا ولهذا يرد الى اصله في الجمع والتصغير فيقال مياه ومويه ويجمع على
امواه ايضا مثل باب وابواب وربما قالوا امياء وامواء بالهمزة على لفظ الواحد كما وقع
في نسخة ابن ادريس وامزج مياههم والوباء بالقصر يمد ويقصر قيل هو مرض عام وقيل
موت ذريع وقيل هو الطاعون وقال الشيخ البصير في الترجمة المبهجة الوباء حقيقته

٥٣٧

تغير الهواء بالطوارئ العلوية كاجتماع كواكب ذات اشعة والسفلية كالملاحم و
انفتاح القبور وصعود الابخرة فاسدة واسبابه مع ما ذكر تغير فصول الزمان
والعناصر وانقلاب الكائنات وعلامته الحمى والجدري في النزلة والحكة والاورام
ومنه الطاعون وهو خراج يقع غالبا في المراق السخيفة كخلف الاذن والابط والمغابن
انتهى والاطعمة جمع طعام والمراد به هنا معناه العرفي فانه في العرف اسم لما يؤكل
مثل الشراب اسم لما يشرب ويقع في اللغة على كل ما يساغ حتى الماء وذوق الشيء
وفي التنزيل ومن لم يطعمه فانه مني وقال عليه السلام في زمزم انها طعام طعم اي تشبع
اي يشبع منه الانسان والادواء جمع داء وهو المرض قال الفيومي وهو مصدر
داء الرجل والعضو يداء من باب تعب وخسف المكان خسفا وخسوفا من باب ضرب وغاب
في الارض وخسفه الله يتعدى ولا يتعدى قال تعالى فخسفنا به وبداره الارض
ومعنى رميها بالخسوف اي تخسف بها كما يقال رماه الله بالعلة اي اعله واصله
في الاعيان وفيما يكون ذا صلابة منها كالحجر والسهم والعصا ثم استعمل في الاقوال
والمعاني فقيل رماه بفاحشة ورماه بداهية ايذانا بشدة التاثير والايلام وهي
استعارة تبعية وخفي هذا المعنى على بعض المترجمين فظن ان الرمي لا يستعمل الا
في السهم فقال شبه الخسوف بالسهم فاثبت له الرمي اي ارم بلادهم بسهم الخسوف
وهو جهل منه بمصطلحات لغة العرب والح الرجل على الشيء الحاحا دام عليه ولزمه
مواظبا والقذوف جمع قذف وهو الرمي بالحجارة وقال الطيبي في شرح المشكاة
في حديث فانه يكون بها خسف في الارض وقذف اي ريح شديد بارد او قذف
الارض الموتى بعد الدفن او رمي بامطار الاحجار انتهى ومعنى الح عليها بالقذوف
اي اجعل القذوف عليها دائمة مواظبة لها لا تنقطع عنها وفرعت راسه بالسيف
والعصا بالفاء والراء والعين المهملتين فرعا من باب نفع علوته ضربا والفرع بالعصا

كبجته اي جذبت الجامه لتيقف والمحول جمع محل وهو الجدب في انقطاع المطر والمراد
نزعها بالمحول القضاء عليها بانواع الجدب والقحط وانقطاع الامطار وغير ذلك
بالقرع على طريق الاستعارة التبعية سواء اخذناه من قرع الراس بالسيف او من
قرع الفرس باللجام ووجه الشبه على الاول شدة الاصابة لانه اراد ان يلحق شدة ضنا
بلادهم بالمحول بشدة اصابة الراس بالسيف او العصا وجعله مساويا له ومحسوبا
في عداده وعلى الثاني شدة الكف والمنع فيكون قد شبه القضاء على بلادهم ومنعها
عن الالتفات والخصب بالمحول بقدع الفرس وكبحه عن الشيء باللجام في شدة الكف والمنع
ولا يحسن جعل ذلك من باب الاستعارة المكنية اذ لا يحسن ابتداء تشبيه البلاد بالراس
او الفرس ولا المحول بالسيف والعصا او اللجام نعم يلاحظ التشبيه في هذه الامور تبعا
لذلك التشبيه في مصدر الفعل فيجب ان يكون الاستعارة هنا تبعية لا غير وفي
نسخة ابن ادريس رحمه الله وافرغها على صيغة فعل الامر من الافراغ بالغين المعجمة
بمعنى الاخلاء اي اجعلها فارغة خالية من الزرع بسبب المحول والميرة جمع مير بالكسر
وهو الطعام الذي يجلب من بلد الى بلد والحص في الاصل حلق الشعر ومنه الحاصة
وهو كالداء يتناثر منه شعر الراس ويقال حصت البيضة راسه اذا اذهبت شعره
وانحص شعره انحصاصا اي تناثر وذهب ورجل احص بين الحصص اي قليل شعر
الراس ثم استعير في الجدب وقلة الخير وعدم النبات فقيل سنة حصاء اي
جرداء او مجدبة لا خير فيها ومنه قوله عليه السلام في احص ارضك اي اكثرها محصوصة
على غير قياس من حص الجدب الارض اذا ذهب نباتها استعارة من حص الشعر كما
ذكرنا واستعمال افعل التفضيل في المفعول وان كان غير قياس الا انه المسموع منه
كثير نحو اعذر واشهر والوم واشغل اي اكثر معذورية ومشهورية وملومية ومشغولية
وقد وقع في كلامه عليه السلام لا يحتاج فيه الى السماع من غيره قطعا فانه عليه السلام افصح العرب

في زيادة

في زيادة ويجوز ان يكون المعنى اكثرها انحصاصا فيكون مبنيا للفاعل من انحص على ما
نقل عن الاخفش والمبرد من جواز بناء افعل التفضيل من جميع الثلاثي المزيد
فيه كانفعل واستفعل ونحوهما قياسا ويكون وقوعه في كلامه عليه السلام حجة لهما
وابعد افعل تفضيل من بعد الشيء بعدا اي شط وناء والمعنى واجعل ميرهم
في ابعد ارضك منهم حتى لا يستميروها منها ولا تتواتر عليهم وفي بعض
النسخ وابعدها عنهم بفتح الهمزة وكسر العين المهملة وسكون الدال على صيغة
فعل الامر من الابعاد فيكون الضمير فيه عائدا الى ميرهم اي واجعل ميرهم بعيدة
عنهم وامنع اسم تفضيل من منع الحصن مناعة على ضخامة اي صار منيعا والحصون جمع
حصن بالكسر وهو كل موضع حصين لا يوصل الى جوفه اي واجعل ميرهم في اشد حصون
اضنك منهم كيلا يتحصنوا بها او كيلا يقدروا على فتحها واخذها وجملة قوله عليه السلام
اصبهم بالجوع المقيم مؤكدة لمعنى ما قبلها وكذلك جاء بها مفصولة من غير عاطف
لكمال الاتصال اذ لا مغايرة تفتقر الى الربط بالعاطف والمراد بالجوع الجدب والقحط
مجازا من باب اطلاق المسبب على السبب اي اصبهم بقحط تتسبب عنه الجوع ومنه قوله
تعالى لا يجدون نكاحا اي مؤنة من مهر ونفقة ومالا بد للتزوج منه والمقيم الدائم
من اقام بالمكان دام ومنه عذاب مقيم قال المفسرون اي دائم ثابت لا يزول
ولا يحول والسقم بالضم والسكون وبفتحتين المرض وقال الفيومي سقم سقما
من باب تعب طال مرضه وسقم سقما من باب قرب مثله فهو سقيم والاليم فعيل
بمعنى مفعل بفتح العين لانه من الم يولم ايلاما فهو مولم والم هو الما من باب تعب
فهو اليم كما تقول وجع يوجع ايجاعا فهو موجع ووجع هو وجعا فهو وجيع ووصف
به السقم للمبالغة كما وصف الله به العذاب في قوله ولهم عذاب اليم وكما وصف
الشاعر الضرب بالوجيع في قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهو على الاسناد المجازي

نحو حينئذٍ فإن الألم والوجع حقيقة للمؤلم وللضرب كما أن الجد للمجاد وقيل هو فعيل
بمعنى مفعل بكسر العين كالسميع بمعنى المسمع والحزين بمعنى المحزن وضعف
بأن فعيلاً بمعنى مفعل لم يثبت في اللغة وإن ورد فشاذ لا يقاس عليه وسيأتي
تمام الكلام على ذلك في الروضة السابعة والأربعين في شرح دعائه عليه السلام في
يوم عرفة اللهم وأيما غاز غزاهم من أهل ملتك أو مجاهد جاهدهم من أتباع سنتك
ليكون دينك الأعلى وحزبك الأقوى وحظك الأوفى فلقّه اليسر وهيّئ له الأمر
وتولّه بالنجح وتخيّر له الأصحاب واستقو له الظهر وأسبغ عليه في النفقة ومتّعه بالنشاط
وأطف عنه حرارة الشوق وأجره من غمّ الوحشة وأنسه ذكر الأهل والولد
وأثر له حسن النية وتولّه بالعافية وأصحبه السلامة وأعفه من الجبن
وألهمه الجرأة وارزقه الشدة وأيّده بالنصرة وعلّمه السير والسنن
وسدّده في الحكم واعزل عنه الرياء وخلّصه من السمعة واجعل فكره وذكره وظعنه
وإقامته فيك ولك الواو عاطفة للإشعار بأن ما بعدها من تتمة الدعاء الأول وأي اسم شرط
بدليل الفاء الرابطة في الجواب وما مزيدة للتأكيد إبهامها أي شياعها وقيل نكرة وغاز بدل
منها وارتفاعها إما على الابتداء واختلف في الخبر فقيل هو جملة الشرط لعدم خلوها
من الضمير في حال بخلاف جملة الجواب في نحو أيهم قام وقمت وكلمة الشرط إذا ارتفع
على الابتداء فلا بد من ضمير فتعين كون الخبر جملة الشرط دون جملة الجواب وهو اختيار
الأندلسي ومحققي المتأخرين وقيل هو جملة الشرط وجملة الجواب معاً لصيرورتهما
بسبب كلمة الشرط كالجملة الواحدة وقيل هو جملة الجواب فقط وقيل اسم الشرط مبتدأ
لا خبر له وما وقع لبعض المبتدئين من أن أي هنا موصولة وجملة غزاهم صلتها
والفاء في قوله فلقه رابطة لشبه الشرط بالجواب غلط صريح لأن أيّاً الموصولة
لا تضاف إلى نكرة كما نص عليه الجمهور وهي هنا مضافة إليها فتعين شرطيتها وجوّز بعضهم

اضافة

إضافة الموصولة إلى النكرة نحو يعجبني أي رجل عندك من دونها فهي حينئذٍ نكرة والموصولة
معارف وقوله غزاهم وجاهدهم أي أراد غزوهم وجهادهم من باب التعبير بالفعل
عن إرادته مجازاً نحو فإذا قرأت القرآن فاستعذ فإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وعلى
هذا فالمراد بالغازي والمجاهد مريد الغزو والجهاد مجازاً أيضاً من باب تسمية الشيء
بما يؤول إليه نحو إني أراني أعصر خمراً والظرف من قوله من أهل ملتك مستقر محذوف وقع
صفة لغاز أي كائن من أهل ملتك والملة بالكسر ما شرع الله لعباده على ألسنة
أنبيائه عليهم السلام وتستعمل في جملة الشرائع لا في آحادها وقيل الملة والدين
متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فإن الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمى
ملة ومن حيث إنها يطاع بها تسمى ديناً وقوله أو مجاهد معطوف على غاز وأتى بأو
الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد الغازي والمجاهد إذ
كان المجاهد أعم من الغازي لأن الغزو إنما يكون في بلاد العدو والجهاد مطلق فكل
غاز مجاهد دون العكس والجهاد لغة قتال العدو من جاهده مجاهدة وجهاداً إذا حملت
نفسك على المشقة في قتاله كذا قيل والظاهر أن المفاعلة فيه على بابها لأن كل
واحد من الخصمين يجهد في الغلبة على صاحبه وخص في الشرع بقتال الكفار ونحوهم في
طاعة الله وهو أقسام جهاد المشركين ابتداء لدعائهم إلى الإسلام وجهاد من يدهم
المسلمين من الكفار بحيث يخافون استيلاءهم على بلادهم أو أخذ مالهم وما أشبهه
وإن قل وجهاد البغاة على الإمام وجهاد من يريد قتل نفس محترمة أو أخذ مال أو سبي
حريم مطلقاً والمراد به هنا القسمان الأولان والأتباع جمع تبع بفتحتين قال الفيومي
المصلي تبع لإمامه والناس تبع له يكون واحداً وجمعاً ويجوز جمعه على أتباع كسبب
وأسباب انتهى وهو في الأصل من تبع زيد عمراً اتّباعاً من باب تعب إذا مشى خلفه أو لحق

٥٧٠

على مطلق الائتمام بالشئ والاقتداء به فعلا او اعتقادا ومنه تبع القرآن اى ائتم به
وعمل بما فيه وهو المراد هنا وسنة الله طريقته التى امر بسلوكها واتباعها وقوله ليكون ظرف
لغو متعلق اجرام وجاهدهم على سبيل التنازع والاعلى اسم تفضيل من علا يعلو بمعنى ارتفع
وقال الفارابى والجوهرى علا المكان يعلوه علوا من باب قعد وعلى فى الشرف يعلى علاء
من باب علم والمراد به هنا الارتفاع فى الشرف والقدرة او هو من علا فلان فلانا اى غلبه
وقهره كقوله تعالى لا تخف انك انت الاعلى اى الغالب الظاهر وتعريفه بلام الجنس لافادة القصر
اى يكون التفضيل فى العلو مقصورا على دينك لا يتجاوزه وصورة التفضيل لمجرد التاكيد
اذ لا علو ولا فضل لغير دينه تعالى حقيقة والحزب بالكسر الطائفة من الناس وحزب الرجل جنده
واصحابه الذين على رايه وحزب الله انصار دينه وعبادة المتقون وهو اسم جمع لا واحد
من لفظه كالقوم والرهط واذا اخبر عنه فقد يعتبر لفظه فيخبر عنه كالمفرد كعبارة الدعاء
وقد يعتبر معناه فيخبر عنه بالجمع كقوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون والاقوى افعل
تفضيل من القوة والمراد بها كمال القدرة وشدة الممانعة ويقابلها الضعف والحظ يطلق
على معنيين احدهما الجد بالفتح بمعنى البخت والاقبال فى الدنيا وهو احد الوجوه التى فسر بها قوله
تعالى حكاية عن الجن وانه تعالى جد ربنا قال الزمخشرى هو استعارة من الجد الذى هو الدولة
والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والثانى النصيب هو الحصة وكل من المعنيين يصح
ارادته هنا فالاول على الاستعارة كما علمت والثانى على المجاز الذى يسمى مجازا مرسلا فيكون
المراد ما يختص به سبحانه من الامور الدينية لكون النصيب لازما للاختصاص بصاحبه ولا
حاجة الى دعوى الحذف والتقدير على ان المعنى حظا وليائك كما زعم بعضهم والاوفر افعل
تفضيل من وفر الشئ يفر اذا تم وكمل ولقاه الشئ تلقية اعطاه اياه كانه جعله يلقاه قال
وفى القاموس لقاه الشئ القاه اليه ويسر الامر تيسيرا من باب تفعيل سهل وهو يسير ويسره
الله فتيسر اى سهل علينا امورنا حتى لا تعسر ولا يشق علينا شئ منها وهيأت الشئ اعددته وصلحته

وزينته

١٤٠

وزينته واصل الهيئة احداث هيئة الشئ وهى صورته وشكله وكلام الحال فى المراد
به ما هو عليه من ارادة الغزو والجهاد او جميع امره وتولى الله كان له وليا اى قائما بامره
والنجح بالضم اسم من انجح الله حاجته انجاحا قضاها وانجح الرجل ايضا قضيت له الحاجة
اى كن له وليا بقضاء حاجاته وتحيرت الشئ اخترته وانتقيته اى قدر لهم ان يصحب جيوشهم
وفى الحديث تخيروا لنطفكم قال الزمخشرى اى تكلفوا طلب ما هو خير المناكح وازكاها
وابعدها من الخبث والفجور واستعوث الدابة طلبت ان تكون قوية كما يقال استكرم الشئ
اى طلبه كريما وفلان يستفره الدواب يطلبها فارهة اى نشيطة خفيفة والظهر الركوب
من الدواب سمى بذلك مجازا من باب تسمية الشئ باسم بعضه كالرقبة للانسان وخص
الظهر لانه موضع الركوب وهو يطلق على الواحد من الدواب ومنه حديث دخل ابن عبد الله
وظهره فى الدار اى مركوبه وهو يريد السفر للحج وعلى الجمع منهما ومنه حديث ائذن لنا فى
نحر ظهرنا اى ركابنا ورواحلنا والمعنى اطلب له الظهر القوى اى يسر له راحلة قوية وقيل
يمكن ان معناه قو ظهره او كن له ظهيرا ومقويا فيا بله الا استقواء وسبغت النعمة سبوغا
من باب قعد اتسعت واسبغها الله وسعها وافاضها اى وسع عليه فى النفقة ومنه حديث
اسبغوا لليتيم فى النفقة قال ابن الاثير اى انفقوا عليه جميع ما يحتاج اليه ووسعوا عليه
وفى الطرفية المجاز يراى اوقع الاسباغ فى نفقته كقوله تعالى واصلح لى فى ذريتى وقد سبق بيانه والنفقة
بفتحتين اسم من الانفاق وهو صرف الدراهم فيما يحتاج اليه ومتعه الله بكذا متيعا واستمتعه به
اطال له الانتفاع به ونشط فى عمله بنشط من باب تعب خف واسرع وهو نشيط وفى الاساس رجل
نشيط طيب النفس للعمل وطفئت النار تطفا بالهمز من باب تعب طفوءا على فعول خمدت واطفاها
اطفاء اخمدها والمروى فى جميع نسخ الصحيفة الشريفة اطف بدون همز وهو على لغة قريش وكثير
من اهل الحجاز وعليها قراءة ابى جعفر من العشرة يريدون ان يطفئوا نور الله على وزن يعطوا واصله
يطفئوا بالهمزة مضمومة بعد الفاء وهى قراءة ما عدا ابى جعفر فابدلت الهمزة ياء لمناسبتها كسرة

ماقبلها فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان هي وواو الجمع فحذفت الياء لالتقاء الساكنين
الفا فالحقها بالمعتل الاصل قال ابن الحاجب اذا كان حرف العلة بدلا من همزة ففيه وجهان حذف
حرف العلة هل هو بدل قياسي او غير قياسي فان قلنا انه بدل قياسي او غير قياسي فان قلنا
انه بدل قياسي ثبت حرف العلة مع الجازم لانه همزة كما كان قبل البدل وان قلنا انه بدل
غير قياسي صار حرف العلة محضا وليس همزة فيحذف كما يحذف حرف العلة المحض في
يغزو ويخشى ويرمي انتهى ولبعضهم تفصيل اخر في هذه المسئلة ذكرناه في شرح الصمدية
فليرجع اليه فما تكلفه بعضهم من حمل الطف في عبارة الدعاء من طفا الشيء فوق الماء اى لم يرسب فيه
او من طف الطير يطف اذا خف على الارض واشتد عدوه او من الطفا وهو بمعنى الشيء اليسير فهو من ضيق
العطن والتعسف الذي لا يليق بالمقام والشوق قيل هو اهتياج القلب الى لقاء المحبوب وقيل
وجدان لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممزوج بالم المفارقة والمراد بحرارته اما كلفته وشدته
استعارة من حرارة النار بجامع الاضرار المؤلم واما الحرارة المنبعثة عن القلب بسببه فانه موجب لحركة
النفس المثيرة للحرارة الغريزية فتنبعث منتشرة لطلب الحصول الى المحبوب في نهاية كما بين في محله
والمراد باطفائها تخفيف حرارة الشوق الهائم الصبر على مفارقة محبيه وبيان الميل ان الشوق
يحصل من امور ثلاثة الشعور بكمال المطلوب وعدم القدرة على الوصول اليه وقلة الصبر على الفراق
ولجاجة امنه وحفظه والمعنى ما يلحق الانسان بسبب مكروه تزايد حتى كان يبغي طلب الوحشة
الخلوة والانفراد عن يانسه واستذكر الاهل والولد اى اخرج من قلبه حظوظ اهله وولده بالكلية
حتى لا يمنعه عن الغزو والجهاد ولا تفتر همته عما نواه واثبت الحديث اثرا بوثابة فعل بقصد مرويته
ولما كان نقل الحديث وروايته يشتمل على الاعلام به والارشاد لمضمونه عبر عليه السلام عن ارشاده
الى حل ابنيته والاعلام بها بنقلها وروايتها له ولا شك ان المراد برواية حسن النية رواية فضائلها
وما ورد فيها من التاكيد في اخلاصها والاعتناء بصدقها فيكون قد شبه الاعلام والارشاد بالنقل
والرواية في بيان تفاصيل فضلها ثم ادخل الاعلام والارشاد في جنس الاثر الذي هو بمعنى الرواية

بالمآول

بالمأول المذكور فاستعار له لفظ الاثر ثم اشتق منه الفعل على طريق الاستعارة في التبعية والمعنى
الهمه وارشده الى فضائل حسن النية حتى حسن وتصدق بنيته في الغزو والجهاد والخلوص
لله تعالى واما قول بعضهم ان المعنى واختر له حسن النية فقد بعد لاتفاق النسخ على ضبط
اثر بوصل الهمزة وضم الثاء المثلثة على وزن افعل ولو كان بمعنى اختر لضبط بقطع الهمزة
ومدها وكسر الثاء المثلثة على وزن فاعل بصيغة الامر من آثره ايثارا بمعنى اختاره واصله أأثره
بتحقيق الهمزتين من باب اكرم فقلبت الهمزة الثانية استثقالا لاجتماع الهمزتين ولم يسمع
اثره اثرا من باب قتل بمعنى آثره ايثارا فلا معدل عما ذكرناه وقوله بالعافية اى كن له وليا
بالباسه العافية وهي دفع الله عن العبد واصحبه الشيء اصحابا جعلته له صاحبا اى واجعل
السلامة وهي الخلوص من الآفات لازمة له لزوم الصاحب لصاحبه واعفاه الله بمعنى
عافاه قال الجوهري عافاه الله واعفاه بمعنى والاسم العافية وفي القاموس عافاه الله من
المكروه معافاة وعافية وهب له العافية من العلل والبلايا كاعفاه والجبن بالضم
وبضمتين رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة يقال جبن جبنا على وزن قرب قربا في جلته
فهو جبان اى ضعيف القلب والهمه الله الجرأة في روعه والجرأة بالضم الشجاعة
وهي صرامة القلب على الاهوال وربط الجاش في المخاوف وهي فضيلة بين التهور والجبن
فالتهور هو الثبات المذموم في المعطبة والجبن هو الفزع المذموم من الامور المعطبة
وانما قدم عليه السلام سؤال عافيته من الجبن على سؤال الهامه الجرأة لان التخلية مقدمة
على التحلية وارزقه الشدة اى اعطه القوة في البدن والنفس ليكون شديدا على الكفار
كما قال تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وايده الله تأييدا قواه والنصرة بالضم
اسم نصره على عدوه نصرا من باب قتل اعانه وفي القاموس النصرة حسن المعونة وعلمه
اى فهمه التعلم باعداده له بالفهم الثاقب والسمع الواعي والقلب المراعي ونقيض المعلم
الناصح والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم غالبا وتعليمه سبحانه لعباده

يطلق على معنيين احدهما ما يكون بدون واسطة بشر وذلك كحال الانبياء فانه يفيض عليهم العلوم والمعارف اما بواسطة ملك او بدونه بان يلقي في روعهم او يخلق فيهم علما ضروريا بما يريد تعليمهم اياه ومنه وعلم آدم الاسماء كلها ويعلمهم الكتاب والحكمة وعلمناه من لدنا علما والثاني ما يكون بواسطة بشر وذلك كحال سائر الناس ومنه فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله والسير جمع سيرة وهي في اللغة الطريقة يقال سار في الناس سيرة حسنة او قبيحة والمراد بالسيرة هنا احكام الجهاد ويستفاد منه ان تغلب اسم السير على احكام الجهاد اصطلاح قديم وقع في الصدر الاول فان القدماء اذا اطلقوا السير ارادوا بها المغازي قال القهستاني وغلب اسم السير في السنة الفقهاء على المغازي انتهى ولذلك ترجم بعضهم كتاب الجهاد بكتاب السير قال الراجي ترجمه بذلك لان بعضهم كتاب الحكم الاحكام المذكورة فيه متلقاة من سير رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته ومقصوده بالكلام في الجهاد واحكامه والسنن جمع سنة والمراد بها الطريقة المحمدية فرضا وندبا عملا وعقيدة وقد تطلق السنن على المعلومات التي يتعلق بها العمل قال الراغب المعلوم العملي ما يجب ان يعلم ثم يعمل ويسمى تارة السنن والسياسات وتارة الشرائع وتارة احكام الشرع ويدخل في ذلك حكم العبادات وحكم المعاملات وحكم المطاعم وحكم المناكح وحكم المزاجر انتهى ويسدده اي يوفقه للسداد وهو الصواب في الحكم اي القضاء وعزلت الشيء عن غيره عزلا من باب ضرب نحيته عنه والريا مصدر راءاه مراءاة ورياء اذا راى كل منهما الآخر ثم غلب استعماله في القصد لطاعة لان يراه الناس وذلك لان المرائي لا يعمل الا اذا راى الناس وراءوه حتى اذا كان في موضع لا يرى فيه احدا ولا يراه احد لم يعمل فالمفاعلة في الرياء على بابها وقال الزمخشري هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به وانتهى وعنه تطوفات قولهم فعل التبيه اصله وهو مصدر فعل الثلاثي الى الفاعل متعلقا بغيره

مع ان العين فعل مثل ذلك وقولهم ان فاعل اصله فعل زيدت بين الفاء والعين منه الف صريح في ان المفاعلة لا تكون الا من الثلاثي فتأمله فان اكثر المفسرين تبعوا الزمخشري في ذلك ولم تنبه احد منهم لما ذكرناه وانما قول صاحب القاموس ريا تيسيره ورياه على خلاف ما نحن عليه وهو بيان لحاصل المعنى لا بيان للمفاعلة قد قالوا عاطاه معاطاة اي اعطى كل منهم الآخر وهو نادر فكيف تصح دعوى اختصاص المفاعلة بما للمفاعل من الثلاثي قلت ليس المعاطاة مفاعلة من اعطى بل من عطاه الثلاثي اللازم بمعنى تناول لكنه لما نقل الى فاعل صار متعديا لاجل تعلقه بالآخر ومن مثل كان منه فركبه وما شئت من نحو قال العلامة الجاربردي في شرح الشافية ولاجل تعلق فاعل بالآخر جاء غير المتعدي اذا نقل الى فاعل متعديا نحو كارمته فان اصله لازم وقد يعدى ههنا وخلصت الشيء خليصا من باب منعه والسمعة بالضم والفتح يقال فعل ذلك رياء وسمعة اي ليراه الناس ويسمعوا به والمعنى اصرفه عنه وخلصه من قصد الرياء والسمعة في عمله ليكون خالصا لله فيستعد لتلقي رحمته وقبول فضله بالتوجه اليه والانقطاع عما سواه واما العامل للرياء والسمعة اي ليراه الناس ويسمعوا حاله كي يعود اليه منهم ما يتوقعه من مال وجاه او ثناء ونحوه من الاغراض الباطلة والاعراض الزائلة فهو محجوب عن قبول فضل الله تعالى مستوجب الخيبة والحرمان من حيث التفات نفسه الى ما سواه تعالى وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون في الدنيا هل تجدون عندهم ثواب اعمالكم وعنه صلى الله عليه وآله انه قال الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على المسح الاسود وعن امير المؤمنين عليه السلام اعملوا في غير رياء ولا سمعة فان من عمل لغير الله يكله الله الى من عمل له وعن ابي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل

عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلبه وحزنه
انما يطلب تزكية الناس ثم يجاهد ليسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه قال بعض العلماء
كنت لا اقال احدث من نفسي سوقا ان تك او منازعة شديدة الى الجهاد وان اقتل في سبيل الله
فحدثت نفسي ذلك وعلمت انها الجهاد والقتل ليس من الامور التي يكون فيها حظ النفس واخذت
في اهبة الحد الغزو ثم اتهمت نفسي وقلت انها لا تدعو الى حين الا بد لها في ذلك من
دسيسة فجعلنا تامل السبب الداعي لها الى ذلك حتى وقفت على انها راغبة في ان يقال قتل
فلان في سبيل الله ومات شهيدا فجاهدتها حتى تابت عما نويت ورضيها قال العلماء اجتناب الرياء
من اصعب الامور الا على من راض نفسه وملكها الاخلاص ولا يحصل ذلك الا لمن اهتدت بيد
العناية من بيانه قوله عليه السلام واجعل فكره وذكره وطعنه واقامته فيك والفكر
حضور الشيء في النفس ثم يكون تارة بالقلب وتارة باللسان والفكر تردد القلب
بالتدبر لطلب المعاني وقيل هو ترتيب المؤثر حلوته ليتوصل بها الى امور مجهولة والطعن
بفتحتين اسم من طعن طعنا من باب نفع اي ارتحل والاقامة ومصدرا وكبر بالمكان اي مكث
فيه وفيك ولك اي كاينا في سبيلك لا لاجل ارضاك حتى لا يشوب شيئا من اعماله
غرض اخر والله اعلم فاذا صاف عدوك وعدوه فقللهم في عينه وصغر شانهم في
قلبه وادل له منهم ولا تدلهم منه فان ختمت له بالشهادة وقضيت له بالشهادة
فبعد ان يحتاج عدوك بالقتل وبعد ان تجهد بهم الاسر وبعد ان تامن اطراف
المسلمين وبعد ان يولي عدوك مدبرين الفاء للتفريع والترتيب وصاف اي قابل مفاعلة
من الصف يقال صاففنا العدو في القتال اي رتبنا اي قابلنا صفوفنا بصفوفهم ومنه حديث
كان صلى الله عليه واله مصاف العدو اي مقابلهم وعدوك وعدوه اي المشركين وصفهم
اولا بعداوة الله تعالى لاتباعهم الشرك في ابطال كلمته وثانيا بعداوة المسلم لاظهارهم عداوته
وقصدهم لمحاربته وهلاكه كما قال تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم وتقليلهم في عينه

بانهم

٥٤٣

بانهم قليلا ليتقوى قلبه على محاربتهم ولا يهابهم وانما يتصور ذلك بستر الله تعالى
العين عن رؤية بعض دون بعض مع التساوي في الشروط لان الرؤية وسائر الادراكات
محض خلق الله تعالى لا تجب عند تحقق ما يجعله الفلاسفة شرطا ولا تمتنع عند فقد بعضها
وقال تعالى ذلك يوم بدر فقلل المشركين في اعين المسلمين تثبيتا لهم حتى قال ابن
مسعود لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة قال فاسرنا منهم رجلا فقلنا اكم كنتم
فقال الفا وقلل المسلمين في عين المشركين ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم حتى قال ابو جهل
ان محمدا واصحابه اكلة جزور وصدق ذلك حيث يقول عز من قائل في محكم كتابه واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا قال
صاحب الكشاف فان قلت باي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم
بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما
يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك
واحد فقال فما لي لا ارى هذين الديكين اربعة انتهى وصغر شانهم في قلبه اي
حقره واذهب من الصغار بالفتح وهو الحقارة والذل والمهانة لا من الصغر كعنب وهو
خلاف العظم في الجرم وشانهم بهمز العين اي امرهم وحالهم وهو ما هم عليه من
الباس وقوة الشوكة وكثرة العدد والعدد حتى لا يصيبه الالتفات الى شيء من ذلك
من الاقدام عليهم وادل له منهم ولا تدلهم منه اي اجعل الكرة والنصر والغلبة
له عليهم ولا تجعل الكرة والنصر والغلبة لهم عليه قال الزمخشري دال الله بني فلان
من عدوهم جعل الكرة لهم عليه ومجازه نزع الدولة من عدوهم واتاهم اياها وقال ابن
الاثير في الحديث نديلهم فيدال علينا اي نغلبهم ويغلبوننا الا دالة الغلبة يقال ادل لنا على
اعدائنا اي نصرنا عليهم ومنه حديث ابي سفيان وهرقل ندال عليه ويدال علينا
اي نغلبه مرة ويغلبنا اخرى وانما عدى ادل في الاول باللام مع ان صلته ان يتعدى

بنفسه كما وقع في قوله ولا تدلهم لتضمينه معنى الانضمام اليه وانضموا له مدبلا منهم و
فائدة ذلك تاكيد الادالة للغازى والمجاهد لان فائدة التضمين ان يدل بكلمة واحدة
على معنى كلمتين ولذلك لم يات باللام في قوله ولا تدلهم منه بل جاء به على اصله لدلالة
على هذا قول الزمخشري الفرق بين سمعت فلانا يحدث وسمعت اليه يحدث ان المعدى بنفسه يفيد
الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك واما قول بعضهم ان اللام في اداله للتقوية
العامل فلا يعول عليه لان لام التقوية انما تزاد لتقوية عامل ضعيف ما بتاخره نحو ان كنتم للرؤيا
تعبرون او بكونه فرعا في العمل نحو مصدقا لما معهم واما العامل القوى فلا يؤتى بها معه الا
نادرا فعزوه لا الله يعطى للعصاة مناها وتخريج كلام المعصوم على الشاذ النادر لا وجه له قوله
عليه السلام فان ختمت له بالسعادة اى ختمت له حياته بالسعادة وانما حذف المفعول لتعينه
ولان الغرض هو ذكر المختوم به والمراد بالسعادة الشهادة كما يفسره قوله بعده وقضيت له بالشهادة
وسمى الشهادة سعادة مجازا من باب تسمية الشئ باسم سببه لان الشهادة سبب لحصول السعادة
المطلقة التى هى حسن الحيوة في الاخرة وهو ان يعد اشياء بقاء بلا فناء وعلم بلا جهل وقدرة
بلا عجز وغنى بلا فقر وبإياها قصد تعالى بقوله واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وقوله ختمت اى اردت الختم بقرينة
جواب الشرط وهو من باب ما وضع للمسبب على السبب لكون الختم مسببا عن ارادته قال السيد
والتعبير بالفعل عن ارادته في كثير الوقوع شايع الاستعمال قال ابن هشام واكثر ما يكون ذلك
بعد ارادة الشرط نحو وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم و
امثلة كثيرة قوله عليه السلام وقضيت له بالشهادة ٥٥ اى حكمت وامضيت الحكم
واتممت واكملت له عينه فان القضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى امضاء الحكم وبمعنى الاتمام والاكمال
والشهادة القتل في سبيل الله تعالى سمى شهادة لان الله تعالى شهد لصاحبه بالجنة او لان
ملائكة الرحمة شهدت نقل روحه الى الجنة او لانه شهد له بالايمان وخاتمة الخير بظاهر حاله او لان
عليه شاهدا يشهد بكونه شهيدا هو الدم فانه يبعث يوم القيمة واوداجه تشخب دما وقيل

ذلك وقد تقدم في اخر الروضة الاولى قوله عليه السلام فبعد ان يجتاح عدوك
بالقتل الفاء رابطة والجواب الشرط والظرف متعلق بمحذوف اى فليكن ذلك
الختم له بالسعادة والقضاء له بالشهادة بعد ان يجتاح عدوك اى يهلك عدوك
ويستاصله بالقتل قال ابن الاثير في النهاية في الحديث ان ابى يريد ان يجتاح مالى اى
يستاصله وياتى عليه اخذا او انفاقا وهو افتعال من الجائحة وهى افة تهلك الاموال
والثمار وكل مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة جائحة قال الزمخشري في الفائق الجائحة
اسم فاعل من جاحته تجوحه اذا استاصلته وهى المصيبة العظيمة في المال التى تهلكه وينبغى
ان يأول قوله عليه السلام بعد ان يجتاح عدوك اما بحمل الاجتياح على مشارفته اى
ان يشارف ان يجتاح عدوك والتعبير بالفعل عن مشارفته شايع الاستعمال ومنه
وليخش الذين لو تركوا من خلفهم اى لو شارفوا ان يتركوا فاما بحمل العدو على اكثرهم
من نصيب الشهادة للغازى والمجاهد على يديه ولا اذا حمل على ظاهره من الاجتياح
بمعنى الاستيصال لجميعهم حقيقة تعذرت الشهادة لان المراد بها في هذا المصاف
ولا يتصور ذلك مع استيصال العدو ذلك وان عليه السلام فسر الاجتياح بالاصابة
بعظيم المكروه كما قال ابو سليمان الخطابى اجتياحهم الزمان اذا اصابهم بمكروه عظيم فلا حاجة
الى التاويل اذ هو اعم من الاستيصال قوله عليه السلام وبعد ان يجهد بهم الاسر قيل
الواو هنا بمعنى او كما يدل عليه سياق الكلام ولا حاجة الى ذلك لان الواو قد يعطف
على الاجتماع فيجوز ان يكون الاسر قبل القتل والقتل لاخيرا وقدمه في الذكر للاعتناء و
الاهتمام بوقوعه واما البعدية فهى متعلقة بالختم والقضاء كالاولى لا بالاجتياح حتى يكون
مفادها التى يجب جهد الامر والمرض جهدا من باب نفع منه المشقة والباء في
قوله بهم اما زائدة في المفعول نحو فليمدد بسبب الى السماء واما التضمين الجهد معنى
الاضرار والاسر الاخذ بالقهر واصله الشد يقال اسره اسرا من باب ضرب اذا
شده بالاسار ككتاب هو القد الذى يشد ويوثق به الاسير وفى نسخة ابن ادريس

وبعدان بذ لحهم الاسر وضبط بسكون الياء المثناة قبل الخاء المعجمة من باب الافعال و
بتشديدها من باب التفعيل وكلاهما بمعنى بذللهم ويهينهم من دلخ اى ذل وخضع قال
ابن الاثير فى الحديث اداخ العرب ودان له الناس اى اذلهم من داخ اى ذل واداخته
انا وفيه فتح الكفرة ودوخها اى اذلها وقهرها يقال دوخ وديخ بمعنى واحد ومنه
حديث الدعاء بعدان بدوخهم الاسر وبعضهم يرويه بالذال المعجمة وهى لغة شاذة
انتهى كلام ابن الاثير وفى القاموس داخ ذلك البلاد قهرها واستولى على اهلها كدوخها
ودوخها قوله عليه السلام وبعدان تامن اطراف المسلمين الاطراف جمع طرف بفتحتين
وهو هنا اما بمعنى الطائفة اى طوائف المسلمين ومنه قوله تعالى ليقطع طرفا من الذين
كفروا اى طائفة منهم قيل شبه من قتل منهم بطرف يقطع من البيت وفى الحديث فمال طرف
من المشركين على النبى صلى الله عليه وآله اى قطعة عظيمة منهم واما بمعنى الناحية فيكون على
حذف مضاف اى اطراف بلاد المسلمين قال فى الاساس تفرقوا فى اطراف الارض اى
نواحيها واسناد الامن اليها حينئذ مجاز حكمى والمعنى بعدان يامن اهل النواحى من بلاد
المسلمين قوله عليه السلام وبعدان يولى عدوك مدبرين ولى وتولى انصرف ذاهبا
وقيل ذهب هاربا وادبر بمعنى ولى واشتقاقه من الدبر بالضم وبضمتين وهو من كل شيء
عقبه ومؤخره لاسناد ادبر الشيء فقد جعله عقبه ومدبرين حال مؤكدة لعاملها
معنى لان الادبار والتولية بمعنى وانما يقال ولى مدبرا اذا انهزم ومنه قوله تعالى ولى
مدبرا اى ذهب منهزما لان تولية الدبر كناية عن الانهزام ومنه قوله تعالى ولى مدبرا اى ذهب
منهزما لان تولية الدبر كناية عن الانهزام قال الهروى ولاه دبره كناية عن الهزيمة
وقال بعضهم لا يقال ولى مدبرا الا اذا رجع الى ورائه حتى لو انهزم يمينا او شمالا لا يقال
انه ولى مدبرا وهذا هو الصحيح الذى تقتضيه معنى الادبار والله اعلم اللهم وايما مسلم
خلف غازيا او مرابطا فى داره او تعهد خالفيه فى غيبته او اعانه بطائفة من ماله
او امده بعتاد او شحذه على جهاد او اتبعه فى وجهه دعوة او رعى له من ورائه

حرمته

حرمته فاجر له مثل اجره وزنا بوزن ومثلا بمثل وعوضه من فعله عوضا
حاضرا يتعجل به نفع ما قدم وسرور ما اتى به الى ان ينتهى به الوقت الى ما اجريت
له من فضلك واعددت له من كرامتك خلف فلان فلانا من باب قتل خلافة
اذا صار خليفته يقال خلفه فى قومه اذا قام بعده فيهم وقام عنه بما يفعله ومنه
قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى اى كن خليفتى والقائم مقامى وفى
نسخة ابن ادريس خلف بالتشديد وكانه للمبالغة فى المخفف كقتله وقتله تقتيلا واما
حمله على معنى تركه بعده فلا وجه له والمرابط اسم فاعل من رابطه مرابطة ورباطا
من باب قاتل اذا لازم ثغر العدو واصله من الربط وهو الشد لان كلا من الفريقين يربطون
خيولهم فى ثغورهم وكل معد لصاحبه فسمى ملازمة الثغر رباطا ومرابطة وتعهدت
الشيء ترددت اليه واصلحته وحقيقته تجديد العهد به وتعهدته حفظته قال ابن فارس
ولا يقال تعاهدته لان التفاعل لا يكون الا من اثنين وقال صاحب المحكم تعهد الشيء
وتعاهده واعتهده تفقده واحدث العهد به وقال الفارابى تعهدته افصح من
تعاهدته والخالفين جمع خالف من خلف على اصحابه اى تخلف بعد من اقام بعده
من اهله وتخلف عنه وقد اتفقت نسخ الصحيفة الشريفة على ضبط خالفيه بالياء
المثناة من تحت على انه جمع مذكر سالم لخالف حذفت النون للاضافة وفى نهاية
ابن الاثير ايما مسلم خلف غازيا فى خالفته بالتاء المثناة من فوق وهو بمعنى الخالف
الذكر او الانثى والتاء فيه للمبالغة مثلها فى الخليفة وانما نبهنا على ذلك لئلا يتوهم
متوهم ان احدى اللفظين تصحيف من الاخر والطائفة القطعة من الشيء والعتاد
بالفتح ما اعده الرجل من السلاح والدواب وآلة الحرب وفى الاساس هو عتادك
اى عدة وشحذه على كذا حمله على ارتكابه فى سقته اليه واصله من شحذت السكين
شحذا من باب نفع اى احددتها وفى القاموس والشحذ السوق الشديد والالحاح فى

السؤال مع شحذه على الجهاد امضاء همة وتاكيد عظيمة اى فى جهة وناحية عليه
اما بقول كثر غيبة اى فى جهة له فيه بذكر ما فيه من عظيم الاجر والثواب او بفعل
كقطع عوائقه والقيام له بمصالح اليه واستجة الشئ جعلته له تابعا والحقته به
والوجه الجهة وما يتوجه اليه الانسان من عمل وغيره اى فى جهة وناحية التى توجه
اليها واستقبلها اى فى مقصده الذى توجه اليه والدعوة بالفتح المرة من الدعاء وعنه
حفظته والمرعة بالضم ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وفى القاموس الحرمة ما لا
يحل انتهاكه ومن وراءه اى من خلفه واجريت الشئ جعلته جاريا وفى الاساس ومن المجاز
اجرى له الف دينار واجرى عليهم الرزق وفى نسخة ابن ادريس واجر له بوصل الهمزة
وضم الجيم من اجره الله اجرا من باب قتل اى اثابه ويقال اجره بالجيم بالكسر من باب ضرب
ايضا واجره بالمد يوجره لغة ثالثة وعداه باللام لتضمينه معنى اوجب الاجر
على العمل ووزن الشئ مقداره فى الخفة والثقل وانتصابه من نزع الخافض او المفعول
والمضاف اليه من قوله مثل اجره ووزنه بيان لوزنا قال سيبويه كما كان لك فى
سقيا لك بيانا ايضا وهذا جار فى الامثلة التى فيها المجرور انتهى قال ابن هشام
بمحذوف استوقف التبيين انتهى والتعذر هو بوزن فيكون ظرفا مستقرا متعلقا
بمحذوف اى هو كائن بوزن اذ لا يطلق الا استيناف الا فى الجمل وخبر معنى المفاعلة
يتساويين فى الوزن كقولهم بعته يدا بيد اى متقابضين واخذته دابة برابر اى
متماثلين قال بعض المحققين وخرج ان الاصل فى هذه الامثلة ان يكون المنصوب
منها مرفوعا على الابتداء بالتقدير ثم لما كان ذلك فى معنى متساويين ومتقابضين
المحى عنه بمعنى الجملة لما فهم منه معنى المفرد فلما قامت الجملة مقام المفرد فى تادية
معناه اى عرب بما قبل الاعراب منها وهو الجزء الاول اعرب المفرد فلما قامت الجملة مقام
المفرد فى تادية معناه اعرب بما قبل الاعراب منها وهو الجزء الاول اعراب المفرد الذى قا

مقامه انتهى

٤٤٦

مقامه انتهى وقس على ذلك قوله عليه السلام ومثلا بمثل وهو من عطف العام على الخاص
فان المثل بمعنى الشبيه وهو اعلم من ان يكون شبيها فى الكم والكيف او غير ذلك
والوزن خاص بالكم وكل ما يتبين الحالين من كونه لصاحبها فى التماثل وعوضت
زيدا بالتشديد واعطيته العوض وهو البدل ومنه قوله من نخله بدلته
اى بدل نخله وعوضا اما مصدر او اسم مصدر او اسم عين وعلى الاولين تعين
نصبه على المفعولية المطلقة وعلى الثالث يحتمل ذلك نحو والله انبتكم من الارض
نباتا ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لعوضه كقولك عوضت زيدا دينارا درهما
دتنجل به اى يأخذ بسرعة يقال وعجلت اليه المال فتعجله اى اسرعت اليه
بحضوره فاخذه بسرعة والجملة صفة ثانية لعوضا وفى نسخة ابن ادريس
يتعجل بالجزم على انه جواب شرط محذوف دل عليه الطلب اى ان تعوضه
يتعجل ونفعه الشئ نفعا اذا حصل له المتوصل به الى المطلوب وقدمت لكم خيرا
اى عمل عملا صالحا يثاب عليه فى الاخرة التى هى قدامه ومنه قوله تعالى
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله وسره الشئ يسره بالضم
سرورا فرحه وقال الراغب السرور انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة
النفس عاجلا واجلا والفرح انشراح الصدر بلذة عاجله غير اجله والتى
بالحسنة جاء بها وعملها اى نفع ما اسلفه من الاحسان فى عمله من الحين مع الغازى
او المجاهد وانتهى به الى كذا وصل به اليه ولم يتجاوزه كانه بلغ من النهاية
وهى اقصى ما يمكن ان يبلغه والوقت مقدار من الزمان مفروض لامر ما والمراد
هنا مدة حياة المفروض لبقائه فى الدنيا واجريت له جعلته جاريا اى دائما متصلا
لا ينقطع وذلك غير حاصل فى الحال فالمراد انه حكم له بحصوله واجرائه وحكم الله بالحصول
كنفس الحصول واعددت له اى هيأته له تنبيهان الاول يستفاد من قوله عليه السلام

وعوضه من فعله عوضا حاضرا الى الآخرة ان الاعمال الصالحة قد يستحق بها الثواب في
الدنيا والآخرة معا وهو ظاهر قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
ومن زعم ان الثواب في الدنيا والآخرة نحو ذلك مما لا يكون الا في الآخرة و
ان المراد بثواب الدنيا في الآية ما اتاهم تفضلا منه او لطفا بهم وتسميته ثوابا
على المجاز والتوسع فقد تكلف على ان الاخبار عن الائمة الاطهار مستفيضة بان من
الاعمال ما يوجب الثواب في الدنيا والآخرة فمن ذلك ما رواه ثقة الاسلام في الكافي
بسنده عن ابي جعفر عليه السلام انه قال صلة الارحام تزكي الاعمال وتنمي الاموال و
تدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسئ في الاجل وعنه عليه السلام قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله اعجل الخير ثوابا صلة الرحم وبسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام
انه قال من اغاث اخاه المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفس كربته واعانه على نجاح
حاجته كتب الله عز وجل له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله يعجل له منها واحدة
يصلح بها امر معيشته ويدخر له احدى وسبعين رحمة لافزاع يوم القيامة واهواله
والروايات في هذا المعنى اكثر من ان تحصى وقوله عليه السلام الى ان ينتهي به الوقت
الى ما اجريت له من فضلك يدل بظاهره على ان الروح بعد فراق البدن
يتصل بما اعد الله لها من الثواب قبل البعث والحشر وذلك في مدة البرزخ فتتنعم
باللذات التي اوجبها ثواب اعمالها وهو الذي دلت عليه الاخبار المنقولة عن ائمة
اهل البيت عليهم السلام وقد تقدم الكلام على ذلك مبسوطا في الروضة الاولى فليرجع
اليه اللهم وايما مسلم اهمه امر الاسلام واحزنه تحزب اهل الشرك عليهم فنوى
غزوا او هم بجهاد فقعد به ضعف او ابطأت به فاقة او اخره عنه حادث او
عرض له دون ارادته مانع فاكتب اسمه في العابدين واوجب له ثواب
المجاهدين واجعله في نظام الشهداء والصالحين اهمه الامر اقلقه وهمه

همّ من باب قتل شغله واحزنه وهو حالة نفسانية تحصل لتوقع مكروه
او وقوعه او فوات محبوب في الماضي وفي نسخة حزنه يقال احزنه احزانا وحزنه
حزنا من باب قتل بمعنى قال اليزيدي احزنه لغة تميم وحزنه لغة قريش وعليها
اتى محزون وتحزب القوم صاروا احزابا اى فرقا وطوائف كل حزب من قبيلة
يجتمعون لقتال ونحوه وقال الجوهري تحزبوا تجمعوا والاحزاب الطوائف التي
تجتمع على محاربة الانبياء والضمير في عليهم عائد الى المسلمين لدلالة امر الاسلام
عليهم ومن جوز عوده الى الشرك فقد اغرب والفاء من قوله فنوى للعطف و
الترتيب والسببية ونوى الشيء ينويه قصده وهم بالشيء همّا من باب قتل اراده
والمراد بالجهاد هنا جهاد من يريد الاستيلاء على بلاد المسلمين من المشركين او
اخذ اموالهم او سبي حريمهم كما يدل عليه السياق وقعد به عن حاجته شغل
واقعده منعه وقال ابن السكيت ما يقعدك عن ذلك الامر الا شغل اى
ما يحبسني والضعف النقصان في القوة وابطأ عن الحضور تاخر مجيئه
ولم يسرع قال الزجاج يقال بطؤ عن الحل يبطؤ من باب قرب وابطأ ابطاء
والفاقة الفقر والحاجة والحادث الامر يحدث ويتجدد وجوده بعد ان لم يكن
وعرض له مانع من باب ضرب اى اعترض وله شغله من المضي وقوله دون ارادته
اى قبل حصول مراده من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول فاكتب اسمه في العابدين
في معنى معه نحو ادخلوا في امم او في جملة اسمائهم فهي للظرفية مجازا وانما قال
في العابدين لان الجهاد احد العبادات الخمس وفي نسخة في القاعدين وهو الانسب ↑ذه
وكتابة اسمه مجاز عن الامر بكتابته بان يظهر ذلك للملك ويأمره بانفا
وكتابته في كتاب المحو والاثبات او في ديوان العابدين وصحائف اعمالهم او ↑عن
تعلق الحكم به والجابه نحو كتب الله لاغلبن انا ورسلي اى حكم وقضى واثبت

والثواب هو النفع الخالص المستحق المقارن للتعظيم والتبجيل وثواب المجاهدين
هو الموعود به في القرآن العظيم من جنات وعيون ورزق كريم والنظام العقد
المنظوم من الجوهر ونحوه ويطلق على السلك الذي ينظم به وعلى الصف قال
في الاساس جاءنا نظم من جراد ونظام منه صف وكل من هذه المعاني يحتمل هنا
على الاستعارة وعطف الصالحين على الشهداء من عطف العام على الخاص ومدار
هذا الفضل من الدعاء على طلب اثابة من نوى غزوا او جهادا ولم يفعله لعذر نوى
من عمله وباشره بجوارحه واثابة المؤمن بنيته امر متفق عليه بين الامة روى
ثقة الاسلام في الكافي بسند صحيح عن ابي عبد الله عليه السلام قال ان العبد
المؤمن الفقير ليقول يا رب ارزقني حتى افعل كذا وكذا من البر ووجوه الخير فاذا
علم الله عز وجل ذلك منه بصدق نية كتب الله له من الاجر مثل ما يكتب له لو عمله
ان الله واسع كريم وروى مسلم في صحيحه باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله
قال من طلب الشهادة صادقا اعطيها ولو لم تصبه وباسناد اخر عنه صلى الله عليه وآله
قال من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه
وفي نهج البلاغة ان بعض اصحاب امير المؤمنين صلوات الله عليه قال له لما اظفره الله
سبحانه باصحاب الجمل وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به
على اعدائك فقال عليه السلام اهوى اخيك معنا فقال نعم قال فقد شهدنا والله لقد
شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم الزمان
ويقوى بهم الايمان قال بعض الشارحين لهذا الكلام عليه السلام قوله فقد شهدنا
حكم بالحضور بالقوة او بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته للحضور وكم انسان
يحصل بحضور همته وان لم يحصل بحضور همته وان لم يحضر بدنه كثير نفع اما
باستجلاب الرجال او بتباشير الهمة في توهين اعداء الله كما تفعله همم اولياء الله

بحيث

بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع من ابدان كثيرة حاضرة وان قويت وعظمت
انتهى اللهم صل على محمد وآله عبدك ورسولك وآل محمد صلوة عالية على
الصلوات مشرفة فوق التحيات صلوة لا ينتهي امدها ولا ينقطع عددها
كاتم ما مضى من صلواتك على احد من اوليائك انك المنان الحميد المبدي
٥٤٨ المعيد الفعال لما تريد ختم الدعاء بالصلوة على محمد وآله صلى الله وسلم
عليهم لما ورد في الحديث الصحيح لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآل
محمد والمشهور ان الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء
قال بعض المحققين والتحقيق انها تستعمل في قدر مشترك بينها وهو الاعتناء
بما يصل من خوف بانه قاصد يصل من تحت الاستفاضة وآل محمد عندنا عترته الطاهرة
من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص السيد الثاني بامير المؤمنين وفاطمة والحسنين
عليهم السلام وللعامة اختلافات فقيل الامة وقيل عشيرته وقيل من حرم عليه الزكوة من بني
هاشم وعبد المطلب قوله عالية على الصلوة اي مرتفعة عليها في الشرف والرتبة والقدر
ومشرفة اي مرتفعة من اشرف الموضع اي ارتفع فهو مشرف والتحيات جمع تحية وهي
تفعلة من الحيوة يقال حياك الله اي ابقاك حيا ثم استعملت التحية في مطلق الدعاء
والسلام ومعنى علوها على الصلوة واشرافها على التحيات اختصاصها بمزيد فضل مبينة لها
بين ها من سائر الصلوات والتحيات كما اختص المدعو له بمزيد فضل ميزه عن غيره
من الانبياء والمرسلين وانتهى الامر بلغ النهاية وهو اقصى ما يمكن ان يبلغه والامد الغاية
ثال الانتهى امده اي بلغ غايته وانقطع الكلام وقف وعددها اي عدها واحصاؤها
سلبهما ومقدارها وطلب نفي انتهاء امدها وانقطاع عددها من باب نفي الشيء
بلازمه كما تقدم بيانه في الروضة الاولى قوله كاتم ما مضى ظرف مستقر متعلق بمحذوف
صفة ثانية للصلوة او حال منها لتخصصها بالصفة او نعت لمصدر مؤكد محذوف

اى صلوة كائنة بما مضى وما نكرة او موصولة ومن بيانية اى كائنة من شئ مضى من صلوتك او كالذى
مضى من صلواتك وقد تقدم الكلام على نظير هذا التشبيه فى اخر الروضة العشرين فليرجع
اليه قوله عليه السلام انك المنان الحميد الى آخره تذييل للكلام السابق وتعليل لاستدعاء
الاجابة من حيث ان اتصافه بالصفات المذكورة مستدع لها وقصر الصفات عليه لإظهار
اختصاص دعائه عليه السلام به تعالى وانقطاع رجائه عما سواه بالكلية والمنان صيغة
مبالغة من المن قال ابن الاثير المنان هو المنعم المعطى من المن بمعنى العطاء لا من المنة و
كثيرا ما يرد المن فى كلامهم بمعنى الاحسان الى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه قال
البرهان الرشيدى ان صفات الله التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة
ولا مبالغة فيها فان المبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله
تعالى منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى وقال الزركشى فى البرهان التحقيق ان
صيغ المبالغة قسمان احدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد
المفعولات ولا شك ان تعددها لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة
متعددين وعلى هذا تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال انتهى والحميد المحمود على كل حال فعيل
بمعنى مفعول والمبدئ المعيد معناهما الموجد لكن الايجاد اذا لم يكن مسبوقا بمثله سمى ابداء
لتعلقه بالاشياء ابتداء من غير سابق مثال واذا كان مسبوقا بمثله سمى اعادة والله تعالى بدأ
الخلق ثم هو الذى يعيدهم اى يبعثهم يوم القيمة قال تعالى كما بدأنا اول خلق نعيده انه هو يبدئ
ويعيد والفعال لما يريد الذى لا يتخلف عن ارادته مراد ولا يمنعه عنه مانع اذ لا حكم لاحد عليه
البتة والمبالغة فيه باعتبار تعدد المفعولات وكثرتها اذ كان ما يفعله ويريده فى
غاية الكثرة وقيل معنى المبالغة فيه ان ما يريده فانه يفعله البتة لا يصرفه عنه
صارف قال تعالى ان ربك فعال لما يريد والله اعلم هذا آخر الروضة السابعة
والعشرين من رياض السالكين وقد وفق الله تعالى للفراغ من تحريرها ضحوة يوم الاحد
لاربع خلون من ذى القعدة الحرام سنة احدى ومائة والف ولله الحمد

١١٠١